



KÖPRÜLÜ KÜT.
45
M. Asım Bey


٤٥
شرح تفتازاني على

فهرست الجزء الثانى من شرح الشفا للعلامة منلا على القارى

فصل وقد



ذی الجلال والاکرام * الذی یجب ان یبدأ بذکره المرام * ویختم بشکره الکلام (القسم الثانی فیما یجب علی الانام من حقوقه علیه الصلاة والسلام) ای القسم الثانی من کتاب الشفا فی حقوق المصطفی فی بیان ما یجب علی المکلفین من حقوق خاتم النبیین وسید المرسلین (قال القاضی ابو الفضل رحمه الله تعالی) یعنی المصنف (وهذا) ای القسم الثانی (قسم) ای عظیم (لخصنا فیه الکلام) ای اقتصرنا واختصرنا (فی اربعة ابواب علی ما ذکرناه) ای وفق ما قررناه وحررناه (فی اول الکتاب ومجموعها) ای مجموع ابواب هذا القسم الاربعة (فی وجوب تصدیقه علیه الصلاة والسلام) ای الایمان به فیما جاء به عن ربه (واتباعه فی سنته) ای فی وجوب متابعته فی شریعته وطریقة حقیقته (وطاعته) ای وفی وجوب امتثال اوامره واجتناب زواجره کما بینه فی فصول الباب الاول (ومحبته) ای وفی وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته کما ورد لا یؤمن احدکم حتی یکون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالی ابتداء ومحبة الله تعالی اياه انتهاء کما قال تعالی قل ان کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله کما عینه فی فصول الباب الثانی (ومناصحته) ای وفی وجوب قبول نصحه له فی امره ونهیه ونصحه لرسوله ودینه کما ورد الدین النصیحة لله ولرسوله ولکتابه ولائمة المسلمین وعامتهم وقد اوضحنا معنی هذا الحدیث فی شرح الاربعین والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة فی النصح وهو الخلوص لغة والنصیحة فی الشریعة کلمة یعبر بها عن جملة هی ارادة الخیر للمنصوح له (وتوقیره) ای وفی وجوب تعظیمه لقوله تعالی وتعزروه وتوقروه کما زینه فی فصول الباب الثالث (وبره) ای وفی وجوب الاحسان باهل وده والقیام بحکمه وامره (وحکم الصلاة علیه والتسلیم) ای وفی وجوب حکمهما من وجوب وغیره (وزیارة قبره) ای وفی بیان زیارة قبره وما یتعلق به کما حسنه فی الباب الرابع وهذا الامر اجمالی سیرد علیک القدر التفصیلی فی ضمن الابواب وفصولها بالوجه التکمیلی

(الباب الاول)

(فی فرض الایمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلی الله تعالی علیه وسلم وشرف وکرم) ای فی بیان فرضیة تصدیقه فی المعتقدات وفی وجوب طاعته فی الواجبات واستحباب متابعته فی المستحبات او التقدیر وفی وجوب اتباع شریعته التی تعم جمیع الحالات وفی المغایرة بین الفرض والوجوب ایماء بان الاول رکن الدین ومهماته والاخیران من مکملاته ومتمماته ولا یلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العکس فتأمل (اذا تقرر بما قدمناه) ای فی ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) ای بظهور معجزاته (وصحة رسالته) ای بوضوح آیاته (وجب الایمان به) لانه فرع ثبوتهما کتوقف المشروط علی الشرط (وتصدیقه فیما اتی به) ای من عند ربه تعالی من جهة الوحی الجلی او من طریق الوحی الخفی والمعنی

ووجب

ووجب تصدیقه بجمیع ما فی الکتاب والسنة وان کان وجوب تصدیقه من جهة السنة ثابتا بالکتاب ایضا لقوله تعالی وما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا ولقوله تعالی واطیعوا الله واطیعوا الرسول واحذروا ای مخالفتهما فیما امرا به ونهیا عنه وبما قررنا ظهرت المغایرة فی العطف واما کونه عطف تفسیر کما ذکره الدلجی رحمه الله عند من یقول الایمان هو التصدیق فقط فلا وجه له لان المحققین علی ان الایمان هو التصدیق والاقرار شرط لاجراء احکام الاسلام والاعمال شرط الکمال بخلاف المعتزلة والخوارج حیث ادخلوا الاعمال فی اجزاء الایمان وعلی کل تقدیر ففرق بین الایمان برسالته علیه الصلاة والسلام وتصدیق ما جاء به من الاحکام حتی لا یحرم الحلال ولا یحلل الحرام (قال الله تعالی فآمنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاکمل والنبی الافضل (والنور الذی انزلنا) ای القرآن المشبه بالنور الفرقان بین الحق والباطل والبرهان المزیل لظلمات الشکوک والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل وسمی نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فیه لغیره (وقال انا ارسلناک شاهدا) ای بتصدیق من بعثت الیهم وخلاصهم وهدایتهم وبتکذیبهم وضلالتهم (ومبشرا) ای بالجنة ونعیمها للمؤمنین (ونذیرا) ای بالنار والیمها للکافرین (لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغیبة فی السبعة ای لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجی رحمه الله الخطاب له ولامته ای علی سبیل التغلیب اولهم تنزیلا لخطابه منزلة خطابهم انتهی والاظهر ان الضمیر للامة علی قراءة الخطاب والغیبة کما یدل علیه سیاق الکلام والله اعلم بحقیقة المرام (وقال تعالی فآمنوا بالله) ای بذاته وصفاته (ورسوله) ای الثابت رسالته بمعجزاته (النبی) ای الجامع بین نعتی الرسالة والنبوة التی هی عبارة عن ولایته التی یأخذ بها الفیض السبحانی ویفید النوع الانسانی (الامی) ای المنسوب الی ام القری وهی مکة المکرمة کما قال تعالی لتنذر ام القری ومن حولها او المنسوب الی امة العرب التی غالبهم لم یقرأ ولم یکتب کما ورد انا امة امیة لا نکتب ولا نحسب الحدیث او المنسوب الی الام یعنی علی الوصف الذی خرج به من بطن امه ما کتب شیأ من القراءة والکتابة ونحوهما وفیه ایماء الی انه علی اصل الفطرة کما قال تعالی فطرة الله التی فطر الناس علیها وکما ورد کل مولود یولد علی الفطرة (الآیة) ای الی آخرها وهو قوله تعالی (الذی یؤمن بالله وکلماته) ای بما انزل علیه وعلی غیره من الرسل اوباسمائه وصفاته (واتبعوه) فی مأموراته ومنهیاته (لعلکم تهتدون) تفوزون بما تسعدون ببرکاته (فالایمان بالنبی محمد صلی الله تعالی علیه وسلم واجب) ای امتثالا لامر ربه (متعین) ای لا یمکن التخلص عن حکمه (لا یتم) ای لانه لا یتم لاحد (الایمان) ای الشرعی (الا به) ای الا بالایمان به او الا بسببه (ولا یصح الاسلام) ای استسلام الاحکام (الا معه) ای الا مع الایمان به او مع موافقة انقیاده فی حکم ربه وفی نسخة ایمان واسلام بتنکیرهما ثم هذا بناء علی تغایرهما حقیقة واتحادهما شریعة (قال تعالی ومن لم یؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للکافرین سعیرا) قیل وضع الظاهر موضع الضمیر ایذانا بان من لم یجمع بین الایمانین فهو کافر وعندی ان الاظهر فی المعنی ان یقال واعتدنا للکافرین منهم ومن غیرهم فیکون المعنی الاعم هو الاتم او المعنی اعتدنا لمن مات علی کفره لتکون الآیة جامعة بین النذارة والبشارة وهذا الملحظ اولی لانه یشمل الکل کما لا یخفی (حدثنا ابو محمد الخشنی) بضم الخاء وفتح الشین المعجمتین نسبة الی قبیلة خشینة وقد تقدم وفی نسخة زید الفقیه وقوله (بقراءتی علیه) ای لا بمجرد سماعی لدیه (ثنا) ای قال حدثنا (الامام ابو علی الطبری) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) ای حدثنا (عبد الغافر الفارسی) بکسر الراء ویسکن وفی نسخة القاری وهو تصحیف وقد تقدم ایضا (ثنا) ای حدثنا (ابن عمرویه) بفتح مهملة وسکون میم وفتح راء وواو فسکون تحتیة فکسرها وضبط ایضا بضم راء وسکون واو فتحتیة وفوقیة مفتوحتین وهو الجلودی وقد تقدم (ثنا) ای حدثنا (ابن سفیان) وهو ابراهیم بن محمد بن سفیان راوی صحیح مسلم عنه (ثنا) ای حدثنا (ابو الحسین) رحمه الله تعالی علیه هذا هو مسلم صاحب الصحیح (ثنا) ای حدثنا (امیة) بالتصغیر (ابن بسطام) بکسر الموحدة وفتحها ویصرف وقد یمنع (ثنا) ای حدثنا (یزید بن زریع) بضم الزای مصغر اخرج له الائمة الستة (ثنا) ای حدثنا (روح) بفتح الراء اخرج له الستة ما عدا الترمذی رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن یعقوب) احد علماء المدینة روی عنه شعبة ومالک واخرج له مسلم والاربعة (عن ابیه) هو عبد الرحمن بن یعقوب الجهنی اخرج له مسلم والاربعة (عن ابی هریرة رضی الله تعالی عنه عن رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم قال امرت) ای امرنی الله تعالی اذ لا آمر له سواه (ان اقاتل الناس) ای بمقاتلة الکفار وهو عام خص منه من اقر بالجزیة (حتی یشهدوا ان) ای انه (لا اله الا الله) استثناء من الکثرة المفهومة من اله اذ مفهومه کلی فی الذهن یتوهم منه الکثرة فی الخارج مع انه لیس هنالک الا واحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الکرم والجود وفی روایة حتی یقولوا لا اله الا الله (ویؤمنوا بی وبما جئت به) ای مما امرنی ربی او الهمنی

فى قلبى (فاذا فعلوا ذلك) اى آمنوا بهما والتزموا احكامهما او اذا فعلوا ما اقاتلهم لاجله (عصموا منى دماءهم) اى منعوها فلا يجوز سفك دمائهم واخذ اموالهم بسبب من الاسباب (الا بحقها) اى الا بحق يتعلق بها كقتل نفس بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد ويلحق بها ترك الصلاة والزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) اى فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متولى لسرائرهم والحديث هذا قد اخرجه القاضى كما ترى من عند مسلم وهو فى الايمان ورواه البخارى رحمه الله ايضا وفى رواية اخرجها الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال السيوطى وهو متواتر ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفى رواية عن انس رضى الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس فيقتل بها (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (والايمان به) اى بالنبى عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) اى انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) اى الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء او فى اى تصديقه بهما او فيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) اى من معتقداته (وما قاله) اى وفى جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) اى بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع اى اقراره (بانه رسول الله) اى الى جميع افراد الانس والجن او الى الخلق كافة (فاذا اجتمع) اى فى العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) اى معه (بالشهادة بذلك) اى بما ذكر (باللسان) اى وبالاقرار الذى هو شطر او شرط على خلاف بين الاعيان (تم) اى كمل (الايمان به) اى بالجنان (والتصديق له) اى باللسان (كما ورد فى هذا الحديث) اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (نفسه) اى بعينه الا انه (من رواية ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما اى لا من ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (امرت ان) اى بان (اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) الحديث اخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جاء من طريق ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ايضا وقد رواه اصحاب الستة عنه الا انه بلفظ انى رسول الله (وقد زاده) اى النبى عليه الصلاة والسلام (وضوحا فى حديث جبرائيل) عليه السلام اى سؤاله عنه (اذ قال) اى حين قال جبرائيل عليه السلام (اخبرنى عن الاسلام فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة وفى نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهرى دال على ان الايمان هو التصديق القلبى والانقياد الباطنى (وذكر اركان الاسلام) اى بقية اركانه اذ الجملة خمسة كما ورد بنى الاسلام على خمس حيث قال وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) اى سأله جبرائيل عليه السلام (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) اى تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) اى بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا انوثة (وكتبه) اى بانها منزلة من عنده (ورسله) اى بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا به (الحديث) وتمامه واليوم الآخر اى وبانه وما فيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره والحديث بطوله مذكور فى الاربعين وقد شرحناه فى المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) اى بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفى نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم اى الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) اى وان الاسلام (به) اى الانقياد الظاهرى اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) اى ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفى نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفى نسخة هى المحمودة التامة اى عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين اهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا فى كون الاقرار شطرا للايمان او شرطا لاجراء احكام الاسلام فاندفع قول الدلجى رحمه الله ان هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم واما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على ارباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع اجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود صفاته وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من اجزاء الايمان والله المستعان هذا ويدل على ما قررنا ويشهد لما حررنا قوله (واما الحالة المذمومة) اى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) اى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) اى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) اى الحقيقى وهو ابطان

الكفر واظهار الايمان وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة اى متعاليا عما لا يليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) اى توهيما منهم انه شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم لا زعما منهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم ما يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) اى كما اظهروه ولو كان مخالفا لما ابطنوه والجملة احتراس من نفى رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (اى كاذبون فى قولهم) اى فى دعواهم (ذلك) اى كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه) اى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) اى لم يوافق (ذلك) اى قولهم وظواهرهم (ضميرهم) اى قلوبهم وبواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) اى مجرد قولهم (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) اى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) اى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) اى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذ لم يكن معهم) اى ايمان كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها اى الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى اعلى اماكن الجنة وارفع درجاتها (وبقى عليهم حكم الاسلام) اى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم (باظهار شهادة اللسان) اى بسبب اظهارها منهم وهذا (فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة) اى ائمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) اى من القضاة والسلاطين (الذين احكامهم على الظواهر) اى جارية وسارية (بما اظهروه من علامة الاسلام) اى من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا) اى الائمة والحكام (بالبحث عنها) اى عن السرائر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) اى التحكم هنالك (وقال) اى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم أقتلته بعد ان اسلم فقال معتذرا انما اسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) اى لم ما كشفت عن ضميره وهذا امر تعجيز اذ لا اطلاع على قلب احد الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ كقولك هلا ضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن اسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها ام لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه ام لم يقل عن قلبه وابعد الانطاكى حيث قال الفاعل فى قوله أقالها هو القلب (والفرق) وفى نسخة وللفرق (بين القول) اى باللسان (والعقد) اى بالجنان (ما جعل) بصيغة المفعول او الفاعل وما مصدرية اى جعله او موصولة اى الذى جعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث جبرائيل) عليه السلام اى المتقدم (الشهادة) بالرفع او النصب اى الاقرار (من الاسلام) اى من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) اى وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان اخريان بين هذين) اى الحالين وهما الحالة المحمودة للخلص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) اى المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول اى يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) اى قبل ان يأتى بها (بلسانه) اى لضيق زمانه (فاختلف فيه) اى فى انه مؤمن ام لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام او شطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه فى بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) اى المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) اى مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) اى لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وايضا لو لم يعتبر ايمانه للزم ان يكون فى النار مخلدا وهو غير واقع كما اشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول او الفاعل (من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان) وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى امره ولا يضيع اجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهى كل جزء من اجزاء الهباء فى الهواء والمراد بها غاية القلة التى قد يعبر عنها بالعدم اى لا يظلم اصلا (فلم يذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (سوى ما فى القلب) اى لان غيره غير نافع عند الرب فى العقبى لا لانتفاء احكام ظاهر الاسلام فى الدنيا (وهذا) اى المؤمن بالجنان العاجز عن اقرار اللسان (مؤمن بقلبه) اى فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاصر)

اى حيث اطاعه وآمن به (ولا مفرط بترك غيره) اى بترك غير امره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (وهذا) اى الرأى من هذا البعض (هو الصحيح فى هذا الوجه) اى لما بيناه من الوجه الذى عيناه (الثانية) اى الحالة الثانية (ان يصدق بقلبه) اى ويكتفى بعلم ربه (ويطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك اى زمانه (وعلم ما يلزمه من الشهادة) اى النطق بها (فلم ينطق بها جملة) اى مطلقا (ولا استشهد فى عمره) اى ولا اتشهد فى عمره مرات كثيرة كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولا مرة واحدة) اى بل ولا كرة (فهذا) اى المؤمن المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه ايضا) اى كما اختلف فيما قبله (فقيل هو مؤمن) اى لانه اتى بما يكفى من مقصود الايمان (لانه مصدق) اى بقلبه وهو من احسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) اى اركان الاسلام الموجبة للكمال (وهو) فى نسخة فهو (عاص بتركها) اى بترك الشهادة كالو ترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) اى فى النار كما فى نسخة والمعنى ان دخلها لا يخلد فيها كما هو شأن المؤمن العاصى حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال امكان وجوده فبطل قول الدلجى وهذا كامر عند المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف فى انه مؤمن او ليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) اى اعتقاده وتصديقه بالجنان (شهادة) اى اقرارا بالله وبرسوله وفى نسخة شهادة اللسان وهى بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن الشئ فقد قارنه ذلك الشئ وانما قيل بنفى ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) اى قبول احكام اسلام (وهى) اى الشهادة (مرتبطة مع العقد) اى جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون اى مع الامهال زمانا يابعه القيام بشرطه او شطره (الا بها) اى بالشهادة سواء قلنا انها شرط او شطر كما بينا (وهذا) اى القول الثانى (هو الصحيح) اى فى انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه فى مهلة زمانه واما قول الدلجى ان هذا انما يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطأ ظاهر اذ اجمع اهل السنة على ان الاعمال ليست جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة وامانسبة هذا القول الى الشافعى رحمه الله والمحدثين فمعمول على انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظى فى مراتب الايقان فبطل قول الدلجى ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين او قول واعتقاد كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا غفلة منه عن تحقيق الاشعرى واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا امر بها وامتنع وتأبى عنها كابى طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) اى ما ذكرنا فى بحث الايمان وفى نسخة وهذه اى هذه المسائل او الاقوال التى هى الوسائل التى كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة اى شئ قليل يسير على ما فى القاموس وهو مطابق لما فى النسخ المعتبرة وموافق لما فى الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجى من قوله بنون وباء موحدة مفتوحتين وفى نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس فى النسخ وهو مخالف لما فى كتب اللغة بل فى القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو خالف الرواية والدراية نعم فى نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة اى قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما فى هذا المكان شئ يسير يترتب عليه امر كثير (يفضى) من الافضاء اى يوصل ويؤدى (الى متسع من الكلام فى الاسلام والايمان وابوابهما) اى مما يتعلق بهما من الاحكام (وفى الزيادة فيهما والنقصان) وفيه ان لا خلاف فى زيادة مراتب الاسلام المتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف فى زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليهما قوله (وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق) اى كما عليه اهل التحقيق (لا يصح) اى التجزى وهو قبول الزيادة والنقصان اصلا (فيه) اى فى الايمان (جملة) اى اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما اوضحه بقوله (وانما يرجع) اى التجزى (الى ما زاد عليه) اى على نفس الايمان (من عمل) اى واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء وبضم اى يحصل التجزى فى التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) اى وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين) اى علمى (وتصميم اعتقاد) اى عن دليل قوى (ووضوح معرفة) اى بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) اى من غير فتور فيها ولا قصور عنها (وحضور قلب) اى بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذى بينه عليه الصلاة والسلام بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولا شك ان مقام الاحسان واحكام الاركان من احكام الايمان وكمال الاتقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان كما حققناه فى شرح الاربعين ودققناه فى شرح الفقه الاكبر وفيق المعين (وفى بسط هذا) اى المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق

صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) اى استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) اى اردنا (ان شاء الله تعالى) اى ان كان على وفق ارادته سبحانه وتعالى

(فصــــل)

(واما وجوب طاعته) اى الطاعة النبى عليه الصلاة والسلام فى حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) مجملا (وجبت طاعته) اى مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) اى وجوب طاعته (مما اتى به) اى من جملة ما جاء به من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته فى طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه اى عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او يقال افراد الضمير ايماء الى ان الطاعتين متلازمتان او الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى اطيعوا الله تعالى فيما انزل من كتابه والرسول فيما اوحى اليه من خطابه فى مقام ايجابه (وقال قل اطيعوا الله والرسول) ولم يقل واطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اى باطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) اى نبى الخلق (تهتدوا) اى الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه المبلغ والآمر فى الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية فى المنافقين حين قال النبى عليه الصلاة والسلام من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى اعطاكم من امره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) اى عن اتيانه (فانتهوا) اى عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) اى فالذين اطاعوهما يكونون (مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) اى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم امره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه او من ضميره (وحسن اولئك رفيقا) اى لانهم فى اعلى عليين (ذلك الفضل من الله) اى لا يجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) اى بالمطيعين والعاصين (وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى بامره وتيسيره (فجعل) اى الله (طاعة رسوله طاعته) اى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) اى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) اى ما ذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية (واوعد على مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم (واوجب امتثال امره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والائمة) اى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) اى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) اى الاذعان والانقياد (لما جاء به) اى من شريعته (وقالوا) اى المفسرون (ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته او بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا من يطع الرسول فى سنته) الاولى سننه بصيغة الجمع ليلائم قوله (يطع الله فى فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما امر به ونهى عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله فى فرائضه الثابتة فى الفرقان العظيم لان امره ونهيه من امره ونهيه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين احدكم على اريكته يأتيه الامر مما امرت او نهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به فهذا نهى مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (وسئل سهل بن عبد الله) اى التسترى (عن شرائع الاسلام) اى جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى تمسكوا به فى امره ونهيه (وقال السمرقندى) اى الفقيه ابو الليث رحمه الله (يقال اطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته) اى فى شريعته الشاملة لفريضته وسنته المستفادة من احاديثه الواردة وفق طريقته (وقيل اطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول ابلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب الحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) اى اوصلكم من امره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) اى بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبى بالشهادة له بالنبوة) اى المقترنة بالرسالة وفى نسخة بالرسالة والاولى اشمل والثانية اكمل وكان الجمع بينهما افضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة اقل ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتى عليه) اى لا بسماعى لديه (ثنا) اى قال حدثنا (حاتم بن محمد) اى ابن الطرابلسى (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن

على بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى (ثنا) اى حدثنا
(محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (البخارى) وهو صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (عبدان) بفتح
فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكى المروزى يقال تصدق بالف الف (انا) اى اخبرنا (عبد
الله) اى ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به (انا) اى اخبرنا (يونس) اى ابن يزيد
الايلى احد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب اخرج له اصحاب الكتب
الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال اخبرنا ابو سلمة بن عبد الرحمن) احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع
اباهريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعنى) اى فيما جئت به
عن الله تعالى (فقد اطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم
لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى)
اى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يامر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد
قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان اسنده المصنف
من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله وطاعة له) اى
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما امر ونهى ومن جملة ذلك تأمير امير هنالك (وقد حكى الله تعالى عن الكفار
فى دركات جهنم) اى طبقاتها السفلية بحسب مقامات اهلها فى المعاصى الجليه والخفية حيث قال (يوم تقلب
وجوههم فى النار) اى تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع اعضائهم واستيفاء لسائر اجزائهم كقطعة لحم
تدور فى قدر غلت فترامى بها الغليان من ناحية الى اخرى والمراد من الوجوه ذواتهم او اريد بها اشرف اعضائهم
والطف اجزائهم لاسيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا)
باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) اى حين شاهدوا النعى (حيث لا ينفعهم التمنى
وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم
بشئ) وفى نسخة بامر اى مأمور به ايجابا اوندبا (فأتوا منه ما استطعتم) اى من غير ترك لواجب (وفى حديث ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام كل امتى) اى جميعهم (يدخلون الجنة الامن ابى) اى امتنع عن
دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة امة الاجابة ودخول الجنة اعم من ان يكون اولا او آخرا
ولا يبعد ان يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة امة الدعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا ومن أبى)
وفى نسخة قالوا يارسول الله ومن يأبى اى عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من اطاعنى
دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى) اى بتركه الطاعة التى هى سبب لدخوله او موجب لوصولها والحديث رواه الحاكم
بلفظ كلكم يدخل الجنة الامن ابى الحديث كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير برواية البخارى عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه ولفظه كل امتى يدخلون الجنة الامن ابى من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى
(وفى الحديث الآخر الصحيح) اى الذى رواه البخارى فى صحيحه (عنه عليه الصلاة والسلام مثلى ومثل ما بعثنى الله
تعالى به) اى مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان (كمثل
رجل اتى قوما) اى جاءهم يحذرهم من عدوهم ورآءهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) اى عسكر العدو (بعينى)
بصيغة التثنية للمبالغة فى التأكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الاكيد (وانى انا النذير العريان) اى المخوف الذى ليس له
غرض فى التحذير بل هو عارى عن تلبيس وتدليس فى وصف النذير وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان ابين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه
ليجتمعوا اليه ويحققوا ما لديه وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه
من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد يقصر وهو منصوب على الاغراء اى الزموا النجاء وهو
الاسراع الى المنجى والملجأ فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر اى انجوا النجاء بمعنى
اطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتأكيد او احدهما اشارة الى امر
الدنيا والآخر ايماء الى امر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ
بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال اكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار
الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من اول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر
هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء وبفتح اى

فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) اى فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم
الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم اى اذا سرتم
فتأنوا واذا القيتم فاحملوا اى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) اى دخلوا فى الصبح فى محلهم (فصبحهم
الجيش) بتشديد الموحدة اى نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) اى الجيش (واجتاحهم) اى
استأصلهم ولم يبق واحدا منهم (فذلك) اى المثل المذكور (مثل من اطاعنى) اى انقاد لى فى الطاعة على وجه
الصدق (واتبع ما جئت به) اى من الامر الحق فيه ايماء الى انه لا ينبغى لاحد ان يكتفى بظاهر الطاعة عن اتباع
ما جاء به من العبادة (ومثل من عصانى) اى بالوجه المطلق (وكذب ما جئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق
العصيان غير مستأصل للانسان بل العصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان
(وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه الشيخان (فى مثله) بفتحتين اى فى تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى
دارا) واصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام اما فى حال اليقظة واما فى حال
المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مأدبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح اى اطعمة ملونة موضوعة للدعوة
(وبعث داعيا) اى الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن اجاب الداعى) اى بقبول الدعوة (دخل الدار) اى
دار النعمة (واكل من المأدبة) اى على قدر الطاقة فى الطاعة (ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار) اى دار القربة
(ولم يأكل من المأدبة) اى لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين اجابوا دعوة سيد المرسلين
(والداعى) اى الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله عليه وسلم (فمن اطاع محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد اطاع الله)
لانه الداعى اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) اى بخروجه عن حكمه (ومحمد
فرق) بفتح فسكون اى فارق (بين الناس) اى من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به
للمبالغة كرجل عدل وفى نسخة بفتح الراء مشددة ومخففة بالقاف اى فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

(فصـــل)

(واما وجوب اتباعه) اى متابعته (وامتثال سنته) اى طريقته (والاقتدآء بهديه) اى سمته وحالته وسيرته (فقد قال
الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) اى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعونى) اى فيما ظهر منى من شريعته
وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط اى يرض عنكم ويكشف حجب قلوبكم (ويغفر
لكم ذنوبكم) اى جميع عيوبكم (وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى) وفى وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من
معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى بكتبه وآياته (واتبعوه) اى فى اوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركات
ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا لتأكيد معنى القسم كما قاله الدلجى تبعا لغيره لكن يأباه الجمع
بين الفاء والواو فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك
(لا يؤمنون) اى بى ولا بك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) اى اختلفوا فى امرهم ويرضوا بحكمك
فى حقهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى حكمت به او من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر
مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (اى ينقادوا لحكمك) يعنى انقيادا كاملا يكون لجميع احكامك شاملا ولظواهرهم
وبواطنهم كافلا (يقال) اى فى اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم واسلم اذا انقاد) اى مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم
فى رسول الله اسوة) بكسر الهمزة وضمها اى خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتسى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) اى
ثوابه اولقاءه (واليوم الآخر) اى نعيم الآخرة اولمن كان يخاف عقابه اوحجابه واليوم الآخر اى حسابه وعذابه
(وقال محمد بن على الترمذى) اى الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة فى الرسول) اى معناها فى حقه
(الاقتدآء به) اى فى امر شريعته (والاتباع لسنته) اى طريقته (وترك مخالفته فى قول اوفعل) وكذا فى جميع ما علم
من حالته (وقال غير واحد) اى كثير من المفسرين (بمعناه) اى بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو
اى قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) اى ملامة من الله (للمتخلفين عنه) اى فى غزواته وخصوص حالاته وعلو
درجاته ورفعة مقاماته (وقال سهل) اى ابن عبد الله كما فى نسخة وهو التسترى من اكابر الصوفية (فى قوله تعالى
اى فى تفسيره (صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفى نسخة سنته اى انعم عليهم بسبب اتباع طريقته
(فامرهم الله تعالى بذلك) اى باتباع شريعته (ووعدهم الاهتدآء باتباعه) اى بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم
تهتدون (لان الله تعالى ارسله بالهدى) اى بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) اى الملة الثابتة بمخالفة الهوى
(ليزكيهم) اى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة)

اى السنة اوالاحكام الحكمة والمعارف الصادرة عن اهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى
صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى (ووعدهم) اى على اتباعه (محبته تعالى
فى الآية الاخرى) وهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله
(ومغفرته) اى ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) اى فى الايمان به وامتثال امره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة
اى قدموه على انفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا واهداه على آرائهم واحبوه ازيد من آبائهم وابنائهم (وما تجنح)
بفتح النون وتضم اى وعلى ما تميل (اليه نفوسهم) اى من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة
عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) اى واخبر فى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته
(بانقيادهم له) اى لامره (ورضاهم بحكمه) اى فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) اى فيما حكم لهم او عليهم
(وروى) كما فى تفسير ابن المنذر (عن الحسن) اى البصرى (ان اقواما) اى جمعا كثيرا (قالوا يا رسول الله انا نحب الله)
اى ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وروى) قال الدلجى لا ادرى
من رواه (ان الآية) اى هذه الآية (نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو يهودى قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) اى
من اليهود (وانهم قالوا نحن ابناء الله) زعما منهم انهم اشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن
اشد حبا لله) اى مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعد اعدى الاعداء من اعدائهم اذ لو كانوا ابناءه
واحباءه لم يأتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا فى الدنيا ومسا بالنار دائما فى العقبى لا اياما معدودات
كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد اجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء بالكفران والله على كل شئ قدير من الاحسان والخذلان وهذا
لا ينافى قوله (فانزل الله الآية) اى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لا مانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب
والعتاب (وقال الزجاج معناه) اى معنى ما ذكر من الآية او معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) اى
تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ما امركم به) اى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى اى اتبعوا
امرى ونهيى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا) اى ونهيا (ومحبة الله لهم) اى لعباده (عفوه
عنهم) اى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) اى للعبد (عصمة) اى
حفظ له عن المعصية (وتوفيق) اى للعبادة (ومن العباد) اى والحب من العباد لله (طاعة) اى الطاعة له فى امره ونهيه
ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله بن المبارك (تعصى الاله
وانت تزعم حبه هذا) اى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر وما
فى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائى او لعمرى مما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة
فى الفعال وهو موافق لتفسير ابى الليث واحياء الغزالى (بديع) اى عجيب وغريب وبعيد عن القياس او من فعال
الناس لانه (لو كان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب
لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع (ويقال محبة العبد لله) اى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيمه له) اى فى شأنه
(وهيبته منه) اى فى سلطانه (ومحبة الله له) اى للعبد (رحمته له) اى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية
(وارادته الجميل له) اى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته
(وتكون) اى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) اى على العبد عند ملائكته وعلى السنة رسله او على
السنة الخلق فانهم اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام ابو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) اى الحب
(بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) والاظهر ما قدمناه (وسيأتى بعد) اى بعد ذلك (فى ذكر محبة
العبد غير هذا) اى غير ما ذكرهنا (بحول الله تعالى) اى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا ابو اسحق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه قال ثنا) اى حدثنا (ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا)
اى وحدثنا وفى نسخة واخبرنا (ابو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) اى الكامل فى الفقه
(بقراءتى عليه) اى هذا الحديث (قالا) اى عيسى ويونس كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن حاتم) بكسر الفوقية (قال
ثنا) اى حدثنا (ابو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) اى حدثنا (ابو بكر الآجرى)
بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) اى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح
الجيم وسكون الواو وكسر الزاى منسوب الى الجوز (ثنا) اى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه
مسلم وابو داود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق اخرج عنه الستة ما عدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) اى

حدثنا

حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ ابو العباس عالم اهل الشام روى عنه احمد واسحق قال ابن المدينى ما رأيت
فى الشاميين مثله اخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصى روى عن خالد بن معدان وعن عطاء
وعنه القطان وابو عاصم وكان ثبتا قدريا اخرجوه من حمص واحرقوا داره اخرج له البخارى والاربعة (عن خالد
ابن معدان) هو الكلاعى عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح فى اليوم اربعين الف تسبيحة وقيل غير ذلك
اخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى) بضم ففتح هو الصواب كما فى سنن ابى داود وجامع الترمذى وسنن
ابن ماجه وفى بعض النسخ الاسلمى (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعى) بفتح الكاف (عن العرباض)
بكسر العين المهملة وفى آخره ضاد معجمة (ابن سارية) اى ابن نجيح السلمى من البكائين من اهل الصفة اخرج له اصحاب
السنن الاربعة (فى حديثه) اى فى حديث رواه العرباض (فى موعظة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) اى الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل
من الرشد وهو خلاف الغى والمهدى من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال
المعجمة اى تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (واياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع
محدثة وهى ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع امة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفى نسخة
بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومنه قول عمر
رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة هذه والحديث فى الاربعين للنووى وقد اوضحنا فى شرحه المبين المعين بيان
مبناه وعيان معناه وقد اخرجه ابو داود فى السنة عن احمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذى ساقه القاضى
والترمذى فى العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه فى السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث واخرجه من خارجها
طلبا للعلو فى الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ ابى داود فى هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة اشخاص ولا يتفق له ذلك
فى رواية ابى داود (زاد فى حديث جابر) على ما رواه مسلم (بمعناه) اى زيادة افادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل
ضلالة فى النار) اى وكل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفى حديث ابى رافع) كما رواه الشافعى فى كتابه الام عن
سفيان بن عيينة عن سالم ابى النضر عن عبيد الله بن ابى رافع عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكذا رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام (لا الفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة
اى لا اجدن (احدكم متكئا على اريكته) اى جالسا على سريره او فراشه متمكنا على مقعده او مائلا فى قعوده معتمدا على
احد شقيه كما هو شأن الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل شعر دع المكارم لا ترحل لبغيتها *
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى (يأتيه الامر من امرى) اى يبلغه امر من امورى او من مأمورى بدليل قوله
(مما امرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على اريكته
فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (او نهيت عنه فيقول لا ادرى) اى غير القرآن ولا اتبع سوى الفرقان (ما وجدنا
فى كتاب الله اتبعناه) اى وما وجدنا فى غيره او مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال اوامره واجتناب
زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينا لما فى القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه فى امر او نهى هنالك (وفى حديث عائشة
رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا ترخص فيه) اى اختار
الرخصة على العزيمة فى عمل ذلك الشئ عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى
بعزائمه والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار فى السفر او القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال ابو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) اى تبعد عن
ذلك الشئ او عن الترخص فيه (قوم) اى جماعة من الرجال ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فحمد الله) اى شكره (واثنى عليه) اى فيما افاض اليه (ثم قال ما بال قوم) اى ما حالهم وشأنهم (يتنزهون
عن الشئ اصنعه) جملة وصفية او حالية (فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون
الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروى عنه عليه
الصلاة والسلام) من حديث ابى الشيخ وابى نعيم والديلمى (انه قال القرآن صعب) اى باعتبار مبناه (مستصعب)
بكسر العين وتفتح اى باعتبار معناه (على من كرهه) اى ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من احبه
وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالسيل ماء للمحبوبين ودماء
للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والجد

الذى ليس فيه الهزل اذ دوا الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثى) اى تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) اى
القرآن من جهة معناه (وحفظه) اى من جهة مبناه اى ضبط حكمه وراعاه (جاء) اى ورد (يوم القيامة مع
القرآن) اى بعمله وعمله بهما (ومن تهاون بالقرآن وحديثى) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر
الدنيا والآخرة) اى وتلك الخسارة الظاهرة (امرت امتى) بصيغة المجهول للتأنيث وفى نسخة بصيغة الفاعل المتكلم
والاول هو الظاهر اى امرهم الله (ان يأخذوا بقولى) اى اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى
يوحى (ويطيعوا امرى) اى اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويتبعوا سنتى) اى استنادا لقوله
تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضى بقولى) اى بحديثى (فقد رضى بالقرآن) وفى الكلام قلب للمبالغة اى فمن
رضى بالقرآن فقد رضى بقولى ومن لم يرض بقولى فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بى فهو منى اى متصل بى ومعى او من اشياعى واتباعى وقد رواه
عبد الرزاق فى مصنفه من مراسيل الحسن الا انه بلفظ من استن بسنتى اى اتبعها وعمل بها فهو منى (ومن رغب
عن سنتى) يقال رغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس منى)
كما فى الصحيحين (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله
تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد)
وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط فى بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد
الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر
الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهى البدعة التى تخالف الكتاب والسنة واجماع الائمة قال الدلجى
لا ادرى من روى هذا الحديث ولعله انكره من حيث اسناده الى ابى هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه احمد
ومسلم والنسائى وابن ماجه ولفظه اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى وان افضل الهدى هدى محمد وشر
الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار الحديث وروى البيهقى فى الدلائل وابن عساكر
عن عقبة بن عامر الجهنى وابو نصر السجزى فى الابانة عن ابى الدرداء مرفوعا وابن ابى شيبة عن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى واوثق العرى كلمة التقوى
وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد واشرف الحديث ذكر الله تعالى واحسن القصص
هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها واحسن الهدى هدى الانبياء واشرف الموت قتل
الشهداء واعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد
العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة
ومن الناس من لا يأتى الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا واعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى
غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر
والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثا جهنم والكنز كى من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم
والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد
من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن امه وانما يصير احدكم الى موضع اربعة اذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه
وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر واكل لحمه من معصية الله تعالى
وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره
الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله
اللهم اغفر لى ولامتى اللهم اغفر لى ولامتى استغفر الله لى ولكم كذا فى الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير
للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة العاصى والاولى هى الاولى لما
حققناه فيما سبق من اصل المبنى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) اى اصوله (ثلاثة) اى اقسام (وما سوى
ذلك) يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما تتوقف عليه (فهو فضل) اى زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يسع
المرء جهله (آية محكمة) اى احكم بيانها فلم يحتج الى زيادة فى شأنها (وسنة قائمة) اى احاديث ثابتة مستمرة العمل
بها دائمة (وفريضة عادلة) اى فى القسمة اوعادلة ومساوية فى العمل بها الكتاب والسنة وهى الثابتة باجماع
الامة او قياس الائمة رواه ابو داود وابن ماجه (وعن الحسن بن ابى الحسن رحمهما الله تعالى) اى البصرى كما رواه
عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمى عن ابن مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام

عمل قليل فى سنة) اى مصاحب لها (خير من عمل كثير فى بدعة) اى من اصلها لان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو
نفع كله وذا اكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله ففى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى امم اى معهم والحاصل ان
الاقتصاد فى السنة افضل من الاجتهاد فى البدعة ولو كانت مستحسنة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى
يدخل العبد الجنة) اى اعلى مراتبها (بالسنة) اى بسبب القيام بها (تمسك بها) اى اخذها وعمل بمقتضاها ففاز
بمقام القدس ومرام الانس وفى نسخة يتمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه
صحيح المعنى (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (قال
المتمسك بسنتى عند فساد امتى) اى حين يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى
فيها خير من الساعى فان قلت من يتمسك بالسنة اذا فسدت الامة اجيب بان المراد اكثر الامة ولا يبعد ان يراد
بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم
الفاسدة كما هو طريق اهل البدعة بخلاف مذهب اهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على
ما ورد (له اجر مائة شهيد) اى حيث جاهد فى طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذى (ان بنى
اسرائيل افترقوا) اى تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) اى مذهبا ومشربا وفى نسخة فرقة اى جماعة (وان امتى)
اى اهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفى رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) اى بزيادة ملة (كلها) اى جميع الملل
السابقة والنحل اللاحقة (فى النار) اى فى طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) اى الا اهل ملة واحدة او الا جماعة
(قالوا) اى بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذى) اى الجمع والفوج الذى او اهل الطريق الذى (انا عليه
اليوم واصحابى) اى من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن انس رضى الله تعالى عنه
قال صلى الله تعالى عليه وسلم من احيى سنتى) اى اشاعها بعملها او اذاعها بنقلها (فقد احيانى) اى رفع ذكرى
واظهر امرى (ومن احيانى كان معى) اى مشاركا لى فى علو قدرى وفى نسخة كان معى فى الجنة اى مصاحبا لى
فى النعمة رواه الاصبهانى فى ترغيبه واللالكائى فى السنة (وعن عمرو بن عوف المزنى) كما رواه الترمذى وحسنه ابن
ماجه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتى) اى من سنتى (قد اميتت بعدى)
اى بترك ذكرها او العمل بها (فان له من الاجر مثل من) اى مثل اجر من (عمل بها من غير ان ينقص) اى ذلك الاجر
الذى يكون له (من اجورهم) اى من اجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر فى ضميرهم معنى من
دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة او بالوصف اى بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها
لا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة
للكتاب والسنة ولا مأخوذة من القياس او اجماع الامة (كان عليه) اى من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيأ) اى من آثام من عمل بها تبعا له (فصل) (واما ما ورد عن السلف) اى الصالحين
من الصحابة والتابعين (والائمة) اى العلماء العاملين المجتهدين فى امر الدين (من اتباع سنته) وفى نسخة فى اتباع
سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) اى طريقته (وسيرته) اى هيئته فالاول بيان الكمية
والثانى بيان الكيفية اوهما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريرى اولى من القول بالعطف التفسيرى
(فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابى تليد) بفتح فوقية وكسر لام فتحتية (الفقيه) اى الكامل
فى الفقه (سماعا عليه) اى لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر
(ثنا) اى حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) اى حدثنا (قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا فى نسخة
مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كاحمد واسلم والله تعالى اعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد
راء (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) اى حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثى
راوى الموطأ وفى نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتأمل (ثنا) اى حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب
(عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن رجل من آل خالد بن اسيد) بفتح فكسر وفى نسخة بالتصغير وخالد اخو عتاب اسلم
عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم واما الرجل فغير معروف (انه سأل عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا ابا عبد
الرحمن) يكتب بلا الف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن) اى فى قوله تعالى
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلاة السفر)
اى بوصف القصر فى القرآن صريحا والا فصلاة الخوف متضمنة للقصر فى الآية على ما ورد فى السنة (فقال ابن عمر
يا ابن اخى) اى فى الاسلام جريا على عادة العرب فى خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام (ان الله بعث الينا محمدا

عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيأ) اى من الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) اى فنتبعه ونقتدى به فى جميع اموره
وقد رأيناه يقصر فى السفر فقصرنا معه بل وقد امرنا بالقصر واوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال ابو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه
صلى الله تعالى عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيأ منهما فقد وقع فى الضلالة والبدعة والحديث
رواه مالك والنسائى وابن ماجه (وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) اى ابن مروان بن الحكم الاموى
القرشى وامه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو تابعى جليل وامام جيل وخامس الخلفاء
على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وانس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهرى وعدة اخرج له اصحاب
الكتب الستة مات بدير سمعان من ارض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر اربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة
اشهر وايام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائى فى السنة انه قال (سن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) اى وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) اى
موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضى الله تعالى عنه الناس على ابى بن كعب فى صلاة التراويح وامر
عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الافاق (الاخذ بها) اى العمل بسنته وسنة من بعده
(تصديق لكتاب الله) اى حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) اى فى طاعة رسوله لقوله
سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدى والمراد الخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله)
اى واستعمال سنته وسنة من اتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها)
اى بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) اى بغيرها ظنا انه احسن منها (ولا النظر) اى ولا يجوز لاحد النظر
(فى رأى من خالفها) اى بلا دليل شرعى من اجماع او قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجى هنا من
قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاجا كما بالغاء قول من
قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو اقام رجل شاهدى زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها
مع علمه بانها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال ابى حنيفة فى الفقه كما صرح به
الشافعى فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد فى امر الدين او يتوهم ان يكون جاهلا بالكتاب والسنة
وهو امام الائمة ومقتدى اكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف لسلفه كما بينته فى تشييع الحنفية
لتشنيع الشافعية مع ان المسألة المذكورة هى الرواية المشهورة عن على كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك
فبهذا علم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع فى حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب
الجاهلى والتكسب الغافلى حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد اسير الدليل كما قال الشافعى بجواز نكاح
الرجل ووطئه بنته الحاصلة من الزنى نظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صورى فى هذا القبيل
والله سبحانه وتعالى يهدى الى سواء السبيل (من اقتدى بها) اى بسنته وسنتهم (مهتدى) اى مادام مقتديا بها
وفى نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) اى استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بمدلولها (منصور)
اى فهو منصور كما فى نسخة (ومن خالفها) اى فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) اى المجتمعين
عليها (ولاه الله ما تولى) اى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (واصلاه جهنم) اى
ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) اى قبحت جهنم (مصيرا) اى مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
(وقال الحسن بن ابى الحسن) اى البصرى رحمه الله تعالى (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) وقد سبق هذا
الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا ايضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد
فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (وقال ابن شهاب) اى الزهرى كما اخرجه عنه اللالكائى فى السنة (بلغنا عن
رجال من اهل العلم) اى من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) اى الاستمساك بها سبب خلاص من
ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما فى سنن سعيد بن منصور عنه رضى
الله تعالى عنه (الى عماله) اى بالامصار (بتعلم السنة) اى الاحاديث او السنن وفى نسخة بتعليم السنة اى للناس
(والفرائض) اى تفصيلها وتمييزها عما عداها او اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن اى اللغة) تفسير
من احد رواة الحديث او من المصنف والمراد باللغة اصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة

لعلم

لعلم النحو المتعلق بالمبانى وكذا علم البيان والمعانى (وقال) اى عمر رضى الله تعالى عنه ايضا على ما رواه الدارمى
(ان اناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) تفسير فى الاصل اى بظواهر الايات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانية
(فخذوهم بالسنن) وفى نسخة بالسنة اى فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية
وهذا معنى قوله (فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله تعالى) اى من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر
على معرفة احدهما فالمراد باصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجى كالبخارى ومسلم
وابى داود فخارج عن صوب الصواب (وفى خبره) اى خبر عمر الذى رواه مسلم عنه (حين صلى) اى عمر رضى الله تعالى
عنه (بذى الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات اهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) اى سنة
الاحرام وابى فى ذلك المقام (فقال اصنع) اى افعل انا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع)
اى فى حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه اراد القران كما يدل عليه قوله (وعن
على رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (حين قرن) بين الحج والعمرة قيل اى تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع
من حيث ان القارن متمتع ايضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدى بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق
التمتع على القران بالمعنى اللغوى الشامل للمعنى الشرعى ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له
عثمان رضى الله عنه) وهو الصواب بخلاف ما فى نسخة فقال له عمر (ترى) من الرأى لا من الرؤية اى تعلم (انى انهى
الناس عنه) اى عن القران او التمتع (وتفعله) اى انت مخالفا لامرى (قال) اى على لعثمان (لم اكن ادع) اى
وادعا وتاركا وروى لا ادع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل
صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا فى حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكأنه كان
يظن ان افضل انواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان اشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع فى غيرها
قبلها او بعدها كما كان عليه اهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة فى اشهر الحج من افجر الفجور
ولدفع هذا الامر امر صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى او كان له
تأويل فى هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون اشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة فى غيرها حتى يزار
البيت فى اشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها لمنفعة اهل مكة ليكون لهم موسمان فى كل عام والله اعلم وحمل فعله صلى
الله تعالى عليه وسلم على احدهما لا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبى
فى النسخة التى وقفت عليها فقال له عمر وفى الهامش عثمان عوض عمر وعليه صح وفى صحيح البخارى وسنن النسائى
كلاهما فى الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضى الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان
يجمع بينهما فلما رأى على تنهيه اهل بهما او قال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقول احد واخرج الشيخان والنسائى كلهم فى الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع على وعثمان بعسفان وكان
عثمان ينهى عن المتعة او العمرة فقال على ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك
فقال انى لا استطيع ان ادعك فلما رأى على ذلك اهل بهما جميعا واخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان
عثمان ينهى عن المتعة وكان على يأمر بها فقال عثمان لعلى كلمة فقال على لقد علمت ان قد تمتعنا مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت
الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة اهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوى وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية
عن على كرم الله تعالى وجهه والله اعلم (وعنه) اى عن على وهو غير معروف عنه (انى) وفى نسخة صحيحة الا انى
اى انتبهوا فانى (لست بنبى) اى لا يوحى الى بوحى جلى (ولا يوحى الى) اى بوحى خفى اعمل به (ولكنى اعمل بكتاب الله
تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) اى قدر ما قدرت بحسب الطاقة
البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمى والطبرانى واللالكائى فى السنة عنه وعن ابى الدرداء (القصد
فى السنة) اى التوسط فى العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد فى البدعة) اى احسن من المبالغة
فى بذل الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة فى حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة واما تقييد الدلجى بالضلالة
فنشأ من بعض الجهالة لانها اذا قوبلت بالسنة الثابتة ولا شك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة الضلالة
اذ لا خير فيها فى جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد فى مسنده بسند صحيح
(صلاة السفر ركعتان) اى لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا فى الليالى والايام (من خالف
السنة) اى لم يقبلها (كفر) اى قارب الكفر او كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهى منة ولذا سمى صدقة وقيل من

خالفها عنادا اومستحلا فقد كفر وخرج عن دآئرة الاسلام بامتناع قبول احكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا
كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غيرتأ ويل لها (وقال ابى بن كعب) كما رواه الاصفهانى
فى ترغيبه واللالكائى فى سننه (عليكم بالسبيل) اى الزموا طريق الطاعة (والسنة) اى ومتابعة الشريعة (فانه
ماعلى الارض من عبد) اى من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) اى سبيل الله تعالى (والسنة) اى سنة
رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله فى نفسه) اى فى باطنه والمعنى
بحضور قلبه سوآء كان الذكر بلسانه اوبمجرد ذكر جنانه ولاشك ان الجمع اولى لظهور برهانه فلامعنى لقول الدلجى
اى بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) اى سالت دموعهما من اثر بكائه (من خشية الله) اى من خوف
عقابه اوحجابه (فيعذبه) بالنصب اى الالم يعذبه (الله ابدا) اى لافى دنياه ولافى آخرته حيث طلب مرضاة مولاه
وفى نسخة فيعذبه بالرفع (وماعلى الارض من عبد على السبيل) اى الطريقة المرضية (والسنة) اى الهيئة السنية
(ذكر الله فى نفسه) اى من غيران يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) اى انقبض واجتمع (من خشية الله) اى
من عظمة مولاه (الا كان مثله) بفتحتين اى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) اى
اوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) اى فبيناهى فى اوقات كونها كذلك (اذا اصابتها ريح شديدة)
اى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية اى فتناثر (عنها ورقها) كرربدلا اوتأكيد البعد المسافة
بينهما باعتراض المثل (الاحط عنه خطاياه) بصيغة المجهول اى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن
الشجرة ورقها) اى تساقط (فان اقتصادا) اى توسطا (فى سبيل) اى فى طريق خير (وسنة) اى طريقة حسنة
من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) اى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) اى فى مخالفتهما
(وموافقة بدعة) اى ولوحسنة لابدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا ايضا وهذا عطف تفسيرولم يوجد فى بعض النسخ
(وانظروا) اى وتاملوا واحرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا اواقتصادا) اى مبالغة فى الجد اوتوسطا
فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول اوتأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد
(على منهاج الانبياء عليهم السلام) اى شريعتهم ويروى مناهج الانبياء اى شرآئعهم (وسنتهم) اى طريقتهم
لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) اى نوابه (الى عمر) اى اليه حال كونه (يخبره
بحال بلده) اى عما عليه اهله من فساده (وكثرة لصوصه) اى سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة
صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم
بمجرد العلامات الدالة على اخذ السرقة عملا بالسياسة (او) وفى نسخة ام (نحملهم على البينة) اى عند انكارهم
(وماجرت عليه) فيه (السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت به السنة اى من ان البينة على المدعى واليمين على من انكر
فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) اى وبما يترتب عليها من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم
الله تعالى) اى بذلك (فلا اصلحهم الله) اى ايضا بخلاف ماهنالك ولا يبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول
اظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وعليم فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض
الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا انكثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة
تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة فى تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال
لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبر اهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) اى ابن رباح اوعطاء الخراسانى
(فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) اى اختلفتم انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) اى من امور الدين
(فردوه) اى ارجعوا فيه (الى الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله) اى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل
حياته ومماته عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه
احمد واخرج له اصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى فى موضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره
ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات ابو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة اربع ومائتين
(ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) اى اقتدآؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى
رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله تعالى
عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة (حجر لاتنفع ولاتضر)
اى فى حد ذاتك وهو لا ينافى ماورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف

عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسألة مفصلة فان خبر لولا منقسم الى اقسام
ثلاثة قسم واجب الحذف وهو مادل على كون مطلق كقولك لولا زيد لهلك عمرو وقسم واجب الاثبات وهو مادل
على كون مقيد اذلو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك
حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثوا عهد لكان المعنى لولا قومك
على كل حال من احوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة احوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل مالم يفهم عند
الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعى

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم اشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثى اخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت اثبته
وان شئت حذفته كقولك لولا اخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد اثبت
(وروئى) وفى نسخة رئى بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رؤية مقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى
الله تعالى عنهما) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) اى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع اوله
(فسئل عنه) اى عن سبب فعله وان ادارته لاى شئ (فقال لا ادرى) اى وجهه وحكمته (الا انى رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) اى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) اى اقتدآء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا
يشير الى ان اكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية ايضا (وقال ابو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية
محلة بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف
وتحريف على ماقاله ابو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله فمنهم ابو عثمان سعيد
ابن اسماعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه
الكرمانى على ابى جعفر الحداد واقام عنده وزوجه ابو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين (من امر السنة)
بتشديد الميم اى من جعل السنة اميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) اى واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من
لا ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن امر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه فى فعله وقوله وامور دنياه
واخراه (نطق بالبدعة) اى بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضى لمولاه (وقال سهل التسترى
اصول مذهبنا) اى معاشر الصوفية لاجماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (ثلاثة الاقتدآء بالنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فى الاخلاق) اى الاحوال الباطنة (والافعال) اى الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) اى الطيب الخارج
عن الشبهة (واخلاص النية فى جميع الاعمال) اى تخليصها من شوآئب الرياء والسمعة اذ قد تصير العادات بها
عبادات والكل مأخوذ من مكارم افعاله ومحاسن اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد فى نسخة وقد كان
على خلق عظيم (وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) اى يأتمر باوامره وينتهى
بزواجره (وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اى العمل الصالح الذى يرفعه الله تعالى او يرفع الكلم
الطيب الى الله تعالى (هو الاقتدآء به) اى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة اى فى جميع اقواله
وافعاله واحواله وقد فسر الكلم الطيب بقول لا اله الا الله وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقرآءة قرءآن وغير ذلك
والهاء فى قوله يرفعه راجع الى الكلم الطيب وعليه اكثر المفسرين فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله
ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء فى الحديث لايقبل الله قولا الابعمل ولا عملا الابنية ولانية
الاباصابة السنة (وحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى
الزاهد الربانى روى عن البخارى وغيره وعنه ابناه وجمع وفى نسخة ان احمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا)
اى عن ثيابهم (ودخلوا الماء) اى بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط
الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) اى اطلاق الحديث الذى رواه مثله الترمذى ايضا (من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهى وقيل بالنفى واريد النهى بل هو ابلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون
همز ويبدل وفتح زاى اى الا بازار يستر عورته (ولم اتجرد) اى انا من ثيابى احتياطا فى ذلك المقام (فرايت) اى فى المنام
(تلك الليلة) اى القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لى يا احمد ابشر) اى بكل خير وفى نسخة ابشر يا احمد (فان الله
قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما) اى يقتدى بك (قلت من انت قال جبريل)

(فصـــــل)

(ومخالفة امره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) اى بتغييرها مبنى اوبتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) اى فى الاعتقاد (وبدعة) اى فى الاجتهاد لا تصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة اى موعود (من الله تعالى عليه) اى ماذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) اى بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه فى الدنيا (والعذاب) اى وبالعقوبة فى العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى معرضين عنه اومانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) اى كراهة ان يلحقهم محنة وبلية فى الدنيا (اويصيبهم عذاب اليم) اى مؤلم فى العقبى والاية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون فى شق غير شق الاخر (من بعد ماتبين له الهدى) اى ظهر له الحق ببيان المولى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غيرماهم عليه من اعتقاد علم اواعتماد عمل (نوله ماتولى) اى نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) اى ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) اى جهنم (مصيرا) اى مرجعا لهم والاية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفى نسخة ابوا محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بابى محمد (بقراءتى عليهما) قيل هوفوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة فى الطباع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن القابسى) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) اى حدثنا (الحسين) وفى نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) اى صانع الدبغ اوبائعه (ثنا) اى حدثنا (احمد بن ابى سليمان ثنا) اى حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) اى حدثنا (ابن القاسم ثنا) اى حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وابو داود عنه والنسائى عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة اشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح افصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع فى المدينة (وذكر الحديث) اى بطوله (فى صفة امته) اى نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من اثر الوضوء الحديث (وفيه) وفى جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمية وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد اى فليصدن وعنعن (رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال) اى عن مزاحمة بعير الرجال فى الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) اى ظنا انهم من اصحابى واهل ناديهم (فاقول الا) اى تنبهوا (هلم) اى تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوى فيه الواحد والجمع بخلاف بنى تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمى والاول افصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل اصله لم من قولهم لم الله شعثه اى جمعه كانه اراد لم نفسك الينا اى اقرب والهاء للتنبيه وحذف الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا فى الامر بالاقبال (فيقال) اى فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الجامعون (انهم قد بدلوا بعدك) اى دينهم كفرا بدليل قوله (فاقول فسحقا فسحقا فسحقا) اى ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير الزمهم الله سحقا اوسحقهم الله سحقا اى فابعدهم الله بعدا وطردهم الله طردا اوبدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم قال النووى اختلاف العلماء فى المراد بهم على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التى عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك اى لم يموتوا على ماظهر من اسلامهم وثانيها ان المراد بهم من كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام من اهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه فى حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد اصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد واصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان فى بعض النسخ فلا يذادن بزيادة الف بعد اللام فتصير لا نافية واكثر الرواة عن مالك فى الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثانى ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل النافية افصح فى المعنى اى فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا الفين احدكم على رقبته بعير اى لا تفعلوا ما يوجب ذلك كما فى بعض حواشى الشفا من ان قوله فلا يذادن لا معنى له لا معنى له (وروى انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى فى حديث طويل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفى نسخة صحيحة من رغب (عن سنتى) اى اعرض عنها اومامال اليها (فليس منى) اى بمتصل بى اوليس من اتباعى واشياعى (وقال) اى النبى

عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (من احدث فى امرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا وفى رواية من ادخل فى ديننا وهو كذلك فى نسخة وفى اخرى فى امرنا هذا على ما فى رواية صحيحة اى هذا الامر الواضح الكامل الذى لا يحتاج الى زيادة احداث (ماليس منه) اى شيأ لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر اوخفى ملفوظ اومستنبط وفى نسخة ماليس فيه (فهو) اى ذلك المحدث اوذلك الشئ المحدث (رد) اى مردود غير مقبول وهذا الحديث اصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن ابى رافع) كما اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن ابيه) اى ابى رافع مولى النبى عليه الصلاة والسلام (عن النبى) وفى نسخة ان النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته) نهى لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم فى ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية اوجملة استئنافية بيانية اى يجيئه (الامر من امرى) اى حكمى (مما امرت به اونهيت عنه) اى مما هو غير ظاهر فى الكتاب (فيقول لا ادرى) اى غير القرآن (ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه زاد) اى الراوى ابو داود والترمذى والحاكم (فى حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدى كرب روى عنه صلى الله عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) اى فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فالكتاب وحى جلى والسنة وحى خفى (وقال عليه السلام) كما رواه ابو داود فى مراسيله والدارمى والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن يحيى بن جعدة (وجىء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة اى وقد جىء بمكتوب من التوراة (فى كتف) اى من الشاة والجائى به عمر اوابنته حفصة اوعائشة رضى الله تعالى عنهم اوغيرهم ولا منع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون اى حماقة وجهالة (اوقال ضلالا) اى ضلالة وغواية والشك من الراوى والباء زائدة فى فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق اوالضلال قوما (ان رغبوا) اى يميلوا اويعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) اى ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيهم يعنى ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله فى رواية ولو كان موسى عليه السلام حيا لما وسعه الا اتباعى (اوكتاب) اى اوالى كتاب (غير كتابهم) اى النازل اليهم ولو كان من كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا اوضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) اى دائما ما بقيت الدنيا (وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اى المتعمقون فى كلامهم الغالون فى اقوالهم وافعالهم المتكلمون باقصى حلوقهم المبالغون فى خوضهم (وقال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو داود وغيره (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) اى فى حال (الا عملت به) اى اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته المجيدة (انى اخشى) اى اخاف خوفا عظيما (ان تركت شيأ من امره) اى الذى كان عليه فى دينه (ان ازيغ) اى اميل عن الحق والهدى واقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

* (الباب الثانى) *

(فى لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) اى فى ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من امته فى لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم) اى اصولكم وفروعكم (واخوانكم) اى امثالكم واقرانكم (وازواجكم) اى اشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفى قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع اى جميع اقاربكم اوكل من تعاشرونه وتصاحبونه ماخوذ من العشرة (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها من النقود والاجناس (الاية) وهى (وتجارة تخشون كسادها) اى تخافون قلة رواجها اونقصان نفاقها اونفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها (احب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) اى من حب الله ورسوله ومجاهدة فى طاعته وعبادته (فتربصوا) امر تهديد اى فانتظروا (حتى يأتى الله بامره) اى بمحنة عاجلة اونقمة آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) اى التهديد والوعيد الشديد (حضا) اى تحريضا وحثا (وتنبيها) اى تنبيها (ودلالة) اى واضحة (وحجة) اى لائحة (على الزام محبته) اى اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفى نسخة على التزام محبته اى قبولها (ووجوب فرضها) اى ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة اوبضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى القدر اى عظمة شأنها اورفعة قدرها (واستحقاقه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لها) اى للمحبة

الكاملة (عليه الصلاة والسلام) اى الكامل التمام (اذ قرع) بفتح قاف وتشديد راء اى لانه وبخ (الله تعالى) اى ارتفع شأنه وسطع برهانه (من كان ماله) اى من تجارة ومساكن وغيرها (واهله) اى ماله من الاقارب عموما (وولده) اى واولاده خصوصا (احب اليه) اى الى نفسه (من الله ورسوله) اى من رضاهما واتباع امرهما (واوعدهم) اى خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) اى بالذى اراد بكم من سوء فى الدنيا او العقبى او فيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين اى نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) اى بما تتم الآية به فى الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لا يهدى القوم الفاسقين (واعلمهم) اى بطريق الكناية (انهم ممن ضل) اى بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) اى الى برهانه وتحقيق ايمانه (حدثنا ابو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) اى الجيانى (فيما اجازنيه) اى من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) اى هذا المروى (مما قرأته على غير واحد) اى على كثير من المحدثين غيره ولعله خصصه بالرواية عنه لعلو سنده او صحة نسبه (قال) اى الغسانى (ثنا) اى حدثنا (سراج بن عبد الله القاضى ثنا) اى قال حدثنا (ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (ثنا) اى حدثنا (المروزى) بفتح الميم والواو (ثنا) اى حدثنا (ابو عبد الله محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسماعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) اى الدورقى البغدادى روى عنه اصحاب الكتب الستة وله مسند توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) اى حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام ابو بشر اسمعيل بن ابراهيم ابن القاسم المشهور بابن علية وهى امه روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة اخرج له الستة (عن عبد العزيز بن صهيب) بالتصغير هو البنانى الاعمى التابعى اخرج له الجماعة وقال احمد ثقة (عن انس رضى الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم والنسائى (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفى رواية مسلم عبد وفى رواية غيرهما احد اى لا يكمل ايمان احد بدلالة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لا يعتد بايمانه (حتى اكون احب) اى اشد حبا (اليه من ولده ووالده) اى خصوصا (والناس اجمعين) اى وسائر الخلق عموما حبا اختياريا يوجب اكرامه له عليه الصلاة والسلام واجلالا فى مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعى التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع اشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده اشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الا ترى ان المريض يكره الدواء بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم او ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام اشفق الناس عليه والطفهم اليه فحينئذ يرجح جانب امره بمقتضى عقله على امر غيره وهذا اول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله فى حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ متقدم الخبر والمعنى انه روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن انس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين (ثلاث) اى خصال ثلاث (من كن فيه) اى من وجدن واجتمعن فى حقه (وجد) اى ادرك بنفسه (حلاوة الايمان) اى فى قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلى روحانى والثانى حسى نفسانى والجملة خبر او صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثانى او خبر مبتدأ محذوف وهو هى اوهن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (احب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما العموم ما والمعنى من كل شئ مما عداهما وفى تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر فى المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه فى تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما يجوز لغيره وقيل انما انكره عليه لوقوفه على يعصهما ورد بقوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر هو الابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) اى الشخص اعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكى حيث توهم ان المرء مختص بالرجل واتى بما لا يناسب المقام فى تحصيل المرام (لا يحبه) اى لشئ (الا لله تعالى) اى لا لامر آخر اى فى مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله ايضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه (وان يكره ان يعود فى الكفر) اثبات ايمانه وكمال

ايقانه

ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول اى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لا مانح سواه ولا مانع ماعداه وان النبى عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساعى بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) اى والله لانت (احب الى من كل شئ الا من نفسى) اى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة اى التى فى بدنى وبها قوام امرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا اجرى منه بناء على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلاة والسلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه) اى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى ليس عليكم فى الدين من حرج فلما تفطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر) اى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطأ لهذا الامر الذى وجب ان يكون من اول الوهلة مقررا (قال سهل) اى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) اى امره وحكمه (عليه) اى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع احواله اى من افعاله واقواله (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم اى فى تصرف نفسه وتدبير امره واما ما فى بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد برى مجزوما لكان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) اى طراوة سيرته (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث) اى الى آخره فهو مجرور او منصوب بتقدير اعنى ونحوه او مرفوع اى تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس اجمعين

(فصــــل)

(فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مما يرجوه محبه فى الدنيا ويامله فى دار العقبى (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقية (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن على ابن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسى (ثنا) اى حدثنا (ابو زيد المروزى) تقدم (ثنا) اى حدثنا (محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا) اى حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) اى حدثنا (ابى) اى ابوه عثمان بن جبلة بن ابى داود العتكى المروزى اخرج له الشيخان (ثنا) اى حدثنا (شعبة) وهو امام جليل (عن عمرو بن مرة) احد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن ابى اوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن ابى حاتم ثقة يرى الارجاء اخرج له الستة (عن سالم بن ابى الجعد) تابعى جليل (عن انس رضى الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التى اخرجها القاضى عن البخارى هى فى الادب من جملة الصحيح واخرجه من طريق اخرى فى الاحكام ايضا واخرجه مسلم فى الادب وليس لسالم بن ابى الجعد فى الكتب الستة عن انس رضى الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ابو موسى او ابو ذر وقيل غيرهم والله تعالى اعلم (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) اى القيامة او ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كانه اظهر الشوق اليها والذوق لديها (قال ما اعددت لها) اى ما اعددت لما يصيبك من اهوالها واشد احوالها (قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكنى احب الله ورسوله) اى اطيعهما فيما يوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة ولم اصل سوى فرض ولم اصم * اى سوى فرض (قال انت مع من احببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية فى الجملة دلالة صحيحة وافية واما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة واصحابها على هذا الادعاء مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكانت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضى الله عنه) بضم القاف قال الذهبى روى عنه ابنه عبد الرحمن ولهما صحبة وقيل هو تابعى ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهو بالمدينة السكينة (فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولنى يده) فبايعته (فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب) اجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذى والنسائى عن

صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) اى فى هذا الحديث (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس) رضى الله تعالى عنهم (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعناه) اى بدون هذا اللفظ ومبناه وفى
الجامع الصغير المرء مع من احب رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذى والنسائى عن انس رضى الله تعالى عنه
وفى الصحيحين عن ابن مسعود وفى رواية الترمذى المرء مع من احب وله ما اكتسب وفى هذه الزيادة اشارة الى ان قرب
المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومى اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص فى الصلاح مع محبة كمل
الصالحين يحشر معهم كما قيل

احب الصالحين ولست منهم * لعلى ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعته المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعه

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان احدهما عن يمينه
والآخر عن شماله (فقال من احبنى) اى لله تعالى (واحب هذين واباهما وامهما) اى لاجلى اولذواتهم المشتملة
على حسن صفاتهم (كان معى) اى مقربا عندى (فى درجتى) اى فى جوارى فى الجنة اوفى درجة اهل بيتى لما سبق من
ان المرء مع من احب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) اى رواه الطبرانى وابن مردويه عن
عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الاتية نزلت فى ثوبان مولى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (اتى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر) اى عنك رؤية (حتى اجئ)
اى احضر لديك (فانظر اليك) اى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) اى انه لابد من وقوعهما
معا او متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) اى المرسلين (وان دخلتها) اى بالفرض والتقدير
(لا اراك) اى لان احدا لا يكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم
فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) اى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول)
اى يحبهما ويتبع امرهما (فأولئك) اى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين انعم الله عليهم) اى بنعمة
المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) اعم من المرسلين (والصديقين) اى المبالغين فى الصدق والتصديق
والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) اى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين)
اى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن اولئك رفيقا) اى ما احسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم
وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) اى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه (وفى
حديث آخر) لا يعرف مخرجه (كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) اى الى وجهه صلى الله
عليه وسلم (لا يطرق) بكسر الراء وفى نسخة ما يطرف اى لا يغض بصره لديه (فقال ما بالك) اى شأنك وحالك
(قال) وفى نسخة فقال (بابى انت وامى) اى افديك بهما (اتمتع من النظر) ويروى بالنظر (اليك) اى فى الدنيا (فاذا
كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) فى اعلى الدرجة (بتفضيله) اى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من
سواك فحينئذ بالضرورة لا اراك (فانزل الله الآية) اى الماضية تسلية لما سيأتى من الاحوال الاتية (وفى حديث
انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من احبنى كان معى
فى الجنة) اى وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

(فصل)

(فيما روى عن السلف) اى الصحابة والتابعين (والائمة) اى من الخلف فى امر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) اى اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفى نسخة قال
حدثنا (القاضى الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (ثنا الرازى ثنا)
اى حدثنا (الجلودى) بضم الجيم (ثنا) اى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه
(ثنا) اى حدثنا (مسلم) اى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف
فى اسمه (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القارى بتشديد الياء المدنى نزيل الاسكندرية (عن سهيل)
بالتصغير وفى نسخة سهل (عن ابيه) ابوه هو ابو صالح السمان واسمه ذكوان (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

ان

ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتى) وفى نسخة من اشد الناس (لى حبا ناس) اى جماعة
وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدى) اى يولدون بعد حياتى ويوجدون بعد وفاتى
(يود احدهم) اى يتمنى (لو رآنى) اى ان يبصرنى (باهله وماله) اى بدلهما (وتقدم مثله عن ابى ذر) وفى نسخة وقد
تقدم حديث عمر رضى الله تعالى عنه اى فى هذا المعنى (وقوله) اى فى آخر المبنى (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لانت احب الى من نفسى) اى روحى (وما تقدم من الصحابة فى مثله) اى فى مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص
رضى الله عنه) وفى نسخة العاصى بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان
احد) اى من الخلق (احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف
عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن ابيها ذكرها ابن حبان فى ثقاته فالسهو اما من الكتاب او من صاحب
الكتاب والله اعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوى الى فراش) اى مرقده (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الى رؤيته (والى اصحابه من المهاجرين والانصار) اى الذين سبقوه
(يسميهم) اى يذكرهم باسمائهم واحدا بعد واحد (ويقول هم) اى جميعهم ويروى منهم (اصلى) اى فى اصول
الدين (وفصلى) اى وفرعى فى فرع المجتهدين او معناهما حسبى ونسبى وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان
كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائى واولادى واما ما نقله الحلبى عن الجوهرى ان الكسائى قال قولهم لا اصل له ولا فصل
الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على اهل البيان (واليهم يحن قلبى) بكسر الحاء اى يميل
(طال شوقى اليهم فعجل ربى قبضى) اى قبض روحى (اليك) اى الى رحمتك (حتى) اى يكرر الجملة الاخيرة او الجمل
كلها حتى (يغلبه النوم) نحو الاقران موجب الاحزان (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة وروى عن
ابى بكر كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والذى بعثك بالحق) اى ارسلك الى الخلق (لاسلام ابى طالب كان اقر لعينى) اى اشد سرورا عندى (من اسلامه
يعنى اباه) عثمان بن عامر رضى الله تعالى عنه (ابا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة ابى بكر رضى
الله تعالى عنه السدس فرده فى اولاده وتوفى سنة اربع عشرة (وذلك) اى قال وسبب ذلك (ان اسلام ابى طالب
كان اقر لعينك) يعنى والله غالب على امره ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن
الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين او حين اسلم ابوه عام الفتح وهنأه النبى عليه الصلاة والسلام (ونحوه
عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى نظير حديث ابى بكر ما رواه البيهقى والبزار عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما
(انه قال) اى قال نحو حديث الصديق (للعباس) اى تسلية وترغيبا له فى الاسلام ان قاله قبل اسلامه او تهنئة له
وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية اى اسلامك (احب الى) اى بالحب الشرعى (من
اسلام الخطاب) اى لو وجد فرضا (لان ذلك) اى اسلامك (احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بحسب
ميله الطبيعى ورجح الدلجى كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) اى امام
المغازى وكذا عن البيهقى عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) اى من بنى دينار
كما فى رواية ابن اسحق (قتل ابوها واخوها وزوجها) اى فى سبيل الله تعالى (يوم احد) اى زمن وقعته (مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة
من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول اى ما جرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) اى فعل خيرا وفى نسخة بخير
اى هو بخير فى بدنه وسالم من عدوه (هو) وفى نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) اى من الصحة والعافية (قالت) اى
لبعض اصحابه (ارنيه حتى انظر اليه) اى ليطمئن قلبى لديه وفى نسخة صحيحة ارونيه بصيغة الجمع (فاروه) (فلما رأته قالت
كل مصيبة) اى من قتل اب واخ وزوج وغيرهم (بعدك) اى بعد سلامتك او غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام
الاولى اى هين وجاء فى رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة اى هينة حقيرة لا شائقة كبيرة (وسئل على بن ابى طالب كرم
الله وجهه) لا يدرى مخرجه (كيف كان حبكم) اى معشر الصحابة او جماعة اهل البيت (لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال) اى على رضى الله عنه (كان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (والله) قسم معترض (احب الينا
من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش
وفى اعادة الجار اشعار بانه اشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه احب اليهم من ارواحهم (وعن زيد بن اسلم رحمه الله)
اى الفقيه العمرى تابعى جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة والحديث

رواه عنه ابن المبارك فى الزهد (خرج عمر رضى الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) اى يحفظهم بمراعاته و يتخبر عن
احوالهم على عادته فى ايام خلافته (فرأى مصباحا) اى سراجا (فى بيت) اى فقصده (واذا عجوز تنفش) اى تندف
(صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشئ باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) اى
وهى تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع براوبار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار
امره وفى الآخرة بتضعيف اجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت)
اى انت (قواما) اى كثير القيام للعبادة وفى رواية صوّاما وجعله الدلجى اصلا اى كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم
الموحدة مقصورا منونا لغة فى الممدود اى ذو بكاء اواريد به المبالغة كرجل عدل يعنى لكثرة بكائه كانه عين البكاء
وهذا المعنى انسب لمقابلة ماقبله وقد اغرب الدلجى بقوله قصر لضرورة الوزن واصله بفتحها ممدودا مشدّد الكاف
مبالغة فى كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته فى المبنى وقيل البكاء برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور واما
ماوقع فى بعض النسخ المقروءة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا
ما فى نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذى ذهب اليه الدلجى وقال الانطاكى وفى بعضها بكاء بالتخفيف
فان المشدّد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ماقدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين
بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يابنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالاسحار وانت نائم اى غافل عن البكاء
والاستغفار (ياليت شعرى) اى اتمنى علمى وشعورى بيقينى وحضورى (والمنايا اطوار) اى تارات جملة حالية بين
المعمولين اعتراضية افادت بها ان مايحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها فى اطوار الموت واسرار
الفوت فان المنايا جمع منية وهى الموت من منى الله عليك اى قدر ومن ثمة سمى منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد
ان منشدا انشد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شعر

لا تأمنن وان امسيت فى حرم * حتى تلاقى ماينى لك المانى
فالخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقى ماقدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى
وهى تريد والله اعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام واخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمى حاضر اعلم به (هل تجمعنى) بفتح
الميم وضم العين وتخفيف النون وفى نسخة بفتح العين وتشديد مابعدها (وحبيبى) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكى
ضرورة (الدار) يعنى ام يحولان بينى وبينه المزار (تعنى) اى المرأة بقولها حبيبى (النبى صلى الله عليه وسلم) وبقولها الدار
الجنة دار القرار (فجلس عمر رضى الله تعالى عنه يبكى) اى للاشتياق اوللفراق اوالافتراق (وفى الحكاية طول)
اى ليس هذا مقام ايرادها (وروى) اى فى عمل اليوم والليلة لابن السنى (ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما
خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة اى فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور
اصابها كانها رجل ناعس ولم يذهب مابها (فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاى اى يزول عنك
هذا الانقباض بسبب مايترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) اى فنادى باعلى صوته (يامحمداه) بسكون
الهاء للندبة وكأنه رضى الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة فى ضمن الاستغاثة (فانتشرت) اى رجله فى الفور
(ولما احتضر بلال رضى الله عنه) بصيغة المفعول اى حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهى صحابية على
ماذكره الذهبى فى آخر النساء من التجريد مالفظه زوجة بلال اتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال
اثم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاى ويجوز فتحهما وتصحف على الدلجى وضبط بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل
النون قال وهو فى الاصل النهب والسلب فكانها الفجعها وحزنها بموته قد نهبت وسلبت (فقال) اى بلال (واطرباه)
اى فرحاه وهو يؤيد ماقدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجى مبنى وفى نسخة بل واطرباه بصريح الاضراب
للابطال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا لذلك المقال (القى غدا) ويروى نلقى (الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه)
وفى نسخة صحيحة وحزبه وقد روى عن عمار ايضا انه قال بصفين الآن القى الاحبه محمدا ثم حزبه (ويروى ان امرأة)
وفى نسخة ويروى عن امرأة وفى حاشية الحلبى ان امرأة هنا لم قال ولا اعرفها (قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها
اكشفى لى) اى بينى لى وارينى (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) اى بكشف الستارة عنه لاجلها
(فبكت حتى ماتت) اى حزنا على فراقه اوشوقا الى لقائه (ولما اخرج اهل مكة) اى كفارهم كما رواه البيهقى عن
عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فمثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضى خزرجى
بدرى احدى (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) اى صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة

(قال له) اى لزيد (ابو سفيان بن حرب) اى ابن امية وهو ابو معاوية اسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام
(انشدك الله تعالى) بضم الشين اى اسألك الله واذكرك به او اقسم عليك به وفى نسخة صحيحة انشدك بالله (يازيد
اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك) اى يكون فى مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين
وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وانك) وفى نسخة وانت (فى اهلك) اى والحال انك تكون فيما بين اهلك وطول
املك (فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه) اى مع كمال امنه وعزته (تصيبه شوكة) اى فضلا عن
ان يصيبه محنة فوقها (وانى) وفى نسخة وانا (جالس فى اهلى) ولعله ذكره لمقابلة كلام ابى سفيان لا لانه حال مقيدة فى
هذا الشأن بل الانسب للمبالغة ان يقول وانا فى هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين اهلى ومالى من المنال والمعنى ان
مااصابنى فى طريقه من المحنة لم ينقص لى شيأ فى حقه من المحبة (فقال ابو سفيان مارأيت من الناس احدا) اى من
الاتباع (يحب احدا) اى من المتبوعين (كحب اصحاب محمد محمدا) اى احتراما مؤكدا واحتشاما
مؤبدا قال الحلبى ماذكره القاضى قاله ابن اسحق ونقل ابو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر
عن ابن عقبة ان الذى قيل له اتحب ان محمدا مكانك هو خبيب بن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا
منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال
كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مهاجرة اليه فى المدينة السكينة (حلفها بالله ماخرجت)
اى هى من ارضها اليه (من بغض زوج) اى من اجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل
الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور اى ولا من اجل الميل (بارض) اى فى بلدة (عن ارض)
اى انصرافا عن بلدة لقلة رغبة فيها (وما خرجت) اى عن ارضها (الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) اى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) اى عند البيت
(فاستغفر) اى ابن عمر رضى الله عنهما (له) اى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت)
وفى نسخة ماعلمت اى مدة علمى بك (صواما قواما) اى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله)

(فصل)

(فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفى اصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله اى يذكر
فيه مايؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من احب شيأ آثره) بالمد اى اختاره على نفسه (وآثر موافقته)
على مخالفته (والا) اى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) اى فى مودته (وكان مدعيا) اى فى محبته
وكان كما قيل

وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) اى دلالة الحب لديه (واولها) اى اول
علاماته واسبق دلالاته (الاقتداء به) اى فى ملته (واستعمال سنته) اى فى طريقته (واتباع اقواله وافعاله) اى
فى جميع احواله (وامتثال اوامره) اى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) اى حرمة وكراهة (والتأدب بآدابه) اى
فى جميع ابوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (فى عسره ويسره) اى فى وقت ضره وشكره على صعوبة امره
وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه
ومكرهه) بفتح اولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة او اسما زمان اى فى حال سعته وضيقه او حال رضاه
وغضبه او وقت فرحه وحزنه او زمن انشراح صدره او انقباض امره (وشاهد هذا) اى دليل ماذكر كله (قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله) اى تريدون طاعته او تدعون محبته (فاتبعونى) اى فى طريقته (يحببكم الله) يثبكم عليه
ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم اى يتجاوز عما افرط من عيوبكم (وايثار ماشرعه) اى وشاهده
ايضا تقديم ما اظهره واختيار مابينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) اى وايثار
ماحث وحرض على فعله او تركه (على هوى نفسه) اى على ماتميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى)
اى فى مدح الانصار من جهة الايثار الذى هو فى الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوؤا الدار والايمان)
اى اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) اى من قبل نزول
المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل احد من قريش ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) كذا
فى النسخ المصححة وفق الآية ووقع فى اصل الدلجى فى انفسهم فقال صوابه فى صدورهم (حاجة) اى حرارة (مما اوتوا)
اى لم يخطر ببالهم ماتطمح به نفوسهم الى ما اعطى المهاجرون وغيرهم من فيء وغيره (ويؤثرون) اى يقدمون

المهاجرين وغيرهم (على انفسهم) فى محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) اى مجاعة وشدة حاجة حتى
ان من كان عنده داران او بستانان نزل احدهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه
التى كانت اكرمهما لديه وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم اموال بنى
النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث
ابن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم فى هذا الفيء معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم
كانت لكم دياركم واموالكم ولا تأخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالفيء علينا
ولا نشاركهم فيه اصلا (واسخاط العباد) اى وشاهده ايضا اسخاط العباد (فى رضى الله تعالى) اى فى تحصيل
رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضى عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم عليه
كما ورد به حديث هذا مبناه او معناه (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) وهو ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف فى النسخ
المصححة (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو يعلى البغدادى) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) اى حدثنا (ابو على
السنجى) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) اى حدثنا (محمد بن محبوب) ويروى احمد بن محبوب (ثنا) اى
حدثنا (ابو عيسى) اى الترمذى الامام (ثنا) اى حدثنا (مسلم بن حاتم) اى الانصارى امام جامع البصرة وثقه
الترمذى وغيره (ثنا) اى حدثنا (محمد بن عبد الله الانصارى) قاضى البصرة يروى عن حميد وابن عوف وطبقتهما
وعنه البخارى واحمد وابن معين وخلائق اخرج له الائمة الستة (عن ابيه) اى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن انس
ابن مالك الانصارى يروى عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال ابو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائى ليس
بالقوى وقال ابو داود لا اخرج حديثه لكن اخرج له البخارى والترمذى وابن ماجه (عن على بن زيد) اى
ابن جدعان التيمى البصرى الضرير تابعى احد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زادان لما مات الحسن قلنا
لابن جدعان اجلس مجلسه اخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال انس بن مالك رضى الله
تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقرآءتان
متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسى) اى تدخل فى الصباح والمساء او يمر عليك النهار والليل (ليس
فى قلبك غش) اى حقد وحسد (لاحد) اى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) اى كن ثابتا على هذا العمل فان
من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لى يا بنى وذلك) اى المقام (من سنتى) اى من طريقتى (ومن احيى سنتى) اى
بالعمل بها او بانتشارها فى تعلمها وتعليمها او يروى ومن احب سنتى (فقد احبنى) اى بالغ فى حبى (ومن احبنى) اى
بالمبالغة (كان معى فى الجنة) اى فى درجة ارباب المحبة واصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات
التى هى علامات المحبة او المراد بهذه الصفة احياء السنة وامثالها من انواع الموافقة والمتابعة الصادقة (فهو كامل
المحبة لله تعالى) اى اصالة (ولرسوله) اى تبعا (ومن خالفها) اى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) اى المذكورة
(فهو ناقص المحبة ولا يخرج) اى ولكن لا يخرج مع هذا (عن اسمها) اى عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه
فى الجملة (ودليله) اى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن اصل المحبة (قوله عليه الصلاة والسلام) اى كما فى حديث
البخارى عن عمر رضى الله عنه (للذى حده فى الخمر) اى لاجله وفى حقه وهو عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع فى صحيح
البخارى وهو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضهم) وفى صحيح البخارى
فقال بعض القوم اخزاه الله تعالى قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رواه البيهقى وفى
رواية له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) اى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه (ما اكثر ما يؤتى به فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا
وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار
شهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد واتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فجلده اربعا او خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب وا كثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح انتهى وقال الواقدى بقى نعيمان حتى توفى ايام معاوية وكان
كثير المزاح يضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل
المدينة طرفة او تحفة الا اشترى وجاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول اهديته لك فاذا جاء صاحبه
طالبه بثمنه جاء به الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول النبى عليه الصلاة

والسلام

والسلام اولم تهده فيقول يا رسول الله لم يكن والله عندى ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفى هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة
لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة او هى مخرجة له من الايمان
ولا تدخله فى الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين ويقولون بتخليده فى النار (ومن علامات محبة النبى)
اى محبته للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) اى فى الحالات والاوقات (فمن احب شيأ اكثر من ذكره) اى
وصرف اليه غالب فكره وقوله من احب شيأ اكثر من ذكره حديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة
رضى الله تعالى عنها (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) اى الى مشاهدة
طلعة ذاته فى دار بقائه (فكل حبيب) اى محب (يحب لقاء حبيبه) اى محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفى حديث
الاشعريين) اى ابى موسى واصحابه (عند قدومهم المدينة) اى من اليمن او الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) اى
يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبه) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا
وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذى يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بتحتين
ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمى لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو
انصاف من ابيات واثلاث (وتقدم قول بلال) اى انشاده هذا الرجز عند موته شوقا الى لقائه (ومثله قال عمار قبل
قتله) وفى نسخة وكما قال عمار اى ابن ياسر ابو اليقظان العبسى من السابقين المعذبين فى الله البدريين وكان معذبا
بالنار فى ايدى المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار
كما كنت على ابراهيم روى عنه على وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع على عن ثلاث وتسعين وقد قال صلى الله
تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله ابو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشأم ونزل واسط وعداده فى الشاميين
ادرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
وكان محبا لعثمان رضى الله عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب اخرج له احمد فى المسند
(وما ذكرناه) اى وتقدم ايضا ما ذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفى نسخة فى قصة خالد بن معدان (ومن علاماته)
اى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) اى لذاته او لامره (وتوقيره) اى له كما فى نسخة
(عند ذكره) اى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفى نسخة واظهاره الخضوع وفى نسخة الخشوع بدل
الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) اى بوصف الافتقار وفى نسخة الانكماش
اى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) اى حين سماع اسمه او وصفه (قال اسحق) وفى نسخة ابو اسحق
(التجيبى) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر
التجيبى قاتل عثمان رضى الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل على كرم الله وجهه (كان
اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) اى بعد وفاته (لا يذكرونه) اى فى حال من الاحوال (الا خشعوا)
اى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) اى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) اى لفراقه شوقا اليه (وكذلك)
اى ومثل اصحابه فى ذلك (كثير من التابعين منهم) وفى نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) اى يخشع ويقشعر ويبكى
(محبة له وشوقا اليه ومنهم) اى من التابعين او من الصحابة والاتباع اجمعين (من يفعله) اى ما ذكر من الخشوع
والاقشعرار والبكاء (تهيبا) اى مهابة (وتوقيرا) اى اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم
وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة
افضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين
والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى فى مدح المؤمنين الموقنين حيث قال
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان فى حصول كل واحد ووصوله (ومنها) اى ومن علامات محبة
الانسان للنبى عليه الصلاة والسلام (محبته لمن احب النبى) بالرفع اى احبه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز
ان ينصب كما فى نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى اعلم ولذا عطف
عليه بقوله (ومن) اى ولمن (هو بسببه) اى بسبب نسبه ونسبته وفى نسخة نسبه اى منسوبه (من آل بيته)
اى اهل بيته وفى اصل الحجازى بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم)
اى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم من الكفار (وبغض من ابغضهم) اى كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) اى

وبغض من شتمهم من كلاب اهل النار (فمن احب شيأ) اى احدا (احب من يحب) وفى نسخة من يحبه اى ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى وغيره (فى الحسن والحسين) اى فى حقهما وشأنهما (اللهم انى احبهما فاحبهما) اى زدلهما الهدى والتوفيق فى الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة فى العقبى (وقال) اى فى رواية (من احبهما فقد احبنى) اى فكانه احبنى (ومن احبنى) حقيقة (فقد احب الله تعالى ومن ابغضهما فقد ابغضنى) اى فكانه ابغضنى (ومن ابغضنى) حقيقة (فقد ابغض الله تعالى) اى ومن ابغض الله فقد كفر بالله (وفى رواية) اى اخرى (فى الحسن) اى قال فى حق الحسن وحده (اللهم انى احبه فاحب من يحبه وقال) اى فى رواية الترمذى (الله الله) بالنصب فيهما اى اتقوه واحذروه (فى اصحابى) ولا تذكروهم بسوء فانهم احبابى (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين اى هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفى نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدى) اى فى غيبتى ايام حياتى اوبعد مماتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب حبه اياى اوحبى اياهم (احبهم ومن ابغضهم فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) اى بما يسوؤهم (فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى) اى خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) اى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى الله تعالى كما فى نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اى كما رواه البخارى وغيره (فى فاطمة) اى فى شأنها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر اى جزء وقطعة (منى) اى من لحمى ودمى (يغضبنى ما اغضبها) وفى نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب على رضى الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله ابى جهل على فاطمة رضى الله تعالى عنها قال مسرور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى ان ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب فلا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن ابى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى فمن ابغضها ابغضنى فهذا من خصوصياتها (وقال) اى فى رواية (لعائشة رضى الله تعالى عنها فى اسامة بن زيد) اى فى حقه (احبيه فانى احبه) وقد ورد انه اراد عليه الصلاة والسلام ان ينحى مخاط اسامة فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعنى حتى انا الذى افعل قال يا عائشة احبيه فانى احبه (وقال) كما فى الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) اى علامة كمال ايمان من آمن اوعلامة نفس ايمانه حبهم ويؤيده ظاهر الحديث وحديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخلصين اوللاشعار بان حكم المهاجرين اولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلاة والسلام نبى مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق كما رواه الحاكم فى مستدركه عن انس رضى الله تعالى عنه (وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) اى كما تقدم (من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ظاهر مبناه اخبار ولا يبعد ان يكون معناه انشاء اى من احبهم فينبغى ان يكون بسبب حبى لهم احبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من احب لله وابغض لله فقد استكمل ايمانه وفى رواية حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب اى جنسهم والمراد مؤمنوهم اومتقوهم فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى رواه الطبرانى فى الاوسط عن انس رضى الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب ابى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة فيجب على كل احد ان يحب اهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من الخوارج فى بغض اهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب اهل البيت ولا يكون من جملة الاروام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من احب شيأ احب كل شئ يحبه) اى يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) اى الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) اى سمة الصحابة والتابعين فى حبهم ما احبه عليه الصلاة والسلام فى جميع الحالات (حتى فى المباحات وشهوات النفس) اى فيحبون ما اشتهاه ويشكمون بمقتضاه ويكفون انفسهم عما سواه مبالغة فى طاعة مولاه (وقد قال انس رضى الله تعالى عنه حين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع

الدباء) بالمد ويقصر اى يطلبه (من حوالى القصعة) بفتح اللام والقاف اى من اطرافها لكمال محبته له (فمازلت) اى مادمت وعشت (احب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها اى من حين رأيته يتتبعه ويأكل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن انس رضى الله تعالى عنه انه ما صنع لى طعام ويوجد الدباء الا وقد جعل فيه وقد روى فى مجلس ابى يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل انا ما احب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والا قتلتك نظرا الى ظاهر معارضته له عليه السلام (فهذا الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضى الله عنهم) اى ابن ابى طالب (اتوا سلمى) اى خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له اومولاة عمته صفية زوجة ابى رافع قابلة ابنه ابراهيم وداية ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبى فى الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما اخرجه الترمذى فى الشمائل بسنده عنها انهم اتوها (وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يشتهيه ويستحسن اكله فقالت يا بنى لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت واخذت شيأ من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه شيأ من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويستحسن اكله (وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) على ما فى الصحيحين واما ما وقع فى اصل الدلجى من ابن عباس بدل ابن عمر فليس فى محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتية) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها اى ازيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر (ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمها اشهر (بالصفرة) اى بالحناء (اذ رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) اى مثل ما ذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة فى هيئة الموافقة من الكمية والكيفية (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من ابغض الله ورسوله) بالنصب فى النسخ المصححة اى من ابغضهما ووقع فى اصل الدلجى بالرفع فقال اى من ابغضاه والاول ايضا قد نص عليه الحلبى وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كابى لهب وابى جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من ابغض رسوله فقد ابغضه والا فلا يوجد فى العالم من ابغض الله تعالى فكل يدعى محبته الا ان اكثرهم اخطأوا طريق ما يقتضى مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام فى قوله (ومعاداة من عاداه) اى من اتخذه عليه الصلاة والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) اى طريقته اى عمل بغيرها (وابتدع فى دينه) اى اظهر البدع فى سبيله (واستثقاله) اى عد المؤمن المحب ثقيلا (كل امر) اى من قول اوفعل اوحال ويروى واستثقال كل امر (يخالف شريعته قال الله تعالى) اى اعلاما بما ذكر من كمال محبته (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اى يكملون فى الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) اى يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغى ان يكون هذا الامر بل حقه اى يمتنع مبالغة فى النهى عنه بمجانبة اعدائهما (ولو كانوا آباءهم) اى اصولهم (اوابناءهم) اى فروعهم (اواخوانهم) اى اقرانهم (اوعشيرتهم) اى اقاربهم واهل صحبتهم وهو تعميم بعد تخصيص (وهؤلاء) اى المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (اصحابه) اى عدلا وصدقا (قد قتلوا احباءهم) اى احبابهم واصحابهم (وقاتلوا آباءهم وابناءهم فى مرضاته) اى فى سبيل رضى الله ورسوله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد ابا عبيدة قتل اباه يوم احد اوابناءهم يريد ابا بكر رضى الله تعالى عنه لانه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد اواخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل اخاه يوم احد اوعشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا فى مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطى وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجى (وقال له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن ابى) وكان ابوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من اكابر اهل الوفاق (لوشئت) لو اردت وامرت بقتله (لاتيتك برأسه يعنى) اى يريد بضميره (اباه) اى عبد الله والحديث رواه البخارى وقال ذلك لما هموا بابيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به وانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه منى وانى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقى معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة روى عنه ابو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) اي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرآن الذي اتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) اي بسببه الانام (واهتدى) اي في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) اي اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) اي في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) اي كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بادابه وما اشتمل عليه من مكارم اخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وامثاله (وحبه للقرآن) اي علامة حبه له (تلاوته) اي دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تأخيره عن قوله (وتفهمه) اي طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان احوال انبيائه واوليائه وعاقبة اعدائه (ويحب) اي وان يحب (سنته) اي احاديثه (ويقف عند حدودها) اي اوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التستري (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلاة والسلام حب السنة) اي حب احاديثه واخباره واحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) اي بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذ اقل العلم معرفة ان الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته ان يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها) اي لا يأخذ ولا يمسك منها (الا زادا) اي قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون اي مقدار ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفي اصل الحجازي زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يسأل احد عن نفسه) اي عن طيب حالها وخبث مآلها (الا القرآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرآن) اي تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) اي ومن يحبهما فهما يحبانه ايضا والمعنى انه لا ينبغي لاحد ان يرضى بما في نفسه من الدعوى فانه كما قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (ومن علامات حبه) اي اصل حب المؤمن المحب (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) اي خوفه ومرحمته (على امته ونصحه لهم) اي قيامه بنصيحتهم في امرهم ونهيهم وموعظتهم (وسعيه في مصالحهم) اي الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) اي بعد وقوعها ووصولها وفي نسخة ودفع المضار عنهم اي عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والمعنى ان التخلق يكون بقدر التعلق في باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) اي وكمال متابعته (زهد مدعيها) اي قلة رغبة مدعي محبته عليه الصلاة والسلام (في الدنيا) اي التي هي دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) اي اختياره (الفقر) اي قلة المال على كثرته (واتصافه به) اي بالفقر حال ضرورته ويكون غنى القلب في صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهري عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبني منكم) اي حبا بالغا (اسرع من السيل) اي الواقع عند نزوله (من اعلى الوادي او الجبل) شك من الراوي (الى اسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى اكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدي الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدي الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه الملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا ابى وفي حديث آخر ان ربه عرض عليه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يا رب ولكني اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار ان يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال ارباب الكمال (وفي حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزني من اصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصري وغيره وتوفي بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله ما نزل البصرة اشرف منه (قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول) اي تأمل في قولك وتفكر في امرك فانك ادعيت دعوى فلا بد من تحقيق ما لها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال اني والله) وفي نسخة والله اني (لاحبك ثلاث مرات) اي ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال

ان كنت تحبني) اي حبا كاملا او ان كنت صادقا في دعوى محبتي اللازم منها كمال متابعتي (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها اي فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم اي اتخذ له عدة ووقاية تقتضي رعاية وتستوجب عناية وتستجلب هداية واصل التجفاف لبسة للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان وروى جلبابا وهو الازار قال القتيبي معناه ان يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف او الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابي اي لفقر الآخرة يعني يعمل عملا لا يكون في الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن علي كرم الله وجهه من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او قال تجفافا (ثم ذكر) اي النبي عليه الصلاة والسلام قاله الدلجي والصواب اي ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث ابي سعيد بمعناه) اي الذي تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبني الى آخره غير ان في حديث عبد الله بن مغفل للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه

(فصل)

(في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) اي وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) اي مقالاتهم (بالحقيقة) اي في الحقيقة كما في نسخة (الى اختلاف مقال) اي لاتفاق ما فيها في مآل (ولكنها اختلاف احوال) كما قال قائل

شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) اي الثوري او ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) اي علامة محبة العبد لله تعالى او نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كانه) اي الشان او سفيان (التفت) اي في كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية) اي يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) اي اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) اي ودفعه عن اماتة سيرته (والانقياد لها) اي لشريعته وفي نسخة له اي لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) اي خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام ايضا ايماء الى علامة المحبة او نتيجة المودة (وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب اي لما ورد من ان من احب شيئا اكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره في تمام امره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا اقرب في بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) اي موافقته (لمراد الرب يحب ما يحب) اي يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفي نسخة صحيحة ما احب وفي اخرى بحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطأة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفي نسخة ما كره بصيغة الماضي وفي الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) اي اقبال المحب من الامور الحسية النفسية الدنية او الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) اي نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) اي من حيث هي (هو الميل) اي ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) اي بموجب الطبع او بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) اي ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) اي لتلذذ الانسان (بادراكه) اي بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية او على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) وروى الصورة (الجميلة) اي من المبصرات اعم من ان تكون من الحيوانات او النباتات او الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) اي من المسموعات من الواردة على لسان الانسان او الطير او سائر الحيوانات (والاطعمة) اي من المأكولات (والاشربة) اي من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) اي كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) اي لا قلب سقيم (مائل اليها) اي ومقبل عليها (لموافقتها له) اي بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة) اي مبنية على مباني لطيفة (كحب الصالحين) اي من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (واهل المعروف) اي من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) اي الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) اي والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) اي الكامل في هذا الشان (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة

وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب اى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يخرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) اى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) اى الشغف (بقوم) اى من اتباع عالم او شيخ او كريم (التعصب لقوم) اى كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) اى كمال التتبع ومنه حديث القدر بشيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من امة) اى طائفة (فى اخرى) اى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (ماىؤدى) اى ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد اى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح اى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس) بالخاء المعجمة اى استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (اويكون حبه اياه) اى ميل الانسان الى موافقة هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (وانعامه عليه فقد جبلت النفوس) اى خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من احسن اليها) وفى نسخة من احسن اليه وفى اخرى له فقد ورد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها رواه ابن عدى وابو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد فى الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى (فاذا تقرر لك هذا) اى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) اى رأيت (هذه الاسباب) اى اسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) اى جميعها موجودة ثابتة (فى حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) اى على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) اى من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) اى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (ما لا يحتاج الى زيادة) اى وكثرة اطناب (واما احسانه) اى الدنيوى الصورى (وانعامه) اى الدينى والاخروى (على امته) اى اتباع ملته (فكذلك قد مر) ويروى مضى (منه) اى بعضه (فى اوصاف الله تعالى) اى فيما اعطاه الله تعالى (له) واثنى عليه من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) اى وخوفه عليهم (واستنقاذهم) اى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) اى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب انعامهم (ورحمة للعالمين) اى بجميع اعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية او التقدير كان مبشرا للمؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) اى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) اى الى محل قربه (باذنه) اى بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) اى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) اى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) اى احكامه الخفية (والحكمة) اى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق قويم ودين قديم (فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا) اى امرا (من احسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) اى خصوصا (واى افضال) اى اكرام واقبال (اعم منفعة واكثر فائدة) اى اتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) اى جميع المنقادين ولو من اهل الذمة والمنافقين (اذ كان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) اى وسيلة اهل الاسلام (الى الهداية) اى هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين اى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) اى الفوز والنجاح (والكرامة) اى بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) اى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) اى لديه (والمتكلم عنهم) اى فى الزام الحجة بما يلقى عليه (والشاهد لهم) اى مزكيهم بالخير (والموجب) اى الطالب وفى نسخة المحب (لهم البقاء الدائم) اى الى الابد (والنعيم السرمد) اى المستمر الذى لا نهاية له ولا غاية (فقد استبان) اى ظهر (لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) اى مستحق (للمحبة الحقيقية) اى والمودة العرفية (شرعا) اى وطبعا (بما قدمناه) ويروى لما مر (من صحيح الآثار) اى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار (وعادة) اى رسوما وعادية (وجبلة) اى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) اى من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من انعامه علينا (آنفا) اى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) اى على جميع افراد الانسان (وعموم الاجمال) اى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) اى بطبعه (يحب من منحه) اى اعطاه عطية من لبن او غيره من هدية (فى دنياه مرة او مرتين) اى ولو على وصف القلة (معروفا) اى ما عرف حسنه شرعا وطبعا وفى الحديث اهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى العقبى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (او استنقذه)

اى استخلصه وفى نسخة انقذه اى انجاه واخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (او مضرة) اى مما فيه هلاك نفس او ضرر مال او تلف حال او نقصان جاه (مدة) اى من الزمان قليلة او كثيرة (التاذى بها) اى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) اى ايامه (منقطع) اى زائل دوامه (فمن منحه) اى اعطى الانسان (ما لا يبيد) اى ما لا ينفد ولا ينقص (من النعيم) اى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) اى حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (اولى بالحب) اى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى اصل الدلجى فهو اى فهذا المانح الكامل والباعث الكافل اولى ما يحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) اى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم اصل الجبلة (ملك) اى من الملوك ولو لم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) اى معاملته فى رعيته (او حاكم) اى امير او وزير يحب (لما يؤثر) اى يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف اى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (او قاض) بعجمة قال الدلجى او مهملة اى مشددة اى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) اى عن من يحبه بالطبع (لما يشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه اى يشاع ويذاع ويروى لما فشا اى ظهر وانتشر (من علمه) اى المقرون بعمله (او كرم شيمته) اى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) اى وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال اى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (احق بالحب واولى بالميل) اى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة) اى فى اول وهلة (هابه) اى توقيرا وتعظيما (ومن خالطه معرفة) تمييز اى علم بكريم خصاله وعميم فعاله (احبه) اى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله وسلم عليه وعلى آله

(فصل)

(فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) اى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزاة كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله) اى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) اى طريق معاقبة ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افادة المعنى الاعم والايماء الى ان هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وبامثالهم (قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) اى معناه (اذا كانوا مخلصين) اى فى افعالهم واقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) اى منقادين فى جميع احوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (ابو الوليد بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه ابو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) اى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ المغرب ابو عمر بن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا احمد بن يونس) وهو ابو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال احمد بن حنبل لرجل اخرج الى احمد بن يونس فانه شيخ الاسلام اخرج له اصحاب الكتب الستة قال ابو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة احمد ابن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التميمى المروزى اخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن ابى صالح عن عطاء بن يزيد) اى الليثى اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن تميم الدارى) نسبة الى جده الدار ويقال له الديرى ايضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام اسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفى سنة اربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما فى آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطنى انه روى عن الشيخين وروى ايضا عن محرز كما فى الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما فى المسند (قال) اى الدارى (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) اى ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند ابى داود وقد اخرجه ابو داود فى الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار واخرجه مسلم فى الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان واخرجه النسائى فى البيعة ولفظه فى الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفى نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) اى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (لمن) اى النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما فى الاصول (ولرسوله ولائمة المسلمين) ويروى ولائمة المسلمين (وعامتهم) اى جميع افراد جماعتهم (قال ائمتنا) اى من المالكية

ذكره الدلجى والظاهر اى علمائنا ومشايخنا اذ لا خلاف فى هذه المسألة وهى قوله (النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة) اى فرض عين على كل احد وفى شرح مسلم للنووى عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيله وهذا لا ينافى قول الجمهور حيث ارادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام ابو سليمان البستى) بضم موحدة وسكون سين فقوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابى (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجى ويجوز الاضافة كما فى كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هى (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) اى عن تلك الجملة (بكلمة واحدة) اى غيرها بصيغة (تحصرها) اى تجمع معناها وتحصرها (ومعناها) اى النصيحة (فى اللغة) اى لسان العرب (الاخلاص) فمعنى النصيحة الحالة الخالصة مأخوذة (من قولهم) اى استعمال العرب فى محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام اى ميزته بنار لطيفة (من شمعه) بفتح الميم وبسكن اى مومه فى القاموس الشمع محركة وتسكن الميم مولد وهو الذى يستصبح به او موم العسل الواحدة بهاء (وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذى به الصلاح والملائمة) اى المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمزة ياء فيقال الملايمة وهى الموافقة بين الاشياء (مأخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) اى يلائم بين اجزائه ويصلح للمرء ان يلبسه على اعضائه (وقال ابو اسحق الزجاج نحوه) اى قريبا من معناه وفى الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا اى خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) اى نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالوحدانية) اى فى الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو اهله) اى من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) اى تبعيده (عما لا يجوز) اى اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا فى مكان وغيرها (والرغبة فى محابه) بتشديد الموحدة اى الميل فى كل ما يحبه الله ويرضاه (والبعد من) وفى نسخة عن (مساخطه) اى والتبعد عن جميع ما يكرهه وينهاه (والاخلاص فى عبادته) اى فيما امره الله من امور دنياه وعقباه وما ذكر هو فى الحقيقة راجع الى العبد فى نصحه لنفسه لانه تعالى غنى عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) اى اولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به او جاهلا (وتحسين تلاوته) اى وتزيين قراءته (والتخشع عنده) اى اظهار الخشوع واكثار الخضوع فى حضرته (والتعظيم له) اى لكتابه بادب يقتضى اجلاله وبوصف يوجب اكماله (والتفقه فيه) اى طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) اى الدفع عما لا يليق به وبنافيه (من تاويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو اى المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) اى من الزنادقة واصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) اى اولا (وبذل الطاعة له) اى الانقياد لحكمه (فيما امر به ونهى عنه قاله) اى جميع ما يتعلق بالنصيحة او ما خص بها لرسوله وهو اقرب والى ما بعده انسب (ابو سليمان) وهو الخطابى (وقال ابو بكر) اى الخفاف وقيل المراد به ابو بكر الآجرى (موازرته) اى النصيحة لرسوله هى معاونته ومعاضدته فى دينه وملته (ونصرته) اى اعانته على اعدائه واهل محاربته (وحمايته) اى المدافعة عنه وممانعة من اراد نوعا من اساءته (حيا وميتا) اى فى حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) اى بالعمل بها (والذب عنها) اى وبالدفع لمن يلحد فيها او يزيغ عنها (ونشرها) اى اظهارها للتمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) اى الاتصاف بمحاسن شمائله وهيامن فضائله الجزيلة (وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى) بضم الفوقية وفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) اى مجملا او مفصلا (والاعتصام بسنته) اى باحاديثه علما وعملا (ونشرها) اى للخلق كملا (والحض) اى الحث والتحريض (عليها) اى لمن يعمل بها جاجلا (والدعوة) اى دعوة الخلق (الى الله) اى دينه مجملا (والى كتابه) اولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) اى والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب) اى من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهى ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لطريقته واهل ملته (وقال ابو بكر الآجرى) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة (وغيره) اى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) اى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر) اى بالمعاونة (والمحاماة) اى بالمدافعة (عنه) اى عن ذاته

(ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) اى وبالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) اى عنده حماية لجماله ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) اى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره وعهده ومنهم من ينتظر اى وعده وما بدلوا تبديلا اى ما غيروا وتحويلا وهم الانصار (وقال) اى فى حقهم ايضا (وينصرون الله) اى دينه (ورسوله الآية) اى اولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) اى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) اى بكثرة الرغبة اليه وانقياد الطاعة لديه (والمثابرة) اى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع او الجر اى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) اى اقاربه وعترته (واصحابه) اى وجميع صحابته واهل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) اى مباعدة من مال عن طريقته واعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (وانحرف عنها) اى انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع اى عداوته (والتحذير منه) اى من صحبته (والشفقة) اى المرحمة (على امته والبحث عن تعرف اخلاقه) اى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وادابه والصبر على ذلك) اى ما ذكر من اقواله وافعاله واحواله (فعلى ما ذكره) اى الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) اى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام ابو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية (ان عمرو) بفتح اوله (ابن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو فى آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة فى رأى على ما فى القاموس (فى النوم) اى بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) اى ذنوبى (فقيل له بماذا) اى باى سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه اى طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها اى اعلاه (يوما) اى من الايام (فاشرفت على جنودى) اى اطلعت عليهم (فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى بعض غزواته او سراياه (فاعنته ونصرته) اى على عداه (فشكر الله لى ذلك) اى جازانى بنوبته وانى على وذكرنى عند ملائكته (وغفر لى) اى وسامحنى فيما وقع منى وصدر عنى لخلوص نيتى وصدق طويتى انتهى كلام القشيرى (واما النصح لائمة المسلمين) اى من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم فى الحق) اى ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق رواه احمد والحاكم عن عمران رضى الله عنه وروى الشيخان وغيرهما عن على كرم الله وجهه ولفظه لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذولى الخلافة فقال اطيعونى ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ومعونتهم) اى ومعاونتهم قولا وفعلا فى مؤونتهم (فيه) اى فى امر الحق وفعل العدل (وامرهم) اى اياهم (به) اى بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن اهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) اى اذا نسوه (على احسن وجه) اى الطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفى عليهم شئ من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول اى ستر عنهم امر (من امور المسلمين وترك الخروج عليهم) اى بالبغى ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة اى وترك اغراء العامة وتحريضهم (وافساد قلوبهم عليهم) اى على الائمة (والنصح) كان الاولى ان يقال واما النصح (لعامة المسلمين) اى لعوامهم فهو (ارشادهم) اى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) اى الاخروية (ومعونتهم) اى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) اى عما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) اى بتذكير ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) اى بتعريف ما جهله (ورفد محتاجهم) اى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) اى بالباس او ستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) اى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر واما الجلب محركة فاجلاب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله

(الباب الثالث)

(فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره) اى فى تعظيم امره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه

وجميع احواله والبرهو الاحسان اى ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من اهل بيته وعلماء
امته (قال الله تعالى) اى تعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) احوال
مقدرة واوصاف مقررة اى شاهدا على من ارسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم
بالجنة والقربة ومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) اى بكمالها بالخطاب
على الالتفات وفى قرآءة بالغيبة اى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا امره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه
وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد ابعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك الى قوله تعالى وتوقروه
هكذا وقع فى اكثر الاصول وهذه الآية فى سورة الفتح وليس فيها يا ايها النبى وانما هو انا ارسلناك كما هو فى بعض
النسخ نعم فى سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا ايها النبى انا ارسلناك الا انه ليس فيها
لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال فى تصورهما (وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا) اى
امرا ومعناه لا تتقدموا ويؤيده قرآءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدى الله ورسوله) اى
قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم (ويا ايها) اى وبعدها يا ايها (الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى) اى لا تجاوزوا باصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى
يكون صوته فوق اصواتكم لتكون مرتبته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت
المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الثلاث الآيات) اى اقرأ الآيات الثلاث واكملها لان البقية لها مدخل فى تحقيق
القضية وهى قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول اى اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اى
مخافة حبوطها وانتم لا تشعرون اى بحبوطها وبطلانها ان الذين يغضون اصواتهم اى يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهى فى الاقوال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى
ودربها المشقتها او مرنها لكلفتها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة اى كثيرة لسيئاتهم واجر عظيم على
طاعاتهم واعلم انه تنبغى هذه المراعاة ايضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فى مسجده لا سيما عند مشهده وكذا عند
قرآءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)
اى برفع الصوت فوق صوته او بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا احمد بل قولوا يا نبى الله ويا رسول الله كما خاطبه به
سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين فى الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة
المذكورة فى كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) اى تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) اى
تكريمه وتبجيله (والزم) اى اتباعه (اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال
(وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا فى تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر
تنصروه اى دينه او رسوله وهذه المبانى متقاربة المعانى واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة اصغر وهو ابو الحسن على
ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوى كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريرى
وغيره وهو ثقة توفى فى شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة فجأة ببغداد واما الاوسط فهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة
المجاشعى بالولاء النحوى البلخى المعروف بالاخفش النحوى احد نحاة البصرة من ائمة العربية واخذ النحو عن
سيبويه وكان اكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه فى كتابه شيأ الا وعرضه على رحمه الله تعالى وكان يرى انه
اعلم به منى وانا اليوم اعلم به منه وهذا هو الذى زاد فى العروض بحر الخبب وله تصانيف كثيرة منها الاوسط فى النحو
وتفسير معانى القرآن وغير ذلك توفى سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر على بن سليمان
المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا اوسطا واما الاكبر فهو ابو الخطاب عبد الحميد بن حميد من اهل هجر من مواليهم
وكان نحويا لغويا وله الفاظ لغوية انفرد بنقلها واخذ عن سيبويه وابى عبيدة ومن فى طبقتهما وهذا ملخص كلام
ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذى يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
ويبصر فى اشئ فى يوم غيم ولا يبصر فى يوم صاح قاله الجوهرى قال الحلبى والظاهر ان مراد القاضى هو الاوسط
والله اعلم (وقال الطبرى) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) اى شاذا (تعززوه بزايين) بيائين لا بهمز وياء
كما توهم (من العز) اى مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى
التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) اى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الادب) اى بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى فى الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضى الله

تعالى عنهم وهو اختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو العباس احمد بن يزيد الشيبانى مولاهم
البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) اى التسترى (لا تقولوا قبل ان يقول)
اى لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وانصتوا) اى اسكتوا قال الحجازى يروى بعكسه قلت فيصير عكس
الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذى هو الوحى الخفى كما يجب سماع القرآن الذى هو الوحى الجلى وفيه
ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف (ونهوا) اى اصحابه
واحزابه (عن التقدم) اى المبادرة (والتعجل) وفى نسخة والتعجيل (بقضاء امر) اى بحكم شئ (قبل قضائه فيه وان
يفتاتوا) افتعال من الفوت اى يسبقوه (بشئ) اى منفردين برأيهم دونه فى تصرفهم (فى ذلك من قتال او غيره من امر
دينهم الا بامره ولا يسبقوه به) اى ولو فى امر دنياهم والمعنى ان يكونوا تابعين له فى جميع قضاياهم من امور دنياهم
واخراهم (والى هذا) اى المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) اى البصرى (ومجاهد والضحاك والسدى
والثورى) اى يوافق قول هؤلاء ذلك المقال فى المآل (ثم وعظهم) اى نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد اى وخوفهم
(مخالفة ذلك) المنهى هنالك (فقال واتقوا الله) اى احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم
(عليم) باحوالكم (قال الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم) اى بشئ من القول والفعل بين يديه قبل ان يعرف منه
ميل اليه (وقال السلمى) وهو ابو عبد الرحمن (اتقوا الله فى اهمال حقه) اى فى الاوامر (وتضييع حرمته) اى فى
الزواجر (انه) وفى نسخة صحيحة ان الله (سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه
وتكريما لمرامه (والجهر) اى ونهاهم عن الجهر (له بالقول) اى فى محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) فى مخاطباتهم
(ويرفع) اى بعضهم (صوته) اى لبعض فى مجلسه (وقيل) اى روى (كما ينادى بعضهم بعضا باسمه) كما هو احد القولين
فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله اعلم (وقال ابو محمد مكى اى لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا) بضم التاء وكسر اللام اى ولا تغلظوا (له بالخطاب) اى بالقول (ولا تنادوه باسمه) اى العلم (نداء
كنداء (بعضكم بعضا) اى باسمه الذى سماه به ابواه (ولكن عظموه) اى باطنا (ووقروه) اى ظاهرا (ونادوه باشرف
ما يحب) اى ما يحبه (ان ينادى به) اى من وصف رسالة او نعت نبوة بان تقولوا (يا رسول الله يا نبى الله) اى وامثالهما
من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا فى حياته وكذا بعد وفاته فى جميع مخاطباته (وهذا) اى مقول مكى (كقوله) اى
كقول الله سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين) اى
التفسيرين المشهورين فى الآية وقد قدمنا هذا التأويل عن مجاهد وقتادة فى اول الباب والتأويل الآخر هو ما روى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره
(وقال غيره) اى غير مكى (لا تخاطبوه الا مستفهمين) اى عن قول او فعل تريدون صدوره منكم ايجوز هذا ام لا وفى
رواية الا مشفقين اى وجلين خائفين (ثم خوفهم الله بحبط اعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء اى بحبوطها وابطالها
(ان هم فعلوا ذلك) اى المنهى هنالك (وحذرهم منه) اى مما يتعلق به من المهالك (قيل نزلت الآية) اى الآية التى بعد
هذه الآيات وهى قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (فى وفد بنى تميم وقيل فى غيرهم اتوا النبى صلى الله
عليه وسلم فنادوه) اى على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (اخرج الينا فذمهم
الله تعالى بالجهل) اى الغالب عليهم (ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون) اى آداب اولى الالباب وابعد الدلجى
حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يابى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه
قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) اى ما قبل هذه الآية وهى قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (فى محاورة) بحاء مهملة
اى مكالمة ومجاوبة (كانت) اى وقعت (بين ابى بكر وعمر بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قدامه
(واختلاف) ويروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) اى امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر
رضى الله تعالى عنه امر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضى الله تعالى عنه امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر
ما اردت الا خلافى قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما (فى ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفف (خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مفاخرة
بنى تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد نحن ناس من بنى تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا
فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان احسن

قولا (وكان فى اذنيه صمم) اى ثقل (فكان يرفع صوته) اى عند تكلمه وربما تأذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (فلما نزلت هذه الآية) اى آية لا ترفعوا (اقام فى منزله) اى بيت نفسه وحرم من مجلس انسه عليه الصلاة والسلام (وخشى ان يكون حبط عمله ثم) اى بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معتذرا (فقال يا نبى الله لقد خشيت) اى بعد نزول هذه الآية (ان اكون هلكت) اى بحبوط عملى وقنوط املى (نهانا الله ان نجهر بالقول) اى مطلقا فى الشرع (وانا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تسلية له عما تقدم (يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) اى سعيدا (فقتل يوم اليمامة) فى خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما اخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية) اى لا ترفعوا اصواتكم (قال والله لا اكلمك بعدها) وفى نسخة صحيحة بعد هذا (الا كاخى السرار) بكسر السين المهملة اى الا مثل صاحب النجوى والمساررة والمعنى لا اكلمك الا سرا (وان عمر رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (كان اذا حدثه) اى كلمه عليه الصلاة والسلام (حدثه كاخى السرار) اى فى خفض صوته كما بينه بقوله (ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر الميم (بعد الآية) وفى نسخة بعد هذه الآية اى بعد نزولها (حتى يستفهمه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) اى فى ابى بكر وعمر وامثالهما رضى الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون اصواتهم) اى يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب او محاذرة من مخالفة الرب (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا اقوياء على احتمال مشاقها من انواع الابتلاء وقيل اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فى غير وفد بنى تميم) اى كما مر وهو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابى مشهور وقد اخرج عنه الترمذى والنسائى (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه اى بين اوقات كان وروى بينما (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى) نسبة الى اعراب البادية ممن آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهورى) بفتح الجيم والواو اى شديد عال والواو زائدة قال الجوهرى جهر بالقول رفع صوته وجهور وهو رجل جهورى الصوت وجهير الصوت (يا محمد يا محمد) وفى نسخة صحيحة يا محمد ثلاث مرات (فقلنا له اغضض) بضم عينه اى اخفض (من صوتك فانك) اى فى ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) اى عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) اى تعظيما له وتعليما لنا (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) اى لا تخاطبوه به واختلف فى سببه (قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) اى عن هذه الكلمة تعظيما (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له) اى تفخيما (لان معناها) اى مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (ارعنا) بفتح العين امر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب الامر (فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول اى يلاحظ ويحافظ (على كل حال) اى سواء رعاهم ام لا (وقيل بل كانت اليهود) اى حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغنيمة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة فى مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) اى وامروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) اى الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) اى تشبه المؤمنين (بهم فى قولها) اى فى التفوه بها (لمشاركة اللفظة) اى اللفظة فى المبنى ومخالفتها فى المعنى (وقيل غير هذا) اى غير ما ذكر من التفسير فى معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تأخير عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام (حدثنا القاضى ابو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (وابو بحر) بفتح موحدة فسكون مهملة (الاسدى) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعى عليهما فى آخرين) اى مع جماعة اخر من المشايخ او من التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويؤيد الثانى ما فى نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا) اى حدثنا (احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن) وفى بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) اى الجلودى (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وابو معن) بفتح فسكون (الرقاشى) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصرى ثقة (واسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) اى ثلاثتهم

(ثنا الضحاك بن مخلد) بسكون خاء معجمة بين فتحتين ابو عاصم الشيبانى النبيل البصرى روى عنه انه قال ما دلست قط ولا اغتبت احدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخارى وغيره اخرج له الائمة الستة (انا) اى انبأنا وفى نسخة اخبرنا (حيوة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثنى يزيد بن ابى حبيب) عالم اهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفى اول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفى نسخة فذكر لنا اى ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمرو قال) وفيه ايضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل) اى اعظم (فى عينى منه) وفى نسخة بصيغة التثنية (وما كنت اطيق) بضم الهمزة اى اقدر (ان املأ عينى منه اجلالا له) اى واكمالا له (ولو سئلت) وفى نسخة ولو شئت (ان اصفه) اى اذكر نعت ظاهر خلقه (ما طقت) اى ما قدرت لعدم احاطتى باوصافه خبرا (لانى لم اكن املأ عينى منه) اى نظرا (وروى الترمذى) اى صاحب السنن لا الحكيم الترمذى وكذا الحاكم (عن انس رضى الله تعالى عنه كان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس) حال (فيهم ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى من جملتهم او فيما بينهم ابو بكر والجملة حال ايضا (فلا يرفع احد منهم اليه بصره) اى نظره اجلالا لحضرته (الا ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) اى يطالعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) اى لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبى اخرجه الترمذى فى مناقب ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (وروى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبى كوفى صحابى وقد روى عنه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله) الجملة حال وفى نسخة حوله جلوس اى جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متأدبون بين يديه (كانما على رؤسهم الطير) بالرفع اى بحيث لو فرض ان يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفى حديث صفته) بكسر ففتح اى نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية ام المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى ارخوا رؤسهم (كانما على رؤسهم الطير) اخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة رواه عنه الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى الثقفى على ما رواه البخارى عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بن ابى العاص انه (حين وجهته قريش) اى ارسلته (عام القضية) اى قضية صلح الحديبية (الى النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى طلب الصلح سنة ست من الهجرة النبوية سمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلاة والسلام اى صالح واما ما ذكره الانطاكى من ان القضية كانت فى السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) اى عروة (من تعظيم اصحابه له ما رأى) اى مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية (لا يتوضأ) اى لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم اى سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء او الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) اى لفرط حرصهم عن التبرك بما لديه او بما اصابه من يديه ومن لم يصب منه شيأ يكون من نصيبه اخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) اى ولا يبزق بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من اقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) اى اخذوها من الهواء (باكفهم) اى من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم واجسادهم) اى فبالغوا فى مسح اعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) اى بادروا الى اخذها وحفظها سواء كانت من رأسه او بقية مسامه (واذا امرهم بامر) اى من امر ونهى (ابتدروا امره) اى امتثاله (واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده) اى ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اى ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) اى هيبة وتكريما له (فلما رجع) اى عروة (الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى) بكسر الكاف وبفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس (فى ملكه) اى حضرته اى تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) اى وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (فى ملكه) اى فى معظم ملكه (والنجاشى) بفتح النون ويكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (فى ملكه) اى فى دياره وداره (وانى والله ما رأيت ملكا) اى من الملوك المذكورة معظما ومكرما (فى قوم) اى فيما بين جنده (قط) اى ابدا (مثل محمد فى اصحابه وفى رواية) اى اخرى كما فى نسخة (ان) بكسر همزة وسكون نون اى ما (رأيت) اى ما ابصرت او ما علمت (ملكا) اى من الملوك (قط تعظمه اصحابه ما يعظم)

اى مثل مايعظم (محمدا اصحابه وقد رايت) اى ابصرت اصحابه وعلمت احبابه واحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم اليا وسكون السين وكسر اللام اى لايخذلونه (ابدا) من اسلمته الى شئ ثم خص بالالقاء فى المهلكة بدليل حديث انى وهبت لخالتى غلاما وقلت لها لاتسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اى لاتعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة واما الصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه) اى يحلق شعر رأسه امابعد عمرة اوبعد الحج اذلم يحلق فى غيرهما (واطاف به اصحابه) اى داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا باثره (فما يريدون) اى من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) اى من شعراته (الا فى يد رجل) اى من طلاب بركاته واختلف فى اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوى كما ذكره النووى فى شرح مسلم وفى صحيح البخارى زعموا انه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى واما فى عمرة الجعرانة فقيل حلقه ابو هند والله اعلم (ومن هذا) اى ومن جملة تعظيم اصحابه وتكريم احبابه (لما اذنت قريش) اى مراعاة (لعثمان رضى الله عنه) اى حين قدومه مكة (فى الطواف بالبيت) اى بعد منعهم منه (حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم اليهم فى القضية) اى فى قضية صلح الحديبية (ابى) اى امتنع عثمان ان يطوف به (وقال ما كنت لافعل) اى الطواف وحدى (حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم) لكمال ادبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركون فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية فى الفصل التاسع من اول الكتاب (وفى حديث طلحة رضى الله عنه) اى ابن عبيد الله احد العشرة المبشرة وسيأتى بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذى وحسنه (ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) اى فى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اى وفى بنذره ومنهم من ينتظر امر قضائه وقدره فى تحقيق امره روى ان رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا القوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم احد وبذل جهده فى القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه اصيب فى جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب (وكانوا يهابونه ويوقرونه) اى يعظمونه ولهذا ما كانوا بانفسهم يسألونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الاعراب مالا يتحمل من الاصحاب (فسأله) اى الاعرابى (فاعرض عنه) اى عن جوابه ولم يلتفت الى ما يتعلق ببابه (اذ طلع طلحة رضى الله تعالى عنه) اى الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكانه الزم نفسه ان يصدق الله تعالى فى قتل اعدائه فى الحرب وقد وفى بعهده يوم احد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكانه التزم ان يقاتل حتى يموت ففى الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفى الحلية انه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فسأله رجل من هم فاقبل على طلحة بن عبيد الله وقال هذا منهم وفى تفسير ابن ابى حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التأويلين المتقدمين وفى تفسير يحيى بن سلام المغربى هم حمزة واصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء احد ولا يبعد ان يقال المراد بهم الشهداء والثابتون فى مقاتلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذى يظهر لى انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الاتم والاعم والله تعالى اعلم وقد قتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبى وفى الصحابة اربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفى حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه ابو داود فى الادب والترمذى فى الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء اى جلسة المحتبى بيديه (ارعدت) اى اضطربت (من الفرق) بفتحتين اى الخوف والفزع (وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث المغيرة) الذى رواه الحاكم فى علوم الحديث والبيهقى فى المدخل (كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) اى يضربون (بابه بالاظافر) وفى نسخة بالاظافير اى ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتشريفا وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انه اخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه اى ضربه والمعنى شربه جميعه (وقال البراء بن عازب رضى الله عنه) كما روى ابو يعلى (لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فأؤخر) وفى نسخة فأؤخره اى فأؤخر سؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفى نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) اى من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل)

واعلم ان حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه) بنصبهما اى بعد وفاته (لازم) اى على كل مسلم (كما كان) اى ماذكر واجبا (حال حياته) اى لانه الآن حى يرزق فى علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) اى التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) اى كلامه (وسنته) اى وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) اى فى جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) اى اهل بيته (وعترته) بكسر اوله اى ذريته وقرابته (وتعظيم اهل بيته) اى من ازواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) اى اهل صحبته (قال ابو ابراهيم) زيد فى نسخة اسحق (التجيبى) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) اى بنفسه (اوذكر عنده) اى على لسان غيره (ان يخضع) اى ظاهرا (او يخشع) اى باطنا (ويتوقر) اى يتكلف الوقار والرزانة فى هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) اى يشرع ويسرع (فى هيبته واجلاله) اى فى مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) اى يطلب منها (لو كان) اى فرضا (بين يديه) اى امام عينيه (ويتأدب) بالنصب او الرفع (بما ادبنا الله به) اى من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (وهذه) اى الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) يروى الصالحين اى المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) اى العلماء العاملين (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وابو القاسم احمد بن بقى) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) اى وكثيرون (فيما اجازونيه) هذا لغة فى اجازوه لى (قالوا) اى كلهم (اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر ابن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة فى آخره (قال ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن على بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء الجيم (ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) اى جادل وباحث (ابو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثانى خلفاء بنى العباس (امير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) اى الامام (فى مسجد رسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ورفع صوته فى كلامه معه (فقال له) اى مالك كما فى اصل صحيح (يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد) اى خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفى نسخة عز وجل (ادب قوما) اى معظمين (فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية) اى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون (ومدح قوما) اى مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) اى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) اى من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) اى اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر) اى خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على انه يجب التأدب بين يدى العالم لما روى من ان الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (وقال) اى ابو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا اباعبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير أأستقبلها (وادعو) اى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) اى عن رسولك (فهو) وفى نسخة صحيحة وهو اى والحال انه (وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام) اى وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) اى كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) اى اطلب شفاعته وسل وسيلته فى قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء اى يقبل الله به شفاعتك لامر لك ولغيرك وفى نسخة فيشفعه اى فيقبل شفاعته فى حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) اى مصداقا لذلك فيما قرره مالك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) اى للمعذرة والتوبة (الآية) يعنى فاستغفروا الله اى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله اى لعلموه توابا رحيما اى متعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم (وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن ابى ايوب السختيانى) اى عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزى وقيل جهنى مولاهم يروى عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه الف حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن ام خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها فى البخارى وقال فى اثره ولم اسمع احدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى من غير ذكر واسطة سوى ام خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) اى

ماروت لكم حديثا (عن احد) اى من اتباع التابعين (الا وابو ايوب افضل منه وقال) اى مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) اى ابو ايوب (حجتين) اى مرتين (فكنت ارمقه) بضم ميم اى انظر اليه واتأمل لديه (ولا اسمع منه) اى كلاما يكون عليه اولا اسمع منه حديثا يحدثني به (غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكا) الظاهر يبكى (حتى ارحمه) اى من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله عليه وسلم (فلما رايت منه ما رأيت) اى من حسن فعاله ما يقتضى بعض كماله واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم (كتبت عنه) اى الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبد الله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى يروى عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده ان فى نسخة فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحنى) اى يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين اى يشتد (ذلك على جلسائه) اى من اجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما فى ذلك) اى فى تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) اى لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجلال مرامه (لما انكرتم على ما ترون) اى ما تبصرون من اضطراب حالى وتغير مقالى ولا يبعد ان يكون المعنى لو ابصرتم ما ابصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله فى مقام مكاشفة كماله (لقد كنت ارى محمد بن المنكدر) اى التيمى المدنى الحافظ يروى عن ابيه وعائشة وابى هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وابو زرعة وعن ابى قتادة قال العلائى والظاهر ان ذلك مرسل وعن ابى ايوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام حسن له بكاء وتوفى سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث ابدا) اى قط (الا يبكى) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه (ولقد كنت ارى جعفر بن محمد) اى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب ابيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة اى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء اى تغير لونه وتحول كونه (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) اى ترددت (اليه زمانا) اى كثيرا (فما كنت اراه) اى اشاهده (الا على ثلاث خصال) اى احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) اى ساكتا متفكرا (واما يقرأ القرءآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرءآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون اى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (وكان) اى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) اى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) اى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) اى شانه وسلطانه (وجل) اى برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) اى ابن محمد بن ابى بكر الصديق التيمى ولد زمن عائشة رضى الله تعالى عنها وسمع اباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان افضل زمانه وكذلك ابوه وقد توفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كانه نزف) بضم النون وكسر الزاى اى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء اى يبس (فى فمه) اى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتى) اى اجيء (عامر بن عبد الله بن الزبير) اى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع اباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى ست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) اى كثيرا (حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهرى) وهو محمد بن شهاب (وكان من اهنأ الناس) بفتح همز وسكون هاء فنون فهمزة اى الطفهم فى العشرة (واقربهم) اى فى المودة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته) اى لتغير حاله واختلاف مقاله فى مقام جلاله (ولقد كنت اتى صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدنى ممن يستسقى بذكره يروى عن ابن عمر وعبد الله بن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة (فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكا) فان البكاء هو النفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) اى حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضى الله عنه انه كان اذا سمع الحديث) اى حديثه عليه الصلاة والسلام (اخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو اى صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاى وكسر الواو اى القلق به والعناء واصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) اى اجتمعوا

عليه بكثرة بعد ما كانوا بوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) اى مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع اى ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر اى لكان حسنا او معناه التمنى اى تمنينا جعلك احدا مستمليا (فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى توقيرا له وتكريما وتعزيرا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه فى الحقيقة بقاء فانه حى يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) اى يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى خاف وخضع وتواضع كذا فى نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتى فى الفصل الذى يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدى) وهو احد الاعلام فى الحديث روى عنه احمد قال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدى وقال الزهرى ما رأيت فى يده كتابا يعنى كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم) اى الناس او اصحابه (بالسكوت) اى رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته (وقال) اى عبد الرحمن مقتبسا من القرءآن (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) يعنى وكذا فوق صوت راوى حديثه (ويتأول انه يجب له) اى لاجله (عند قراءة حديثه) اى روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) اى كلام نفسه فى حال حياته

(فصل)

(فى سيرة السلف) اى طريقتهم (فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله اراد بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابو الفضل بن خيرون) بفتح اوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقى والخطيب وابو اسحق الشيرازى قال الخطيب كتبنا عنه توفى ببغداد سنة خمس وعشرين واربعمائة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابو الحسن الدارقطنى) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا على بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا احمد بن سنان) بكسر اوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء هو الحافظ ابو جعفر الواسطى روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن ابى حاتم هو امام اهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) وهو ابو خالد الواسطى السلمى احد الاعلام قال احمد حافظ متقن وقال ابن المدينى ما رأيت احفظ منه وقال العجلى ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلى الضحى ست عشرة ركعة وقد عمى (ثنا المسعودى) اى عبد الرحمن بن عتبة الكوفى احد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفى سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة ابو عبد الله مسلم بن عمران الكوفى يروى عن ابى وائل وعلى بن الحسين وابى عبد الرحمن السلمى والاعمش وابن عون وثقه احمد وغيره (عن عمرو بن ميمون) هو الازدى يروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) اى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بتصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) اى وقتا من زمانه (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح فسكون اى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون اى يسيل نازلا (عن جبهته) اى من جهة كثرته (ثم قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) اى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) اى لكمال احتياطه (او فوق ذا) اى بقليل (او مادون ذا) اى ببعض شئ (او ما هو قريب من ذا) اى مما اقوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على فليتبوأ مقعده من النار وكان ابو الدرداء ايضا اذا حدث قال مثله وكان انس رضى الله عنه اذا حدث قال او كما قال (وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة اى فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه اى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) اى امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اى ما لم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض (وانتفخت اوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف اى مقدام فى المعركة وعن على انا ابو الحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى انا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى

المدينة) اخرج له الترمذى فقط (من مالك بن انس) وهو امام دار الهجرة (على ابى حازم) بكسر الزاى وحاؤه مهملة
وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وابو ضمرة قال ابن خزيمة
ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) اى والحال ان ابا حازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) اى
جاز الموضع او الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذارا لمن اورد عليه
السؤال بلسان القال او ببيان الحال (انى لم اجد موضعا اجلس فيه) اى متاديا (فكرهت ان آخذ) اى اسمع
واتحمل (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجى والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان
مع مبالغته فى تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه عمل اهل المدينة وان خالفه ويقول هذا
لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعى كنت اظن انه لم يخالف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا فى ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فكثت سنة استخير الله تعالى
فى مخالفته وللمخالفة سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له اجلنى ثلاثة ايام فاجله
فليلة الثالث مات السلطان فكث الشافعى والف كتبه الجديدة بها الى ان توفى بها تاسع عشرى جمادى الآخرة
سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد اسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة فى التعليل فذهب مالك
ان عمل اهل المدينة بناء على انهم اخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث
يظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف اصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوى اذا
عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ او توهم فى نقله ورجع عنه بفعله ونظير هذا عمل اهل مكة فى الطواف
بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه
بدعة واما قول الشافعى فى حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه به انه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شأن
كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بلا شبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون الاصل هو
الفعل الذى لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة
وقد تكسر (فسأله) اى الرجل (عن حديث وهو) اى والحال ان ابن المسيب (مضطجع) اى واضع جنبه على
الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف فى جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت
وتمنيت (انك لم تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون اى لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال انى كرهت
ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول اى نقل (عن
محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسى وهو احد الاعلام يروى عن ابى هريرة
وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطنى وروايته عنه فى الصحيح وقد تعقب الدارقطنى النووى فى شرح مسلم
فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما
وله سبعة اوراد فى الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) اى مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى ظاهرا وباطنا (وقال ابو مصعب) هو احمد بن ابى بكر بن القاسم بن الحارث
ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ابو مصعب الزهرى العوفى قاضى المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة
وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول ابى خيثمة لابنه احمد لا تكتب عن ابى مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك
ابن انس رضى الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) اى طهارة (اجلالا له)
اى لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) اى مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم
(وقال مصعب بن عبد الله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى (كان مالك بن انس رضى الله تعالى عنه اذا حدث عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اذا اراد تحديثه عنه (توضأ وتهيأ) اى بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) اى غير
ثياب البذلة (ثم يحدث قال مصعب فسئل) اى مالك (عن ذلك) اى عن سبب ما ذكر هنالك (فقال انه حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقام مقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال
مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار ابو مصعب اليسارى المدنى مولى
ميمونة الهلالية وهو ابن اخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخارى وابو زرعة (كان
اذا اتى الناس مالكا) اى وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) اى الخادمة اولا باذنه ليعلم من هو فيعامله بما يليق
بشأنه من دخول او خروج ونحوه (فتقول) اى الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) اى أتريدون (الحديث)

اى نقل الاحاديث النبوية (او المسائل) اى رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجى
على ما لا يخفى عند ذوى الافهام (فان قالوا المسائل) اى نريدها (خرج اليهم) اى على هيئته من غير تغير فى حالته (وان
قالوا الحديث) اى نطلبه (دخل مغتسله) اى موضع اغتساله (فاغتسل) اى غسلا كاملا او توضأ وضوأ كاملا
او معناه فتطهر (وتطيب) الواو للمعية فلا ينافى كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة
او حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره اى طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة
وفى القاموس هو الطيلسان الاخضر او الاسود (وتعمم) اى لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة
المجهول اى توضع (له منصة) بكسر ميم ويفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية
وقيل المراد بها الكرسى (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) اى آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل اى الشأن
والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة وروى يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره) اى غير مطرف (ولم يكن) اى مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن
ابى اويس) وهو اسماعيل بن عبد الله بن اويس الاصبحى ابن اخت مالك بن انس يروى عن خاله مالك وابيه وجماعة
وعنه الشيخان وعلى البغوى وطائفة قال ابو حاتم محله الصدق وضعفه النسائى (فقيل لمالك فى ذلك) اى فسئل
عن سبب ما فعله هنالك (فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث) بالنصب
ويرفع (به) اى بحديثه عليه الصلاة والسلام (الا على طهارة) اى كاملة (متمكنا) اى على حالة فاضلة لا متكئا
ومعتمدا على شقه مائلة (قال) اى ابن ابى اويس (وكان) اى خاله مالك (يكره ان يحدث) بكسر الدال المشددة اى يتكلم
بالحديث النبوى (فى الطريق) اى سائرا (وهو قائم او مستعجل) خوفا من الخطأ او الخطل ومن ثمة قيل شعر

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) اى مالك فى تعليل ذلك (احب ان افهم) بالتشديد اى الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء اى ابو سنان الشيبانى الكوفى يروى عن سعيد بن جبير وعنه
شعبة ونحوه وكان من العباد والثقات (كانوا) اى السلف (يكرهون ان يحدثوا) اى الحديث كما فى نسخة (على غير
وضوء) اى طهارة (ونحوه عن قتادة رضى الله عنه) اى وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء
(وكان الاعمش) اى سليمان بن مهران (اذا حدث) اى اراد ان يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك) اى يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى ستة
عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة اذ التاء انما تلحق فى مثل هذا التركيب ثانى جزئيه (وهو) اى مالك (يتغير لونه)
اى من شدة الالم (ويصفر) اى ويميل الى صفرة من اثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) اى مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) اى العامة
(قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتنى عقرب ست عشرة مرة وانا صابر فى جميع ذلك وانما صبرت)
اى هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق)
قال الجوهرى كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبى العقيق واد عليه مال من اموال اهل المدينة
وهو على ثلاثة اميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان احدهما عقيق المدينة عق عن
حرتها اى قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الاخر اكبر من هذا وفيه بئر على مقبرة منه
وهو من بلاد مزينة وهو الذى اقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم اقطعه عمر
الناس فعلى هذا تحمل المسافتان لا على الخلاف والعقيق الذى جاء فيه انك بواد مبارك هو الذى يبطن
وادى ذى الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات اهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها
بمرحلة او مرحلتين والظاهر انه ليس المراد وانما المراد واحد من التى بالمدينة ولعله الاول وفى بلاد العرب
مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولى التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرنى) اى زجرنى (وقال لى كنت فى عينى اجل)
اى اعظم (من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشى) جملة حالية (وسأله) اى مالكا
(جرير بن عبد الحميد القاضى) اى الضبى يروى عنه احمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك
او من جرير (فامر) اى مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) اى مالك (القاضى احق من ادب) بصيغة المجهول اى
هو اولى ليتأدب به غيره او ليتعلم الادب قال الدلجى ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعنى فابدلت الهمزة واوا كما فى

وكدوا كداانتهى لكن لا اصل له هنا فان الودب سوء الحال لاغير على ما فى القاموس زيادة على الصحاح (وذكر)
بصيغة المفعول اى وحكى (ان هشام بن الغازى) وفى نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبى هذا هشام بن الغاز بن ربيعة
الجوشى يروى عن مكحول وعطاء وقد توفى سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفى قبل مالك والله تعالى
اعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لانعلم لهشام بن الغازى رواية عن مالك رحمه الله وانما الحكاية عن هشام بن عمار
الدمشقى ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجى فى جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب
جامع دمشق ثم قوله واما ابن الغاز فتابعى لم يروعن مالك فلونه قبل مالك غير صحيح لماثبت قبل ذلك انه كان معاصرا
لمالك وهو لاينافى موته قبل مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يروعنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه او غيره
(سال مالكا عن حديث وهو واقف) اى قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه) اى حن عليه لما وقع له
من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) اى استمالة لخاطره اليه واما قول الدلجى اى خاف عليه لضربه اياه بلاذنب
يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تأديب الطالب بما يرى هنالك (قال)
وفى نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال اى تمنيت واحببت (لوزادنى سياطا) اى كثيرة (ويزيدنى حديثا) اى
بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه ابو صالح الجهنى كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخارى قال
الفضل بن الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (كان مالك والليث لايكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما
والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها
لما شابهت الحال توسطتهما لتأكيد لصوقها بالموصوف كما فى قوله عزوجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
(وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل اى يستحسن (ان لا يقرأ) اى هو او احد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول
(احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط فى نسخة
بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثانى على غيره واما قول الدلجى اى بغسل بقرينة
ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى اعلم بالحال والاظهر ان يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل
للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه
(تيمم) اى اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل)

(ومن توقيره صلى الله عليه وسلم) اى تعظيمه وتكريمه (وبره) اى ومن طاعته فى امره وزجره (بر آله) اى احسان اهل
بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجى هنا بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل وان خص الاولان
بالخمس (وذريته) اى نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين واولادهما من الائمة وغيرهم (وامهات المؤمنين ازواجه)
اى زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وام حبيبة بنت
ابى سفيان اخت معاوية وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى امية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية
بنت ضرار وصفية بنت حيى كذا ذكره الدلجى وكان الاولى ان يقدم خديجة الكبرى ام فاطمة الزهراء رضى الله عنهما
(كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة اى حث وحرض على برهم (عليه السلام) اى فى احاديث كثيرة (وسلكه) اى
مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) اى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن الفقاعى السلف الصالح
هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر
الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها
وترغيبا فيما امرهن بخلافها ولعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال
الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة
فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه احمد والشيخان والترمذى
وابن ماجه عن ابى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله واهل بيته ولذا قال (اهل البيت) نصب على النداء
او المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الردية (تطهيرا) اى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى
اسم لكل مستقذر من عمل واراد باهل البيت نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن
ابن عباس وعن ابى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين اقول ولا منع من الجمع
واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود
بان تخصيصهم بكونهم اهل البيت يكذبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث انما هو يؤذن بانهم من اهله لا ان غيرهم
ليس باهله (وقال تعالى وازواجه امهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم
نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات
ولذا قالت عائشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء ارادت انهن انما كن امهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم
امهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن امهاتهن لما جوز زواج بناتهن (اخبرنا الشيخ ابو محمد
ابن احمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من اصله) اى المروى عن مشايخه (ثنا) اى حدثنا
(ابو الحسن المقرئ) بالهمز فى آخره وقد يخفف اى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانة بفتح الفاء
وسكون الراء فغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد
الفاء الاولى (قالت حدثنى ابى ثنا) اى قال حدثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى
هو ابن اسماعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) اى ابن الجراح
احد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه احمد ونحوه قال احمد ما رأيت اوعى للعلم منه كان احفظ من ابن مهدى
وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه ارجح من سفيان وقال احمد للماولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع (عن ابيه) اى
الجراح بن مليح بن عدى الرواسى وثقه ابو داود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) اى الثورى يروى عن ابى وائل
والشعبى وعنه ابناه سفيان ومبارك وابو عوانة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية
مشددة تيمى ثقة اخرج له مسلم وابو داود والنسائى (عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله)
بفتح الهمزة وبضم الشين (اهل بيتى) بالنصب على نزع الخافض وفى نسخة طبق رواية اخرى فى اهل بيتى اى اسألكم
الله فى حق اهل بيتى بالاحسان اليهم والشفقة عليهم او اقسم عليكم بالله ان تراعونى فى اهل بيتى (ثلاثا) اى قالها
ثلاث مرات مبالغة فى الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن ارقم راوى الحديث لان صاحب البيت ادرى بما فيه
(من اهل بيته) اى من المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على وآل جعفر وآل عقيل) وهم اولاد ابى طالب (وآل
عباس) وفى نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم فى النسب ما آلهم وقد يقحم الآل كما فى قوله تعالى آل
موسى وآل هارون تفخيما لشأنهما ثم اعلم ان هذا الحديث فى مسلم اخرجه فى الفضائل واخرجه النسائى فى المناقب
ولو اخرجه القاضى من مسلم لوقع له اعلى من الطريق الذى ساقه وكذا لو اخرجه من النسائى الا انه اراد التنوع
فى الروايات لان من شأن الحفاظ ان الحديث اذا كان فى الكتب الستة او احدها يخرجونه من غيرها لكن
فى الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو او الزيادة فيه او تصريح مدلس بالسماع او الاخبار او التحديث او كون
الطريق اسلم او لغير ذلك مما هو معروف عند اربابه والله اعلم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الترمذى عن
زيد بن ارقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم ما) اى شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان اخذتم به) او موصولة والشرطية
صلتها اى ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) اى عن الحق بعده ابدا (كتاب الله وعترتى اهل بيتى)
تفصيل بعد اجمال وقع بدلا او بيانا (فانظروا) اى فتأملوا وتفكروا (كيف تخلفونى) بتخفيف النون وتشدد اى كيف
تعقبونى (فيهما) اى فى حقهما ووقع فى اصل الدلجى كتاب الله وعترتى بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول
المعتمدة ثم المراد بعترته اخص قرابته وقيل المراد علماء امته فالتمسك بالقرآن التعلق باوامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيه
وحقيته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) لايعرف راويه (معرفة آل محمد براءة
من النار) اى من الم حرها وعقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم سلك المسافر برخصة المرور
والعبور اى سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو اى النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من
العذاب) وبكسرها لغة ايضا كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر
فقول الدلجى واما بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك ليس فى محله مع ان الولاية قد تأتى بمعنى تولى الامر وضد التبرى وبمعنى
المحبة ومنه ما ورد اللهم وال من والاهم (وقال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم) اى مكانتهم وقرب شأنهم
(من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نسبا وحسبا (فاذا) وفى نسخة واذا (عرفهم بذلك) اى بما ذكر قربة
ورتبة (عرف وجوب حقهم) فى التكريم (وحرمتهم) فى التعظيم (بسببه) اى بسبب نسبة النبى الكريم عليه التحية
والتسليم (وعن عمر بن ابى سلمة) كما رواه الترمذى وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن اخيه من الرضاعة ارضعتهما
ثويبة مولاة عمه ابى لهب وله بالحبشة (لما نزلت) اى هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

الآية وذلك) ای نزولها كان (فی بیت ام سلمة) ای زوجته علیه الصلاة والسلام ام الراوی وهی آخر امهات المؤمنین
موتا توفیت فی امارة یزید والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسینا فجللهم بكساء) جواب لما ای غطاهم به
قدام وجهه (وعلی خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بیتی فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا وعن سعد
ابن ابی وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آیة المباهلة) ای الملاعنة مفاعلة من البهلة وهی اللعنة فاذا اختلف قوم
فی شیء اجتمعوا فقالوا لعنة الله علی الظالم منا والمراد من آیة المباهلة قوله تعالی فمن حاجك فیه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل ای نتضرع الی الله فنجعل لعنة الله علی
الكاذبین (دعا) جواب لما ای طلب (النبی صلی الله تعالی علیه وسلم علیا وحسنا وحسینا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء
اهلی) ای الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا وقال النبی صلی الله تعالی علیه وسلم) ای كما مر (فی علی)
ای فی حقه (من كنت مولاه) ای ولیه وناصره (فعلی مولاه) ای یدفع عنه ما یكره قال الشافعی رحمه الله یعنی به
ولاء الاسلام قال الله تعالی ذلك بان الله مولی الذین آمنوا وان الكافرین لا مولی لهم والاظهر الاستدلال بقوله
تعالی انما ولیكم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة ویؤتون الزكاة وهم راكعون لما روی انها نزلت فی علی
كرم الله وجهه وانما اتی بصیغة الجمع لتعظیمه او المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا
وذهب اكثرهم الی ان الحدیث بمعنی البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال ابو العباس معناه من احبنی
وتولانی فلیتوله وقال الحافظ ابو موسی ای من كنت اتولاه فعلی یتولاه قیل وكان سببه ان اسامة بن زید قال لعلی
لست مولای انما مولای رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فقال علیه الصلاة والسلام الحدیث (وقال النبی
صلی الله علیه وسلم) علی ما روی احمد عن ابی ایوب الانصاری انه علیه الصلاة والسلام قال فی علی من كنت مولاه
فعلی مولاه (اللهم وال من والاه) ای احب من احبه وراعاه (وعاد من عاداه) ای ابغض من ابغضه وما ارضاه قال
فی الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولی وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال)
كما رواه مسلم انه صلی الله تعالی علیه وسلم قال (فیه لا یحبك الا مؤمن) ای كامل الایمان (ولا یبغضك الا منافق)
ای ناقص الایقان وقد روی عدی بن ثابت عن زر بن جیش عن علی رضی الله تعالی عنه قال عهد الی رسول الله
صلی الله تعالی علیه وسلم انه لا یحبك الا مؤمن ولا یبغضك الا منافق وورد فی بعض الاحادیث النظر الی وجه علی
عبادة (وقال للعباس رضی الله تعالی عنه) كما روی ابن ماجه والترمذی وصححه (والذی نفسی بیده لا یدخل قلب
رجل الایمان) ای علی وجه الاحسان (حتی یحبكم لله ولرسوله) والخطاب لاهل بیت النبوة (ومن آذی عمی)
ای العباس (فقد آذانی) ای فكأنه آذانی (وانما عم الرجل صنو ابیه) بكسر الصاد وقد تضم ای مثله فی ان اصلهما
واحد فهو كالعلة لكون حكمهما فی الایذاء سواء واصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالی ونخیل
صنوان وغیر صنوان فالاخ صنو لاخیه الشقیق (وقال للعباس) كما روی البیهقی عن ابی اسید الساعدی (اغد)
بضم همزة وصل وضم الدال امر من غدا یغدو ای ائتنی غدوة وهی اول النهار (مع ولدك) بفتحتین وبضم فسكون
ای اولادك من ذكور واناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) ای غدوة علیه (وجللهم) بالجیم وتشدید اللام الاولی
ای غطاهم النبی صلی الله تعالی علیه وسلم (بملاءته) بضم اوله وتخفیف اللام والمد ای ربطته او كسائه (وقال اللهم
هذا عمی وصنو ابی وهؤلاء) ای اولاده (اهل بیتی فاسترهم من النار) ای فی دار القرار (كستری اياهم) فی هذه الدار
(فامنت) بتشدید المیم ای قالت آمین (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشدید الفاء ای عتبته (وحوائط
البیت) ای جدرانه المحیطة به من جمیع جهاته (آمین آمین) ای مكررا وهو مقول علی وجه التأكید او من طریق
التجرید وهو بالمد اشهر من قصره ولا یجوز تشدید میمه علی الصحیح وهو اسم مبنی علی الفتح معناه استجب وفی الحدیث
آمین خاتم رب العالمین ای طابعه علی العباد فكأنه خاتم الكتاب یصونه من الفساد (وكان) ای النبی علیه الصلاة
والسلام كما فی البخاری عن اسامة وغیره (یأخذ بید اسامة بن زید) ای ابن حارثة مولاه (والحسن) ای وبید الحسن بن
علی رضی الله عنهما (ویقول اللهم انی احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضی الله عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف ای راعوه
واحترموه (فی اهل بیته وقال) ای الصدیق (ایضا) كما فی الصحیحین (والذی نفسی بیده لقرابة رسول الله صلی الله تعالی
علیه وسلم احب الی ان اصل) ای صلتهم (من قرابتی) ای من صلة اقاربی لقرب مكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالی
قل لا اسألكم علیه اجرا الا المودة فی القربی (وقال صلی الله تعالی علیه وسلم) كما روی الترمذی وحسنه وابن ماجه
عن یعلی بن مرة (احب الله من احب حسنا) وفی روایة حسینا وفی نسخة وحسینا والجملة دعائیة ولا یبعد ان تكون
خبریة (وقال) كما تقدم مرارا (من احبنی واحب هذین واشار الی حسن وحسین واباهما) ای واحب اباهما

علی المرتضی (وامهما) فاطمة الزهراء (كان معی) ای مشاركا لی (فی درجتی) ای جواری (یوم القیامة) لان من
احب قوما حشر معهم (وقال صلی الله تعالی علیه وسلم من اهان قریشا اهانه الله) رواه الترمذی وحسنه عن سهل
ابن ابی وقاص بلفظ من یرد هوان قریش اهانه الله لانهم افضل بنی ادم اجمالا وهم ولد النضر بن كنانة من بنی اسماعیل
ابن ابراهیم خلیل الرحمن (وقال) كما روی البزار عن علی وابن ابی شیبة عن سهل ابن ابی خیثمة (قدموا قریشا) ای
فی الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدی التائین (وقال علیه الصلاة والسلام) كما فی البخاری (لام سلمة
لا تؤذینی فی عائشة) ای افضلها نسبا وحسبا روی ان الناس كانوا یتحرون بهدایاهم یوم عائشة
یبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وان نساء النبی علیه الصلاة والسلام كن حزبین
فحزب فیه عائشة وحفصة وصفیة وسودة والحزب الآخر ام سلمة وسائر نسائه علیه الصلاة والسلام فكلم حزب ام سلمة
ام سلمة ان كلمی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم یقول للناس من اراد ان یهدی الی النبی علیه الصلاة والسلام
فلیهده حیث كان فكلمته فقال لا تؤذینی فی عائشة فان الوحی لم یأتنی وانا فی ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحدیث
فی المصابیح (وعن عقبة بن الحارث) كما فی البخاری (رأیت ابا بكر) ای الصدیق (رضی الله عنه وجعل الحسن علی
عنقه) جملة حالیة (وهو) ای ابو بكر (یقول بابی) ای افدیه بابی (شبیه بالنبی) ای هو شبیه به فی كثیر من الوجوه (لیس
شبیها بعلی) ای فی بعض الوجوه (وعلی یضحك) ای فرحا بفعل الصدیق وقوله الدال علی انه الصدیق فی مقام التحقیق
وممن كان شبیها به علیه الصلاة والسلام من آله جعفر بن ابی طالب وقثم بن العباس والسائب بن یزید بن عبد یزید بن
هاشم بن المطلب جد الشافعی وابو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غیر آله كثیرون منهم شخص من اهل البصرة
یقال له كابس بن ربیعة بن مالك السامی بالسین المهملة قبله معاویة بین عینیه واقطعه قطیعة وكان انس اذا رآه بكا
وسیأتی قریبا ذكر كابس فی اصل الكتاب وقال الذهبی فی التهذیب فی ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبی صلی الله
تعالی علیه وسلم اتاهم بعد ما اخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد الیوم وذلك بعد ثالثه ثم قال ائتونی ببنی اخی فجیء
بنا كانا افرخ فقال ادعوا الی الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبیه عمنا ابی طالب واما عبد الله فشبیه خلقی
وخلقی ثم اخذ بیدی فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فی اهله وبارك لعبد الله فی صفقته فجاءت امنا فذكرت یتمنا
فقال العیلة تخافین علیهم وانا ولیهم فی الدنیا والآخرة هذا والحسن بن علی كان یشبهه بنصفه الاعلی والحسین بنصفه
الاسفل ولعل هذا هو السر فی ان اكثر الذریة من الحسین رضی الله تعالی عنه (وروی عن عبد الله بن الحسن) ای ابن
حسن كما فی نسخة وهو ابن علی بن ابی طالب یروی عن ابیه وامه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علیة اخرج له
اصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس واربعین ومائة (قال اتیت عمر بن عبد العزیز) ای ابن مروان بن الحكم
(فی حاجة فقال لی اذا كان لك حاجة فارسل الی) ای احدا (واكتب) ای لی كتابا واذكر حاجتك ویروی
او اكتب الی (فانی استحیی من الله ان یراك) وفی نسخة ان اراك (علی بابی وعن الشعبی) فیما رواه الحاكم وصححه
البیهقی وغیره (قال صلی زید بن ثابت) ای الانصاری (علی جنازة امه ثم قربت له بغلته) بصیغة المجهول (لیركبها فجاء
ابن عباس فاخذ بركابه فقال زید) تكریما له وتعظیما (خل عنه) ای دع الركاب وتباعد منه (یا ابن عم رسول الله
فقال) ای ابن عباس رضی الله تعالی عنهما (هكذا نفعل) وفی نسخة هكذا امرنا ان نفعل (بالعلماء) ای اكراما واحتراما
(فقبل زید ید ابن عباس وقال هكذا امرنا) بصیغة المفعول ای امرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بیت نبینا صلی الله
تعالی علیه وسلم ورأی ابن عمر محمد بن اسامة) ای ابن زید بن حارثة مولی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم (فقال
لیت هذا عبدی) بفتح اوله وسكون الموحدة من العبودیة بمعنی المملوكیة وهی كما فی المطالع روایة البیهقی ورواية
الكافة بكسر اوله وسكون النون والاول اوجه انتهی وقال المزی بالنون هو المشهور قال الحجازی وهو الصحیح
فی الشفاء قیل وكذا فی البخاری الذی سمع علی العراقی بالقلم (فقیل له) ای لابن عمر رضی الله تعالی عنهما (هو محمد بن
اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) ای اطرقه (ونقر بیده الارض) ای حیاء مما صدر عنه (وقال) ای ابن عمر فی حقه (لو رآه
رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم لاحبه) ای لحبه اباه اسامة (وقال الاوزاعی) كما حكی ابن عساكر فی تاریخ
دمشق (دخلت بنت اسامة بن زید صاحب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم) ای ومولاه واسمها فاطمة
(علی عمر بن عبد العزیز) ای حین كان امیر المدینة نیابة عن ابن عمه الولید بن عبد الملك بن مروان او فی
ایام خلافته (ومعها مولی لها یمسك یدها) ای یقودها لكبرها او لضعف بصرها (فقام لها عمر) ای ابن عبد العزیز
(ومشی الیها) ای خطوات (حتی جعل یدیها) وفی نسخة یدها (بین یدیه ویداه فی ثیابه) ای تأدبا معها (ومشی بها
حتی اجلسها علی مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذی نهی الشارع عن الجلوس فیه بغیر اذن صاحبه

وبكسرها المحل الذى يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذى يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة فى السجود (وجلس بين يديها) اى متوجها اليها (وما زال لها حاجة الا قضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فى ديوان الارزاق على ما رواه الترمذى وحسنه (لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف) اى من الدراهم (ولاسامة فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) اى زيادة على ما فرض لابنه مع ان كليهما صحابى ابن صحابى وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على احد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب فى المناقب لا على عدد الرؤس كما فى زمن الصديق رضى الله عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) اى اسامة على بما فضلته (فوالله ما سبقنى) اى اسامة (الى مشهد) اى من المشاهد (فقال) اى عمر (له) اى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك) قاله تواضعا والا فهو كان احب اليه من زيد لما فى الصحيحين عن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله اى الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان احب الموالى اليه وفاطمة احب بناته وعليا احب اقاربه فلا تعارض (واسامة احب اليه منك) اى من حيثية كونه ابن مولاه (فاثرت) اى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبى) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز ان تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبى الحديث فى البخارى فى الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين اربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من اربعة آلاف قال انما هاجر به ابواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل ما نقله القاضى كان اولا وما فى الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لا منع من الجمع فى وقت واحد ايضا ثم قال وقوله هاجر به ابواه فيه نظر لان امه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر واجيب بان المراد بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) اى ابن ابى سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى الصورة فوجه معاوية اليه (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) اى بالاقبال بين يديه والنزول لديه (وقبل بين عينيه) اى ما بينهما (واقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فمعجمة فوحدة موضع اى جعله له اقطاعا يتفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين اى لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله) وهو ابن انس صاحب المذهب (لما ضرب به جعفر بن سليمان) اى ابن على بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم ابى جعفر المنصور بقول بعضهم له انه لا يرى الايمان ليعتكم شيأ لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) اى من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلعت كتفه او ازيلت منه (وحمل) اى الى بيته (مغشيا) اى عليه كما فى نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) اى من غشيته (فقال) وفى نسخة وقال اى لمن فى حضرته (اشهدكم انى جعلت ضاربى) اى الآمر بضربى ويروى صاحبى (فى حل) اى فى براءة من ضربه اياى (فسئل) اى مالك (بعد ذلك) اى بعد جعله فى حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له فى ذلك (فقال خفت ان اموت فالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيى منه ان يدخل بعض آله) اى من ان يدخل بعض اقاربه من بنى عمه (النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده من جعفر) اى طلب ان يقتص له منه ويقيده فيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له) اى مالك (اعوذ بالله) اى من ذلك (والله ما ارتفع منها) اى من اسواطه (سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك فى علو ورفعة بعد ذلك (وقال ابو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم الاسدى الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف فى اسمه على احد عشر قولا وصحح ابو زرعة ان اسمه شعبة ووافقه الشاطبى وصحح ابن الصلاح والمزى ان اسمه كنيته يروى عن حبيب بن ابى ثابت وعاصم وابى اسحق وعنه احمد وعلى واسحق وابن معين والعطاردى قال احمد صدوق ثقة ربما غلط وقال ابو حاتم هو وشريك فى الحفظ سواء وفى الميزان اثنان غيره يقال لكل منهما ابو بكر بن عياش قال الانطاكى مات فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخارى والاربعة (لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما) اى قبل الشيخين (لقرابته) اى القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا له وجه وجيه فى الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولان اخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء اى لان اسقط (من السماء الى الارض) اى من المقام الاعلى الى المكان الادنى (احب الى من ان اقدمه عليهما) اى فى الافضلية فدفع توهم التفضيل فى القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضى الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وابى سفيان رضى الله عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال ابو سفيان للعباس اترى ان يقدم

علينا الموالى فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذى اختاره ابن عياش رأى له والا فالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم فى كل شئ فتأمل (وقيل لابن عباس رضى الله عنهما) كما رواه ابو داود والترمذى وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وسميت باسمها الا ان الراوى نسيها (فسجد) اى لعظم المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) اى لابن عباس (اتسجد فى هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) اى ابن عباس (اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) اى علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) اى فصلوا (واى آية اعظم) اى خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واحدة بعد واحدة حيث انهن من اخص اصحابه واقرب احزابه (وكان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى مع جلالتهما (يزوران ام ايمن) واسمها بركة (مولاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) اى فيتعين علينا زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمرو بن سعد بن ابى وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) اى امه من الرضاعة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زائرة مسترفدة وفى سيرة الدمياطى ان الواردة عليه انما هى ابنتها الشيماء اخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) اى نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفى الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفى) اى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفى نسخة صحيحة وفدت اى امه او اخته من الرضاعة (على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك) اى مثل صنيعه عليه الصلاة والسلام فى الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة ابا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى انكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما فى القضية والله تعالى اعلم بالحقيقة الحقية

(فصل)

(ومن توقيره) اى تعظيمه (وبره) اى ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) اى حقوقهم من فتح البلاد ودفع اهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) اى فى افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وحسن الثناء عليهم) اى اجمالا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذا فى مقام التفصيل اكمالا تبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) اى اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم اجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبى رحمه الله تعالى

وسلم لاحدى الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا

وفى الحديث اذا ذكر اصحابى فامسكوا وفى حديث آخر اياكم وما شجر بين اصحابى (ومعاداة من عاداهم) اى من الرافضة والناصبة لان الصحابة لا شك انهم اولياء الله وقد ورد من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب (والاضراب) اى الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها اى عن اقوال اصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) اى ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقات (كالرافضة) اى الطائفة التى رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) اى ممن زعم مشايعة على ومتابعته وهو برئ منهم ومتبعد عنهم واصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله وجهه ويزعمون انهم من شيعته اى من اتباع سيرته (والمبتدعين) اى فى الدين كبعض المعتزلة (القادحة فى احد منهم) اى الطاعنة فى احد من الصحابة وهم برءاء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) اى فى حقهم (من مثل ذلك) اى من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) اى المؤدية الى المحن اى يطلب (احسن التأويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى انهم حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة اى يحمل لافعالهم (اصوب المخارج) اى المحامل (اذ هم اهل لذلك) اى احقاء به هنالك (ولا يذكر احد منهم بسوء) لان الله قد اثنى عليهم فى مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبى عليه الصلاة والسلام امته فى تعظيم الصحابة بنحو قوله لا تسبوا اصحابى مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع اهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله او يقتل

(ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول اى لا يعاب (عليه) اى على احدمنهم (امر) اى يطعن به فيه لحديث الله الله فى اصحابى اى اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولا تحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفى الحديث لما قتل ابن آدم اخاه غمص الله الخلق اى صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفى نسخة يغمض بضاد معجمة والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه اى يصغر او يحتقر واغمض نام وفى الامر والبيع استجاز مالا يستجاز ووحط من غثه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك) اى عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغى فى حقهم (قال الله تعالى محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) اى من الصحابة مبتدأ خبره (اشداء على الكفار رحماء بينهم) اى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) اى راكعين ساجدين فى غالب اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) اى علامة انوارهم لائحة (فى وجوههم من اثر السجود) اى من تأثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) اى الذى وصفوا به (مثلهم) اى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (اخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها اى فراخه من اشطأ الزرع اذا افرخ (فآزره) من الموازرة اى المعاونة واصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) اى صار غليظا اى بعدما كان دقيقا رقيقا (فاستوى على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين اى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى اعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند اهل السنة (مغفرة واجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى والذين معه كناية عن الصديق واشداء على الكفار عبارة عن الفاروق ورحماء بينهم اشارة الى عثمان تراهم ركعا سجدا ايماء الى على يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) اى عز وجل (والسابقون) اى فى مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من اسلم قبل الهجرة او من صلى الى القبلتين او من شهد بدرا (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير (الآية) اى والذين اتبعوهم باحسان اى اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم المرضية ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها وفى قراءة المكى من تحتها الانهار خالدين فيها اى مقدرين الخلود فى نعيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) اى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) اى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم اعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان ابن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وانس بن النضر ومنهم من ينتظر ان يقضى نحبه اى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة اوجب طلحة (حدثنا القاضى ابو على) اى ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسين) اى المبارك ابن عبد الجبار الصيرفى (وابو الفضل) اى ابن خيرون (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو يعلى) اى البغدادى احمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) (ثنا محمد بن محبوب) بكسر اوله المشهور بالمحبوبى (ثنا الترمذى) وهو الحافظ ابو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفى نسخة مصغرا الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء فى آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) اى ابن قدامة ابو الصلت الثقفى الكوفى ثقة حجة صاحب سنة توفى غازيا بالروم سنة ستين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسفيانان اخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعى) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن حراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفى آخره معجمة هو ابو مريم العبسى سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وابو مالك الاشجعى حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم اين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفى سنة اربع ومائة اخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليمان ابو عبد الله العبسى وفى الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليمان

اثبات الياء فيه اصح من تركها وهو صحابى ايضا رضى الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد اخرجه المصنف من عند الترمذى كما رأيت وقد اخرجه الترمذى فى المناقب به ورواه ايضا من طريق اخرى واخرجه ابن ماجه فى السنة من طريقين وقد اخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر) هذا امر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (اصحابى كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى فى غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب انوار الشريعة (بايهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال اصحابى حديث آخر وقد اخرجه الدارقطنى فى الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن عدى فى الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فايهم اخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقى فى المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة قال الحلبى وكان ينبغى للقاضى ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند اهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا قول يحتمل انه ثبت باسناد عنده او جعل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال والله اعلم بحقيقة الاحوال (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى رواية البزار وابى يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابى) زاد البغوى فى المصابيح وشرح السنة فى امتى (كمثل الملح فى الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) اى بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما اى اتقوه اوراعوه (فى اصحابى) اى خاصة (لا تتخذوهم غرضا) اى هدفا للطعن (بعدى) اى بعد موتى او بعد غيبتى لانى اقوم امرهم بنصرتى فى حياتى وحضرتى (فمن احبهم فبحبى) اى اياهم او فبحبهم لى (احبهم) ويؤيده قوله (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال واما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) اى باللسان او الاركان (فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) اى فكانه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح اى يقرب (ان يأخذه) اى اخذ شديد ويؤاخذه بعذاب اكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا اصحابى) قال النووى هو من اكبر الفواحش وسيأتى عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففى بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو انفق احدكم) اى كل يوم كما رواه عبد بن حميد فى مسنده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه مرفوعا لو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) اى ما لا قدره او انفاقا مثله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) اى جميعه (مد احدهم) وفى نسخة صحيحة مد اصحابى وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه اقل ما كانوا يتصدقون به واصله كان الرجل يمد كفيه فيملأهما طعاما اى قدر مد طعام احدهم مما انفقوا فى محلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجانى فى شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير فى نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم لا يدرك بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) اى فيما رواه الديلمى عن عويم بن ساعدة وابو نعيم فى الحلية عن جابر رضى الله عنه (من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تأكيد ان ذكر او للناس فقط اى كلهم اى الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) اى ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء اى توبة او نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال اى فدية او فريضة وقال الماوردى الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعى ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووى

ومعنى الفدية هنا انه لا يجد فى القيامة فدآء يفتدى به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودى او نصرانى كما ثبت فى الصحيح وفى الحديث ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم (وقال) كما رواه الديلمى (فى حديث جابر رضى الله عنه ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابابكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى) وخير غيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفى اصحابى كلهم خير) الحديث خيركم قرنى فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها اى من اختاره الله (وقال) كما روى الطبرانى فى الاوسط عن ابى سعيد الخدرى بسند حسن (من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) لما اوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفى نسخة وقال (مالك ابن انس رضى الله تعالى عنه وغيره) اى من العلماء (من ابغض الصحابة) اى بجنانه (وسبهم) اى بلسانه والواو بمعنى او (فليس له فى فيء المسلمين حق) اى فيما ينال من اهل الشرك بعد ما تضع الحرب اوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفى حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفيء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاى فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول اى بعد عن الفيء فلا حق له فيه فهو تاكيد لما قبله فتكون الباء فى قوله (باية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع باية من القرآن اذا تلاها محتجا بها اى واستدل كل منهم على قوله ذلك باية الحشر وهى قوله تعالى (والذين جاؤا) عطف على المهاجرين فى قوله للفقرآء المهاجرين اى وللفقرآء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شأن الملة اوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى آمنوا قبلنا (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) اى حقدا وغشا (للذين امنوا) اى من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى وما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم اراد ان الله تعالى قد بين من له الحق فى الفيء فى هذه الاية ورتبهم على ثلاث منازل الفقرآء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعنى المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل فى قلوبنا غلا اى بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين (وقال) اى مالك بن انس رضى الله عنه (من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك ايضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) اى صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والاخرة (الصدق) اى مع الحق والخلق (وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايوب) وفى نسخة ابو ايوب وهى غير صحيحة (السختيانى) بفتح اوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من احب ابابكر) اى محبة كاملة (فقد اقام الدين) اى بقدم تقدم اليقين (ومن احب عمر فقد اوضح السبيل) اى بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه (ومن احب عثمان فقد استغنى بنور الله) اى عن الاستضاءة بما سواه (ومن احب عليا فقد اخذ) وفى نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كلهم (فقد برئ من النفاق) اى فهو مؤمن كامل صادق فى الوفاق (ومن انتقص) وفى نسخة ومن ابغض (احدا منهم فهو مبتدع) اى صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) اى من اكابر الامة (واخاف ان لا يصعد) بفتح اوله وبضمه اى لا يطلع (له عمل الى السماء) يعنى لا يقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) اى لهم كما فى نسخة (سليما) اى من الغل والحقد (وفى حديث خالد بن سعيد) اى ابن العاص بن امية بن عبد شمس كنيته ابو سعيد وخالد هو ابن عمرو بن سعيد فسعيد جده قالت بنته ام خالد واسمها امية كان ابى خامسا فى الاسلام وقيل كان رابعا او ثالثا قيل واسلم قبل ابى بكر او قبل على رضى الله عنه والله اعلم (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال) قال الحلبى وهو صحابى مشهور ولكن لا استحضر له شيأ فى الكتب الستة ولا فى مسند احمد ولا فى مسند بقى ابن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوى على هامش حاشية الحلبى ما صورته وجدت بخط الحافظ ايك على بعض نسخ الشفاء ما صورته كذا فيه خالد بن سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى والحديث ليس من روايته عن النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك ابن اخى كعب بن مالك عن ابيه عن جده سهل قال لما قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال (ايها الناس انى راض عن ابى بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس انى راض عن عمر وعن على وعن عثمان) وفى نسخة وعن عثمان وعن على (وطلحة) وفى نسخة عن طلحة اى ابن عبيد الله (والزبير) اى ابن العوام (وسعد) اى ابن ابى وقاص (وسعيد) اى ابن ابى زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) اى الزهرى (فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر ابا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوى (ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف وتشدد وهى قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء فى الحديث وهى بئر قال ابو حنيفة ومالك وهى من الحرم وخالفهما الشافعى رحمهم الله وقال ابن القصار والواحدى بعضها من الحل وفى صحيح البخارى والحديبية خارج الحرم اى باعتبار بعضها فلا ينافى ما تقدم والله تعالى اعلم (احفظونى) اى راعونى (فى اصحابى واصهارى) اى خصوصا وهم آباء زوجاته ابو بكر وعمر وابو سفيان رضى الله عنهم (واختانى) اى ازواج بناته عثمان وعلى وابو العاص بن ربيعة (لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما يأخذه ظالم وقيل كل منهما يطلق على الاخر والكسر اكثر وعليه الاكثر (فانها) اى مظلمتهم (مظلمة لا توهب فى القيامة غدا) والحديث رواه الطبرانى فى معجمه الكبير من رواية على بن محمد بن يوسف بن شيبان بن مسمع ثنا سهل بن يوسف بن سهل بن اخى كعب عن ابيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو ابو مسعود الازدى الموصلى احد الاعلام يروى عنه بشر الحافى وغيره قال شيخه الثورى رحمه الله هو ياقوتة العلماء اخرج له البخارى وغيره (اين عمر بن عبد العزيز) اى مقامه فى العدل والفضل (من معاوية فغضب) اى من قوله لما لاح له من اضمار افضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال لا يقاس على اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احد) اى لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمى والبزار ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم عد بعض مناقبه التى تقتضى علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض اصحابه فقال (معاوية صاحبه وصهره) اى اخو ام حبيبة من امهات المؤمنين (وكاتبه) اى لمكاتيبه وغيرها (وامينه على وحى الله عز وجل) اى حيث كان يكتب الوحى على خلاف فيه ولعل السائل سأله عن عمله وزهده وعدله لكن المسؤل عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر اصحابى فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال فى الحال لغبار انف فرس معاوية مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خير من الف عمر ابن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان اسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من اسلم بعده سوآء كان من الصحابة او التابعين والحاصل انه لا احد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت اكسيرا تؤثر تأثيرا كثيرا لمن رأه وآمن به صغيرا وكبيرا (واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) اى جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) اى بغير وجه شرعى (فانا بغضه) رواه الترمذى عن جابر وضعفه (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه (فى الانصار) اى فى حقهم (اعفوا عن مسيئهم) اى عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) اى كما لاتهم وللبخارى اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى ابو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن انس رضى الله تعالى عنه (احفظونى) بفتح الفاء اى احفظوا وصيتى (فى اصحابى) اى عموما (واصهارى) اى خصوصا ولعله تغليب يشمل اختانه ايضا قال النووى فى شرح مسلم عن اهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) اى الشأن (من حفظنى فيهم) اى راقبنى فى حقهم (حفظه الله تعالى فى الدنيا والاخرة) اى من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه) اى تبرأ منه واعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح اى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان اخذه اليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد ابن منصور عن عطاء بن ابى رباح مرسلا (من حفظنى فى اصحابى كنت له حافظا يوم القيامة) اى من نوع العقوبة (وقال) كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض) اى وسقيته منه مع اصحابى رعاية

لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظنى فى اصحابى) اى من جهة حقوقهم (لم يرد على الحوض) اى من قريب (ولم يرنى الامن بعيد) وهذا اشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبى مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) اى ارشدنا به الى امر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج فى جوف الليل الى البقيع) بالموحدة فى اوله اى مقبرة اهل المدينة (فيدعو لهم) اى بالرحمة (ويستغفر لهم) اى عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما فى حديث مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ فى الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لايترك شيأ مما يهم المودع الاذكره واوصى به (وبذلك امر الله وامر النبى) صلى الله عليه وسلم (بحبهم) اى بمحبة الصحابة (وموالاتهم) اى موالاة من والاهم من اهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) اى من الخوارج والروافض وسائر اهل البدعة (وروى عن كعب رضى الله عنه) اى كعب الاحبار كما ذكره الحلبى (ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الاوله شفاعة يوم القيامة) اى لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجى وحديث كعب ابن سعد ليس مؤمن من آل محمد الاله شفاعة (وطلب) اى كعب (من المغيرة بن نوفل) اى ابن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم (ان يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان من انصار على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وله جماعة اخوة ووالده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضى الله تعالى عنه وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما جده الحارث بن عبد المطلب فهو اكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغنى المقدسى لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة وابو سفيان وعبد الله وكان نوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم ابى سفيان والصحيح الاول يعنى انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ ابو الفتح اليعمرى حين ذكره واما الذهبى فقد ذكر فى كنى التجريد ابا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه وقال فى المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا اخو ابى سفيان فوهم بل هو ابو سفيان انتهى والله تعالى اعلم (قال سهل ابن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول) اى حق ايمانه (من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره) اى ولم يترك زواجره

(فصل)

(ومن اعظامه) اى تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) اى اعظام امره زيادة على اعظام امر غيره (اعظام جميع اسبابه) اى اسباب وصلته ومودته وفى حديث كل سبب ونسب ينقطع الاسببى ونسبى والمراد جميع ماينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم (واكرام مشاهده) اى مواضعه التى حضرها اونزل بها (وامكنته) اى مساجده (من مكة) كبيت خديجة رضى الله تعالى عنها مهبط الوحى ودار الارقم بن ابى الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده وبيوته ومواطنه (ومعاهده) اى واكرام معاهده التى كان يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا اوماشيا (وملامسه) اى مسه (عليه الصلاة والسلام اوعرف به) بصيغة المجهول اى عما يمكن اكرامه الآن واعظامه فى هذا الزمان (وروى عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابى محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلاة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدى وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم فى المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقبا ايضا وهو قرشى جمحى روى عنه ابن ابى مليكة وغيره اخرج له مسلم والاربعة واحمد فى المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما اقبل على الجبهة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) سمى بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) اى لم يعقدها (اصابت الارض) اى وصلت اليها من طولها (فقيل له) اى لابى محذورة (الا تحلقها) اى الا تقصرها بحلق اوبقص (فقال لم اكن بالذى احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انه ههنا هى القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذى ولفظه لفظ الغائب ايثارا لتغليب التكلم عليها لان الذى وان كان بلفظه هو الغائب الاانه فى المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وروى ابن عمر رضى الله عنهما) ماضى مجهول من الرؤية ابصر حال كونه (واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) اى وتمسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم اى فى قبعته او كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين وبسكن ويروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين اى ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفى نسخة حتى انكر (عليه اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعضهم (لكثرة من قتل فيها) اى فى مدة تلك الشدة وهى يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر

اومفعولا له (فقال) اى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) اى ذاتها كما توهمتم لانكم سيما ماعرفتم (بل) اى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا اسلب) بصيغة المجهول اى لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) اى ولئلا تقع (فى ايدى المشركين) اى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) اى وللتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لايركب بالمدينة دابة وكان يقول) اى فى وجهه اوفى جواب سائله (استحيى من الله ان اطأ) اى من ان ادوس (تربة) اى جملة تراب (فيها) اى دفن فى اجزاء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطأ اذ لو امكن للانسان ان لايطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشى فيها بعينيه لكان لائقا للتعظيم ما لديه صلى الله تعالى وسلم عليه (وروى عنه) اى عن مالك رحمه الله (انه وهب للشافعى كراعا) بضم اوله اى خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعى رحمه الله امسك منها دابة) اى واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن احمد بن فضلويه) بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما فى التلفظ بالوجهين على ماتقدم (الزاهد وكان) اى احمد (من الغزاة الرماة) بضم اولهما جمع الغازى والرامى يعنى ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال مامسست) بكسر السين الاولى وتفتح اى مالمست (القوس) اى قوسى اوقوس غيرى (بيدى الاعلى طهارة منذ بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ القوس) اى تناول قوسه اوقوس غيره (بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة) وروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهى فعيلة من الرداءة اى خبيثة غير طيبة (بضرب) بصيغة المجهول وفى نسخة بضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وامر بحبسه) اى تغليظا لامره (وكان له) اى والحال انه كان لهذا المعزر (قدر) اى جاه وعظمة امر عنده ومنزلة عند غيره (وقال) اى مالك رحمه الله زيادة على ماهنالك (ما احوجه) ما تعجبية (الى ضرب عنقه) اى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) اى مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة طيبة (وفى الصحيح) اى عند الشيخين عن على وانس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام فى المدينة) اى فى شأنها (من احدث فيها حدثا) اى امرا مبتدعا منكرا لايعرف فى السنة وقيل هو عام فى الاثام (او آوى) بالمد ويقصر اى ضم اليه اواليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل اى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه اوبفتحها فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضى ببدعة واقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفا) اى نافلة (ولا عدلا) اى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح اوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر اوله قال الحلبى وهذا هو ابن مسعود وقال ابو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع اجيرا لعمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان بسنة وسيأتى قريبا انه مات قبل الحول اى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (اخذ قضيب النبى) اى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) اى لمنعه عنه (فاخذته الاكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) اى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) اى الحول الذى وقع كسره فيه (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه مالك وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (من حلف على منبرى) اى فوقه اوعنده اوحوله (كاذبا) اى يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد اكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال اى حكى لى (ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة) اى السكينة (زائرا) اى مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم اى نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه اوغيره والبيتان لابى الطيب احمد بن الحسين المتنبى وسيأتى ترجمة المتنبى ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار اثرها (فؤادا) اى قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) اى عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باكافه كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) اى ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام اى تنزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط اوجمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز اوحال من ضمير نلم اى راكبين (وحكى) يروى وروى (عن بعض المريدين) اى للزيارة (انه لما اشرف على مدينة النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم انشأ) ويروى انشد جعل (يقول متمثلا) اى شاهدا او واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام فى الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول اى كشف الذى كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) اى لمع ولمح (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا او بحذف احدى التائين او بصيغة الماضى معلوما اى تضمحل (دونه) اى عنده (الاوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهى التى يركب مطاها اى ظهرها ويقال يمطى بها فى السير اى يعدو ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) اى التراب او الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر اوله اى عهد وامان والابيات لابى نواس الحكمى يمدح بها الامين اى امين الدولة كذا بخط السخاوى وقد ذكر السهيلى فى روضه فى غزوة مؤتة كقول ابى نواس (وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك) حذرا عليه من النصب هنالك (فقال) اى فى الجواب (العبد الابق) اى الهارب الشارد من سيده (يأتى) اى أيأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة الى باب مولاه وفى اخرى لا يأتى (لو قدرت ان امشى على رأسى) بل على عينى (ما مشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مشىّ (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم اى حقيق ولائق وخليق (لمواطن) اى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) اى بوحى النبوة (والتنزيل) اى وتنزيل القرآن (وتردد فيها) وفى نسخة بها اى فى الاتيان اليها (جبرائيل) اى دائما (وميكائيل عليهما السلام) اى احيانا (وعرجت) اى صعدت (منها الملائكة) اى المقربون (والروح) اى وارواح الانبياء والمرسلين او الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم اى صوتت (عرصاتها) اى اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) اى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) اى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها) اى عن تلك الاماكن (من دين الله) اى المأخوذ من كتابه (وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن اى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف اى وهذه مدارس آيات (بينات) اى واضحات او مبينات (ومساجد وصلوات) اى دعوات او عبادات (ومشاهد الفضائل) اى من مكارم الشمائل (والخيرات) اى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) اى الدلالات الواضحات (من الآيات) اى الخارقة للعادات (والمعجزات) اى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) اى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) اى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين) اى اماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها ويروى مثواه بسكون المثلثة اى منزله ومأواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) اى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (واين) اى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم اوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس اى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة اى اماكن انزالها ونزولها من مكة حين ايصالها او وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (واول ارض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى * واول ارض مس جلدى ترابها

(ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه والتقدير تعظيم اماكنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثم طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزداد الشوق اليه ومنه قول الشاعر *

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

(وتنسم) بالبناء للمفعول اى تستنشق وفى نسخة وتنسم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وفى رواية تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفى حديث مكة وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع ايضا (وجدراتها) بضم الجيم وبالفوقية فى آخرها لا بالنون وان كان هو ايضا جمع جدار وهو ما يحاط به عليها المراعاة السجع

(يادار خير المرسلين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبى الذى ظهر لى ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاحتراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعه وسكان تلك الرفعة الرفيعه وقال يادار خير المرسلين لحديث البخارى انا سيد الاولين والاخرين ثم قال ومن به اى بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) اى هداية الخلق (وخص) اى هو (بالآيات) اى المنزلة والمعجزات المكملة (عندى لاجلك لوعة) اى شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة فى حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح اولها اى رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعى كان يعجبهم ان يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعوآؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله فى سبق قدمه وابعد له عن ان يعجب بحاله او يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلىّ عهد) اى وعد وعقد (ان ملأت محاجرى) بفتح الميم ما دار بالعين اى نواظرى (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة اى لالوثن واغبرن (مصون شيبى) اى شيبى المصون ووجهى المكنون بتقليبى لهما (بينها) اى بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) اى تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشفات) بفتحتين فقاف كذا فى الاصول ولعل معناها رمى سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمى بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفى اصل الدلجى بالفاء وكذا فى بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهى مص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده فى كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه ثم لو صحت الرواية بالفاء لتعين ان يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه فى ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففى القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا اسكن للعطش (لولا العوادى) جمع عادية وهى شغل يصرفك عن الشئ يريد والله تعالى اعلم ما يعترى الانسان من العوارض التى تكون عوائق (والاعادى) جمع عدو (زرتها) اى تلك المنازل بسير المراحل (ابدا) اى دائما (ولو) اى وان كانت زيارتى (سحبا) من قولك سحبت الشئ فانسحب اى جررته فانجر اى سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر اولها او يضم وهى اعلى الخد (لكن سأهدى) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتى) اى تحيتى الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) اى لمقيمها او خادمها من قطن بالمكان اذا لزمه وفى حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى اى سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد بن حارثة فانى قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهى بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع او من الحجر لكونها مبنية منه (اذكى) بمعجمة اى اهدى من كثير التحية والثناء ما هو اضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة اى المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يذكى رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة فى اذكى ازيل عن اصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون اوقع فى نفس ارباب الاحوال (تغشاه) اى تحل بركاته وتغطيه (بالاصال) جمع اصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجى تبعا للحلبى والاولى ان يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون اى اول النهار والمراد بهما الدوام فى الايام والليالى تابعة لهما كما لا يخفى على الانام وفى القاموس الاصيل العشى والعشاء اول الظلام او من المغرب الى العتمة او من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشى والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكى الصلوات) بفتح الباء اى بطواهرها وكذا فى قوله (ونوامى التسليم والبركات) اى بنواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روى بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان الطف

(الباب الرابع)

اى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) اى عليه او لديه واختير التسليم على السلام مع ان كلا منهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد ولتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) اى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله اى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها وكيفيتها واختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لا المعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلا دلالة فى الاية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد اوضحت المسألة فى رسالة مستقلة (قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبى) اى ان الله يبارك له فى امره ويزيد فى قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع ذكره ويظهر امر مقفيه اشارة الى ان فى قوله يصلون مجازا مرسلا لا جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا استعمال المشترك فى معنييه كما هو مبين فى الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله

يترحم على النبى) اى يبالغ فى انزال الرحمة عليه فكانه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) اى
ويتواضعون لديه (قال المبرد واصل الصلاة الترحم وهى) وفى نسخة فهى (من الله رحمة) اى انزالها وايصالها
(ومن الملائكة رقة) اى موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) اى على نبى الامة وكاشف الغمة (وقد ورد)
ويروى وقد روى (فى الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس) اى فى مسجد ونحوه (ينتظر الصلاة) اى الآتية
او اذانها واقامتها (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولا يبعد ان يكون دعاؤهم للنبى بان يقولوا
اللهم عظم شانه وتمم برهانه واكرم كرامته واظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفى نسخة ابو بكر (القشيرى الصلاة
من الله تعالى لمن دون النبى) اى لغيره (رحمة) اى عامة (وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة
(وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) اى المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) اى بزيادة
لاكرام والانعام للنبى عليه الصلاة والسلام (وقال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وقد فرق)
بتشديد الراء وتخفيفها وهو اولى اى فصل (النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ
البركة) اى فى الحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من اصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد (فدل انهما) اى الصلاة والبركة (بمعنيين) اى متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء
(واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده) اى بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل ان يكون بمعنى الانقياد كما قال
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل
ان يراد به التسليم الذى بمعنى التحية فان السلام تحية اهل الاسلام او خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبى
عليه الصلاة والسلام (فقال القاضى ابو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه
الآية على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه) وكذا امرهم النبى ان يسلموا عليه
فى الصلاة بان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته (وكذلك من بعدهم) اى من التابعين وغيرهم
(امروا) اى تبعا لهم (ان يسلموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره) اى خصوصا (وعند
ذكره) اى عموما (وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك) اى حاصلة لك او السلامة الكاملة من
الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) اى ومصحوبة معك لا تنفك عنك فى جميع احوالك (ويكون السلام مصدرا)
اى كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذ بلذ الا انهما من الثلاثى المجرد والاولان من المزيد
(والثانى) اى من الوجوه (اى السلام) اى اسمه (على حفظك) اى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك)
اى مراعاة جميع امورك (متول له) اى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك او متول عونه ونصره له (وكفيل به) اى
ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون هنا) اى فى الوجه الثانى (السلام اسم الله) اى مصدر وصف به مبالغة
ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له) اى المصالحة والموافقة (والانقياد) اى
بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) اى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك
لنسألنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات
فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حاكما (فيما
شجر بينهم) اى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا شرعا لا طبعا او شكا
(مما قضيت) اى حكمت به (ويسلموا) اى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اى
وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصـــل)

اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) اى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة
اى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود اى غير موقت ومقدر (بوقت) اى بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه)
والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا او ماضيا كما فى نسختين صحيحتين
والمراد ائمة المجتهدين (والعلماء) اى من المفسرين والمحدثين (له) اى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (واجمعوا
عليه) اى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق اكثرهم لقوله (وحكى ابو جعفر) اى محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان
محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى الآية محمولة باعتبار امرها (عنده على الندب وادعى فيه الاجماع) اى
على الندب (ولعله) اى الاجماع المذكور (فيما زاد على مرة) اى لئلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ

وهو اسم فاعل مشتق فلاه اسم موصول صلته (الذى يسقط به الجرح) بفتح الجيم وسكون الراء اى الطعن والقدح
(ومأثم ترك الفرض) اى ويسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المقدم لانها اقل ما توجد فيها الماهية
المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) اى المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عدا ذلك) اى واما ما زاد
على مرة فيها (فمندوب) اى مستحب ومطلوب (مرغب فيه) اى مرغوب (من سنن الاسلام وشعار اهله) اى
علاماتهم فى احكام الاحكام (قال القاضى ابو الحسن ابن القصار) اى من المالكية (المشهور عن اصحابنا) اى علمائنا
(ان ذلك) اى ما ذكر من ان الصلاة (واجب فى الجملة) اى فرض غير موقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه)
اى على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتى به) اى بهذا الفرض وفى نسخة بها اى بالصلاة (مرة من
دهره) اذ به يخرج من عهدة امره (مع القدرة على ذلك) اى على الاتيان بها اذ هى شرط له ولهذا تسقط عن
الابكم (وقال القاضى ابو بكر ابن بكير) بضم موحدة وفتح كاف احد المالكية (افترض الله على خلقه) اى المؤمنين
(ان يصلوا على نبيه) اى تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) اى الافتراض (لوقت معلوم) اى فى وقت
معين وزمان مبين (فالواجب) اى مروءة او احتياطا او المراد به الوجوب الذى دون الفرض (ان يكثر المرء منها)
اى من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء اى لا يذهل (عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك
كما قيل فى الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فجعل لكل عبادة وقتا
معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا مبينا سواء يكون ذكرا لسانيا او جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير
موقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضى ابو محمد ابن نصر الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واجبة فى الجملة) هذا قول مجمل وفى بيان تفصيله (قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم) اى من الائمة المجتهدين (الى) وفى نسخة بدونها (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان) اى بقيد الايمان المذكور فى القرآن فلا تجب على اهل الكفر والكفران
(لا تتعين فى الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها ولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعى (وان) اى وذهبوا الى ان (من
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعى) اى تبعا له (الفرض منها) اى من الصلاة
(الذى امر الله) اى فى قديم كلامه (به) اى باتيانه (ورسوله) اى وامر به رسوله (عليه السلام) اى فى حديثه (هو
فى الصلاة) اى منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث ابى مسعود البدرى فى صحيحى
ابن حبان والحاكم اما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه اى فيما علمناه من تشهد الصلاة وهو السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره
زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لا دلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود
فيما رواه ابن ابى شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن اقوال تقال فى الصلاة ولا دلالة على وجوب الصلاة
بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العمرى بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة
وتشهد وصلاة على فى الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لا تكون صلاة كاملة ومع
وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعى قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد انه
علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز ان نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه
يجوز ان يقع الامران ويكون احدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة على
آله والشافعى لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالدعاء فيها ايضا وهو مندوب ايضا
قال الدلجى وزعم القرافى فى ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب فى زعمه
اذ لا اجماع على وجوبها فيه اقول ولعله اراد ان الاجماع على وجوب الصلاة فى الجملة وتعين الوقت ثبت بالسنة
وهذا معنى قوله (وقالوا) اى اصحاب الشافعى رحمهم الله (واما فى غيرها) اى غير الصلاة (فلا خلاف فى انها غير واجبة)
اى فيتعين كونها فى الصلاة واجبة اذ لا بد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجى الامرة واحدة كما مر غير
مستقيم فتدبر (واما فى الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر) وفى نسخة ابوا جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبرى)
وهو محمد بن جرير من اكابر الشافعية (والطحاوى) وهو محمد بن احمد بن سلام من اكابر الحنفية (اجماع المتقدمين)
اى من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) اى من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
فى التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجى بنقل النووى فى شرح المهذب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثيرين

قالوا بوجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابى مسعود البدرى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر ومقاتل رحمهم الله ومن غيرهم احمد بن حنبل كما قال ابو زرعة الدمشقى الاخر عملا حتى ان بعضهم اوجب ان يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد الزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه ان لهم ان يلتزموه لذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير ان يتعرضوا لكونه واجبا او مندوبا الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها او بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها او نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلانى لم ار من الصحابة احدا صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعى وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعى) اى انفرد هو ومن تبعه (فى ذلك) اى القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) اى الشافعى (من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفى نسخة الاخر وهو اشهد ان محمدا رسول الله (قبل السلام) اى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) اى لانها ركن تفسد بتركه (وان صلى عليه قبل ذلك) اى قبل اشهد ان محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى او قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه ان يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من اجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) اى لا سابقة قدم (له) اى للشافعى والمعنى ان احدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) اى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها اى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن اعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين اصلا بل رأسهم واساسهم ابو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فضلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من ان موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم اغرب فى قوله لم اقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا لقول عمر اذا رأيتم من يمزق اعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك احرى ان لا تكونوا شهداء (وقد بالغ فى انكار هذه المسألة عليه) اى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) اى من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) اى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون اى طعنوا (عليه الخلاف فيها) اى فى هذه المسألة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) اى صاحب الرسالة منهم ابو بكر ابن العلاء المالكى (وغير واحد) اى وكثيرون من غيرهم (وقال ابو بكر ابن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم ابن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع او عشر وثلثمائة (يستحب ان لا يصلى احد صلاة) اى فرضا او نافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) اى الاستحباب (فصلاته مجزئة) اى كافية له (فى مذهب مالك واهل المدينة) اى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى) اى اهل الرأى الثاقب الذى هو من اعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما اشكل من الحديث او فيما لم يرد به حديث بآرائهم (وهو قول جل اهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جمل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام اى اكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) اى الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) اى الاخير (مسئ) اى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) اى عمدا او سهوا (فى الصلاة) فرضا ونفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من اركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود سهو (واوجب اسحق) اى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقى من الحنابلة (وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن محمد ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) اى فى مذهب المالكية وهذا يحتمل ان يريد مرة او كلما ذكر او فى تشهد الصلاة (قال ابو محمد) هو ابن ابى زيد (يريد) يعنى ابن المواز (ليست) اى الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) اى من اركانها (وقاله) اى وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى روى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء اعرف باقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها) اى يرى الصلاة

(فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وصححه ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين وقال ابن عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى ابو يعلى العبدى) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكى عن المذهب) اى مذهب مالك (فيها ثلاثة اقوال الوجوب) اى كما قال الشافعى واشياعه (والسنة) اى المؤكدة كما قال ابو حنيفة واتباعه (والندب) اى كما ذهب اليه مالك وبعضهم ولا فرق عند اكثر الشافعية بين السنة والندب واما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضى حسين (وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره) بالرفع اى وغير الخطابى منهم الحافظ العراقى وابو امامة ابن النقاش (الشافعى فى هذه المسألة) اى حيث لم ير واله حجة واضحة من الادلة (قال الخطابى وليست) اى الصلاة عليه (بواجبة فى الصلاة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) اى من السلف والخلف (الا الشافعى) اى بالاصالة وانما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا اعلم له فيها) اى فى المسألة (قدوة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها اى مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفى نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) اى اقتفاء (قبل الشافعى) اى وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) اى على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) اى من المتأخرين (عليه) اى على الشافعى (هذه المسألة) اى فيها (جدا) اى بطريق المبالغة او مبالغين له فى التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) اى الذى هو اصح الفاظ التشهد حيث رواه اصحاب الكتب الستة ولهذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية ايضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى تخريج احاديث الرافعى فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم اجمعوا على جواز جميع الفاظ التشهد الوارد وانما الخلاف فى الاختيار فاختار ابو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه اصح سندا واختار الشافعى تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذى قرأه فوق منبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما قوله (الذى اختاره الشافعى) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه فى كتب اصحابه ان الذى اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) اى تشهد ابن مسعود (الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) اى وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر احدهما ذكر الاخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تاخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما فى مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائى (كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) اى ولم تختص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عنهما روى عن ابى سعيد) اى الخدرى (وقال ابن عمر رضى الله عنهما) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) اى وهو فوقه (كما يعلمون) اى الفقهاء وفى نسخة بصيغة الخطاب اى كما تعلمون انتم (الصبيان فى الكتاب) بضم فتشديد اى فى المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) اى التشهد (ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اى ولم يرد عن احد منهم ذكر الصلاة عليه فى هذا الباب (وفى الحديث لا صلاة لمن لم يصل على) رواه ابن ماجه والحاكم فى مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبرانى والدار قطنى قال وليس عندهم بقوى واليعمرى والبيهقى بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة فى عمره) وانما اوله بحديث البيهقى الدال على ان المراد به نفى الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجى بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفى عن المتبادر منه وضعا اعنى الحقيقة الجزئية الى ناقص لاغناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) اى بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوى فى القول البديع وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجة وابن ابى عاصم وسنده ضعيف وفى بعض طرقه من الزيادة لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن احمد فى احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن راهويه واهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وما اشبه

ذلك (وفى حديث ابى جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم (عن ابن
مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) اى فرضا او نافلة (لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل
منه) اى قبولا كاملا وفى نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضى الله عنه (قال الدارقطنى الصواب انه من
قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه) اى ابن على بن ابى طالب قال الحلبى وعلى كونه مرفوعا ايضا
يكون منقطعا لان ابا جعفر لم يدرك ابن مسعود واين ابو جعفر من ابن مسعود فانه على ما قيل ولد سنة عشر ومائة
وابن مسعود توفى سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على اهل بيته
لرأيت) من الرأى او معناه لظننت (انها لا تتم) اى لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجى قد حكم
القاضى ولم يشعر على نفسه بان للشافعى فيما قاله سلفا هو ابو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد له به

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ❋ وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على اهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا وعليه الشافعى وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق
عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل
او منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد فى بعض النسخ (وراويه) اى ناقل هذا الحديث عن
ابى جعفر (جابر الجعفى) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

❋(فصــــل)❋

(فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام) وفى نسخة التسليم (على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب) بصيغة
المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفى نسخة ويترغب (من ذلك) اى مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول
منها (فى تشهد الصلاة كما قدمناه) اى من الادلة واقوال الائمة (وذلك) اى محلها (بعد التشهد) اى الاخير على ما عندنا
(وقبل الدعاء) اى قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا ابو على القاضى) اى ابن سكرة (رحمه الله
تعالى بقراءتى عليه قال ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم البلخى ثنا الفارسى) بكسر الراء (عن ابى القاسم الخزاعى)
بضم اوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفى نسخة صحيحة عن ابى سعيد الهيثم
ابن كليب وعلى بن معيد ضبة وكنية الهيثم ابو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست فى الاصل والله اعلم (عن ابى
عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب الجامع (ثنا محمود بن غيلان) مروزى حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره
وعنه اصحاب الكتب الستة سوى ابن داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد
الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب اصله
من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابى حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم
وعنه البخارى واحمد وابن راهويه وابن المدينى وخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا
حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا
(ابو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح
الجيم وسكون النون فموحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة
اخرج له اصحاب السنن الاربعة (اخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب
الاول وهو انصارى اوسى شهد احدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
رجلا يدعو فى صلاته) اى فى آخرها (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الدعاء بها (فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة اى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة
لقبوله وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة اى عجل امر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) اى طلبه (فقال له ولغيره)
اى تخاطبه خطابا عاما غير مختص به (اذا صلى احدكم) اى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه)
اى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما مر (ثم ليدع بعد) اى بعد الصلاة عليه
(بما شاء) اى بما احتاج اليه اى بما لا يسأل من الناس والحديث اخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح
واخرجه ابو داود ونحوه فى الصلاة وكذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) اى بتعظيمه وهو بتقديم
الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) اى اللفظ الثانى او سنده (اصح) اى
مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول ابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم لا دلالة فى الحديث على وجوب
الصلاة كما توهمه الدلجى لان هذا امر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب

بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلاة (وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) اى
المكتوبة والنافلة (معلق) اى كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح اوله وضمه اى لا يطلع ولا يرفع (الى الله)
اى محل قبوله او مكان عرشه (منه) اى مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) اى منهما (حتى يصلى) اى الداعى وفى نسخة
بصيغة المجهول فى صلاته (على النبى صلى الله عليه وسلم) اى قبل دعائه رواه الترمذى الا انه فى الحصن الحصين بلفظ
حتى يصلى على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن على كرم الله
وجهه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) رواه ابو الشيخ فى الثواب عنه (وقال) اى على فى رواية زيادة
(وعلى آل محمد) ولفظ البيهقى فى شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته وفى رواية وآل محمد وهذا
معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) اى ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله
عليه وسلم) وفى الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر اهل بيته انما هو لبيان الاحرى ثم اعلم ان حديث
على رواه الطبرانى فى الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن على مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال
المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد
الرزاق والطبرانى بسند صحيح عنه (اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيأ) اى فى الصلاة وغيرها (فليبدأ بحمده) وفى نسخة
بحمده (والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى) اى هو (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما
وبقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقى ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده
من قوله (ثم ليسأل) اى مطلوبه (فانه اجدر) اى احق واليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم او بفتحهما
من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وانجحه الله وفى الحديث دليل على استحباب
الصلاة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل وتدبر (وعن جابر) فى رواية البزار وابى يعلى والبيهقى فى شعب
الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى) اى مؤخرا مع كونى مقدما (كقدح الراكب) اى
حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروى معناه لا تؤخرونى فى الذكر كتأخير الراكب
تعليق قدحه فى آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان ❋ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
انتهى ونحوه لابن الاثير وقد اخذه منه او التقدير لا تجعلونى مثل ماء قدح الراكب فى الالتفات اليه عند الحاجة وتركه
عند حال السعة قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) اى فى رحله (ويرفع متاعه) اى
على مركوبه او يضع القدح حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) اى شربه (شربه او الوضوء)
اى او احتاج اليه (توضأ والا) اى وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) اى صبه وفى نسخة اهراقه بسكون
الهاء وقيل بفتحها والهاء فى هراق بدل من همزة اراق يقال اراق الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه اهرقت
الماء اهريقه اهراقا فجمع بين البدل والمبدل قال الحجازى ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلونى فى اول الدعاء
واوسطه وآخره) اى اذكرونى بالصلاة على فى هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عنى عموما (وقال ابن عطاء
للدعاء اركان) اى يقوم بها كالاخلاص (واجنحة) اى يطير بها او يصعد بسببها ولا بد من وجودها كاكل الحلال
(واسباب) اى احوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (واوقات) اى ازمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة
وقد بينا كلها فى شرح الحصن الحصين (فان وافق) اى الدعاء (اركانه) بان قارنها (قوى) اى باستناده اليها
(وان وافق اجنحته طار فى السماء) اى صعد اليها (وان وافق مواقيته) اى ازمنته وامكنته (فاز) اى نجح اجابته
وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق اسبابه انجح) اى ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) اى لمشاهدة
الرب (والرقة) اى اللينة من اثر الرحمة (والاستكانة) اى الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) اى الانكسار
والافتقار والخشية (وتعلق القلب بالله) اى بنفى ما سواه (وقطعه) اى الداعى (للاسباب) وفى نسخة عن الاسباب
اى اعتمادا على رب الارباب (واجنحته الصدق) بان لا يجرى على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا فى قوله
وفعله وبارا فى عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) اى ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت
الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (واسبابه الصلاة) اى انواعها بجعلها فى اول الدعاء واوسطه وآخره
(على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) اى بلا اجابة بل يستجاب البتة
وقد قال الشيخ ابو سليمان الدارانى اذا سألت الله حاجة فابدأه بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ادع بما
شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع
ما بينهما (وفى حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث

الترمذى عن عمر (وفى دعاء ابن عباس الذى رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشين معجمة وهو ابن عبد الله شيبانى صنعانى دمشقى نزل افريقية يروى عن على وغيره وثقه ابو زرعة وغيره توفى سنة مائة (فقال فى آخره واستجب دعائى ثم تبدأ بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصلى) اى بان تصلى وفى نسخة فتقول اللهم انى اسألك ان تصلى (على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين) تأكيد لما قبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبى هذا الحديث الذى اشار اليه القاضى ليس هو فى الكتب الستة والذى لحنش عن ابن عباس حديث ياغلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث اخرجه الترمذى فى الزهد وحديث آخر عند ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود معك ماء قال لا نبيذ فى سطيحة الحديث اخرجه ابن ماجه فى الطهارة وليس له عن ابن عباس شئ فى بقية الكتب ولا فيها الا هذين لحنش هذا ترجمته فى الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان الحديث ليس له اصل صحيح لكن الضعيف يذكر فى الفضائل والمصنف امام جليل فى حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم والله اعلم (ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره او سماع اسمه او كتابته) وفى نسخة او كتابه (او عند الاذان) اى الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما فى رواية مسلم عن ابى هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح اى لصق بالتراب وذل (انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) وفى حديث بعثت مرغمة للمشركين وفى هذا دعاء عليه اى لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظيمى بالصلاة على حين سمع اسمى (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبى احد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول باسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال باسم الله والنبى ونحوه فلاشك انه حرام ولا يحل اكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان اصحاب ابى حنيفة كرهوا الصلاة فى هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو ابو سعيد عبد السلام (الصلاة عليه عند التعجب وقال) اى فى تعليله (لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لما قبله ويؤيده ما قال بعض ائمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته او نشر سلعته وارادة ترويجها او اجتماع الناس عليها يكفر وفى تحفة الملوك ومنحة السلوك للعينى ويحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم او عرض سلعة او فتح متاع انتهى ثم ما ذكره الانطاكى من قوله كذلك كره اصحابنا الحنفية للسوقى ان يصلى عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشترى لانه يقصد بذلك تحسين بضاعته وترغيب المشترى فى تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغى ان يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله اعلم (قال) وفى نسخة وقال (اصبغ) بفتح فسكون فموحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج بن سعيد بن نافع ابو عبد الله الاموى مولى عمر بن عبد العزيز المصرى الفقيه يروى عن ابن وهب والدراوردى وطائفة وعنه البخارى وجماعة قال ابن معين كان اعلم خلق الله برأى مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو ابو عبد الله المصرى الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد اخرج له البخارى والنسائى ورد عنه قال خرجت الى مالك اثنى عشرة مرة انفقت كل مرة الف دينار (موطنان لا يذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم اوله وهو العطسة (فلا تقل) بصيغة الخطاب وفى نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) اى فى الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) اى لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده ما رواه ابو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لا حظ لى فيهما عند العطاس والذبح واخرج الديلمى فى مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن انس وهو عند البيهقى فى السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تذكرونى فى ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولو قال بعد ذكر الله صلى الله تعالى) وفى نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسمية) وفى نسخة تسمية (له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها (وقاله) اى وذكره ايضا (اشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود ابو عمر القيسى المصرى الفقيه يروى عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفى بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وله اربع وستون سنة اخرج له ابو داود والنسائى قال ابن يونس هو احد فقهاء مصر وذوى رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأى والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم فى الرأى (قال) اى اشهب (ولا ينبغى ان تجعل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى فيما ذكر او فى كل منهما (استنانا) وفى نسخة استنثانا اى سنة واستحسانا خلافا للشافعى حيث قال لا اكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى وسلم على

محمد بل احب ذلك (وروى النسائى) وكذا ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن اوس بن اوس) ثقفى صحابى مكى دمشقى اخرج له اصحاب السنن الاربعة واحمد فى المسند قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه اوس خمسة واربعون (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة على فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء ورواه ايضا احمد وابن ابى عاصم والبيهقى والطبرانى وابن خزيمة وصححه النووى فى الاذكار وجاء فى هذا الباب احاديث كثيرة وفى بعضها تعين عدد الصلاة بثمانين وفى بعضها بمائة وفى بعضها بالف وكذا وردا حاديث فى الصلاة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة عليه والسلام) اى الجمع بينهما (دخول المسجد) اى بعد تحققه وحصوله او قصد دخوله ووصوله (قال ابو اسحق ابن شعبان) اى المصرى المالكى (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم) اى عليه وعلى آله كما فى نسخة (تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج من المسجد (فعل مثل ذلك) اى من الصلاة والدعاء ويروى يقول مثل ذلك (وجعل موضع رحمتك فضلك) وهذا مأخوذ من حديث احمد وابى يعلى والترمذى وحسنه عن فاطمة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك واصله فى حديث مسلم وليس فيه ولا فى غيره وترحم وبارك ثم لا يخفى مناسبة طلب الرحمة فى دخول المسجد للطاعة وملائمة طلب الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو ابو محمد مولى قيس مكى امام يروى عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة والسفيانان والحمادان وهو عالم حجة اخرج له الائمة الستة (فى قوله) اى الله سبحانه (فاذا دخلتم بيوتا) بكسر الباء وضمها (فسلموا على انفسكم) اى على اهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) اى ابن دينار وهو من كبار التابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفى نسخة فان (لم يكن فى البيت احد فقل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته) اى لان روحه عليه السلام حاضر فى بيوت اهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) اى من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على اهل البيت) لعله اراد بهم مؤمنى الجن (ورحمة الله وبركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لا سيما وسابقه بيوتكم وبيوت آبائكم الاية ويؤيده حديث انس متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) اى فى رواية ابن ابى حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله اراد انها تشمل المساجد فانها افضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه فى بيوت اذن الله ان ترفع الاية فالتنوين للتكثير او اراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها اعلى المشاهد (وقال النخعى) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل (اذا لم يكن فى المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن فى البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ولا منع من الجمع فيهما (وعن علقمة) اى ابن قيس الفقيه النبيه (اذا دخلت المسجد) اى انا (اقول السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) اى اجمع بين الصلاة والسلام عليه (ونحوه عن كعب) اى كعب الاحبار (اذا دخل المسجد واذا خرج) اى فى الوقتين (ولم يذكر الصلاة) اى كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) اى فيما مر من انه ينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى الخ ويروى لما ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد) لكن سبق انها لم تذكر فيه ترحما ولا مباركة وحديثها اخرجه الترمذى فى الصلاة وفيه ارسال فاطمة بنت الحسين ولم يذكر فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ماجه فى الصلاة ايضا (ومثله) اى ومثل حديثها او مثل حديث علقمة (عن ابى بكر ابن عمرو بن حزم) اى الانصارى قاضى المدينة واميرها يروى عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الاوزاعى ونحوه اخرج له الائمة الستة (وذكر) وفى نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث) اى حديثها (آخر القسم) اى الثانى وفى نسخة فى آخر هذا القسم (والاختلاف فى لفظه) اى من رواية عنها (ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز) وذكر) اى وروى (عن ابى امامة انها من السنة) قال الحلبى ابو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة ابو امامة الانصارى ولد فى زمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام

وكذا ويرد عليه وحديثه مرسل وروى عن عمر وعنه الزهرى ويحيى بن سعد وخلق فان قيل لم قلت ان ابا امامة هذا
الظاهر انه سعد فالجواب ان حديثه المشار اليه هو فى مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهرى اخبرنى
ابو امامة ابن سهل انه اخبره رجال من الصحابة فى الصلاة على الجنازة انه يكبر الامام ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ويخلص الصلاة فى التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة ان يفعل من وراءه مثل
مافعل امامه قال الزهرى حدثنى بذلك ابو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذى قال لمحمد بن سويد فقال
وانا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة فى صلاة صلاها على الميت مثل الذى حدثنا به ابو امامة
على شرطهما سكت عليه الذهبى ولم يتعقبه وله حديث فى سنن النسائى السنة فى الصلاة على الجنازة ان يقرأ
فى التكبيرة الاولى بام القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم ان التكبيرات عندنا اركان
واما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجى
ان الصلاة على النبى عند الشافعى من اركانها ومحلها كما جزم به فى المنهاج التكبيرة الثانية لحديث النسائى ومحمد
ابن نصر المروزى عن ابى امامة ابن سهل الصحابى لا ابى امامة الباهلى قال السنة فى الصلاة على الجنائز ان يكبر
ثم يقرأ بام القرآن ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى التكبيرة الاولى
ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة التى مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها) اى على عاملها (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرسائل) اى المكاتيب
والوسائل (ويكتب بعد البسملة) او الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) اى ابتداء الرسائل بها (فى الصدر الاول) اى
فى زمنه عليه السلام مطلقا او فى زمن اصحابه شائعا فلا ينافى ماذكره الدلجى من انه اول من فعله من الخلفاء
ابو بكر بشهادة مافى سيرة الكلاعى ان بنى سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريفة بن حاجر بسم الله الرحمن
الرحيم من ابى بكر خليفة رسول الله الى طريفة بن حاجر سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واسأله
ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد الخ وفى اذكار النووى عن حماد بن سلمة ان مكاتبة المسلمين كانت
من فلان الى فلان اما بعد سلام عليك الخ واصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم احدث هذه الزنادقة هذه
المكاتبات المبدوءة بالطلبقة اى اطال الله بقاك (واحدث) بصيغة المجهول اى وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند
ولاية بنى هاشم) اى بنى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح (فضى به عمل الناس فى اقطار
الارض) اى نواحيها (ومنهم من يختم به) اى بماذكر من الصلاة عليه عليه السلام (ايضا) مع الابتداء به او بدونه (الكتب
اى المكاتيب (وقال عليه السلام من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب) رواه
الطبرانى فى الاوسط بسند حسن والخطيب فى شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ فى الثواب وغيرهم (ومن مواطن
السلام) اى بانفراده (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) اى فى اثنائه (قال) كذا فى نسخة اى
المصنف (حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) اى من مشايخه المعروفة
عنده ولا يضره قول الحلبى لا اعرفه (قال) اى ابو القاسم (حدثتنى كريمة) وفى نسخة صحيحة قالوا حدثتنا (بنت محمد)
وفى نسخة بنت احمد وقد تقدمت (قالت ثنا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى
(ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا ابو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروى عن الاعمش
وطائفة وعنه البخارى وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن شقيق بن سلمة) اى الاسدى مخضرم
سمع عمر ومعاذا وقال ادركت سبع سنين من سنى الجاهلية وكان من العلماء العاملين اخرج له الائمة الستة (عن عبد
الله بن مسعود) وقد رواه اصحاب الكتب الستة عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتمد الدلجى على اصله
السقيم فقال ظاهره على انه موقوف عليه وهو فى حكم المرفوع (قال اذا صلى احدكم) اى فرضا او نفلا (فليقل) اى
فى كل قعدة من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) اى العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله
(السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) قال الدلجى وانما قال عليك دون على النبى تبعا للفظه عليه السلام وقت
علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذ كان حيا فلما توفى ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخارى عن ابن مسعود
كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام على النبى قلت ان ثبت عنه انه اراد بهذا فى الصلاة
فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الائمة الاربعة على ان المصلى يقول ايها النبى وان هذا من خصوصياته عليه السلام
اذ لو خاطب مصل احدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها) اى جملة السلام علينا الى آخرها (اصابت) اى السلامة او كلمة السلام (كل عبد صالح فى السماء) من

الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقوم باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) اى وقت اداء
الصلاة او تشهد الصلاة (احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد) اى بعد الثناء على الله سبحانه وقبل ان يقول
الشهد (وقد روى مالك) اى فى الموطأ (عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) اى السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم) اى ليخرج
من صلاته (واستحب مالك فى المبسوط) وفى نسخة فى المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) اى استحب فيها ان يقال مارواه
ابن عمر (قبل السلام) اى من صلاته قال الدلجى وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة اراد) اى مالك
(ماجاء عن عائشة وابن عمر رضى الله تعالى عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) اى ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوى الانسان)
اى المصلى اماما او مأموما او منفردا (حين سلامه) اى من صلاته عن يمينه ويساره وفى نسخة عند سلامه (كل عبد)
وفى نسخة على كل عبد (صالح فى السماء والارض من الملائكة وبنى آدم والجن) اى ممن حضره فان اصحاب
ابى حنيفة على ان الامام ينوى بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدى الا انه ينوى امامه ايضا فى تسليمة
واحدة اذا كان فى احد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوى الملك فقط وذكر الدلجى ان اصحاب الشافعى
على ان الامام ينوى بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوى به من عن يمينه ويساره وهو الرد
(وقال مالك رحمه الله فى المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجى وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن
الصلاة عليه تزيد على اربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقنى على جمعها اجعلها فى رسالة مستقلة
مع ماورد فيها من الادلة

(فصل)

(فى كيفية الصلاة عليه والتسليم) اى بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا
فى نسخة اى المصنف (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ثنا القاضى ابو الاصبغ) بفتح الهمزة
والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا ابو بكر ابن واقد) بالقاف
المكسورة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابو عيسى) المفهوم من كلام الدلجى انه الامام الترمذى وهو الظاهر
عند اطلاقه وقال الحلبى هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير ووافقه الانطاكى ويؤيده قوله (ثنا
عبيد الله) قال الحلبى هذا عم ابى عيسى الذى قبله وهو عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) هذا هو يحيى
ابن يحيى الليثى احد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبد الله بن ابى بكر بن حزم) وفى نسخة ابى بكر
ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن ابيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقى) بضم الزاى وفتح الراء مخففة فقاف
فياء نسبة انصارى يروى عن ابى قتادة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وعنه الزهرى وطائفة (انه قال اخبرنى
ابو حميد) بالتصغير (الساعدى) منسوب الى بنى ساعدة من الانصار خزرجى مدنى له صحبة بقى الى حدود ستين
(انهم) اى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة
وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلاة عليه فى الصلاة لان الاصل فى الامر الوجوب والاجماع
على عدم وجوبها فى غير الصلاة ولعل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها فى الصلاة آكد والله اعلم
(اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه
من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر لا من باب الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اكمل الخلق فالصلاة
المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد فى بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد (وبارك) وفى رواية
اللهم بارك (على محمد) اى اثبت وادم مامنحته اليه وانعمته عليه (وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد) اى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت اولم تحمد على لسان مخلوقاتك او حامد بكلماتك على ما اظهرت من
آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لا نحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه واسنده اليه بنحو
قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد)
اى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان والحديث قد اخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد اخرجه
البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة

فالجواب انه يقع له من الموطأ اعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة اشخاص من غيراجازة فى الطريق (وفى رواية مالك)
اى فى الموطأ (عن ابى مسعود الانصارى رضى الله عنه) اى البدرى لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وابومسعود
هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) اى آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو
صلى الله عليه وسلم ايضا من اشرف آله فتكون الصلاة مضاعفة عليه فى حاله واذا دخل فى الآل يرتفع ماسبق
فى التشبيه من الاشكال والله اعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه
يكون افضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم تواضعا عندربه اوهضما لنفسه اوتأدبا مع جده وقيل سأل صلاة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا وهذا ايتم الاجماع قيل من انه اراد المشابهة فى اصل الصلاة لاقدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عندقوله صل على محمد وقوله
وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لايخفى وقيل
هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة ابراهيم وآله فالمسئول مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول
فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لايحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى
تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى اسرآئيل من نسل اسحق ونبينا
من نسل اسماعيل فهو صلى الله عليه وسلم من جملة آله فآله باعتبار هذا المعنى وما له اعظم والله اعلم (وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) اى فى جميع الاحوال (مجيد) اى كثير البر والنوال
(والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح اوله اومشددة مع ضم اوله اى كما عرفتم فى التشهد (وفى رواية كعب
ابن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من اصحاب الشجرة روى عنه الشعبى وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى
وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفى نسخة على
آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) اى مبالغ فى المجد والشرف والكرم وعن
على كرم الله وجهه اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد اى اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) اى كما رواه مسلم وغيره
عنه مرفوعا (فى حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى) اى الذى على اصل خلقته لم يتعلم قرآءة ولا كتابة بعد ولادته
فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته (وعلى آل محمد) قال الشافعى رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال
الدلجى ويؤيده قول الحسين بن على انا آل محمد لانأكل اولا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع
اقاربه واهل بيته وقيل ازواجه وذريته اوجميع امته ورجحه النووى فى شرح المهذب وقيده القاضى حسين
بالاتقياء منهم فى حديث البخارى وربما يقال امة الاجابة كلهم اتقياء فان اول التقوى ترك الشرك وقدورد كل تقى
آلى نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة فى المقام الاعلى (وفى رواية ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه
اللهم صل على محمد عبدك) اى الاكمل (ورسولك) اى الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم اوللعهد المخرج توهم
التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) اى معنى الحديث ومبناه
ويروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى سماعا عليه وابو على الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوى)
اى المنسوب الى النحو لمهارته فى علمه وشهرته فى فنه (بقرآءتى عليه قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو عبد الله
ابن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) اى العالم بالفقه (ثنا ابو بكر المطوعى)
بفتح الواو مشددة (قال ثنا ابو عبد الله الحاكم) اى النيسابورى شيخ اهل الحديث فى عصره وصاحب التصانيف
فى دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فى ربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء ابيه وخاله فسمع سنة
ثلاثين وثلاثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال فى خراسان وماورآء النهر وسمع من الفى شيخ تقريبا
وفى مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة ايضا لايخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة قد ضعفهم
هو فى مواضع اخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفى فى صفر سنة خمس واربعمائة (عن ابى بكر ابن ابى دارم) بكسر
الرآء (الحافظ) اى الشيعى التميمى محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله ابن القصار واحمد بن موسى الحمار وغيرهما
روى عنه الحاكم وتكلم فيه ابو بكر ابن مردويه وآخرون وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب
توفى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (عن على بن احمد العجلى) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة
وفى نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدى ليس حديثه بذاك قاله فى الميزان قال الحلبى لكن
ذكره ابن حبان فى ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو قال الذهبى فيه عن جعفر الصادق قال الازدى

كذاب (عن عمرو بن خالد) هو ابو خالد القرشى مولى بنى هاشم كوفى نزل واسط يروى عن حبيب ابن ابى ثابت
وزيد بن على وابى جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن ارطاة واسرآئيل واسماعيل ابن ابى عياش وخلق كذاب له ترجمة
قبيحة فى الميزان (عن زيد بن على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب وهو ابو الحسين العلوى المدنى اخو محمد الباقر
وعبد الله وعمرو وعلى وحسين روى عن ابيه وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهرى وزكريا
ابن ابى زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة
اثنتين وعشرين ومائة (عن ابيه على) ابوه على بن الحسين بن على بن ابى طالب زين العابدين يروى عن ابيه وعائشة
وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمرو والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى مارأيت قرشيا افضل منه ثقة
مأمون (عن ابيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب قال) اى على (عدهن) اى الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر
بمابعده (فى يدى) وفى نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال)
اى النبى عليه الصلاة والسلام (عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا) اى الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء
التأنيث وفى نسخة نزلت بهن (من عندرب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم) وفى نسخة ربنا اى يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه اصحاب الكتب الستة عنه صلى الله عليه وسلم (اللهم وترحم)
بتشديد الحاء على صيغة الدعاء اى اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) اى اظهر الحنان وهو على ما فى القاموس كسحاب الرحمة والرزق والبركة
والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من اسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذى يقبل على من اعرض عنه
فلا يبعد ان يقال المعنى على قصد التجريد فى المبنى اللهم واقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال
الحلبى هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجى ما اورده المصنف هنا عن ابى عبد الله
الحاكم فقد قال النميرى اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطى وهو متروك لوضعه على اهل البيت وفيه حرب
ابن الحسين الطائى ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد اجمع العلماء على انه يعمل به
فى فضائل الاعمال (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية ابى داود عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم من سره) اى اعجبه (ان يكتال) بفتح الياء وروى بضمها اى يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت) بالنصب على المدح اوبتقدير يعنى وفى نسخة بالجر على انه بدل من الضمير فى علينا (فليقل) اى فى صلاته
اوفى جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبى) اى الموصوف بالرسالة (وازواجه امهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى
وازواجه امهاتهم (وذريته) اى اولاده وحفدته (واهل بيته) اى اقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت (كما صليت على ابراهيم) اى بقولك رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد ولهذا ختم بقوله (انك حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى) وهو الخزرجى
الحارثى المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد وهذا تكلم فى زمن عثمان بن عفان
رضى الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عنه (سألت النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم كيف نصلى عليك فقال صلوا) اى الصلاة بشرآئطها واركانها وسننها (واجتهدوا فى الدعاء) اى
بعد التحريمة وفى الركوع والسجود وفى آخر الصلاة (ثم قولوا) اى وقولوا وعبر بثم للترقى اوللتراخى فى الاخبار ولا يبعد
ان يراد بالاجتهاد فى الدعاء المبالغة فى الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج فى ضمن
التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) اى اكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد) وفى الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ماسبق افضل واكمل
فتأمل (وعن سلامة الكندى) بكسر الكاف ذكره ابن حبان فى الثقات (كان على رضى الله تعالى عنه يعلمنا)
وفى رواية يعلم الناس (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف
وقد صح سنده قال الدلجى لكن اعل وان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره
ابن حبان انه روى عن على وروى عنه نوح بن قيس الطاحى انتهى ومثل هذا لايقال فى الارسال ثم رأيت قال الشيخ
ابن كثير فى تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن الحباب ويزيد بن هارون ثلاثتهم عن نوح بن قيس
ثنا سلامة الكندى ان عليا كان يعلم الناس (اللهم داحى المدحوات) بتشديد الواو وفى رواية المدحيات بتشديد

التصبية فهما اسما مفعول من دحا يدحو ويدحى اى باسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اى بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفى الآيتين رد على اهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشئ اى خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وفى قرآءة من تفوت اى نقصان وزيادة وقصور فى مادة اى خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت فى الروايات وروى سامك المسموكات اى رافعها وما احسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفى العبارة ترقى فى الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرآئف صلواتك) اى خيارها وارفعها قدرا واتمها نورا قيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبى فقال كان يحقرنى كنت آتى مع ابراهيم النخعى فيرحب به ويقول لى اقعد ثم ايها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * مادام فينا بارضنا شرف

ولعله كان يعمل بما روى نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامى بركاتك) الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف اى بركاتك النامية اى الزاكية الدائمة فى الزيادة الكافية الوافية (ورافة تحيتك) اى اجعل رأفة تنشأ من تحيتك والرأفة اشد الرحمة وفى نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين اى رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا اى واجعل اشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) اى الجامع لوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما اغلق) بصيغة المجهول اى المبين لمشكلات الامور قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فهو فاتح لما عسر من ابواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة ابواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع فى الغواية وفى الحديث اوتيت مفاتيح خزآئن السموات والارض وكانه اراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفى حديث آخر اوتيت مفاتيح الكلام اى ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاعة بالوصول الى حقائق المبانى ودقائق المعانى مما اغلق على غيره من الخلق اجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) اى من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازى مشيرا الى انه الذى افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال اول ما خلق الله روحى او نورى اولانه كالعلة الغائية فى ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل فى مقام العبادة وحالة العبودية (والمعلن الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض اى المظهر لامر الحق (بالحق) اى بطريق الصدق وليس المراد بهما معنى واحدا حتى يصح للدلجى ان يقول وضعه موضع ضميره قصدا لزيادة تمكينه وتلويحا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفى نسخة الاباطل بلا ياء واصل الدمغ اصابة الدماغ وهو مقتل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اى القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اى هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهى القوة ومنها الاضلاع اى فقوى على ما حمله ونهض (بامرك) اى باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له او فقام بمأمورك الذى كلفته حمله (لطاعتك) اى لاجلها او تمثلا لها وفى نسخة صحيحة بطاعتك فالباء للسببية فتشارك اللام فى معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاى اى منتصبا ناهضا او قائما مستعجلا (فى مرضاتك) اى لطلب ما فيه رضاك او فى تحصيل مرضاتك وزاد الدلجى فى اصله بغير نكل فى قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون دال من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن فى اقدام ولا وهن فى عزم اى ولا ضعف فى امر حزم وحكم حتم وجزم وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابى بكر متى توتر قال اول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابى بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم ولا خير فى عزم بلا حزم واما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعى وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء اى مراعيا له او حيثه اليه وفاهما لما فيه

لديه صلى الله وسلم عليه (حافظ العهدك) اى الذى عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص فى عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفى هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اى مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتى وحالة طاقتى لعجزى عن بلوغ كنه ما اوجبته على من اطاعتى فى عبادتى وطاعتى اوعن دفع ما قضيته على فى سابق قضائك اى ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتا ما فانى اتنصل منه معتذرا اليك (ماضيا) اى جاريا ومستمرا او مقدما (على نفاذ امرك) بالذال المعجمة اى على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى اورى قبسا) من اوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس اى اخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور والجملة غاية لما قبلها اى لم يزل مجاهدا فى ابلاغ ما امر به مرغبا فى موافقته مرهبا من مخالفته حتى اظهر دينا بينا كالقبس نورانيا (لقابس) اى لطالب النور الموجب للحضور والسرور (الاء الله) بالرفع مبتدأ اى نعمه (تصل باهله اسبابه) بالنصب اى وسائله التى قدرها وذرآئعه التى قررها وفى اللوح المحفوظ حررها وفى اصل الدلجى لقابس آلاء الله بالاضافة اى لمبتغى سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله اى باهل القبس يعنى بالمبتغين له اسبابه بالرفع اى وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية بما به الفوز ابدا معاشا ومعادا (به) اى به عليه الصلاة والسلام (هديت القلوب) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى قلوب اهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والاثام) اى بعد دخول القلوب فى ميدان فتن الايام وشروعها فى مهاوى المعاصى والاثام (وانهج) اى عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط فى اصل الدلجى لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات فحذف الجار واوصل الفعل اقول وعلى تقدير صحة تركه وانهج لا يبعد ان يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات اعلام الغيوب وقال الانطاكى هو بفتح الضاد على بناء المفعول اى فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمناه اولى وانسب بقوله (ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر اى واضحاتها وبيناتها وقول الحلبى نايرات بالنون اوله ومثناة تحت بعد الالف محمول على ما قبل الاعلال والا فيقرأ بالهمز فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من انار متعديا اى ومظهرات احكامه ورافعات اعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقرآءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله وسلم عليه (امينك المأمون) اى حافظ دينك وعهدك الذى ائتمنته عليه وفوضت امر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) اى وسائر ما استودعته من اسرار الربوبية التى تعجز عن ادراكها عامة ارباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) اى الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى اممهم الاشقياء (يوم الدين) اى يوم الجزآء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء امته من العلماء والاولياء وهم شهدآء على امم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولا منع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) اى مبعوثك الذى بعثته اى ارسلته (نعمة) اى للمؤمنين اى هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) اى الى الخلق (رحمة) اى للعالمين لمن آمن فى الدنيا والاخرى ولمن كفر فى الدنيا لا فى العقبى (اللهم افسح له) اى وسع لاجله المقام الاعلى (فى عدنك) اى فى جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه سمى بها جنتها للعلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو فى الجنان كآدم فى نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن وجنات عدن التى وعدتهم والاشتقاق ايضا يدل على انه اعم والله اعلم ويروى فى عدلك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدلك اى فى موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل وسكون جيم فزاى مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكانه تصحف على الدلجى حيث لم يذكر هذا الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من اجازه اذا اعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وزآء اى اعطه اجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال أجره يأجره ويأجره وآجره كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبى قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاى المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكى حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) اى انواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ

لايجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى
الطعام يهنأنى اذا ساغ بلا تنغيص وكل ما اتاك بلا تعب كذا ذكره الدلجى وهو توهم انه من الثلاثى المجرد ولا يس كذلك
بل هو من باب التفعيل (غير مكدرات) بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات اى غير منغصات (من فوز ثوابك)
بالزاى اى من اجل الظفر باجرك (المحلول) اى الذى يحل فيه وفسر بالمنول وتصحف الفوز على الدلجى فقال من فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة اى من سريع فضلك الذى لا ابطؤ فيه (وجزيل عطائك) اى كثيره (المعلول)
مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب اولا وقد وهم الدلجى حيث قال فى الاول
بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد اخرى فشبه وافر عطائه
بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رحمه الله كانه منهل بالراح معلول (اللهم أعل) بفتح الهمزة وكسر
اللام امر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة امر من التعلية اى ارفع (على بناء الناس)
وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله
او على منازلهم فى الجنة منزله او اعل بناء دينه على بناء اديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين
كله اى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجى اواطل على
ذواتهم ذاته حتى لا يطوله احد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من
قتل انسانا ظلما من حيث ان اصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه
بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لايكتنفه طويل الا
الاطاله مع انه كان ربعة الى الطول اقرب فى سائر احواله المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الا ان يقال المراد
باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد
الانبياء عليهم السلام وبلاغه قوله (واكرم مثواه لديك) اى منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاى اى اجره
وثوابه وجزاءه وهو فى الاصل الطعام المهيأ للضيف (واتمم) بتشديد الميم المفتوحة وفى نسخة واتمم (له نوره) اى الذى
سألتك ان تجعله فى قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتحلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف
وفى الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (واجزه) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء اى جزاءه الذى يوجب
سروره قال الحلبى الاجر معروف وهو منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجى واجزه
الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاى وانه جعله امرا معطوفا على اكرم او اتمم وكانه تبع الحجازى فى قوله ويروى
واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من ابتعاثك) مصدر من باب الانفعال من البعث اى من بعثك اياه وفى نسخة من
الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب او باتمم وهو اقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة)
اى تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا اممهم الرسالة بعد ما جحدوا تبليغهم اى اياهم يوم القيامة ونصبه على
الحال من ضميره او على المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) اى مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) مصدر سمى به
نوضع موضع عادل مبالغة فى جعل منطقه عدلا اى ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجى حيث قال مبالغة
فى جعل نفسه عدلا فانه لو اريد به هذا المعنى لنصب عدل فى المبنى كما لا يخفى (وخطة فصل) اى وذا خطة فصل
والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع او الفرق او بمعنى الفاصل اى ذا حالة رشد
وهداية واستقامة والمعنى اذا الم به خطب عظيم وامر مشكل جسيم فصله برأى قويم وفى حديث الحديبية لا يسألونى
خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا اعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) اى وذا دليل واضح وبيان قاطع عظيم
فى ميدان البيان بحيث يصير الشئ الغائب كالامر العيان (وعنه) اى وعن على كرم الله وجهه (ايضا فى الصلاة على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى جملة الفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبى)
اى فمن اولى بذلك (الآية) يعنى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعنى لا سيما وقد امرنا بذلك نصر بحا بعد
ما اشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول (لبيك) اى اقامة بعد اخرى بخدمتك
ودمنا بحضرتك (اللهم) اى يا الله امنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربى) اى يا ربى (وسعديك) اى نساعد
عبادتك مساعدة بعد مساعدة فى طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو ابلغ من البار ولذا لم يرد
فى اسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من اولى البر وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اى عليكم مشفقة
كالوالدة البرة بولدها البار يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البر بار باهله وقال تعالى
الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا واما البحر فانه يغرق اهله ولا يفرق حزنه وسهله وقد ورد البحر من جهنم

رواه الحاكم والبيهقى عن يعلى بن امية (الرحيم) اى كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين)
اى وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) اى العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) اى
القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق اجمعين (وما سبح لك من شئ) اى وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد
تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية لها
وفى نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة اى صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك اى ما دام يسبحك شئ
(يا رب العالمين) اى مربيهم ومدبر امورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين)
لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) اى من ارباب اليقين (ورسول رب العالمين) اى الى كافة الخلق
اجمعين (الشاهد) اى للانبياء (البشير) للاولياء (الداعى اليك باذنك) اى بامرك وتيسيرك (السراج المنير) اى
من ابصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) اى مما يغشى غيره من الملام وسوء
المقام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلمه لى وسلمنى منه اى
لا يغشانى فيه ما يحول بينى وبين صومه وسلمه لى اى حذرا من ان يغم على الهلال اوله وآخره فيلتبس على صوما
وفطرا وسلمنى منه اى بعصمتى فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان (اللهم اجعل
صلواتك) اى اجناسها (وبركاتك) اى انواعها (ورحمتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير) اى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) اى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما)
نصبه على الظرفية اى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى
لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بامته جماعته المحتاجة الى شفاعته
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل
فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول
مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة اى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل
يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط اى يخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط
والمخبوط من غير ان يحصل هناك ضرر لاحد منهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم) اى من الانبياء من ذريته
(انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من اراد ان يشرب
بالكاس الاوفى) اى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) اى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى
(فليقل) اى دائما او كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) اى من يؤول اليه امره ويعظم لديه قدره
وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (واصحابه) اى من ادرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته
(واولاده) اى الشاملة ابنائه واحفاده (وازواجه) اى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته
(واهل بيته) اى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) اى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره)
اى من المهاجرين والانصار (واشياعه) اى اتباعه من اهل القرى والامصار (ومحبيه) اى من العلماء الاخيار
والصلحاء الابرار (وامته) اى الداخل فيهم المؤمنون الفجار (وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس) فى رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسماعيل القاضى فى فضل الصلاة على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) اى العظمى وهى التى بفصل القضاء بين
اهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) اى مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) اى
أعطه مسئوله (فى الآخرة والاولى) اى الدنيا وسميت اولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير
وفى نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكى الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة
ثقة حجة (انه كان يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه) اى من الخيرات (واعط محمدا افضل ما سألك
له احد من خلقك) اى من المقامات (واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيامة) اى من الكرامات (وعن
ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى فى رواية ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده (انه كان
يقول اذا صليتم على النبى عليه الصلاة والسلام فاحسنوا الصلاة عليه) اى فى المبنى والمعنى (فانكم لا تدرون) اى

مايترتب عليه هنالك (لعل ذلك) اى اذاقبل (يعرض عليه) اى يبلغ اليه (وقولوا) اى مثلا (اللهم اجعل صلواتك) اى انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) اى لنفسه (وقائد الخير) اى لغيره (ورسول الرحمة) اى لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم) زيد فى نسخة فى العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من اصح انواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (ومايؤثر) اى مايروى (من تطويل الصلاة) وفى نسخة فى تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على اهل البيت) قال الحجازى ويروى عن اهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) اى من اصحابه وازواجه واتباعه واشياعه (كثير) اى يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) اى وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا اومرفوعا (والسلام كما قد علمتم) اى بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم فى التشهد من قوله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفى تشهد على رضى الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) اى بالموت وغيره (ومن شهد) اى حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتى الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) اى من ازواجه وذريته (واغفر لى ولوالدى وماولدا وارحمهما) سيأتى تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وماولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت ابيه وبعض اخوته كافرين قال الدلجى ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهما لولديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك لتعليم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء فى هذا الحديث عن على الدعاء للنبى بالغفران وفى حديث الصلاة) بالاضافة اى الذى اسنده (ايضا) ويروى فى حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه اى عن على قبل ذلك وهو المذكور فى اوائل هذا الفصل (قبل) اى من طريق الحافظ ابى عبد الله الحاكم فقبل مبنى على الضم وقوله (الدعاء له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر اى الدعاء له بالرحمة فى حديث الصلاة على النبى المروى عن على (ولم يأت فى غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما اولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها احد معانى الصلاة وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلاة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفى رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى او الاشتغال بالامور المباحة اورؤية التقصير فى مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشانه وعلو مكانه لحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ماتقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد فى القضية او من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو الدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه اى ادم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب ابو عمرو بن عبد البر) وهو من اكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبى صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التى تختص به) وفى كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لاجل النهى يحتاج الى دليل مثبت للدعوى وقد اغرب الدلجى حيث قال لافتقارهم اليهما دونه ووجه غرابته ان كل احد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اغفر لى وارحمنى وانما الكلام فى دعاء غيره له بهما لانه كان فى مقام التواضع والادب كما يقتضى استغناء الرب ثم رأيت فى شمائل الترمذى ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلاة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر ابو محمد ابن ابى زيد) اى المالكى فى رسالته زيادة الترحم (فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم) اى بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت) بتشديد الحاء وفى نسخة ترحمت (على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا) اى الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة ويروى ولم تأت هذه الرواية (فى حديث صحيح) قال الدلجى اذ ما ورد بزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف فى فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث الصحيح او الحسن فى الاحكام من الاقوال واما قول النووى فى شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر فمسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به فى الاذكار بان ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد فى بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهى لا تنافى سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة ويقويه ما ذكره المصنف بقوله (وحجته) اى دليل

ابن

ابن ابى زيد الذى اخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) اى قول النبى عليه الصلاة والسلام حال تعليم امته (فى السلام السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغنى احد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعى ذكر فى الشرح الكبير عن الصيدلانى انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد فى الخبر وانه غير فصيح فانه لا يقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه فى حق الله سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفى الصيدلانى ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطريق الحديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية فى مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال فى موضع آخر بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبى وقد راجعت تلخيص المستدرك للذهبى فرأيت مالفظه بعد انتهاء مسنده الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تشهد احدكم فى الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وقد جاء فى جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء فى رواية على وابن عباس وجابر وجاء ايضا فى حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضى مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما فى النسائى الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يا رسول الله رأيت خلخالها وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففى تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة او حكم عليه بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة فى انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالى انه لا يجوز ترحم وقول الرافعى انه لا يحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووى انه قال واما ما قاله بعض اصحابنا وابن ابى زيد المالكى من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا اصل لها وكانه غفل عما ورد وذهل عن قول الشافعى فى الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم فى حقه فهذا رد على مقلده هذا وقد قال شمس الائمة السرخسى من اصحابنا الحنفية لا بأس بقول وارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان احدا لا يستغنى عن رحمة الله تعالى

(فصل)

(فى فضيلة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) اى وفى فضيلتهما (حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا) اى حدثنا (القاضى يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا ابو بكر ابن معاوية) اى ابن الاحمر الاندلسى وقد روى النسائى الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائى) اى صاحب الجامع (انا) بالموحدة او النون اى اخبرنا او انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزى يروى عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذى والنسائى ثقة (انا) اى اخبرنا او انبأنا (عبد الله) اى ابن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم المروزى ابو عبد الرحمن شيخ خراسان يروى عن سليمان التيمى وعاصم الاحول والربيع بن انس وعنه ابن مهدى وابن معين وابوه تركى مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به اخرج له الائمة الستة (عن حيوة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال اخبرنى كعب بن علقمة) اى التنوخى المصرى تابعى يروى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان فى الثقات واخرج له مسلم وابو داود والترمذى والنسائى (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشى مصرى مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفى سنة سبع وتسعين اخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وابو داود والترمذى ايضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) اى اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى جوابا له واختلف فى الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا على) اى بعد اجابة المؤذن (فانه) اى الشان (من صلى على مرة) اى واحدة كما فى نسخة (صلى الله عليه عشرا) اى لوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل مراتب اضعاف اعمالها وهو لا ينافى ما ورد فى مسند احمد بسند حسن موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة صلى الله عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذه المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ وردان الاعمال كلها فيه بسبعين

ضعفاء وهو يؤيد ما ورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) اى الله تعالى كما فى نسخة (لى الوسيلة) وهى المرتبة الجليلة (فانها منزلة) اى درجة جليلة (فى الجنة لا تنبغى) اى لا تليق او لا تحصل (الا لعبد) اى عظيم (من عباد الله) اى الصالحين (وارجوا ان اكون انا هو) اى ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها او مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اى ان اكون انا ذلك العبد كما اشرنا اليه (فمن سأل لى الوسيلة) اى وهى نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتى اى فتنته ونزلت به وفى نسخة حلت له الشفاعة اى ثبتت وفى رواية وجبت له شفاعتى اى حقت (وروى انس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما فى شعب الايمان (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) اى واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) اى قبلها بتكرعبده (وحط) اى وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية) اى لابى يعلى (وكتبت له عشر حسنات) اى ثوابها (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ابى شيبة فى مسنده (عنه عليه الصلاة والسلام ان جبريل نادانى) اى خاطبنى (فقال من صلى عليك صلاة صلى الله تعالى عليه عشرا) اى عشر مرات (ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقى فى شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لى انى ابشرك) اى اخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) اى عشرا او اكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفى الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) اى نحو مروى ابن عوف (من رواية ابى هريرة ومالك بن اوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضى الله تعالى عنهم وعنه الزهرى وابن المنكدر وقال انس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة واحمد بن صالح صحح هذا الحديث والاصح عند الذهبى انه عنده تابعى وحديثه مرسل (وعبد الله ابن ابى طلحة) اى زيد بن سهل الانصارى وفى بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وهو اخو انس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفى زمن الوليد فهو تابعى له رواية روى عن ابيه ثقة اخرج له مسلم والنسائى وله عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن (وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفى رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة وعنه احمد بن حنبل ثم هذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الانصارى مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر ابن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفا بن شريح الحضرمى قيل ولعل المصنف اورده فى اصله عن زيد بن الحباب عن رويفع ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وعن ابن مسعود) اى مرفوعا (اولى الناس بى) اى اقرب الناس منى واحقهم بشفاعتى (يوم القيامة اكثرهم على صلاة) رواه الترمذى وابن حبان (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال من صلى على فى كتاب) اى بان كتب فيه الصلاة (لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمى) يروى ما دام اسمى (فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر فى هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب ما نقل ايضا من ذلك الكتاب والله اعلم بالصواب (وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) اى واحدة او اكثر (صلت عليه الملائكة ما صلى على) اى مدة صلاته على (فليقلل) امر من التقليل او من الاقلال (من ذلك) اى من قول الصلاة اى عبد كما فى نسخة (او ليكثر) امر من التكثير او الاكثار والمراد به الاخبار والاختيار ما هو المختار رواه احمد وابن ماجه والطبرانى فى الاسط بسند حسن (وعن ابى بن كعب) على ما رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما ويسكن الثانى وفى رواية المصابيح اذا ذهب ثلثا الليل (قام) اى من نومه او فراشه (فقال يا ايها الناس) كانه ينادى اهل بيته او خواص امته (اذكروا الله) اى فى حال الانتباه واتركوا ما عداه (جاءت الراجفة) اى النفخة الاولى التى ترجف الارض باهلها والمعنى قرب مجيئها ويموت كل احد عندها (تتبعها الرادفة) اى تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين النفختين اربعون سنة يقول الله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شانه لله الواحد القهار او يقول الخلق بلسان الحال فى جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك فى نظر ارباب الاسرار واصحاب الانوار لا ملك الا لله الواحد القهار رب السموات

والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) اى من سكراته ومنكراته او بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الباب (فقال) الظاهر وقال اذ لا يظهر وجه رابطة بالفاء (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك) اى لكثرة محبتى اليك رجاء حصول الشفاعة لى لديك ويروى انى اكثر من الصلاة عليك (فكم اجعل لك من صلاتى) اى من زمان دعائى لنفسى او من اوقات عبادتى النافلة (قال ما شئت) اى قدر ما اردت من تقربك بى (قال) اى ابى (الربع) بالنصب اى اجعل لك من صلاتى ربع اوقاتى (قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ما شئت) اى اخترت قليلا او كثيرا (وان زدت) اى على الربع (فهو خير) اى لك كما فى نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين ويسكن الثانى وهو بالنصب كما مر (قال ما شئت وان زدت فهو خير) قال الحجازى وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفى غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث فى الترمذى ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتى) اى اوقات دعائى (كلها لك) اى لذكرك وما يتعلق به من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين اى حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفى رواية همك اى ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثانى لتكفى وفى نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم ير ان يعين له حدا مقدرا من الليالى والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد فى مقام المرام ولانه به يحصل كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلوات المصطفوية (وعن ابى طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائى وابن حبان والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرته (وطلاقته) اى بساطته ولطافته (ما لم اره قط) اى ابدا قبل ذلك (فسألته) اى عن سبب ما هنالك (فقال وما يمنعنى) اى عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) اى ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما فى السبعة اى هذه الساعة فكانها اقدام الانف من كمال قربها (فاتانى ببشارة من ربى ان) بفتح الهمزة اى هى ان او بان (الله بعثنى اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من امتك) اى امة الاجابة (يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) اى بدلها او بسببها (عشرا) فهذا الذى يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضى نشرا (وعن جابر ابن عبد الله) على ما رواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء) اى الاذان او الاقامة او الاعلام باحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) اى الدعاء الى العبادة (التامة) اى الكاملة الشاملة (والصلاة القائمة) اى الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) اى الذريعة المنيعة وفى نسخة والدرجة الرفيعة وفى نسخة بزيادة الفضيلة وقد ورد ان الوسيلة منزلة فى الجنة فالفضيلة اعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفى نسخة المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا بعد ان اشفع للخلق عموما (الذى وعدته) اى له فى الآخرة الذى بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته اى فى القرآن قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة) اى الخاصة (يوم القيامة وعن سعد بن ابى وقاص) كما رواه مسلم (من قال) يروى انه قال من قال (حين يسمع المؤذن) اى صوته (يتشهد وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) مقول (وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا) نصبه وما قبله من الاسمين على التمييز (غفر له) اى ذنبه (وروى ابن وهب) اى بسند منقطع (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة) اى فى الاجر والمثوبة (وفى بعض الآثار ليردن) من الورود بمعنى ليأتين (على اقوام ما اعرفهم) يروى لا اعرفهم (الا بكثرة صلاتهم على) رواه الاصبهانى فى ترغيبه عن انس (وفى آخر) اى وفى اثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (انجاكم) اى اسبقكم نجاة (يوم القيامة من اهوالها ومواطنها) اى مواقفها (اكثركم على صلاة وعن ابى بكر) اى الصديق كما فى نسخة (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب) اى اطفأ (من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهانى فى ترغيبه بلفظ الصلاة عليه افضل من عتق الرقاب وحبه عليه الصلاة والسلام افضل من مهج الانفس او من ضرب السيف فى سبيل الله وفى الجامع الصغير الصلاة على نور على الصراط فمن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين

عاما على ما رواه الطبرانى والدارقطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

(فصـــل)

(فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) اى واثم من لم يصل عليه وفى معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت فى الاية الشريفة وجوبهما فى الجملة الا انه ليس فيها ما يدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (رحمه الله ثنا) اى حدثنا (ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادى (وابو الحسين الصيرفى) وفى نسخة ابو الحسن والصواب بالتصغير (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو يعلى) اى ابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين (ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى) اى الامام الترمذى صاحب الجامع (ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى) اى البغدادى والدورقى نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزى بانه منسوب لبلد فقد صرح ابو احمد الحاكم فى الكنى فى ترجمة يعقوب بما قاله المزى وله تصانيف قال ابو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) اى ابن مقسم الاسدى روى عنه احمد والزعفرانى (عن عبد الرحمن بن اسحق) اى ابن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشى العامرى مولاهم المدنى يروى عن المقبرى والزهرى وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال ابو داود قدرى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخارى ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد ابن ابى سعيد) اى المقبرى (عن ابى هريرة رضى الله عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (انف رجل) اى ذل ولصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل على) اى اعراضا او تهاونا او كسلا او نسيانا (ورغم انف رجل دخل رمضان) اى عليه (ثم انسلخ) اى خرج عنه (قبل ان يغفر له) اى بان لم يفعل فيه ما يستحق به غفران ذنوبه (ورغم انف رجل ادرك) اى بلغ (عنده ابواه الكبر) بالنصب على المفعول من ادرك والفاعل ابواه وانما خص حال الكبر لانه احوج حال الانسان الى الخدمة والاحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء اى بان لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى ان برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) اى راوى ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (واظنه) اى ابا هريرة (قال او احدهما) اى بطريق الشك او على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وابعد الدلجى فى جعل ضمير اظنه راجعا اليه صلى الله تعالى وسلم عليه (وفى حديث آخر) كما رواه الطبرانى عن ابن عباس وانس وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك ابن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وابى هريرة وعمار بن ياسر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين اى طلع عليه (فقال) اى عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) اى عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال ان جبرائيل اتانى فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب اى ذكرت (بين يديه) اى عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر بسمعه (فلم يصل عليك) اى عقب ذكر اسمك (فمات) اى تاركا الصلاة عليك غير تائب مما وقع له من التقصير بالنسبة اليك (فدخل النار) اى بسبب ترك صلاته لاستهانة او عدم مبالاة او لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته فى شدة حالته (فابعده الله تعالى) اى عن ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى ولذا قال جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا فى الدرجة الاولى من المنبر وانما قدم هذه الحالة على البقية لانها كالمقدمة فى القضية (وقال) اى جبرائيل فى الدرجة الثانية (فمن ادرك رمضان فلم يقبل منه) اى صيامه وقيامه (فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بل هو الاظهر فتدبر اى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا فى حق من حقوق الله سبحانه (ومن ادرك) وفى نسخة وقال اى جبرائيل من ادرك (ابويه او احدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة اى لم يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفى نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى وصححه والبيهقى فى شعب الايمان والنسائى من حديث ابنه الحسين عن ابيه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) اى كل البخل كما فى رواية (الذى) اى هو الذى (ذكرت عنده فلم يصل على) اى حيث بخل على بزيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر ابن محمد) كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عنه (عن ابيه) اى مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وابوه هو الباقر وهو تابعى فالحديث مرسل ورواه الطبرانى فى الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الدلجى كونه

مبنيا للفاعل ايضا وكانه قصد به النسبة المجازية (وعن على بن ابى طالب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) اى كامل البخل حيث بخل بما لم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله فى حاله وماله (من ذكرت عنده فلم يصل على) وقد تقدم هذا الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله اعلم بالصواب وفى الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على رواه احمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن ابى هريرة) كما رواه ابو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عنه (قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) اى مكان جلوس او جلوسا وفى نسخة صحيحة مجلسهم (ثم تفرقوا) اى قاموا عنه ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله ويصلوا) اى وقبل ان يصلوا (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت) اى وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة اى منقصة او تبعة وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة كعدة ومقة ومنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم وروى ترة بالنصب اى كانت الجلسة او التفرقة عليهم مضرة (ان شاء) اى الله (عذبهم) اى بتركهم كفارة المجلس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفر لهم) اى مع تقصيرهم ويكون فضلا (وعن ابى هريرة) على ما رواه البيهقى فى الشعب عنه مرفوعا (من نسى الصلاة على) اى تركها ترك المنسى (نسى طريق الجنة) اى تركها واخطأها وضبطه الدلجى بضم اوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكى (وعن قتادة) اى من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يراد به الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة فى المعنى وان كان معرفة فى المبنى ونظيره قوله تعالى فاكله الذئب (فلا يصلى على) لغلظ طبعه وعدم مراعاة شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقى (عنه عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) اى منه (على غير صلاة) حال وفى نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف اى تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) اى الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن ويروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردى الكلام ومذمومه فى مقام المرام (وعن ابى سعيد) كما رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبى صلى الله عليه وسلم) اى او لا يذكرون الله تعالى فيه كما فى رواية (الا كان) اى ذلك المجلس (عليهم حسرة) اى يوم القيامة كما فى رواية ولان الجنة لا حسرة فيها فلا بد من هذا القيد ليستقيم قوله (وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقامهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجى بعد قوله وان دخلوا الجنة فيزدادوا حسرة ليس فى محله (لما يرون) اى فيها (من الثواب) اى الاجر العظيم بالصلاة على النبى الكريم (وحكى ابو عيسى الترمذى) اى صاحب السنن (عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل) اى رجل بل اى شخص (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجلس) اى فى مجلس (اجزأ) بالهمز واجزى لغة فيه اى كفى (عنه ما كان فى ذلك المجلس) اى ما دام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوى من اصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله اعلم وعن صاحب المجتبى من ائمتنا بتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفى الجامع الصغير كرر آية السجدة فى المجلس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا فى الصلاة ولا تسن السجدة لكل مرة وفى الصلاة تسن لكل مرة

(فصـــل)

(فى تخصيصه) اى تخصيص الله اياه (عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه) او سلم عليه (من الانام) اى الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (القاضى ابو عبد الله التميمى ثنا الحسين بن محمد) وهو ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا ابن عوف) اى الطائى الحافظ الحمصى شيخ ابى داود والنسائى وغيرهما (ثنا المقرى) هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب اصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابى حنيفة وغيره وعنه البخارى واحمد وابن راهويه وابن المدينى اخرج له الائمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن ابى صخر) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن ابى صالح السمان وابى سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال احمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث ووثقه النسائى اخرج له الائمة الستة (عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه) اى على من سلم على (السلام) مفعول ارد والحديث رواه ابو داود واحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره

الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف عن استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاظهر المعتقد المعتمد انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره كسائر الانبياء في قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا في الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه اعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكى يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك او عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام (وذكر ابو بكر ابن ابى شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبى ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى فى الثقة (عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبرى سمعته) اى من غير واسطة (ومن صلى على نائيا) اى بعيدا عنى (بلغته) بصيغة المجهول مشددا اى بلغنيه الملائكة وفى رواية ابلغته والحديث ايضا رواه ابو الشيخ فى الثواب والبيهقى فى الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمنى هو الصواب وقال الحلبى عن ابى مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصارى (ان) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) اى سيارين (فى الارض يبلغونى) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل او الافعال اى يوصلونى (عن امتى السلام) اى على فارده عليهم رواه احمد والنسائى وابن حبان والحاكم والبيهقى فى الشعب (ونحوه عن ابى هريرة وعن ابن عمر) اى موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) اى السلام (يؤتى به) اى يبلغه (منكم فى كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد اكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة فان صلاة امتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم منى منزلة رواه البيهقى عن ابى امامة ورواه عن انس بلفظ اكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا او شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن ابى الدرداء اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله (وفى رواية فان احدا لا يصلى على الا عرضت صلاته على حين يفرغ منها) اى اول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفى نسخة حتى يفرغ منها فالمعنى ان جميع صلاته وان اطال فى كلماته تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن ابى هريرة وابن عدى عن انس وابو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا اكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على (وعن الحسن) برواية الطبرانى وابى يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة السلام حيث ما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى) اى تصل الى بواسطة الملائكة يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن ابى هريرة صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وروى ابن عدى عن ابن عمر وابى هريرة صلوا على صلى الله عليكم وروى احمد والنسائى وجماعة صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه فى مسنده والبيهقى فى شعبه موقوفا (ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلى عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) اى من عباد الله (اذا صلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) اى اسم المصلى عليه بخصوصه (وعن الحسن بن على) كما رواه ابن ابى شيبة وعنه ابو يعلى عن زين العابدين على بن الحسين (اذا دخلت المسجد) اى اردت دخوله او اذا حققت وصوله (فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى) اى قبرى كما فى رواية لانه فى بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبرى عيدا ومعناه النهى عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور انبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وابنائهم ونسائهم فنهى النبى صلى الله عليه وسلم امته عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ويحتمل ان يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هى افضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتى ولا تجعلوها كالعيد تزورونى فى السنة مرتين او فى العمر كرتين بدليل احاديث كثيرة وردت بالحث عليها او بوجوب الشفاعة لمن اتى اليها وقيل يحتمل ان يكون نهيه عليه السلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتى وصلوا على حيث كنتم او كراهة ان يتجاوزوا فى تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة وغيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) اى كقبور لا يصلى فيها والمعنى اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم لما روى احمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابى لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم اخو الموت والميت لا يصلى او لا تجعلوها

قبورا

قبور الموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابى وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه السلام ما قبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يجب ان يدفن فيه كما رواه الترمذى عن ابى بكر (وصلوا على حيث كنتم) اى قريبا او بعيدا (فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) رواه الطبرانى وابو يعلى بسند حسن (وفى حديث اوس) هو اوس بن اوس الثقفى صحابى وفى الصحابة خمسة واربعون نفرا يسمون اوسا (اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على) اى من غير واسطة او من غير انتظار رابطة رواه ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم سين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدنى يروى عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة اخرج له مسلم وغيره (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) اى للزيارة (فيسلمون عليك افتفقه سلامهم) اى اتعرف كلامهم وتدرى مرامهم (قال نعم وارد عليهم) اى سلامهم واقضى مرامهم رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى فى حياة الانبياء وفى شعب الايمان (وعن ابن شهاب) اى الزهرى كما رواه النميرى مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء) اى البيضاء النوراء (واليوم الازهر) اى الانور وروى فى الليلة الغراء واليوم الاغر يعنى ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) اى اليوم والليلة (يؤديان) اى ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلى على) اى صلاة (الا حملها ملك) اى تحملها عنه (حتى يؤديها) اى يوصلها (الى يسميه) اى لدى (حتى انه) اى الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن الفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل)

(فى الاختلاف فى الصلاة على غير النبى وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضى) وزيد فى نسخة ابو الفضل يعنى المصنف (وفقه الله) وفى نسخة رحمه الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من سائر الانبياء واقول بل هى مستحبة لما روى البيهقى عن ابى هريرة رضى الله عنه والخطيب عن انس مرفوعا صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى فيستحقون الصلاة كما استحقها الا ان المراد بها تعظيم من يصلى عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو فى المدعى كالصريح (وروى عن ابن عباس) كما فى شعب الايمان للبيهقى وسنن سعيد بن ابى منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضى الله تعالى عنه اخذ من قوله تعالى فى حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهارون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروى عنه) اى عن ابن عباس كما فى فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسماعيل القاضى (لا ينبغى الصلاة على احد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول او مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) اى الثورى او ابن عيينة (يكره ان يصلى) اى على احد اصالة (الا على نبى ووجدت بخط بعض شيوخى) وفى حاشية الحلبى قوله وقد وجدت معلقا عن ابى عمران الفاسى بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا ابو عمران الفاسى فقيه اهل القيروان فى وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) اى لا ينبغى (ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد وهذا) اى النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) اى الامام (فى المبسوطة) وفى نسخة صحيحة فى المبسوط (ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى) اى بالجمع بين الصلاة والسلام (ما امرنا به) اى من الجمع بين الصلاة والسلام مختصا به فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) اى الليثى عالم الاندلس راوى الموطأ (لست آخذ بقوله) اى بقول مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم) اى بالاصالة (وعلى غيرهم) اى تبعا ويحتمل انه اراد به استقلالا لانا نتنزه عن مخالفة العلماء اجلالا (واحتج) اى يحيى لما قاله وفى نسخة صحيحة واحتجوا اى هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) اى الآتى انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر (وبما جاء فى حديث تعليم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اصحابه فيما (الصلاة عليه وفيه) اى وفى حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وازواجه) وفيه انه لا خلاف فى جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا وزيد فى بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن ابى عمران الفاسى) بالفاء والسين وفى نسخة القابسى بالقاف وبموحدة بعد الالف فسين مهملة (روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم قال وبه اقول) وفى نسخة و به نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن
ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله)وفى نسخة فان الله
(بعثهم كما بعثنى قالوا) اى يحيى واتباعه او جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) اى الواردة (عن ابن
عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلاة على غير النبى عليه السلام (لينة) اى ضعيفة لا يصلح شئ منها للاحتجاج به
على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم (والصلاة فى لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) اى ونحوهما
من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) اى جوازه (على الاطلاق) اى بالاتفاق (حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع)
اى صريح (وقد قال الله هو الذى يصلى عليكم وملائكته الاية) تمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفى المعالم
للبغوى فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون
على النبى قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركتنا فيه فانزل الله تعالى هذه
الاية (وقال) اى الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) اى من رذيلة البخل (وتزكيهم) اى
وتنمى مالهم (بها) اى بسببها (وصل عليهم) اى التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذرما لديهم (الاية) وهى ان صلاتك
سكن لهم اى تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) اى الله سبحانه
(اولئك عليهم صلوات من ربهم) اى تحيات ومدحات (ورحمة) اى انواع رحمات وظاهره ان الصلوات عامة للمؤمنين
ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن ابى اوفى (اللهم صل على آل ابى اوفى) ومن تتمة
الحديث قوله (وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه ابو داود
والنسائى عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وهو
مراد معهم كابى اوفى (وفى حديث الصلاة) اى فى التشهد (اللهم صل على محمد وازواجه) وفى نسخة وعلى ازواجه
(وذريته وفى آخر) اى حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) اى المراد بهم (اتباعه) اى الى يوم القيامة (وقيل امته) اى
امة الاجابة وهو قريب مما قبله ور بما يقال هو اعم والاول اخص (وقيل آل بيته) اى اقاربه وازواجه وذريته (وقيل
الاتباع والرهط والعشيرة) اى جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه (وقيل
آل الرجل ولده) اى اولاده واحفاده (وقيل قومه) اى المؤمنون من قريش او بنى هاشم (وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة) عن زيد بن ارقم ان آل النبى صلى الله عليه وسلم من حرم الصدقة عليه وهم آل على وآل عقيل وآل
جعفر وآل عباس (وفى رواية انس) كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه (سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من
آل محمد قال كل تقى) الظاهر ان كل تقى منهم والمعنى من ليس بتقى ليس بآلى ولا يبعد ان يكون المعنى كل من يكون
تقيا يكون آلا وعلى التقدير ين يؤيده قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون (ويجيء على مذهب الحسن) الظاهر انه
الحسن البصرى (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) اى فى بعض التراكيب (فانه) اى النبى عليه السلام او الحسن (كان
يقول فى صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم) اى على ما رواه النميرى (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد
فى نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) اى قائله (كان لا يخل بالفرض) اى فى الجملة وهو الصلاة على محمد
(ويأتى بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذى امره الله به) اى فى قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه
(هو الصلاة على محمد نفسه) اى ذاته دون غيره بشهادة روايته الاخرى من طرق متعددة على محمد دون آله (وهذا) اى
كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد اوتى) اى ابو موسى الاشعرى (مزمارا) اى صوتا
حسنا (من مزامير آل داود يريد) اى النبى عليه السلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف احد من آله انه كان له مزمار
ونظير هذا من التنزيل قوله مما ترك آل موسى وآل هارون (وفى حديث ابى حميد الساعدى فى الصلاة) اى فى الفاظها
(اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عند
قبره (وعلى ابى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى الاندلسى) بفتح همز ودال وضم لام وقيل بضم الثلاثة
وقيده به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابورى وزيد فى نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر
(وروى ابن وهب) وهو المصرى العلم (عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على
فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) اى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضى) يعنى المصنف
وفى نسخة قال الفقيه القاضى (والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك) اى امام المذهب (وسفيان) اى
الثورى او ابن عيينة (رحمهما الله وروى) اى وما روى (عن ابن عباس واختاره غير واحد) اى كثيرون (من

الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء) وهم اعم من الرسل (عند ذكرهم) اى افرادا وانما تجوز اتباعا
(بل هو) اى الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) يروى يخص (به الانبياء) اى عرفا وعادة وفيه
رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) اى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم
ولا يشاركه فيه) اى فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى وعز وجل وان كان الانبياء اعزة واجلاء وعن العيوب برآء
(كذا يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول
او الفاعل وفى نسخة ولا يشاركهم (فيه) اى فى كل واحد منهما (سواهم كما امر الله) اى المؤمنين (بقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة) المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين
(بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون فى المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال
تعالى يقولون) اى الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفى نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) اى بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضى الله عنهم ورضوا عنه
وايضا فهو) اى ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا امر (لم يكن معروفا فى الصدر الاول) اى من
السلف والخلف (كما قال ابو عمران) اى الفاسى (وانما احدثته الرافضة) اى التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة)
اى المظهرة انهم السابقون والمتابعون (فى بعض الائمة) اى من اهل بيت النبوة (فشاركوهم) اى ائمتهم كعلى
والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا على عليه السلام (وساووهم) اى ائمتهم
(بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك) اى مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكى ان الرافضة فرقة من
شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن
عسكره فى ابى بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتمونى اى تركتمونى فلقبوا
بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا فى مذهبه واستجاز الطعن فى الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة
وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته اى اتباعه (وايضا فان التشبه باهل البدع منهى عنه فيجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) اى وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بحكم التبع) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) اى فهو جائز (لا على التخصيص) اى
بحكم الاستقلال (قالوا) اى العلماء المحققون (وصلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) اى من آل
ابى اوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) اى مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) اى حسن
المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) اى الذى اختص بارباب الكمال (قالوا) اى العلماء (وقد قال
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اى فى المناداة باسمه وفى رفع الصوت عنده (فكذلك يجب
ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) اى ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام ابى المظفر
الاسفراينى) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) اى الفقهاء المالكية (وبه قال ابو عمر ابن عبد البر)
وهو حافظ الغرب فى البحر والبر

(فصـــــل)

(فى حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن
المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) اى مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووى وابن الهمام بل قيل انها
واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى وله طرق وشواهد حسنه الذهبى
لاجلها (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) اى حقت وثبتت وفى رواية حلت رواه
الدارقطنى وغيره وصححه جماعة من أئمة الحديث (وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من زارنى فى المدينة محتسبا) اى ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر فى هذا الباب فعن عمر رضى الله
عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته (كان فى جوارى) بكسر
الجيم اى مجاورتى وفى نسخة بضم الجيم اى فى ذمتى وعهدى وجيرتى (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال الدلجى
لا اعرف من رواه قلت قد رواه العقيلى وغيره بلفظ من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ورواه البيهقى ولفظه
من زارنى محتسبا الى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة وروى ابو عوانة من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا
وشفيعا يوم القيامة (وفى حديث آخر) اى مما رواه البيهقى وسعيد بن منصور فى سننهما والدارقطنى والطبرانى

وابو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما (من زارنى بعد موتى) وفى رواية بعد وفاتى (فكانما زارنى فى حياتى) والاحاديث فى هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها مارواه على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن انس بسند ضعيف بلفظ مامن احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى الا وليس له عذر وعن ابن عدى بسند يحتج به من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة فى ذلك (ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف فى معنى ذلك) اى الداعى الى كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفى نسخة كراهية للاسم وفى اخرى كراهة الاسم اى اسم الزيارة (لما ورد) اى فى رواية احمد والترمذى وابن حبان عن ابى هريرة رضى الله عنه (من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور) بفتح الزاى وتشديد الواو اى المبالغات فى زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن مأمورات بالقرار فى بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن فى حقهن زيارته عليه السلام كما قال به بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا اذن بشرائط فيما هنالك (وهذا) اى الاستدلال (يرده قوله) اى فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفى نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفى نسخة بزيادة ولا تقولوا هجرا بضم الهاء وسكون الجيم اى كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء فيكون الحكم الثانى فى حقهم ناسخا الا فى حقهن ويؤيده التعليل فى حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع والفزع لا يملكن انفسهن من الصياح والنياح واما التعليل فى حقهم فلان امواتهم فى صدر الاسلام كانوا كفرة فمنعوا عن زيارة قبورهم فلما كثر اموات المسلمين اجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) اى ويرده ايضا قوله فيما رواه عن ابن عمر وغيره مرفوعا (من زار قبرى) اى وجبت له شفاعتى او حلت له شفاعتى (فقد اطلق اسم الزيارة) اى فلم تكن الكراهة لاسم الزيارة (وقيل) اى فى توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) اى لقول بعضهم (ان الزائر افضل من المزور وهذا) اى الاستدلال (ايضا ليس بشئ) اى معتد به وفى نسخة ليس بين اى بظاهر فلم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) بل الغالب عكسه فى العرف والعادة (وليس هذا) اى هذا القول (عموما) اى عاما فى كل زائر (وقد ورد فى حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) اى اطلاق لفظ الزيارة (فى حقه تعالى) ففى حق نبيه عليه السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بهذا المبنى على هذا المعنى وزيد فى بعض النسخ هنا (وقال ابو عمران) اى الفاسى وفى كثير من النسخ ابو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) اى فيما بينهم (فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس) اى عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام ايضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال) وفى نسخة شد المطى (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد لا وجوب فرض) اى موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وامثالها والوجوب والندب والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندى ان منعه) اى منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) اى لذلك (لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه) اى مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا) اى كالوثن وهو الصنم (يعبد بعدى) اى بعد موتى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى (فحمى) اى صان مالك (اضافة هذا اللفظ) اى لفظ الزيارة (الى القبر والتشبه بفعل اولئك) اى العامة (قطعا للذريعة) اى الوسيلة (وحسما) اى قطعا (للباب) اى لفتح هذا الباب (والله اعلم) اى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة منها مارواه ابو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا او شهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على انا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة ولهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكانما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء فى قبورهم من الاحياء فانهم اولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره اولى من زرناه عند التحقيق والله ولى التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما

وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى اقرب الى الصواب لان تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب ثم يمكن حمل كلام من حرم او كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة او صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما ورد فيه وعيدا (قال اسحق ابن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل) اى من قديم الايام (من شأن من حج) اى من دين من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) اى مدينة الاسلام لزيارته عليه السلام اى اما قبل الحج واما بعده (والقصد) اى ايضا (الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى تلك المحال الكرام اذ قد ورد ان الصلاة فيه بمائة الف (والتبرك برؤية روضته) اى خصوصا (ومنبره وقبره ومجلسه) اى محل جلوسه فى المسجد ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) اى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند اليه) وفى نسخة يسند ففى الصحاح سندت الى الشئ واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) اى فى حال استناده (عليه وبمن عمره) اى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل اى زاره (وقصده) اى وبمن قصده (من الصحابة وأئمة المسلمين) اى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) اى بما ذكره (كله) اى جميعه والحاصل انه لا منع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى ان يكون الغرض الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه السلام ويتبعها حضور مشاهده الكرام (وقال ابن ابى فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به اصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا) اى فى الحديث (انه) اى الشأن (من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الاية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها ايضا وهو يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى ان يزيد وسلم (يا محمد) الاولى ان يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) اى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية او اخروية والحديث رواه البيهقى من طريق ابن ابى الدنيا (وعن يزيد ابن ابى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) اى وهى انك (اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حقيقة او مجازا وهو محله وحوله (فاقرئه منى السلام) بجوز قطع همزه وكسر رائه ويجوز وصل اوله وفتح عينه والحديث رواه ابن ابى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) اى غير المهرى وهو حاتم بن وردان كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (وكان) اى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء اى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرئه منه السلام (قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) اى بين يديه (فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين فى ذلك المقام عن احد من الاعلام ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك فى رواية ابن وهب) اى عنه (اذا سلم) اى هو او احد (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض ارباب المناسك ان الزائر يسلم اولا وهو متوجه الى القبر ثم يدعو الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه السلام (ويدنو) اى ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار رقبته وشبابيك حجرته عليه السلام (بيده) ولا بفمه لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه اقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على مانقله الغزالى (وقال) اى مالك (فى المبسوطة لا ارى) اى لا اجوز (ان يقف) اى احد (عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا ان يقال هذا بيان الاكمل فتأمل (قال ابن ابى مليكة) بالتصغير تابعى تيمى مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثنى ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن عباس واما ابو مليكة فصحابى (من احب ان يقف وجاه النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر الواو وبضم اى فى مواجهته ومقابلته (فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف واما بفتحه فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) اى فى جهتها (عند القبر على رأسه) اى محاذيا لرأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من ائمة التابعين واعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) اى على من فيه (رأيته) اى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة واكثر) وفى نسخة او اكثر يعنى بل اكثر (يجيء الى القبر فيقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى) وفى نسخة السلام على ابى

حفص وهو كنية عمر وهذا اقرب الى الادب (ثم ينصرف) اى ولم يزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة
فربى اى ابصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها)
اى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة او بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية
فوحدة (كان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) اى عن عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم
وتشديد السين المهملة اى حسوا ومسوا (رمانة المنبر) اى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها
عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا اى تمسحوا بايمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان
الاحسان (ثم استقبلوا القبلة) يدعون اى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطأ من
رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) اى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر) اى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام
من غير تغير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو احد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم
وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) اى بدل لفظة وعلى ابى بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول
المسلم) بتشديد اللام المكسورة اى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال) اى مالك
(فى المبسوطة ويسلم على ابى بكر وعمر) اى باى لفظ كان (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم وهو احد
الاعلام (وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة) اى بان يقول الصلاة عليك يا نبى الله او الصلاة على رسول الله ولا شك
ان الجمع بينها وبين السلام افضل واكمل كما دل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابى بكر
وعمر) يعنى ويدعو لهما ايضا (كما فى حديث ابن عمر من الخلاف) اى المتقدم حيث جاء فى رواية اخرى عنه انه كان
يقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى وفى رواية اخرى عنه انه
كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا
فكيف يصح قول الباجى عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر فى الرواية الثانية
ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا او تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبى الاكمل واما
صاحباه فتخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) احد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول)
اى الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من
غير اضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوى (بسم الله وسلام) اى تمام (على رسول الله عليه السلام) وفى نسخة
عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) اى وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) اى من جانبه ومن لطفه وكرمه
(صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك) اى بتوفيق
اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظنى من الشيطان الرجيم) اى من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد)
فيه التفات اى ثم توجه (الى الروضة) اى الشريفة (وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها) اى صل (ركعتين) اى قياما
بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) اى للزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله) اى
حال كونك تثنى على الله سبحانه (فيهما) اى فى الركعتين وفى نسخة فيها اى فى الصلاة او فى الروضة (وتسأله) اى الله
فيهما او بعد الفراغ منهما (تمام ما خرجت اليه) اى من المقاصد (والعون عليه) اى فى جميع المراصد (وان كانت
ركعتاك) وهما تحية المسجد (فى غير الروضة اجزأتاك) اى كفتاك عن السنة (وفى الروضة) وكذا فى المواضع الفاضلة
فى المسجد (افضل) اى لورود الاحاديث فى فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى) اى المختص بعائشة
المعبر عنه فى رواية ما بين قبرى (ومنبرى روضة من رياض الجنة) اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة
بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القتيبى معناه ان الصلاة والذكر فى هذا الموضع
يورثان الجنة فكانه قطعة منه القول ولا منع من الجمع والله اعلم (ومنبرى على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين
مهملة اى عتبة او روضة مرتفعة (من ترع الجنة) رواه احمد بتمامه عن جابر والبزار عن ابى بكر والدارقطنى عن عمر
بلفظ قبرى بدل بيتى ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقى عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط
احمد وابو عوانة عن سهل بن سعد والترعة فى الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت فى مطمئن فهى روضة
وورد ارتعوا فى رياض الجنة يعنى مجالس الذكر وفى رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد
والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه امر اى قف ايها الزائر

(بالقبر) اى قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) اى متذللا فى نفسه (متوقرا) اى معظما لمن فى حضرته (فتصلى
عليه وتثنى بما يحضرك) اى لديه (وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما) اى بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة)
اى الطاعة والعبادة او الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل
والنهار) اى فى ساعاتهما (ولا تدع ان تأتى مسجد قبا) اى ولا تترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان
صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر
الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) اى شهداء احد وغيرهم اى ولا تترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم
(وقال مالك رحمه الله فى كتاب محمد) يعنى واحدا من اصحابه ولعله محمد بن الحسن من اصحاب ابى حنيفة فانه روى عنه
الموطأ (ويسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) اى سلام القدوم والزيارة (وخرج) اى واذا اراد ان يخرج
سلام الموادعة (يعنى) اى يريد بذلك وهو (فى المدينة) اولا وآخرا (وفيما بين ذلك) اى احيانا (قال محمد واذا خرج)
اى اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده الوقوف بالقبر) اى للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك
من خرج) ولو من اهل المدينة (مسافرا) اى حال كونه مريد السفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان
الآداب الموجب لمزيد الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) اى البتول الزهراء (بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجى بفتح تاء الخطاب ولا اعلم من رواه قلت بل
الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها فى الكتاب (فصل على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم) وفى نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وفصلى بياء المخاطبة (وقل) وفى نسخة وقولى فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لى
ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب فضلك وفى رواية اخرى) اى لابى داود عن ابى حميد واسيد (فليسلم مكان فليصل وفيه) اى فى هذا المروى
(ويقول اذا خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى اخرى اللهم احفظنى) اى احرسنى واعذنى واعصمنى (من الشيطان
الرجيم) اى المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) احد اعلام التابعين (كان الناس) اى الصحابة (يقولون
اذا دخلوا المسجد) اى المسجد النبوى او جنس المسجد الالهى (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى
انشائية معنى (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) اى لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا)
والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا متمسكين باسمه ففى الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) اى وفى جميع
احوالنا عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) اى حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك
وعن فاطمة رضى الله عنها ايضا) اى كما تقدم عنها (كان النبى اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفى نسخة
صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد والبيهقى فى الدعوات (ثم ذكر) اى ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة
بقول الدلجى لا ادرى من رواهما (وفى رواية) اى للترمذى وابن ماجه (بسم الله والسلام) وفى نسخة والصلاة
(على رسول الله وعن غيرها) اى وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجى لم اقف
عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا الالتفات الى قول الحلبى لا اعرفه بعينه لانه يكفى ان المصنف رواه
وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) اى حقيقة او اذا اراد دخوله (قال
اللهم افتح لى ابواب رحمتك) اى الدينية والاخروية (ويسر لى ابواب رزقك) اى الحسية والمعنوية (وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى) اى
ابواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم
من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة) اى كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) اى للزيارة (وانما ذلك) اى
لازم (للغرباء) اى من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة فى مكة افضل لاهل الاقامة
والطواف افضل للغرباء النازلة (وقال) اى مالك رحمه الله (فيه) اى فى المبسوط (ايضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال
اى نزل (من سفر) اى من اهل المدينة وغيرهم (او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى
عليه ويدعو له) اى بالسلام (ولابى بكر وعمر فقيل له) اى لمالك (فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال
اى لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) اى ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) اى الوقوف على القبر
للزيارة (فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا) اى ان تأخروا (فى الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن اى فى الاسبوع
(او فى الايام) اى ولو اكثر من الجمعة (المرة) اى تارة (او اكثر) اى اخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك

رحمه الله لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه) اى من المتقدمين (ببلدنا) يعنى المدينة (وتركه واسع) اى جائز يعنى ولوفعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقت الوفاة على حال الحياة صحيح ولاشك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه فى حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من انوار بركاته فاى مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على انه قد ثبت من صلى عليه نائيا ابلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه نعم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلاشك ان يقال فى حقهما الكراهة كما يشير اليه حديث زر غبا تزدد حبا واما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلاسبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث ابى بن كعب فى تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها اولى فى افضل البقاع واهل السلف الصالح كان عندهم امور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طلب العلم وتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا فى طريقه افضل من كثرة الطواف والزيارة بل اكمل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع بما قررنا وارتفع بما حررنا ما يفهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا يشتغلون بامور كانت أهم هنالك (ويكره) اى الوقوف للزيارة من اهل المدينة (الالمن جاء من سفر اواراده) اى السفر (قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها اودخلوها اتوا القبر فسلموا) لاشك ان الزيارة فى تينك الحالتين اكثر استحبابا واظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع ان ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة اواكثر ولاشك انه كان من اهل المدينة فتدبر (قال) اى ابن القاسم (وذلك رأيى) اى المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجى) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) اى مالك وفى نسخة بفتح فسكون اى فصل فارق (بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) اى فى رحلتهم (واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم) اى على صاحبه وفيه انه لا يلزمهم ترك ذلك واى مانع لما هنالك فهل ترى احدا قال بان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوها فى سفرهم دون اهل مكة حيث لم يقصدوها فى اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد) اى صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على امته واهل ملته ان يفعلوا مثل جهلة اهل الكتاب بالنسبة الى قبور انبيائهم ومشاهد اصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى مسجودا اليها اومشهودا فيها حيث عبدوها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبرى عيدا) رواه ابن ابى شيبة موصولا عن على وسعيد بن منصور فى سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) اى لعدم وروده بل ورد النهى عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) اى وقوفا طويلا اوزمانا طويلا خوفا من الرياء والسمعة اومن الملالة والسآمة (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنفها وهو من موالى عتبة بن ابى سفيان اخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته (يبدأ بالركوع) اى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) اى على سيد الانام حين دخوله (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قياسا على حال حياته فانه قد ورد ان واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم على وفيه ايماء الى تقديم الحرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (واحب مواضع التنفل منه مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة اى المجمر او المطلى بالخلوق بفتح اوله وهو نوع من الطيب المعبق (واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف) اى افضل للمأمومين واما الامام فلاشك ان مقامه الافضل مصلاه الاكمل (والتنفل فيه) اى فى مصلاه بل فى جميع مسجده افضل (للغرباء) دون اهل المدينة لحديث ورد بذلك (احب الى) وكذا الى غيره (من التنفل فى البيت) واول وجهه ان لامضاعفة فى الصلاة فى غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك فى مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة الف فالنوافل فى البيوت افضل لهم ولو كانوا من الغرباء

(فصل)

(فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفى نسخة من الاداب (سوى ما قدمنا) اى من انواع الاستحباب (وفضله) اى فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) اى وما يتعلق به (وفى مسجد مكة) طردا للباب

وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) اى وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) اى سكانهما ومجاورى مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون فى المراد به (روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا) رواه مسلم والترمذى وصححه والنسائى عن ابى سعيد واحمد عن ابى بن كعب وسهل بن سعد وفى رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف ان يقول فقد ورد اوثبت اذ روى بصيغة المجهول موضوعة للتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من اكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن انس) واما ما ذكره الحلبى من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من اكابر الصحابة وممن اخذ عنه ابن عباس وغيره وهو اجل كتبة الوحى وقد ورد فى حقه افرضكم زيد اى اعلمكم بالفرآئض وهو امام فى علم القرآءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضى الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) اى لانه اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة فى سبب نزول الآية فقد روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرر عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخارى فى تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذى اسس على التقوى مسجد قبا قال ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى فقالوا يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا فى التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذى وابو داود ان هذه الاية نزلت فى اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الاية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام واقفا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور فما طهوركم الحديث وعندى ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذى اسس على التقوى وان ما ذكر من الطهور لاهل قبا لا ينافى الحمل على اهل مسجده من الانصار والله اعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار (حدثنا هشام) وفى نسخة هاشم (ابن احمد الفقيه بقراءتى عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما فى نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) اى حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغسانى (ثنا) اى قال حدثنا (ابو عمر النمرى) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) اى ابن عيينة (عن الزهرى) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه افضل التابعين (عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال) جمع راحلة وهى الصالحة لان ترحل او يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفى النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوى على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والمعنى لا ينبغى ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها فى كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفى نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذى فى بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو افضلها كما يشير اليه تقديمه فى هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما فى اخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدى هذا) يعنى مسجد المدينة احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على مكان مشار اليه فى مشهده (والمسجد الاقصى) وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذى ببيت المقدس وهو مسجد كثير من الانبياء وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه فى ليلة الاسراء وقد اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابو داود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغى للعاقل ان لا يشتغل الا بما فيه صلاح دنيوى وفلاح اخروى ولما كان ما عدا المساجد الثلاثة متساوى المرتبة فى الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لا تشد خبر وقع نفيا واريد به نهيا (وقد تقدمت الآثار فى الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) اى مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها فى افضل المساجد (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) الصواب ترك الياء فى آخره كما بينا وجهه اولا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) اى جنسه (قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم) اى ذاته

(وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه ابو داود (وقال مالك) اى فيما رواه البخارى والنسائى (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) اى عظيما (فى المسجد) اى مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) اى طلب صاحب الصوت (فقال ممن انت) يروى من انت (قال رجل من ثقيف) اى من اهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) اى مكة والمدينة اى لفعلت نكالا او لاذبتك او لعزرتك وفى نسخة صحيحة لادبتك (ان مسجدنا) اى اهل المدينة خصوصا (لا يرفع فيه الصوت) اى لما ورد من قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى وهو حى حاضر بعد مماته كما كان فى حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت فى المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على اهلها العبادة و يشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجى وقد اتفق العلماء عليه بشهادة الحصر فى حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفى صحيح البخارى بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندى وله صحبة كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فائتنى بهذين فجئته بهما فقال ممن انتما او من اين انتما قالا من اهل الطائف قال لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ترفعان اصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبى العهد من الايمان والاسلام وآدابهما او لكونهما من الغرباء فاوجب مراعاة حالهما (قال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد) وفى نسخة صحيحة ان يتعمد اى يقصد (المسجد) اى فيه (برفع الصوت ولا بشئ من الاذى) اى من دخوله فيه او رميه من بصاق ونحوه (وان ينزه عما يكره) اى من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضى) يعنى المصنف (حكى ذلك كله القاضى اسماعيل فى مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الازدى مولاهم البصرى ثم البغدادى المالكى الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه واخذ علم الحديث وقاله عن ابن المدينى روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف فى علوم القرءآن وله كتاب احكام القرءآن لم يسبق الى مثله وكتاب معانى القرءآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولى قضاءها الى ان توفى وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائة جزء فى الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفى اسماعيل فجأة فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين روى النسائى فى الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسماعيل القاضى عن ابن المدينى والحاصل انه ذكر فيه (فى باب فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) اقول لكن لا شبهة فى تفاوت مراتب المساجد فى هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضى اسماعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) اى رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة اى يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) اى من جهة قراآتهم وعد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) اى بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس ومما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع على انه نائب الفاعل (فذكره) بصيغة المفعول اى كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) اى مع كونها ذكرا وسنة (فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى) اقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا فى جميع المساجد لانه لا فرق فى العلة المانعة منه فى كل المساجد وفى نسخة ومسجدنا قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ التى وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد منى فقد قال السروجى فى شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية فى مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا فى المسجد الحرام ومسجد منى قال وخالف الجماعة فيه وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد ذى الحليفة دبر صلاته ورووا تلبيته صلى الله عليه وسلم ولولم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكى وفيه ان تلبيته فى مسجد ذى الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية فى المسجد الحرام ومنى وسائر المساجد التى فى بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها فى مساجد الامصار والحل لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يلبى فقال ان هذا المجنون انما التلبية اذا برزت كذا فى الكافى وفى احكام المساجد للشافعية يستحب التلبية فى المسجد الحرام وفى مسجد منى وابراهيم بعرفات وفى استحبابه فى سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم بما ذكرنا ان الخلاف فى رفع الصوت المشوش واما امر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا فى مسجد نمرة او مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال

ابو هريرة رضى الله تعالى عنه) اى فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة فى مسجدى هذا) اى مسجد المدينة وقال النووى المضاعفة فيه مختصة بما كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر اصحابه الكرام (خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى) يعنى المصنف (اختلف الناس) اى العلماء فانهم هم الناس (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة او النقصان او الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجى اى مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها والمعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (فى المفاضلة بين مكة والمدينة) اى كون ايهما افضل فى حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله فى رواية اشهب) اى ابن عبد العزيز (عنه) اى عن مالك (وقاله ابن نافع صاحبه) اى صاحب اشهب او صاحب مالك (وجماعة اصحابه) كذا بالاضافة وفى نسخة وجماعة من اصحابه اى من اصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) اى مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعنى فالاستثناء لبيان النقص فى الجملة وسيأتى ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) اى فى مسند الحميدى (عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء فى مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم (فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتى ما يناقضه ويعارضه بما هو اصح فى هذا الباب مما روى عن عمر بن الخطاب والله اعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) اقول بل تفضيل المدينة على مكة مبنى على هذا اذ سبب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والا فلا شك ان مكة لكونها من الحرم المحترم اجماعا افضل من نفس المدينة ما عدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ما قاله جماعة على انه لا فضيلة فى العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة فى الحسنة بها بخلاف مكة وما حولها من الحرم المحترم والله تعالى اعلم والحاصل انه ان ثبت افضلية مسجد المدينة يدل على افضلية المجاورة بها لان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ما قدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه ان روايته الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك واكثر المدنيين) اى علماء اهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب اهل مكة والكوفة) ومنهم ابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل وسفيان الثورى وحماد وعلقمة واصحاب الشافعى وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله تعالى ولولا انى اخرجت منك ما خرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه اخذ الاشعرى مقالة اهل الحديث وله كتاب جليل فى علل الحديث ذكره الشيخ ابو اسحق فى طبقاته فقال اخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره فى الميزان وقال احد الاثبات ما علمت فيه جرحا اصلا وقال ابو الحسن ابن القطان مختلف فيه فى الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعى) اى نصا فى هذا الباب (وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم) اى عن ابى هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) اى للزيادة (وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل) اى منها فى مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) اى لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) اى وزيد فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا مما ثبت فى مسند احمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا وقال النووى فى شرح مسلم هذا حديث حسن رواه احمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان فى صحيحه هذا وقال الدلجى فى قوله بمائة صلاة اسقط منه المضاف الى صلاة اى بمائة الف صلاة اذ قد ورد كذلك عند احمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة فى مسجدى افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى ابو هريرة صدره وعمر آخره (وروى قتادة مثله)

وفى نسخة وروى عن قتادة مثله اى مثل حديث ابن الزبير (فياتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) اى القول الجمع المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة فى سائر المساجد) اى ولو مسجد المدينة (بمائة الف) قال الحجازى يروى بمائة والف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة الف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة او المسجد الحرام او المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) اى بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض) اى بشرف قدره وكرمه عند ربه (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (الذى يقتضيه الحديث) اى الوارد فى فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة والسلام بدليل حمل الاستثناء فى حديث ابى هريرة على ظاهره وحديث عمر رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) اى من الحديث المذكور (حكمها) اى حكم مكة (مع المدينة) اى فى ايتهما افضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة فى مسجدها بالجماعة افضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات الحرم بمائة الف ان ثبت صريح فى ان نفس مكة افضل من نفس المدينة ما عدا البقعة السكينة ومما يدل عليه ايضا ما تقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوى) وهو ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور فى المذهب الحنفى (الى ان هذا التفضيل) اى فى المسجدين (انما هو فى صلاة الفرض) اى لان النافلة فى البيوت افضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليسارى المدنى مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القارى وعنه البخارى وابو زرعة (من اصحابنا) اى المالكية (الى ان ذلك) اى التفضيل الوارد فى الصلاة فيهما (فى النافلة ايضا) اى منضمة الى الفريضة اخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله ايضا اصحاب الشافعى على ما نقله الحلبى (قال) اى الطحاوى او مطرف فى تفضيل الصلاة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) اى فى غيرهما بما سبق فى فضلهما (ورمضان خير من رمضان) اى كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) اى من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) اى نحو ما ذكر قبله رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من الف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من الف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبرانى والضياء عن بلال بن الحارث المزنى وورد رمضان بمكة افضل من الف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر (وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) رواه احمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى والترمذى عن ابى هريرة (ومثله) اى مثل هذا اللفظ (عن ابى هريرة وابى سعيد) اى فى الموطأ (وزادا) وفى نسخة صحيحة زاد اى ابو سعيد الخدرى (ومنبرى على حوضى) اى حقيقة او مجازا كما سيأتى (وفى حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبرى على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبرى) الظاهر انه محمد ابن جرير (فيه) اى فى الحديث الاول (معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) اى مع عائشة فى مبيته ومثواه (على الظاهر) اى المتبادر من المعنى اللغوى للبيت (مع انه روى ما يبينه) اى هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتى ومنبرى والثانى) اى ثانيهما (ان البيت هنا القبر) اى باعتبار ما له (وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى) اى فى بعض الروايات (بين قبرى ومنبرى قال الطبرى) اى جمعا بين الروايات (واذا كان قبره فى بيته) اى فى آخر امره (اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف) فى مبانى الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام فى حجرته وهو) اى حجرته وذكره لتذكير خبره وهو (بيته وقوله) اى فى الحديث الآخر (ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه) منبره اى موضعه (بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر) اى من غيره من الاقوال وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى ارض الآخرة فيقع من بقع ارض الحوض فيها (والثانى ان يكون له هناك منبر) اى عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه) اى ايضا (موجب لذلك) اى لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه) اى فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه ان يقول كما روى فانه حديث رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى موسى وفى معناه الجنة تحت اقدام الامهات رواه القضاعى والخطيب فى الجامع عن انس رضى الله تعالى عنه (والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى

ابن

ابن عمر) اى كما رواه مسلم (وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المدينة) اى فى فضلها (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة والمد اى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) اى وشدة بلائها (احد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد اى اشهد له بما اعلم من صبره عليها (او شفيعا) مبالغة شافع اى واشفع له (يوم القيامة) واو ههنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن ابى وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابى عبيد وهى تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فاو هنا بمعنى الواو او للتقسيم كما صرح به النووى فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم او شهيدا للمطيعهم شفيعا للمذنبهم او شهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم او على اصفياء هذه الامة وزائدة على شفاعته الكبرى للخلق اجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى احد انا شهيد على هؤلاء اى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة والسلام له شهادات متكاثرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن يتحمل) اى رفع جمله وامتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان ابن ابى زهير والمعنى لو علموا اخيريتها لما فارقوها او لو كانوا من اهل العلم لعلموا اخيريتها واصبروا على بليتها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبنى من الطين او هو الزق الذى ينفخ به النار والمبنى الكور قاله ابن الاثير (تنفى) اى المدينة (خبثها) بفتحتين او بضم فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملتين اى ويخلص وقيل يبقى ويذر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة او بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روى تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلاة والسلام على وجه التمثيل فجعل المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والغلاء كمثل الكير يميز به الخبيث من الطيب فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب ازكى ما كان واخلص وقد روى فى سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابى حمى بالمدينة فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد اقلنى بيعتى فابى ثم جاء فقال اقلنى بيعتى فابى فخرج الاعرابى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) اى فى حديث آخر رواه مسلم عن جابر (لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها) اى للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا ابدلها الله تعالى خيرا منه) اى راغبا فى سكناها صابرا على بلواها (وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى سنن البيهقى والدارقطنى عن عائشة بسند ضعيف (من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا) اى قاصدا لاحدهما وهو اعم من قول الدلجى حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق آخر) للبيهقى فى الشعب عن عمر والطبرانى عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفى الجامع الكبير من مات فى احد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبرانى والبيهقى وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) اى مرفوعا رواه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومه لها واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما فى قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون (فانى اشفع لمن يموت بها) اى قبل ان اشفع لمن مات فى غيرها قال التلمسانى وروى فانها تشفع وقد اجمعوا ان الموت بالمدينة افضل مما عداها وقد ورد عن عمر رضى الله تعالى عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس) اى جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه فيها ويستقبلون ويتوجهون فى عباداتهم اليها (للذى ببكة) وهى لغة فى مكة من بكه اذا دقه لانها تدق اعناق الجبابرة او لان الناس يزاحم بعضهم بعضا فى الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة (الى قوله آمنا) تمامه (مباركا) اى كثير النفع خصوصا لمن حجه او اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) اى مرشدا لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) اى علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شأنه (مقام ابراهيم) اى منها مكان قيامه واثر قدم من اقدامه فى حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة فى البناء او حين اذن بالنداء (ومن دخله) اى البيت او حرمه (كان آمنا) من التعرض فى الدنيا ومن العذاب فى العقبى واما ما تتوهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح

فى المرام لانه لا يتصور الدخول فى حقيقة المقام والمبنى حوله من حوادث الايام (قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه امر اى امنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفى نسخة بل كان (يامن من الطلب) اى طلب الثار (من احدث حدثا) اى جنى جناية من قتل نفس اوقطع جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمزاى التجاء وعاذ واما قول التلمسانى وروى اولجأ بالتنويع فلا يصح فى مقام التفريع (اليه فى الجاهلية) وكذا فى الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه مادام فى الحرم المحترم الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة الجاهلية كانت على الاطلاق واما فى الاسلام فمن احدث حدثا فى الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها ويقتص منه بالاتفاق (وهذا) اى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) اى الكعبة وما حولها من ارض الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا لهم اومكان مثوبة لهم (وامنا على قول بعضهم) اى من العلماء الحنفية على ما قدمنا عنهم اومعناه يأمن من حجه او اعتمره اودخله من عذاب الآخرة اوموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله سبحانه وتعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكى ان قوما اتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين فى كتب الحديث من الاصول المعتمدة (الخولانى) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وفتح نون قبل ياء النسبة (بالمنستير) بضم ميم وفتح نون وبكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فرآء مكان بالقيروان (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف فنون وقية قبيلة من البربر (قتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة اى اشعلوا اواوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل) اى لم تؤثر (فيه) اى شيأ كما فى نسخة (وبقى) اى الرجل (ابيض اللون) اى زيادة على ما كان عليه اوتبدل سواده بياضا وهو الاظهر وفى نسخة ابيض البدن (فقال) اى سعدون (لعله) اى المقتول (حج ثلاث حجج) اى مقبولة وهى بكسر الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء وكسرها (قالوا نعم) اى حج ثلاث حجج (قال حدثت ان من حج حجة) اى واحدة (ادى فرضه) اى ان قام بشرائطه واركانه (ومن حج ثانية داين ربه) اى اقرضه قرضا حسنا وفى اصل الدلجى دان ربه اى اطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما فى نسخة من زيادة فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) اى ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) اى فى الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) اى يوم الفتح اووقت هجرته الى المدينة اوفى حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير اى سهلا وفضلا (من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك) اى قدرا رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر (وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من احد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود وفى الترمذى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال الترمذى حسن صحيح وقال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا اهل الشرك والكفران ولا يبيضه توحيد اهل المعرفة والايمان واجيب بان بقاءه اسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا اثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب اعظم واكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ اهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلاثمائة بعير والله تعالى اعلم (الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا انا قد روينا فى رسالة الحسن البصرى الى اهل مكة ان الدعاء يستجاب فى حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذى يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصرى وسمعت ان عثمان بن عفان اقبل ذات يوم فقال لاصحابه الا تسألونى من اين جئت قالوا من اين جئت يا امير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضى الله عنه قائما تحت الميزاب يدعو الله تعالى وذكر الازرقى فى تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمى وابن النجار ولفظه ما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوى لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لا سيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنام وشبهه

مما لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفى فى مختصره وقال فيه انه باطل لا اصل له والله اعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (قرأت على القاضى الحافظ ابى على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفى نسخة حدثنا (ابو العباس العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى) بفتح الهاء والرآء منسوب الى هراة بكسر اولها مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الرآء وكسر الشين المعجمة هو اليشكرى مصرى مشهور عالى السند لين الحفظ وثقه جماعة وانكر عليه الدارقطنى انه كان يصلح فى اصله ويغيره (سمعت ابا الحسن) وفى نسخة ابا الحسين (محمد بن الحسن بن راشد) اى الانصارى يروى عن وراق الحميدى (سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى) بالتصغير وهو القرشى المكى الفقيه الامام احد الاعلام وهو من اصحاب الشافعى مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو اول رجل اخرج له البخارى فى صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا احد بشئ فى هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاى وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقى ذرعه اربعة اذرع سمى بذلك لان الناس يلتزمونه فى الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو (الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ) ويروى مذ هنا وما بعده (سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار) اى الراوى عن ابن عباس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان) اى ابن عيينة الراوى عن عمرو بن دينار (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) اى ابن دينار (الا استجيب لى وقال الحميدى) وهو الراوى عن ابن عيينة (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) اى ابن عيينة (الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس) يعنى الراوى عن الحميدى (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال ابو الحسن) وفى نسخة ابو الحسين (محمد بن الحسن) وهو الراوى عن ابن ادريس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق) يعنى شيخه (قال فيه شيأ) اى مثل ما سبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هذا فالمسلسل هنا منقطع (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا) اى مما طلبته (وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الآخرة) اى مما دعوته (قال العذرى) اى الراوى عن ابى اسامة (وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على) وهو تلميذ العذرى وشيخ المصنف (وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وانا ارجو من سعة فضله) بكسر السين وفتحها اى واسع كرمه (ان يستجيب لى بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصلة وندر ان تكون صحيحة هذا وقد ذكر شيخ مشايخنا ابو الخير محمد ابن الجزرى فى الحصن الحصين انا قد روينا فى استجابة الدعاء فى الملتزم حديثا مسلسلا من طريق اهل مكة كذا ذكره مجملا من غير ان يبينه مفصلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق ابى الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسأل الله تعالى احد فيه شيأ الا اعطاه قال ابو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لى (قال القاضى ابو الفضل) لعله يعنى المصنف نفسه (ذكرنا) وفى نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة فذال معجمة اى قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهى النقطة والمراد بها الفوآئد اللطيفة والعوآئد المنيفة (فى هذا الفصل) اى عظيم الفضل (وان لم تكن) اى النبذ او النكت (من الباب) اى باعتبار الاصل وانما ذكرناها فى اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة) اى وغاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه

(القسم الثالث)

(فيما يجب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يثبت له ولا بد له من وقوعه (وما يستحيل فى حقه وما يمتنع) اى مع امكان وجوده (او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال تعالى وما محمد الا رسول) اى من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) اى مضوا وانقرضوا او بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم فى اممهم وسيخلو محمد كمن قبله (أفان مات) اى محمد (او قتل انقلبتم على اعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخى منصبة على الانقلاب وفى الاية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الاية

(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما يضر نفسه حيث يجحد ربه (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كانس بن النضر عم انس بن مالك فانه لما قيل له فى احد ألا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قد قتل فان ربه حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) اى الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) اى لا الوهية لها ولا نبوة وانما هى كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافى الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويغوطان فهما محتاجان الى اكله اولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما ارسلنا قبلك) اى احدا (من المرسلين الا انهم) اى ان شأنهم (ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم) اى لا ادعى انى ملك وانما اتميز عنكم بانى (يوحى الى انما الهكم اله واحد فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء) اى وباقيهم عليهم السلام (من البشر) اى من جنس بنى آدم وهو ابو البشر وسموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) اى من نوعهم (ولولا ذلك) اى التناسب بان كان ارسل اليهم الملائكة (لما اطاق الناس مقاومتهم) اى لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من اصولها على جناحه ثم قلبها اى جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه على اقصى جبل بالهند (والقبول) اى ولما اطاقوا قبول الاحكام واخذ الاسلام (عنهم) اى فى تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازى ويروى عليهم اقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) اى ولما اطاقوا واحال مكالمتهم ايهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) اى فى جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) اى الرسول الذى اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) اى لارسلناه فى صورة رجل وهذا معنى قوله (اى لما كان الا فى صورة البشر الذى) افرد نظرا الى لفظ البشر وفى نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخالطتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام فى صورة دحية وغيره وفى نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) اى جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) اى وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل فى صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) اى ولو جعلناه فى صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا رأوه فى صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) اى الله تعالى لنبيه (قل) اى جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله بشرا او اقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى ظاهرين كما يمشى بنو آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) اى لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (اولمن خصه الله تعالى واصطفاه) اى بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) اى مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب فى الفرق بين النبى والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب او شريعة مجددة والنبى بخلافه (فالانبياء والرسل وسائط بين الله تعالى) اى بواسطة ملائكته (وبين خلقه) اى المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم اوامره) اى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) اى على طاعتهم (ووعيده) اى على معصيتهم (ويعرفونهم بما لا يعلمون من امره) اى من امر ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) اى وما لم يعلموه من احوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) اى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) اى علو شانه وظهور برهانه (وجبروته) اى قهره وقدرته (وملكوته) اى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) اى الانبياء (واجسادهم وبنيتهم) اى ابدانهم المركبة من اشباحهم وارواحهم او الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) اى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) اى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) اى ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح واما الاشباح فقد ورد ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الادمية اى من القوى الشهوية والغضبية (وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى) اى باوصاف اعلى (من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى وهو الاولى (متشبهة) يروى متشبهة

(بصفات

(بصفات الملائكة) اى فى دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفى القوة على الطاعة والعبادة من غير الملالة ففى البخارى انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) اى تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات) اى المنافية لارباب النبوات واصحاب الفتوات (لا يلحقها) اى ارواحهم واشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح الضاد وضمها اى فتورها وقصورها فهم اتم افعالا واصدق اقوالا واكمل احوالا الا انهم قد يغشاهم فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لا تخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة (اذ لو كانت بواطنهم) اى اسرارهم العلية (خالصة للبشرية) اى من دواعيها (كظواهرهم) اى من لزوم مراعيها (لما اطاقوا الاخذ) اى اخذ العلم وتلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب اى ولا اطاقوا املاقاتهم (ومخاطبتهم) اى مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام اى مخالطتهم كما فى نسخة مخاللتهم بالفك وهى موادتهم ومصاحبتهم (كما لا يطيقه) اى ما ذكر من الاخذ وما بعده (غيرهم) اى غير الانبياء (من البشر) اى ولو كانوا من الاولياء (ولو كانت اجسامهم) اى اجسادهم كما فى نسخة (وظواهرهم) اى ابشارهم (متسمة) اى متصفة (بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر) اى من غيرهم (ومن ارسلوا) بصيغة المجهول (اليه) اى من اممهم (مخالتهم) وفى نسخة مخاطبتهم اى الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) اى مما يدل على هذا (من قول الله تعالى) اى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (فجعلوا) بصيغة المجهول اى خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية فجبلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) اى متشاركين (ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) اى متناسبين (كما قال عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه البخارى وغيره (لو كنت متخذا من امتى خليلا) اى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت ابا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) اى حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) اى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال) اى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابى هريرة وانس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) اى على صفتكم وماهيتكم (انى اظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى اصير او ادوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان كانت ناقصة او على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع والم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه اى او بايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يلتوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوة لانه لو اكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية ابيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) اى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) اى المملة على الاجسام الحيوانية (وهذه) اى النبذة (جملة) اى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) اى علية (بل الاكثر) اى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) اى للكلام فى احوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق بافعالهم (على ما نأتى به) اى نبينه ونذكره (بعد هذا) اى البيان الاجمالى (فى البابين) اى الموضوعين للمقام التفصيلى (بعون الله تعالى) اى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) اى الله ربى (حسبى) كافى امرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) اى هو افضل من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف وهذا من ملحقات بعض تلاميذه كما تشير اليه الترضية عنه (اعلم ان الطوارئ) بالهمز جمع الطارئ وهو ما يطرأ او يحدث (من التغيرات) اى الموجبة للفتورات ويروى التغييرات

يبانين والاولى هو الاولى كما لا يخفى (والآفات) اى الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) اى عوامهم ويروى اجساد البشر اى ابدانهم (لا يخلوان نظراً) اى من ان تعرض (على جسمه) اى جسم البشر (او على حواسه) اى الخمس وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) اى من البشر بل بخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) اى الاوجاع والآلام (او بقصد واختيار) اى اوان نطرأ بهما (وكله) اى وكل ما ذكر مما يطرأ بغير اختيار او باختيار (فى الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) اى دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة انواع) اى باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) اى جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) اى يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) اى الاعضاء والاركان (وجميع البشر) اى افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة اى الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (فى هذه الوجوه كلها والنبى) اى جنسه (وان كان من البشر) اى من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فموحدة وبلام مشددة اى خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) اى سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) اى الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) اى ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار) اى لعصمة الله تعالى لهم منها (وعلى غير الاختيار) اى لكرامتهم على الله سبحانه فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتى به من التفاصيل) اى تبيين كل منهم ما فى فصل على حدة

(فصل)

(فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو احكامه ولزومه على الشئ وحقيقته (من وقت نبوته اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه) اى اعطانا بخلقه فينا جملة دعائية اعتراضية والخطاب عام والمعنى افهم (ان ما تعلق) اى الذى تعلق به قلب النبى (منه) اى بعضه ماهو (بطريق التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات (والعلم بالله) اى بذاته العلية (وصفاته) الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والايمان به) اى التصديق بوجوده والتحقيق بكرمه وجوده (وبما اوحى اليه) اى من الوحى الجلى او الخفى ليبلغه او يعمل به (فعلى غاية المعرفة) اى بجزئياته (ووضوح العلم واليقين) اى بكلياته (والانتفاء) اى وعلى غاية التنزه (عن الجهل بشئ من ذلك) اى مما ذكر من العلم المتعلق به سبحانه (او الشك) اى مطلق التردد (او الريب) اى الشبهة (فيه والعصمة) اى وعلى غاية الحفظ (من كل ما يضاد) بتشديد الدال اى ينافى (المعرفة بذلك واليقين) اى بما هنالك (هذا) اى الذى ذكرناه اجمالا من نسبته اليه (ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح) وفى نسخة فلا يصح (بالبراهين الواضحة) اى الادلة البينة (ان يكون فى عقود الانبياء سواه) اى غير ما تقدم (ولا يعترض على هذا) بصيغة المجهول اى وليس لاحد ان يعترض على قولنا هذا ويدفعه (بقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اى حيث حكى عنه سبحانه اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن اى اما آمنت فالهمزة للتقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار بايجاب ما بعد النفى الموضوع له بلى (قال بلى) آمنت ولا شك فى ايمانى باحيائك الناشئ عن قوتك وقدرتك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى) اى فى الدنيا والاخرى اذ كان اثبت ايمانا واتم ايقانا (ولكن اراد طمأنينة القلب) اى بمشاهدة فعل الرب اذ ليس الخبر كالمعاينة على ما ورد فى الاثر (وترك المنازعة) اى بسكون النفس او منازعة اهل المخاصمة (بمشاهدة الاحياء) وفى نسخة لمشاهدة الاحياء فاللام للعلة والباء للسببية (فحصل له العلم الاول) وهو علم اليقين (بوقوعه) اى بوقوع احيائه تعالى (واراد العلم الثانى) وهو عين اليقين (بكيفيته ومشاهدته) اى ملاحظة هيئته والحاصل انه فى مقام استزادة العلم اذ لا نهاية لمراتب تجليات الله وتعيناته ولذا قال لاعلم الخلق بالحق وقل رب زدنى علما وهذا الوجه الاول فى دفع الاعتراض الوارد على الخليل الاكمل (الوجه الثانى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام انما اراد اختبار منزلته) اى باعتبار مرتبته ورفعة مكانته (عند ربه وعلم اجابته) اى واراد علم اجابة الله له (دعوته) وفى نسخة اجابة دعوته ونسب الى اصل المصنف (بسؤال ذلك من ربه) اى بطلبه منه ان يريه كيفية الاحياء باعادة التركيب والروح فى الموتى (ويكون) وفى نسخة فيكون (قوله تعالى اولم تؤمن اى تصدق) وفى نسخة صحيحة اى الم تصدق (بمنزلتك منى وخلتك) بضم الخاء وتشديد اللام اى وكونك خليلا عندى (واصطفائك) اى بالرسالة وغيرها لدى (الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين) اى معرفة تقبل الضعف (وقوة طمأنينة) اى لاجل مشاهدة (وان لم يكن فى الاول) اى فى المقام الاول من علم اليقين (شك) اى تردد وشبهة (اذ العلوم الضرورية) اى البديهية (والنظرية) اى الفكرية (قد تتفاضل فى قوتها) اى وتتناقص فى ضعفها الا انه

لابد

لابد من ثبوت اصولها من غير تردد فى حصولها (وطريان الشك) اى حدوثه ووقوعه (على الضروريات ممتنع) اى من حيث ذاتها (ومجوز) بفتح الواو المشددة وفى نسخة ويجوز اى طريانه او جريانها (فى النظريات) اذ قد يلم بها الوهم ويندفع عنها الفهم (فاراد) اى ابراهيم (الانتقال من النظر) اى السابق (او الخبر) اى الصادق (الى المشاهدة) اى العينية المفيدة للزيادة اليقينية (والترقى) اى الصعود (من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة) وهذا اقتباس من قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه احمد وابن حبان عن ابن عباس مرفوعا ليس الخبر كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى عليه السلام بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا القاها فانكسرت ولا يبعد ان قوله ان الله عز وجل يكون مدرجا من قول ابن عباس والله سبحانه وتعالى اعلم (ولهذا قال سهل بن عبد الله) اى التسترى (سأل) اى ابراهيم (كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله) اى بصيرة فى كماله (الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين) اى من قومه نمرود وسائر الجنود (بان ربه يحيى ويميت) كما قال تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت اى لا غيره بشهادة تعريف الجزئين او بتقدير ضمير الفصل قبل الذى (طلب) جواب لما اى سأل (ذلك) اى ارائة كيفية احياء الموتى (من ربه ليصح احتجاجه) اى عليهم (عيانا) ويلجئهم الحق بيانا وهذا متوقف على صحة كون هذه الواقعة عند نمرود وجنوده وظاهر الآية انه انتقل من هذا الاستدلال وحصل له الزام لغيره فى الحال (الوجه الخامس قال بعضهم) يروى قول بعضهم (هو) اى قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى (سؤال) اى طلب من الرب وارد (على طريق الادب المراد) اى المقصود به (اقدرنى) بفتح الهمزة وكسر الدال اى قدرنى وقونى (على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبى) اى حينئذ يكون معناه ليسكن (عن هذه) ويروى من هذه (الامنية) وهى التمنى والتشهى (الوجه السادس انه ارى) اى اظهر ابراهيم لغيره (من نفسه الشك) اى صورة (وما شك) اى حقيقة (ولكن) اى ارى ذلك تأدبا لما هنالك (ليجاوب) بفتح الواو وفى نسخة ليجاب اى ليجيبه ربه (فيزداد قربه) بالاضافة اى كمال قربه بمعرفة منزلته عند ربه وفى نسخة قربة اى عظيمة اذ المجاوبة تؤذن بالمقاربة (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام نحن احق بالشك من ابراهيم) ليس اعترافا منه بالشك لما بل (نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد) اى زجر وطرد (للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم) اذ قد ورد انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى سمع قوم ذلك فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا (اى نحن) يعنى معاشر الانبياء او جماعة المؤمنين (موقنون بالبعث واحياء الله الموتى) اى ولم نشك فى قدرته على ذلك وفى ظهور هذه الحالة هنالك (فلو شك ابراهيم) اى ولو جاز له (لكنا اولى بالشك منه) وهذا القول منه صلى الله تعالى عليه وسلم (اما على طريق الادب) اى مع ابراهيم لانه بمنزلة الاب (او ان يريد) اى بنحن (امته الذين يجوز عليهم الشك) لفقد عصمتهم (او على طريق التواضع) اى هضم النفس (والاشفاق) اى الخوف من تزكيتها (ان حملت) بضم الحاء وكسر الميم المخففة (قصة ابراهيم على اختبار حاله) بالموحدة اى امتحان كماله كما فى الوجه الثانى ليعلم منزلة قربه من ربه (او) اى وان حملت قصته على (زيادة يقينه) اى ازدياد حصول علم يقينه بوصول عين يقينه (فان قلت فما معنى قوله) اى الله سبحانه وتعالى (فان كنت فى شك) اى قلق واضطراب (مما انزلنا اليك) اى من كتاب ربك (فاسأل) قرئ بالتخفيف والنقل (الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) فانهم محيطون علما بصحة ما انزلنا اليك من ربك (الآيتين) يعنى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى فيما انت عليه من الجزم واليقين ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فيه زيادة تنبيه وتهييج له على دوام ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك فى امر الدين (فاحذر) اى كل الحذر (ثبت الله قلبك) لو قال قلبى وقلبك لكان اولى (ان يخطر ببالك) بضم الطاء اى ان يمر بخيالك (ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره) اى من المتقدمين او المتأخرين (من اثبات شك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى) اى الله كما فى نسخة (اليه وانه من البشر) اى وان الخاطرات ليس بها عبرة (فمثل هذا) اى الخاطر المذموم (لا يجوز عليه جملة) لثبوت عصمته من مثل هذا الامر (بل قد قال ابن عباس وغيره) اى باسانيد صحيحة منها ما رواه ابن حاتم عنه (لم يشك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسأل) اى احدا ممن قرأ الكتاب من قبله (ونحوه عن ابن جبير) وهو سعيد (والحسن) اى البصرى (وحكى قتادة) اى فيما رواه ابن جرير (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حين جمع الله له الرسل ليلة اسرى به (قال ما اشك ولا اسأل) لنزاهته وبراءة ساحته عن الشك لعصمته (وعامة المفسرين على هذا واختلفوا) اى المأولون (فى معنى الآية) اى آية فان كنت فى شك (فقيل المراد) اى المخاطب بها (قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الآية) اى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفيه تنبيه نبيه لمن خالج قلبه شبهة ان يبادر الى دفعها وبطلب معرفتها من اهل العلم بها اذ شفاء العى السؤال كما ورد

فى حديث وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (قالوا) اى اولوا الاية بما ذكر (وفى السورة) اى
وفى سورة الاية المذكورة (نفسها مادل) يروى مايدل (على هذا التاويل قوله) اى وهو قوله تعالى وفى نسخة فى قوله
اى وهو فى قوله تعالى (قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الاية) اى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت ان اكون من المؤمنين (وقيل المراد بالخطاب) اى بقوله تعالى فان كنت فى شك
مما انزلنا اليك هم (العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن عداه من الامة فالمعنى فان كنت فى شك
ايها المخاطب مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ولا يشكل بقوله مما انزلنا اليك فان القرآن
كما انزل الى النبى انزل الى امته قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا (كما قال) اى الله (لئن اشركت ليحبطن عملك
الخطاب له والمراد غيره) كما فى قولهم اسمعى يا جارة اوهو وارد على سبيل الفرض والتقدير كما تفرض المحال
فى مقام التقدير (ومثله فلا تك) وفى نسخة فى فلا تك اى ومثل التاويل السابق فى قوله فان كنت فى شك التاويل
فى قوله تعالى فلا تك (فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره) اى مثل فان كنت فى شك الاية (كثير) اى فى القرآن
كقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (قال بكر بن العلاء) من القضاة
المالكية (الا تراه) اى الله تعالى (يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله الاية) اى فتكون من الخاسرين (وهو
عليه الصلاة والسلام كان) اى هو (المكذب) بفتح الذال المعجمة المشددة وهو منصوب على انه خبر كان (فيما يدعو
اليه) اى من التوحيد (فكيف يكون ممن كذب به) يروى يكذب يعنى فدل على انه ليس المراد بالخطاب
(فهذا) اى ماذكر (كله) اى جميعه (يدل على ان المراد بالخطاب غيره) اى سواء قلنا الخطاب له اولغيره اولكل من
يصلح للخطاب (ومثل هذه الاية) اى آية فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فى ان المراد بالخطاب فيها غيره مقصود
فى هذا الباب (قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هنا) اى وبيانه ان المأمور فى فاسأل به خبيرا (غير النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ليسأل النبى والنبى هو الخبير) اى به تبارك وتعالى (المسؤل) اى الذى ينبغى ان يسأل منه لانه المخبر
عن الله تعالى (لا المستخبر السائل) فان هذا شأن آحاد الامة او الخبير المسؤل به غيره عليه الصلاة والسلام اى اسأل
عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسأل بمعنى فتش عنه وعدى بالباء لتضمنه معنى
الاعتناء اواسأل احدا خبيرا به فالباء صلة خبيرا مبالغة فى الفاعل بمعنى مخبرا وخابر (وقيل) وفى نسخة صحيحة وقال
اى بكر بن العلاء فى آية فان كنت فى شك (ان هذا الشك) وفى نسخة ان هذا الشاك (الذى امر) بصيغة المجهول
وفى نسخة امر به (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه) اى الله
كما فى نسخة وفى اخرى بالنون بدل القاف يعنى فيما حكاه الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام فى كتابه (من اخبار الامم)
اى السابقة (لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة) وفيه انه لا فرق فى نفى الشك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
فى القصتين على السويتين (ومثل هذا) اى مثل ما اريد به غيره عليه الصلاة والسلام من الخطاب وسؤال الذين
يقرؤن الكتاب (قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية) اى أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
(المراد به) اى بالسؤال مجازا (المشركون) اى الموجودون من اممهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم والمعنى
اسأل من الفيت من اممهم أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بالاستفهام الانكارى التكذيبى (والخطاب
مواجهة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرادا به غيره (قاله القتبى) بقاف مضمومة وفوقية مفتوحة فتحتية
ساكنة فموحدة فياء نسبة وفى نسخة بضم القاف وسكون الفوقية وفتحها فموحدة فالمراد بهما ابو عبد الله عبد الله بن
مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المصنفات وقد تقدم والاظهر انه المراد والله اعلم وفى اخرى بعين مهملة ففوقية ساكنة
فموحدة فالمراد به فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنف العتبية ويقال لها المستخرجة ايضا
من موالى عتبة بن ابى سفيان (وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك بحذف الخافض) وهو عن ولم يتعرض لحذف
المفعول فى سلنا لوضوحه ولزومه (وتم الكلام ثم ابتدأ) اى الكلام كما فى نسخة بقوله (أجعلنا من دون
الرحمن الى آخر الاية) اى آلهة يعبدون كما فى نسخة (على طريق الانكار اى ما جعلنا) اى آلهة فلا عبادة لها (حكاه
مكى وقيل امر النبى) بصيغة المفعول وفى نسخة بلفظ الفاعل اى امر الله تعالى النبى (صلى الله عليه وسلم ان يسأل
الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك) اى هذا الانباء فقد روى انه عليه الصلاة والسلام ليلة اسرى به بعث الله آدم وولده
من الانبياء والمرسلين فاذن جبريل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من
دون الرحمن آلهة يعبدون (فكان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اشد يقينا) اى فى مراتب الكمال (ان يحتاج الى

السؤال

السؤال) من غيره من الرجال ولو كانوا من الكمل فى الاحوال (فروى انه قال لا اسأل) اى من احد (قد اكتفيت)
اى بما ايقنت وعرفت (قاله ابن زيد) اى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدم (وقيل امم من ارسلنا) وفى نسخة سل امم
من ارسلنا يعنى انه على تقدير مضاف (هل جاؤهم) اى الرسل (بغير التوحيد) استفهام انكار اى ما جاؤا به بل
اتفقوا على خلافه (وهو) اى هذا القيل (معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة) وهم من اكابر التابعين وعمدة
المفسرين (والمراد بهذا) اى بقوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا (والذى قبله) اى من قوله فان كنت
فى شك الى هنا (اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما بعثت) بصيغة المجهول اى ارسلت (به الرسل) اى من
التوحيد اجماعا (وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره لاحد) اى من الانبياء والامم (ردا على مشركى العرب وغيرهم
فى قولهم انما نعبدهم) كذا وقع فى كثير من النسخ من الاصول لكن التلاوة انما هى ما نعبدهم (الا ليقربونا الى
الله زلفى) وكذا فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذا دعوى العرب انهم على دين اسمعيل وان ابراهيم
كان مشركا كما كانت اليهود والنصارى مدعين ان ابراهيم على دينهم قال تعالى ردا عليهم ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (وكذلك) اى ومثل ماذكر من الايات (والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون انه) اى القرآن (منزل) قرئ بالتشديد والتخفيف (من ربك بالحق) ووصف جميعهم بانهم يعلمون
حقيقة مشعر بان جحودهم عن عناد فى كفرهم (فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين (اى فى علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك) اى بما ذكر من حقية ما لديك وحقيقة الكتاب المنزل عليك حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين
لهم الحق (وليس المراد به) اى بقوله فلا تكونن من الممترين (شكه فيما ذكر فى اول الاية) اى آية فان كنت فى شك
اذ المراد به هنا شكهم فى كونه رسول الله وهناك الشك فيما انزل الله تعالى ولم يقع شك منه صلى الله عليه وسلم
(وقد يكون) اى قوله تعالى فلا تكونن من الممترين هنا (ايضا على مثل ما تقدم) اى من انه عليه الصلاة والسلام
امر ان يقول للشاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك او على انه المخاطب والمراد غيره (اى قل يا محمد لمن امترى فى ذلك)
اى شك فيما هنالك هذا حق (فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية) وفى نسخة فى اول الاية اى التى فيها
والذين آتيناهم الكتاب وهو قوله (أفغير الله ابتغى حكما) استفهام انكارى اى اطلب غيره تعالى يحكم بينى
وبينكم ليظهر المحق منا والمبطل منكم لا يكون ذلك منى ابدا ولا ابتغى غيره احدا (الاية) وهى قوله تعالى وهو الذى
انزل اليكم الكتاب اى القرآن مفصلا مبينا فيه الحق والباطل (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب)
بكسر الطاء ويروى خاطب (بذلك غيره) اى غير نفسه (وقيل هو) اى امره عليه الصلاة والسلام بالسؤال (تقرير)
اى لمشركى قريش يحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم يجعل من دونه آلهة تعبدون وتوبيخهم على عبادة
الاصنام (كقوله) تعالى اى خطابا لعيسى عليه السلام والمراد بالتوبيخ غيره (أأنت قلت للناس اتخذونى وامى)
بفتح الياء وسكونها (الهين من دون الله وقد علم) اى الله سبحانه (انه) اى عيسى (لم يقل) اتخذونى الخ (وقيل
معناه ما كنت فى شك) اى على ان ان نافية بمعنى ما واخطأ الدلجى خطأ فاحشا فى قوله ماهنا مصدرية اى مدة
كونك فى شك (فاسأل) اى الذين يقرؤن الكتاب لعلمهم بصحة ما انزل اليك من ربك (تزدد) مجزوم على جواب
الامر الذى هو سل اى تزد (طمأنينة) اى الى طمأنينتك (وعلما) اى برهانا ويقينا (الى علمك ويقينك وقيل)
اى فى معناه (ان كنت فى شك اى فيما شرفناك) من كرم النبوة التامة وشرف الرسالة العامة (وفضلناك)
ويروى وعظمناك (به) اى على غيرك بدلالة ما فى التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من
ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة اليه بالخشوع (فاسألهم عن صفتك فى الكتب) اى السابقة (ونشر
فضائلك) اى بين الامم السابقة ففى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
اى ملة ابراهيم الغراء فان العرب غيروا فيها كثيرا من الاشياء وفى الانجيل على لسان عيسى عليه السلام انا اطلب
من ربى وربكم حتى يمنحكم فارقليط اى كاشفا للخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس
الذى يرسله ربى باسمى اى بالنبوة هو يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلت لكم وقد اخبرتكم بهذا قبل ان
يكون فاذا كان فآمنوا به (وحكى عن ابى عبيدة) وهو معمر بن المثنى من اكابر أئمة اللغة وله كتب كثيرة
فى الصفات والغريب وايام العرب ووقائعها وكان الغالب عليه الشعر والغريب واخبار العرب توفى سنة عشر
ومائتين وقد قارب المائة وله تفسير حديث فى الزكاة وكان ابو عبيد القاسم بن سلام يوثقه ويكثر الرواية عنه
فى كتبه (ان المراد) اى المقصود من الاية (ان كنت فى شك) اى حاصل آنسته (من غيرك) اى من جانب غيرك

(فيما انزلنا) اى اليك من الحق والصواب فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك بحقيقة هذا الباب (فان قيل فامعنى قوله حتى اذا استيأس الرسل) اى يئسوا من ايمان اممهم اومن النصر فى الدنيا عليهم (وظنوا) اى الرسل (انهم قد كذبوا) بصيغة المجهول (على قراءة التخفيف) اى كما قرأ به الكوفيون لان ظاهرها ظنهم انهم قد اخلفوا ماوعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من ان يظنوا بربهم ذلك الامر لانه سبحانه لايخلف وعده رسله (قلنا المعنى فى ذلك (ماقالته عائشة رضى الله عنها معاذ الله) اى حاشاه واستجير بالله (ان تظن ذلك) اى الظن المذكور (الرسل بربها) كان الاولى بربهم وكانه اراد جماعة الرسل (وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا) اى من النصر على مكذبيهم وطالت مدة امهالهم (ظنوا ان من وعدهم النصر) اى به (من اتباعهم) بيان لمن (كذبوهم) بتخفيف الذال والضمير الاول للموعودين من اتباع الرسل وهم المؤمنون والضمير الثانى للرسل اى اخلفوهم ماوعدوهم من نصرهم على عدوهم وتوهموا ان الله تعالى اخلف رسلهم (وعلى هذا) اى مقول عائشة (اكثر المفسرين) فعلى هذا ضمير ظنوا راجع الى الرسل (وقيل ضمير ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الرسل) الواو بمعنى او فالمعنى ان اتباعهم ظنوا اذلم يروالوعدهم النصر نتيجة واثرا ظاهرا بسبب تراخيه عنهم انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من انهم ينصرون عليهم اوالمعنى ان اممهم المكذبين لهم ظنوا انهم كذبوا اى كذبتهم رسلهم فى قولهم انهم منتصرون عليهم (وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير) اى من التابعين (وجماعة من العلماء) اى المتقدمين والمتأخرين (وبهذا المعنى قرأ مجاهد) اى شاذة (كذبوا بالفتح) اى بفتح الكاف والذال والتخفيف والمعنى ان الامم ظنوا ان رسلهم كذبوا فى قولهم بالنصر عليهم (فلا تشغل) بفتح التاء والغين وفى نسخة بضم اوله وكسر ثالثه الا انه لغة رديئة (بالك) اى قلبك (من شاذ التفسير بسواه) اى بغير ماذكرناه من قول عائشة وابن عباس وامثالهما ولا يتوهم ان الرسل ظنوا به سبحانه انه اخلفهم ماوعدهم من نصرهم على عدوهم (مما لايليق بمنصب العلماء) بكسر الصاد اى مقامهم ومرتبتهم (فكيف بالانبياء) فما سبق من نسبة الظن المذموم بالاتباع اما ان يحمل على مجرد الخواطر التى لاتدخل تحت التكليف او على ان بعضهم كفروا بذلك وارتدوا واعماهنالك (وكذلك) اى مثل آية حتى اذا استيأس الرسل وارد من الاشكال (ماورد فى حديث السيرة) اى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام فى ابتداء النبوة (ومبدأ الوحى) اى بالرسالة (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى على ما اخرجه البخارى وغيره (لخديجة) اى بعد ما اخبرها ماجرى له مع جبريل بحراء (لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله) اى من النبوة والرسالة والهداية والمعرفة ويروى فيما اتاه من الله تعالى (بعد رؤية الملك) اى واخباره انه رسول الله (ولكن لعله خشى ان لايحتمل قوته) لضعف قوة البشرية (مقاومة الملك) اى مصابرته فانه فى غاية القوة القوية (واعباء الوحى) بالنصب اى لايحتمل اثقال تحمل الوحى وتبليغه وهو جمع عبء بكسر العين مهموزا (لينخلع قلبه) كذا فى نسخة مصححة فاللام للعاقبة والاظهر ما فى نسخة فينخلع بالفاء منصوبا اى فيزول حينئذ قلبه عن مكانه ويحصل له جنون فى شانه (او تزهق نفسه) اى تخرج روحه (هذا) اى التأويل (على ماورد فى الصحيح) اى صحيح البخارى وغيره (انه قاله) اى القول السابق ويروى انه قال (بعد لقائه الملك او يكون ذلك) اى المقول (قبل لقياه الملك) ويروى قبل لقائه الملك ولعله تكرر منه ذلك (واعلام الله تعالى) اى وقبل اخباره له (بالنبوة لاول ماعرضت) بصيغة المجهول كذا فى نسخة مصححة والاظهر انه بصيغة الفاعل والمعنى فى اول ماظهرت اولاجل اول مابرزت (عليه من العجائب) اى خوارق العادة من الامور الغرائب كما بينه بالعطف التفسيرى حيث قال (وسلم عليه الحجر والشجر) الظاهر ان المراد بهما الجنس فانه روى الدولابى بسنده عن ابن عباس قال بعث الله محمدا على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة وفى آخره فلما قضى اليه الذى امر به انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منقلبا الى اهله لا يأتى على حجر ولا شجر الا سلم عليه الحديث ويحتمل ان يراد بالحجر الافراد فى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث الحديث وقد ورد انه الحجر الاسود على مارواه السهيلى وقيل ان الحجر المعروف بالمتكلم المركوز فى جدار زقاق بيت خديجة (وبداية المنامات) اى ابتدائه المقامات العاليات فكان لايرى منا ما الاجاء مثل فلق الصبح (والتباشير) اى المقدمات المؤذنة بالبشارات ومنه تباشير الصبح اى اوائله (كما روى فى بعض طرق هذا الحديث) اى حديث مبدأ الوحى (ان ذلك) اى ماذكر من التباشير (كان اولا فى المنام ثم ارى) بصيغة المجهول اى اراه الله (فى اليقظة مثل ذلك) اى الذى رآه فى المنام ويروى مثال ذلك (تأنيسا له عليه السلام) من الانس بالضم ضد الوحشة تسكينا لقلبه (لئلا يفجأه الامر) بفتح الجيم والهمز اى لئلا يرد عليه امر النبوة بغتة (مشاهدة)

اى معاينة (ومشافهة) اى مخاطبة (فلا يحتمله) اى قلبه (لاول حالة) بالتنوين ويروى بالاضافة اى فى اول وهلة من احواله (بنية البشرية) بكسر الموحدة وسكون النون لضعفها عن القوة الملكية (وفى الصحيح) اى للبخارى ومسلم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها اول مابدئ به) بصيغة المجهول اى ابتدئ به (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى) بيان لما واول مبتدأ خبره (الرؤيا الصادقة) وفى رواية الصالحة من النوم وانما اخبرت بذلك باخباره عليه الصلاة والسلام او بعض اصحابه لها اياها هنالك والا فهى لم تكن ولدت قبل بدئه به فالحديث من مراسيل الصحابة وهى حجة بلاخلاف (قالت ثم حبب اليه الخلاء) بالمد اى الخلوة والعزلة لفراغ القلب بالذكر والفكر وظهور النور وسرور الحضور والغيبة عما سواه ونفى الشعور واليه اشار الشاعر حيث قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا (وقالت الى ان) وفى رواية الشيخين حتى (جاءه الحق) اى الامر المحقق (وهو فى غار حراء) بكسر الحاء وتخفيف الراء جبل على ثلاثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر باعتبار المكان فيصرف ويؤنث باعتبار البقعة فلا يصرف والغار الكهف والنقب بالجبل وكذا المغارة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) فيما روى ابن سعد عنه (مكث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الكاف وفتحها اى لبث (بمكة خمس عشرة سنة) بسكون عشرة وبالكسر لغة تميم (يسمع الصوت) اى صوت الملك (ويرى الضوء) اى نوره (سبع سنين ولا يرى شيأ) اى ظاهرا (وثمان سنين يوحى اليه) وهذا انما يمشى على القول بانه عليه الصلاة والسلام عاش خمسا وستين سنة والصحيح ان عمره ثلاث وستون سنة فبعد البعثة بمكة ثلاث عشرة على الصحيح وبالمدينة عشرا بلاخلاف وقيل المراد بثلاث وستين ماعدا سنة الولادة والوفاة فبهما يتم خمس وستون وفى المسألة قول آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام عاش ستين سنة وهو محمول على اسقاط الكسر (وقد روى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (عن بعضهم) الظاهر ان المراد به بعض الصحابة فان المطلق ينصرف الى الاكمل (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره) بكسر الجيم ويضم اى مجاورته واقامته متعبدا (بغار حراء) وهو نقب فيه والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وكرر قوله (قال) للتاكيد مع وجود الفصل (فجاءنى يعنى جبريل (وانا نائم) اى حقيقة اوصورة اى مضطجع على هيئة النائم ولا يبعد ان يكون النوم كناية عن الغفلة او الاستغراق فى الفكرة (فقال اقرأ فقلت ما اقرأ) اى اى شئ اقرأ فما استفهامية ويؤيده رواية وما اقرأ او ما نافية بدلالة دخول الباء فى خبرها فى رواية البخارى ما انا بقارئ (وذكر) اى ابن اسحق اومن روى عنه (نحو حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى غطه) بفتح معجمة وتشديد مهملة اى فى ضم جبريل عليه السلام ضما شديدا وفى نسخة اياه صلى الله تعالى عليه وسلم (واقرائه له) وفى نسخة اياه (اقرأ باسم ربك) اى صدر هذه السورة قال القاضى فى الاكمال حكمة هذا الغط له عليه الصلاة والسلام دفع اشتغاله عن الالتفات الى شئ من امر الدنيا ليتفرغ لما اتاه به وفعل به ذلك ثلاثا وفيه دليل على استحباب التكرار ثلاثا وقد استدل به بعضهم على جواز تأديب المعلم ثلاثا (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فانصرف) اى جبريل عليه السلام (عنى وهببت) بفتح الموحدة الاولى اى استيقظت (من نومى) اى استنبهت من غفلتى او استفقت من استغراقى (كانما صورت) اى مثلت ونقشت وشكلت سورة اقرأ (فى قلبى ولم يكن) اى الشأن وخبرها (ابغض الى من شاعر او مجنون) اى من تواهم له ذلك والجملة حالية افادت شدة بغضه نسبة قريش له صلى الله تعالى عليه وسلم بواحد منهما اذ كيف بهما (قلت) اى فى نفسى اكتم حالى (لاتحدث) بفتح الفوقية على انه حذف منه احدى التائين اى لاتتحدث (عنى قريش بهذا ابدا) اى بقولهم له شاعر او مجنون (ولا عمدن) بفتح اللام والهمز وكسر الميم ويفتح وتشديد النون اى لاقصدن (الى حالق) بمهملة وكسر لام اى مكان عال (من الجبل فلاطرحن نفسى منه فلاقتلنها) اى حذرا من ان يسموه بشاعر او مجنون ولعل هذا بناء على انه ظن ما تبين له من جانب الجن ولذا قال (فبينا انا عامد لذلك) اى قاصد لطرح النفس ومريد لاهلاك (اذ سمعت مناديا ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل) اى مبلغ عن الله تعالى (فرفعت رأسى فاذا) اى ففاجأنى بغتة (جبريل على) ويروى فى (صورة رجل) حال من جبريل اى متمثلا فى صورة رجل او التقدير فظهر لى على صورة رجل (وذكر الحديث) اى بتمامه واقتصرنا على محل مرامه (فقد بين) اى اظهر عليه الصلاة والسلام ويروى بين لك (فى هذا الحديث) اى حديث ابن اسحق (ان قوله) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لما قال) لخديجة رضى الله تعالى عنها لقد خشيت على نفسى (وقصده لما قصد) اى من طرح نفسه من الجبل (انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام) اى فى اليقظة او فى عالم الحضرة (وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره) اى الله تعالى (واصطفائه) اى اجتبائه وفى نسخة واظهار اصطفائه اى اظهار شأنه بالرفعة (له بالرسالة ومثله) اى شبيه حديث ابن اسحق ان ما قال لخديجة انه خشى على نفسه انما كان قبل لقاء جبريل (حديث عمرو بن شرحبيل) بضم

معجمة وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة وهو غير منصرف ابو ميسرة الهمدانى يروى عن عمر وعلى وعائشة وكان فاضلا عابدا حجة صلى عليه شريح قال الحلبى وهذا الذى ذكره القاضى عياض هنا هو فى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى ابى ميسرة عمرو بن شرحبيل (انه عليه الصلاة والسلام قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت ندآء وقد خشيت والله ان يكون هذا) اى ما سمعه من ندآء الملك (لامر) اى لم احط به خبرا يرهقنى من امرى عسرا قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وقال الدلجى الحديث رواه البيهقى عن عمرو بن شرحبيل (ومن رواية حماد بن سلمة) فيما رواه الطبرانى وابن منيع فى مسنده موصولا عن حماد عن عمار ابن ابى عمار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها انى لاسمع صوتا) اى عظيما (وارى ضوأ) اى نورا كريما (واخشى ان يكون بى جنون) ولم يدران شأنه فيه فنون (وعلى هذا) اى على قوله لاسمع صوتا الحديث (يتأول) بصيغة المجهول (لوصح قوله فى بعض هذه الاحاديث) اى رواياتها (ان الابعد شاعر او مجنون) مقول قوله الذى تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول اى يتأول قوله بذلك لخديجة ان صح بحمله على انه كان قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له انه رسول ولم يكن معناه الشك وعبر بالابعد عن نفسه الاسعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون (والفاظا) اى وان فى هذه الاحاديث الفاظا وروى والفاظها (يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما رآه) اى من الضوء وسمعه من الصوت (وانه) اى فى قوله ذلك (كان كله فى ابتدآء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى له انه رسوله) اى مما ينفى عنه الشك فيما آتاه الله تعالى واختصه به من المنح الالهية مالم يؤته سواه (فكيف) اى لا يكون ذلك فى ابتدآء امره (وبعض هذه الالفاظ) اى التى نسب صدورها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يصح طرقها) اى اسانيدها لكون بعض من فيها متهما او مجهولا (واما بعد اعلام الله تعالى له) اى بانه رسوله (ولقائه الملك) اى وبعد ملاقاته وتحقق مخاطباته (فلا يصح) اى بان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام (فيه ريب) اى شبهة ومرية (ولا يجوز عليه شك) اى تردد (فيما القى اليه) من المعارف الربانية والعوارف السبحانية (وقد روى ابن اسحق عن شيوخه) اى باسانيدهم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى) بصيغة المجهول اى يعوذ بالعوذ التى يرقى بها من الم به حمى ونحوها (من العين) اى من جهة اصابة العين (قبل ان ينزل عليه) اى الوحى او القرءآن وهو بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا ويؤيد الثانى (فلما نزل عليه القرءآن) ومنه قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر (اصابه نحو ما كان يصيبه) اى قبل ذلك (فقالت له خديجة اوجه) بتشديد الجيم المكسورة اى ارسل (اليك من يرقيك) بفتح الياء وكسر القاف (قال اما الان) اى بعد نزول القرءآن (فلا) اى فلا حاجة لى به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء لقلبه واعلم انه قد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى وكذا فى النهى عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربى مما يعرف معناه كاسماء الله تعالى وصفاته وسور كلامه وآياته ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام اعرضوا على رقاكم قال جابر فعرضناها عليه فقال لا بأس بها انما هى من مواثيق الجن فكانه عليه الصلاة والسلام خشى ان يكون فيها مما يقال ويعتقد من الشرك فى زمن الجاهلية وان المنهى عنه منها مالم يكن كذلك او ان يعتقد انها نافعة بنفسها كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ما توكل من استرقى اى حق توكله والحاصل ان تركها مع التوكل افضل لقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث من يدخل الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون (وحديث خديجة رضى الله تعالى عنها) اى الذى رواه ابن اسحق والبيهقى عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم فى الدلائل موصولا من طريق ام سلمة عن خديجة (واختبارها) اى امتحان خديجة (امر جبريل عليه السلام) اى تحقق امره (بكشف رأسها) اى من شعرها (الحديث) اى بطوله (انما ذلك) اى الاختبار والتردد (فى حق خديجة) اى واقع وحاصل (لتحقق صحة) وفى نسخة صدق (نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذى يأتيه) اى بما يوحى اليه من ربه ويلقيه (ملك ويزول الشك عنها) اى ويرتفع التردد لها الناشئ مما قال لها من نحو لقد خشيت على نفسى واخشى ان يكون بى جنون (لانها) اى خديجة (فعلت ذلك) اى كشف رأسها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لاجل امره (وليختبر) اى هو كما فى نسخة اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حاله بذلك) فيكون على بصيرة من امره هنالك (بل) لانتقال من حال الى حال افادان ما فعلته خديجة من الاختبار لم يكن بامر السيد المختار بل نشأ عن ابن عمها ورقة اذ (قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة) قال ابو حيان يروى الموضوعات عن الثقات وقال ابو حاتم الرازى متروك الحديث (عن هشام) وهو اخو عبد الله الراوى وهشام احد الاعلام يروى عنه شعبة ومالك قال ابو حاتم ثقة امام (عن ابيه) اى عروة بن الزبير اى ابن العوام بن خويلد يروى عن ابويه

وخالته وعلية وطائفة وعنه جماعة قال ابن سعد كان فقيها عالما كثير الحديث ثبتا مأمونا قال هشام صام ابى الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) ام المؤمنين خالته (ان ورقة) وهو ابن نوفل بن اسد (امر خديجة) وهى بنت خويلد بن اسد (ان تختبر الامر) وفى نسخة تخبر بضم الموحدة اى تمتحن وتجرب (بذلك) اى الذى فعلته من كشف رأسها (وفى حديث اسماعيل ابن ابى حكيم) اى فيما رواه ابن اسحق وهو قرشى مدنى يروى عن سعيد بن المسيب وغيره وعنه مالك ونحوه وثقه ابن معين وغيره قال ابن سعد كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز فى خلافته توفى سنة ثلاثين ومائة (انها) اى خديجة (قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم) لاجتماعهما فى قصى نسبا لانه عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وهى خديجة بنت خويلد بن اسد ابن عبد العزى بن قصى (هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك) اى تعلمنى بما تاه (اذ جاءك قال نعم) اى استطيع واخبرك به اذا جاءنى (فلما جاءه جبريل) ويروى جاء جبريل اى بعد سؤالها هذا (اخبرها) بمجيئه اليه (فقالت له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (اجلس الى شقى) بكسر الشين وتشديد القاف تريد احد جنبيها (وذكر الحديث الى آخره) وفيه فجلس اليه وكشفت رأسها فلم يدخل جبريل (وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت) اى على ما انت عليه (وابشر) اى بكل خير مما لديه (وآمنت به) اى حينئذ او آمنت قبل لكن اطمأنت به فحصل لها عين اليقين بعد علم اليقين فهى اول من آمن به مطلقا او من النساء (فهذا) اى الذى قالته (يدل انها) اى على انها كما فى نسخة (مستثبتة) اسم فاعل من باب الاستفعال من الثبات اى طالبة للوثوق (لما) اى لاجل ما وفى نسخة بما اى بسبب ما (فعلته) اى من الاختبار (لنفسها) اى لايقانها (ومستظهرة به) اى مستقوية بما فعلته (لايمانها) اى به عليه الصلاة والسلام (لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) تأكيد لقوله لنفسها ولا سقطت من اصل الدلجى فقال عدى باللام لتضمنه معنى الانقياد (وقول معمر) بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة ابن راشد سكن اليمن (فى فترة الوحى) بفتح الفاء اى انقطاعه عنه سنتين ونصف كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى الحديث فى صحيح البخارى فى التعبير وقال الدلجى فيما رواه احمد والبيهقى (فحزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الزاى اى صار ذا حزن بسبب فتور الوحى وتأخره عنه (فيما بلغنا عنه) اى وصل الينا من مشايخنا (حزنا) اى عظيما (غدا) اى ذهب (منه) اى من اجله او قصد فيه (مرارا) اى مرة بعد اخرى (كى يتردى) اى يقصد السقوط ويروى كاد يتردى (من) رؤوس (شواهق الجبال) اى اعاليها وانما جمع باعتبار تكرار ما قصده (لا يقدح) لا يخل اى قول معمر (فى هذا الاصل) الذى قدمناه من ان ما قاله لخديجة من الخشية على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله تعالى (لقول معمر عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فيما بلغنا) اى بطريق الاجمال (ولم يسنده) ليعلم حال الرجال من الانقطاع والاتصال (ولا ذكر رواته) ليعرف ثقاته (ولا من حدث به) اى من المخرجين (ولا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اى فيكون الحديث مرفوعا او قاله صحابى فيكون موقوفا (ولا يعرف مثل هذا) اى والحال انه لا يعرف حقيقة هذا المقال ولا حقية هذه الحال وهو انه كاد يلقى نفسه من الجبال (الا من جهة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله عليه الصلاة والسلام حدث عائشة رضى الله عنها خبر فترة الوحى وقال فيه فحزنت الى آخره بلفظ التكلم فروته عنه بلفظ الغيبة فحزن الى آخره فبلغ من لم يسمعه منها فقال فحزن فيما بلغنا الى آخره فلا يقدح فيما ذكر قال الحلبى ذكر ابو الفتح ابن سيد الناس فى سيرته ما لفظه ورويناه من طريق الدولابى ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب اخبرنى يونس بن يزيد عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها فذكر نحو ما تقدم وفى آخره ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا الى آخره فهذا لم يكن فيه معمر بالكلية وهذا الذى ذكره هو فى البخارى فى التعبير من قول معمر كما عزاه القاضى اليه وقد وقفت على انه ساقه ابو الفتح من غير كلام معمر والذى يظهر انه من كلام الزهرى ويحتمل ان يكون من كلام غيره والله اعلم (مع انه) اى ما بلغهم من انه حزن (قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه) اى من انه كان قبل ان يلقاه جبريل وفيه انه يدفعه انه وقع فى زمن فترة الوحى ولا شك انه كان بعد لقائه جبريل (او انه فعل ذلك) اى ما ذكر من ارادة التردى (لما احرجه) بالحاء المهملة اى من اجل ما ضيق عليه البال واوقعه فى حرج ضيق الحال (من تكذيب من بلغه) اى اوصل ما ارسل به اليهم (كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك) اى ذابحها او مهلكها غيظا والمعنى اشفق على نفسك ان تقتلها (على آثارهم) اى من بعد اختبارهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى القرءآن الجديد الانزال (اسفا) اى من اجل الاسف وهو اشد الحزن او متأسفا عليهم كما قال تعالى فى موضع آخر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بان تتلهب على فراقهم جمرات (ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك) وهو ابن عبد الله النخعى يروى عنه ابو بكر ابن ابى شيبة وعلى بن حجر وثقه

ابن معين وقال غيره سيئ الحفظ وقال النسائى لا بأس به (عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح فكسر وهو ابن ابى طالب
روى عن ابن عمر وجابر وعدة وعنه جماعة قال ابو حاتم وغيره لين الحديث وقال ابن خزيمة واحتج به قال الواقدى
مات بالمدينة قبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن سنة خمس واربعين ومائة (عن جابر بن عبد الله) كما رواه البزار
وروى الطبرانى نحوه عن ابن عباس (ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة) بفتح النون وسكون الدال المهملة وهو
مكان اجتماعهم حيث يتشاورون فى مهامهم (للتشاور فى شان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى دار بناها قصى
ابن كعب وجعل بابها الى الكعبة ليجتمع فيها العرب للمشاورة وللختان وللنكاح واذا قدمت عير نزلت فيها واذا
ارتحلت رحلت منها وسميت دار الندوة من الندى بتشديد الياء وهو مجمع القوم قال الشمنى وهى الآن من الحرم
والله تعالى اعلم وهى الزيادة التى تلى ناحية سويقة من المسجد وهى مستقبلة الميزاب وسيأتى قصة مشورتهم واتفاقهم
على قتله عليه الصلاة والسلام (واتفق رأيهم على ان يقولوا) اى فى حقه (انه ساحر) كما مر عن ابى جهل وعن الوليد
ابن المغيرة (اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه) اى تلفف (وتدثر فيها) اى تغطى بها فوق الشعار اعنى ما يلى جسده
من الثياب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعارى والعرب دثارى (فاتاه جبريل عليه السلام فقال)
اى مناديا له (يا ايها المزمل) اى تارة واخرى (يا ايها المدثر) لما روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كنت على حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيأ فنظرت فوقى فرأيت
شيأ وفى رواية عائشة رضى الله عنها فاذا به على كرسى بين السماء والارض يعنى جبريل فرعبت منه ورجعت الى
خديجة فقلت دثرونى دثرونى فقال يا ايها المدثر (اوخاف) اى اوانه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من اجل انه خاف
(ان الفترة) اى للوحى انما كانت (لامر) اى لاجل امر صدر عنه (اوسبب منه فخشى ان تكون) اى فترته (عقوبة من
ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهى عن ذلك) وفى نسخة شرع بالنهى عن ذلك اى عن التردى من الجبل لانه كان اول
الاسلام ولم تتبين الاحكام (فيعترض به) اى عليه فى هذا المقام (ونحو هذا) اى من ضيق البال وشدة الحال (فرار
يونس عليه السلام) وفيه ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع ترك الهمز وبه حيث ذهب مغاضبا لقومه
متبرما من تكذيبهم تخويفا لهم ان يحل العذاب عليهم ظنا منه ان فراره بغير اذن ربه سائغ اذلم يفعله الا غضبا لربه
وغيظا على مخالفى دينه ومع ذلك لاحظ (خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب) ورجاء ان يؤمنوا به
بعد فقده فقد روى انهم لما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بربهم وقالوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى
لا اله الا انت وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وهذا
معنى قوله سبحانه وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا
كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى
حين (وقول الله فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه) كما قال تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وليس مراده انه سبحانه غير قادر عليه لان هذا لم يخطر ببال كافر فضلا
عن مؤمن لا سيما نبيا ورسولا وروى ان ابن عباس دخل على معاوية فقال يا ابن عباس لقد ضربتنى امواج القرآن
البارحة فغرقت فما اجد لنفسى خلاصا الا بك ثم قرأ الآية ثم قال او يظن نبى الله ان لا يقدر الله عليه فقال
ابن عباس رضى الله تعالى عنه هذا من القدر اى بسكون الدال او فتحها لا من القدرة (قال مكى طمع فى رحمة الله
تعالى) اى سعة كرمه (وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه) بغير اذنه مغاضبا لقومه ليؤمنوا بعد فقده (وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه بالعقوبة) لما ورد فى الحديث القدسى انا عند ظن عبدى بى لكنه غفل
عن ان حسنات الابرار سيئات المقربين (وقيل نقدر عليه ما اصابه) اى من الابتلاء ببطن الحوت فى الماء وهو بضم اوله
فسكون ثانيه فكسر ثالثه مخفف نقدر عليه كذا ذكره الدلجى وهو غير صحيح فالصواب انه مخفف قدر بمعنى قدر مشددا
وقد ضبطه الحجازى بضم النون وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة (وقد قرئ) اى فى الشواذ (نقدر بالتشديد)
اى بتشديد الدال المكسورة وكذا قرئ نقدر مبنيا للفاعل وللمفعول مخففا ومثقلا (وقيل نؤاخذه) اى فظن ان لن
نؤاخذه بعتابه او عقابه (بغضبه وذهابه) اذ كان عليه ان يصابرهم ولا يفارقهم الا باذن من ربه (وقال) وفى نسخة
بلا واو العطف (ابن زيد) وفى نسخة ابو زيد وفى اخرى ابو يزيد والصواب الاول فقد نقل ذلك البغوى فى تفسيره عن
ابن زيد والظاهر انه عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام) اى الداخل على صدر
الكلام وحذف تخفيفا لدلالة المقام على المرام والمعنى اذ ذهب مغاضبا أفظن ان لن نقدر عليه ويمكن ان يقدر
أذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه والتأويل لازم على كل تقدير لما اله المصنف بقوله (ولا يليق) اى لا يحسن

(ان يظن بنبى) اى فضلا عن رسول (ان يجهل) وروى انه جهل (صفة من صفات ربه) كالقدرة والعلم والارادة
ولذا استدل اهل السنة بطلب موسى عليه السلام الرؤية انها ممكنة فى الجملة ليس فيها استحالة خلافا للمعتزلة
والحاصل انه لا يتصور ان نبيا يظن انه تعالى لا يقدر عليه كما قدمناه (وكذلك) اى يحتاج الى تأويل (قوله)
اى الله سبحانه وتعالى (اذ ذهب مغاضبا) حيث يتوهم انه ذهب مغاضبا لربه فالصواب تأويله بوجه من
الوجوه (الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم) كما مر وهو المناسب هنا لان المغاضبة مراغمة على ما فى القاموس
(وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما) اى من المفسرين (لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله
تعالى كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء) لا سيما المرسلين (وقيل مستحييا من قومه ان يسموه) بفتح الياء وكسر
السين وتخفيف الميم اى كراهة ان يصفوه (بالكذب) اذ قيل انه قال لهم آجالكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا
اسباب الهلاك آمنا وظاهر هذا القيل ان مستحييا تفسير مغاضبا ولم ار هذا المبنى فى كتب اللغة بهذا المعنى فكان
الاولى ان يقال استحياء ولا يبعد ان يكون حالا اخرى مقدرة لتصحيح الكلام والله تعالى اعلم بالمرام (او يقتلوه) اى ذهب
مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه (كما ورد فى الخبر) لم يعرف له من الاثر الا ان الانطاكى قال وهو ما روى انه كان
عندهم من كذب ولم يكن له بينة قتل (وقيل مغاضبا لبعض الملوك) اى لاجله (فيما امره) اى يونس (به من التوجه
الى امر امره الله تعالى) اى امر الله الملك (به على لسان نبى آخر) اى غير يونس عليهما السلام كان فى زمنه (فقال له
يونس غيرى اقوى عليه منى) اى اعتذارا منه او اراد الحجة السهلة حذرا من غلبة المشقة (فعزم عليه) اى سبحانه وتعالى على الجد والصبر على مقاساة شدائد الامر (فخرج لذلك) اى من اجل عزمه عليه ما لا طاقة له به
(مغاضبا) له تاركا ما امره به لصعوبته لديه ولهذا قال تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت (وقد روى عن ابن عباس) رضى الله عنهما (ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته) اى
المقرونة بالرسالة الى قومه بنينوى اى من الموصل (انما كان بعد ان نبذه الحوت) وقد سقط ان المصدرية بعد بعد
فى اصل الدلجى فقال الحوت فاعل المصدر قبله المضاف الى معموله اى قذفه من بطنه (واستدل) اى ابن عباس
ويحتمل ان يكون بصيغة المجهول عطفا على روى اى وقد استدل لما روى عنه (بقوله) اى بظاهر قوله تعالى
(فنبذناه بالعراء) اى قذفناه من بطن الحوت بمكان عار عن البناء والشجر ونحوهما (وهو سقيم) اى الم من حرارة
بطن الحوت (وانبتنا عليه) من كمال رأفتنا وجمال رحمتنا (شجرة من يقطين) يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
قيل هى الدباء لان الذباب لا يقع عليها فجعلها الله تعالى فوقه مظلة له كالقبة ويقال ان ريح القرع من ريح يونس
بقى فيه منه رائحة الى القيامة (وارسلناه) اى الى مائة الف او يزيدون يعنى فى رأى المعين اذا رآهم الرائى قال هم
مائة الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة او او بمعنى بل ويؤيده انه قرئ ويزيدون بالواو ووجه الاستدلال ان الاصل
فى افادة الواو الترتيب كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام نبدأ بما بدأ الله تعالى به ان الصفا والمروة من شعائر الله
ولا يعدل عن هذا المعنى الا اذا عرف دليل خارج عن المبنى وهذا الاينا فى قولهم ان الواو لمطلق الجمع وانها لا تفيد
الترتيب فان مرادهم انه ليس نصا فى المعنى لاحتمال ارادة غيره من هذا المبنى اذا وجد دليل على هذا المدعى هذا
وقيل المراد بارسلناه ارساله الاول اليهم او هو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم لما قيل لما آمنوا سألوه ان يرجع
اليهم فابى تحاميا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله تعالى بعث اليكم نبيا (ويستدل ايضا) اى
لما روى عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له (بقوله) اى الله سبحانه وتعالى خطابا لنبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا تكن) اى حال ضجرك وقلة صبرك (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام (اذ نادى
وذكر القصة) وهى قوله تعالى (اذ نادى) اى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) اى مملوء غيظا (لولا ان تداركه) وفى قراءة
ابن مسعود وابن عباس لولا ان تداركته (نعمة من ربه) بعود رحمته اليه وقبول توبته عليه وقرأ الحسن تداركه بتشديد
الدال على ان اصله تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فى شأنه تتداركه نعمة من ربه (لنبذ بالعراء)
اى لطرح بالفضاء الخالى عن الماء والبناء (وهو مذموم) حال اعتمد عليها جواب لولا والمعنى لولا تداركه رحمته وعود
نعمته لكان على حال مذمته ومذلته (ثم قال فاجتباه ربه) اى قربه واصطفاه (فجعله من الصالحين) اى الكاملين
فى الصلاح والديانة وهم اصحاب النبوة والرسالة (فتكون هذه القصة اذن) اى على هذا (قبل نبوته) اى وارساله
اليهم (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن الاغر المزنى (انه) اى الشأن (ليغان على قلبى)
اى ليغطى ويستر والجار نائب الفاعل وهو بصيغة المجهول من الغين وهو اطباق الغيم فى مرأى العين وهو سحاب
لطيف كناية عن حجاب ظريف لما يعرض له عليه الصلاة والسلام مما يصرفه عن دوام ملازمة ذكر الملك العلام على

وجه التمام وهو الاستغراق فى بحر الشهود والفناء عن مطالعة ماسوى الله تعالى فى عالم الوجود لما يعرض له
عما يصرفه عن ذلك المقام بسبب اشتغاله بامور امته ومصالحهما من الاحكام المتعلقة بالخاص والعام اولاجل
تصور قصوره فى مقام العبادة على الوجه التام (فاستغفر الله كل يوم) وفى نسخة فى كل يوم وفى نسخة فى اليوم
(مائة مرة وفى طريق) اى للبخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فاستغفر الله (فى اليوم اكثر من سبعين مرة)
وهى لاتنافى الرواية الاولى على ان حملهما على ارادة الكثرة هو الاولى والحاصل انه كان يعد مايشغله عن ربه
فى الصورة ذنبا بالنسبة الى مقامه الاعلى المعبر عنه لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل والمحققون
على انه اراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فى حاله الافضل المعبر عنه بالاستغراق فى لجة فناء بحر التوحيد وبر التفريد وبهذا
تبين لك ان حسنات الابرار سيئات المقربين وكانت رابعة العدوية فى مثل هذه القضية قالت استغفارنا يحتاج
الى استغفار كثير والحاصل ان هذا سحاب غين فى الطريقة وحجاب عين فى الحقيقة وحجب الانبياء والاصفياء من
الاولياء لم تكن الانورانية لطيفة لاظلمانية كثيفة (فاحذر) اى كل الحذر لخوف عظيم الخطر (ان يقع ببالك) اى
ويخطر فى خيالك (ان يكون هذا الغين وسوسة اوريبا) بالموحدة اى شكا وشبهة وفى نسخة بالنون فيكون من قبيل
قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى فاحذر ان تتوهم ان يكون هذا الغين رينا اى حجابا شينا
(وقع فى قلبه عليه الصلاة والسلام) اى فينقلب عليك الملام (بل اصل الغين فى هذا) اى المكنى به فى المقام (ما يتغشى
القلب ويغطيه) عما يقصده من المرام ولعل الحكمة فى ذلك عدم قوة البشرية لدوام ما هنالك (قاله) اى هذا المبنى
اللغوى المترتب عليه المعنى الحقيقى (ابو عبيد) وهو معمر بن المثنى كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى هو القاسم بن سلام
بتشديد اللام انتهى وهو الظاهر فى هذا المقام وروى قال ابو عبيد (واصله من غين السماء) وفيه ايماء الى مقام العلاء
(وهو اطباق الغيم عليها) فهو سحاب عارض لا يمنع السماء عن مقام الاعتلاء (وقال غيره) اى غير
ابى عبيد (الغين شئ يغشى القلب) بتشديد الشين وتخفيفها اى يستره ويخفيه (ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق)
وهو السحاب الابيض (الذى يعرض فى الهواء) بالمد (فلا يمنع ضوء الشمس) اى بالكلية (وكذلك) اى مثل
ماقدمنا لك فيما حذرناك من ان تفهم بالغين نوع وسوسة فى البين (لا يفهم) بصيغة المجهول ليكون اعم ولا يبعد
ان يكون بصيغة الخطاب والمراد به الخطاب العام (من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة
فى اليوم اذ ليس يقتضيه) اى هذا المعنى (لفظه الذى ذكرناه) اى من المبنى (وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد
للاستغفار لا للغين) وفيه ان الرواية التى ذكرها المصنف بلفظ فاستغفر الله تقتضى ذلك بل الظاهر ان هذا العدد
من الاستغفار يترتب على تحقق كل ماوقع من الغين فى عين الابرار نعم هذا لم يرد على ماورد بلفظ وانى لاستغفر الله
فان صدر الحديث يشير الى انه قد يغان قلبه عن ربه وآخره يشعر بانه يستغفر الله تعالى كثيرا لاجله اوبسبب غيره
وحينئذ يحتمل ان يكون استغفاره لنفسه اولغيره من المؤمنين اوللجمع بينهما وهو ظاهر قوله تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات مع مافيه من تعليم الامة وتحثيثهم على كثرة الاستغفار والتوبة عن المعصية والغفلة والتقصير
فى الطاعة والعبادة للاقتداء بسيد الانبياء على ان فى كثرة الاستغفار فتح باب الفناء وانكشاف مقام البقاء (فيكون
المراد بهذا الغين) اى والله تعالى اعلم بحقيقته (اشارة الى غفلات قلبه) اى فى مقام المجاهدة (وفترات نفسه) اى فى
مرام المشاهدة (وسهوها) اى اشتغالها بما هو اهم عليها (عن مداومة الذكر) اى اللسانى اذلا يمنع مانع عن مواظبة
الذكر الجنانى ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك تداركا لما فاته من ذكر اللسان فى ذلك
الفضاء او اشعارا بانه قاصر عن القيام بشكر تلك النعماء كما اشار اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ
الحمد لله الذى اذهب عنى مايؤذينى وابقى على ماينفعنى (ومشاهدة الحق) اى فى مقام الفناء والاستغراق المطلق
(بما كان) اى بسبب كونه (صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه) بصيغة المجهول اى رد اليه وحمل عليه (من مقاساة
البشر) اى من مكابدة لوازم البشرية من الاكل والشرب وسائر المقتضيات الطبيعية (وسياسة الامة) اى بالاحكام
الشرعية (ومعاناة الاهل) اى مقاساة احوال العيال والاولاد والخدام والاحفاد ومكابدة الاقارب القريبة
والبعيدة (ومقاومة الولى والعدو) اى مقابلتهما بما يصلح فى معاملتهما (ومصلحة النفس) اى تربيتها وارتياضها
حتى تنقاد بتحمل مالها وتحمل ما عليها مما لابد منه معاشا ومعادا (وكلفه) بصيغة المجهول اى وبما كلفه الله تعالى
اى حمله (من اعباء اداء الرسالة) اى من اثقال تأديتها واشتغال تبليغها (وحمل الامانة) اى الخاصة والعامة
المؤدية الى كمال الديانة كما اشار اليه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اى عليها انفسها
او على سكانها فابين اى امتنعن من قبول حملها بحسب القابلية حيث لم يخلق لها وما جعلهم الله من اهلها وحملها

الانسان لكمال قابليته وجمال اهليته انه كان اى فى علمه سبحانه وتعالى باعتبار جنسه ظلوما جهولا ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ففى الآية دلالة على ان افراد
المؤمنين لابد لهم من الاستغفار والتوبة ليستحقوا بذلك المغفرة والرحمة كما اشعر به قوله سبحانه وتعالى وكان الله
غفورا رحيما للمسيئين والمحسنين (وهو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى كل هذا) اى ماذكرناه من اختلاف
مقامه ويروى فى هذا كله (فى طاعة ربه وعبادة خالقه) فلا يكون الاستغفار على الحقيقة من التوبة عن المعصية
وانما هو من حالة ادنى الى حالة اعلى فان السير فى الله تعالى لايبلغ احد منتهاه (ولكن) اى الاستغفار مع هذا السبب
وهو انه (لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة) اى رتبة (واعلاهم درجة) اى قربة (واتمهم به معرفة
وكانت حاله عند خلوص قلبه) اى عن ملاحظة غير ربه (وخلو همته وتفرده بربه) عن شهود غيره (واقباله بكليته
اى قلبا وقالبا (عليه) اى بتفويض جميع اموره اليه والقائه نفسه كالميت بين يديه (ومقامه هنالك ارفع حاليه) اى
بالنسبة الى غير ذلك وجواب لما قوله (رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها) اى صورة (وشغله بسواها) اى
ضرورة (غضا) بتشديد المعجمة الثانية اى نقصا وانحطاطا (من على حاله) اى رفيع كماله وبديع جماله (وخفضا عن
رفيع مقامه) ومنيع مرامه (فاستغفر الله تعالى من ذلك) وطلب المقام الاعلى فيما هنالك (هذا) اى التأويل الذى
حررناه (اولى وجوه الحديث واشهرها) اى واظهرها فيما قررناه وفى نسخة واشهدها اى وابينها وادلها فيما ذكرناه
(والى معنى ما اشرنا به) اى اليه كما فى نسخة وفى نسخة والى ما اشرنا به فيه من تأويل الحديث (مال كثير من الناس
وحام حوله) اى دار فى جوانبه اهل الاستئناس (فقارب) اى امره (ولم يرد) اى احد حكمه وقيل لم يصله على انه
من ورد (وقد قربنا غامض معناه) اى مشكل معناه مع ما يتعلق بحل مبناه (وكشفنا للمستفيد محياه) بضم الميم
وتشديد الياء اى نقاب وجهه وحجاب امره وفى نسخة مخباه بخاء معجمة وتشديد موحدة اى مخفيه واصله الهمز
كما فى قوله الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فكانه ابدل للتخفيف مراعاة للسجع (وهو) اى التأويل المذكور (مبنى
على جواز الفترات) اى التكاسل فى الطاعات والتغافل عن العبادات (والغفلات) اى عما يجب عليهم من الامور
فى الاوقات (والسهو) اى الغلط او اللهو فى بعض الامور والحالات (فى غير طريق البلاغ) اى تبليغ الآيات
وما يتعلق بامور الرسالات (على ماسيأتى) اى فى بعض المقامات (وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة) بفتح الميم وكسر الشين وسكونها اى مشايخهم فى الطريق المطلوب (ممن قال بتنزيه النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم عن هذا) اى عما ذكر من نحو الفترة والغفلة (جملة) اى جميعا بطريق الاجمال من غير تفصيل واستثناء
بعض الاحوال (واجله) بتشديد اللام اى وعده عليه الصلاة والسلام جليلا وفى مقام الكمال جميلا (ان يجوز عليه)
اى من ان يصدر عنه وفى نسخة بصيغة المجهول مشددة الواو اى من ان يصدر تجويز ماسبق عليه (فى حال) اى
من الحالات ووقت من الاوقات (سهو) اى ذهول فى المقامات (او فترة) اى قصور فى الطاعات وكسور فى المقامات
ومال (الى ان معنى الحديث) اى المذكور بحسب المآل ان المراد بالغين (ما يهم خاطره) من اهمه الامر اذا ازعجه
واقلقه (ويغم فكره) بفتح الياء وضم الغين المعجمة لا كما توهم الحلبى من انه بكسرها كما قبله وفى نسخة بضم اوله
اى ويشغل سره (من امر امته) اى اهل دعوته واجابته (عليه الصلاة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم)
اى بوصف الدوام (فيستغفر لهم) اى فى ساعات من الايام فالاستغفار راجع الى عصاة امته عليه الصلاة والسلام
(قالوا) اى الطائفة المتصوفة (وقد يكون الغين ههنا) اى فى هذا الحديث (على قلبه السكينة) اى الوقار
والطمأنينة (التى تتغشاه) وفى نسخة تغشاه اى تتنزل عليه مما يخشع له قلبه ويسكن روعه (لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه ويكون استغفاره عليه الصلاة والسلام عندها) اى عند نزولها او حال حصولها (اظهارا للعبودية
يروى لعبوديته (والافتقار) الى تجليات الربوبية (وقال ابن عطاء استغفاره وفعله) اى تضرعه وخضوعه واظهار
خوفه (هذا تعريف للامة) اى تعليم لهم (يحملهم) جملة استئنافية او حالية اى يبعثهم ويحثهم (على الاستغفار)
اقول وهذا المعنى لاينافى ماسبق عن بعض الابرار (قال غيره) اى غير ابن عطاء (ويستشعرون) من الشعور اى
ويدركون من تعريفه لهم الاستغفار (الحذر) من الوقوع فى المعاصى على وجه الاصرار ووقع فى اصل الدلجى
الحصر اى الحبس لانفسهم على الطاعة وفى نسخة الحظر اى المنع لها عن المعصية والحاصل انهم حينئذ يقعون
فى الحذر والخوف على انفسهم (ولا يركنون الى الامن) اى لايميلون ولايسكنون اليه ولايعتمدون عليه (وقد يحتمل
ان تكون هذه الاغانة) فى القاموس غين على قلبه غينا تغشته السهوة او غطى عليه والبس او غشى عليه او احاط به الرين
كأغين فيهما انتهى وبهذا علم ان الاغانة لغة فى مبنى الغين والمراد بها ان هذه الغشية (حالة خشية واعظام) اى

ومقام هيبة (تغشى قلبه فيستغفر ربه حينئذ شكر الله وملازمة لعبوديته) اى ومحافظة على مداومة عبودية مولاه (كما قال فى ملازمة العبادة) اى التى هى اخص من العبودية (افلا اكون عبدا شكورا) حين قام عليه الصلاة والسلام فى صلاة الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا والحديث رواه الترمذى والفاء للعطف على مقدر تقديره أأترك الصلاة اعتمادا على الغفران فلا اكون عبدا شكورا للرحمن وقد قال فى حق نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال عز وجل وقليل من عبادى الشكور وقيل المعنى ان غفران الله تعالى اياى سبب لان اصلى شكرا له فكيف اتركه ثم تخصيص العبد بالذكر للاشعار بان العبودية تقتضى صحة النسبة وليست تتصور الا بالعبادة وهى عين الشكر فالمعنى الزم العبادة وان غفر لى لاكون عبدا شكورا او كان من سأله ظن ان سبب تحمل مشقة العبادة اما خوف معصية اورجاء مغفرة فافاده ان لها سببا آخر اتم واكمل وهو الشكر على التأهل لهامع اكمال المغفرة واجزال النعمة وقد روى عن على كرم الله وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار كذا نقله عنه صاحب ربيع الابرار (وعلى هذه الوجوه) اى الاخيرة كما فى نسخة وهى من قوله وقالوا وقد يكون الغين الى آخره (يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه) بكسر الهمزة اى الشأن (ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله تعالى) ولا يخفى ان هذه الرواية تؤيد ان المراد بالعدد فى الحديث السابق هو الغين المرتب عليه الاستغفار لا الاستغفار المجرد عن الغين كما قدمناه (فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم) اى الخلق باجمعهم (على الهدى) بتوفيقهم للايمان وترك العصيان لكن لم تتعلق المشيئة بما هنالك فلم يجمعهم على ذلك واما تأويل المعتزلة بان يأتيهم بآية ملجئة تجمعهم عليه لكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فمردود عليهم لان المشيئة لا تتعلق بالخارج عن الحكمة والحكم الالهية لا نهاية لها ولا غاية لمعرفتها بل اكثرها مجهول عندنا (فلا تكونن من الجاهلين) اى بصفات الله تعالى المقتضية لذلك فان منها الجلالية التى توجب هلاك الكفار وانتقامهم بالنار خالدين فيها ابدا ومنها الجمالية التى توجب الرحمة على المؤمنين وانعامهم بالجنة خالدين فيها ابدا (وقد قال) اى والحال انه قد قال وفى نسخة وقوله اى وما معنى قوله (لنوح عليه السلام) فلا تسألنى ما ليس لك به علم (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) وحاصل الاشكال انه نهاهما عن كونهما من الجهال فاجاب عنه بقوله (فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى آية نبينا عليه الصلاة والسلام) وهى الآية الاولى (فلا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن جاهلا بهذا المقام ولا يجوز جهل الانبياء بصفاته الكرام لكن لا يلزم من نهيه عن كونه منهم انه منهم كما قال تعالى فى آيات كثيرة كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان المراد به التهييج والتثبيت على تحقيق ذلك المرام والتعريض بان من كان على خلاف ذلك الاعتقاد فهو جاهل بالرشاد وضال عن طريق السداد (وفى آية نوح) وهى الآية الثانية (ولا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق) اى واخباره صدق (لقوله) اى لتصريح نوح نفسه (وان وعدك الحق اذ فيه) اى فيما قاله هذا القائل الجاهل مجترئا بقوله عليهما تفسيرا للآيتين (اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) اى تجويز امكان ذلك لان النهى غالبا لا يكون الا هنالك والا فقد سبق انه لا يلزم من قوله فيهما اثبات الجهل لهما بصفة من صفات الله تعالى (وذلك) اى الجهل المذكور (لا يجوز على الانبياء) بل ولا على العلماء والاولياء (والمقصود) اى من نهى الانبياء عن هذه الاشياء (وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم) اى من احوالهم واقوالهم واعمالهم وفى نسخة ان لا يتسموا بتشديد التاء اى لا يتصفوا (بسمات الجاهلين) بكسر السين المهملة اى بصفاتهم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى ايماء الى ذلك (انى اعظك وليس فى آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة) اى صفة الجهل (التى نهاهم عن الكون عليها) اى الاتصاف بها (فكيف) اى لا يكون الامر كذلك (وآية نوح قبلها فلا تسألنى) فيه قراآت اى فلا تطلبنى (ما ليس لك به علم) من نجاة ابنك (فحمل ما بعدها) اى ما بعد هذه الآية وهو قوله انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم (على ما قبلها) وهو قوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم (اولى) لصراحتهما بعدم علمه بموجب ترك نجاة ابنه (لان مثل هذا) اى سؤال ما ليس له به علم من نجاة ابنه (قد يحتاج الى اذن) من ربه ليقدم عليه بامره (وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء) اى فى ابتداء الحال قبل النهى عن السؤال (فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوى) اى زوى الله تعالى (عنه علمه واكنه) بتشديد النون اى ستره وكتمه (من غيبه) اى عن ادراكه بالبصر او البصيرة ومن بيان لما وقوله (من السبب) بيان للغيب فكانه قال من الغيب الذى هو السبب (الموجب لهلاك ابنه) وفى نسخة لاهلاك ابنه مع انه قال تعالى واهلك الا من سبق عليه القول لكن لما

كان على وجه الاجمال سأله على هذا السؤال ليتبين له جملة الاحوال وقال الماتريدى ظن انه على دينه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره فنهاه هنالك والا لما تأتى له ان يقول ان ابنى من اهلى وقيل انه غلب عليه الشفقة الوالدية ومقتضى الطباع البشرية والاظهر قول الماتريدى ولذا قال المصنف (ثم اكمل الله نعمته عليه) اى هنالك (باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك) اى الموعودين بالنجاة كما قدمنا الاشارة اليه باداة المستثناة او المعنى ليس من اهلك حقيقة وان كان ابنك صورة حيث خالفك سيرة كما بينه سبحانه وتعالى بقوله (انه عمل) اى ذو عمل (غير صالح) وفى قراءة الكسائى انه عمل غير صالح بصيغة الفعل ونصب غير والمراد بعمل غير صالح الكفر فكل من كان من ذرية الانبياء ولم يكن من الاتقياء فلم يكن من اهلهم وان كان من نسلهم ولذا ورد آلى كل تقى (حكى معناه مكى وكذلك) اى ومثل امره سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام (امر نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الآية الاخرى بالتزام الصبر) فى آية ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا (على اعراض قومه) اى عن الايمان به (ولا يحرج) بالحاء المهملة وفتح الراء اى لا يضيق صدرا (عند ذلك) الاعراض (فيقارب) اى حالك (حال الجاهل بشدة التحسر) كما يشير اليه صدر الآية وهو قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتأتيهم بآية اى ملجئة الى الايمان بالانبياء والمعنى لا تقدر على ذلك فلا تكونن من الجاهلين بما هنالك (حكاه ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء ويجوز فيه الصرف وعدمه (وقيل معنى الخطاب) اى وجهه (لامة محمد) على ان الخطاب له والمراد غيره او الخطاب لغيره ابتداء (اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال) اى مكى (مثله فى القرآن كثير) اى من الآيات التى فيها الخطاب له والمراد امته او التى لا يصلح فيها الخطاب له حقيقة فالمراد به خطاب غيره من الامة (فبهذا الفصل) اى الذى اوجب لهم مزيد الفضل (وجب القول) وفى نسخة فبهذا الفضل اوجب القول وفى اخرى يوجب القول (بعصمة الانبياء منه) اى مما ذكر من الجهل بالله تعالى وصفاته ومن السهو واللهو والفترة والغفلة (بعد النبوة قطعا) اى جزما من غير تردد وشبهة (فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك) اى والشرك من جملة ذلك بل هو اعظم ما هنالك (فما معنى وعيد الله تعالى) وفى اكثر النسخ المصححة فما معنى اذا وعيد الله تعالى بالتنوين بمعنى حينئذ وبجر وعيد وكان الاظهر ان يقال فاذا ما معنى وعيد الله تعالى (لنبينا عليه الصلاة والسلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه) بناء على ان الوعيد والتحذير غالبا انما يكون فيمن يتصور فيه فعل ذلك لا فيمن يكون معصوما من وقوعه فيما هنالك وصورة الوعيد والتحذير وقعت كثيرة فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام (كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية) اى ولتكونن من الخاسرين وقبله ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الانبياء والرسل فتوحيد الخطاب باعتبار كل واحد منهم واطلاق الاحباط ظاهر على مقتضى مذهبنا والشافعية يحملونه على انه خاص بهم او على تقييده بموتهم عليه (وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية) وهى قوله تعالى فان فعلت فانك اذا من الظالمين (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية) يعنى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اى لقاربت ان تميل الى مرادهم فادركك تثبيتنا وعصمتنا فلم تقارب الركون اليهم فضلا عن ان تركن اليهم اذا اى لو قاربت الركون اليهم فرضا وتقديرا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيم صفته مقامه ثم اضيفت والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه الركون الى الكفر الموجب للعذاب (وقوله لاخذنا منه باليمين) وهو جواب لو فى قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا ما لا يصح نسبته الينا لاخذناه منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اى لاهلكناه وعذبناه وهذا تصوير لقتله صبرا بافظع ما يفعله الملوك قهرا فيؤخذ بيمينه فيضرب عنقه فيقطع وتينه وهو عرق يقال له حبل الوريد مناط القلب فاذا قطع مات صاحبه والمعنى ان المعصوم لا يفترى على الله تعالى حتى يتفرع عليه ما هدد به (وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه اطاعة ارباب الضلال حتى يضلوه عن طريق الوصال (وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك) اى بعد قوله ام يقولون افترى على الله كذبا فالمعنى ان يشأ يجعلك ممن يختم على قلبه حتى يجترئ بالكذب على ربه او المعنى يختم على قلبك فينسيك كلام ربك وقيل المعنى يربط عليه بالصبر فلا يشق عليه مقالة اهل الكفر فلا اشكال حينئذ (وقوله وان لم تفعل) اى ما امرت به من تبليغ جميع ما انزل اليك (فما بلغت رسالته) قرئ بالافراد والجمع اى حق رسالته او فكانك ما بلغت شيأ منها (وقوله اتق الله) كذا فى نسخة وقبله يا ايها النبى اتق الله كما فى اخرى اى دم

على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يؤدى الى وهن فى الدين ومن المعلوم ان المعصوم لا يكون الا متقيا ولا يتصور فيه ان يطيع كافرا فما معنى امره بالتقوى ونهيه عن اطاعة غير المولى (فاعلم) ايها المخاطب الاعم (وفقنا الله تعالى واياك) للطريق الاقوم (انه عليه الصلاة والسلام لا يصح) اى له (ولا يجوز عليه ان لا يبلغ) اى شيأ مما امر به (ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله تعالى) اى ولا ان يتكلف بالقول عليه (ما لا يجب) اى ما لا ينبغى ان يقال ولم يؤذن فى ذلك المقال (او يفترى عليه) اى من تلقاء نفسه (او يضل) بصيغة المجهول وفى نسخة بفتح الياء وكسر الضاد (او يختم على قلبه) بالبناء للمفعول (او يطيع الكافرين) اى اعم من المنافقين (لكن) وفى نسخة ولكن الله تعالى (يسر امره) اى سهله (بالمكاشفة والبيان فى البلاغ) اى فى تبليغه (للمخالفين) اى من اليهود والنصارى والمشركين (وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل) اى الطريق المرضى (فكانه ما بلغ) والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان خائفا من وقوع تقصير له فى هذا المقام ولذا عقبه (وطيب نفسه) اى اراحه من تعبه (وقوى قلبه) بتوفيق ربه وتحقيق امره (بقوله والله يعصمك من الناس) اى مما بين الناس من ان يقع منك معصية او تقصير فى طاعة وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام كما يشير اليه السابق واللاحق للكلام وهو قوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين وهو لا ينافى ما ذكر بعضهم فى معناه انه سبحانه يعصمه من تعرض الكفار له بقتل ونحوه ففيه تنبيه نبيه على انه لا بد له من اكمال تبليغه وهذه التسلية له عليه الصلاة والسلام (كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما) اى حافظكما وناصركما على اعدائكما وهذا كله (لتشتد بصائرهم) اى لتتقوى سرائرهم (فى الابلاغ) ويروى فى البلاغ اى فى باب تبليغ الرسالة (واظهار دين الله تعالى) فى كل حالة (ويذهب) بضم الياء وكسر الهاء وفى نسخة بفتحهما اى وليزيل او يزول (عنهم خوف العدو المضعف) بتخفيف العين وتشديدها اى الموهن (للنفس) وفى نسخة صحيحة لليقين (واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية) وقد سبقت (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا) يجوز كسر همزه وفتحه والاشارة الى ما ذكر من الاخذ والاذاقة (جزاء من فعل هذا) اى الافتراء والميل الى كلام الاعداء (وجزاؤك لو كنت) اى فرضا وتقديرا (ممن يفعله) اى يتصور له فعله (وهو لا يفعله) اى لا يجيء منه فعله وفى هذا مبالغة للزجر عما ذكر لغيره ممن يتصور منه فعله (وكذلك) اى ومثل ما تقدم من التأويل (قوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) اى ولو كان الخطاب له بظاهره (فالمراد غيره) مبالغة فى زجره عن مخالفة امره (كما قال) اى الله تعالى مخاطبا للامة يا ايها الذين آمنوا على سبيل الحقيقة (ان تطيعوا الذين كفروا الاية) اى يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين وقد نزلت حين قال المنافقون للمؤمنين باحد عند انهزامهم اذا ارجف بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل ثم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وقوله) اى وكذلك قوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره) اى حقيقة ولو كان الخطاب له مجازا فيكون فيه تعريض لاستيقاظ الامة من نوم الغفلة (وان هذه) اى العقوبة المتفرعة (حال من اشرك) ومآل وبال من كفر ومن لم يوحد الله تعالى به وما افترى (والنبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز عليه هذا) اى الاشراك لعصمته من ذلك اجماعا (وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين) مبتدأ وكان المصنف قدر فيه اما او توهم فاخبر عنه بقوله (فليس فيه انه اطاعهم) اذ لا يلزم من النهى عن الاطاعة مخالفة الطاعة (والله سبحانه ينهاه عما يشاء) حيث قال ولا تطع الكافرين (ويأمره بما يشاء) حيث قال اتق الله (كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية) اى بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين (وما كان طردهم عليه الصلاة والسلام ولا كان من الظالمين) والتحقيق فى مقام العصمة انه لا يأمره بالموافقة ولا ينهاه عن المخالفة لانه لا يتصور منه هذه الحالة فاما ان يحمل الايتان على ما سبق من سائر الايات او على انه اريد به التهييج والاثبات او الامتنان عليه بهذه العصمة والثبات فى الحياة الى الممات

(فصل)

(واما عصمتهم من هذا الفن) اى من نوع المعصية مع الاجماع على عصمتهم من الكفر (قبل النبوة فللناس فيه خلاف) ففى شرح العقائد للعلامة التفتازانى الانبياء معصومون من الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما سهوا فعند الاكثرين وفى عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحى وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه وتجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة

لقمة وتطفيف حبة لكن المحققون اشترطوا ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحى واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لان الحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بكذب او معصية فما كان منقولا بطريق الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى او كونه قبل البعثة وتفصيل ذلك فى الكتب المبسوطة (والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته) اى الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والتشكك) وروى او الشك والاول اولى ومعناه التردد (فى شىء من ذلك) اى من جميع جهاته المتعلقة بالامور الدينية والاخروية (وقد تعاضدت الاخبار والاثار) اى وتعاونت وتواترت الانباء (عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة) اى منقصة الجهل فى مرتبة المعرفة (منذ ولدوا) فهم معصومون قبل البلوغ ايضا عن الكفر والاصرار على المعصية (ونشأتهم) اى وبخلقتهم وفطرتهم وتربيتهم (على التوحيد والايمان) اى فى اعلى مراتب الايقان ومناقب الاحسان (بل على اشراق انوار المعارف) واطلاع اسرار العوارف (ونفحات الطاف السعادة) ورشحات اشراف الزيادة (كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول) اى فى فصل الخصال المكتسبة (من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار) اى لا من الكفار ولا من الابرار (ان احدا) من الناس (نبئ) ويروى تنبأ اى جعل نبيا فى مقام الاستئناس (واصطفى) اى اختير عليهم (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) اى قبل ظهور النبوة واظهار الرسالة (ومستند هذا الباب) اى مرجع هذا النوع من الكلام (النقل) اى الثابت فى مقام المرام (وقد استدل بعضهم) اى على عصمة الانبياء من بعض افراد المعصية على تقدير وقوعها منهم (بان القلوب تنفر عمن) ويروى عن كل من (كانت هذه سبيله) فيفوت غرض التبليغ وتحصيله (وانا اقول ان قريشا) وهم عمدة قبائل العرب (قد رمت نبينا عليه الصلاة والسلام بكل ما افترته) اى ذمته بجميع ما قدرت عليه من نسبته الى المسبة (وعير) بتشديد التحتية اى وعاب (كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها) اى من المعايب (واختلقته) بالقاف اى اخترعته من جميع المثالب (مما نص الله تعالى عليه) اى صرح به من الجنون والسحر والشعر والتعلم والافتراء وطلب الجاه وامثال ذلك وفى نسخة بالقاف بدل النون (ونقلته الينا الرواة) اى عن كفار الامم من الطعن فى الرسل (ولم نجد فى شىء من ذلك) اى من نص الحق ورواية الخلق (تعييرا لواحد منهم) يحتمل ان يكون الواحد معرفا وقع مضافا اليه وان يكون تعييرا مفعول لم نجد ولواحد متعلق به (برفضه) اى بتركه نبى (آلهته) اى من الاصنام بعد ما كان يلتزم عبادتها (وتقريعه) اى وتوبيخه (بذمه) متعلق بتعيير الواحد منهم (بتركه ما كان قد جامعهم) اى وافقهم (عليه) اى فى اول امره ولو فى حال صغره (ولو كان) اى وجد لاحد منهم (هذا) اى الامر المخالف للدين المنافى لتوحيد ارباب اليقين (لكانوا) اى الكفار (بذلك) اى باظهار ما ذكر (مبادرين) اى مسارعين الى تعييره فى تغييره (وبتلونه) اى تغيره وانتقاله (فى معبوده) اى معبود غيره (محتجين) اى مستدلين على تقريعه وتوبيخه (ولكان توبيخهم) اى لومهم (له بنهيهم عما كان يعبد قبل) اى قبل دعوى النبوة (افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اشنع فى النسبة (واقطع) اى امنع (فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم) التى يدعون من دون الله (وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه) اى عن توبيخ احد منهم بعبادة غير الله (دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه) اى الى نقله (اذ لو كان لنقل) اى عنهم (وما سكتوا عنه) فانهم كانوا يفترون عليه ما لم يكن فيه موجودا فكيف اذا وجد واليه سبيلا محققا مشهودا (كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة) اى صرفها عن الكعبة الى بيت المقدس او عن بيت المقدس الى الكعبة ويروى عن تحويل القبلة (وقالوا) اى كفار مكة او اليهود (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) اولا من الكعبة او بيت المقدس (كما حكاه الله عنهم) بقوله سيقول السفهاء من الناس الاية (وقد استدل القاضى القشيرى) لعله ابو نصر عبد الرحيم ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى صاحب الرسالة اجمع على جلالته وامامته انتفع على امام الحرمين وعلى ابيه واعتقل لسانه فى آخر عمره وكان دائم الذكر وكان لا يتكلم الا بآى القرآن توفى سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور ولابى القاسم القشيرى ولد آخر اسمه عبد الرحمن كنيته ابو منصور احد اولاده من فاطمة بنت الاستاذ ابى على الدقاق وكان مستوعب العمر بالعبادة مستغرق الاوقات بالذكر والتلاوة مات سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة بمكة مجاورا وكان له ولد آخر اسمه عبد الله اكبر اولاده وكان من اكابر الامة فقيها واصوليا وكان والده يحترمه ويعامله معاملة الاقران مولده سنة اربع عشرة واربعمائة ومات سنة سبع وسبعين واربعمائة قال الحلبى هذا الذى عرفته من اولاده ولم ار فيهم احدا قاضيا والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه استدل (على تنزيههم) اى براءة ساحتهم (عن هذا) عن مثل ما ذكر من الشرك والكفر

(بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد والديانة (ومنك الاية)
اى ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فخص اولوا العزم من الرسل وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
اما التعظيم رتبته واما التقديم حقيقة نبوته بتقديم روحه ونوره فى عالم ظهوره الاولى فى بدء امره وآخر عصره فهو
كالعلة الغائية متقدم الوجود متأخر الشهود وتتمة الآية واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما ولعل هذا الميثاق
فى عالم الارواح او كان لهم ميثاق خاص فى ضمن عموم ميثاق اهل الاشباح (وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه) اى لما آتيتكم بفتح اللام وقرأ حمزة بكسرها وقرأ نافع لما آتيناكم من كتاب وحكمة
اى نبوة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقيل المراد برسول فرد من افراد هذا الجنس فالتنوين
للتنكير وقيل المراد به رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فيكون التنوين للتعظيم ويؤيده انه عليه الصلاة
والسلام قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ثم هذا الميثاق يحتمل فيما قدمنا ان يكون جملة ويحتمل ان كل
نبى حين اعطائه سبحانه وتعالى له النبوة اخذ منه هذه البيعة على هذه الموافقة والمتابعة (قال) اى القاضى القشيرى
(فطهره الله تعالى فى الميثاق) باماطة ما لا يليق بكريم قدره واحاطة ما يناسب تعظيم امره (وبعيد ان يأخذ) اى الله
(منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره) اى وباعانة دينه وتقويه امره (قبل مولده بدهور)
اى بازمنة طويلة (ويجوز عليه الشرك) يروى الشك ويجوز فى يجوز تشديد الواو المفتوحة او المكسورة (اى وغيره
من الذنوب) اى الكبائر وكذا الاصرار على الصغائر فهذا هو المستبعد غاية البعد والواو للحال (هذا) اى امكان
صدور الكفر والشرك منه (ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه) اى القشيرى ولعله اقتصر بعض مرامه (فكيف
يكون ذلك) اى مجوزا (وقد اتاه جبريل) كما رواه مسلم عن انس (وشق قلبه) اى صدره كما فى نسخة (صغيرا) اى حال
صغره وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه (واستخرج منه علقة) اى يكون للشيطان بها علاقة
(وقال هذا حظ الشيطان منك) اى صورة لو تركها على تلك الحالة بلا طهارة كاملة تكون حائلة (ثم غسله) اى
جبريل فى طست من ذهب بماء زمزم حتى ذهب عنه الحجاب الصورى وانكشف له النقاب النورى (وملأه حكمة
اى ايقانا واتقانا (وايمانا) اى تصديقا وبرهانا ثم لأمه واعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره
فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس فكنت ارى اثر المخيط فى صدره كذا فى المصابيح
(كما تظاهرت) اى تواترت وتظافرت (به اخبار المبدأ) اى احاديث بدء خلقته وظهور آثار نبوته الى منتهى نعته
فى اسرار رسالته ولا يخفى انه عليه الصلاة والسلام شق صدره مرتين مرة فى حال صباه عند مرضعته حليمة ومرة
ليلة المعراج على ما تقدم والله اعلم (ولا يشبه) بتشديد الموحدة المفتوحة اى لا يلتبس (عليك) الامر فى تصويب
العصمة عن المعصية قبل النبوة (بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى) فانه بظاهره ينافى ما قدمناه
على اطلاقه واجمعوا على انه لم يكن فى حال كبره (فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال) اى
فى قضية الربوبية (وقبل لزوم التكليف) اى بالامور الشرعية (وذهب معظم الحذاق) جمع حاذق بالدال المعجمة المهرة
المتقنين (من العلماء والمفسرين الى انه) اى ابراهيم (انما قال ذلك) اى هذا ربى (مبكتا) بتشديد الكاف المكسورة اى
حال كونه موبخا (لقومه ومستدلا عليهم) اى ببطلان دينهم وما تخيل اليهم (وقيل) كان الظاهر ان يقال فقيل بفاء
التفريع لتبيين وجه التبكيت والتقريع (معناه الاستفهام) اى المقدر فى الكلام (الوارد مورد الانكار) اى لتتميم
المرام (والمراد أفهذا ربى) وفيه انه يكفى ان يقال أهذا ربى (وقال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم) يعنى فى
زعمكم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عما يقوله يوم القيامة مخاطبا للكفرة (اين شركائى اى عندكم) وفى
رأيكم (ويدل على انه) اى ابراهيم (لم يعبد شيأ من ذلك) اى ما ذكر من الكوكب والقمر والشمس (ولا اشرك بالله
تعالى قط) اى ابدا (طرفة عين) اى غمضة ولمحة (قول الله تعالى عنه) اى حكاية (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون)
انكارا عليهم (ثم قال) اى بعد فى جوابهم له كما قال تعالى حكاية عنهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين (أفرأيتم)
اى اخبرونى (ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى اسلافكم المتقدمون (فانهم عدو لى) اى فلا اعبد شيأ
منها (الا رب العالمين) استثناء منقطع اى لكنه ودودلى فاعبده وحده لانه موصوف بنعوت الكمال الذى خلقنى
فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين (وقال) اى الله تعالى فى حقه ويروى وقوله (اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك) وسائر العقائد
الدنية والاخلاق الردية (وقوله) اى كما حكاه عنه سبحانه (واجنبنى) اى وبعدنى (وبنى) اى من صلبى (ان نعبد
الاصنام) وثبتنا على دين الاسلام (فان قلت فما معنى قوله) اى بعد غيبوبة القمر وافوله (لئن لم يهدنى ربى لاكونن من

القوم الضالين قيل انه) اى معناه (ان لم يؤيدنى) اى ربى (بمعونته) اى توفيقه وعصمته (اكن مثلكم فى ضلالتكم
وعبادتكم) اى لآلهتكم فهو انما قال ذلك المقال (على معنى الاشفاق والحذر) عن ان يقع فى الوبال بحسب المآل
(والا فهو معصوم فى الازل من الضلال) والاظهر انه اظهار تلذذ بتلك الحال وتحدث بنعمة الله الملك المتعال هذا
والازل هو القدم واصله لم يزل فلما نسب اليه اختصر فقيل يزلى بالياء ثم ازلى بالهمز بدلا منه (فان قلت فما معنى
قوله) اى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا) اقسموا ليكونن
احد الامرين اما اخراجهم من قريتهم او عودهم فى ملتهم ولم يكونوا قط على طريقتهم (ثم قال) اى الله تعالى (بعد) اى
بعد ذلك (عن الرسل) هذه البعدية لان الاية الاتية انما هى فى شعيب حيث قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو كنا كارهين (قد افترينا الاية) فهذا جواب عن شعيب ومن تبعه
من المؤمنين ويمكن حمل العود على التغليب لا كما قال المصنف عن الرسل اللهم الا ان يتكلف ويقال التقدير قد افترينا
نحن معاشر الانبياء وطائفة المؤمنين من الاولياء على الله كذبا اى فى دعوى التوحيد ان عدنا فى ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها وعصمنا من الركون اليها (فلا يشكل عليك لفظة العود) بناء على توهم انه بمعنى الرجوع فى هذا المقام
(وانها تقتضى) اى حينئذ (انهم) اى الانبياء (انما يعودون) ويروى انهم يعودون (الى ما كانوا) ويروى لما كانوا
(فيه من ملتهم) اى فان هذا المعنى خطأ فاحش وللعود معان (فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب) اى احيانا
(لغير ما ليس له ابتداء) كذا فى بعض النسخ والصواب كما فى بعضها ما ليس له ابتداء كما بينه بقوله (بمعنى الصيرورة
كما فى حديث الجهنميين) على ما فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى (عادوا حمما) بضم الحاء المهملة وفتح الميم اى
صاروا فحما سودا قد امتحشوا (ولم يكونوا) اى الجهنميون (قبل ذلك) اى كذلك كما فى نسخة يعنى حمما ويروى قبل
بضم اللام وبعده كذلك (ومثله قول الشاعر) ولم يعرف قائله وثبت ان عمر بن عبد العزيز انشده وكانه تمثل به
وقيل انه لامية ابن ابى الصلت فى سيف بن ذى يزن وقيل لابى الصلت ابن ربيعة الثقفى وقيل للنابغة الجعدى وفى نسخة
ومثله قوله (فعادا بعد) ببناء الدال على الضم (ابوالا) وهذا عجز بيت صدره

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وفى بعض النسخ المعتمدة البيت بكماله اى هذه المناقب الجليلة وهى المكارم التى يترتب عليها المراتب الجزيلة ولا قعبان
ضبط بكسر النون على انه تثنية القعب وهو بفتح القاف وسكون العين المهملة وحدة القدح الضخم ويروى الرجل
وفى بعض النسخ بفتح النون على البناء وشيبا بصيغة المجهول اى خلطا فعادا اى القعبان والمراد ما فيهما من اللبن بذكر
المحل وارادة الحال كقوله تعالى واسأل القرية بعدا اى بعد شربهما اى صار ابوالا واسم الابوال ما كانا (وما كانا) اى
ابن القعبين (قبل) اى قبل شربهما (كذلك) اى ابوالا هنالك واما ما ذكره الانطاكى شاهدا على ان عاد بمعنى صار
من قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن قول ابن قتادة النعمان انه دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له
من انت يا فتى فقال

انا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاحسن حالها * فيا حسنها عينا ويا حسنها ابد

وكان قد اصيبت عين قتادة يوم احد ووقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن عبد العزيز
بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون فلا يخفى ان العود فيهما بمعنى الرجوع فليس ذكرهما فى محله (فان قلت فما معنى
قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس) اى فنقول ليس (هو من الضلال الذى هو الكفر) اى اجماعا لما سبق من
الدليل نقلا وعقلا واختلف فى المراد به (قيل ضالا عن النبوة) اى غائبا عنها او غير عارف بها (فهداك اليها)
ويروى وهداك الذى ذكره الحجازى وهو الملائم للاية (قاله الطبرى) وهو محمد بن جرير (وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك) اى الحال (وهداك الى الايمان) على وجه الكمال (والى ارشادهم) اليه بحسن المقال (ونحوه عن
السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها) الا بالهام او وحى (فهداك اليها) اى تارة بالوحى الجلى
واخرى بالخفى (والضلال هنا التحير) اى الناشئ عن عدم المعرفة (ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يخلو بغار حراء)
بالصرف وعدمه على ما سبق ضبطه (فى طلب ما يتوجه به الى ربه) من قطع العلائق ودفع العوائق (ويتشرع به)
اى ويطلب شرعا يمشى فى طبقه ويعمل على وفقه ويروى يسرع من الاسراع بالسين المهملة وعند شارح قائلا انه بخط
المؤلف يشرع بضم الياء وسكون الشين المعجمة وكسر الراء رباعيا من اشرع جعله شريعة (حتى هداه الله تعالى الى
الاسلام) اى الى شرائعه الاعلام وتفاصيله من الاحكام (قال) وفى نسخة حكى (معناه) اى معنى الكلام الذى

ذكره (القشيرى) اى الاستاذ اولده (وقيل لا تعرف الحق) اى الا مجملا (فهداك اليه) اى مفصلا (وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم) اى من امور الدين واحكام اليقين (قاله على بن عيسى) الظاهر ان هذا هو الرمانى المتكلم النحوى على ما ذكره الحلبى ويروى قال على بن عيسى (قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية) بالاضافة وفى نسخة ضلالة فى معصية اى لاجلها يقع فى وبالها بل ضلالة طاعة لم يدر طريق كمالها (وقيل هدى بين امرك بالبراهين) اى الادلة القاطعة والبينة الساطعة (وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة) اى ما تدرى ما محياك ومماتك (فهداك الى المدينة) وجعلها محل حياتك ومنزل وفاتك وهدى بك اقواما كانوا عن الحق غافلين وآخرين كانوا له مذعنين وآخرين كانوا له معاندين (وقيل المعنى ووجدك) اى هاديا (فهدى بك ضالا) يعنى فقدم واخر مراعاة للفواصل وهذا بعيد عن القواعد القوابل (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر ابن زين العابدين ابن الحسين بن على (ووجدك ضالا) اى حال بدء تجلى الاول (عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها) على الوجه الاكمل (فمننت عليك بمعرفتى) لتعرف بها محبتى (وقرأ الحسن بن على ووجدك ضال) اى بالرفع على انه فاعل اى متحير فى الحال (فهدى) اى اهتدى بك فى المآل ونال مقام الوصال (وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى) فهداك الى طريق محبتى وسبيل مودتى (والضال المحب) اى فى بعض اللغات (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب مخاطبين لابيهم (انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا) ويروى هنا اى الضلال (فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله) اى يعقوب (لكفروا) اى يقينا (ومثله) اى فى مبناه ومعناه (عند هذا) اى ابن عطاء (قوله) اى الله سبحانه حكاية عنهم (انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة) اى ليوسف ومودة ظاهرة من كثرة التلهف والتأسف وفسر بعضهم الضلال فى هذه الاية بالخطأ حيث اختار محبة الصغيرين على محبة اولاده الكبار العشرة الذين هم عصبة وارباب قوة وشوكة (وقال الجنيد) هو ابو القاسم الخراز القواريرى نسبة لبيع القوارير وهى الزجاج المشهور بسيد الطائفة وشيخ الطريقة اصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق وكان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه فى الحقيقة معروف مدون وتفقه على ابى ثور احد اصحاب الشافعى وكان يفتى فى حلقته وعمره عشرون سنة كذا ذكره السبكى وقال بعضهم تفقه على مذهب سفيان الثورى وصحب خاله السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى وابى حمزة البغدادى توفى سنة سبع وتسعين ومائتين آخر ساعة من يوم الجمعة ببغداد ودفن بالشونيزية عند خاله السرى ذكره السبكى فى طبقات الشافعية ونقل عنه انه كان يقول الافضل للمحتاج ان يأخذ من صدقة التطوع وخالفه غيره وقال الاخذ من الزكاة افضل لانها اعانة على واجب انتهى ولعله اراد التورع فان دائرة التطوع اوسع فى باب التبرع وكان يقول ما اخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وكان يقول طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به وقال ذات يوم ما اخرج الله الى الارض علما وجعل للخلق اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان كل يوم يفتح حانوته ويسبل سترا ويصلى فيه اربعمائة ركعة (ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه) اى لاظهاره لديك ما خفى عليك (لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية) اى لتبين للناس ما نزل اليهم ويؤيده قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقيل وجدك) اى ضالا بينهم (لم يعرفك احد بالنبوة) منهم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن (حتى اظهرك الله تعالى فهدى بك السعداء) وابعد عنك الاشقياء (ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها) اى فى هذه الاية (انه وجدك ضالا عن الايمان) اقول ولو فرض ان يقال يجب ان يأول بتفاصيل احكامه كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (وكذلك) اى ومثل وجدك ضالا مما يورث اشكالا ويدفع حالا وما لا (فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد) اى تعمد قتل (قاله ابن عرفة) وهو من كبار المفسرين المعتبرين المشهور بالعبدى المؤدب يروى عن ابن المبارك وغيره وعنه الترمذى وابن ماجه وابن ابى حاتم والصفار وثقه ابن معين مات سنة سبع وخمسين ومائتين بسامرا وعاش مائة وسبعا او عشرا قيل المراد به نفطويه ولا يبعد ان يكون المعنى من الذاهلين الى ما يفضى اليه الوكز ويؤيده قراءة ابن مسعود من الجاهلين (وقال الازهرى) هو الامام اللغوى ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر الهروى صاحب تهذيب اللغة وغير ذلك مات سنة سبعين وثلاثمائة (معناه من الناسين وقد قيل ذلك) اى المعنى الذى ذكر (فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما) بفتح همزة ان وكسرها (فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب) اى على وجه الصواب (ان السمرقندى) وهو الامام ابو الليث (قال معناه

ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال) اى السمرقندى او بكر القاضى واقتصر الدلجى على الاول لزيادة البيان (ولا الايمان) يروى وارد الايمان (الذى هو الفرائض والاحكام) وحاصله نفى تفاصيل شرائع الايمان والاسلام (قال وكان قبل) اى قبل الوحى (مؤمنا بتوحيده) اى لربه اجمالا (ثم نزلت الفرائض) اى من الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام التى لم تكن تدريها اى اصلها او تفصيلها (قبل) اى قبل الوحى (فزاد بالتكليف) اى بتكليف كل فرض (ايمانا) اى ايقانا به واحسانا لقيامه (وهذا) ويروى وهو (احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان) مخففة اى وانه (كنت من قبله) اى قبل وحينا (لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون) فان الغفلة عن آيات الله بمعنى الاعراض عنها وعدم الالتفات اليها ونفى الايمان بما يترتب عليها من توحيد الله تعالى وتحقيق قدرته فيها وتخصيص ارادته بها كفر لا يجوز ان يكون وصف مؤمن من الاولياء فضلا عن ان يكون نعت نبى من الانبياء (بل المعنى) (كما حكى ابو عبيد والهروى) اى عن المفسرين المعتبرين وتبعهما غيرهما (ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف) اى بقرينة سابقها ولاحقها (اذ لم تعلمها الا بوحينا) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى هذه السورة وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة فيكون اظهارك اياها لك معجزة (وكذلك) اى من المشكلات (الحديث الذى يرويه عثمان ابن ابى شيبة بسنده) اى حيث قال عن جرير عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل (عن جابر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد) يروى شهد (مع المشركين مشاهدهم) اى محاضرهم وهى لا تخلو عن اصنامهم فانها كانت فى الكعبة وحولها قريبا من ثلثمائة صنم وكان من حسن خلقه يعاشرهم لكونه من عشائرهم كما قيل * ودارهم ما دمت فى دارهم والفرق بين المداراة والمداهنة مما لا يخفى (فسمع) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم) انت اونحن (خلفه) وتتبرك بظله (فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام) اى قريب ولعل المراد به رؤيتها ومشاهدتها او مخالطتهم ومصاحبتهم ويؤيده قوله (فلم يشهدهم بعد) اى واعتزالهم بانفراده عنهم فى غار حراء ان كان هذا قبل الوحى او فى مسجد دار الخيزران ان كان بعده وهذا كله على تقدير ان يصح نقله وفى اصل الانطاكى باستلام الاصنام وهو تناولها باليد او الفم (فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة اى انكارا بليغا (وقال هذا موضوع) اى بحسب المراد (او شبيه) يروى يشبه بتشديد الموحدة المفتوحة (بالموضوع) اى فى ايراد الاسناد (وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم) بكسر الهاء ويفتح اى غلط واخطأ (فى اسناده) اى اسناد هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر بن احمد بن حنبل قال ابى ابو بكر اخو عثمان احب الى من عثمان فقلت ان يحيى بن معين يقول ان عثمان احب الى فقال ابى لا وقال الازدى رأيت اصحابنا يذكرون ان عثمان روى احاديث لا يتابع عليها قال وقد يغلط وقد اعتمده الشيخان فى صحيحيهما الى آخر كلامه ثم قال الا ان عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل ثم ذكر له تصاحيف فى القرآن (والحديث بالجملة منكر) انكره الذهبى وغيره من العلماء (غير متفق على اسناده) اذ ليس هو فى شىء من الكتب الستة فلا يلتفت اليه وان كان رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عثمان ابن ابى شيبة ثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم الحديث ورواه البيهقى ايضا وفيه الكلام الذى تقدم والله اعلم (والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه) اى خلاف ما يتوهم من الحديث المذكور وهو كونه استلم الاصنام (عند اهل العلم) اى بالسير (من قوله) بيان لقوله خلافه (بغضت الى الاصنام) بصيغة المجهول اى بغضها الله الى من حال الصغر الى الكبر فانه يخالف ان يقع منه الاستلام للاصنام ولعل الاستلام كناية عن القرب منها وعدم التبعد عنها كما ان بعض المريدين تكلم مع سكران فى طريقه حال توجهه الى بعض المشايخ المكاشفين فقال له اشم منك رائحة الخمر وما ذاك الا لقربه منه وعدم تبعده عنه وبالجملة باب التأويل واسع فهو اولى من الطعن فى الحديث مع انه مشهور شائع (وقوله) اى ومن قوله (فى الحديث الاخر الذى روته ام ايمن) كما رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها وهى حاضنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته وام اسامة رضى الله تعالى عنهما (حين كلمه عمه) اى ابو طالب (وآله) اى واقاربه (فى حضور بعض اعيادهم) اى بان يحضرها على وفق مرادهم (وعزموا عليه فيه) اى ألحوا وبالغوا (بعد كراهته) يروى كراهيته اى الطبيعية (لذلك) اى الخروج (فخرج معهم) اى كرها (ورجع مرعوبا) اى مخوفا (فقال كلما دنوت منها) اى من الاصنام واحدا بعد واحد من صنم (تمثل لى شخص) يروى رجل (ابيض طويل يصيح بى وراءك) اى الزمه وقيل

ارجع وراءك والمعنى تأخرو تباعد (لاتمسه) من المساس اى لاتمسكه ولاتقربه (فما شهد) اى فلم يحضر (بعد) اى بعد ذلك
(لهم) اى للكفار (عيدا) اى محضر عيد (وقوله) اى ومن قوله (فى قصة بحيرا) بفتح موحدة وكسر مهملة مقصورا
وممدودا وقد رواها ابن سعد عن نفيسة بنت منية (حين استحلف) اى بحيرا (النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ
لقيه) اى بحيرا (بالشام) اى فى قريب منها (فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو) اى النبى عليه السلام (صبى) اى غير بالغ
(ورأى) اى بحيرا (فيه علامات النبوة فاختبره بذلك) اى فامتحنه بحيرا بذلك الاستحلاف (فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم لاتسألنى بهما) اى باللات والعزى (فوالله ما ابغضت شيأ قط بغضهما) اى مثل بغضهما (فقال له بحيرا فبالله)
اى فاسألك بالله ان لاتقول شيأ (الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا) بالالف اى ظهر (لك) الحديث
(وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام وتوفيق الله له) اى فى تحقيق مراعاة شرائع الاحكام (انه كان قبل
نبوته يخالف المشركين) اى من قبيلة قريش (فى وقوفهم) اى عشية عرفة (بمزدلفة فى الحج) اى معللين بانهم من
خواص الحرم المحترم فلا يخرجون بالكلية من الحرم خلافا لغيرهم حيث كانوا يقفون بعرفة وهذا مبنى قوله
تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وقوله فاذا افضتم من عرفات (فكان يقف هو) اى النبى عليه الصلاة والسلام
مخالفا لقومه (بعرفة) اى مراعاة لسابقة شرائع الاحكام (لانه) اى موضع عرفات (كان موقف ابراهيم عليه السلام)
بل وموقف سائر الانبياء من آدم وغيره عليهم الصلاة والسلام وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة والله تعالى اعلم

(فصل)

(قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد بان) اى ظهر (بما قدمناه عقود الانبياء) اى ما عقد
عليه قلوبهم (فى التوحيد والايمان) اى الاجمالى قبل الوحى والتفصيلى بعده (والوحى) اى الجلى والخفى (وعصمتهم
فى ذلك) اى عما ينافى ماهنالك (على ما بيناه) اى فيما قررناه وحررناه (فاما ما عدا هذا الباب) بالنصب او الجر اى غير باب
التوحيد وما يتعلق به من التفريد (من عقود قلوبهم) اى ثبوتها ورسوخها (فجماعها) بكسر الجيم اى ما جمع عليه
اوجلتها (انها) اى قلوبهم (مملوءة علما ويقينا) اى مقرونين (على الجملة) اى من غير تفصيل فى المسألة (وانها) اى قلوبهم
(قد احتوت) اى اشتملت (من المعرفة) اى فى الجزئيات (والعلم) فى الكليات (بامور الدين) اى جميعها (والدنيا)
مما يحتاج اليه (ما لا شئ فوقه) اى شيأ لامزيد عليه (ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث) اى اهتم بالآثار (وتأمل
ما قلناه وجده) اى مطابقا لما ذكرناه (وقد قدمنا منه فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام فى الباب الرابع اول قسم)
اى فى اول قسم (من هذا الكتاب) اى فى فصل ذكر معجزاته فى اواخر القسم الاول (ما ينبه على ماوراءه) اى من
فصل الخطاب (الا ان) اى لكن (احوالهم فى هذه المعارف تختلف) اى بحسب اختلاف متعلقاتها (فاما ما تعلق منها
بامر الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها) كما توهمت الشيعة فانه يرده قول
الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام احطت بما لم تحط به (او اعتقادها) اى او من عدم اعتقادهم اياها (على خلاف
ما هى عليه) اى على خلاف حقيقتها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار وهم يؤبرون النخل لاعليكم
ان لاتفعلوا فتركوا تأبيره فلم يلقح منه ذلك الا قليل فقال انتم اعرف بدنياكم وكذا رجوعه الى رأى الحباب بن المنذر
يوم بدر على ما مر (ولا وصم) بسكون الصاد المهملة اى لاعيب لهم ولاعتب (عليهم اذ همتهم) اى توجههم وعزيمتهم
وفى نسخة هممهم (متعلقة بالآخرة وانبائها) اى اخبارها من احوالها واهوالها (وامر الشريعة وقوانينها)
اى ضوابطها الكلية المشتملة على المسائل الجزئية (وامور الدنيا) اى باعتبار توجه الهمة اليها مبتدأ خبره (تضادها)
كتضاد الضرتين والكفتين وقد ورد من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فآثروا ما يبقى
على ما يفنى (بخلاف غيرهم) اى غير الانبياء واتباعهم وهم العلماء والاولياء (من اهل الدنيا) كالكفار والفجار
(الذين) قال الله فيهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) اى لا باطنها من انها تعبر ولاتعمر (وهم عن الآخرة هم
غافلون) اى مع انهم فى امر دنياهم عاقلون (كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه) اى الشان
(لا يقال) اى مع هذا (انهم) اى الانبياء (لا يعلمون شيأ من امر الدنيا) اى على وجه الاطلاق (فان ذلك يؤدى الى
الغفلة) اى الى نسبة الغفلة (والبله) بفتحتين اى البلاهة المنافية لكمال العقل والفطانة فقيل الابله الذى لاعقل له
وقيل الابله الكثير الغفلة ويقال الابله ايضا للذى طبع على الخير وغافل عن الشر وعليه الحديث اكثر اهل الجنة
البله (وهم المنزهون عنه) اى عن مثل ذلك فانهم الكاملون المكملون فيما هنالك (بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا) اى
لينبهوهم من غفلتهم ويمنعوهم عن بلاهتهم (وقلدوا) بصيغة المجهول اى وتقلدوا (سياستهم) اى محافظتهم
عما يضرهم (وهدايتهم) اى دلالتهم الى ما ينفعهم (والنظر فى مصالح دينهم) يروى صلاح دينهم (ودنياهم) اى المرتبطة

بامور اخراهم (وهذا) اى ماذكر (لايكون) اى لايتصور (مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية) نعم قد يكون لهم عدم
علم ببعضها لعدم التفاتهم اليها فى الامور الجزئية (واحوال الانبياء وسيرهم) اى عند العلماء (فى هذا الباب معلومة) وفى
الكتب مسطورة (ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد) اى عقد قلوبهم (مما يتعلق) يروى فيما يتعلق
(بالدين) اى باموره (فلا يصح من النبى الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة) اى باسرها (لانه لايخلو) اى من احد
امرين (ان يكون) اى النبى عليه السلام (حصل عنده ذلك) اى العلم (عن وحى من الله فهو ما لا يصح الشك منه) اى
من النبى عليه السلام (فيه على ما قدمناه) من انه لايصح منه الا العلم بما اوحى (فكيف الجهل) اى فكيف يصح الجهل
منه به (بل حصل له علم اليقين او يكون) اى او ان يكون النبى (فعل ذلك) وفى نسخة عقد ذلك (باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شئ) بصيغة المفعول او الفاعل (على القول) اى قول بعض العلماء (بتجويز وقوع الاجتهاد منه) اى من
النبى (فى ذلك) اى فيما لم ينزل عليه فيه شئ وهو الحق المبنى (على قول المحققين) اى من علماء الدين وكبراء المجتهدين (وعلى
مقتضى حديث ام سلمة) ام المؤمنين (انى انما اقضى بينكم برأيى) اى احيانا (فيما لم ينزل على فيه شئ خرجه) اى خرج
حديث ام سلمة (الثقات) اى من الرواة كابى داود (وكقصة اسرى بدر) وهى معروفة وسيأتى بيانها وقد نزل فيها ما كان
لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض (والاذن للمتخلفين) اى من المنافقين عن غزوة تبوك حيث نزل فيها
عفا الله عنك لم اذنت لهم (على رأى بعضهم) اى بان ما صدر عنه كان باجتهاد منه وقيل لايجوز له الاجتهاد بالرأى
المبنى على الظن لقدرته على علم اليقين بالوحى بانتظاره ورد بان انزال الوحى ليس فى قدرته وتحت اختياره مع انه
قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا) اى وصدقا (وصحيحا)
اى صريحا (هذا هو الحق الذى لا يلتفت) اى معه (الى خلاف من خالف فيه) اى ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد
كما فى نسخة فقال بمنع اجتهاده مطلقا او بمنعه فى غير الاسرى والحروب وجوازه فيهما بل اجتهاده حق وصواب
فيما لم ينزل عليه فيه شئ (لا على القول بتصويب المجتهدين) فيما لاقاطع فيه من مسائل الفروع (الذى هو الحق
والصواب عندنا) اى على ما ذهب اليه الاشعرى والباقلانى ومختار ابى يوسف ومحمد وابن سريج بان كل مجتهد
مصيب (ولا على القول الآخر) وهو مذهب الجمهور (بان الحق فى طرف واحد) وان مصيبه من المجتهدين
فى كل مسئلة واحد مكلف باصابته لقيام امارة عليه واشارة اليه فان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد
ولا اثم عليه بخلاف اجتهاد النبى فان الصواب عدم خطائه فى هذا الباب (لعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من الخطأ فى الاجتهاد فى الشرعيات) واما القول بانه قد يخطئ وينبه عليه فمما لايلتفت اليه واما ما سبق من عتابه
فى قصة اسرى بدر واذن المتخلفين عن تبوك فمحمول على انه كان خلاف الاولى (ولان القول فى تخطئة المجتهدين)
اى على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه (انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى تأمله وتفكره (واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل) مبنى على الضم اى قبل نظره واجتهاده
وفى نسخة قبل هذا (هذا) اى ما تقدم (فيما عقد عليه) اى النبى كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه) اى عزم
عليه واستقر لديه (فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية) اى مما يحتاج الى بيان الامر فيه رعاية للرعية
(فقد كان لا يعلم منها اولا) اى قبل الوحى والاذن (الا ما علمه الله شيأ شيأ) اى فشيأ على وجه التدريج بحسب
ما يقتضيه الحكم والحكمة من الفعل والترك (حتى استقر علم جملتها) اى اجمالا وتفصيلا ويروى علم جميعها (عنده)
بعد وصوله الى مقام يوجب كمالا وتكميلا (اما بوحى من الله او اذن له ان يشرع فى ذلك) اى فيما بداء (ويحكم بما اراه الله)
كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اى وحيا جليا
اوالهاما خفيا (وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها) اى من النوازل ولم يبادر الى الاجتهاد فيها ولعله فى الامور
الكلية لا فى المسائل الفرعية المعلومة من القواعد الشرعية (ولكنه لم يمت حتى استفرغ) اى استوفى واستجمع
وفى نسخة استقر اى ثبت واستمر (علم جميعها عنده عليه الصلاة والسلام) كما يدل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم (وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك) بصيغة المجهول اى ارتفع التردد (والريب) اى الشبهة
(وانتفى الجهل) اى بان ينسب فى شئ اليه (وبالجملة فلا يصح منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (الجهل بشئ من
تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لاتصح دعوته الى ما لا يعلمه) اى الى ما لاعلم به لديه صلى الله وسلم عليه
(واما ما تعلق بعقده) اى بجزم قلبه فى معرفة ربه (من ملكوت السموات والارض) اى ظواهرهما وبواطنهما
(وخلق الله تعالى) اى وسائر مخلوقاته العلوية والسفلية (وتعيين اسمائه الحسنى) اى المشتملة على نعوت الجمال
وصفات الجلال كما يقتضيه ذات الكمال (وآياته الكبرى) اى العظمى من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته

(والامور الآخرة) من نشر وحشر وشدآئد احوالها ومكايد اهوالها (واشراط الساعة) اى علاماتها من قطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وكثرة الظلم من الانام (واحوال السعدآء) فى جنة النعيم (والاشقياء) فى محنة الجحيم (وعلم ما كان) فى بدء الامر (وما يكون مما علم بعلمه) ويروى فيما لا يعلمه (الا بوحى فعلى ما تقدم) جواب اما اى فمعمول على ما سبق (من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم به) بصيغة المجهول (منه شك) اى تردد (ولا ريب) اى شبهة لقوله تعالى فلا تكونن من الممترين (بل هو فيه على غاية اليقين) فى طريق الدين المبين (لكنه) اى الشان او النبى عليه الصلاة والسلام (لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك) بل ربما يقال انه لا يتصور له الاستقصاء بما هنالك (وان كان عنده من علم ذلك) اى بعضه مما حكم له فى القدر (ما ليس عند جميع البشر) اى افرادا وجمعا (لقوله) اى النبى (عليه الصلاة والسلام) فيما رواه البيهقى (انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله) فيما رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (ولا خطر على قلب بشر) بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) بصيغة المفعول وقرأ حمزة بصيغة المتكلم (من قرة اعين) اى مما تلذ به وبله اسم فاعل بمعنى دع واترك (وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن) وفى قراءة باثبات الياء (مما علمت رشدا) وقرأ ابو عمرو بفتحهما اى علما ذا رشد وفيه ان المفضول قد يتميز بشئ لم يكن عند من هو افضل منه كما يشهد له قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الديلمى عن انس رضى الله تعالى عنه (اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله) فيما رواه احمد (اسألك بكل اسم هو لك) اى خاصة (سميت به نفسك او استأثرت به) اى انفردت بعلمه عن غيرك ويروى واستأثرت به (فى علم الغيب عندك) قيل اسماء الله اربعة آلاف الف استأثر بها والف اعلمها الملائكة والف اعلمها الانبياء والف فى الكتب المنزلة منها تسعة وتسعون فى القرآن وواحد فى صحف ابراهيم وثلاثمائة فى التوراة ومثلها فى الزبور ومثلها فى الانجيل (وقد قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم) اى من هو اعلم منه (قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى) او فوق العلماء كلهم من هو اعلم منهم وهو الحكيم العليم (وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته لا يحاط بها) وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء (ولا منتهى لها) اى لمعلوماته سبحانه وتعالى ازلا وابدا فلا يتصور ان يحيط به علم البشر (هذا) اى ما ذكر (حكم عقد النبى) اى جزم قلبه (فى التوحيد) اى فى توحيد ربه (والشرع) اى المكلف به من امره ونهيه (والمعارف الالهية) اى الاسرار الربانية (والامور الدينية) اى والانوار المنبعثة عن الاحوال الدينية والافعال الاخروية

(فصل)

(واعلم ان الامة مجمعة) وفى نسخة مجتمعة (على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم) اى حفظه وحمايته (من الشيطان) لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (وكفايته) اى وعلى كفاية الله له وفى نسخة وحراسته (منه) اى من ضرره الظاهرى والباطنى كما بينه بقوله (لا فى جسمه) اى ظاهر جسده (بانواع الاذى) كالجنون والاغماء (ولا على خاطره بالوساوس) اى على وجه الالقاء وفى نسخة الوسواس اى بجنسه الذى يوسوس فى صدور سائر الناس (وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على) اى ابن سكرة (رحمه الله قال ثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف (العدل) اى الثقة (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد (ثنا ابو الحسن الدارقطنى) وهو شيخ الاسلام والدارقطن محلة ببغداد (ثنا اسماعيل الصفار) بتشديد الفاء (ثنا عباس) بالموحدة والسين المهملة (الترقفى) بفتح المثناة فوق ثم راء ساكنة ثم قاف مضمومة ثم فاء مكسورة ثم ياء النسبة ثقة متعبد اخرج له ابن ماجه (ثنا محمد بن يوسف) هذا هو الفريابى وعاش اثنتين وتسعين سنة (ثنا سفيان) اى الثورى على ما هو الظاهر (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن سالم ابن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى يروى عن عمر وعائشة مرسلا وعن ابن عباس وابن عمرو وعنه الاعمش وجماعة ثقة (عن مسروق) اى ابن الاجدع الهمدانى احد الاعلام يروى عن ابى بكر وعمر ومعاذ ومعاوية قال الشعبى وكان اعلم بالفتيا من قريش وقال ابو اسحق حج مسروق فما نام الا ساجدا وقالت امرأة مسروق كان يصلى حتى تورم قدماه اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد) من زآئدة مؤكدة (الا وقد وكل) وفى نسخة الا وكل وهو بصيغة المجهول وفى نسخة الا وكل الله (به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) وفى رواية من الملك (قالوا واياك يا رسول الله) اى او انت وكل بك قرينك من الجن (قال واياى) اى وقد وكل بى قرينى (ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم) بفتح الميم اى انقاد وقيل آمن وفى نسخة بضمها اى اسلم من شره (زاد غيره) اى

غير سفيان احد رواته (عن منصور فلا) ويروى ولا (يأمرنى الا بخير) هذا الحديث اخرجه المصنف كما ترى من حديث مسروق عن ابن مسعود والحديث فى مسلم لكن من حديث سالم ابن ابى الجعد عن ابيه عن ابن مسعود وانما كثر اخراجه من هذه الطريق دون طريق مسلم لما فيها من العلو مع صحة الاسناد كذا ذكره الحلبى وقال الدلجى هذا الحديث فى البخارى ولعله بسند آخر والله تعالى اعلم (وعن عائشة بمعناه) لا يعرف مخرج مبناه وروى فى الباب ايضا عن ابن عباس بسند احمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم احد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وانت يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعاننى عليه فاسلم (وروى فاسلم بضم الميم) اى وفتح همزة المتكلم من السلامة (اى فاسلم انا منه) اى فاخلص (وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها) اى من جهة الدراية وممن صححها سفيان بن عيينة فانه زعم ان الشيطان لا يسلم كما نقله الغزالى فى الاحياء (وروى فاستسلم) اى بصيغة الماضى المعلوم (يعنى القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر) كرواية البخارى (الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث) اى بناء على الفعل الماضى مع انه يحتمل ان يكون معناه انقاد واستسلم ويؤيده رواية المتكلم (وروى بعضهم فاستسلم) اى اذعن وانقاد وقد ذكر ابن الاثير رواية فاسلم بفتح الميم ورواية فاسلم بضم الميم ورواية حتى اسلم اى انقاد كذا لفظه ثم قال ويشهد للاول يعنى رواية فتح الميم الحديث الآخر كان شيطان آدم كافرا وشيطانى مسلما (قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط) اى باعتبار جنسه (على بنى آدم) وفى نسخة على كل احد من بنى آدم (فكيف) اى الظن (بمن بعد) اى من شياطين الجن (عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام ويروى منه (ولم يلزم صحبته ولا اقدر) بصيغة المجهول اى مكن ولا جعل له قدرة (من الدنو منه) اى القرب من حضوره والمعنى ايقع فى وهم انه عليه الصلاة والسلام لا يسلم منه لا بل الاولى ان يسلم بدليل انه لم يكن له عليه كغيره من النبيين سلطان (وقد جاءت الآثار بتصدى الشيطان) اى بتعرضه (له فى كل موطن) اى من الصلاة وغيرها وفى نسخة فى غير موطن اى فى مواطن كثيرة (رغبة) اى لاجل الميل والتوجه (فى اطفائه نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره (واماتة نفسه) اى اهلاك ذاته واعدام صفاته (وادخال شغل) بضم فسكون وبضمتين وبفتح فسكون اى اشتغال بال (عليه اذ يئسوا) اى جنس الشيطان (من اغوآئه) اى اضلاله وافساد امره (فانقلبوا خاسرين) اى فرجعوا خائبين خاسئين ذليلين صاغرين (كتعرضه) اى الشيطان (له فى صلاته فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم واسره) اى استولى عليه وقهره ويروى فاسره (ففى الصحاح) اى البخارى ومسلم وغيرهما (قال ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام) اى مرفوعا (ان الشيطان عرض لى) اى ظهر (قال عبد الرزاق) اى الصغانى زيادة على ما فى الصحيحين (فى صورة هر) ما اوتوه من قوة التشكل كالملائكة الا ان الملك لا يتصور الا بشكل حسن بخلاف الشيطان (فشد) بتشديد الدال اى حمل (على يقطع على الصلاة) حال او استئناف وابعد الدلجى فى قوله حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو مؤول بمصدر (فامكننى الله منه) اى فاقدرنى من اخذه واسره وقوانى على قهره (فذعته) بذال معجمة وقيل مهملة قال النووى وانكر الخطابى المهملة وصححها غيره وصوبه وان كانت المعجمة اوضح واشهر انتهى وعند ابن الحذاء فى حديث ابن ابى شيبة فذعته بذال وغين معجمتين وفتح عين مهملة مخففة وتشديد فوقية اى خنقته خنقا شديدا او دفعته دفعا عنيفا او معكته فى التراب كالغط فى الماء وفى رواية ابن ابى الدنيا عن الشعبى مرسلا اتانى شيطانى فنازعنى ثم نازعنى فاخذت بحلقه فو الذى بعثنى بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة اخى سليمان اصبح طريحا فى المسجد (ولقد هممت) اى قصدت (ان اوثقه) اى اربطه (الى سارية) اى اسطوانة وفى رواية بسارية من سوارى المسجد (حتى تصبحوا) اى تدخلوا فى الصباح او تصيروا (تنظرون) وفى نسخة ناظرين (اليه فذكرت) اى فتذكرت (قول اخى) اى فى النبوة (سليمان) اى ابن داود وفى رواية دعوة اخى سليمان اى دعاءه (رب اغفر لى) قدم طلب المغفرة فانه الامر الدينى على المطلب الدنيوى المشار اليه بقوله (وهب لى ملكا الآية) اى لا ينبغى لاحد من بعدى اى لا يتسهل او لا يصح او لا يكون لاحد غيرى لتكون معجزة مختصة بى (فرده الله خاسئا) اى خائبا خاسرا قال المصنف فى شرح مسلم كما نقله عنه النووى انه مختص بهذا فامتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من ربطه اما لانه لم يقدر عليه لذلك واما لانه لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه انه لا يقدر عليه او تواضعا وتأدبا انتهى او ايماء لكونه معجزة مختصة به (وفى حديث ابى الدردآء) وهو عويمر وقيل اسمه عامر ولقبه عويمر واختلف فى اسم ابيه على سبعة اقوال وبنته الدردآء روى عنه ابنه بلال وزوجته ام الدردآء توفى بدمشق سنة احدى وثلاثين وقد اسلم عقيب بدر الا انه فرض له عمر والحقه بالبدريين لجلالته (عنه عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم (ان) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (عدو الله ابليس جاء بشهاب) اى بشعلة مضيئة مقتبسة (من نار ليجعله فى وجهى) اى ليحرقه

(والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلاة) جملة حالية معترضة بين ما رواه ابو الدرداء من لفظه صلى الله عليه وسلم
وبين ما ذكره بمعناه لبيان وقت مجيء عدو الله الى حبيب الله (وذكر) اى ابو الدرداء (تعوذه بالله ولعنه له) بلفظ
اعوذ بالله منك العنك بلعنة الله تعالى وقوله عليه الصلاة والسلام (ثم اردت اخذه وذكر) اى ابو الدرداء (نحوه)
اى نحو حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من قوله ولقد هممت ان اوثقه (وقال لاصبح موثقا) بفتح المثلثة اى
مقيدا (يتلاعب به ولدان اهل المدينة) اى صبيانهم وصغارهم (وكذلك) اى وكما فى حديث ابى الدرداء (فى حديثه)
فيما رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن حبيش (فى الاسراء) اى الى بيت المقدس والسماء (وطلب عفريت له) برفع طالب
مضافا وفى نسخة بجره اى طلب خبيث متمرد يعفر اقرانه اى يصرعهم ويفزعهم ويمرغهم فى التراب ويهلكهم
(بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه وذكره) اى هذا الحديث (فى الموطأ) بهمزة اوالف وهو كتاب
للامام مالك وفى حديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته
فذعته ولولا دعوة اخى سليمان لربطته بسارية من سوارى المسجد فاصبح يلعب به ولدان المدينة (ولما لم يقدر)
اى عدو الله (على اذاه بمباشرته) اى اياه (تسبب بالتوسط الى عداه) بكسر العين وهو اسم جمع اى اعدائه من كفار
قريش وغيرهم (كقضيته مع قريش فى الائتمار) اى التشاور (بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره)
اى ابليس (فى صورة الشيخ النجدى) وانما انتسب اللعين بذلك لانهم قالوا لا تدخلوا معكم احدا من اهل تهامة فان
هواهم مع محمد عليه الصلاة والسلام ومجمل القصة انه جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصار من
اهل المدينة فى العقبة فجزعوا ولدافعه اجتمعوا فدخل عليهم وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا
ونصحا لكم فقال ابو البخترى ارى ان تحبسوه فى مكان وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه منكم فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل
فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا عقله اى ديته عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رأيه فاخبره جبريل بذلك وامره
ان لا يبيت فى مضجعه واذن له بالهجرة الى المدينة فخرج واخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤسهم ويقرأ
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر
الى آخر القصة فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
(ومرة اخرى) اى وكتصوره (فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك) وهو ابن جعشم الكنانى على ما رواه ابن ابى
حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه (وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية) يعنى وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة فانكم لا تغلبون ولا تطاقون لكثرتكم عددا وعددا
واوهمهم ان لهم الغلبة ابدا حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الملتين فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
اى رجع القهقرى وكانت يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تريد ان تخذلنا أفرارا من غير قتال فدفع
فى صدر الحارث وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله وانطلق متبرئا من افعالهم ويائسا من احوالهم
لما رأى من امداد الله تعالى المؤمنين بالملائكة الدال على ان لهم النصرة والغلبة فانهزم الكفرة فقيل هزم الناس
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى خبر هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلم بعضهم (ومرة) اى
وتصوره كرة اخرى (ينذر بشأنه) اى يخبر بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخوف الناس منه ويحذرهم عنه (عند بيعة
العقبة) اى عقبة منى السفلى ليلة بايع الانصار على انه ان اتاهم آووه ونصروه ودفعوا عنه كما يحمى الرجل عن
حرمه قال الامام ابو الليث فى تفسيره وقد هاجر اليهم بعد هذا بحولين (وكل هذا) اى وجميع ما ذكر (فقد كفاه الله امره
وعصمه) اى حفظه ومنعه (ضره) بفتح اوله وضمه (وشره) وروى من ضره وشره (وقد قال عليه الصلاة والسلام)
اى فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان عيسى عليه الصلاة والسلام كفى) بصيغة المجهول اى
وقى (من لمسه) اى جسه ومسه (فجاء) الفاء للتفريع فلما قصد (ليطعن) بفتح العين وبضم اى ليضرب (بيده فى
خاصرته) اى جنبه (حين ولد) اى حين خرج من بطن امه (فطعن فى الحجاب) اى المشيمة وهى الغشاء الذى يكون
الجنين فى داخله وقيل حجاب بين الشيطان وبين مريم والله اعلم والظاهر ان عيسى عليه السلام مختص بهذا الاكرام
خلافا لما ذكره الدلجى من تعميم الانبياء فى هذا المرام ففى حديث البخارى وغيره ما من مولود يولد الا ومسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها وذلك لدعاء جدته ربها ان يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم (وقال

عليه

عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن عائشة (حين لد فى مرضه) بضم اللام وتشديد الدال اى سقى دواء من احد
شقى فمه بغير اذنه لغشيانه وظن انه اصابه وجع فى جنبه وذلك يوم الاحد وتوفى يوم الاثنين الذى يليه مع الزوال
فلما افاق قال لا يبقى فى البيت احد الا لد فقال ذلك عقوبة لهم (وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب) وهو علة
لدمل كبير وقرحة تظهر فى باطن الجنب الايسر وتنفجر الى داخل فلما يسلم صاحبها (فقال) اعاده لطول الفصل
(انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على) وضمير انها الى لدهم له وانثه باعتبار صنعتهم لا كما قال الدلجى باعتبار
صدوره مرة واحدة ثم نسبه الى الشيطان لانه كان بسبب وسوسته لهم بذلك حتى فعلوا ما لم يأذنهم هنالك (فان قيل)
اذا كان الله لم يسلطه عليه (فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ (اى نازغ وناخس منه (فاستعذ بالله
الآية) اى قوله تعالى انه سميع عليم اى سميع لمقالك وعليم بحالك (فقد قال بعض المفسرين) اى لدفع هذا الاشكال
الوارد فى السؤال (انها) اى الآية (راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين) اى المصدر بقوله خذ العفو اى ما سهل
من اخلاق الناس من غير كلفة ومشقة حذرا من النفرة عن الحضرة وامر بالعرف اى المعروف من الفعل الجميل
وهذه الآية اجمع مكارم الانام بشهادة قول جبريل له عليهما السلام وقد سأله عنها فقال لا ادرى حتى اسأل ربى
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (ثم قال) اى الله سبحانه
وتعالى او بعضهم فى تفسير قوله (واما ينزغنك اى يستخفنك) يعنى يزعجك ويحملك على الخفة ويزيل حلمك (غضب
يحملك على ترك الاعراض عنهم) اى مثلا (فاستعذ بالله) ولا تطمع من سواه (وقيل النزغ هنا الفساد كما قال) اى الله
تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لابيه ومن معه تحدثا بنعمة ربه وجاء بكم من البدو (من بعد ان نزغ الشيطان
بينى وبين اخوتى وقيل ينزغنك) اى معناه (يغرينك) من الاغراء بالغين المعجمة والراء وهو الالزام وفى نسخة يغوينك
بالواو من الاغواء (ويحركنك) اى بالقيام فى طلب ما له من المرام (والنزغ ادنى الوسوسة) اى حديث النفس
والخطرة التى ليس بها عبرة (فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه) اى مثلا (او رام الشيطان)
اى قصد (من اغرائه به) اى تسليطه وفى نسخة من اغوائه اى من اضلاله (وخواطر ادانى وسوسه) اى
مقدمات هواجسه (ما لم يجعل) بصيغة المجهول اى لم يقدر الله تعالى (له سبيل اليه) اى بحيث يتسلط عليه
(ان يستعيذ منه فيكفى امره) بصيغة المفعول ونصب امره ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل اى فيكفى الله امره
ويدفع شره وضره (ويكون) اى استعاذته من وسوسته (سبب تمام عصمته) وظهور حالته عند امته مع افادة تعليمه
لاهل ملته (اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له) اى بمجرد وسوسته (ولم يجعل له قدرة عليه) اى لعصمته (وقد قيل
فى هذه الآية غير هذا) اى من الاقاويل فى باب التأويل (وكذلك) اى وكعصمته عليه الصلاة والسلام من ابليس
ووسوسته (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس) بفتح الياء وكسر الباء او بضم اوله وتشديد الموحدة
اى يخلط (عليه) ويشكك فى امره اليه (لا فى اول الرسالة ولا بعدها) اى بالاولى (والاعتماد فى ذلك) اى فى عدم صحة
تصور الشيطان له فى صورة الملك (دليل المعجزة) فانما هى لتثبيت له بالعصمة والتأييد له بالحكمة وتوضيحه
انه لما كانت المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدى لمدعى النبوة فمحال ان يجد الشيطان اليه سبيلا
بالغلبة (بل لا يشك النبى) اى من الانبياء (ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله) اى انه هو المرسل اليه بوحيه لديه
وفى نسخة على يديه (حقيقة) اى من غير تردد فيه (اما بعلم ضرورى يخلقه الله تعالى له) اى فيعتمد عليه (او ببرهان
يظهره لديه) وفى نسخة على يديه (لتتم كلمة ربك) اى ايها المخاطب بالخطاب العام وفيه ايماء الى ما فى التنزيل من قوله
وتمت كلمة ربك (صدقا) فى الاخبار والاعلام (وعدلا) فى الاحكام نصبهما على التمييز او الحالية لا كما قال الدلجى على
المفعولية (لا مبدل لكلماته) ولا محول لارادته (فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى)
هذا صريح فى الفرق بينهما والاظهر ان الرسول من اوحى اليه وامر بالدعوة والنبى اعم والله تعالى اعلم (الا اذا تمنى)
اى قرأ وتلا (القى الشيطان فى امنيته) اى تلاوته وقراءته عما يشغله به عن استغراقه فى بحور العوارف واشتغاله
بكنوز المعارف (الآية) يعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله ويزيله ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل
ما يلقى الشيطان الآية (فاعلم ان للناس فى معنى هذه الآية اقاويل) اى كثيرة شهيرة (منها) اى من تلك الاقاويل
(السهل) اى الهين المقبول (والوعر) اى الصعب الوصول وفى نسخة صحيحة بدله والوعث بسكون العين وبكسر
وبالمثلثة الطريق العسير ومنه ما ورد اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر اى شدة مشقته (والسمين) اى الكلام
المتين القوى (والغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول الضعيف الردى (واولى ما يقال فيها) اى
فى الآية (ما عليه الجمهور من المفسرين) كما ذكره البغوى ايضا (ان التمنى ههنا التلاوة) يقال تمنيته اذا قرأته

وفي مرثية عثمان رضي الله تعالى عنه تمنى كتاب الله اول ليله * وآخره لاقى حمام المقادر (والقاء الشيطان فيها) اي في تلاوته (شغله) بفتح اوله وضمه وفي نسخة اشغاله اي شغل الشيطان اياه (بخواطر) اي ردية (واذكار من امور الدنيا) اي الدنية (للتالي) اي للقارئ من النبي فضلا عن غيره (حتى يدخل عليه) من الادخال اي يوصل اليه الشيطان او شغله اياه (الوهم) اي السهو والخطأ (والنسيان فيما تلاه) اي فيما قرأه من جهة مبناه او طريق معناه (او يدخل غير ذلك في) وفي نسخة على (افهام السامعين من التحريف) في لفظ التنزيل ومبناه (وسوء التأويل) اي في معناه (ما يزيله الله تعالى وينسخه) اي يدفعه ويرفعه (ويكشف لبسه) بفتح اوله اي ويبين خلطه ويظهر غلطه (ويحكم آياته) اي ويثبت بيناته (وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد) اي بعد ذلك في فصل (باشبع من هذا) اي ابسط واوسع (ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي) اي الامام ابو الليث الحنفي (انكار قول من قال بتسلط الشيطان) ويروى بتسليط الشيطان (على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح) يعني فاذا كان لا يصح تسلط الشيطان على ملك سليمان من الامور الدنيوية فبالاحرى ان لا يصح له التسلط على الانبياء فيما يتعلق بالامر الديني والاخروي (وقد ذكرنا) اي وسنذكر (قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال) اي وتذكر من قال في تأويله (ان الجسد) اي في قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا (هو الولد الذي ولد له) اي ناقصا جاءت به احدى نسائه فالقته القابلة على كرسيه وذلك حين قال لاطوفن الليلة على نسائي كما من الحديث (وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله) اي وفي قوله اي الله سبحانه وتعالى حكاية عنه (اني مسني الشيطان بنصب) بضم وسكون وقرأ يعقوب بفتحهما اي بتعب (وعذاب) زيد في نسخة اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (انه) اي الشان (لا يجوز لاحد ان يتأول) اي الآية برأيه ويزعم (ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضرر في بدنه) لعدم قدرته على ذلك ولو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه هنالك (ولا يكون ذلك) اي ما اصابه من المرض والضر العرض (الا بفعل الله تعالى وامره ليبتليهم) اي ليمتحنهم كما ورد اشد الناس بلاء الانبياء (ويثبتهم) من التثبيت او الاثبات اي يؤيدهم بالعصمة ويقويهم بالحكمة وفي نسخة ويثيبهم من الاثابة اي ويجازيهم على بلائهم ثوابا جزيلا وثناء جميلا واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب في تعظيم الرب اقتداء بابراهيم حيث قال واذا مرضت فهو يشفين حيث لم يقل امرضني مع ان ايوب عليه السلام ما حكى مجرد ضرر المرض بل شكا ما حصل له من نصب وعذاب كان الشيطان لهما من الاسباب فقد روي ان ابليس اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس كالخيل والبغال فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال لها هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني فانت لو سجدت لي سجدة واحدة رددت عليك المال والاولاد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها فقال قد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك فعند ذلك قال مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها الى الكفر بالله سبحانه وتعالى قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه به الشيطان ما وسوس به الى اهله (فان قلت فما معنى قوله تعالى) اي حكاية (عن يوشع) غير منصرف للعلمية والعجمة وهو ابن نون (وما انسانيه) بكسر الهاء وضمها لحفص (الا الشيطان) اي ان اذكره (وقوله) اي وما معنى قوله تعالى (عن يوسف عليه السلام) اي في حقه (فانساه الشيطان ذكر ربه) بان وسوس له بخواطر مما يورثه ان يكل امره الى غير ربه مستعينا به في خلاصه من السجن وتعبه لحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة في كشف الشدائد والضراء وان جازت في الجملة الا انها غير لائقة بالانبياء والكمل من الاولياء (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام) اي وما معنى قوله كما في رواية مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (حين نام عن الصلاة) اي صلاة الفجر (يوم الوادي) اي الذي امر بلالا ان يكلأ له فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس (ان هذا واد به شيطان) ارتحلوا ثم قضى صلاة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز تأخير الفائتة بعذر فهو مخصص لعموم حديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك (وقول موسى عليه السلام) اي وما معناه (في وكزته) اي القبطي وهو ضربه في صدره بجمع كفه الذي صار سبب قتله (هذا من عمل الشيطان) اي اصدوره منه قبل ان يؤذن له في ضربه او قتله وجعله من عمل الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على كريم عادة الانبياء من استعظام ما تركه اولى من الاشياء (فاعلم ان هذا الكلام) اي منهم عليهم السلام (قد يرد في جميع هذا) اي مما حكى عنهم (مورد مستمر) بالنصب وفي نسخة على مورد مستمر (كلام العرب) اي مجرى دأبهم ومطرد عادتهم (في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله) لقبح منظره وسوء فعله في طباع الناس

لاعتقادهم انه شر محض لا خير فيه (كما قال تعالى) في مذمة شجرة الزقوم (طلعها) اي ثمرها (كانه رؤس الشياطين) لتناهي قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلي كتشبيه الفائق في حسن عظيم بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك كريم (وقال) اي وكما قال (صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الشيخان فيمن يريد ان يمر بين يدي المصلي واول الحديث اذا صلى احدكم الى شيء يستره فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان ابى (فليقاتله فانما هو شيطان) اي انسي او جني شبهه به تقبيحا لمروره بين يديه لمشابهة فعله في قبح امره لشغل خاطره واذهاب خشوعه وخضوعه به (وايضا) مصدر من آض اذا رجع اي ونرجع ونقول (فان قول يوشع) لموسى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره (لا يلزمنا الجواب عنه) وفي نسخة عليه (اذ لم يثبت له في ذلك الوقت) اي وقت كونه في خدمة موسى (نبوة مع موسى) بل يظهر فيه انه لم يكن نبيا وانه كان تابعا لملازمته (قال تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته) ويروى قبل موته اي موت موسى نعم يلزم الجواب عنه لمن قال بعصمة الانبياء قبل النبوة وبعدها اذ لا سبيل للشيطان عليهم مطلقا وقد يقال نسبه للشيطان هضما لنفسه وتأدبا مع ربه (وقول موسى) اي في حال وكز القبطي هذا من عمل الشيطان (كان قبل نبوته بدليل القرآن) فانه يدل على ان قتله كان قبل هجرته الى مدين اذ وقع سببا لها وقد روي انه لما قضى الاجل مكث بعده عند صهره شعيب عشرا اخرى ثم استأذنه في العود الى مصر او اتفق له ذلك السفر وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون وفيه انه لم يحتمل انه كان نبيا ولم يكن رسولا لقوله تعالى قبل هذه القصة ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة الآية (وقصة يوسف) اي وهو في السجن (قد ذكر) ويروى قد ذكرنا (انها كانت) اي كلها كما في نسخة (قبل نبوته) اي على قول بعضهم والا فقد قال بعضهم انه نبئ في الجب بدليل قوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون نعم رسالته كانت متأخرة (وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان) اي ذكر ربه بعد قول يوسف له اذكرني عند ربك (قولين) اي تأويلين (احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن) وهو الشرابي (وربه) اي وسيده (الملك) بكسر اللام (اي انساه) اي الشيطان الشرابي (ان يذكر) من الذكر او التذكير والاول اوفق بقوله اذكرني (للملك) وفي نسخة الملك (شأن يوسف عليه السلام) اي ليخرجه من السجن وما فيه من تعب المقام ونصب الملام (وايضا فان مثل هذا) اي الانساء (من فعل الشيطان ليس فيه تسلط) اي بالاغواء (على يوسف عليه الصلاة والسلام) اي ولو كان حينئذ من الانبياء (ويوشع) اي وعليه وهو ولد ولده (بوساوس) ويروى بوسواس (ونزغ) اي خطر من هواجس (وانما هو) اي فعل الشيطان (بشغل خواطرهما) اي بسببه وفي نسخة بصيغة المضارع وفي اخرى شغل بصيغة المصدر وفي اخرى اشتغال خواطرهما (بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته بل ان كان بمقتضى ظاهره) اي سببا لغفلته (فقد تبين امر ذلك الشيطان بقوله) في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم (ان الشيطان اتى بلالا) اي حين قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اكلأ لنا الفجر اي احفظ وقته (فلم يزل يهدئه) بضم الياء وكسر الدال بالهمز من الاهداء او التهدية اي يسكنه عن الحركة (كما يهدأ الصبي) بصيغة المجهول بان يضرب عليه بالكف على وجه اللطف لينام من غير العنف (حتى نام) اي بلال فلم يستيقظ حتى ضربهم حر الشمس فقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله (فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي الذي عرس به) بتشديد الراء اي نزل به في الليل او آخره هو واصحابه حين قفلوا من غزوهم اي رجعوا (انما كان) اي في الجملة (على بلال الموكل بكلاءة الفجر) بكسر الكاف وفتح اللام ممدودة وفي نسخة بكلاءته الفجر اي حراسته ليخبرهم بطلوع الفجر ووقت صلاته (هذا) اي التأويل (ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه) اي قوله ذلك (تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة ترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم) كما رواه مالك والبيهقي (فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه) اي بيان حديثهما (وارتفاع اشكاله) على منهج الصواب

(فصل)

(واما قوله عليه الصلاة والسلام فقامت) ويروى فقد قامت (الدلالة) اي جنس الدلالات (اللائحة) وفي نسخة صحيحة الدلائل الواضحة (بصحة المعجزة على صدقه) من الآيات الساطعة والبينات القاطعة كانشقاق القمر وغيره من خوارق العادة (واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ) اي تبليغ الشرائع والاحكام من الله الملك العلام لسائر الانام (انه معصوم فيه من الاخبار) بكسر الهمزة اي الاعلام (عن شيء منها بخلاف ما هو به) اي من المقصود والمرام والمعنى بخلاف الواقع (لا قصدا) اي بسبب (ولا عمدا) اي لا عن سبب (ولا سهوا) اي خطأ (ولا غلطا) اي

نسيانا وفى نسخة لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا (اما تعمد الخلف) بضم اوله وهو اخلاف الوعد وهو فى الآتى
كالكذب فى الماضى وروى واما تعمده بالخلف (فى ذلك) اى فيما تقدم من امر البلاغ (فمنتف) اى ممتنع عقلا ونقلا
(بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق) اى عبدى كما فى نسخة (فيما قال اتفاقا) بين علماء الامة
(وباطباق اهل الملة اجماعا) اى فى الجملة (واما وقوعه) اى الخلف (على جهة الغلط فى ذلك فبهذه السبيل) اى فمنتف
ايضا بدليل المعجزة المذكورة او بهذه الطريقة المسطورة بعينها (عند الاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة
(ابى حامد الاسفراينى) بكسر الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان بنواحى نيسابور وهو امام المتبحرين فى علوم الدين
كلاما واصولا وفروعا وابوابا وفصولا توفى بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثمانى عشرة واربعمائة (ومن قال بقوله) اى
ممن تابعه وشايعه فى انه منتف لصدوره (من جهة الاجماع فقط) لانه حجة قاطعة (وورود الشرع) اى ومنتف ايضا
من جهة ورود الكتاب والسنة وفى نسخة وورد الشرع (بانتفاء ذلك الغلط) لقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط
مستقيم (وعصمة النبى) اى ومنتف ايضا من جهة عصمته قطعا (لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر
الباقلانى) بكسر القاف وتشديد اللام وقد تقدم عليه الكلام وهو الامام المالكى (ومن وافقه لاختلاف بينهم)
اى بين الاستاذ والقاضى ومقلديهما (فى مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره) فى هذا الباب (فنخرج عن غرض
الكتاب) ونورث السآمة والملالة من الاطناب (فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه) اى على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه)
ويروى وبما اوحاه اليه (من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد) اعاد حرف النفى سابقا ولاحقا تأكيدا لعدم
جواز خلفه فيما ذكر حقا وصدقا (ولا فى حال الرضى) بكسر الراء وتضم اى المحبة وفى نسخة حالى الرضى وفى اخرى
حين الرضى (والسخط) بفتحتين وبضم وكسر اى الغضب والكراهة (والصحة والمرض وفى حديث عبد الله
ابن عمرو) اى ابن العاص بن وائل السهمى كما رواه احمد وابو داود والحاكم وصححه (قلت يا رسول الله اكتب)
باستفهام مقدر او مقرر بابدال والمعنى ءاكتب (كل ما اسمع منك قال نعم) اكتب عنى كل ما سمعت منى قلت
فى الرضى والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك) اى فى الذى اقوله (الا حقا) لما عصمه ربه من الزلل والخطل
فى القول والعمل (ولنورد) بفتح النون وكسر الراء من الورود اى ولنذكر (ما اشرنا) اى فيما حررنا (اليه من
دليل المعجزة) ويروى فى دليل المعجزة (عليه) اى على ما قررنا (بيانا) اى برهانا (فنقول اذا اقامت المعجزة على صدقه)
اى النبى (وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ) بالتشديد والتخفيف اى ولا يخبر (عن الله تعالى الا صدقا) بحيازته غاية
الامانة وحماية الصيانة والديانة (وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى) وروى مقام قول الله تعالى
صدق عبدى فيما يذكره (وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم) بالتشديد والتخفيف اى لاخبركم (ما ارسلت به
اليكم وابين لكم ما نزل عليكم) بالبناء للفاعل مخففا او المفعول مثقلا لتفوزوا بكرم السيادة وعظم السعادة
(وما ينطق عن الهوى ان هو) اى ما هو (الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) كما فى آية اخرى (وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ونحو هذا من الآيات فى الكتاب (فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب) اى
اى فى باب البلاغ عن ربه (خبر بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى ما اخبر به (على اى وجه كان) من قصد او غيره
(فلو جوزنا عليه الغلط والسهو) اى نسبتهما اليه (لما تميز لنا) اى لما امتاز خبره (من غيره) اى من خبر غيره قال
الحجازى سياق الكلام يدل على ان الضمير فى ذلك عائد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا اختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص) بتقييد حاله (فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
فيما طريقه البلاغ (عن ذلك كله) اى عن الاخبار بشئ منه بخلاف ما هو به قصدا او عمدا او سهوا او غلطا (واجب برهانا)
اى دليلا عقليا (واجماعا) اى اتفاقا نقليا (كما قاله ابو اسحق) اى الاسفراينى على ما تقدم والله تعالى اعلم

(فصل)

(وقد توجهت ههنا) اى فى هذا البحث (لبعض الطاعنين) اى فى الدين (سؤالات) اى من الملحدين (منها ما روى)
اى فيما اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير (من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قرأ والنجم) اى سورته (قال) اى وقرأ (افرأيتم اللات) صنم كان لثقيف بالطائف او بنخلة من قريش وهى مؤنثة
من لوى لانهم كانوا يلوون على طاعتها ويعكفون على عبادتها او يلتوون عليها اى يطوفون لديها وقيل مؤنث
لفظة الجلالة (والعزى) تأنيث الاعز شجرة كانت لغطفان تعبدها بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها (ومناة) بالقصر ويمد صخرة كانت لهذيل وخزاعة تعبدها وتتقرب بها وتعتكف لديها

(الثالثة الاخرى) صفتان للتأكيد (قال) اى جرى على لسانه او حكى الشيطان بعد بيانه (تلك الغرانيق العلى)
جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمهما وفتح النون وسكون الراء والياء
ويقال كقنديل وهى فى الاصل الذكور من طير الماء طويل العنق قيل هو الكركى ويقال للشاب الممتلى شبابا
وحسنا وبياضا اريد بها ههنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله تعالى وشفعاؤهم عند الله فشبهوها
بالطير الذى يعلو فى الهواء ويرتفع الى السماء (وان شفاعتها) ويروى وان شفاعتهن (لترتجى) بصيغة المجهول اى
تتوقع وتؤمل فى التجاوز عن الذنب والزلل (ويروى ترتضى) اى بدل ترتجى اى تقبل (وفى رواية ان شفاعتها لترتجى
وانها لمع الغرانيق العلى) بضم العين اى العالية (وفى اخرى والغرانقة العلى) والغرانقة ايضا جمع غرنيق (تلك
للشفاعة ترتجى فلما ختم) اى النبى عليه الصلاة والسلام (السورة) اى سورة النجم (سجد) اى لله امتثالا لامر ربه
(وسجد معه) اى جميع من كان حاضرا (المسلمون) اى الابرار (والكفار) اى الفجار (لما سمعوه) بفتح اللام وتشديد الميم
او بكسر اللام وتخفيف الميم (اثنى على آلهتهم) اى بقوله تلك الغرانيق الى آخره (وما وقع) اى ومنها ما وقع (فى بعض
الروايات ان الشيطان القاها) اى الكلمات السابقة فى مدح الالهة (على لسانه) اى وجرى على لسانه من غير
شعور له على بيانه والاظهر انه كان على حكاية لسانه ومنوال بيانه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمنى)
اى فيما خطر بباله (ان لو نزل) ويروى انزل (عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم
عنه) بتشديد الفاء اى يبعدهم عن قربه حتى ينفعهم برسالة ربه (وذكر) اى صاحب تلك الرواية (هذه القصة) ابتلاء
للصحبة المشتملة على الغصة ويروى هذه السورة (وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة) ويروى هذه السورة اى سورة
النجم (فلما بلغ الكلمتين) اى وجرى ما سبق من احدى الحالتين (قال له ما جئتك بهاتين فحزن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم) خشية الفتنة فى حق الامة (فانزل الله تعالى) اى عليه (تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الآية) فقد روى ابن جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فى نادى قريش كثيرا اهله فتمنى ان لا يأتيه من الله تعالى ما ينفرهم عنه فانزل الله تعالى والنجم فقرأها فلما بلغ
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه عليه الصلاة والسلام تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى يقرأ حتى ختم فسجد وسجد واسجد معه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل
فعرضها عليه فلما بلغ تلك الغرانيق العلى قال ما جئتك به قال افتريت على الله وقلت ما لم يقل فما زال مغموما حتى نزل
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فطابت نفسه وفى هذه الرواية الفاظ ما تصح بحسب الدراية (وقوله) اى ومنها
قوله او ما نزل عليه ايضا قوله (وان كادوا ليفتنونك) اى ان الشأن قاربوا اى ليضلونك (الآية) اى عن الذى اوحينا
اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وردت فيما ارادته قريش منه عليه الصلاة والسلام ان يبدل الوعد وعيدا
او الوعيد وعدا بقولهم له اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وكذا ما اقترحته ثقيف
عليه من ان يضيف الى الله تعالى ما لم ينزل عليه بقولهم له لا ندخل فى امرك حتى تعطينا ما نفتخر به على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا ننحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا للغير نافهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها
بايدينا عند رأس الحول بل ترسل انت اليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادى وج بعضد شجرة فاذا سألتك
العرب لم فعلت ذلك فقل امرنى الله تعالى به ثم جاؤا بكاتب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا نعشرون ولا تحشرون فقالوا ولا تنحنون وهو ينظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقام عمر فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله تعالى قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم
محمدا فنزلت (فاعلم اكرمك الله تعالى ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث) اى الوارد فى قصة سورة
النجم (مأخذين) اى طريقين نمنع بهما من يتشبث بهذه الروايات او يثق بها من الحكايات (احدهما فى توهين اصله) اى
تضعيف نقله (والثانى على تسليمه) اى على تقدير وقوعه (اما المأخذ الاول) والمخلص المعول (فيكفيك) فى توهينه
ورد تبيينه (ان هذا حديث) اى منكر من جهة الرواية والدراية حيث (لم يخرجه احد من اهل الصحة) كاصحاب
الكتب الستة (ولا رواه ثقة) اى عن ثقة (بسند سليم) اى سالم من الاضطراب والعلة بل ولا رواه ثقة بسند (متصل)
اى مرفوعا او موقوفا بل رواه جماعة باسانيد ضعيفة واهية مقطوعة او موضوعة او مرفوعة (وانما اولع) بصيغة
المجهول اى تولع (به و) تعلق (بمثله المفسرون) اى المعتمدون على اقاويل ضعيفة (والمؤرخون) بتشديد الراء المكسورة
بعد همزة وتبدل واوا اى ارباب التواريخ (المولعون) بضم الميم وفتح اللام اى الحريصون (بكل غريب) اى بنقل كل

مروى فيه غرابة (المتلقفون) اى المتلعون وفى نسخة الملقفون بتشديد القاف المكسورة بعدها قاف اى المرقعون الملقطون (من الصحف) من دون سماع رواية وتصحيح دراية (كل صحيح وسقيم) اى ثابت وضعيف ثم اعلم ان ابا الفتح اليعمرى قال فى سيرته الكبرى ما لفظه بلغنى عن الحافظ عبد العظيم المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة بالكلية وكان شيخنا الحافظ عبد المؤمن بن خلف يخالفه فى ذلك انتهى وذكر الحلبى انه قال بعض شيوخى فيما قرأته عليه حين ذكر هذا الكلام انه باطل لا يصح منه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل (وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى) بضم الموحدة وكسر اللام اى ابتلى (الناس) وامتحنوا (ببعض اهل الاهواء) اى المبتدعة وفى نسخة بتقصى اهل الاهواء اى بتقصصهم على ماذكره الانطاكى (والتفسير) اى اهل التفسير بالآراء المخترعة (وتعلق بذلك) اى بحديث سورة النجم (الملحدون) اى المائلون عن الحق (مع ضعف نقلته) اى رواته (واضطراب رواياته) اى من جهة اختلاف عباراته وفى نسخة رواته (وانقطاع اسناده) الموجب لعدم اعتماده وفى نسخة اسانيده (واختلاف كلماته) المقتضية لتفاوت دلالاته وروى كلمته (فقائل) اى منهم (يقول انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام قرأها (فى الصلاة وآخر يقول قالها) اى المقالة حين قرأها (فى نادى قومه) اى مجلسهم ومتحدثهم (حين نزلت عليه السورة) اى سورة النجم (وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة) بكسر سين وتخفيف نون اى نعاس (وآخر يقول بل حدث نفسه) اى خطر فى باله تلك المقالة (فسها) اى فجرى على لسانه ما حصل له به الملالة (وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه) اى حاكيا صوته فى تقريرانه وهذا اقرب الاقوال بالنسبة الى نزاهة شانه لكن يشكل قوله (وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان) اى وسوس لهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك) اى اعلام الشيطان واغواءه (قال والله ما هكذا نزلت) بصيغة المجهول مشددا او المعلوم مخففا (الى غير ذلك) اى مع غير ما ذكر من الحكايات الناشئة عن اضطراب الروايات (من اختلاف الرواة) اى الذين يقال فى حقهم انهم غير الثقات والحاصل ان الاضطراب وقع من جميع الجهات (ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين) اى المعتبرين كابن جرير وابى حاتم وابن المنذر (والتابعين) اى المعتمدين كالزهرى وقتادة وامثالهما (لم يسندها احد منهم) اى اسنادا متصلا يصلح اعتمادا (ولا رفعها الى صاحب) اى للرواية (واكثر الطرق) اى الاسانيد (عنهم فيها ضعيفة واهية) اى منكرة جدا ولو كانت متصلة (والمرفوع فيه) اى قليل ويروى فيها وفى رواية منه (حديث شعبة) وهو امام جليل (عن ابى بشر) بكسر موحدة وسكون شين معجمة تابعى صدوق ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن سعيد بن جبير) من اجلاء التابعين (عن ابن عباس قال) كذا فى نسخة (فيما احسب) اى اظن (الشك فى الحديث) جملة معترضة من كلام المصنف يعنى شك الراوى بقوله فيما احسب فى نفس الحديث لا فى كونه مرويا عن ابن عباس والحاصل ان سعيد بن جبير وان كان معتمدا لكن تردد ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كان بمكة) فى هذه القضية او بغيرها والسورة مكية بلا خلاف فيها (وذكر القصة) وكان حق المصنف ان يذكر القصة كما ثبت فى الرواية وقد بينها الدلجى بقوله اى قصة نزول سورة النجم وهو فى نادى قومه بعد تمنيه ان لا ينزل عليه ما ينفر قومه عنه او ينزل عليه ما يطيب نفوسهم به عسى ان يؤمنوا فنزلت عليه سورة النجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى ففرح المشركون ثم ختمها وسجد وسجد من حضر مسلمون وكفار (قال ابو بكر البزار) بتشديد الزاى وراء فى آخره حافظ مشهور (هذا الحديث لا نعلمه روى) اى لا نعرف انه روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره) اى ويعتمد عليه فى الجملة (الا هذا) اى الاسناد الى ابن عباس (ولم يسنده) اى الحديث (عن شعبة الا امية بن خالد) ثقة توفى فى سنة احدى ومائتين اخرج له مسلم (وغيره) اى غير امية ممن رواه (يرسله عن سعيد بن جبير) اى بحذف رجاله من اصحابه كابن عباس (وانما يعرف) اى اتصال سنده (عن الكلبى) وهو محمد بن السائب المفسر الاخبارى النسابة والاكثرون على انه غير ثقة خصوصا اذا روى (عن ابى صالح عن ابن عباس) اى موقوفا عليه وابو صالح هذا يروى عن مولاته ام هانئ وعن على وعنه السدى والثورى وعدة واخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابو حاتم وغيره لا يحتج به وقد تقدم انه لم يسمع من ابن عباس (فقد بين لك ابو بكر) اى البزار (رحمه الله تعالى) جملة دعائية (انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا) اى سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقات (وفيه) اى فى حديث شعبة (من الضعف ما نبه عليه) اى البزار وغيره من اختلاف عباراته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وارساله واختلاف مواطن حالاته (مع وقوع الشك منه) اى مع ما وقع له فيه من الشك (كما ذكرناه) من انه (الذى لا يوثق به) الذى صفة للشك

والضمير فى به يعود اليه اى مع وقوع الشك الذى لا يوثق به (ولا حقيقة) لصحة الحديث (معه واما حديث الكلبى فما لا يجوز الرواية عنه) اى عن الكلبى مطلقا (ولا ذكره) اى لهذا الحديث اصلا (لقوة ضعفه وكذبه) اى وكثرة كذبه ولذا ضعفه الجمهور (كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذى منه) اى من حديث سورة النجم (فى الصحيح) من رواية الشيخين (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) اى من غير زيادة (وهو بمكة) اى قبل الهجرة (فسجد معه المسلمون والمشركون) ولم يبين ما سبب سجدة المشركين (والجن والانس) اى الحاضرون (هذا) اى الذى ذكرناه (توهينه) اى تضعيفه (من طريق النقل فاما من جهة المعنى) اى الذى يدركه العقل (فقد قامت الحجة) اى القاطعة (واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته) اى براءة ساحته (عن مثل هذه الرذيلة) اى الخصلة الدنية ويروى النقيصة اى المنقصة (قبل النبوة) ولو قبل البلوغ فكيف يتصور وقوعها بعد تمام النبوة ونظام الرسالة لاسيما وقت التلاوة ودرجها فى القراءة والحاصل ان له عليه الصلاة والسلام عصمة ثابتة (اما من تمنيه ان ينزل عليه سورة مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو) اى مثل هذا التمنى (كفر) فلا يصح نسبته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا ان يكون وقعت خطرة لديه (او ان يتسور) اى او من ان يتسلط (عليه الشيطان) من تسور تصعد السور وهو الحائط المرتفع ومعناه هنا التسلط مجازا (ويشبه) بتشديد الموحدة اى يلبس (عليه القرآن) ويخلط عليه الفرقان (حتى يجعل فيه ما ليس منه) اى ولا يصح ان يكون منه (ويعتقد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه) اى حقيقة (حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام) مع ان ذلك من الواضحات عند كل مؤمن موحد انه ليس من الآيات البينات (وذلك) اى ما ذكر من التمنى والتسور والاعتقاد (كله ممتنع فى حقه عليه الصلاة والسلام او يقول) اى او من ان يتفوه (ذلك النبى من قبل نفسه عمدا) اى حال كونه ذا عمد (وذلك) اى تعمده (كفر او سهوا) اى حال كونه ساهيا (وهو معصوم من هذا كله) اى مما يكون كفرا سواء حال عمده او سهوه بخلاف سهوه فى غير الكفر او المعصية فانه يجوز جريانه عليه (وقد قررنا) اى مرارا (بالبراهين) اى الادلة الواضحة (والاجماع) اى اتفاق جميع الامة (عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر على قلبه) اى باعتقاد جنانه (او لسانه) اى جريانه بموجب عصيانه (لا عمدا ولا سهوا) تأكيد لما افاده ما قبله من نفى جريان الكفر عليه مطلقا (او ان يتشبه) اى او من ان يتلبس (عليه ما يلقيه الملك) اى يوحيه اليه من ربه (مما يلقى الشيطان) ويوسوس اليه من نكره ويروى مما يلقيه الشيطان (او يكون) اى او من ان يكون (للشيطان عليه سبيل) اى بالتسلط وقد قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (او ان يتقول) اى او من ان يفترى (على الله تعالى) وهو لا يتقول على الله (لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول او المعروف (وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) اى افترى علينا مما لم يوح اليه بالفرض والتقدير (الآية) اى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقد سبق ما يتعلق بمعناه وقيل فى تحقيق مبناه ان من صلة اى لاخذناه والاولى ان يقال فيه تضمين والتقدير لانتقمنا منه باليمين اى بالقوة القاهرة والقدرة الباهرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) اى قاربت تميل ادنى ميل (اذا) اى حينئذ (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذابا مضاعفا فى الدنيا وبعد الوفاة (الآية) اى ثم لا تجد لك علينا نصيرا اى يدفعنا بكون دافعا عنا العقوبة (ووجه ثان) لتوهين هذه القضية (وهو استحالة هذه القصة نظرا) اى من جهة دلالة العقل لعصمته من مدح الآلهة واثبات شفاعتها (وعرفا) اى من جهة استبعاد العادة ان يصدر عن الانبياء مدح الشرك مع ذمهم له وحثهم على التوحيد على وجه التأكيد (وذلك) اى بيانه (ان هذا الكلام) اى المنقول فى هذا المقام (لو كان) اى بالفرض والتقدير (صحيحا كما روى) اى كما قالوه صريحا (لكان بعيد الالتئام) بل عديم النظام (لكونه متناقض الاقسام) اى متباين المرام (ممتزج المدح بالذم) فى الشرك بان ذم الكفر فى آيات بينات ومدح فى هذه الآيات المخترعات مع انه خلاف اجماع الانبياء والمرسلين فى جميع الحالات (متخاذل التأليف) بالحاء والذال المعجمتين متفاعل من الخذلان وهو ترك النصرة اى متخالفه فى ارتباط المرام (والنظم) اى ونظم الكلام وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعناه انه من عند الله ولم يجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يسيرا (ولما) بفتح لام وتخفيف ميم (كان النبى صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين) اى من اكابر الصحابة (وصناديد المشركين) اى رؤسائهم فى مكة من قريش وغيرهم (ممن يخفى عليه ذلك وهذا) اى ومثله (مما لا يخفى على ادنى متأمل) اى من افراد الموحدين (فكيف بمن) وفى نسخة صحيحة بمن (رجح) بفتح الجيم المخففة اى غلب (حلمه) اى تأنيه وتثبته فى امر الدين او عقله (واتسع فى باب البيان) اى بيان المرام

(ومعرفة فصيح الكلام عليه) بقوة فطرة وقدرة فطنة (ووجه ثالث) فى توهين هذه القصة (انه) اى الشأن (قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين) وفى نسخة ومعاندة وفى اخرى ومعاداة المشركين (وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم) بالرفع نائب فاعل علم اى تنفر المذكورين (لاول وهلة) اى فى اول ساعة فى دعوى النبوة (وتخليط العدو) اى وعلم انقلابهم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاقل فتنة) اى لادنى ما يؤدى الى فساد ومحنة (وتعييرهم) اى وعلم تعييبهم (المسلمين) بمشاركة المشركين (والشماتة بهم) اى وعلم شماتة الكافرين بالمؤمنين (الفينة بعد الفينة) بالفاء والنون المفتوحتين بينهما تحتية ساكنة اى الحين بعد الحين والساعة بعد الساعة ويقال بال وبدونها وضبط الحلبى الشمات بضم الشين المعجمة وتشديد الميم وهو جمع شامت جمع تكسير واما الشمات بكسر الشين وتخفيف الميم الخائنون بلا واحد قال فى القاموس وهو من الشماتة التى هى الفرح ببلية العدو وفى نسخة الشمات بفتح الشين وتخفيف الميم وهو جنس الشماتة (وارتداد من فى قلبه مرض) اى وعرف هذا ايضا (ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة) علة للردة (ولم يحك احد فى هذه القصة شيئا) اى للطعن والمذمة مع العلل المتقدمة (سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل) المخالفة للنقل والعقل (ولو كان ذلك) اى صحيحا فيما ذكرنا لك (لوجدت قريش) اى كفارهم (بها) اى بهذه القصة (على المسلمين الصولة) اى الاستطالة والغلبة (ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة) اى فى ان هذه غير الطريقة المحجة كيف وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين (كما فعلوا) اى انكروا كفار قريش (مكابرة) اى معاندة (فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك) اى فى اظهار ما ذكر فيها (لبعض الضعفاء ردة) اى سبب ارتداد وفتنة مع انه لم يكن فيه ما يوجب كفرا وانما كان يتوهم منه ان يكون كذبا لوقوعه عجيبا وهو مقتضى خوارق العادات مطلقا (وكذلك ما روى) يروى ما ورد (فى قصة القضية) اى فى امر قضية الحديبية وذلك انه عليه الصلاة والسلام رأى رؤيا عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس اى امتحانا لشأنهم واختبارا فى ضعف ايمانهم حيث قال بعض المنافقين والله ما رأينا المسجد الحرام وقوة ايمان الصحابة برهانهم حيث قال الصديق ما اخبرنا انا ندخلها هذه السنة وانا سندخلها ان شاء الله من غير شك وشبهة (ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت) اى لو صحت هذه القضية (ولا تشغيب) بالشين والغين المعجمتين اى لا تهييج للشر والفتنة والفساد (للمعادى) اى للعدو من اهل العناد (حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت) اى وقوعها فى الجملة (فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم) وروى عن متكلم وهو اولى (بسببها بنت شفة) اى لفظة تخرج من الشفة (فدل على بطلها) بضم اوله مصدر اى على بطلان هذه الرواية (واجتثاث اصلها) اى استئصال نقلها لمخالفة الدراية (ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين) بفتح الفاء المشددة اى الغافلين عن الدراية فى الرواية (ليلبس به على ضعفاء المسلمين) اى ما يوجب الفتنة وقد قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سيكون فى آخر الزمان ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم وعنه عليه الصلاة والسلام يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث ما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم (ووجه رابع) اى فى توهين هذه القصة (ذكر الرواة هذه القصة) وفى نسخة لهذه القضية اى الواقعة فى سورة النجم (ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك) اى ليضلونك (الآيتين) اى عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك الآيتين (وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رووه) اى تنافيانه وتعارضانه (لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه) اى قاربوا (حتى يفترى) اى فلم يقع شئ (وانه) اى الله سبحانه وتعالى (لولا ان ثبته لكاد) ويروى لقد كاد (ان يركن اليهم) اى وقد ثبته فلم يقرب ان يميل اليهم ادنى ميل فلم يتحقق شئ (فمضمون هذا) اى ما ذكر من الآيتين (ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن) يروى حتى لم يكن يركن (اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون) الواو للحال اى وهم راوون (فى اخبارهم الواهية) اى الضعيفة المنكرة (انه زاد على الركون) اى الميل اليهم (والافتراء) اى على الله تعالى بتبديل الوعد والوعيد عليهم (بمدح آلهتهم وانه) ويروون انه (قال عليه الصلاة والسلام) حين قال له جبريل ما جئتك بهذا (افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل) اى اعترافا بذنبه وتصديقا لكلام ربه (وهذا) الذى ذكروه من الرواية (ضد مفهوم الآية) اى من عدم ركونه اليهم بحسب الدراية (وهى) اى

الاية بصريح مفهومها (تضعف الحديث) وتدفعه (لو صح) لان دلالة القرآن قطعية ورواية الحديث ظنية (فكيف ولا صحة له) اى لا اصل لهذه القضية (وهذا) اى مفهوم هذه الآية (مثل قوله تعالى فى الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته) اى بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من المنافقين (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بين الخلق (وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شئ) لان وبال ضلالهم راجع اليهم وضرر شرهم عائد عليهم (وقد روى عن ابن عباس) كما رواه ابن ابى حاتم وغيره (كل ما فى القرآن كاد) اى بمعنى قارب (فهو ما لا يكون) يروى ما لم يكن اى اذا كان الكلام موجبا لان نفس المقاربة تدل على عدم الموافقة ففى القاموس كاد يفعل قارب ولم يفعل مجردة تنبئ عن نفى الفعل ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوعه (قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب) اى بها ويروى لم يذهبها وكذا قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم ولم يخطفها (وقال) اى الله سبحانه (اكاد اخفيها ولم يفعل) وفيه بحث اذ ما اظهرها الله لاحد كما يدل عليه سائر الآيات نحو ان الله عنده علم الساعة وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو نعم قيل فى الآية اكاد اخفيها عن نفسى فيصح قوله ولم يفعل لانه لم يتصور وانما ذكره للمبالغة فتدبر او يقال اكاد اخفى مجيئها فلا اقول هى آتية للمبالغة فى ارادة اخفائها فيصح قوله ولم يفعل حينئذ ايضا وقد يقال اخفيها بمعنى اظهرها لانه من الاضداد والله سبحانه وتعالى اعلم بما اراد هذا وقال فى القاموس وقد يكون كاد بمعنى اراد ومنه قوله اكاد اخفيها اى اريد اخفاءها عن غيرى (وقال القشيرى القاضى) مر ذكره (ولقد طالبته) يروى ولقد طالبه (قريش) اى كفارهم (وثقيف) اى قبيلتهم من اهل الطائف (اذ مر بآلهتهم) اى معرضا عنها غير مقبل عليها (ان يقبل بوجهه اليها) ويلتفت ببصره اليها (ووعدوه الايمان به) اى والحال انهم وعدوه الايمان به بسبب اقباله (ان فعل فما فعل) اى الاقبال الصورى فى الحال الضرورى (وما كان) وفى نسخة ولا كان اى ما صح منه (ليفعل) اى الاقبال المذكور وما كان الله بحسب تقديره ان يفعل بنبيه الرفيع هذا الفعل الشنيع نقلا وعقلا فى تصويره فكيف يتصور مدحها فى صلاة او غيرها وادراجها فى سورة وآيها (وقال ابن الانبارى) وهو الامام الحافظ ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوى كان من اعلم الناس بالادب والنحو ولد سنة احدى وسبعين ومائتين روى عنه الدارقطنى وابن حيوة والبزار وغيرهم كان صدوقا دينا من اهل السنة صنف التصانيف الكثيرة وصنف فى القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء روى عنه انه قال احفظ ثلاثة عشر صندوقا وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا باسانيدها وقيل انه يحفظ ثلاثمائة الف شاهد فى القرآن وقد املى كتاب غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة وكتاب شرح الكافى وهو نحو الف ورقة وكتاب الاضداد وهو كبير جدا وكتاب الجاهليات فى سبعمائة ورقة وكان رأسا فى نحو الكوفيين توفى ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (ما قارب الرسول) اى الركون الى الكفرة (ولا ركن) اى ولا مال اليهم فيما قصدوه لثبوت تثبيت الله تعالى اياه المفهوم من لولا الامتناعية فى الآية (وقد ذكرت) بصيغة المجهول (فى معنى الآية) اى آية وان كادوا ليفتنونك (تفاسير اخر) اى ضعيفة سخيفة (ما ذكرنا من نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد سفسافها) اى رديئها واصله ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا اثير (فلم يبق فى الآية) اى فى معناها (الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما) وفى نسخة بما (كاده به الكفار) اى مكروا (وراموا من فتنته) اى وقصدوا بعض محنته وبليته ليفترى على ربه ما يخالف مقتضى نبوته ورسالته (ومرادنا من ذلك) اى ما ذكرناه كله (تنزيهه) اى براءة ساحته (وعصمته) اى حمايته بما يجب من الرعاية (وهو مفهوم الآية) عند ارباب العناية واصحاب الهداية (واما المأخذ الثانى) اى فى الكلام على مشكل هذا الحديث (فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح) اى اسناده (وقد اعاذنا الله تعالى) اى اجارنا (من صحته) اى تصحيحه (ولكن على كل حال) وفى نسخة ولكن على ذلك من حال (فقد اجاب عن ذلك) اى عما نسب اليه من مدح الآلهة ويروى على ذلك (ائمة المسلمين باجوبة منها الغث) بفتح معجمة وتشديد مثلثة اى الضعيف مما لا يجدى نفعا (والسمين) اى القوى الذى يدفع الشبهة دفعا (فمنها) اى من الاجوبة (ما روى قتادة ومقاتل) قال الحلبى مقاتل اثنان مفسران لكل منهما تفسير وينقل عنهما فاما الاول فهو مقاتل بن حيان البلخى الخراسانى الخراز احد الاعلام روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبى وخلق وعنه ابن المبارك وآخرون عابد كبير القدر صاحب سنة وصدوق وثقه ابن معين وابو داود وغيرهما وقال النسائى ليس به بأس وروى ابو الفتح اليعمرى عن وكيع انه قال ينسب الى الكذب قال الذهبى واحسبه التبس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان فان ابن حيان صدوق قوى الحديث والذى كذبه

وكيع فابن سليمان مات قبل الخمسين ومائة اخرج له مسلم والاربعة واما ابن سليمان فروى عن مجاهد والضحاك قال
ابن المبارك ما احسن تفسيره لو كان ثقة وقال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرءان الذى يوافق
كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب فى الحديث توفى مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة انتهى ولا يدرى
من اراد القاضى منهما والحاصل ان قتادة ومقاتل رويا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة) بكسرة
ففتحة اى نوم وغفلة (عند قرآءته هذه السورة) اى النجم (فجرى هذا الكلام) اى مدح الالهة (على لسانه بحكم
النوم) اى غلبته عليه (وهذا لا يصح) اى اصلا لا فى النوم ولا فى اليقظة (اذ لا يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
مثله) اى مثل ما نسب اليه (فى حالة من احواله) اذ ثبت انه ينام عيناه ولا ينام قلبه وايضا فان كل اناء يترشح بما فيه
فمثل هذا لا يتصور من النبى النبيه (ولا يخلقه الله تعالى على لسانه) ما لا يناسب عظمة شانه (ولا يستولى
الشيطان عليه فى نوم) ولذا لم يكن يحتلم (ولا يقظة) بالاولى (لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الباب) اى
باب الكفر والمعصية ولو صورة وقال الانطاكى يريد فيما كان طريقه البلاغ عن الله تعالى (من جميع العمد
والسهو) اجماعا (وفى قول الكلبى) وهو محمد بن السائب مات سنة ست واربعين ومائة وسبق ذكره قريبا (ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه) اى خطر فى خاطره (فقال ذلك الشيطان) اى الملقى فى نفسه (على لسانه)
اى سهوا قال الدلجى وهو باطل اذ لم يجعل الله للشيطان عليه كغيره من الانبياء سبيلا واقول لا يبعد ان يكون
مراد الكلبى ان الشيطان قال ذلك على لسانه وفق صوته وحكاية بيانه (وفى رواية ابن شهاب) اى الامام الزهرى
(عن ابى بكر بن عبد الرحمن) اى ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخذومى احد الفقهاء السبعة على قول يروى عن ابى
هريرة رضى الله عنه وعائشة ولد زمن عمر وكف بصره باخره ويسمى الراهب اخرج له الائمة الستة توفى سنة اربع
وتسعين (قال وسها) اى النبى عليه الصلاة والسلام فيما جرى على لسانه او سها عن بيان حاله والقاء الشيطان
فى مقاله ويؤيده ظاهر قوله (فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان) اى من القائه وكان المصنف ذهب الى ان
المعنى من وسوسته ولذا قال (وكل هذا) اى جميع ما ذكرناه اى بحسب ظاهره (لا يصح ان يقوله عليه الصلاة والسلام
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه) اى حقيقة (وقيل لعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء
تلاوته على تقدير التقرير) اى التسليم فى صحته او على تقدير استفهام الانكار المقصود منه حمل المخاطب على الاقرار
بان الذى يضر وينفع انما هو الاله الواحد القهار (والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربى)
اى أهذا الحقير او المخلوق مثل ربى (على احد التأويلات) فى تلك الحالات (وكقوله بل فعله كبيرهم هذا) اى على
وجه التورية التى هى من معاريض الكلام ففيها غنية عن الكذب فى المرام (بعد السكت) وهو وقفة لطيفة على فعله
كما اختاره بعض ارباب الوقوف (وبيان الفصل بين الكلامين) اى السابق واللاحق وفى رواية بين الكلمتين
اشارة الى ان التقدير بل فعله فاعله مطلقا او فاعله الذى تعرفونه ثم قال مبتدئا كبيرهم هذا وجعل الدلجى هذا من
المتن وقال ما عزى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد السكت اى بينه وبين ما تلاه قبله وبيان الفصل بين الكلامين
اى كلام الله تعالى وما عزى اليه ويؤيده قوله (ثم رجع الى تلاوته) اى بقية السورة (وهذا) التأويل (ممكن مع بيان
الفصل) بين الكلامين (وقرينة) اى ومع قرينة (تدل على المراد) اى من انه انما قاله توبيخا وتقبيحا لقوامهم
وتقريعا وتسفيها لعقولهم (وانه ليس من المتلو) اى من القرءان (وهذا) اى التأويل وفى نسخة صحيحة وهو (احد
ما ذكره القاضى ابو بكر) اى الباقلانى او ابن العربى المالكيان (ولا يعترض على هذا بما روى انه كان فى الصلاة)
اى والكلام مبطل فيها (فقد كان الكلام قبل) اى قبل النهى عنه (فيها غير ممنوع) منه كما قرر فى حديث ذى اليدين
حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اى ساكتين (والذى يظهر ويترجح فى تأويله) اى فى تأويل ما عزى اليه صلى الله
تعالى عليه وسلم (عنده) اى عند القاضى ابى بكر (وعند غيره من المحققين) اى من سائر العلماء المجتهدين المدققين (على
تسليمه) اى فرض وقوعه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه) اى بقوله ورتل القرءان ترتيلا (يرتل
القرءان ترتيلا) اى يقرأه مترسلا (ويفصل الآى تفصيلا) اى ويبينها تبيينا مبينا (فى قرآءته) اى من كمال تؤدته
(كما رواه الثقات عنه) يروى كما قال الثقات فعن عائشة وقد سئلت عن قرآءته لو اراد سامعها ان يعد حروفها لعدها
(فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات) اى خلال تلاوة الآيات (ودسه) اى ادخاله على وجه الخفاء (فيها) اى
فى السكتات او فى اثناء القرآءات (ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم) اى صوته
ولهجته (بحيث يسمعه) من السماع او الاسماع (من دنا اليه) اى قرب منه (من الكفار) اى دون الابرار (فظنوها
من قول النبى صلى الله عليه وسلم واشاعوها) اى افشوها بينهم (ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة) باللام

والباء اى بسبب حفظهم سورة النجم (قبل ذلك) اى قبل دس الشيطان ما هنالك (على ما انزلها الله وتحققهم من
حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذم الاوثان وعيبها) اى وعيبه اياها (على ما عرف منه) ولا يخفى ان ما بين
السكتات لا يتصور فيه جميع تلك الكلمات المختلقة ويبعد كون كل كلمة فى حال سكتة فالظاهر انه بعد قرآءته عليه الصلاة
والسلام ومذمته الاصنام بقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقع له عليه الصلاة والسلام سكتة
طويلة لعارض من نحو شغله او فكره فانتهز الشيطان الفرصة والقى تلك الجملة وسمعها الكفار دون الابرار
وهذا ليس كما توهم الدلجى ورد قول المحققين بان هذا قول غير مرضى لايذانه بان الشيطان كان له عليه سبيل بتمكنه
من دسه خلال تلاوته كلام ربه انتهى هذا ولا يخفى ان شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلانى فى شرحه للبخارى
اطال فى ثبوت هذه القصة وان لها طرقا صحيحة وطرقا اخر كثيرة صريحة تدل على اصل القضية فلابد من تأويلها
وهذا احسن ما قيل فى التأويل ان الشيطان القى ذلك فى سكتة من سكتاته ولم يتفطن له عليه الصلاة والسلام وسمعه
غيره فاشاعه بين الانام واما ما ذكره البغوى من ان الاكثرين على انها جرت على لسانه سهوا ونبه عليه وقرره الشيخ
ابو الحسن البكرى على ما نقله عنه شيخنا عطية السلمى انه لا يقدح ذلك فى العصمة لكونه من غير قصد كحركة
المرتعش فقد رده صاحب المدارك من أئمتنا فى تفسيره حيث قال اجرآء الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى
عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره ففى حقه اولى
والقول بانه جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه حال تبليغ الوحى ولو جاز
ابطل الاعتماد على قوله ثم اختار ما اختاره العسقلانى قال وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم
(وقد حكى موسى بن عقبة) اى ابن ابى عياش (فى مغازيه نحو هذا) اى نحو ما ذكر عن المحققين قال الحلبى هو مولى
آل الزبير ويقال مولى ام خالد زوج الزبير روى عنها وعن علقمة بن وقاص وعروة وخلق وعنه مالك والسفيانان
وجماعة ثبت ثقة اخرج له الائمة الستة ومغازيه اصح المغازى كما قاله الامام مالك بن انس وهى مجلدة لطيفة وله اولاد
فقهاء محدثون ووقع فى بعض النسخ محمد بن عقبة والاول هو الصواب (وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى
الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم) اى صدور الشاكين (ويكون ما روى) اى فيما مر (من حزن النبى صلى
الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى) فى هذه تسلية (وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الآية) اى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته اى فى اثناء قرآءته ما ليس من تلاوته (فمعنى تمنى تلا)
اى قرأ والامنية معناها التلاوة (قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى) وهى جمع امنية (اى تلاوة) اى مجرد
قرآءة خالية عن دراية (وقوله) اى فى بقية الآية (فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه) اى يفنيه ويعدم اعتباره
(ويزيل اللبس به) بفتح اللام اى خلط الحق بالباطل بسببه (ويحكم آياته) فى التنزيل ثم يحكم الله آياته اى يثبتها ويبقيها
(وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو) اى الناشئ من النسيان (اذا قرأ فينتبه)
من الانتباه او التنبه اى فيتفطن (لذلك) ويتذكر ما هنالك (ويرجع عنه وهذا) التأويل (نحو قول الكلبى فى الآية
انه حدث نفسه قال اذا تمنى اى حدث نفسه) يعنى على طريق السهو (وفى رواية ابى بكر بن عبد الرحمن نحوه) وهذا
السهو بطريق النسيان الغالب على الانسان اجمعوا على جوازه منه عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله (وهذا السهو فى القرآءة انما يصح) اى صدوره عنه عليه الصلاة والسلام (فيما ليس طريقه
تغيير المعانى وتبديل الالفاظ) اى المبانى (وزيادة ما ليس من القرءان) اى فى وجوه السبع المثانى (بل السهو عن
اسقاط آية منه او كلمة) او انتقال من كلمة او آية الى اخرى لا يترتب عليه فساد المعنى (ولكنه) اى مع هذا (لا يقر) بصيغة
المجهول وتشديد الراء اى لا يترك (على هذا السهو بل ينبه عليه) من التنبيه من باب التفعيل بصيغة المجهول وكذا
قوله (ويذكر به) اى بما وقع له لينتهى عنه (للحين) اى فى وقته (على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه من السهو
وما لا يجوز) اى عليه من السهو (ومما يظهر فى تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى) بضم
المهملة (فان سلمنا القصة) اى صحتها (قلنا لا يبعد ان هذا) اى ما وقع فيها (كان قرءانا) اى ثم نسخ تلاوته (والمراد
بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية) اى رواية مجاهد الغرانقة العلى ولا يظهر وجه
تخصيص هذا التأويل بهذه الرواية اذ يصح على ما تقدم من الروايات ايضا كما لا يخفى على ارباب الدراية (وبهذا فسر
الكلبى الغرانقة العلى) اى فى روايته ولا يلزم منه انه لا يجوز هذا التفسير لرواية غيره (انها الملائكة وذلك) اى الباعث له
على تفسيرها بما هنالك (ان الكفار) اى من قريش وغيرهم (كانوا يعتقدون الاوثان) وفى نسخة ان الاوثان

(والملائكة بنات الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم) اى بقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية وذمهم بقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وبقوله أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون (ورد عليهم فى هذه السورة) وهى النجم (بقوله ألكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا) اى الذى ذكره (من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح) وهذا التأويل وامثاله يتعين لئلا يلزم كفر صريح وبه يندفع قول الدلجى وهذا التأويل وان كان صحيحا فى نفسه تجابن للمقام يأبى عن سياق الكلام قلت ويمكن تأويل سائر الروايات على وجه يحصل به الالتئام على ان التأويل من شأنه ان يكون خلاف ظاهر المرام وانما يحتاج اليه للتخلص عما يرد فى الكلام من الملام (فلما تأوله المشركون على) حسب غرضهم من فساد عقيدتهم (ان المراد بهذا) وفى نسخة بذلك (الذكر الهتهم) اى مدح آلهتهم ورجاء شفاعتهم (ولبس) من التلبيس (عليهم الشيطان) اى ابليس (ذلك) اى ماتوهموه (وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم) ان المراد به مافهموه مما سمعوه (نسخ الله تعالى ما القى) ويروى مايلقى (الشيطان) اى ازال ما كان موجبا لالقائه وباعثا لاغوائه (واحكم آياته) اى اثبت بقية آياته (ورفع تلاوة تلك اللفظتين) اى احداهما وفى نسخة صحيحة تينك اللفظتين (اللتين وجد الشيطان بهما) اى بسبب مايتوهم من ظاهرهما (سبيلا) ويروى سببا (للتلبيس) وفى نسخة للالباس اى للشبهة المفتنة للناس والاشتباه والالتباس (كما نسخ كثير من القرآن) اى دراسته (ورفعت تلاوته) اى مع حكمه اوبدونه منها آية الرجم ومنها على ماورد لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب (وكان فى ازال الله تعالى لذلك حكمة) وفى نسخة حكم اى له سبحانه وتعالى ايضا (ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء) كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا (ومايضل به الا الفاسقين) اى الخارجين عن طريق وفاقه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (وليجعل) اى ليصير الله تعالى (مايلقى الشيطان) اى مما يلبس به (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) اى دآء شك من المنافقين (والقاسية قلوبهم) من المشركين المعاندين (وان الظالمين) من الجنسين (لفى شقاق بعيد) خلاف بعيد عن طريق سديد (وليعلم الذين اوتوا العلم) اى من المؤمنين (انه) اى مانزله ثم نسخه (الحق من ربك فيؤمنوا به) اى زيادة على ايمانهم (فتخبت له قلوبهم) اى تطمئن زيادة على ايقانهم (الاية) اى وان الله لهادى الذين آمنوا بالدين القويم الى صراط مستقيم (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة) اى النجم (وبلغ ذكر اللات) بالنصب على الحكاية وبالجر على الاعراب (والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بشئ من ذمها) اى زيادة على عيبها (فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين) وفيه ماسبق ان الصواب كما فى نسخة بتينك الكلمتين (ليخلطوا) اى ليرموا (به) بالتخليط (فى تلاوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا) بتشديد الغين المعجمة اى يثيروا الشر ويهيجوا الفتنة وفى نسخة يشنعوا من التشنيع اى ليعيبوا او يعيروا (عليه على عادتهم وقولهم) اى وعلى منهج مقالتهم (لا تسمعوا لهذا القرآن) اى مهما قدرتم (والغوا فيه) اى تشاغلوا عند قرآءته برفع اصواتكم اذا عجزتم (لعلكم تغلبون) عليه فى قرآءته (ونسب هذا الفعل) يعنى الالقاء (الى الشيطان) مع انه فعلهم (لحمله لهم عليه) لانه السبب الداعى اليه (واشاعوا ذلك) اى ماسبقوا به الى مدحها افترآء منهم (واذاعوه) اى افشوه فيما بينهم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اى هو الذى قاله افترآء منهم فى نسبته اليه (فحزن لذلك من كذبهم وافترآئهم عليه فسلاه الله تعالى) عن حزنه (بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية) ايماء الى ان هذا من سنة الله التى قد خلت فى عباده واشعارا بان الكفرة من شياطين الانس وانهم من اتباع شياطين الجن (وبين) اى ميز الله تعالى (للناس الحق المنزل (من ذلك) اى مما ذكره (من الباطل) الملقى (وحفظ القرآن) اى جميع كلماته (واحكم آياته ودفع مالبس) بتشديد الموحدة (به العدو) من الاباطيل (كما ضمنه الله تعالى) اى تكفله وتضمن حفظه المفهوم (من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره بل تولاه بنفسه بخلاف الكتب الالهية قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيها وحرفوها وبدلوها وهذا لاينافى ان حفظ القرءان بحسب مبناه ومعناه فرض كفاية لان المعنى انه تعالى تكفل حفظ القرءان بهم وانه لم يكلهم فى مراعاته الى انفسهم بل يكون دائما فى عون حملتهم (ومن ذلك) اى من سؤالات بعض الطاعنين فى مراتب النبيين (ماروى من قصة يونس) وفى نسخة فى قصة يونس (عليه السلام انه وعد قومه العذاب من ربه) اى وخرج من عند قومه (فلما تابوا) اى بعد خروجه وظهور مقدمة وعيده (كشف عنهم العذاب) قيل يوم جمعة فى عاشورآء (فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا) اى ولو بحسب الصورة استحياء من قومه (فذهب مغاضبا) اى على هيئة

الغضبان على قومه او على قوله وكان عليه اولا ان يصابرهم منتظرا من ربه الاذن له فى خروجه وثانيا ان يرجع اليهم حيث تاب الله تعالى عليهم (فاعلم اكرمك الله تعالى) بالعقيدة الثابتة (انه) اى الشان وفى نسخة ان (ليس فى خبر من الاخبار الواردة فى هذا الباب) لا فى السنة ولا فى الكتاب (ان يونس قال لهم انه) اى الله سبحانه وتعالى (مهلكهم) وفى نسخة مهلككم وفى اخرى مهلككم وعلى التسليم فيكون مقيدا بما ان ثبتوا على كفرهم فلا يستقيم ان يقول لا ارجع اليهم كذابا ابدا الا بظاهره (وانما فيه) اى وانما الوارد فى حقه من الاخبار (انه دعا عليهم بالهلاك) اى ان اصروا على الاشراك (والدعاء) انما هو انشاء بطلب (ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه) اى يونس (قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا) فيه ان هذا اخبار لا انشاء (فكان ذلك) اى مجيئه لهم فيا هنالك وفى نسخة كذلك اى كما قال فلا يكون كذابا ابدا غايته انه لما غامت السماء غيما شديد السواد بدخان شديد سطوح يوشهم لبسوا المسوح وعجوا فى السوح مظهرين الايمان والتوبة النصوح (ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم) برحمته المخصوصة بهم فى هذا الباب (قال الله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) استثناء منقطع من القرى اذ المراد اهلها اى لكن قومه او متصل من ضمير آمنت والجملة فى معنى النفى اى ما آمنت قرية من القرى المحكوم على اهلها بالهلاك الا قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الاية) اى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين (وروى فى الاخبار) اى فى بعض الآثار (انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله) اى مظانه جمع مخيلة اى مظنة او سحابة فيها عقوبة وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام اذا رأى مخيلة اقبل وادبر وفى رواية اذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه خشية ان يكون عذابا ارسل كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سرى عنه (قاله ابن مسعود) كما رواه ابن مردويه عنه مرفوعا وابن ابى حاتم موقوفا (وقال سعيد بن جبير غشاهم) اى غطاهم الله تعالى (العذاب كما يغشى الثوب القبر) وفى نسخة كما يغشى السحاب القمر (فان قلت فما معنى ماروى) عند ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس من (ان عبد الله ابن ابى سرح) بفتح السين المهملة وسكون الراء وفى آخره مهملة اسلم قبل الفتح وهاجر وكتب الوحى ثم ارتد ثم اسلم ومات ساجدا لله (كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا) ويروى ارتد كافرا (وصار) وفى نسخة وصار اى رجع (الى قريش) اى بمكة (فقال لهم انى كنت اصرف محمدا) اى اغيره (حيث اريد) اى من تغيير كلامه وتغيير مرامه (كان يملى على عزيز حكيم فاقول) اى استفهاما (أو عليم حكيم) وفى نسخة فاقول او عليم حكيم (فيقول نعم كل صواب) اى فى نفس الامر اذ نزل عليه بهذا كذا فيكون من السبعة الاحرف التى نسخ من كل باب (وفى حديث آخر) كما رواه ابن جرير عن السدى (فيقول له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا) كناية عما كان يأمره بكتابته فى املاء نظرته (فيقول) اى ابن ابى سرح (اكتب كذا) بالف استفهام ملفوظة او محذوفة واغرب الدلجى فى تقديره انما اكتب كذا (فيقول) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت) وهذا على اطلاقه غير صحيح فقد روى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم بدل عزيز حكيم ولم يكن قارئا فانكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغرآء عليه بالعدول (وفى الصحيح) اى فى البخارى من طريق عبد العزيز وفى مسلم من طريق ثابت كلاهما (عن انس رضى الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماأوحى اليه (بعد ما اسلم) وقرأ البقرة وآل عمران (ثم ارتد كافرا فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فاعجبوا به فما لبث ان قصم الله عنقه فيهم الحديث (وكان يقول مايدرى محمد ما كتبت) اى له كما فى نسخة والمعنى مايشعر بكتابتى فيما غيرت سهوا او قصدا وفى نسخة مايدرى محمد الا ما كتبت له (فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق) اى البين دليلا (ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق) اى تخليطه (بالباطل الباطل الباطل ابتداء بيلاان مثل هذه الحكاية) ولو على طريق الرواية (اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا) اى شكا وشبهة (اذ هى حكاية عن من ارتد وكفر بالله) وفى حال كفره رواه (ونحن) اى معاشر المحدثين من علماء المسلمين (لا نقبل رواية المسلم المتهم) اى فى عدالته بالكذب والمعصية (فكيف بكافر) اى مستحق العقوبة (افترى هو ومثله) من الكفرة والفجرة (على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا) الافترآء المروى عنهما فلا عبرة بهما (والعجب لسليم العقل) وفى نسخة لسليم القلب (يشغل بمثل هذه الحكاية سره) اى الا بارادة انه يدفع شره (وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين) اسم فاعل من ابغض ضد احب وروى منغص من التنغيص وهو التكدير وروى بالقاف من النقص (مفتر على الله ورسوله ولم ترد) اى هذه الحكاية (عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد) لا برؤية ولا بسماع قضية (ما قاله وافتراه على نبى الله وانما) كان حقه ان يقول وقد قال تعالى انما (يفترى الكذب الذين

لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون) فيه اقتباس من القرآن الكريم اشعارا بانه نزل ردا لقولهم انما يعلمه بشر وانه على الله مفتر (وما وقع من ذكرها فى حديث انس) ولو فى الصحيح (وظاهر حكايتها) ولو بالتصريح (فليس فيه ما يدل على انه) اى انسا (شاهده) اى الحاكى حال اسلامه وفى نسخة شاهدها اى الحكاية او القضية (ولعله حكى ما سمع) اى من غيره وهكذا بغير انتهاء امره الى تحقق سنده (وقد علل البزار حديثه ذلك) اى لذلك اولعلة خفية قادحة فى اسناد ذكرها لك (وقال) اى البزار (رواه ثابت) وفى نسخة عنه اى عن انس (ولم يتابع عليه) بصيغة المجهول (ورواه حميد) اى الطويل لطول كان فى يده مات وهو قائم يصلى وثقوه على انه كان يدلس (عن انس رضى الله تعالى عنه قال) اى البزار (واظن حميدا انه سمعه من ثابت) اى فدلس وروى عن انس (قال القاضى الامام) الظاهر انه المصنف ويؤيده انه فى نسخة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله (ولهذا والله تعالى اعلم لم يخرج اهل الصحيح) وفى نسخة اهل الصحة (حديث ثابت ولا حميد) فيه بحث اذ سبق ان حديثهما فى الصحيحين وكانه اراد غير هذا الحديث المتنازع فيه (والصحيح حديث عبد الله بن عزيز بن رفيع) وهو تابعى جليل ثقة روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه شعبة وابو بكر بن عياش توفى سنة ثلاث ومائة واخرج له الائمة الستة (عن انس الذى خرجه اهل الصحة) اى كلهم (وذكرناه) اى سابقا (وليس فيه عن انس قول شئ من ذلك) اى مما حكى (من قبل نفسه فى جميع الروايات الا من حكايته عن المرتد النصرانى) على ما تقدم والله تعالى اعلم (ولو) وفى نسخة فلو (كانت) اى تلك الرواية او الحكاية (صحيحة) اى فرضا وتقديرا (لما كان فيها) اى فى مضمونها (قدح) اى طعن (ولا توهيم) اى نسبة الى وهم وفى نسخة ولا توهين اى نسبة الى وهن وضعف فى ضبط (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى اليه) اى من عند ربه (ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف) اى الزيغ والميل (فيما بلغه) اى اوصله من الحق الى الخلق (ولا طعن فى نظم القرآن) اى لا من جهة مبانيه ولا من طريق معانيه (وانه من عند الله تعالى) اى العزيز الحميد (اذ ليس فيه) اى فيما قاله الكاتب (لو صح) اى قوله (اكثر من ان الكاتب قال له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (عليم حكيم او كتبه) اى قبل ان يتم النبى عليه الصلاة والسلام كلامه وفى نسخة اذا كتبه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو) اى مثل ما قلته او كتبته (فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها) اى لتلك الكلمة (اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها) او يشير اليها (ويقتضى وقوعها) اى فى محلها اللائق بها (بقوة قدرة الكاتب على الكلام) حيث كان من فصحاء الانام (ومعرفته به) اى بالكلام نظما ونثرا فى ترتيب المرام (وجودة حسه) اى ادراكه ودرايته (وفطنته) اى سرعة فهمه عند سماع روايته ونظير ذلك ما وقع لعمر رضى الله تعالى عنه فى موافقته حيث روى انه لما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر قال عمر رضى الله تعالى عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال له النبى عليه الصلاة والسلام كذلك انزلت (كما يتفق ذلك للعارف) باساليب الكلام (اذا سمع البيت) من الشعر (ان يسبق) فهمه لقوته (الى قافيته) قبل التمام (او مبتدأ الكلام) اى او اذا سمع ابتداء الكلام (الحسن) فى النثر فانه يسبق طبعه (الى ما يتم به) اى قبل تمام المرام كما فى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (ولا يتفق ذلك) التوافق (فى جملة الكلام) اى مما لا تدل فاتحته على خاتمته (كما لا يتفق ذلك فى آية) اى كاملة (ولا سورة) اى شاملة (وكذلك) اى يأول (قوله عليه الصلاة والسلام) لعبد الله بن ابى سرح (كل صواب) اى كل ما قلته او كتبته (ان صح) سنده يروى ان صحت اى اسانيده (فقد يكون هذا فيما) كان (فيه من مقاطع الآى) اى رؤسها ومواقفها ويروى الآيات (وجهان) اى جائزان فى صدر الاسلام (وقراءتان) اى متواتران (انزلتا جميعا على النبى صلى الله عليه وسلم) الا ان احداهما صارت شاذة (فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته) ببركة صحبته وانعكاس مرآته (ومعرفته بمقتضى الكلام) وما يتعلق بفصاحته وبلاغته (الى الاخرى) اى قبل ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لها كما فى نسخة (فذكرها) اى الكاتب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ذكره لها) كما قدمناه على ما يشير اليه قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور عند ظهور الايمان يهدى الله لنوره من يشاء كعمر ويضل من يشاء كابن ابى سرح ويضرب الله الامثال للناس ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور بل له نار فى غاية من ظهور والاه ورمخبوءة تحت حجب ظلال وستور (فصوبها) اى القراءة الاخرى (له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بحسب الموافقة (ثم احكم الله من ذلك) اى مما ذكر من عليم حكيم بدل غفور رحيم ونحوه مما تقدم هنالك (ما احكم) اى اثبته (ونسخ ما نسخ) اى ازاله لحكمة اقتضت هنالك كقوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وقوله وبلغوا عنا

انا لقينا ربنا فرضى عنا نزل فيمن قتل ببئر معونة من القرآن ثم نسخ (كما قد وجد ذلك) الاختلاف الآن ايضا (فى بعض مقاطع الآى مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز) اى القوى القادر على ثوابهم وعقابهم (الحكيم) فى ارادته من تعذيبه واثابته (وهذه قراءة الجمهور) وهم السبعة او العشرة (وقد قرأ جماعة) اى بطرق شاذة (فانك انت الغفور الرحيم وليست) اى هذه الجملة (فى المصحف) وفى نسخة من المصحف اى فهى متلوة لا مكتوبة ولذا صارت شاذة (وكذلك كلمات جاءت على وجهين فى غير المقاطع) بل فى اثناء الآى من المواضع (قرأ بهما معا) اى كليهما (الجمهور وثبتتا فى المصحف) اى فى مصحف الامام او جنس المصاحف العثمانية (مثل وانظر الى العظام) اى عظام الحمار (كيف ننشرها) بالراء وهى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو اى نحييها (وننشزها) بالزاى فى قراءة الباقين اى نحركها او نرفع بعضها الى بعض فى تركيبها (ويقض الحق) بضاد معجمة مكسورة فى قراءة ابى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وحذف ياؤه فى الرسم على خلاف القياس تنزيلا للوقف منزلة الوصل اى يقضى القضاء الحق (ويقص الحق) بضم صاد مهملة مشددة اى يتبعه ويحكيه ويأمر به (وكل هذا) اى ما ذكر من الخلاف فى القراءة او الرواية (لا يوجب ريبا) يورث شبهة (ولا يسبب) بتشديد الباء الاولى مكسورة اى لا يصير سببا وفى نسخة صحيحة لا ينسب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا) اى سهوا (ولا وهما) بفتح الهاء وسكونها اى توهما (وقد قيل ان هذا) اى قول ابن ابى سرح لقريش بعد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد (يحتمل ان يكون فيما يكتبه) اى فيما كان يكتبه مكاتيب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على لسانه (الى الناس) اى من الملوك وغيرهم (غير القرآن فيصف) اى ابن ابى سرح (الله) سبحانه وتعالى بصفات تليق به من سميع بصير وعليم خبير وعليم حكيم وغفور رحيم حسب ما يوافق سجع الكلام ووفق المرام (ويسميه فى ذلك الكتاب) اى المكتوب (كيف شاء) على نهج المطلوب ويروى بما شاء وكثيرا ما يقع مثل ذلك الاختلاف بين المملى والمملى عليه ثم يحصل الائتلاف

(فصل)

(هذا القول) اى الذى تقدم (فيما طريقه البلاغ) اى التبليغ فى باب الرسالة (واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار) التى لا مستند لها الى الاحكام) المتعلقة بالامور الدنيوية فى حسن المعاش وتحسين الزاد (ولا اخبار المعاد) بفتح الميم اى احاديث الاحوال الاخروية فى ابد الآباد (ولا تضاف الى وحى) اى الهى جلى او خفى (بل فى امور الدنيا) اى التى ليس لها تعلق بالاخرى (واحوال نفسه) اى من حكاية غده وامسه (فالذى يجب) اى اعتقاده كما فى نسخة (تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبرئته (عن ان يقع خبره) اى حديثه (فى شئ من ذلك) اى مما قدمناه هنالك (بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى بضد ما اخبر به (لا عمدا ولا سهوا) اى نسيانا (ولا غلطا) اى خطأ (وانه معصوم من ذلك) اى من جميع ما ذكر (فى حال رضاه وسخطه) بفتحتين وبضم فسكون اى كراهته وغضبه (وجده) بكسر الجيم وهو ضد الهزل (ومزحه) فانه كان يمزح ولا يقول الا حقا ومنه قوله لامرأة لا تدخل الجنة عجوز (وصحته ومرضه) اى سلامة قلبه وصحة لسانه (ودليل ذلك) اى ما ذكر (اتفاق السلف) اى من الصحابة والتابعين (واجماعهم عليه) اى على انه لا يصدر شئ منه بخلاف اخباره عنه (وذلك) اى بيانه (انا نعلم من دين الصحابة) اى دينهم (وعادتهم مبادرتهم) اى مسارعتهم (الى تصديق جميع احواله) اى افعاله واقواله (والثقة) اى الاعتماد (بجميع اخباره) اى احاديثه وآثاره (فى اى باب كانت) من اطواره (وعن اى شئ) وفى نسخة وفى اى شئ (وقعت) اى اخباره (وانه) اى الشأن وفى نسخة صحيحة وانهم (لم يكن لهم توقف) اى تلبث وتمكث (ولا تردد فى شئ منها) اى من صحة اقواله وافعاله وثبوت احواله (ولا استثبات) اى ولا طلب ثبات نشأ عن تردد بعد نقل ثقات (عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو اولا) لكمال متابعتهم فى اقواله وموافقتهم لافعاله حتى ورد انه عليه الصلاة والسلام لما خلع نعله فى الصلاة ورمى بها خلعوا نعالهم ورموا بها وكذلك فى طرح الخاتم تبعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما احتج ابن ابى الحقيق) بضم المهملة وفتح القاف الاولى وسكون التحتية (اليهودى) من يهود خيبر (على عمر) فيما رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر (حين اجلاهم) اى اخرجهم عمر (من خيبر) وهو وطنهم ويروى عن خيبر (باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق باحتج اى استدل اليهودى بتقريره عليه الصلاة والسلام (لهم فى ابقائهم فيها) (واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لابن ابى الحقيق (كيف بك اذا اخرجت من خيبر) بصيغة المجهول المخاطب (فقال اليهودى كانت) اى مقالته عليه الصلاة والسلام (هزيلة) تصغير هزلة وهى المرة من الهزل (من ابى القاسم) كنيته عليه الصلاة والسلام بابنه القاسم (فقال له عمر كذبت يا عدو الله) وانما كذبه لنسبته له عليه الصلاة والسلام لما لا يليق به من الهزل وللاشارة الى ان كلامه كله قول فصل وما هو بالهزل فانه كان

اخبار اعماسيقع من عزة الاسلام وقوة الاحكام فيكون معجزة جزيلة لاهزيلة رذيلة (وايضا فان اخباره وآثاره) اى من اقواله وافعاله (وسيره) اى سائر احواله (وشمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق اى الجبلة من صفات كماله ونعوت جماله (معتنى) اى مهتم (بها) وهو بصيغة المجهول وكذا (مستقصى) اى مستوفى (تفاصيلها ولم يرد) اى وما ورد (فى شئ منها) اى من اقواله وشمائل احواله (استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط فى قول قاله او اعترافه بوهم) اى بوقوع سهو (فى شئ اخبر به ولو كان ذلك) اى ماذكر من الغلط والوهم واقعا (لنقل) اى الينا (كما نقل) على ماروامسلم عن طلحة وانس ورافع بن خديج (من قصة رجوعه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة فى قصته عليه الصلاة والسلام ورجوعه (عن ماشار به على الانصار فى تلقيح النخل) اى تأبيرها وهو جعل شئ من النخل الذكر فى الانثى وذلك انه مر بهم وهم يلقحونها فسألهم عن ذلك فاخبروه فقال لعلكم لولم تفعلوا لكان خيرا فتركوافلم تثمر على العادة فقال لهم انتم اعلم بدنياكم وقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر (وكان ذلك) اى قوله عليه الصلاة والسلام للانصار (رأيا) اى من نفسه (لاخبرا) عن وحى من ربه ومن ثمة قال انتم اعلم بدنياكم وفيه تنبيه نبيه على انه لايشترط فى حق ارباب النبوة العصمة عن الخطأ فى الامور الدنيوية التى لاتعلق لها بالاحكام الدينية والاحوال الاخروية لتعلق هممهم العليا بعلوم العقبى وغيرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب) اى باب تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان يقع خبره خلاف مخبره فى فصل الخطاب (كقوله) فيما رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى قال ارسلنى اصحابى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسأله الحملان الى غزوة تبوك فقال والله وفى نسخة زيادة انى لا احملكم وما عندى ما احملكم عليه ثم اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بذود غر الذرى فاعطاناها فقال تغفلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمينه فرجع اليه فاخبره فقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم (والله لا احلف على يمين) اى على عقد وعزم ونية قال الانطاكى اى على شئ مما يحلف عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين (فارى غيرها) اى فعل غير المحلوف عليه يعنى فاعلم ان تركها (خيرا منها) اى من بقائها (الا فعلت الذى حلفت عليه) كتركه حملانهم (وكفرت عن يمينى وقوله) فيما رواه الشيخان عن ام سلمة (انكم تختصمون الى الحديث) تمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن اقتطعت له من حق اخيه شيأ فكانما اقتطع له قطعة من النار (وقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الائمة الستة عن الزبير من امره عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام ان يسقى نخله ولا يستوعب ثم يرسل الماء الى جاره من الانصار فقال الانصارى ان كان ابن عمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (اسق) بفتح الهمزة (يازبير) اى نخلتك او حديقتك (حتى يبلغ الماء الجدر) بفتح الجيم وكسرها وسكون الدال المهملة وبالراء لغة فى الجدار والمراد هنا اصل الحائط كما ذكره النووى وقيل اصول الشجر وقيل جدر المشارب التى يجتمع فيها الماء فى اصول الشجر وفى نسخة الجدر بضمتين وهو جمع الجدار فاستوعب له عليه الصلاة والسلام بعد ان امره ان يسقى بدون استيعاب رعاية لجاره (كما سنبين كل ما فى هذا) اى الذى ذكرناه (من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها) اى نظائرها مما وقع فى هذا الكتاب ويروى مع اشباههما (وايضا فان الكذب متى عرف) اى صدوره (من احد فى شئ من الاخبار) ولو جزئيا وهو بفتح الهمزة ويروى فى شئ والاخبار فهو بكسر الهمزة (بخلاف ماهو) متعلق بعرف حال من ضميره (على اى وجه كان) من المزاح ونحوه (استريب بخبره) بصيغة المجهول وكذا قوله (واتهم حديثه) وهو تفسير ماقبله قال ابو بكر لعمر رضى الله عنهما عليك بالرائب من الامور واياك والرائب منها اى الزم الصافى الخالص منها واترك المشتبه منها فالاول من راب اللبن يروب والثانى من رابه يريبه اى اوقعه فى الشك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام دع مايريبك الى مالا يريبك بضم الياء وفتحها (ولم يقع قوله فى النفوس موقعا) اى لم يؤثر فيها تأثيرا تقبله وتطمئن به (ولهذا) اى ولكون الكذب يورث الريبة فى الخبر والتهمة فى الاثر (ترك المحدثون) وفى نسخة ماترك المحدثون على ان ما موصولة وقال الدلجى ما مزيدة لتأكيد معنى الترك وهو غريب (والعلماء) اى المجتهدون فهو اعم مما قبله (الحديث) اى نقله (عمن عرف) اى شهر (بالوهم) بفتح الهاء اى الغلط وبسكونها اى السهو (والغفلة) اى الذهول وعدم اليقظة (وسوء الحفظ) بقلة الضبط (وكثرة الغلط) فى المتن والسند (مع ثقته) اى اعتماده فى ديانته وامانته فى روايته وقد حكى ان البخارى امتنع عن الرواية ممن اخذ بذيله تخديبا للدابة ان فى حجره شعيرا ونحوه (وايضا فان تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية) ويروى منقصة اى خصلة تورث المذمة عاجلا والعقوبة آجلا اذ هى الخروج عن الطاعة (والاكثار منه) اى من تعمد الكذب (كبيرة باجماع) اى من العلماء الاعلام كابى حنيفة ومالك وغيرهما من غير نزاع (مسقط للمروءة) ومخل بالعدالة (وكل هذا) اى ماذكر (مما ينزه عنه

منصب النبوة) بفتح الميم وكسر الصاد اى ساحة الرسالة (والمرة الواحدة) مبتدأ وصفة مؤكدة له (منه) اى من الكذب (فيما) ويروى عما (يستشنع) بصيغة المجهول من مادة الشناعة وهى القباحة وكذا قوله (ويستبشع) من البشاعة وهى الكراهة وفى نسخة ويشاع من الاشاعة وفى اخرى ويشيع بالياء او النون من التشييع او التشنيع اى فيما يستقبح ويستنكره (مما يخل بصاحبها) اى المرة (ويزرى بقائلها) اى يعيبه وينقصه ويحقره (لاحقة بذلك) خبر المبتدأ اى متصلة بما ينزه عنه منصب النبوة (واما فيما لايقع هذا الموقع) اى من الامر المستبشع كالكذبة الواحدة فى حقيرة من الدنيا (فان عددناها) اى هذه المعصية (من الصغائر فهل تجرى على حكمها) اى حكم المرة الواحدة من الكذب (فى الخلاف فيها) اى قبل البعثة هل يصدر من الانبياء صغيرة اولا (مختلف فيه) وقد سبق بيان الخلاف (والصواب تنزيه النبوة) اى صاحبها اوذاتها مبالغة (عن قليله) اى الكذب (وكثيره) اى بالاولى (وسهوه وعمده) بخلاف غيرها من الصغائر اذ فيها القولان المشهوران للسلف والخلف (اذ عمدة النبوة) اى مدار امورها المقرونة بالرسالة (البلاغ) اى تبليغ الاحكام (والاعلام) اى بما يتعلق به حق الانام (والتبيين) اى تبيين ما انزل اليهم من الابهام (وتصديق ماجاء به النبى) اى فيما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام (وتجويز شئ من هذا) اى الذى يخل بمنصب النبوة سواء كان صغيرة او كبيرة قليلة او كثيرة (قادح فى ذلك) اى فى العمدة التى هى ابلاغ النبوة (ومشكك فيه) اى وموقع فى الريبة (مناقض للمعجزة) اى التى هى عبارة عن قول الرب صدق عبدى (فلنقطع عن يقين) اى لاعن ظن وتخمين وفى نسخة على يقين (بانه) اى الشان (لايجوز على الانبياء خلف) اى تخلف كما فى نسخة اى مخالفة وقوع (فى القول) من اقوالهم (فى وجه من الوجوه) اى فى حال من احوالهم (لابقصد ولابغير قصد ولاتسامح) اى تحرى وفى نسخة بصيغة المجهول اى ولاينبغى ان يتسامح ويتساهل وفى اخرى ولابتسامح بباء الجر والتنوين (مع من تسامح) بصيغة الماضى وفى نسخة بصيغة المضارع الغائب كلاهما من باب التفاعل وفى نسخة سامح من باب المفاعلة وفى اخرى ولايتسامح بتسامح على لفظ المصدر (فى تجويز ذلك) اى الخلف فى القول (عليهم) ولو كان (حال السهو) عما) وفى نسخة فيما (ليس طريقه البلاغ نعم) كذا فى بعض النسخ المصححة ولم يتعرض له احد من المحشين ولم يظهر لنا وجهه المستبين (وبانه) اى وكذا نقطع بانه (لايجوز عليهم الكذب قبل النبوة) اى اظهارها (ولا الاتسام) بتشديد التاء افتعال من الوسم وهو العلامة اى ولا يجوز الاتصاف (به فى امورهم) المتعلقة بآخرتهم (واحوال دنياهم لان ذلك) اى الكذب لوصدر عنهم كان (يزرى) اى يحقرهم (ويريب بهم) اى يوقع امهم فى التهمة فيما جاؤا به عن ربهم (وينفر القلوب عن تصديقهم بعد) اى بعد ارسالهم بما امروا بتبليغ احوالهم (وانظر احوال عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم) اى من العرب والعجم (وسؤالهم) بالنصب او الجر (عن حاله) اى تحول شانه (فى صدق لسانه وماعرفوا به) بتشديد الراء مبنيا للمفعول او الفاعل مشددا ومخففا اى والذى عرف قريش (من ذلك) اى صدق لسانه (واعترفوا به) حين سئلوا عنه (مما عرف) بصيغة المفعول ويروى واعترفوا بما عرف به اى علم من تحقق شأنه (واتفق النقل) ويروى واتفق اهل النقل (على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه) اى من الكذب ونحوه (قبل وبعد) اى قبل البعثة وبعدها (وقد ذكرنا من الآثار فيه) اى فيما يتعلق به (فى الباب الثانى اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه) من تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ونحوه مما يشين لديه ومن جملته قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لايكذبونك بالتشديد والتخفيف اى لاينسبونك الى الكذب قبل النبوة ولابعدها

(فصــــل)

(فان قلت فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث السهو) اى الحديث الدال على السهو على مارواه الشيخان (الذى حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضى ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة بعدها غين معجمة (ابن سهل) هو القاضى عيسى بن سهل (قال ثنا حاتم بن محمد) تقدم (ثنا ابو عبد الله ابن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (ثنا ابو عيسى) اى الترمذى على ماصرح به الدلجى وقال الحلبى تقدم انه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى ابن كثير الليثى (ثنا عبد الله) قال الحلبى تقدم مرارا انه ابو مروان عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) تقدم انه يحيى بن يحيى الليثى (عن مالك) اى ابن انس الامام (عن داود بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وثقه جماعة توفى سنة خمس وثلاثين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن ابى سفيان) تابعى ثقة مولى ابن ابى احمد اخرج له الائمة الستة (انه قال سمعت اباهريرة رضى الله تعالى عنه) قال الحلبى الحديث اخرجه من الموطا كما ترى وهو فى مسلم والنسائى من رواية ابى سفيان عن ابى هريرة واخرجاه جميعا عن عقبة عن مالك به فان قلت لم يخرجه القاضى من

مسلم فالجواب ان بينه وبين مالك فى الموطأ سبعة اشخاص ولو رواه عن مسلم كان كذلك ولكن الموطأ عندهم مقدم على غيره ايضا الموطأ يقع له من بعض الطرق اعلى مما ذكره بدرجة فيعلوله على مسلم ولكن لو اخرجه من عند النسائى كان يقع له اعلى من الموطأ عن ابى هريرة (يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة العصر) وقيل الظهر (فسلم فى ركعتين) اى بعد فراغه منهما ومن تشهدهما (فقام ذو اليدين) وسمى به لان فى يديه او احداهما طولا وقيل لانه كان يعمل بكلتا يديه ووهم هنا الزهرى مع سعة علمه فقال ذو الشمالين ولا يصح لان ذا الشمالين قتل ببدر وذو اليدين شهد قصة ابى هريرة واسلام ابى هريرة بعد خيبر تأخر موته حتى روى عنه متأخروا التابعين كمطير وقيل انهما واحد ولا يصح لان ذا الشمالين خزاعى وذا اليدين سلمى (فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة) على بناء المفعول من القصر ضد الاتمام او بفتح فضم صاد وتاء تأنيث على صيغة الفاعل بمعنى النقص قاله ابن الاثير وقال النووى كلاهما صحيح والاول اشهر واصح وقال المزى الصحيح بناء قصرت لما لم يسم فاعله من قبل الرواية ومن قبل الدراية لان غيرها قصرها ولموافقة لفظ القرءآن ان تقصروا من الصلاة انتهى ولا يخفى ان هذا يشير الى احتمال وجه آخر وهو ان يكون قصرت بفتحتين وتاء الخطاب وحينئذ يطابق قوله (ام نسيت) بفتح فكسر ثم تاء خطاب (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جوابا له (كل ذلك لم يكن) روى بالرفع والنصب فعلى الاول مبتدأ خبره لم يكن وعلى الثانى خبر كان مقدم عليها والمعنى كل ذلك لم يقع من قبلى بل انما كان من عند ربى ليبين الحكم فى امتى من جهتى (وفى الرواية الاخرى ما قصرت) بصيغة الغائبة للفاعل اى الصلاة كما فى نسخة (وما نسيت) بصيغة المتكلم وما يحتمل نافية واستفهامية ويؤيد الاول انه فى رواية اخرى لم انس ولم تقصر وفى نسخة ولا نسيت (الحديث بقصته) اى مشهور فى روايته (فاخبر بنفى الحالين) اى معا بناء على ما اختاره المصنف من ان ما نافية (وانهما لم تكن) اى حالة منهما اى مطلقا او القضية اصلا وفى رواية انهما لم يكونا اى النقص والنسيان (وقد كان احد ذلك) اى احد ما ذكر من الحالتين فى الواقع (كما قال له) وفى نسخة كما قال ذو اليدين (قد كان بعض ذلك يا رسول الله) فهذا يرجح كون ما نافية (فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف) اى متمسك بطريق الانصاف فى الرجوع الى الحق (ومنها) اى وبعضها (ما هو بنية التعسف والاعتساف) التعسف هو الخروج عن الجادة وركوب الامر بالمشقة وفى معناه الاعتساف وانما جمع بينهما للمبالغة ورعاية الفاصلة والمراد بالنية القصد والتوجه بالطوية وفى نسخة بتيه بكسر الفوقية فياء ساكنة فهاء وفسره الحلبى بالكبر والاظهر انه بمعنى التحير فى تيه الضلالة وبيداء الجهالة ولذا فسره التلمسانى بعدم الاهتداء (وها انا اقول) مبتدأ وخبر قربا بتنبيه فى حق نبى نبيه (اما على القول) اى قول بعضهم (بتجويز الوهم) بفتح الهاء وسكونها اى السهو (والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ) بالنصب اى الابلاغ وفى نسخة من البلاغ اى من جهة التبليغ (وهو) اى هذا القول هو (الذى زيفناه) اى ضعفناه (من القولين) اعنى الجواز وعدمه (فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه) ولا اشكال فى تجويز نحوه (واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله) اى الشاملة لاقواله عليه الصلاة والسلام (جملة) اى جميعها اجمالة (ويرى انه) اى ويعتقد انه عليه الصلاة والسلام (فى مثل هذا عامد لصورة النسيان) اى كالعامد فى هذه الصورة (ليسنه) فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه (لمن اعتراه مثله) اى اصابه نحوه من الامة فيقتدى به فى تدارك الحالة (وهو قول مرغوب عنه) اى مردود لنسبته الى التعمد فى القضية (نذكره) وفى نسخة ونذكره (فى موضعه) اى مع بيان ضعفه (واما على احالة السهو) اى على كون السهو محالا (عليه فى الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول) اى التبليغ (كما سنذكره) اى على القول الاصح (ففيه اجوبة) اى مرضية (منها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره) اى بحسب ظنه فى قوله كل ذلك لم يكن (اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا) فلا شبهة فيه (واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده) اى وفق اجتهاده (وانه لم ينس فى ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا) اى بعدم نسيانه (عن ظنه وان لم ينطق به) اى وان لم يصرح به وان لم يقل لم انس فيما اظن به (وهذا) ويروى وهو (صدق ايضا) لا ريبة فيه ولا شبهة (ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع) اى مفعوله (الى السلام) اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس السلام (وهذا محتمل) اى من جهة العربية (وفيه بعد) اى عن صحة حمل القضية (ووجه ثالث وهو ابعد) ويروى ابعدها اى من النقل والعقل فى تحقيق المعنى (ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ) اى المبنى (من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما) وهذا بحسب مفهوم المعنى وهو غير معتبر عند الجمهور (ومفهوم اللفظ) اى المعتبر (خلافه) اى مخالف له لا سيما (مع الرواية الاخرى الصحيحة) وهو قوله ما قصرت الصلاة

وما نسيت) وفى نسخة ولا نسيت فانه دال على نفى وجودهما كليهما سواء تكون نافية او استفهامية وايضا لو كان مفهومه ما تقدم لم يقل ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله (هذا) اى الوجه الثالث (ما رأيت فيه لائمتنا) اى المالكية او الاعم فيشير الى انه مما ظهر له والله تعالى اعلم (وكل من هذه الوجوه) اى الثلاثة (محتمل اللفظ) وفى نسخة محتمل للفظ اى للمبنى وان كان الاخيران بعيدين فى المعنى (على بعد بعضها) وهو الوجه الثانى (وتعسف الآخر منها) وهو الوجه الثالث (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (والذى اقول) اى واختاره (ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه) لان اصل النسيان الترك فكره عليه الصلاة والسلام ان يقول تركت باختيارى (وانكره على غيره) جملة حالية اى وقد انكره عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسى) بضم النون وتشديد السين المكسورة اى انساه الله اياها ولابى عبيد بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسى ولكنه نسى وهو ابين من الاول لكن فيه ان ظاهر الحديث يخص النسيان بآى القرءآن فلا يعم سائر الاقوال والافعال من الشان ولعله مقتبس من قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اى ما اراد الله تعالى انساءك اياه فينسيكه نعم يلايم الحكم كما نبه عليه المصنف وقال (وبقوله فى رواية الحديث الآخر) وفى نسخة فى بعض رواية الحديث الآخر (لست انسى) بفتح الهمزة والسين (ولكنى) وفى نسخة ولكن (انسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (فلما قال له السائل) وهو ذو اليدين (اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان) اى فى نفس الامر (ونسيانه) اى وانكر نسيانه هو (من قبل نفسه) اى باختياره وتقصير من جانبه (وانه) اى الشأن (ان كان جرى شئ من ذلك فقد نسى) بصيغة المجهول مشددا (حتى سأل غيره) اى من الصحابة كابى بكر وعمر رضى الله عنهما بقوله أحق ما يقول ذو اليدين قالوا نعم (فتحقق انه نسى) بصيغة المجهول مشددا اى انساه الله (واجرى عليه ذلك) بالبناء للمفعول وكذا قوله (ليسن) اى ليقتدى وفى نسخة بالبناء للفاعل اى ليجعله سنة يقتدى بها الامة (فقوله على هذا لم انس ولم تقصر) للبناء للفاعل او المفعول (وكل ذلك) اى وقوله كل ذلك وفى نسخة اذ كل ذلك (لم يكن صدق) خبر لقوله فقوله (وحق) تأكيد (لم تقصر) اى كما فى نفس الامر (ولم ينس حقيقة) اى من قبل نفسه (ولكنه نسى) اى انساه الله تعالى اياه فكراهته عليه الصلاة والسلام نسبة النسيان الى النفس انما هى لاسناد الحوادث كلها لله تعالى اذ هو المقدر لها وللاشعار الى انه لم يقصد الى نسيانه ولم يكن باختياره فلم ينسب الى تقصيره (ووجه آخر) يؤذن بالفرق بين السهو والنسيان (استثرته) اى استخرجته من استثار بالمثلثة من باب الافتعال واصله استثورته ومنه قوله تعالى فاثرن به نقعا والمعنى استنبطته (من كلام بعض المشايخ) اى مأخوذ من متفرقات كلامه فى تحقيق مرامه (وذلك انه) اى بعض المشايخ (قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال) اى بعض المشايخ (لان النسيان غفلة وآفة) اى بلية ناقصة ولذا قال تعالى فلا تنسى اى باختيارك الا ما شاء الله بان ينسيك من غير تقصير منك (والسهو انما هو شغل) بضم وسكون وبضمتين وفى نسخة بالاضافة الى بال اى اشتغال حال وهو لا ينافى صاحب كمال لانه ينتبه منه بادنى تنبيه فيه (قال) اى ذلك البعض (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو فى صلاته ولا يغفل) بضم الفاء اى ولا يذهل (عنها) بالكلية (وكان يشغله عن حركات الصلاة) اى وسكناتها من قرآتها وركوعها وسجداتها (ما فى الصلاة شغلا بها) اى بتحصيلها وتكميلها من حضور ورموز وخضوع وخشوع وتدبر قرآءة فى مبانيها او معانيها (لا غفلة عنها) بصرف الخاطر الى غيرها من الامور الدنيوية والاحوال الدينية بل لاستغراق وقع له فيها مما لا ينافيها (فهذا) اى القول بهذا المبنى (ان تحقق) بصيغة المفعول او الفاعل اى ثبت (على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت) اى هى (وما نسيت) اى انا (خلف) بضم اى اخلاف (فى قول) لعصمته عليه الصلاة والسلام من الخلف فى الكلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام (وعندى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذى هو احد وجهى النسيان اراد والله تعالى اعلم انى لا اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكنى نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح انى لانسى او انسى لاسن) وهذا اوضح واثر التكرار عليه لائح (واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة) اى فى الحديث كما فى نسخة (انها كذباته) جمع كذبة بفتح فكسر فى المفرد والجمع خلافا للتلمسانى حيث قال بفتح الذال جمع كذبة بسكونها (الثلاث المنصوصة) اى الصريحة (فى القرءآن) فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (منها اثنتان قوله انى سقيم) فى الصافات فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم (وبل فعله كبيرهم هذا) فى سورة

الانبياء قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون (وقوله للملك عن زوجته) اى سارة حين اخذها وسأله عنها فقال (انها اختى) اى فى الاسلام خشية ان يقتلها لو قال انها زوجتى ولقد نجاها الله منه بما اعتراه من الخوف واخدمها هاجر ام اسماعيل ابى العرب جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احد الذبيحين على ما ورد قال الحلبى فان قيل ما الحكمة فى عدوله عن قوله هذه زوجتى الى هذه اختى وظاهر الحال انه لو قال هذه زوجتى ربما كان الملك لا يتطرق الى امرأة زوجها معها ان كان يعمل بالشرع ولكنه صار كما وصف فى الحديث فما يبالى أكانت زوجة ام اختا بخلاف ما اذا قال هذه اختى ربما كان يقول الملك زوجنيها ويكون عدوله عن امرأتى الى اختى ادعى لاخذ الملك لها فالجواب ما قاله بعض مشايخى فيما قرأته عليه عن ابن الجوزى انه وقع له ان القوم كانوا على دين المجوس وفى دينهم ان الاخت اذا كانت مزوجة كان اخوها الذى هو زوجها احق بها من غيره وكان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستعصم من الجبار بذكر الشرع الذى يستعمله فاذا الجبار لا يراعى دينه وقد اعترض على هذا الجواب بان الذى جاء بمذهب المجوس زرادشت وهو متأخر عن ابراهيم عليه السلام واجيب بان لمذهبهم اصلا قديما ادعاه زرادشت وزاد عليه خرافات اخر انتهى وقيل كان من عادة ذلك الجبار ان لا يتعرض الا لذات الازواج ولذلك قال الخليل لها ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك وحكى ان الملك كان بمصر واراد ابراهيم ان يجتاز منها هو ومن معه من المؤمنين وكانوا ثلاثمائة وعشرين رجلا وجمع بينهم ما حناطه الذى يبيع طعامه وهو الذى وشى بسارة وحملها الى الملك فاهوى اليها يده مرارا فلم يستطع وابراهيم ينظر اليهما من خارج القصر بعد ان امر الملك باخراجه ومثل الله تعالى لابراهيم القصر كالقارورة حتى انه ينظر من خارجه كل ما كان فى داخله (فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه) اى كلمات ابراهيم عليه السلام (كلها خارجة على الكذب) بفتح فكسر ويجوز كسر اوله وسكون ثانيه (لا فى القصد ولا فى غيره) اى من السهو والخطأ والنسيان (وهى) اى الكلمات الثلاث (داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب) اى سعة وفسحة عنه ومنه قول ام سلمة لعائشة قد جمع ذيلك فلا تندحيه اى لا توسعيه وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن فى بيوتكن وهذا مأخوذ من حديث ابى عبيد وغيره عن عمران بن حصين يرفعه ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول فهى فى الحقيقة صدق عرض بها ليتوصل الى غرضه من مكايدة قومه والزامهم الحجة فى ذات الله تعالى ومرضاته به فمعاريض الكلام ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر وقد كان السلف يورون عند الحاجة والضرورة فقد روى عن ابراهيم النخعى انه كان اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد وكان الشعبى اذا طلبه احد يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا (اما قوله انى سقيم فقال الحسن) اى البصرى (وغيره معناه سأسقم) من باب فرح وكرم والاول افصح (اى ان كل مخلوق معرض لذلك) بتشديد الراء المفتوحة اى معرض للسقم ومقابل له (فاعتذر لقومه من الخروج) اى تفاديا منه (معهم الى عيدهم) اى محل اجتماعهم (بهذا) التعريض روى انه ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا وقد اراد التخلف عنهم فنظر الى نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط الا اسقم اى مشارف للسقم وهو الطاعون لانه كان اغلب اسقامهم وكانوا يرهبون العدوى فنفروا عنه وتخلصوا منه (وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت) اى عرض لهم بان من كان هدفا للمنايا وغرضا للبلايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روى ان رجلا مات فجأة فقيل مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من فى عنقه الموت (وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده) بما شاهده (من كفركم) بالرب (وعنادكم) بالميل عن طريق الحق والادب (وقيل بل) قال سقيم لانه (كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم) له اوانهم (فلما رآه اعتذر بعادته) التى تعتريه عند طلوعه وتغيره فى حالته (وكل هذا) اى ما ذكر من الاجوبة (ليس فيه كذب) اى صريح (بل خبر صحيح صدق) اى هو قول حق (وقيل بل عرض) بتشديد الراء اى ورى فى قوله (بسقم حجته عليهم) اى بعدم نفع موعظته لديهم (وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون بها) اى تعظيما لها اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو لا يجدى نفعا فى مقام اليقين قيل كان القوم نجامين اى متعاطين لعلوم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم وعرض بسقم حجته وضعف ما اراد من بيان بينته (وانه) اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان (اثناء نظره فى ذلك) اليهم (وقبل استقامة حجته عليهم فى حال سقم) بفتحتين وبضم فسكون اى تغير (بال ومرض حال) لديهم فجعل سقم حجته وضعف موعظته سقما مجازا عن تعب القلب (مع انه) اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لم يشك هو) بل تيقن ايقانه (ولا ضعف ايمانه) بل قوى كل ساعة برهانه (ولكنه ضعف) اى بيانه (فى استدلاله عليهم وسقم نظره) اى فكره فيما يتوجه اليهم (كما يقال

حجة سقيمة ونظر معلول) اللغة الفصحى معل او معلل فقد قال ابن الصلاح قول الفقهاء والمحدثين معلول مردود عند اهل العربية وقال النووى انه لحن وقال صاحب المحكم والمتكلمون يستعملون لفظة المعلول كثيرا ولست منها على ثقة لان المعروف انما هو اعله فهو معل اللهم الا ان يكون على ما ذهب اليه سيبويه فى قولهم مجنون ومسلول من انهما جاآ على جننته وسللته وان لم يستعملا فى الكلام استغناء عنهما بافعلت واذا ارادوا جن وسل فانما يقولون جعل فيه الجنون والسل (حتى الهمه الله باستدلاله) اى الواضح لديهم (وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله تعالى) اى ما صرحه وفى نسخة ما قصه اى حكاه حيث ذكر تبيانه (وقدمنا) وفى نسخة وقد قدمنا (بيانه) اى ما يوضح حجته وبرهانه (واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية) اى فاسألوهم ان كانوا ينطقون (فانه علق خبره) اى بفعل كبيرهم (بشرط نطقه) مع غيره (كانه قال ان كان ينطق) اى كبيرهم (فهو فعله) مع علمه بانه لا ينطق (فهو على طريق التبكيت) اى التوبيخ والتقريع (لقومه) فى اعتقادهم الفاسد وزعمهم الكاسد فى الوهية كواكب وحجارة لا تضر ولا تنفع وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها (وهذا) القول بهذا المعنى (صدق) اى وحق ايضا (ولا خلف فيه) اصلا (واما قوله اختى فقد بين فى الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه لم يكذب ابراهيم فذكره (وقال انك) وفى نسخة فانك (اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة) وقد روى انها كانت بنت عمه ومثل هذه قد يقال لها الاخت فى النسب ايضا (فان قلت هذا) وفى نسخة فهذا (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها) اى الكلمات الثلاث (كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته) على ما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه (فمعناه) اى معنى وصفها بكونها كذبات (انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن) اى فى نفس الامر (الا هذه الكلمات) اى الثلاث وهى انى سقيم وفعله كبيرهم وهذه اختى (ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اى خاف (من مؤاخذته) وفى نسخة بمؤاخذته (بها) لعلو شأن الانبياء عن الكناية بالحق فى باب الانباء فيقع ذلك منهم موقع الكذب من غيرهم فان حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار (واما الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن كعب بن مالك (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة) اى ويريد سترها (ورى بغيرها) بتشديد الراء من التورية وهى الاخفاء وكانه جعل الشئ وراءه وجعل غيره نصب عينه وقيل ورى ستر مقصده واظهر غيره بان سأل عن طريق لا يريده فانه كان عليه الصلاة والسلام يسأل عن ناحية وطريقها ويخرج الى غيرها لئلا يأخذ العدو حذره (فليس فيه خلف فى القول وانما هو ستر لمقصده) وفى نسخة ستر مقصده بالاضافة وفى اخرى ستر بصيغة الماضى ونصب مقصده اى اخفى جهة قصده خوفا من اشتهاره (لئلا يأخذ عدوه حذره) بكسر اوله اى احتراسه واحترازه (وكتم وجه ذهابه) بالاضافة وفى نسخة بصيغة الماضى وفى اخرى كتم لوجه ذهابه اى جهة مقصده وطريق مطلبه (بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره) اى احوال الموضع الآخر (والتعريض بذكره) اى التلويح به وعدم التصريح بقصده وقد ورد استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وفى الصحيح الحرب خدعة (لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا) بكسر الواو اى جهة قصدنا (الى موضع كذا بخلاف مقصده) ليكون خلفا (فهذا لم يكن) ولا يتصور ان يكون منه عليه الصلاة والسلام (والاول) وهو التعريض (ليس فيه خبر يدخله الخلف) بضم الخاء اى الاخلاف فيترتب عليه الكذب فى القول (فان قلت فما معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم) بناء على ظنه (فعتب الله تعالى عليه ذلك) حيث لم ينتظر الوحى هنالك او لم يفوض (اذ لم يرد العلم اليه) بان يقول الله تعالى اعلم او يقول انا والله اعلم ومن هنا تأدب العلماء فى اجوبتهم بقول والله تعالى اعلم (الحديث) رواه الشيخان عن ابى بن كعب مطولا (وفيه قال) اى الله تعالى (بل) وفى رواية بلى (عبد لنا بمجمع البحرين) وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقال السهيلى هو بحر الاردن وبحر القلزم وقيل غيره (اعلم منك) اى فى بعض العلوم لما فى الحديث يا موسى انى على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه وانت على علم علمك الله لا اعلمه وذكر السهيلى عن ابن عباس رضى الله عنه ان حكمة الله تعالى فى جمع موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام عند مجمع البحرين انهما بحران احدهما اعلم بالظاهر اعنى علم الشرعيات وما يتعلق بالذات والصفات وهو موسى عليه السلام والآخر اعلم بالباطن واسرار الملكوت من الكائنات وهو الخضر عليه السلام فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين هذا وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى عليه الصلاة والسلام ذكر الناس يوما حتى فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله تعالى عليه

اذلم يرد العلم الى الله تعالى (وهذا) اى قول موسى انا اعلم (خبر قد انبأنا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه) اى الشأن (وقع) وفى نسخة قد وقع (فى هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هل نعلم احدا) اى من الناس (اعلم منك) بنصب اعلم على انه مفعول ثان وفى نسخة برفعه فتقديره هو اعلم منك (فاذا كان جوابه على علمه) اى مبنيا على ما غلب عنده من علمه (فهو) اى قوله انا اعلم بهذا الوجه (خبر حق وصدق لاخلف فيه ولاشبهة) مؤكدات لكونه خبرا حقا (وعلى الطريق الاخر) اى المروى عن ابى بن كعب كما مر (فمحمله على ظنه) اى الغالب (ومعتقده) انه اعلم بحسب علمه (كما لو صرح به) اى بظنه ومعتقده كان يقول انا اعلم فيما اظن واعتقد وانما ظن ذلك واعتقد بما ذكر هنالك (لان حاله) اى مرتبته (فى النبوة) المؤيدة بالرسالة (يقتضى ذلك) اى كونه اعلم الناس فى زمانه (فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه) بكسر اوله لا بضم اوله كما وهم الدلجى اى ظنه (صدقا لاخلف فيه) فلا اشكال فيه اصلا (وقد يريد بقوله انا اعلم) منه لقاخاصا وهو ما بينه بقوله (بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد) المتعلقة بالذات والصفات (وامور الشريعة) اى وظائف العبادات (وسياسة الامة) اى بحدود الزواجر والمنهيات وهو لا ينافى ان يكون غيره اعلم منه فى غيرها كما ورد انتم اعلم بامور دنياكم وكما عرف فى قضية الهدهد وقوله احطت بما لم تحط به وكما رفع لعمر فى موافقاته فانه قد يكون فى المفضول ما لا يكون فى الفاضل مما لا ينقص فى فضله ومن هنا ورد فى معرفة الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر بل وقد يكون بعض العلوم مضرته اكثر من منفعته فلا محذور حينئذ ان يكون بعض افراد الامة اعلم بوجه من صاحب النبوة (ويكون الخضر اعلم منه) اى من موسى ولو كان من امته على القول بولايته او نبوته (بامور اخر) اختص بها (مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى) له اياها (من علوم غيبه) الخاص به وفى نسخة من علوم غيبية (كالقصص المذكورة فى خبرهما) من قضية السفينة والغلام والجدار (فكان موسى اعلم) الناس مطلقا (على الجملة) اى عموما (بما تقدم) من علوم النبوة والرسالة وامور الشريعة واحكام السياسة (وهذا) اى الخضر عليه الصلاة والسلام (اعلم على الخصوص بما اعلم) بصيغة المجهول اى بما اعلمه سبحانه وتعالى (ويدل عليه) اى على ان ما اعلمه خاص (قوله تعالى وعلمناه من لدنا) اى مما يختص علمه بنا (علما) بطريق الوحى الجلى والخفى (وعتب الله) بسكون التاء اى ويدل عليه عتابه سبحانه وتعالى (ذلك) اى قوله انا اعلم (عليه فيما قاله العلماء) اى المحدثون (انكار هذا القول عليه لانه) كما فى حديثه (لم يرد العلم اليه) كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا اولانه (اى الله سبحانه وتعالى (لم يرض قوله) اى لم يستحسن قول موسى عليه السلام انا اعلم (شرعا) اى من جهته رعاية لامته والمعنى لم يرض ان يكون قوله شرعا يقتدى به (وذلك) اى وسببه (والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لا يبلغ كماله) اى كمال موسى من جهة مرتبته (فى تزكية نفسه) اى طهارة حالته (وعلو درجته من امته) متعلق يقتدى (فيهلك) بالنصب اى يضيع من يقتدى به من امته فى قوله انا اعلم من غير تفويض واستثناء (لما تضمنه) اى قوله انا اعلم (من مدح الانسان نفسه) اى عند اطلاقه وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى (ويورثه ذلك) القول وهو انا اعلم (من الكبر والعجب) الا ان يكون تحدثا بنعمة ربه ظاهرا وباطنا (والتعاطى) الاجتراء على الاعطاء واخذ الاشياء (والدعوى) الخارجة عن المعنى (وان نزه عن هذه الرذائل) اى المذكورة (الانبياء) بشرف مقاماتهم ورفع درجاتهم وان تفاوتت فى الفضائل والفواضل وحسن الشمائل (فغيرهم بمدرجة سيلها) بفتح الميم والراء اى مسلك طريقها وفى نسخة سيلها اى ممرها (ودرك ليلها) بفتح الراء بان يدركه ظلامها وفى اصل التلمسانى نيلها بالنون اى يدركه فيصيبه ضررها او يحصل له خطرها (الا من عصمه الله تعالى) من الاتصاف بها او الخلاص عنها (فالتحفظ منها اولى لنفسه) قبل وقوعه فيها (وليقتدى به) بصيغة المجهول اى ليقتدى غيره به (ولهذا) اى التحفظ او الاقتداء (قال صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظا من مثل هذا) اى مدح النفس وما يترتب عليه له ولغيره (مما قد علم به) بصيغة المجهول وفى نسخة اعلم به (انا سيد ولد آدم) اى يوم القيامة على ما رواه مسلم وغيره (ولا فخر) اى لا اقوله افتخار النفسى بل تحدثا بنعمة ربى (وهذا الحديث) يعنى سئل اى الناس اعلم (احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله) وفى نسخة بقوله اى الخضر (فيه) اى فى حديثه (انه) وفى نسخة انا (اعلم من موسى) وهكذا وقع فى كثير من الاصول وهو غير الصواب لان الضمير المضاف اليه القول عائد حينئذ على الخضر والضمير المجرور بفى عائد على الحديث السابق وليس فيه ان الخضر قال انا اعلم من موسى فالصواب ما فى بعض النسخ وهو لقوله فيه انه اعلم من موسى ويكون الضمير المضاف اليه القول عائدا الى الله والضمير المنصوب بان عائدا على الخضر وقد سبق ان فى الحديث بل عبدلنا بمجمع البحرين اعلم منك (ولا يكون الولى اعلم من النبى) اى جنس الانبياء وفى نسخة من نبى وفيه انه لا يجوز ان يكون الولى اعلم من النبى مطلقا الا كما بينه ان الخضر مقيدا (واما الانبياء

فيتفاضلون فى المعارف) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكذا فى الدرجات كما قال ورفع بعضهم درجات (وبقوله وما فعلته عن امرى) اى من رأيى بل فعلته بامر ربى (فدل) على (انه بوحى) اما بواسطة ملك او بدونها وايضا ليس لولى ان يقدم على قتل صبى بمجرد ما ينكشف له باعلام او الهام انه كافر فى علم الله سبحانه وتعالى (ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل ان يكون فعله) للامور الثلاثة اولقتل الصبى فان غيره لا يحتاج ان يكون (بامر نبى آخر) كان فى زمانه (وهذا) القول (يضعف) اى ضعفا ظاهرا (لانه ما علمنا انه كان فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبى غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار) اى الاحاديث (فى ذلك) اى فى كون نبى غيرهما حينئذ (شيأ يعول عليه) اى يعتمد ويستند اليه ويستعان به لديه (واذا جعلنا) اى قول السائل لموسى هل نعلم احدا (اعلم منك ليس على العموم) اى على اطلاقه (وانما هو) اى قوله اعلم محمول (على الخصوص وفى قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر) وفيه انه يشكل قتله الصبى على ما قدمنا فلا بد من القول بنبوته او بوجود نبى غير موسى وهارون عليهما السلام فى مدته (ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم) بالرفع او النصب (فيما رفع اليه) بصيغة المجهول (من موسى) متعلق باعلم وهذا بعينه فى نفس الحديث تقدم (وقال آخر) اى من الشيوخ (انما الجئ) اى اضطر (موسى الى الخضر للتاديب) اى التهذيب (لا للتعليم) ويرده قوله هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا الايات

(فصــــل)

(واما ما يتعلق بالجوارح) اى بالاركان (من الاعمال ولا يخرج) بالواو ولا بالفاء كما فى نسخة لان جواب لما سيجئ والجملة فيما بينهما معترضة والتقدير والحال انه لا يخرج (من جملتها) ويروى عن جملتها اى الاعمال (القول باللسان فيما عدا الخبر الذى) (وقع فيه الكلام) من قسميه الذى سبيله البلاغ والذى ليس سبيله البلاغ من المرام (والاعتقاد) اى ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد (بالقلب) لان محله الجنان يروى فى القلب (فيما عدا التوحيد) وما يتبعه من الايمان والاسلام والاحسان ومراتب الايقان والاتقان مما عقدت عليه قلوب الانبياء (وما قدمناه من معارفه المختصة به) اى بالقلب واحواله فانها لا تخرج من جملتها لانها من اعماله (فاجمع المسلمون) اى السلف المعتمدون (على عصمة الانبياء من الفواحش) اى قولا وفعلا وعقدا وهى الذنوب التى فحش قبحها وحرم على هذه الامة ومن قبلها (والكبائر الموبقات) بكسر الموحدة اى المهلكات وهو عطف تفسير ويروى والموبقات والاولى مختصة بارتكاب السيئات والاخرى باجتناب العبادات (ومستند الجمهور) اى اكثر العلماء (فى ذلك) اى فى القول بعصمتهم (الاجماع الذى ذكرناه) من المسلمين المتقدمين (وهو مذهب القاضى ابى بكر) اى ابن الطيب الباقلانى المالكى (ومنعها) اى عصمتهم (غيره) اى غير القاضى (بدليل العقل) لعدم احالته منع عصمتهم لامكانه فى نفسه (مع الاجماع) اى مع تكاثر قيامه عليها (وهو) اى الاجماع (قول الكافة) اى عامة المتأخرين (واختاره الاستاذ) بالدال المهملة او المعجمة (ابو اسحق) الاسفراينى الشافعى واعل هذا الخلاف لفظى والجواز وعدمه عقلى والا فلا خلاف فى عصمة الانبياء عن الكفر قبل النبوة وبعدها وانما الخلاف فيما عداه من الكبائر والصغائر والجمهور على عصمتهم من الكبائر بخلاف ما سيأتى من الخلاف فى الصغائر (وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة) لقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (والتقصير فى التبليغ) اى ومن التقصير فيه لقوله فهل انك تارك بعض ما يوحى اليك (لان ذلك) وفى نسخة لان كل ذلك اى كل واحد من الكتمان والتقصير (يقتضى العصمة) بالنصب (منه المعجزة) بالرفع ويروى مقتضى العصمة منه المعجزة (مع الاجماع على ذلك) اى على ما ذكر من ان عصمتهم من قبل الله تعالى باختيارهم وكسبهم واقتدارهم يعنى انه تعالى لم يخلق فيهم كفرا ولا ذنبا كبيرا (من الكافة) اى من جهة عامة العلماء (والجمهور قائل) ويروى والجمهور قائلون (بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار) وفى نسخة خلافا للنجار من المعتزلة (فانه قال لا قدرة لهم) ويروى لا قوة لهم (على المعاصى اصلا) وهو بنون وجيم مشددة حسين بن محمد واليه ينسب النجارية وهم اتباعه وهم يوافقون القدرية فى بعض اصولهم من نفى الرؤية ونفى الحياة والقدرة ويقولون بحدوث الكلام والقدرية يكفرونهم بسبب مخالفتهم اياهم فى بعض المسائل وهم اكثر من عشر فرق فيما بينهم كالبرغوثية والزعفرانية والمستدركة وغيرهم وهم فرقة من ثلاث وسبعين فرقة (واما الصغائر فجوزها) اى وجودها ووقوعها (جماعة من السلف وغيرهم) من الخلف كامام الحرمين منا وابى هاشم من المعتزلة حيث جوزوا الصغائر غير المنفرة (على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء) اى المجتهدين (والمحدثين والمتكلمين) اى فى اصول الدين والمراد

بعض من كل منهم (وسنورد بعد هذا) اى فى فصل الرد على من اجاز الصغائر على الانبياء (ما احتجوا به) اى ما استدلوا به من الادلة (وذهبت طائفة اخرى الى الوقف) اى التوقف فى امرهم (وقالوا العقل لا يحيل وقوعها) اى الصغائر ولا الكبائر (منهم ولم يات فى الشرع) اى من الكتاب والسنة (قاطع باحد الوجهين) اى بجواز صدورها عنهم (وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر) المختلف فى وقوعها منهم (كعصمتهم من الكبائر) اى المتفق على عدم صدورها عنهم (قالوا لاختلاف الناس فى الصغائر) اى فى تعريفها وتبيينها (وتعيينها) اى وعدم تمييزها (من الكبائر واشكال ذلك) اى ولاشتباه تعيينها بين الكبائر فقال بعضهم هى كل ما يجب فيه حد وقيل ما ورد فيه وعيد وقيل هى امر نسبى وتوقف بعضهم عن الفرق (وقول ابن عباس رضى الله عنهما) اى ولقوله (وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة) كما رواه ابن جرير عنه (وانه) بفتح الهمز اى وان الشأن (انما سمى منها الصغير باضافته الى ما هو اكبر منه) كالمس والقبلة والمعانقة والمعالجة بالنسبة الى المجامعة فكل باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير وكما معصية حتى الخلوة بالاجنبية (ومخالفة البارى تعالى فى اى امر كان يجب كونها كبيرة) اى من حيث انها مخالفة لصاحب الكبرياء والعظمة والا فلا شبهة فى تفاوت مراتب المخالفة ولذا قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اى الصغائر وقد انشد صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم فاغفر جما * واى عبد لك لا الما وعن ابى العالية اللمم ما بين حد الدنيا وحد الآخرة اى بين ما يجب به الحد فى الدنيا كشرب الخمر والزنى وبين ما اوعد الله عليه العقاب فى العقبى كعقوق الوالدين واكل الربا واموال اليتامى ظلما (قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب) اى البغدادى المالكى صاحب الرحبة كان فقيها اديبا له تصانيف جيدة العبارة منها كتاب المعونة فى شرح الرسالة توفى بمصر سنة اثنتين واربعمائة ودفن بالقرافة الصغرى فيما بين قبة الامام الشافعى وباب القرافة بالقرب من ابن القاسم واشهب (لا يمكن ان يقال فى) وفى نسخة ان فى (معاصى الله تعالى صغيرة) لما يلزم منه احتقار المعصية (الا على معنى انها تغتفر) وفى نسخة تغفر (باجتناب الكبائر) اى معها لا بعين اجتنابها فانه مذهب المعتزلة بل بشرط اجتنابها لكن بسبب اعمال حسنة بينها الشارع وعينها (ولا يكون لها) فى المؤاخذة بها (حكم مع ذلك) اى مع غفران الله تعالى لها (بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها) بصيغة المفعول او الفاعل (فلا يحبطها) اى لا يذهبها ولا يرفعها ولا يهدمها ولا يبطلها (شئ) اى من الطاعات وان كان ظاهر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يشمل الصغائر والكبائر الا ان علماء اهل السنة اجمعوا على ان المكفرات مخصوصة بالصغائر ويجوز ان الله تعالى يعذب عليها او يغفر ما فوقها (والمشيئة فى العفو) اى فيما عدا الكفر (الى الله تعالى) كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى نسخة فى العفو عنها اى عن الصغائر والكبائر لا عن الصغائر كما هو المتبادر (وهو) اى ما ذهبوا اليه من عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر (قول القاضى ابى بكر) اى الباقلانى من المالكية رحمه الله تعالى (وجماعة أئمة الاشعرية) من باب عطف العام على الخاص اذ هو من اكابرهم (وكثير من أئمة الفقهاء) كاتباع الماتريدية (وقال بعض أئمتنا) اى من اهل السنة او المالكية (ولا يجب) اى ولا يثبت (على القولين) وهما قول العصمة وعدمها عقلا (ان يختلف) وكان الاظهر ان يقول ويجب على القولين ان لا يختلف (انهم) اى فى ان الانبياء (معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك) التكرار (بالكبائر) المختلف فى عصمتهم منها فان من جملة الكبائر الاصرار على الصغائر فقد ورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (ولا فى صغيرة) اى ولا يجب ايضا ان يختلف فى صغيرة (ادت الى ازالة الحشمة) اى المهابة (واسقطت المروءة) بالهمز ويجوز ابدالها واوا وادغامها وهى الفتوة وكمال الرجولية (واوجبت الازراء) بتقديم الزاى على الراء اى الحقارة (والخساسة) اى الدناءة (فهذا) اى النوع من الصغائر (ايضا مما يعصم منه) ويروى عنه (الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصبه) اى يضع منصب النبى ويروى منصب المتسم اى الموصوف به (ويزرى) بفتح اوله على ان الباء للتعدية فى قوله (بصاحبه) اى يحقره وينقصه (وينفر) بتشديد الفاء اى يطرد (القلوب عنه) اى عن قبول كلامه وحصول مرامه (والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا) اى فى التنزه (ما كان من قبيل المباح) الذى لا تبعة على فاعله ولا مذمة (فادى الى مثله) اى الى شبه ما ينزهون عنه (لخروجه بما ادى اليه من اسم المباح الى الحظر) بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة اى المنع (وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه) اى فعلا او قولا (قصدا وقد استدل بعضهم على عصمتهم من الصغائر بالمصير) متعلق باستدل اى بمرجع الامم (الى امتثال افعالهم) اى افعال الانبياء (واتباع آثارهم وسيرهم) ويروى سيرتهم اى احوالهم واقوالهم (مطلقا) اى من غير قيد ان تقع افعالهم واقوالهم قصدا كما قال تعالى اولئك

الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعونى (وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعى وابى حنيفة) رحمهم الله لم ينصف المصنف فى ترتيب ذكر الائمة لا سيما فى تاخير ابى حنيفة عن الشافعى مع انه متقدم على الكل مدة ورتبة (من غير التزام قرينة) دالة على وقوع قصد وتعمد فى افعالهم (بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك) اى فى حكم اتباعهم من وجوب او ندب هنالك (وحكى ابن خويزمنداد) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون التحتية وفتح زاى او كسرها وكسر ميم وسكون نون فدال مهملة فالف فذال معجمة اوفدال بين معجمتين بينهما الف تفقه على الابهرى وهو ضعيف فى الرواية مات فى حدود الاربعمائة (وابو الفرج) هو المالكى صاحب كتاب الحاوى مات سنة ثلاثين وثلثمائة (عن مالك التزام ذلك) اى ما صدر عنهم (وجوبا وهو قول الابهرى) بفتح الهمزة والهاء بلد عظيم بين قزوين وزنجان وجبل بالحجاز قال التلمسانى هم جماعة اكبرهم التيمى مات سنة خمس وسبعين وثلثمائة (وابن القصار) بتشديد الصاد (واكثر اصحابنا) اى المالكية (وقول اكثر اهل العراق) اى الثورى واصحاب ابى حنيفة (واحمد بن سريج) بسين مهملة مضمومة وفى آخره جيم وهو ابو العباس البغدادى اخذ عن الانماطى بلغت مصنفاته اربعمائة توفى سنة ست وثلاثمائة وعمره سبع وخمسون سنة قال الشيخ ابو اسحق تفضل على جميع اصحاب الشافعى حتى على المزنى (والاصطخرى) بكسر الهمزة وتفتح وبفتح الطاء وسكون الخاء المعجمة وهو شيخ ابن سريج صنف كتبا كثيرة منها ادب القضاء استحسنه الائمة وكان زاهدا متقللا من الدنيا وكان فى اخلاقه حدة ولاه المقتدر بالله قضاء سجستان ثم حسبة بغداد ولد سنة اربعين ومائتين وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن بباب حرب (وابن خيران) بالخاء المعجمة وسكون التحتية فراء فالف فنون البغدادى مات سنة عشرين وثلاثمائة كان اماما جليلا وربما كان يعتب على ابن سريج فى ولايته للقضاء ويقول هذا الامر لم يكن فى اصحابنا انما كان فى اصحاب ابى حنيفة وطلبه الوزير ابن الفرات بامر الخليفة للقضاء فامتنع فوكل ببابه وختم عليه بضعة عشر يوما حتى احتاج الى الماء فلم يقدر عليه الا بمناولة بعض الجيران فبلغ الخبر الى الوزير فامر بالافراج عنه وقال ما اردنا بالشيخ ابى على الا خيرا اردنا ان نعلم ان فى مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وفعل به مثل هذا وهو لا يقبل (من الشافعية) اى المذكورون هو ومن قبله من علماء الشافعية ذهبوا الى وجوب اتباع افعال الانبياء (واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة) اى منهم او من غيرهم (الى الاباحة) الا اذا قام دليل على الوجوب او الندب (وقيد بعضهم الاتباع) اى وجوبا او ندبا (فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة) اى التقرب فى الاحوال الاخروية (ومن قال بالاباحة فى افعاله) اى فى اتباع افعال النبى عليه الصلاة والسلام (لم يقيد) اى اتباعهم بما تقدم (قال) اى ذلك البعض (ولو جوزنا عليهم الصغائر) اى فضلا عن الكبائر (لم يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم) لعدم علمنا بمقاصدهم واحوالهم (اذ ليس كل فعل من افعاله) اى كغيره منهم ويروى من افعالهم (يتميز مقصده) بكسر الصاد اى مطلبه او قصده كما فى نسخة اى نيته ومستور طويته (به) اى بعمله الذى قصده أهو (من القربة) واجبا او ندبا (او الاباحة) مما لا يترتب على فعله مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب (او) من (الحظر) اى المنع حراما او مكروها او خلاف الاولى (او المعصية) اى المخالفة فى الجملة ويروى والمعصية (ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما) اى خصوصا (عند من يرى من الاصوليين) اى فى الفقه (تقديم الفعل) من الادلة (على القول اذا تعارضا) وجل المتأخرين منهم اوهم اصحاب الشافعى فاما عندنا فيرجح القول على الفعل لانه ادل على كونه للقربة لاحتمال ان الفعل وقع وفق العادة او بحسب ما يناسب تلك الحالة ولذا قال اصحابنا ان الاعتمار من التنعيم افضل منه من الجعرانة خلافا للشافعية مع ان عمرة عائشة كانت متأخرة حيث وقعت عام حجة الوداع وعمرة الجعرانة كانت سنة الفتح (ونزيد) اى نحن (هذا) المبحث (حجة) اى نزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتداء بالانبياء لابهام افعالهم من بين ما سبق من الاشياء (بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه الصلاة والسلام) وكذا عن سائر الانبياء عليهم السلام (مجمعون على انه) اى كغيره منهم (لا يقر) بضم ياء وفتح قاف وتشديد راء واخطأ الحلبى فى قوله يقر بكسر القاف وتبعه غيره من المحشين وقال الانطاكى اى لا يقر غيره على منكر والصواب ما قدمناه وان المعنى لا يبقى ولا يترك (على منكر من قول او فعل) بل ينبه ويذكر لينتهى عنه ولم يتكرر واختلفوا هل من شرط ذلك الفور ام يصح على التراخى قبل وفاته عليه الصلاة والسلام والصحيح الاول (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (متى رأى شيئا) اى علم من امته قولا او فعلا (فسكت عنه صلى الله عليه وسلم) اى لم ينكر على فاعله (دل) سكوته (على جوازه) ويسمى مثل هذا تقريرا (فكيف يكون هذا) التقرير (حاله فى حق غيره ثم يجوز) مضارع جاز وفى نسخة بصيغة المفعول من التجويز وفى اخرى بصيغة المتكلم منه والمعنى كيف يتصور (وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا المأخذ) اى المذكور سابقا (يجب

عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر) اى المنع عن ترك الاقتداء على وجه الحرمة وكان الاظهر ان يقول
اذ الوجوب (او الندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه) اى لغيره (وايضا فقد علم من دين
الصحابة) اى دأبهم وعادتهم (قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت فى كل فن) وفى نسخة
وفى كل فن اى ومن دينهم الاقتداء بافعاله فى كل فن اى نوع من افعاله قصدا او سهوا من غير تفرقة بين فعل من
افعاله (كالاقتداء باقواله) اى اتفاقا (فقد نبذوا خواتمهم) اى طرحوها (حين نبذ خاتمه) بكسر التاء وفتحها على
ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه فاقتدوا به وروى
انه عليه الصلاة والسلام اتخذ خاتما من ذهب ثم نبذه ثم اتخذ خاتما من ورق (وخلعوا نعالهم) كما رواه احمد
وابو داود (حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى خلع نعله ولفظ الحاكم عن ابى سعيد صلى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم وعن ابى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك القوا نعالهم فلما قضى صلاته
قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك القيت نعليك فقال ان جبريل اخبرنى ان فيهما قذرا الحديث
ويناسب الباب حديث الصلاة الى القبلتين ومتابعة الصحابة له فى الجهتين (واحتجاجهم) بالرفع اى ومن دين
الصحابة استدلالهم بجواز محاذاة القبلة حال قضاء الحاجة استقبالا واستدبارا (برؤية ابن عمر اياه) كما فى حديث
الشيخين عنه قال رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس) ورواية المصابيح مستدبر القبلة مستقبل الشام مع نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاستقبال
والاستدبار فى تلك الحال كما فى حديث الشيخين عن ابى ايوب اذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها
ببول ولا غائط ولكن شرقوا او غربوا والجمع الشافعى بينهما بحمل رواية ابن عمر على البناء ورواية ابى ايوب على الفضاء
وهو عندنا محمول على الضرورة او على ما قبل النهى (واحتج غير واحد) من الصحابة او الائمة اى كثير (منهم فى غير شئ)
اى واحد بل فى اشياء كثيرة ويروى فى رؤية شئ (مما بابه العبادة او العادة بقوله) اى الصحابى كانس رضى الله عنه
فيما رواه الشيخان انه قدم من سفر فرؤى على حمار يصلى لغير القبلة يومى فقيل له فقال (رأيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يفعله) ولعله عليه الصلاة والسلام كان فعله خارج البلد فاخذ انس بجوازه مطلقا وكذا ابن عمر سئل
عن اشياء فعلها فقال رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث
الموطأ عن عطاء بن يسار ان رجلا قبل امرأته وهو صائم فوجد من ذلك وجدا شديدا اى حزن حزنا كبيرا فارسل
امرأته تسأل عن ذلك فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يقبل وهو صائم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله ما يشاء
فرجعت امرأته الى ام سلمة فوجدت عندها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما بال هذه المرأة فاخبرته ام سلمة فقال
(هلا خبرتيها) بتشديد الموحدة واشباع كسرة التاء ياء وفى نسخة هلا اخبرتيها اى المرأة التى سألتك (انى اقبل وانا صائم)
فقالت قد اخبرتها وذهبت الى زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله
ما يشاء فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى اتقاكم لله واعلمكم بحدوده (وقالت عائشة رضى الله
عنها محتجة) اى مستدلة بجواز تقبيل الرجل وهو صائم (كنت افعله انا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
لا يعرف مخرجه على ما ذكره الدلجى وانما المعروف غسلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى اناء واحد على
ما رواه الترمذى وكذا فى الترمذى عن عائشة اذا جاوز الختان الختان وجب الغسل فعلته انا ورسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما مر فى حديث الموطأ (على الذى اخبر) بصيغة
المجهول (بمثل هذا) اى تقبيله وهو صائم (عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال
انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده) وروى ان رجلا جاء يستفتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تدركنى
الصلاة يعنى صلاة الفجر وانا جنب فاصوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا تدركنى الصلاة وانا جنب
فاصوم فقال الرجل يحل الله لرسوله ما يشاء فغضب عليه الصلاة والسلام وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اى
محارمه حيث قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها مبالغة فى الزجر عنها واما قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
فالمراد منها سهام المواريث المعينة وتزوج الزائدة على الاربع وزيادة الحد على جلد المائة فى الزانى والزانية ونحوها من
الاحكام المبينة (والآثار) اى الاحاديث والاخبار (فى هذا) الباب (اعظم) وفى نسخة اكثر (من ان نحيط) اى نحن
(بها) وفى نسخة من ان يحاط عليها (لكنه يعلم من مجموعها على القطع) فى مدلولها (اتباعهم) اى الصحابة (افعاله

واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شئ منها) اى من افعاله (لما اتسق) اى لما استوى وما انتظم ولا تحقق (هذا)
الذى سبق (ولنقل عنهم) اى خلاف ما هنالك (وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه الصلاة والسلام على الآخر قوله
واعتذاره بما ذكرناه) بان الله يحل لرسوله ما يشاء (واما المباحات) ولو على سبيل المشتبهات (فجائز وقوعها منهم)
بل متحقق صدورها عنهم (اذ ليس فيها قدح) اى منع (بل هى مأذون فيها وايديهم كايدى غيرهم من الامم مسلطة
عليها) بجواز الامتداد اليها فقد ورد فى الحديث ان الله سبحانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا (الا انهم) اى الانبياء وكذا اتباعهم الكمل من الاصفياء (بما خصوا به من رفيع
المنزلة) ومنيع الحالة (وشرحت) اى وبما اتسعت (له صدورهم من انوار المعرفة) اى واسرار الحكمة (واصطفوا)
بصيغة المجهول مخففة الفاء من الاصطفاء اى واختيروا (به) فى علو حالهم (من تعلق بالهم) اى قلبهم وتعلق حالهم
ويروى من تعلق بالتنوين وبالهم بتشديد الميم (بالله والدار الآخرة) فى مآلهم (لا يأخذون) اى لا يتناولون شيأ
(من المباحات الا الضرورات) لزهدهم فى الدنيا وتوجههم الى العقبى وطلبهم رضى المولى فيكتفون بها (مما يتقوون)
اى استعانة (به على سلوك طريقهم) فى تقوية ابدانهم وتهيئة زادهم لمعادهم (وصلاح دينهم) المتوقف على اصلاح
شأنهم (وضرورة دنياهم) المعينة على امور اخراهم مما لا بد منه ولا محيص عنه (وما اخذ على هذا السبيل) اى وفق
الشريعة والطريقة (التحق) ضبط بصيغة المجهول والمعلوم اى انقلب (طاعة وصار قربة) لان استعمال المباحات
وافعال العادات اذا اقترنت بتزيين النيات وتحسين الطويات انقلبت طاعات وعبادات كما انها تنقلب بفساد النيات
مكروهات بل محرمات وهذا معنى قول سيد السادات ومنبع السعادات انما الاعمال بالنيات (كما بينا منه)
اى من بعض تحقيق هذا الكلام وتدقيق هذا المرام (اول الكتاب) اى فى اوله (طرفا) اى نبذا طرفا (فى خصال نبينا
عليه الصلاة والسلام فبان لك) اى تبين (عظيم فضل الله على نبينا) اى خصوصا كما قال تعالى وكان فضل الله
عليك عظيما (وعلى سائر انبيائه) يروى الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض (بان جعل افعالهم قربات وطاعات) اى عبادات وان كانت فى صورة عادات فان عادات السادات سادات
العادات (بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية) بخلاف المحرومين من هذه المرتبة فان عباداتهم رسوم وعادات
وطاعاتهم عين المخالفة فى الحالات كما قال بعض ارباب الحال من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب

(فصل)

(وقد اختلف فى عصمتهم) اى الانبياء (من المعاصى) اى جملة المناهى (قبل النبوة) واظهار الرسالة (فمنعها قوم) بناء
على عموم العصمة الشاملة للاحوال المتقدمة والمتأخرة (وجوزها آخرون) حيث خصوا العصمة بحال النبوة
(والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب) اى سابق ولاحق (وعصمتهم من كل ما يوجب الريب) اى شبهة مخالفة علام
الغيب (فكيف) لا يكون الامر كذلك والعجب من ذكر الخلاف هنالك (والمسألة) اى والحال انها مع ثبوت المخالفة
(تصورها كالممتنع) اى المستحيل فى الذهن حصولها (فان المعاصى) كالكبائر (والنواهى) كالصغائر (انما تكون)
اى فى حيز المنع (بعد تقرر الشرع) اى ثبوته من الاصل والفرع (وقد اختلف الناس فى حال نبينا عليه الصلاة
والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا للشرع) وفى نسخة لشرع (فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ) اى
من التكاليف او لشرع كما فى نسخة (وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول) ويروى هذا الوجه (غير موجودة
ولا معتبرة فى حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية) من الوجوب والمندوب والحرام والمكروه (انما تتعلق بالاوامر
والنواهى وتقرير الشريعة) اى باصولها وفروعها كما هى وهذا بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم ظاهر لكن
يشكل بالنسبة الى اولاد ابراهيم عليه السلام مثلا كاسماعيل واسحق واولاد يعقوب على القول بنبوتهم فانه لا شك
انهم كانوا متبعين شريعة ابيهم او جدهم وكذا بالنسبة الى سليمان عليه السلام فانه كان على دين ابيه داود بل وكذا
داود وسائر انبياء بنى اسرائيل حيث كانوا على شريعة ابراهيم عليه السلام وانما نسخ فى التوراة والانجيل بعض الامور
وايضا بنو اسماعيل وهم العرب كانوا يتدينون بدين ابراهيم عليه السلام ويفتخرون به وانما احدث كفرهم بعبادتهم
الاصنام واحداث بعض الاحكام من نحو السائبة والحام وتجويز اكل الميتة ونحوها من الحرام وكان
فى جبلتهم وطريقتهم تحريم الزنى وقتل النفس بغير حق وتقبيح اكل مال اليتيم والسرقة ومذمة الكذب وامثالها
مما اتفق الانبياء القدماء على قبح افعالها واقوالها فينبغى ان يرجع الخلاف الى كيفية عبادته لانه عليه السلام كان
قبل النبوة فى مرتبة اباحته (ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها) اى على صحة تلك الحالة او المقالة (فذهب سيف

السنة) اى القاطع فى الحجة المبينة (ومقتدى فرق الامة) اى فى علم الكلام والمسائل المهمة (القاضى ابو بكر) اى ابن الطيب الباقلانى المالكى (الى ان طريق العلم بذلك) اى بكونه عليه الصلاة والسلام متبعا للشرع فى عبادة ربه هنالك (النقل) اى الينا ووصل لدينا اى فوآئد الاثر (وموارد الخبر من طريق السمع) اى الوارد على السنة نقلة يكونون فى مرتبة الجمع (وحجته) اى القاضى ابى بكر (انه) اى الشأن (لو كان ذلك) اى وقع هنالك (لنقل) اى الينا ووصل لدينا (ولما امكن كتمه وستره فى العادة) اى فى مجرى العادة الغالبة علينا (اذ كان) اى نقل خبره (من مهم امره واولى ما اهتبل به) بضم الفوقية وكسر الموحدة اى اغتنم به فى انتهاز فرصة لكون تعبده (من سيرته ولفخر) بفتح الخاء اى لافتخر (به اهل تلك الشريعة) على امته (ولاحتجوا به عليه) اى باتباع شريعة قبله بعد ادعاء نبوته (ولم يؤثر) اى لم يرو (شئ من ذلك جملة) فى سيرته من سريرته وعلانيته وفيه ان الظاهر المتبادر من حاله عليه الصلاة والسلام انه كان قبل النبوة على دين جده الخليل عليه السلام فى امر التوحيد وحج البيت العتيد وما كان معروفا من ملته وما الهمه الله سبحانه من معرفته مع انه لا احتجاج لاحد من ارباب الملل اذ كان بعضهم يدعى النبوة بعد متابعة بعض الانبياء السابقة كما وقع لانبياء بنى اسرآئيل عليهم السلام (وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا) حيث لم يجدوا بتصريح القضية نقلا (قالوا لانه) اى الشأن (يبعد ان يكون متبوعا من عرف) ويروى من كان (تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح) العقليين (وهى طريقة غير سديدة) اى غير مستقيمة (واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر) وقد قدمنا من بيان النقل ما يبطل ما بنوا عليه اساس العقل ومما يقويه ان موسى عليه السلام لما قتل القبطى قبل النبوة استغفر ربه وعد قتله معصية ولا شك انه كان على دين من قبله من انبياء بنى اسرآئيل وتابعا ثم صار بعد ذلك متبوعا وانما العقل يمنع فى الجملة امتناع كون واحد تابعا ومتبوعا من جهة واحدة لا من جهة مختلفة الا ترى الى قوله تعالى فآمن له لوط فانه كان تابعا لابراهيم عليه السلام فى عموم ملته ومتبوعا فى خصوص امته ونظير ذلك كون عيسى عليه السلام متبوعا فى اول امره ويكون تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم فى آخر عصره (وقد قالت طائفة اخرى بالوقف فى امره عليه السلام) اى فى شأنه قبل بعثته للعجز عن معرفته (وترك قطع الحكم عليه) اى على حاله هنالك (بشئ فى ذلك اذ لم يحل) من الاحالة وفى نسخة اذ لا يحيل اى لم يمنع (الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها) اى تلك الطائفة او المسألة (فى احدهما) اى احد الوجهين (طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى) اى ابن ابى محمد الجوينى المعروف بامام الحرمين من اتباع الشافعى وقد وافقه فى ذلك الغزالى ولا ادرى نصف العلم والعجز عن درك الادراك ادراك (وقالت فرقة ثالثة انه) ويروى ومالت فرقة ثالثة الى انه (كان عاملا بشرع من قبله) اى فى الجملة لاستحالة ان يكون عليه الصلاة والسلام مباحيا قبل البعثة (ثم اختلفوا) اى الفرقة الثالثة (هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه) لعدم ما يدل على تبيينه (واحجم) بتقديم الحاء على الجيم اى تأخر وبعكسه اى تقدم او تأخر فهو من الاضداد (وجسر بعضهم) اى اجترأ واقتحم ومنه قول الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والمعنى اقدم (على التعيين وصمم) اى عزم عليه وجزم (ثم اختلفت هذه المعينة) بكسر التحتية صفة الفرقة (فيمن كان يتبع) من ارباب النبوة قبل البعثة (فقيل نوح) وهو بعيد بحسب الزمان وكذا باعتبار معرفة احكام هذا الشان مع ان دينه منسوخ لظهور نبوة خليل الرحمن (وقيل ابراهيم) وهو الظاهر المتبادر والاظهر انه تابع لاسماعيل فانه كان رسولا بعد الخليل وهو على ملته ولم يعرف تبديل فى شريعته وهذا لا يصح اذ ملته نسخت بعيسى (وقيل موسى) (وقيل عيسى) وفيه ان موسى وعيسى انما كانا مبعوثين الى بنى اسرآئيل ولم يكن نبينا منهم (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة) حكى القاضى المؤلف هذه الاقوال الاربعة وبقى قولان احدهما آدم وهذا حكى عن ابن برهان بفتح الموحدة وثانيهما ان جميع الشرآئع شرع له حكاه بعض شراح المحصول عن المالكية واظن ان هذا هو الاوجه من الاوجه السابقة واللاحقة وهو المناسب لمقامه عليه الصلاة والسلام من مرتبة الجمع فى المرام ولانه كان مظهرا لاسم الذات المستجمع لجميع الصفات غايته انه كان قبل البعثة على تلك الحالة الجامعة بطريق الاجمال وبعدها على وجه التفصيل فى مراتب الكمال فلا ينافى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وهذا هو غاية الايقان ونهاية الاتقان والله المستعان (والاظهر فيها) اى فى المسألة (ما ذهب اليه القاضى ابو بكر) الباقلانى (وابعدها مذاهب المعينين) بكسر الياء المشددة (اذ لو كان شئ من ذلك لنقل الينا كما قدمناه ولم يخف) اى عن احد (جملة) اى جميعا هنالك (ولا حجة لهم فى ان

عيسى عليه السلام آخر الانبياء) اى انبياء بنى اسرآئيل (فلزمت شريعته من جاء بعدها) وفى نسخة بعده (اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام) كما يدل عليه قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرآئيل انى رسول الله اليكم (بل الصحيح انه لم يكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) فان دعوته عامة للجن والانس بل الى الخلق كافة كما بينته فى الصلات العلية بخلاف دعوة نوح فانه كان مختصا للانس دون الجن وسليمان كان مبعوثا اليهما الا انه مخصوص ببنى اسرآئيل والله تعالى اعلم بحقيقة الاقاويل (ولا حجة ايضا للآخر) يروى للآخرين (فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لان امره باتباعها انما كان بعد الوحى اليه والكلام قبله (ولا للآخر) اى ولا للآخرين (فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فانه ايضا بعد الوحى ومع هذا (فيحمل هذه الآية) وفى نسخة فيحتمل وفى اخرى فتحمل هذه الآية كما قبلها (على اتباعهم فى التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات وما يتعلق به من امور النبوات والفروع الكليات المجمع عليها فى جميع الحالات لاختلاف كل نبى فيما جاء كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا (كقوله اولئك) اى المذكورون من الانبياء والاصفياء (الذين هدى الله) اى هداهم واجتباهم واصطفاهم ومن متابعة الهوى زكاهم ونجاهم وعن المعاصى عصمهم ونجاهم (فبهداهم اقتده) بسكون الهاء للسكت وفى قرآءة بكسر الهاء وفى رواية باشباعها والضمير الى المصدر فتدبر (وقد سمى الله تعالى فيهم) اى فى الذين هدى الله (من لم يبعث) اى بالنبوة (ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول) وهذا مردود بقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية نعم لم يعرف له شريعة تخصه وهو ليس من لوازم الرسالة (وقد سمى الله تعالى جماعة منهم) اى من الانبياء (فى هذه الآية شرآئعهم) وفى نسخة وشرآئعهم (مختلفة لا يمكن الجمع بينها) اى فى الاحوال المؤتلفة (فدل) اى اختلافهم (ان المراد) بهداهم (ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) بنعت التفريد ولا يبعد ان يكون بعض الشرآئع المجمع عليها داخلا فى الامر بالاقتدآء بجميع افراد الانبياء (وبعد هذا) الذى تقرر وتحرر (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول) بالرفع (فى سائر الانبياء غير نبينا) عليه وعليهم الصلاة والسلام (او يخالفون بينهم) اى ويفرقون بينه وبينهم ففيه تفصيل مبنى على اصولهم (اما من منع الاتباع عقلا فيطرد) بتشديد الطاء اى فيستمر (اصله) ولم يختلف نقله من منعه (فى كل رسول) من غير تفرقة (بلا مرية) بكسر الميم وبضم اى بغير شك وشبهة (واما من مال الى النقل فاينما تصور له) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول (وتقرر اتبعه) وعمل كما يقتضى امره (ومن قال) ويروى من يقول (بالوقف فعلى اصله) من غير مفارقة لاصله (ومن قال بوجوب الاتباع) اى قبل الوحى (لمن قبله) من الانبياء (فيلتزمه) اى القول بموجبه (بمساق حجته فى كل شئ) وفى نسخة فى كل نبى

(فصل)

(هذا) الذى قدمناه من فصل العصمة (حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال) المنكرات الصادرة (عن قصد) اى تعمد (وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف) اى ويؤاخذ به فاعله (واما ما تكون) اى المخالفة فيه من الاعمال (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول بالغفلة فى الجملة (والنسيان) وهو الذهول بالمرة والكلية (فى الوظائف الشرعية) سوآء يكون من ارتكاب المنهيات او اجتناب المامورات (مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه) كالسهو فى الصلاة والكلام والنسيان فى الصيام وجواب اما قوله (فاحوال الانبياء فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوآء) كما يشير اليه قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وحديث رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما رواه الطبرانى عن ثوبان مرفوعا بسند صحيح (ثم ذلك) اى عدم المؤاخذة بالسهو والنسيان (على نوعين) احدهما (ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع) فيما يعمل به من الاصل والفرع (وتعلق الاحكام) امرا او نهيا او حدا او سائر شرآئع الاسلام (وتعليم الامة بالفعل) اى جنسه (واخذهم باتباعه) ويروى باتباعهم (فيه) اى فى ذلك الفعل ونحوه (وما هو) اى وثانيهما ما هو (خارج عن هذا) الذى طريقه البلاغ (مما يختص بنفسه) من واجبات ومندوبات ومباحات ومكروهات ومحرمات (اما الاول) اى من النوعين وهو ما طريقه البلاغ من الاحكام عملا وقولا (فحكمه) اى فى المام السهو به (عند جماعة من العلماء حكم السهو فى القول فى هذا الباب) اى باب ما طريقه البلاغ (وقد ذكرنا الاتفاق) من العلماء (على امتناع ذلك) اى امتناع المخالفة فى القول (فى حق النبى عليه الصلاة والسلام) اى من الانبياء (وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا) بالاولى (فكذلك) اى فمثل ما قالوا فى باب القول بعصمة النبى من امتناع جواز ذلك (قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز طروء المخالفة) بضم الطاء والرآء فواو ساكنة فهمزة وقد تبدل مشددة اى طريانها وجريانها وحدوثها وعروضها (فيها)

اى فى الافعال (لا عمدا ولا سهوا لانها) اى الافعال منهم (بمعنى القول) الصادر عنهم (من جهة التبليغ والاداء) اذ الامم مأمورون بمتابعات الانبياء قولا وفعلا ولا محيص لهم عن الموافقة اصلا (وطرق هذه العوارض) اى من السهو والخطأ والنسيان (عليها) اى على افعال الانبياء (يوجب التشكيك) للامم الموافقة (وبسبب المطاعن) من الطوائف المخالفة والمطاعن جمع مطعن محل الطعن وفى نسخة وبسبب الطاعن اسم فاعل من طعن فيه وعليه اذا عاب وقدح (واعتذروا) اى هؤلاء العلماء (عن احاديث السهو) اى فى بعض صلواته عليه الصلاة والسلام (بتوجيهات نذكرها بعد هذا) فى فصل على حدة (والى هذا) اى منع طرق المخالفة (مال ابو اسحق) اى الاسفرايني (وذهب الاكثر من الفقهاء) اى من ارباب الفروع من الاصول (والمتكلمين) اى من اصحاب الاصول (الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية) اى من الامور العلمية والعملية (سهوا) تمييز او منصوب بنزع الخافض اى عن سهو (وعن غير قصد) عطف بيان (منه) اى من النبى (جائز عليه) اى وقوعه منه (كما تقرر من احاديث السهو فى الصلاة) اى الثابتة فى الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة قال النووى وهذا هو الحق (وفرقوا) اى المجوزون له (بين ذلك) الفعل من الافعال الشرعية (وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول) اى من حيث شهد الله بان صدق عبدى (ومخالفة ذلك) الصدق ولو سهوا (تناقضها) اى تعارض المعجزة (واما السهو فى الافعال فغير مناقض لها) اى المعجزة لانه ليس من جنسها (ولا قادح) اى وغير طاعن (فى النبوة) لثبوتها مع وقوعه منها العدم منافاته لها (بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر) بكسر السين اى علاماته وذلك لان الانسان مشتق من النسيان واول الناس اول الناسى فقد قال تعالى فى حق آدم عليه السلام فنسى (كما قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر انسى) بفتح اوله (كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه (نعم) ليس نسيانه كنسيان غيره من كل وجه (بل حالة النسيان والسهو) اى نسيانه وسهوه (هنا) اى فى هذا المحل بخصوصه (فى حقه عليه الصلاة والسلام سبب افادة علم) لامته (وتقرير شرع) امته (كما قال عليه الصلاة والسلام) فى حديث الموطأ بلاغا لم يعرف وصله (انى لانسى) بفتح الهمزة والسين اى بانسائه سبحانه كما قال تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله انساك اياه (او انسى) بصيغة المفعول مشددا ويجوز مخففا اى ينسينى الله تعالى (لأسن) بفتح الهمزة وضم السين وتشديد النون اى لابين لكم ما يفعله احد منكم نسيانا لتأتسوا بى وتقتدوا بفعلى (بل قد روى لست انسى) اى حقيقة (ولكن انسى) بصيغة المجهول كما مر (لأسن) وهذا نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ايماء الى مقام الجمع (وهذه الحالة) اى من نسيانه ليسن (زيادة له فى التبليغ) اى تبليغ الرسالة (وتمام عليه فى النعمة) حيث امر الامة بان يقتدوا به فيما صدر عنه على جهة السهو والغفلة ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ويتم نعمته عليك (بعيدة عن النقض) بالضاد المعجمة اى عن ورود النقض من جواز وجود السهو والخطأ ووجوب الاقتداء (واعتراض الطعن) اى به وبغيره على السنة السفهاء وفى نسخة صحيحة بعيدة عن سمات النقص بالصاد المهملة اى النقصان واعراض الطعن اى على مجرد وقوع السهو والنسيان حيث تبين الحكمة الالهية فى ذلك الشان (فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر) بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء اى لا تبقى ولا تترك (على السهو والغلط بل ينبهون عليه) لينتبهوا او يتداركوا ما وقع لهم من السهو (ويعرفون) بصيغة المجهول مشدد الراء (حكمه) اى حكم السهو وما يترتب عليه (بالفور) فى الحال اى من غير تراخ (على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم) اوقبل موته (على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ) اى تبليغ شرائع الاسلام (ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلاة والسلام وما يختص به من امور دينه) اى اسرار ربه (واذكار قلبه) اى انوار لبه مما لم يفعله ليتبع فيه بل لينتفع به فى زيادة قربه عند ربه (فالاكثر من طبقات علماء الامة) وكذا من طوائف مشايخ الملة (على جواز السهو) اى الذهول والغفلة (والغلط عليه) لغلبة الاستغراق لديه (فيها) اى فى افعاله حين نزول الواردات اليه ولا يلحقه بذلك معرة ولا منقصة (ولحوق الفترات) اى الزلات بالنسبة الى علو الحالات (والغفلات) لعوارض الحادثات (بقلبه) المستغرق فى بحر حب ربه (وذلك) اى الحال الذى يعتريه هنالك (بما كلفه) بصيغة المجهول اى بما طوقه الحق ويروى بما تكلفه (من مقاساة الخلق) اى مكابدتهم (وسياسة الامة) اى محافظتهم ويروى وسياسات الامة (ومعاناة الاهل) من عاناه قاساه اى ملاحظة احوالهم ومراعاة افعالهم رقبائهم وعن نالهم (وملاحظة الاعداء) اى مراقبتهم ومحاذرتهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب عن تجرده للرب ويوجب فتورا يقتضى فى الجملة قصورا (ولكن ليس) صدور ذلك وظهور ما هنالك (على سبيل التكرار) اى المفضى الى حال الاكثار (ولا الاتصال) اى ولا على سبيل الاتصال فى مقام الانفصال (بل على سبيل الندور) اى القلة فى الانتقال

عن مشاهدة جمال ذى الجلال على وجه الكمال (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اى الشان (ليغان على قلبى) بصيغة المفعول والمعنى قد يحجب قلبى عن مشاهدة ربى بالاشتغال بامره والانتقال الى امضاء حكمه (فاستغفر الله) اى فى اليوم سبعين مرة او مائة مرة وهذا من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار بل كان فى كل وقت وحالة مترقيا الى مقام ومرتبة بعد الحال الاولى بالنسبة الى المرتبة الثانية العليا والمنزلة الاولى سيئة ومنقصة يحتاج فيها الى الاوبة وطلب المغفرة مما فيه صورة الحوبة كما يشير اليه قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (وليس فى هذا) اى فيما ذكر (شئ يحط) اى يضع (من رتبته ويناقض معجزته) اى يعارض من كرامته (وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه الصلاة والسلام جملة) اى من غير استثناء حالة (وهو مذهب جماعة من المتصوفة) اى متكلفى طريق التصوف ومنتحلى سبيل التعرف (واصحاب علم القلوب) بالحالات السنية الجلية (والمقامات) البهية العلية ويمكن الجمع بين كلام المثبتين للسهو والنافين للغلط واللهو ان ما وقع من افعاله عليه الصلاة والسلام فى صورة الغفلات وهيئة الفترات ليست على حقيقتها المترتب عليها نقصان مرتبة من الحالات او قصور فى رتبة علو المقامات فان سيئات ارباب السعادة حسنات وحسنات ارباب الشقاوة سيئات كما اشار اليه بعضهم بقوله

من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب

والحاصل ان ضعف بنية البشرية لا يقوى على مداومة تجليات الالهية فتارة يكون فى حالة الصحو واخرى فى حالة المحو وكذا تختلف المقامات بتفاوت غلبة الفناء ورجعة البقاء حتى يترتب عليه السكر والشكر والفكر والذكر والترقى والتدلى مع ان مقام جمع الجمع يقتضى ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة فلا يتصور فى حق الكمل منهم صدور الغفلة بالمرة فان اتباعهم ببركة اتباعهم وصلوا الى حد لو ارادوا ان يتركوا الطاعة او يغفلوا ساعة لم يقدروا على ذلك عكس حال ارباب الدنيا واصحاب الحجاب عن المولى فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل حزب مذهبهم (ولهم فى هذه الاحاديث) اى الواردة فى باب السهو (مذاهب نذكرها) وفى نسخة سنذكرها (بعد هذا) اى من غير تراخ فى الفصل الذى يليه (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا فى الفصول) السابقة ويروى فى الفصل اى الذى تقدم (قبل هذا) الفصل (ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلاة والسلام) من الافعال والاحوال السنية (وما يمتنع) فيه عليه السهو من الافعال البلاغية والاحكام الشرعية (واحلناه) اى وجعلنا وقوع السهو محالا (فى الاخبار) بفتح الهمزة او كسرها (جملة) اى من غير تفرقة بين كونها دينية او دنيوية (واجزنا وقوعه) اى وجوزنا وقوع السهو (فى الافعال الدينية) لعدم مناقضته حكم المعجزة وعدم مباينته وجه النبوة (قطعا) على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك) كما بيناه من حكمة ان كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة علم لامته وتقرير حكم ملته (ونحن نبسط القول فيه) اى فى هذا الفصل (ونقول الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين) كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه (فى السلام) اى سلامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) اى ركعتين فى احدى صلاتى العشى الظهر او العصر فقال ذو اليدين يا رسول الله أنسيت ام قصرت الصلاة قال لم انس ولم تقصر فقال أكما يقول ذو اليدين قالوا نعم فاتم ثم سلم ثم كبر وسجد ثم رفع قال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم (الثانى حديث ابن بحينة) بضم موحدة وفتح مهملة وسكون تحتية فنون فتاء وهى ام عبد الله زوج مالك مطلبية قرشية ابن القشب بكسر القاف واسكان الشين المعجمة فموحدة الازدى ويقال الاسدى قال النووى الازد والاسد باسكان الزاى والسين قبيلة واحدة وهما اسمان مترادفان لها وهما ازدشنوءة وعبد الله هذا كان حليفا لبنى المطلب بن عبد مناف قال بعض الحفاظ اسلم عبد الله ابن مالك هو وابوه وصحبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانكر الدمياطى فى حاشيته على صحيح البخارى ان يكون لمالك والد عبد الله هذا صحبة او رواية او اسلام وانما ذلك لعبد الله قال الذهبى فى تجريده مالك والد عبد الله ورد عنه حديث وصوابه لعبد الله وقال المزى فى اطرافه ومن مسند مالك بن بحينة ان كان محفوظا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حديث اصلى الصبح اربعا وحديث السهو فى الصلاة فى مسند عبد الله ابن مالك بن بحينة انتهى وفى الكاشف مالك بن بحينة الصحابى له فى السهو وعنه ابن حبان قال النسائى هذا خطأ والصواب عبد الله بن مالك كذا ذكره الحلبى وبهذا تبين خطأ الدلجى حيث جزم بقوله الثانى حديث

الشيخين عن مالك بن عبد الله بن بحينة (في القيام) اى قيامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) اى ركعتين سهوا
قال الانطاكى وحديثه فى السهو وهو ما روى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام فى صلاة الظهر وعليه
جلوس وفى رواية قام فى الشفع الذى يريد ان يجلس فلما اتم صلاته سجد سجدتين الحديث (الثالث حديث ابن
مسعود) فى الصحيح (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا) قال القاضى المصنف فى الاكمال قال
الامام احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة احاديث حديث ابى هريرة رضى الله عنه سجد سجدتين وحديث
ابى سعيد سجد قبل السلام وحديث ابن مسعود فى القيام الى خامسة وحديث ذى اليدين فى السلام من اثنتين
وحديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين (وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل الذى قررناه) اى لا فى الاخبار
الذى حررناه (وحكمة الله فيه) اى فى سهوه فى فعله (ليستن به) على بناء المفعول اى ليقتدى به فى امره (اذ البلاغ
بالفعل اجلى) بالجيم اى اظهر وارفع وفى نسخة بالحاء اى احسن واوقع (منه بالقول وارفع للاحتمال) اى ادفع له
عند بعضهم خلافا لغيرهم كما قدمناه ولعل الاظهر فى حكمته ان يكون تسلية لامته فى مشاركتهم معه فى سيرته
وطريقته واحوال بشريته كما اشار اليه بقوله انما انا بشر انسى كما تنسون (وشرطه) اى السهو فى حقه بخصوصه
للامر والاقتداء فى فعله كقوله (انه لا يقر) وفى نسخة لا يقرر بصيغة المجهول فيهما اى لا يبقى ولا يترك (على هذا
السهو) اى زمانا يمكن ان يقتدى به فى ذلك الامر (بل يشعر به) بصيغة المفعول اى بل يعرف وينبه (ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه) للناس (كما قدمناه) فى مقام الايناس (وان النسيان) اى باصله (والسهو) اى المترتب
عليه بفرعه (فى الفعل فى حقه عليه الصلاة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق) بالرسالة وقدم
بيان تحقيق هذه المقالة (وقد قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان (انما انا بشر انسى كما تنسون) كما يشير
اليه قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت (فاذا نسيت) اى آية (فذكرونى)
او المعنى اذا نسيت وفعلت شيئا غير ما تعرفون من شرعى فاعلمونى (وقال) كما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها
مرفوعا (رحم الله فلانا) كناية عن رجل (لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت اسقطتهن) اى تركتهن نسيانا (ويروى
انسيتهن) بصيغة المجهول وذكر التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا
يقرأ من الليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا كذا آية الحديث انتهى وقال النووى عن الخطيب البغدادى
ان فلانا المبهم هنا هو عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى انتهى ووقع بعد هذا الحديث فى البخارى وزاد
عباد الله بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت تهجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى فسمعت صوت
عباد فاعلمته وهو عباد بن بشر كما نقله ابن الملقن فى شرح البخارى عن ابن التين قال الحلبى ورأيت فى نسخة صحيحة
من شرح البخارى فى الشهادات فسمع صوت عباد بن تميم منسوبة الى العلامة الفربرى (وقد قال عليه الصلاة
والسلام) كما فى الموطأ بلاغا (انى لانسى) بفتح اللام والهمزة والسين (او انسى) بصيغة المجهول مشددا او يجوز مخففا
(لاسن) بضم سين وتشديد نون اى لابين ما يترتب على السهو من الحكم (قيل هذا اللفظ شك من الراوى) فاو للترديد
ولا يبعد ان تكون للتنويع فان النسيان قد يكون لغفلة من جانب الانسان وقد يكون لحكمة من جانب الرحمن
(وقد روى انى لانسى) اى غالبا او على وجه التقصير (ولكن انسى) بحسب التقدير (لاسن) فى مقام التقرير (وذهب
ابن نافع) بنون فى اوله قال التلمسانى هو عبد الله بن صانع وفى نسخة ابن رافع وفى اخرى ابن قانع (وعيسى بن دينار)
هو الطليطلى تفقه بابن القاسم جمع بين الفقه والزهد قال ابو اسحق فى طبقات الفقهاء صلى اربعين سنة الصبح بوضوء
العشاء الآخرة وشيعه ابن القاسم فراح عند انصرافه عنه فعوتب فى ذلك فقال اتلومونى ان شيعت رجلا لم يخلف
بعده افقه منه مات سنة اثنتى عشرة ومائتين (انه) اى حديث لانسى او انسى (ليس بشك وان معناه التقسيم) يعنى
التنويع (اى انسى انا او ينسينى الله) لورود نسبته عليه الصلاة والسلام النسيان الى نفسه تارة نظرا الى مقام الفرق
والى ربه اخرى اشارة الى مقام الجمع ايماء الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وردا على القدرية والجبرية
واثباتا للقدرة الجزئية كما هو مذهب اهل السنة السنية (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (يحتمل
ما قالاه) اى ابن نافع وابن دينار (ان يريد) اى النبى عليه الصلاة والسلام (انى انسى) بالبناء للفاعل (فى اليقظة)
لتأتى السهو فيها اختيارا (وانسى) بالبناء للمفعول (فى النوم) لتأتيه فيه اضطرارا وفيه ان قلبه عليه الصلاة
والسلام كان لا ينام فحاله نوما ويقظة سواء فى مراتب الاحكام للاحكام (او انسى) بصيغة الفاعل (على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشئ والسهو) اى الغفلة الناشئة عن شغل البال وتشتت الحال (وانسى) بصيغة المفعول
(مع اقبالى عليه وتفرغى له) اى فراغ خاطرى اليه (فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه)

وهو تسبب اختيار بمباشرته فى تحصيل معالجته (ونفى الآخر عن نفسه) وفى نسخة من نفسه (اذ هو فيه)
باعتبار مباديه البعيدة ومجاريه (كالمضطر) اليه لانه قدر فى الازل عليه ان يصدر منه بكسبه لديه فهو مضطر فى صورة
مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وفى السنة اهل الحكمة قال الجدار للوتد مالك تشقنى فقال سل من يدقنى (وذهبت
طائفة من اصحاب المعانى) وهم بعض الصوفية من ارباب المعالى (والكلام على الحديث) اى وذوى التكلم على
حديث سهوه وما يتعلق به من تحقيق المبانى (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة) فيترك منها
ما ليس عن علم به (ولا ينسى) فيها (لان النسيان ذهول وغفلة وآفة) اى عاهة مؤدية الى زوال المدرك من القوة
المدركة والحافظة بما يستولى على القلب ويغشاه مما يحجبه عن عبادة الرب (قال) اى ذلك البعض (والنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم منزه عنها) اى مبعد عن الغفلة مما يؤدى الى المنقصة (والسهو شغل) بذهول لا ينتهى الى زواله
من الحافظة فى احواله (فكان النبى عليه الصلاة والسلام يسهو فى صلاته) اى لا عنها (ويشغله عن حركات الصلاة
ما فى الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها) فلا يتركها عن علم فيها غير مبال بها ولا يخرجها عن وقتها بشهادة ويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اى غافلون (واحتج) اى ذلك البعض (بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى)
بصيغة النفى وفى نسخة زيادة ولكن انسى وحاصله ان النسيان المذموم المنتسب الى تقصير الانسان منفى عنه صلى الله
عليه وسلم بخلاف ما خلقه تعالى فيه اضطرارا لحكمة الهية كما تقدم والله تعالى اعلم (وذهبت طائفة اخرى) وهم بعض
الصوفية (الى منع هذا) اى ما ذكر من السهو والنسيان (كله) اى عنه كما فى نسخة (وقالوا ان سهوه عليه الصلاة
والسلام كان عمدا وقصد اليسن) بصيغة الفاعل او المفعول (وهذا قول مرغوب عنه) اى مردود فى الموارد
(متناقض المقاصد) لمناقضة السهو للعمد (لا يحلى) بالحاء المهملة على صيغة المفعول اى لا يظفر (منه بطائل) اى بنفع
حاصل يقال هذا الامر لم يحل منه بطائل اذا لم يكن فيه فائدة وقد صرح الجوهرى بانه لا يتكلم به الا فى الجحد وقد اتى به
المؤلف فى صورة النفى ولعله يسوغ ايضا او وقع سهوا من القلم والله سبحانه وتعالى اعلم (لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا فى حال) اى واحد وزمان متحد (ولا حجة لهم فى قولهم انه امر) اى امره الله تعالى (بتعمد صورة النسيان)
وهو بصيغة المصدر بعد باء التعدية وروى انه يتعمد بصيغة المضارع (ليسن لقوله انى لانسى او انسى) وفى نسخة زيادة
لاسن وهو بالوجهين على ما سبق (وقد اثبت) اى النبى عليه الصلاة والسلام ويروى فقد اثبت (احد الوصفين) وهو
النسيان من قبل نفسه او الانساء من قبل ربه (ونفى مناقضته) بالاضافة الى الضمير (التعمد والقصد) فلا يصح اثبات
العمد والقصد له عليه الصلاة والسلام ويروى مناقضة التعمد والقصد (وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون)
وفى رواية فاذا نسيت فذكرونى (وقد مال الى هذا) اى القول بانه امر بتعمد النسيان (عظيم من المحققين من ائمتنا)
يعنى المالكية (وهو ابو المظفر) ويروى ابو المطهر (الاسفراينى ولم يرتضه) بالضمير او بهاء السكت اى ولم يختره
(غيره منهم) اى من المالكية وغيرهم (ولا ارتضيه) يعنى انا (ايضا) لظهور تناقضه ووضوح تعارضه وقال النووى بعد
ما حكى هذا القول عن بعض الصوفية وهذا لم يقل به احد ممن يقتدى به الا الاستاذ ابو المظفر الاسفراينى فانه مال اليه
ورجحه وهو ضعيف متناقض (ولا حجة لهاتين الطائفتين) اى القائلة بانه عليه الصلاة والسلام كان يسهو فى صلاته
ولا ينسى والقائلة بان سهوه كان عمدا وقصدا (فى قوله انى لا انسى) بصيغة النفى على بناء الفاعل (ولكن انسى)
بصيغة المفعول (اذ ليس فيه نفى حكم النسيان) بالاضافة البيانية (بالجملة) اى بالكلية (وانما فيه نفى لفظه) اى
مبناه المشعر بعدم التفاته اليه (وكراهة لقبه) اى وصفه الذى يحمل عليه (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم
(بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا) لاعترافه بدخوله تحت وعيد ظاهر قوله سبحانه كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (ولكنه نسى) مشددا اى انساه الله من غير تقصير اياه لعارض او مرض ورواه
ابو عبيد بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسى ولكنه نسى وهو ابين من الاول وقد
رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى ويمكن انه كره نسبة النسيان الى النفس لانه تعالى هو الذى انساه لاستناد
الحوادث كلها اليه او لان النسيان مبناه الترك فكره له ان يقول تركت القرآن او قصدت الى نسيانه ولم يكن
باختياره اياه يقال انساه الله ونساه والحاصل ان اختلاف النفى والاثبات باعتبار لفظه ومبناه لتفاوت فحوى
الكلام ومقتضاه باعتبار معناه (او لنفى الغفلة) عن ربه (وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها) اى
بالصلاة عن الصلاة يعنى بفعل بعضها عن فعل بعضها (ونسى بعضها ببعضها) اى بعض الصلاة ببعض الغفلة عنها
ليبين للساهى فيها ما يجبرها بتركه شيئا منها (كما ترك الصلاة) على ما رواه الشيخان (يوم الخندق) اى زمان حفر

الخندق وهى غزوة الاحزاب وكانت فى السنة الخامسة بعد الهجرة فى شهر شوال منها (حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها) اى عن الصلاة (فشغل بطاعة) اى العليا وهى حراسة المدينة (عن طاعة) وهى اداء الصلاة الوسطى لما ورد شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا (وقيل ان الذى ترك يوم الخندق اربع صلوات) بالرفع على انه خبران ثم ابدل منه بقوله (الظهر والعصر والمغرب والعشاء) وهذا على قول الكوفيين واما على ما قاله سيبويه فيكون اعمال ترك وهو الثانى فيكون اربع منصوبا ذكره الحلبى ولعل الواقعة تعددت فى الغزوة (وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة) اى الى ان يخرج وقتها (فى الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له) ولا يبعد ان يقال انما كان ناسخا اذا كان قادرا على التمكن من ادائها بصلاة الخوف بخلاف ما اذا لم يتمكن من ادائها كما اذا كان العدو من كل جانب محاصرا على ما وقع فى الاحزاب والله تعالى اعلم بالصواب (فان قلت فما تقول فى نومه عليه الصلاة والسلام عن الصلاة يوم الوادى) كما رواه البخارى وقد قيل هو وادى ضجنان وهو موضع بجوار مكة وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من خيبر سار ليلة حتى اذا ادركه الكرى عرس ونام هو واصحابه فلم يستيقظ احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اقتادوا يعنى سوقوا رواحلكم فاقتادوا رواحلهم شيأ ثم توضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم الصبح (وقد قال) عليه الصلاة والسلام (ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) قال النووى هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى والجملة اعتراض بين السؤال وجوابه ورد حالا افادان قلبه لا يدركه نوم فكيف نام عن الصلاة حتى خرج وقتها (فاعلم ان للعلماء فى ذلك) اى فى دفعه وفى نسخة عن ذلك اى عن نومه فيه بالوصف المذكور هنالك (اجوبة) بالنصب على انه اسم ان (منها ان المراد بان هذا) الذى ذكر من اليقظة بربه (حكم قلبه عند نومه) اى نوم قلبه (وعينيه) اى وعند نوم عينيه او المعنى هذا حكم قلبه وعينيه حال اجتماعهما (فى غالب الاوقات وقد يندر منه) بضم الدال اى يقع نادرا (غير ذلك) من غفلة قلبه حال نوم عينيه (كما يندر من غيره خلاف عادته) والحاصل انه عليه الصلاة والسلام على ما قيل كان له حالان فى المنام احدهما انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك فى غالب اوقاته وثانيهما وهو ان ينام قلبه ايضا وهو نادر فصادف هذا الموضع حاله الثانى ثم اعلم ان فى بعض النسخ ضبط غيبته بدل عينيه واختاره الحلبى وقال الغيبة ضد الحضور وهو ظاهر وانما ذكرته لاحتمال ان يشتبه على من لا يعرف فيصحفه بعينيه تثنية عين وهى الجارحة الباصرة قلت هذا لا يصح لا من جهة الاعراب فى المبنى ولا من طريق الصواب فى المعنى لان غيبته اذا كان عطفا على قلبه لا يستقيم الكلام اذ التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وحكم عدم حضوره ولا خفاء فى قصوره واذا كان عطفا على نومه فيكون التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وعند عدم حضوره ولا يخفى ما فى هذا ايضا من بعد تصوره (ويصحح هذا التأويل) الذى افاد ان قلبه لا ينام غالبا وقد ينام نادرا (قوله عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث نفسه) اى نفس هذا الحديث المذكور وهو حديث الصلاة فى الوادى لا كما توهم الدلجى من انه حديث عيناى تنامان ولا ينام قلبى وقال التلمسانى صوابه ما عند ابن مليح فى اصله وقول بلال فى الحديث نفسه وهو معروف من قول بلال والمحفوظ من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله قبض ارواحنا) قلت هذا هو المراد وهو الصواب ولا يظهر لقول التلمسانى وجه فى هذا الباب مع ان رواية البخارى ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء (وقول بلال فيه) اى فى حديث صلاة الوادى فما ايقظهم الا حر الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وادى به شيطان اقتادوا فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح لا كما توهم الدلجى ايضا وقال اى فى حديث ان عينى تنامان جوابا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امر ان يكلأ لهم الفجر فقال عليه الصلاة والسلام اين ما قلت يا بلال فقال والله يا رسول الله (ما القيت على من نومة مثلها قط) لشدة تعب السيرة وتنصب السهر ولعل وجه كون قول بلال يصحح التأويل السابق انه وقع له عليه الصلاة والسلام من شدة الحال كما وقع لبلال فنام قلبه عليه الصلاة والسلام من كثرة الكلال (ولكن مثل هذا) اى النادر الوقوع (انما يكون منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (لامر يريده الله عز وجل) وفى نسخة يريده من الله (من اثبات حكم) تحته حكم (وتأسيس سنة) اى تأصيل قضية متبعة يبنى عليها فروع شريعة (واظهار شرع) من فرض او سنة لم يكن مبينا (كما قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا) اى من منامنا ظاهرا وباطنا (ولكن اراد) اى بغلبة النوم علينا (ان يكون) اى سنة (لمن بعدكم) يقتدون بها (الثانى) من الاجوبة (ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه) اى ناقض الوضوء فى نومه (لما روى)

فى صحيح البخارى وغيره (انه كان محروسا) اى محفوظا عن ان يقع منه حدث فى حال نومه (وانه كان ينام حتى ينفخ) بضم الفاء (وحتى يسمع) بصيغة المجهول (غطيطه) اى ترديد صوته الخارج مع نفسه (ثم يصلى ولا يتوضأ) لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه او بناء على حراسة ربه او لاختصاصه به (وحديث ابن عباس) فى الصحيحين (المذكور فيه) اى فى حديثه (وضوءه) اى وضوء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عند قيامه من النوم) مبتدأ خبره (فيه نومه مع اهله) اى ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس (فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه) اى على كون وضوئه (لمجرد النوم) مع اهله (اذ لعل ذلك) اى وضوءه هنالك (لملامسة الاهل) اى مساسه وبرى لملامسة اهله (او لحدث آخر) اى وهذا اظهر اذ لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام توضأ من لمس امرأة قط فتدبر او للتجديد المفيد للتنشيط (فكيف) لا يكون وضوءه بواحد مما ذكر (وفى آخر الحديث نفسه) اى المروى عن ابن عباس بعينه (ثم نام) اى ثانيا (حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ) اى اكتفاء بالوضوء الذى تقدم (وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم) كغيره من الانبياء فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ومن هنا يكفر ابن عربى حيث طعن على سيدنا ابراهيم الخليل انه اخطأ فى التعبير والتأويل وانه كان تأويل منامه انه يذبح كبشا فحمل المنام على ظاهره وقصد ذبح ابنه كما بسطت هذا فى محله (وليس فى قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية الشمس) اى واثر طلوعها من الفجر فى افق السماء (وليس هذا من فعل القلب) اذ قد يكون الشخص مستيقظا ولم يكن مطالعا لمطلع الشمس لا سيما اذا كان مغمضا عينيه خصوصا فى بقاء القمر الى آخر الليل وبعده وهذا انما هو على الفرض والتقدير والا فقد صح انه عليه الصلاة والسلام كان حينئذ فى استغراق المنام (وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله قبض ارواحنا) اى المدركة للامور الظاهرة (ولو شاء لردها علينا فى حين غير هذا) وهو قبل هذا الوقت لادراك الوقت ولكن اراد ان نعرف حكم فوت الوقت والحديث مقتبس من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ) بكسر همزة وصل فى اوله وفتح لامه وهمزة ساكنة فى آخره اى احفظ (لنا الصبح فقيل فى الجواب انه كان من شانه عليه الصلاة والسلام التغليس بالصبح) لعله فى الاسفار (ومراعاة اول الفجر) اى المختار وهو الاسفار وفى نسخة لمراعاة اول الفجر (فلا يصح ممن نامت عينه) وكذا ممن استغرق فى شهود ربه وعدم التفاته لغيره (اذ هو) اى الصبح (ظاهر) من الامور (يدرك بالجوارح الظاهرة) بل بالجارحة الباصرة وكانه جمع لجميع العيون الحاضرة (فوكل بلالا بمراعاة اوله) حقيقة او حكما (ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم) من اى عمل كان (عن مراعاته) اى محافظة اوقاته وقد اغرب التلمسانى فى عبارته والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يؤخر الصلاة الى وقت التغليس من الصبح (فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام عن قول نسيت) اى فى حديث لا يقول احدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى بضم النون وتشديد المهملة (وقد قال عليه الصلاة والسلام انى انسى كما تنسون فاذا نسيت) وفى رواية انسيت (فذكرونى) رواه ابو حنيفة رحمه الله فى مسنده (وقال) اى فى رواية اخرى (لقد اذكرنى) اى فلان (كذا وكذا آية كنت انسيتها) كذا فى النسخ والمناسب للسؤال الوارد نسيتها ليرد الاشكال بين النهى عن نسبة النسيان الى نفسه وبين اتيانه فى لفظه فانه تعارض بحسب ظاهره (فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض فى هذه الالفاظ) اى عند المحققين من الحفاظ لما سبق من التنبيه على شئ من التوجيه وهو نسبة الفعل الى الله تعالى حقيقة والى العبد مجازا فالاولى صرف القلب الى فعل الرب وايضا فعل النسيان من حيث انه ظاهر فى التقصير والنقصان مذموم بخلاف ما اذا اراد الله امضاءه وقدر عليه بان انساه اياه ولا يبعد ان يكون قوله انسيت بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناه انسانيه الله لقوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله واما بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام فمعناه انسانيه الشيطان كما قال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وكما قال عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه ونتيجة الفرق ان ما يكون مذموما ينسب الى الشيطان وما يكون محمودا ينسب الى الرحمن ومجمله ان كل نسيان صدر عن تقصير وتوان فيكون بسبب اغواء الشيطان وكل ما يكون بعارض مرض او كبر ونحوهما فهو بسبب اختيار الرحمن وايضا من معانى النسيان الترك فلا ينبغى للمؤمن ان يقول تركت آية حيث يتوهم منه ان يكون قصدا ولا يراعى رعاية ومن جملة الاجوبة قوله (اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ فعله) الظاهر كونه وفى نسخة حفظه (من القرآن اى ان الغفلة فى هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها) اى الى نسيانها (ليمحو ما يشاء ويثبت) بالتشديد والتخفيف وهذا احد معانى قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله اى اراد نسخه

كما قضاه وامضاه لكن هذا انما يكون جوابا عن قوله عليه الصلاة والسلام انى لا انسى ولكن انسى فلا يصلح
ان يكون تأويلا لنهيه عليه الصلاة والسلام للامة ان يقال نسيت آية كذا فلا رابطة بين السؤال والجواب والله
تعالى اعلم بالصواب (وما كان من سهو وغفلة من قبله) اى من جانب العبد (تذكرها) وكذا اذا لم يتذكرها (صلح)
بضم اللام وفتحها اى صح (ان يقال فيه انسى) بفتح الهمزة لا بضمها كما توهم الدلجى فبهذا الاعتبار ورد عنه
صلى الله عليه وسلم انى انسى كما تنسون فلا تعارض اصلا وقطعا (وقد قيل) اى فى الجواب عن ايراد السؤال المتضمن
للاشكال وهو التعارض الظاهر فى المقال (ان هذا) اى نسبة الانساء الى الله تعالى (منه صلى الله تعالى عليه وسلم
على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه) وهو الله تعالى اذ لا خالق له سواه (والآخر) وهو نسبة النسيان
الى نفسه (على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه) اى بنوع تسبب وتقصير منه (واسقاطه عليه الصلاة والسلام)
مبتدأ (لما اسقط من هذه الآيات) حق العبارة لبعض الآيات وهى التى اذكرها اياها بعض الامة (جائز عليه) وليس
من باب التقصير والسهو فى التبليغ (بعد بلاغ ما امر ببلاغه) اولا (وتوصيله الى عباده) كاملا (ثم يستذكرها) يروى
يستدركها (من امته) ثانيا (او من قبل نفسه) استحضارا (الا ما قضى الله نسخه) اى رفعه (ومحوه من القلوب) اى
من قلبه عليه الصلاة والسلام وقلب سائر الانام (وترك استذكاره) فى بقية الايام فانه من انواع نسخ الكلام (وقد
يجوز ان ينسى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول او الفاعل (ما هذا سبيله) اى المحو بعد البلاغ (كرة)
اى بالمرة (ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا فى الخبر) اى فى مبناه
او معناه (ثم يذكره اياه) كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وحاصله بيان عصمته عن ان يقع له خطأ فى قرآنه عند تبليغ امته (ويستحيل دوام
نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه) بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (وتكليفه) ويروى وتكفيله (بلاغه)
بقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك

(فصل)

فى الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به فى ذلك) اى ما استدلوا به من الظواهر هنالك (اعلم
ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم) اى تابعهم كما فى نسخة (على ذلك من
المتكلمين) كابى جعفر الطبرى وغيره (احتجوا على ذلك) اى على تجويزها عليهم (بظواهر كثيرة من القرآن) اى
القديم (والحديث) اى السنة (ان التزموا ظواهرها) من غير ان يأولوا اكثرها واتخذوها مذهبا وطريقة
(افضت بهم) اوصلتهم (الى تجويز الكبائر) عليهم (وخرق الاجماع) اى والى مخالفتهم (وما لا يقول به مسلم) اى من
تجويز الكبائر بعد البعثة عمدا فانه لا يقول به الا الحشوية (فكيف يجوزون الصغائر عليهم (وكل ما احتجوا به
مما اختلف المفسرون فى معناه) اى فى تأويل مبناه (وتقابلت الاحتمالات) او الاحتمالان (فى مقتضاه) اى موجبه
ومؤداه ومع وجود الاحتمال لا يصح الاستدلال (وجاءت اقاويل) جمع اقوال جمع قول اى اقوال كثيرة (فى هذا
المبحث) وفى نسخة فيها اى فى هذه القضية (للسلف) الصالحين من الصحابة والتابعين (بخلاف ما التزموه) اى بعض
الخلف (من ذلك) اى من تجويز ما هنالك وفى نسخة فى ذلك (فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا) اى بجمع المسلمين (وكان
الخلاف فيما احتجوا به قديما) من ايام المتقدمين (وقامت الادلة) اى العقلية (على خطأ قولهم وصحة غيره) اى غير
مقالهم (وجب تركه) جواب اذا (والمصير الى ما صح) دليله عقلا ونقلا على ان متابعة السلف اولى من موافقة الخلف
(وها) تنبيه (نحن نأخذ) اى نشرع (فى النظر فيها) اى فى التأمل والتفكر فى الادلة وما يترتب عليها من حكم
المسئلة (ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر) اى ما صدر منه جائزا وكان تركه اولى فغفر له بترك عتابه فى مقام خطابه (وقوله تعالى واستغفر لذنبك
كتقصير فى العبادة اورؤية الطاعة او غفلة الساعة او ملاحظة ما سواه فى مقام ان تعبد الله كانك تراه (وقوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك) اى ثقل اعباء الرسالة او مرارة وعناء الكلفة (الذى انقض ظهرك) اى كسره لولا انه سبحانه
وتعالى هون عليه وسهل امره لديه صلى الله وسلم عليه (وقوله تعالى عفا الله عنك) اى لو صدر ذنب منك (لم اذنت لهم)
اى للمنافقين المتخلفين اعلاما بان اذنه لهم كان من باب ترك الاولى كما بينه بقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين ودليل ذلك انه سبحانه وتعالى فوض الاذن اليه فى مقامه هنالك حيث قال فاذا استأذنوك لبعض
شأنهم فأذن لمن شئت منهم (وقوله تعالى لولا كتاب من الله) اى حكم ازلى ظهر منه وهو (سبق) من ان الغنائم تحل
لهذه الامة (لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) فهذه قضية فرضية لا يتفرع عليها نهى مسئلة فرعية يترتب على تركها

خصلة غير مرضية ثم ربما يقال كان الاولى انتظار الوحى الاعلى (وقوله تعالى عبس وتولى) اى كلح وجهه وتغير لونه
(ان جاءه الاعمى) اى كراهة مجيئه فى غير محله اللائق به ثم عدم التفاته عليه الصلاة والسلام اليه لسؤاله منه قبل تمام
الكلام من حضار مجلسه من الانام (الآية) اى الآيات بعدها مما وقع فيه المعاتبة على اقباله عليه الصلاة والسلام
على عباد الاصنام طمعا ان يدخلوا فى الاسلام وعلى اعراضه عمن جاءه ليستفيد منه بعض الاحكام لقوله وما يدريك
لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى
فانت عنه تلهى والاعمى هو عبد الله ابن ام مكتوم العامرى شهد القادسية ومعه اللواء فقتل وقد هاجر الى المدينة
وكان مؤذنه عليه الصلاة والسلام واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة وقيل مات بالمدينة (وما قص الله تعالى)
اى حكى وفى نسخة ما نص اى ما صرح سبحانه (من قصص غيره) بفتح القاف اى حكاية غيره وفى نسخة بكسرها اى
حكايات غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (كقوله وعصى آدم) اى خالف (ربه)
باكل الشجرة نسيانا او خطأ (فغوى) فضل عن المطلوب وزل عن المحبوب او عن المنهى عنه او عن طريق الرحمن حيث
اغتر بقول الشيطان او خاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة من حيث لم يوجد له الثمرة (وقوله تعالى فلما آتاهما)
اى الله تعالى اعطاهما (صالحا) اى ولدا سويا (جعلا) اى آدم وحواء (له) اى له سبحانه وتعالى (شركاء) وفى قراءة
شركا حيث سمياه عبد الحارث ولم يدريا ما الحارث وهو اسم للشيطان وقد وسوس لحواء حين حملت بانه ما يدريك
لعله بهيمة او كلب وانى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك فسميه عبد الحارث وكان اسمه
حارثا فى الملكية (الآية) اى فتعالى الله عما يشركون وهذا ليس بشرك حقيقى لانهما ما اعتقدا ان الحارث ربه
بل قصدا انه سبب صلاحه فسماه الله شركا للتغليظ فان الذنب من العارفين المقربين اشد واعظم والله اعلم
ويكون لفظ شركاء من اطلاق الجمع على الواحد او يقال انهما لما فعلا ذلك اقتدى بهما بعض الناس فيما هنالك
فسموا اولادهم عبد شمس ونحوه كما فى الجاهلية وكعبد النبى فى الاسلامية (وقوله تعالى) اى حكاية عن آدم وحواء
عليهما السلام (ربنا ظلمنا انفسنا) بوضع الشئ فى غير موضعه الاولى (الآية) اى وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين اى الخائبين الضائعين فى الدنيا والاخرى اذ لا يستغنى احد عن مغفرة ربه لنوع تقصير فى حقه قال
تعالى كلا لما يقض ما امره (وقوله تعالى عن يونس) اى حكاية (سبحانك انى كنت من الظالمين) اى ولو فى غفلة
ساعة او تقصير طاعة (وما ذكره من قصته) اى يونس كما سبق (وقصة داود) كما سيأتى (وقوله تعالى وظن داود انما
فتناه) اى ابتليناه (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى سقط حال كونه راكعا الى السجدة شكرا للمغفرة او عذرا للتقصير
فى الغفلة (واناب) اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فانها من المعصية (الى قوله مآب)
حيث جبر خاطره بقوله فغفرنا له ذلك ما كان فى صورة الذنب هنالك وان له عندنا لزلفى لقربة فى الباب وحسن
مآب مرجع الى الجناب (وقوله تعالى ولقد همت به) اى هم الشهوة (وهم بها) اى هم الخطرة (وما قص من
قصته مع اخوته) فيوسف ثابت نسبة نبوته ومنزه ساحته براءته واما ما سبق من امور اخوته فسيأتى بعض اجوبته
(وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى) اى ضربه بجمعه دفعا له عن ظلمه من غير قصد لقتل (فقضى عليه) اى
مات لديه (قال هذا من عمل الشيطان) نسب اليه لانه لم يكن امر ضرب به نزل عليه على ان الصحيح انه كان قبل النبوة
(وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه اللهم اغفر لى ما قدمت) اى من التقصير فى العبودية (وما اخرت) اى
الطاعة عن الاوقات الاولوية (وما اسررت) من الخواطر النفسانية (وما اعلنت) اى من العوارض الانسانية
(ونحوه من ادعيته عليه الصلاة والسلام) من اظهار التواضع والخضوع والخشوع والمسكنة وبيان المهابة
والخشية تعليما للامة وتكميلا للمرتبة ورفعة الدرجة (وذكر الانبياء) بالرفع اى وذكر الله تعالى الانبياء او بالجر
اى ومن ذكر الانبياء (فى الموقف) اى القيامة (ذنوبهم) خوفا من ربهم (فى حديث الشفاعة) لمشاهدة
الاهوال ومطالعة الاحوال الدالة على كمال غضب ذى الجلال فعدوا تقصيراتهم سيئات وخافوا عليها من التبعات
(وقوله انه) اى الشأن (ليغان على قلبى) اى فيحجب عن ربى (فاستغفر الله تعالى) من ذنبى على ما تقدم
(وفى حديث ابى هريرة انى لاستغفر الله) اى لاطلب مغفرة الذنوب وستر العيوب (واتوب اليه) اى ارجع عن
ملاحظة اسرار الخلق الى مطالعة انوار الحق (فى اليوم الواحد اكثر من سبعين مرة) لانه عليه الصلاة والسلام
كان يوصف الكائن البائن القريب الغريب العرشى الفرشى (وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لى وترحمنى الآية)
اكن من الخاسرين ومن الذى يستغنى عن مغفرة الله تعالى ورحمته ولو كان فى اعلى مراتب نبوته ومناقب
رسالته (وقد كان) اى نوح قبل ذلك (قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) اى كفروا (انهم مغرقون) وقد

خاطبه نوح فى ابنه فعاتبه ربه فى امره (وقال عن ابراهيم والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى) اى خطاى او ما كان من
عمد فى صورة ذنب لى (يوم الدين) اى الجزاء وفصل القضاء (وقوله عن موسى تبت اليك) اى رجعت عن سؤالى بعد
ما اظهرت لك حالى وطلبت منك مالى من منالى (وقوله ولقد فتنا سليمان) اى ابتليناه بالجاه الدنيوى اولا والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب ثانيا (الى ما اشبه هذه الظواهر) مع امثاله من الايات والروايات (قال القاضى رحمه الله
تعالى) يعنى المصنف (فاما احتجاجهم) اى استدلال المجوزين للصغائر على الانبياء (بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فهذا) الكلام المكنون (قد اختلف فيه المفسرون) اى فى تدقيق مبناه وتحقيق معناه (فقيل المراد
ما كان قبل النبوة وبعدها) من الحالة المجملة المحتملة فلا يكون فيه دليل على المسئلة (وقيل المراد ما وقع لك من
ذنب) سابقا (وما لم يقع) لاحقا (اعلمه الله انه مغفور له) حقا (وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك
بعدها) والمعنى ليغفر لك الله ما تقدم بمحو السيئة وما تأخر ببركة حراسة العصمة (حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك)
اى بخطابه لك ومن ذنبك (امته عليه الصلاة والسلام) على حذف مضاف (وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتاويل) وقع فيه زلة وهذا احسن ما قيل فى هذه المسألة (حكاه الطبرى) وهو محمد بن جرير (واختاره القشيرى)
وهو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك امام الشريعة والحقيقة وصاحب الرسالة فى الطريقة (وقيل ما تقدم لابيك
آدم وما تاخر من ذنوب امتك) على ان الاضافة لادنى الملابسة ولك معناه لاجلك (حكاه السمرقندى) وهو الفقيه
الامام ابو الليث من اكابر الحنفية (والسلمى) بضم السين وفتح اللام هو ابو عبد الرحمن الصوفى صاحب طبقات
الصوفيه ومؤلف التفسير فى التصوف (عن ابن عطاء وبمثله والذى قبله) اى وبمثل هذا التأويل والتأويل الذى تقدم
قبله (يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ههنا هى مخاطبة
لامته) لادنى الملابسة فى اضافته او بحذف مضاف عن مرتبته (وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) اى تفصيلا لحالى وحالكم (سر) بضم السين وتشديد الراء اى فرح (بذلك الكفار فانزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية) اى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله
نصرا عزيزا (وبمآل المؤمنين) وفى نسخة وبمآل المؤمنين بهمزة ممدودة قبل اللام اى بما يؤولون اليه (فى الاية
الاخرى بعدها) اى بعد الاية الاولى (قاله ابن عباس رضى الله عنه) فالاية الاولى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك والاية الاخرى التى اشار اليها هى قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات الى آخرها وهما على هذا التأويل
جواب لقوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وذلك لما نزلت وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فرح المشركون وقالوا واللات
والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية زائدة ولولا انه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لاخبره
الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا
ما يفعل الله بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الايات (فمقصد الاية) بكسر الصاد
اى مرادها (انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان) اى حقيقة او حكما (قال بعضهم المغفرة ههنا) اى فى هذه
الاية (تبرئة من العيوب) وتنزيه من الذنوب لان اصلها الستر فهو كالعصمة فى معنى الستر من الحجاب والمنع عن الوزر
(واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة قاله ابن زيد) اى ابن اسلم
(والحسن) اى البصرى (ومعنى قول قتادة) اى ابن دعامة (وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها) اى من الذنوب
(وعصم) بصيغة المجهول فيهما (ولولا ذلك) اى ما ذكر من الحفظ والعصمة (لاثقلت ظهرك) وفى نسخة ظهره
(حكى معناه السمرقندى) اى ابو الليث (وقيل المراد بذلك ما) اى الذى (اثقل ظهره من اعباء الرسالة) بفتح الهمزة
اى اثقالها او تحمل احمالها وتصبر احوالها (حتى بلغها) الى اهلها (حكاه الماوردى والسلمى وقيل) اراد
(حططنا) اى وضعنا اورفعنا (عنك ثقل ايام الجاهلية) اى اثقال آثامهم ومشاهدة اعلامهم المنكرة فى الشرائع
الاسلامية (حكاه مكى وقيل ثقل شغل سرك) اى خاطرك (وحيرتك) اى تحيرك فى باطنك وظاهرك (وطلب
شريعتك) وفق طريقتك (حتى شرعنا ذلك لك) بحسب حقيقة ما هنالك (حكى معناه القشيرى) اى فى تفسيره
(وقيل معناه) وفى نسخة المعنى (خففنا) بالتشديد (عليك) وفى نسخة عنك (ما حملت) بضم مهملة فتشديد ميم
مكسورة اى كلفت حمله (بحفظنا) اى لك (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم او بالفتح والتشديد (استحفظت)
بصيغة المجهول اى استرعيت (وحفظ عليك) اى امر لديك (ومعنى انقض اى كاد ينقضه) اى قارب ولم ينقض
فهو من باب مجاز المشارفة (فيكون المعنى) اى معنى الانقاض (على من جعل ذلك) اى عند من جعل ذلك الوزر
(لما قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها) اى تلك الامور

(اوزارا

(اوزارا او ثقلت عليه) ويروى وثقلت واثقلت (واشفق منها) اى خاف من غاية خشيته من الله وتصور عظمته
(او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته) اى حمايته (من ذنوب لو كانت) اى فرضا وتقديرا (لانقضت ظهره) واشغلت
فكره وشتت امره (او يكون) اى الوضع (من ثقل الرسالة) اى باداء ثقلها الى الامة وخلاصه عن الكفالة (او ما ثقل
عليه) اى امره (وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد) بالنصب اى حتى يعد
مخالفته (سيئة ولا عده الله تعالى عليه معصية) حيث اذن له بقوله فأذن لمن شئت منهم (بل لم يعده) بفتح الدال
المشددة وضمها (اهل العلم معاتبة) على انه فعل خلاف الاولى كما هو ظاهر قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين (وغلطوا) بتشديد اللام وبالطاء المهملة اى ونسبوا الى الغلط فى معنى الاية (من ذهب الى ذلك)
اى على خلاف ما هنالك (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح مهملة وواو مفتوحة وتحتية ساكنة وهاء
مكسورة (وقد حاشاه الله) اى نزهه (من ذلك) العتاب (بل كان مخيرا فى امرين) كما فى الكتاب (قالوا وقد كان له
ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه) بالبناء للفاعل او المفعول (فيه وحى) مشتمل على نهى (فكيف وقد قال الله تعالى)
اى له كما فى نسخة (فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم) اى لبعضهم وهم المنافقون بناء على ظنه انهم مؤمنون وكان
الاذن مختصا بالمؤمنين لقوله تعالى واستغفر لهم الله لان الله تعالى لم يأمره بالاستغفار للمنافقين (اعلمه الله تعالى
بما لم يطلع عليه من سرهم) اى باطنهم يقينا (انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج) اى لا اثم ولا تبعة (عليه فيما
فعل) اى من الاذن لهم (وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط) جملة حالية (اى لم يلزمكم ذلك) من الالزام الشرعى هنالك (ونحوه عن
القشيرى) فى تفسيره (قال) اى القشيرى (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب) بطريق الحصر (من لم يعرف كلام
العرب) اى مستوفيا (قال ومعنى) ويروى معناه (عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا) اى وضع عنك شيأ لم يضعه
لكان ذنبا (قال الداودى روى انها تكرمة) اى فى اول الكلام كالتقدمة ويروى انها كانت تكرمة (قال مكى هو
استفتاح كلام) لمن يكون من اهل اكرام (مثل اصلحك الله واعزك الله) خطابا للملوك والامراء او سائر العظماء
(وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله) من المعافاة وفيه نكتة خفية صوفية اى عافاك عنك وخلصك منك حتى
تكون بكليتك انا وبنا وآخذ اعنا وآمنا منا متمتعا بما تتمنى من غير ان تتمنى (واما قوله فى اسارى بدر ما كان
لنبى ان تكون له اسرى الايتين) يعنى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم روى انه لما كان يوم بدر جيء بالاسارى فقال عليه الصلاة
والسلام ما تقولون فى هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم
وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم لضرب اعناقهم
فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال عمر فهوى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وابو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شئ تبكى فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت
فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وانزل
الله تعالى ما كان لنبى الاية وقوله اسرى جمع اسير مثل قتلى وقتيل وقوله حتى يثخن فى الارض اى يبالغ فى قتل
المشركين ذكره البغوى وحاصل القضية ان الصديق كان مظهر الجمال كابراهيم وعيسى عليهما السلام فى قوله ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم والفاروق كان مظهر الجلال كنوح وموسى عليهما السلام
فى قوله ربنا اطمس على اموالهم وكان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مظهر الكمال الا انه يغلب عليه الجمال فلهذا مال
الى قول الصديق وعلى طبقه ايضا نزل القرآن على التحقيق وفى قوله سبحانه وتعالى لولا كتاب من الله سبق ايماء الى
قوله فى الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت والله ولى التوفيق فاذا عرفت ما تقدم
(فليس فيه الزام) ويروى فليس دليل الزام (ذنب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به)
من كريم الشيم (وفضل من بين سائر الانبياء) وامته من بين سائر الامم (فكأنه قال) تعظيما له وامتنانا
وتكريما (ما كان هذا لنبى غيرك) لكمال فضلك ورفعة قدرك وطولك (كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لى
الغنائم ولم تحل لنبى قبلى) روى لم تحل بضم التاء وفتح الحاء على بناء المجهول وبفتح التاء وكسر الحاء على بناء الفاعل

والاولى لمناسبة احلت هى الاولى (فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا) اى تختارونه (الاية) اى والله يريد الاخرة اى يختارها لكم والله عزيز غالب على امره حكيم فى قضائه وقدره وحكمه (قيل المعنى) بكسر النون وتشديد الياء اى المقصود (بالخطاب) والمراد بالعتاب (من اراد) و يروى المعنى بفتح النون بالخطاب لمن اراد (ذلك منهم) اى من الاصحاب لا لعزة قوة اهل الاسلام فى هذا الباب (وتجرد عرضه لعرض الدنيا) الذى فى صدد الزوال (وحده) اى لا يريد غيره (والاستكثار منها) لنفسه وهم بعض ضعفاء المؤمنين ومع هذا انما كانوا ارادوا الدنيا ليستعينوا بها على العقبى لكنه مقام ادنى بالاضافة الى تارك الدنيا كما قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر (وليس المراد بهذا) الخطاب المشتمل على العتاب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا علية اصحابه) بكسر العين المهملة وسكون اللام وفتح التحتية جمع على مثل صبى وصبية اى اشرافهم ورؤساؤهم ومن هنا قال ابن مسعود ولم اكن اظن احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ولما سمع الشبلى رحمه الله تعالى قال آه فاين من يريد الله واجيب عنه بلسان العبارة ان من يريد الاخرة هو من يريد الله لقوله تعالى والله يريد الاخرة وبلسان الاشارة فكانه سبحانه وتعالى يقول ان من يريد الله فهو ليس منكم بل منافى دنياه وعقباه ومستغرق فينا فى مقام الاحسان المعبر عنه بان تعبد الله تعالى كانك تراه مشتغلا بمولاه معرضا عما سواه فانيا عن غيرنا باقيا بنا لا ينظر الى دنيا ولا الى اخرى وهذا معنى قول بعضهم الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله وهذا محمل قوله عليه الصلاة والسلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب والله تعالى اعلم بالصواب (بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين وهو ما على القتيل من السلاح والثوب (وجمع الغنائم عن القتال) اى معرضين عنه فى ذلك الحال مخالفين لما كان عليه ارباب الكمال من عدم التفاتهم الى جمع المال (حتى خشى عمران يعطف) بكسر الطاء اى يكر (عليهم العدو) ويغلبهم (ثم قال تعالى لولا كتاب) اى مكتوب فى اللوح المحفوظ او حكم فى القضاء المحفوظ (من الله سبق) اى فى القدر وتحقق الامر بالاثر (واختلف) وفى نسخة فاختلف (المفسرون فى معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق منى) اى فى الازل (انى) وفى نسخة ان (لا اعذب احدا الا بعد النهى لعذبتكم فهذا) تعليق بالفرض والتقدير (ينفى) وفى نسخة فهذا كله ينفى (ان يكون امر الاسرى معصية) اى فى مقام التحقيق والتقرير (وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) اى القديم او المقدم رتبة على غيره من الكتاب اللاحق (فاستوجبتم به الصفح) اى الاعراض والعفو عن اختياركم الاعراض (لعوقبتم على الغنائم) اى اخذها فى جميع الاحوال او قبل الفراغ من تكميل القتال فيكون تقدير الاية بحسب الاعراب لولا ايمان كتاب عظيم الشان سبق لكم فيما مضى من الزمان لمسكم فى المستقبل لاجل ما اخذتم من الغنائم الدنيوية عذاب عظيم مشتمل على الاهوال الاخروية (ويزاد هذا القول تفسيرا او بيانا) اى تعبيرا او برهانا (بان يقال لولا) وفى نسخة لوما وفى اخرى لولا ما (كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم) فى مستقبل الزمان (لعوقبتم كما عوقب من تعدى) اى تجاوز عن الحد فى العصيان (وقيل) اى معنى الاية لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ (انها) اى الغنائم (حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفى الذنب والمعصية) من غير شك وشبهة (لان من فعل ما احل له لم يعص) فيما فعله (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) اى خالصا (وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير فى ذلك) اى بين القتل واخذ الفداء وانه عليه الصلاة والسلام كان من عادته ان يختار ايسر الامرين ويستشير اصحابه فى اختيار احد الحكمين فشاور الشيخين ومال الى رأى افضلهما فى الحال واجلهما فى المقال وكان امر الله قدرا مقدورا فى الازل لحسن الاحوال وزان الامال فى المآل (وقد روى عن على رضى الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام يوم بدر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا القتل) اى قتل الكفار فيها (وان شاؤا الفداء) فيكون (على ان يقتل منهم فى العام المقبل) اى فى السنة الاتية من غزوة احد (مثلهم) اى فى عددهم (فقالوا) اى جمهورهم ومنهم الصديق (الفداء) بالرفع اى مختارنا او بالنصب اى نختار الفداء (ويقتل منا) عدتهم ويكونون شهداء فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى بدر قال بعض الفضلاء هذا الحديث مشكل جدا لمخالفته ما يدل عليه ظاهر التنزيل ولما صح من الاحاديث فى امر اسارى بدر ان اخذ الفداء كان رأيا رأوه فعوتبوا ولو كان هناك تخيير بوحى سماوى لم تتوجه المعاتبة عليهم وقد انزل الله تعالى اليهم ما كان لنبى ان تكون له اسرى الى قوله عذاب عظيم واجيب بانه لا منافاة بين الحديث والاية وذلك ان التخيير فى الحديث وارد على سبيل الاختبار والامتحان ولله ان يمتحن عباده بما شاء ولعله سبحانه امتحن النبى صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم واصحابه بين امرين القتل والفداء وانزل جبريل عليه السلام بذلك هل هم يختارون ما فيه رضى الله تعالى من قتل الاعداء او يؤثرون الاغراض العاجلة من قبول الفداء فلما اختاروا الثانية عوتبوا على ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بما هنالك والاظهر فى الجواب والله اعلم بالصواب ان يقال انه عليه السلام شاور اولا بعض اصحابه الكرام فاختاروا الفداء ووافقهم ايضا فى ذلك المرام فعوتبوا فى ذلك المقام ثم خيروا بين احد الامرين من البلاء وهو قتل الاعداء من الاحياء او اختيار الفداء وكون سبعين منهم يصيرون شهداء فاختاروا ما جرى به القلم ومضى به القضاء (وهذا دليل على صحة ما قلناه) اى وقوة ما قدمناه (وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين) اى فى نفس الامر وان كان هو اقواهما فى رأيه (مما كان الاصلح غيره) اى عند غيره (من الاثخان) وهو تكثير القتل فى العدو (والقتل) كالتفسير لما قبله (فعوتبوا على ذلك) اى اختيار الاضعف فيما هنالك حيث اخطأوا فى الاجتهاد واصاب بعضهم فى هذا الباب حين وافق رأيه فصل الخطاب كعمر بن الخطاب (وبين لهم) بصيغة المفعول (ضعف اختيارهم) اى الاولين (وتصويب اختيار غيرهم) اى الاخرين (وكلهم غير عصاة ولا مذنبين) لكونهم مجتهدين فى امر الدين (والى نحو هذا) التأويل (اشار الطبرى وقوله عليه الصلاة والسلام) مبتدأ فى الكلام (فى هذه القضية) وفى نسخة فى هذه القصة (لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر) اى ومن تبعه فى هذا الامر المقرر (اشارة الى هذا) هذا هو الخبر وفى نسخة اشار الى هذا (من تصويب رأيه) اى رأى عمر (ورأى من اخذ بأخذه فى اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه) اى افنائهم واهلاكهم من اصله وذلك لما ورد فى حقه من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بعمر كما ورد فى بعض الخبر (وان هذه القضية لو استوجبت عذابا) اى بالفرض والتقدير (نجا منه عمر ومثله) اى ومن قال بمثل قوله (وعين عمر) فى الخبر (لانه اول من اشار بقتلهم) وتبعه بعض الصحابة فى الاثر (ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا) اى نازلا يتحقق (لحله لهم فيما سبق وقال الداودى والخبر بهذا) اى التخيير (لا يثبت) الاولى لم يثبت (ولو ثبت) اى فرضا (لما جاز ان يظن) بصيغة المجهول اى يظن احد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك) وكانه خالف جمهور العلماء الاعلام فيما قرروا ان له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد فى الاحكام بل وقد فوض اليه كثير من احكام الاسلام او المعنى انه عليه الصلاة والسلام ما جعل له فعل ذلك من تلقاء نفسه مستبدا برأيه من غير تأويل فى امره (وقال القاضى بكر بن العلاء) اى المالكى (اخبر الله تعالى نبيه فى هذه الاية ان تأويله) اى ما اختاره من الاشياء (وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان) اى وقع (قبل هذا فادوا) فعل ماض من المفاداة اى فدى بعض اصحابه (فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى) اخوه العلاء من اكابر الصحابة (بالحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية فمهملة مولى هشام بن المغيرة المخزومى (وصاحبه) وهو عثمان ابن عبد الله اسر ومات كافرا (فما عتب الله تعالى ذلك عليهم) اعلم ان عبد الله بن جحش بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة فشين معجمة هو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عليه الصلاة والسلام فى جمادى الاخرة فى السنة الثانية من الهجرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير قريش وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد وهم سعد بن ابى وقاص وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وابو حذيفة ابن عتبة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وقيل ان هذه السرية كانت اكثر من ذلك قال ابن سعد بعث عبد الله بن جحش فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين انتهى وفى هذه السرية سمى عبد الله بن جحش امير المؤمنين فساروا على بركة الله حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل تجارة من الطائف فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله قرمى واقد بن عبد الله عمرا ابن الحضرمى فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستأسر والحكم وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم فاستاقوا العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم الحكم بن كيسان واقام بالمدينة وحسن اسلامه فقتل يوم بئر معونة وصاحبه عثمان بن عبد الله رجع الى مكة ومات بها كافرا كذا ذكره التلمسانى وليس فيه ما يدل على فداء على انه لو ثبت فهذا فداء كافر بمسلم وما نحن فيه فداء كافر بمال فلا يستويان فى مآل ثم رأيته ذكر فى محل آخر ان الحكم بن كيسان كان ممن اسر فى سرية عبد الله بن جحش حين قتل واقد التميمى عمرا بن الحضرمى اسره المقداد قال فاراد امير نا ضرب عنقه فقلت له دعه نقدم به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمنا به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه انتهى وهذا كما ترى ليس فيه ذكر فداء لا بمال ولا بغيره وانما هو تأخير امره الى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقه وقد صرح الحجازى بان الباء فى بالحكم تتعلق بفادوا لا بقتل فان الحكم اسلم وصاحبه

لحق بمكة ومات بها كافرا والله سبحانه وتعالى اعلم (وذلك قبل بدر بازيد من عام) بل كانا في سنة واحدة فان تلك في رجب
في السنة الثانية وبدر في رمضان فيكون قبل بدر بشهر (فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان
الاسرى كان على تأويل وبصيرة) اى اجتهاد صادر عن فكرة (وعلى ما تقدم قبل) مبنى على الضم وقوله (مثله)
مرفوع فاعل تقدم (فلم ينكره الله عليهم لكن الله اراد لعظم امر بدر) ويروى لعظيم امر بدر (وكثرة اسراها) اى اساراها
(والله تعالى اعلم) جملة معترضة بين الفعل ومفعوله اعنى (اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم) ويروى بتعريف
(ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب) فضلا عن طريق عقاب (وانكار وتذنيب) اى
نسبة الى ذنب (هذا معنى كلامه) اى كلام بكر بن العلاء وتمام مرامه (واما قوله تعالى عبس) اى بوجهه (وتولى)
اعرض بجنبه (الايات) كما قدمناها (فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام) اى يستحق به الملام (بل اعلام الله
تعالى) اى له في ذلك المقام (ان ذلك المتصدى له) بصيغة المجهول اى المتعرض له بالتوجه والاقبال (ممن لا يتزكى) اى
لا يتطهر من الشرك في الاستقبال وان الاشتغال به من جملة تضييع الاحوال وهذا معنى قوله وما يدريك لعله يزكى
اى الاعمى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى اى تتعرض وما عليك الا يزكى اى ان لم يؤمن
فما عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى وهو يخشى اى الله تعالى فانت عنه تلهى اى تتلهى وتتشاغل عنه وتعرض
عن التوجه اليه والاقبال عليه (وان الصواب) في هذا الباب (والاولى) بالنسبة الى حاله الاعلى (كان لو كشف)
وفي نسخة ما لو كشف اى بين وظهر (لك) وفي نسخة له (حال الرجلين) من الاعمى في الظواهر والبصير في السرائر
ومن عكسه وهو البصير صورة والاعمى سيرة بل هو الاعمى حقيقة فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور ومنه قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله وما يستوى الاعمى والبصير (لاختيار
الاقبال على الاعمى) والاعراض عن الاخر من اهل الدنيا الا انه عليه الصلاة والسلام لحرصه على ايمان الانام ادى
اجتهاده الى ان التفاته اليه يكون سببا لايمانه بما نزل عليه (وفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل) اى
هنالك (وتصديه) اى تعرضه واقباله (لذلك الكافر) لكونه من الاكابر وايمانه باعث لقومه من الاصاغر
(كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه) في مقام رضاه (واستئلافا له) اى طلب الفة حين اواه (كما شرعه الله تعالى له)
فيما قضاه (لا معصية ولا مخالفة له) في مؤداه (وما قصه الله تعالى عليه) اى حكاه (من ذلك اعلام بحال الرجلين)
اى المؤمن والكافر او الصالح والفاجر او الفقير الصابر والغنى المكابر مثلا (وتوهين الكافر) اى جنسه وفي نسخة
امر الكافر (والاشارة) الاولى واشارة (الى الاعراض عنه بقوله وما عليك) اى ضرر ووبال (الا يزكى) بعد ما بلغت
الرسالة واديت الامانة ونصحت وبلغت النصيحة بقدر الطاقة (وقيل اراد) ويروى المراد (بعبس وتولى) اى بضميره
(الكافر الذى كان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام) بتشديد الميم الاولى هو على بن محمد بن احمد البصرى
من اصحاب الابهرى وكان حسن الكلام قيل ان اباه كان نصرانيا له كتاب الحماسة ومجموع عمله فحول الشعر آنشأ
بمصر وقيل انه كان يسقى الماء بالجرة في جامع مصر توفي بالموصل سنة احدى وثلاثين ومائتين وهذا التأويل مخالف
لظاهر التنزيل بل كاد في مقام النزاع ان يكون مخالفا للاجماع قال ابو محمد ابن عبد السلام في تفسيره الصغير الاعمى
عبد الله ابن ام مكتوم وكان ضريرا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستقرئه ويقول علمني مما علمك الله فجعل
يناديه ويكرر النداء وهو لا يعلم تشاغله عنه فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه فعبس واقبل
على العباس وامية وجاء اليهما وفي تفسير البغوى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
يناجى عتبة بن ربيعة واباجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية فعلى هذا يكون
ال في الكافر للجنس روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى
ويقول هل لك من حاجة (واما قصة آدم عليه الصلاة والسلام) في متفرقات الكلام (وقوله تعالى فأكلا) اى آدم
وحواء (منها) اى الشجرة المنهية (بعد قوله) لهما (ولا تقربا هذه الشجرة) اى جنسها او عينها (فتكونا من
الظالمين) اى العاصين فيكون النهى للتحريم او من الواضعين للاشياء في غير موضعها على ان يكون النهى
للتنزيه (وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة) وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها علوم الله من كل
لون وطعم وقيل غير ذلك (وتصريحه تعالى عليه) اصالة وعلى حواء تبعية (بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اى
جهل) مقامه وضل مرامه (وقيل اخطأ) في اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى الشجرة بعينها والحال ان النهى
كان متوجها الى جنسها او عرف اولا ان المراد جنسها فنسى فحملها على خصوصها وانما اوّلنا هذه التأويلات كلها
(فان الله تعالى قد اخبر) وفي نسخة قد اخبرنا (بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم) اى امرناه ووصيناه (من قبل) اى قبل

خروجه من الجنة او قبل ظهور الذرية (فنسى) امرنا بالكلية او محل نهينا في الجملة (ولم نجد له عزما) على المخالفة
او لم نجد له عزيمة جزما على الموافقة فانه لما اشتبه عليه الحال من ان النهى عن عين تلك الشجرة او جنسها كانت العزيمة
ان يجتنبها بالكلية ولن يعمل بالرخصة في القضية ولذا قيل ان آدم عليه السلام لم يكن من اولى العزم فقد قال تعالى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وكذا يونس عليه السلام فقد قال عز وجل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت (قال ابن زيد) اى ابن اسلم وقد تقدم (نسى عداوة ابليس له) هنالك (وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية) اى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اى فتتعب انت بالاصالة وزوجك بالتبعية (وقيل نسى ذلك
بما اظهر لهما) من النصيحة اى الشيطان على وجه الخديعة وحلفه في القضية (وقال ابن عباس انما سمى الانسان
انسانا لانه عهد اليه) بصيغة المجهول (فنسى) وفيه اشكال لان الظاهر ان حروف اصول الانسان انس كما يدل
عليه قوله تعالى يا معشر الجن والانس وقال في القاموس الانس البشر كالانسان والواحد انسى جمعه اناسى وقرأ يحيى
ابن الحارث واناسى كثيرا ومهموز الفاء واما النسيان فمادته ناقصة يسمى معتل اللام فاختلفا مادة اللهم
الا ان يقال اصل الانسان انسيان فنقلت حركة الياء الى ما قبلها بعد سلب حركته فحذفت تخفيفا لكثرة استعماله
فصح ما يقال اول الناس اول الناس والله اعلم (وقيل لم يقصدا) اى آدم وحواء (المخالفة استحلالا لها) اى جعلها
حلالا فانه لا يصح عنهما اجماعا (ولكنهما) باشرا مكروها الا على قصد مخالفتهما امر ربهما بل بسبب انهما (اغترا
بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا) اى كاذبا كذبا يوجب الحنث اى الاثم
(وقد روى عذر آدم بمثل هذا) الاغترار (في بعض الاثار) ولا شك ان هذا نوع من الاعذار (وقال ابن جبير) وهو
سعيد من اجلاء التابعين (حلف بالله تعالى لهما) اى متكررا (حتى غرهما والمؤمن يخدع) وفي الحديث
المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم رواه ابو داود والترمذى والحاكم في مستدركه عن ابى هريرة (وقد قيل) يروى
وقال اى ابن جبير (نسى ولم ينو المخالفة) وهذا ظاهر (فلذلك قال) اى الله سبحانه وتعالى (ولم نجد له عزما اى
قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم) اى الاحتياط في الامر (والصبر) اى عن المخالفة
بالتحمل على مرارة الموافقة (وقيل كان) اى آدم (عند أكله سكران) اى من حب المولى كما قيل في آية لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى من حب الدنيا او من خمر الجنة (وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر)
وروى انه لا يسكر لان الخمر قد تذكر ويمكن ان يقال لعلها كانت تسكر ثم سلب الله تعالى سكرها ويناسبه انها كانت
حلالا في الدنيا اولا وصارت حراما آخرا والله سبحانه وتعالى وصف خمر الجنة بما يكون نعتها بعد القيامة ويؤيده
ان الجنة لا يكون فيها التكليف آخرا وقد صح تكليفهم ما فيها اولا (واذا) وفي نسخة فاذا (كان) اى اكله (ناسيا لم يكن
معصية وكذلك اذا كان ملبسا) بتشديد الموحدة المفتوحة اى مخلطا (عليه غالطا) اى مخطئا (ذ الاتفاق على
خروج الناسى والساهى من حكم التكليف) وفيه ان الله سبحانه وتعالى قد صرح بعصيانه فينبغي ان يقال النسيان
او الخطأ لم يكن معفوا حينئذ كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
رواه الطبرى عن ثوبان (وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة) بل وهو الظاهر من
سياق القضية لقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى الاية (ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم
ربه فغوى ثم اجتباه ربه) اى بالنبوة (فتاب عليه) اى فوفقه للتوبة والثبات على الطاعة او فرجع عليه بقبول التوبة
ونزول الرحمة (وهدى) به الامة (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى (ان الاجتباء والهدى) وفي نسخة الهداية (كانا)
وفي نسخة كان اى كل واحد منهما (بعد العصيان) بدلالة الفاء التعقيبية (وقيل بل اكلها متأولا) لان المنهى عنه
لم يكن مصرحا (وهو لا يعلم انها) اى الشجرة التى اكل منها هى (الشجرة التى نهى عنها لانه تأول) اى حمل (نهى الله
تعالى على شجرة مخصوصة) اى عليها بعينها (لا على الجنس) الشامل لها ولغيرها فاكل مما عداها (ولهذا قيل انما
كانت التوبة من ترك التحفظ) وهو التحرز ورعاية الاحوط في باب الموافقة (لا من المخالفة) اى الصريحة في الواقعة
(وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم) ولم يعلم ان الاصل في النهى ان يكون للتحريم والحاصل انه حمل النهى على
التنزيه الذى يوجب للمكلف نوعا من التخيير وان كان الاولى هو الانتهاء لاسيما بالنسبة الى الانبياء والاصفياء (فان
قيل فعلى كل حال) اى تقدير وتأويل (فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) فاثبت له العصيان والغواية (وقال
فتاب عليه) والتوبة لم تكن الا عن المخالفة (وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه) حين يخاف ربه قائلا (وانى نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت) اعترافا بذنبه وتواضعا لربه (فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه) مما وقع لغير آدم من اخوانه
وامثاله (مجملا) شاملا له ولغيره (آخر الفصل) يعنى في الفصل الذى يلى آخر هذا الفصل (ان شاء الله تعالى واما قصة

يونس عليه السلام) وقد تقدم انه بضم الياء والنون اشهر لغاته من تثليث النون مع الهمز وعدمه (فقد مضى الكلام على بعضها آنفا) بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة اى قريبا (وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق) اى من مولاه او من امته لشكواه او من تحمل اعباء النبوة ومقتضاه (وذهب مغاضبا) اى على امته او على نفسه وحالته من ضيق قلبه وقلة صبره (وقد تكلمنا عليه) بحسب ما ظهر لنا من امره (وقيل انما نقم الله) بفتح القاف وبكسر اى انكر (عليه) اى عاب او كره (خروجه عن قومه) من غير اذن ربه (فارا من نزول العذاب) اى لئلا يشاهد حلول العقاب وحصول الحجاب (وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم) برفعه لاسلامهم بعد خروجه ووصول خبرهم اليه (قال والله لا القاهم بوجه كذاب) اى صورة (ابدا) حياء من الخلق بمقتضى العادة البشرية وهو بالوصف او الاضافة (وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك) وفيه ان اخباره بالعذاب كان مبنيا على اصرارهم بالكفر الموجب للعقاب واذا لم يقتلوه وهم مشركون كيف يتصوران يقصدوا قتله وهم مؤمنون (وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة) اى اثقالها وشدائدها واهوالها ومكابدة احوالها (وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم) بفتح اوله اى بل صدق لهم وقد شاهد واصدق كلامه بآثار العذاب ومقدمة العقاب فآمنوا فارتفع الحجاب كما اخبر الله تعالى عنه بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى (وهذا) اى الذى ذكرنا (كله) على وجه قررنا (ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه) لطائفة (وقوله ابق الى الفلك المشحون) اى المملوء (قال المفسرون تباعد) اى عن قومه تباعد المملوك عن مالكه حيث امره الله تعالى بكونه عندهم وفق امره وبهذا التقرير لا يضر لو قيل ابق من ربه وسيده لتخلفه عن حكمه بتباعده وفى ابق ايماء الى بقائه على عبوديته وتحت قضائه وربوبيته (واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه) حتى قيل لمن وضع حب غير ربه فى صدره وقلبه هو ظالم لنفسه ومنه قول العارف ابن الفارض

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

بل عد الصوفية السنية الغفلة عن الله تعالى وارادة ما سواه ظلما بل كفرا وشركا وقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال العارف ايضا

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى

(فهذا اعتراف منه) اى من يونس عليه السلام (عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون) فعله ذنبا (لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله) بصيغة المجهول اى كلفه (او لدعائه بالعذاب على قومه) بعد يأسه من ايمان قومه (وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ) بذنبه اذ لا يجب على الله تعالى شئ من عفو او عقوبة وسائر حكمه ويحتمل ان دعاء نوح عليه السلام كان عن اذن من ربه بخلاف يونس عليه السلام فى حق قومه وهو الظاهر لعلمه سبحانه وتعالى بايمان قومه فى آخر امرهم (وقال الواسطى) من اكابر الصوفية المتقدمين (فى معناه) اى معنى قوله سبحانك انى كنت من الظالمين (نزه ربه عن الظلم) اذ لا يتصور منه (واضاف الظلم الى نفسه اعترافا) بقصوره (واستحقاقا) لعفوه (ومثل هذا قول آدم وحواء) بالمد فعلاء من الحياة وهى ام بنى ادم وسماها آدم حواء حين خلقت من ضلعه فقيل له من هذه فقال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم ذلك قال لانها خلقت من حى (ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما) اى فى وضعه سبحانه وتعالى اياهما (فى غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما) اى وكانا السبب فى اخراجهما (من الجنة وانزالهما الى الارض) وهى مكان المحنة والمشقة ودار الكلفة (واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت) الاولى فيجب ان لا يلتفت (الى ما سطره) بتشديد الطاء وتخفيفها اى كتبه (فيها) اى القصة وفى نسخة فيه اى فى الامر (الاخباريون) بفتح الهمزة اى الناقلون (عن اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى (الذين بدلوا) اى الفاظ التوراة ومبناها (وغيروا) معناها ومقتضاها (ونقله) عنهم (بعض المفسرين) اعتمادا على اخبارهم عن احبارهم وقد وردان من العلم جهلا (ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح) موافق لما هنالك (والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه) اى ابتليناه وامتحناه (فاستغفر ربه) اى طلب غفران مولاه فى دنياه واخراه (الى قوله وحسن مآب) يعنى وخر راكعا اى وسقط للسجود بالخضوع والخشوع حال انتقاله من الركوع واناب اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فهى الرجوع من المعصية الى الطاعة فغفرنا له ذلك اى ان كان له ذنب هنالك وان له عندنا لزلفى اى لقربى وحسن مآب مرجع الى الجناب (وقوله فيه) اى فى حقه واذكر عبدنا داود ذا الايد اى صاحب القوة فى الطاعة (انه اواب) كثير الاوبة وهى الرجعة حتى عن الخطرة

(ففى فتناه اختبرناه) اى امتحناه (واواب قال قتادة مطيع) اى فى كل باب (وهذا التفسير اولى) فى حق اولى الالباب (قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم) لعل تقديم ابن عباس لكونه من ذوى القربى والا فابن مسعود افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بل ابن عباس اخذ عنه التفسير والحديث والقرآءة (ما زاد داود) اى ان صح عنه (على ان قال للرجل) من امته تلويحا او تصريحا (انزل لى عن امرأتك) اى طلقها لانى اريد ان اتزوجها واكد الامر بقوله (واكفلنيها) اى اعطنيها وحقيقته ضمها الى واجعل كفالتها الذى ومؤونتها على وكان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكان ذلك مباحا لهم غير ان الله تعالى لم يرض له بما هنالك (فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه) كما فى الآية (وانكر عليه شغله بالدنيا) وقلة رغبته فى الاخرى وازدياد النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها على ان مثل هذا الاستدعاء ليس محظورا فى مذاهب سائر الانبياء كطلب سائر المماليك وباقى الاشياء غير انه لا يستحسن عرفا بين الاحياء (وهذا) التأويل (الذى ينبغى ان يعول عليه من امره) اى يعتمد عليه لجلالة قدره (وقيل خطبها على خطبته) بكسر اوله اى قبل زواجه وهو مكروه فى ملتنا اذا وقع التراضى فى قضيته قال التلمسانى روى انه كان خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطبها على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه اى بالشرط الذى قدمناه وهو غير معلوم مما نقلناه (وقيل بل احب بقلبه) وهذا مما لا يعرفه غير ربه (ان يستشهد) اى اورياء ليأخذ امرأته بعده ولعله كان خطرة من غير اصرار عليه والحاصل انه لا ينبغى ان يلتفت الى ما نقله اهل القصص من ان داود تمنى منزلة ابيه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فقال يارب ان آبائى قد ذهبوا بالخير كله فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بالبلاء فصبروا عليه قد ابتلى ابراهيم بنمرود واسحق بذبحه ويعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره فسأل الابتلاء فاوحى الله تعالى اليه انك لتبتلى فى يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فوقفت فى كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة اورياء وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب البلقاء ان ابعث اورياء وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد لديه فبعثه وقدمه فسلم وامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فتزوج امرأته وهى ام سليمان فهذا ونحوه مما يقبح ان يتحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء والمرسلين فعن على كرم الله وجهه من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على النبيين (وحكى السمرقندى) وهو الفقيه ابو الليث الحنفى رحمه الله (ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه) بتشديد لامه اى نسبه الى ظلمه (بقول خصمه) اى من غير ان يقر المدعى عليه بذنبه وهذا غير مستفاد من التنزيل لانه ليس فيه دليل على اثباته ولا على نفيه مع انه يحتمل ان لا يكون هذا حكما بان قاله افتاء على تقدير سؤاله وقبول خصمه لقوله (وقيل بل لما خشى على نفسه) من الغفلة (وظن من الفتنة) اى من جملة الابتلاء بالمحنة (لما بسط له) اى وسع عليه (من الملك) وهو كمال الجاه الصورى (والدنيا) اى كثرة المال المحتاج اليه فى الحال الضرورى كذا فى بعض النسخ قوله وقيل الى هنا وسيأتى ما فى بعض آخر مؤخرا (والى نفى ما اضيف فى الاخبار) اى عن الاحبار (الى داود) اى ما نسب اليه من ذلك (ذهب) قدم عليه الجار والمجرور المتعلق به لافادة الحصر فيما ذهب اليه (احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين) وذلك لانهم الكفرة الفجرة وقد غيروا اخبار البررة قال عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وهذا اذا لم يكن منافيا لقواعد ملتنا وقوانين شريعتنا والا فلا شك انا نكذبهم فى اخبارهم عن رهبانهم واحبارهم وعن كتبهم واسرارهم (وقال الداودى ليس فى قصة داود واورياء) بفتح الهمزة وقد يضم وبسكون الواو وكسر الراء فتحتية فالف ممدودة (خبر يثبت) اى بشروطه المعتبرة عند ارباب الاثر (ولا يظن) بصيغة المجهول اى ولا ينبغى ان يظن (بنبى محبة قتل مسلم) لحصول امر دنى ثم الخصمان قيل جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال تسوروا بصيغة الجمع اما بناء على اطلاقه على ما فوق الواحد او تعظيما لهما او لاجلهما ومن معهما من الملائكة قال التلمسانى او حملا على لفظ الخصم اذ كان كلفظ الجمع ومشابها مثل الركب والصحب وفيه انه لو كان حملا على لفظه لافرد ضميره كالفوج والقوم على ما حقق فى قوله تعالى كالذى خاضوا وقوله هذان خصمان اختصموا اى فوجان وقد جمع اختصموا بناء على افراد الفوجين (وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه) اى الى داود (رجلان) اى لا ملكان وهو مرفوع على خبران على ما هو ظاهر وفى حاشية التلمسانى قيل صوابه رجلين نصبا ووجه الالف اما على لغة بنى

الحارث فالالف فى الجر والنصب كالف المقصور او خبر لمحذوف اى هما رجلان وهو بعيد انتهى وخطأه لا يخفى (فى نماج) وفى نسخة فى نتاج (غنم) متعلق باختصما (على ظاهر الاية) فيكون الاختصام تحقيقيا اى لا تمثيليا وتصويريا لكن يستفاد من الحقيقة ايضا بطريق الاشارة ما يراد به من مجاز الطريقة (وقيل) اى عله ذنبه الذى استغفر منه (المخشى على نفسه وظن) فى باطنه (من الفتنة) اى البلية والمحنة (بما بسط له) اى وسع له (من الملك والدنيا) واى فتنة اعظم من الدنيا ولا عصمة المولى مع انها سبب لنقصان الدرجة فى الاخرى (واما قصة يوسف عليه السلام) وهو بضم الياء والسين اشهر لغاته من تثليث السين مع الهمز وعدمه (واخوته فليس على يوسف فيها) اى فى قصتهم وفى نسخة منها اى من جهتهم (تعقب) بتشديد القاف اى اعتراض اوتعتب كما فى نسخة اى مطالبة عتاب وملامة (واما اخوته فلم تثبت نبوتهم) اى عند بعض العلماء فلا اشكال فى احوالهم (فيلزم) بالنصب اى حتى يلزمنا (الكلام على افعالهم) وتأولها على تحسين آمالهم (وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء ليس صريحا فى كونهم من اهل الانباء) حيث قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهو جمع سبط بالكسر اولاد يعقوب واحفاد اسماعيل واسحق وسموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضى الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والسبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب والشعوب من العجم ومنه قوله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما وهم اخوة يوسف كلهم بحسب ظاهره ويشير اليه رؤيا يوسف اياهم على هيئة الكواكب ايماء الى ان مراتبهم فى المناقب دون مرتبة الرسالة التى كانت لابيهم يعقوب على انه يحتمل ان يكون تصويرا لكواكب اشعارا بنور الايمان وظهور المناقب (قال المفسرون) اى بعضهم (يريد من نبى من ابناء الاسباط) قال البغوى وكان فى الاسباط انبياء ولذلك قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه فصاروا كلهم انبياء والله سبحانه وتعالى اعلم (وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف) اى لم يعرفوه فى مصر (حين اجتمعوا عليه) وفى نسخة به (ولهذا) اى ولكونهم صغارا ايضا (قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب) على قراءة النون والظاهر انها محمولة على التغليب لقراءة يرتع ويلعب بصيغة الغيبة والرتع الاكل رغدا ثم كون كلهم صغارا فى غاية البعد عقلا ونقلا على ان لعب الكبار لا يستبعد شرعا وعرفا (وان ثبتت) يروى فان ثبتت (لهم نبوة فبعد هذا) الامر والقصة وهذا مما لا شك فيه انه قبل البعثة وانما الاشكال فيما وقع لهم من العقوق وقطع الرحم والكذب وبيع الحر وهذه الامور كلها كبائر لا يستقيم الا عند من يجوز ارتكابها على الانبياء قبل البعثة والمحققون على خلاف هذه القصة (واما قول الله تعالى فيه) اى فى حق يوسف عليه السلام (ولقد همت به) اى هم شهوة ومراودة (وهم بها) اى هم معصية ومكابدة والباء للسببية فيهما او هم فكرة وخطرة شفقة عليها وحسرة على قبيح همها الديها وارادتها عدم حفظ الغيب المفوض اليها ويكون بين همت وهم صنعة المجانسة او طريقة المشاكلة (لولا ان رأى برهان ربه) اى لولا النبوة ولوازمها من العصمة لهم هم الشهوة لكن النبوة موجودة فلم يهم هم المعصية وحذف هم فى جواب لولا لانه همت عليه من قبلها (فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس) اى خواطرها (لا يؤاخذ به) اى وان صمم عليه (وليست سيئة) الاصورة (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه) اى حاكيا عنه فى الحديث القدسى والكلام الانسى (اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها) اى وتركها خوفا منى فلم يثبت عليها ظاهرا وباطنا من اجلى (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ويجوز ان يكون بصيغة الفاعل والمعنى امرت بان يكتب له حسنة (فلا معصية فى همه اذا) اى حينئذ (واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت) بضم الواو وتشديد الطاء المكسورة اى اذا استقرت (عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا) القول الثانى (هو الحق) اى الصواب جملة معترضة بين اما وجوابها (فيكون ان شاء الله هم يوسف عليه السلام) اى ان كان هم الشهوة (من هذا القبيل) كما هو اللائق بالانبياء من حسن الظن فى احوالهم (ويكون قوله وما ابرئ نفسى) اى من التقصير والزلة ولا ازكيها بكمال النظافة والطهارة (الاية) اى ان النفس لامارة بالسوء اى لكثيرة الامر بما يسوء الانسان فى جميع الازمان الا ما رحم ربى اى من رحمة ربى او وقت رحمة ربى فانه يعصم من خطراتها ووساوسها او تكدراتها وهواجسها ان ربى لغفور لمن فرط فى خدمته من عباده رحيم بمن احسن فى طاعته من عباده (اى ما ابرئها من هذا الهم) الموروث للغم (او) وفى نسخة و (يكون ذلك) القول (منه على طريق التواضع) فى ساحة الربوبية (والاعتراف بمخالفة النفس) فى زاوية العبودية (لما) وفى نسخة بما (زكى قبل وبرئ) بصيغة المجهول فيهما اى لما زكته النبوة وبرأته قبل ذلك وشهدت له بالعصمة هنالك (فكيف) اى لا يأول على طريق

يعول (وقد حكى ابو حاتم) اى الرازى السجستانى الحنظلى وهو الامام الحافظ الكبير احد الاعلام ولد سنة تسع وخمسين ومائة ومات بالبصرة وسمع محمد بن عبد الله الانصارى والاصمعى وابا نعيم وغيرهم وحدث عنه يونس ابن عبد الاعلى وابو داود والنسائى وجماعة قال الدارقطنى ثقة واما ابنه عبد الرحمن فله تفسير جليل وله حال جليل (عن ابى عبيدة رحمه الله) وهو معمر بن المثنى (ان يوسف لم يهم) اى اصلا وهو بضم الهاء والميم وبفتح وبكسر (وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به) اى وتم الكلام به (ولولا ان راى برهان ربه لهم بها) وانما قال بالتقديم والتأخير لان جواب لولا لم يتقدم عليها فى الاصح (وقد قال الله تعالى عن المرأة) وهى زليخا او راعيل (ولقد راودته عن نفسه) اى طالبته ان يجامعنى وقصدت منه ان يواقعنى (فاستعصم) اى امتنع وتصمم ولم يقع منه ميل ولا هم (وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء) اى الصغيرة وهى نحو الهم (والفحشاء) اى الكبيرة وهى الزنى (وقال وغلقت الابواب) اهتماما للاسباب ومبالغة فى الستر والحجاب (وقالت هيت لك) فيه قراآت مشهورة ومعانى مذكورة فى كتب مسطورة وحاصلها هلم الى ما ادعوك اليه (قال معاذ الله) اى اعوذ بالله معاذا (انه) اى الله (ربى) او العزيز مربى وسيدى (احسن مثواى) اى منزلى ومأواى (قيل ربى) وفى نسخة فى ربى اى فى معناه (الله) اى وهو المراد به (وقيل الملك) صوابه العزيز او زير الملك (وقيل هم بها اى بزجرها) اى طردها او ضربها (ووعظها) اى نصحها ومن جملة نصيحتها انها فى اثناء مراودتها قامت وسترت على وجه صنم لها فقال لها اذا كنت تستحيين مما لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا نفع ولا ضر فكيف لا استحيى من ربى المطلع على جميع امرى (وقيل هم بها) باؤه للتعدية او مزيدة وفاعله محذوف (اى غمها امتناعه عنها وقيل هم بها اى نظر اليها) نظر غضب او ادب (وقيل هم بضربها ودفعها) عن نفسه وكفى شرها وهذا كالتكرار لما تقدم والله تعالى اعلم (وقيل هذا كله كان قبل نبوته) اى قبل رسالته اذ المشهور انه نبئ وهو فى الجب كما يشير اليه قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ولا يبعد ان الوحى هنا يكون بمعنى الالهام (وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن) بفتح الياء وكسر الميم (الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغل من هيبته كل من رأه عن حسنه) اى صورته (واما خبر موسى عليه الصلاة والسلام مع قتيله الذى وكزه) اى ضربه بجمعه فقتله (فقد نص الله تعالى انه) وفى نسخة على انه (من عدوه قال) اى اراد وبروى قيل وهى رواية حسنة (كان من القبط) بكسر القاف امة من اهل مصر (الذين) وفى نسخة الذى اى القوم الذى (كانوا على دين فرعون) وهو الوليد ابن مصعب وفرعون لقب لكل ملك مصر كقيصر للروم وكسرى للفرس والنجاشى للحبشة وتبع لليمن وخاقان للترك قيل وكان طباخا لفرعون وقد اراد ان يحمل السبطى الحطب الى مطبخه (ودليل السورة) اى دلالتها (فى هذا كله انه قبل نبوة موسى) لانه خرج بعد قتله واجتمع بشعيب وتزوج بنته وكان عنده عشر سنين او اكثر ثم نبئ وارسل الى فرعون بدعوة الرسالة (وقال قتادة وكزه بالعصا) اى لا بالة من السلاح (ولم يتعمد قتله) بل اراد دفعه عن الظلم ورده الى الصلاح فكان قتله على وجه الخطأ (فعلى هذا لا معصية فى ذلك) مع ان القتيل كان كافرا مثالك الا انه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بقتل من لم يكن من اهل الاسلام ولهذا ندم على فعله (وقوله هذا من عمل الشيطان) محمول عليه اى انه من عمل يحبه الشيطان ولا يبعد ان تكون الاشارة لما جرى بين السبطى والقبطى وما ادى الى معاونته عليه الصلاة والسلام لمحبه على عدوه (وقوله ظلمت نفسى) حيث ضربته من غير ان اكون مأمورا به (فاغفر لى) ما صدر عنى فى الحديث اللهم اغفر لى ذنبى وخطاى وعمدى وكل ذلك عندى (قال ابن جريج) بجيمين مصغرا القرشى مولاهم المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن مجاهد وابن ابى مليكة وعطاء وعنه القطان وغيره قال ابن عيينة سمعته يقول ما دون العلم تدوينى احد اخرج له الائمة الستة (قال) اى موسى (ذلك) الكلام (من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل) احدا (حتى يؤمر) بقتله ولما ادى ضربه الى قتله استغفر ربه فى تقصير امره (وقال النقاش) اى الموصلى (لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه) عن اهل وده (قال) اى النقاش (وقد قيل ان هذا) اى القتل مع انه كان خطأ كان (قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة) لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة الى آخر القصة فان النبوة كانت له بعدها بمدة طويلة (وقوله تعالى فى قضيته) وفى نسخة فى قصته اى حال رفع غصته (وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء) اى امتحناك فتونا (قيل) اريد ابتلاؤه (فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون) حيث ائتمر قومه فى قتله (وقيل القاؤه فى التابوت) اولا (واليم) اى البحر ثانيا ووقوعه فى يد فرعون ثالثا (وغير ذلك) مما ابتلى هنالك (وقيل معناه اخلصناك اخلاصا) لان ابتلاءه انما هو للتهذيب لا للتعذيب (قاله ابن جبير) وهو سعيد (ومجاهد) وهو ابن جبير تابعيان جليلان وهو مأخوذ (من

قولهم) اى العرب (فتنت الفضة فى النار اذا اخلصتها) اى اذبتها واصفيتها من غيرها مما اختلط بها (واصل الفتنة معنى) بالتنوين اى فى اصطلاح الخاصة (الاختبار) اى الامتحان وهو مرفوع (واظهار ما بطن) اى مطلقا ومنه قول بعضهم عند الامتحان يكرم المرء او يهان (الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى) وروى يؤدى (الى ما يكره) بصيغة المجهول اى الى امر مكروه فى الطبع (وكذلك ما روى فى الخبر الصحيح) اى فى صحيح البخارى فى كتاب الانبياء (من ان ملك الموت جاءه) اى موسى مصورا بصورة انسان (فلطم عينه) اى ضربها بباطن راحته (ففقأها) اى اخرجها (الحديث) اى الى آخره (ليس فيه) اى فى الحديث من الدليل (ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدى) اى بشئ يقضى عليه بالتجاوز عن الحد على ملك الموت حيث لم يعرفه (وفعل ما لم) وفى نسخة ما لا (يجب له) اى وبفعل شئ لا يجوز له ولم يثبت شرعا وروى ما يحكم التعدى وفعل ما لم يجب بالنصب فيهما اى ما يعمهما (اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل) بالعقل والنقل (لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة آدمى) اراد اهلاكها (ولا يمكن) اى لا يتصور فى حق موسى عليه الصلاة والسلام ولا غيره من سائر الانام (انه حينئذ علم انه ملك الموت) وانه من عند ربه وعن اذنه وامره (فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى) اى اختبارا لموسى عليه السلام وفى نسخة لهما ولا يظهر وجهه (فلما جاءه) اى الملك (بعد) اى بعد ذهابه الى الله تعالى ورجوعه من عند مولاه (واعلمه الله تعالى) اى موسى عليه السلام (انه) الملك المصور (رسوله اليه) ليقبض روحه (استسلم) اى انقاد (وللمتقدمين والمتأخرين) من علماء المحدثين والمتكلمين (على هذا) وروى عن هذا الحديث (اجوبة) اى متعددة (هذا) الجواب المتقدم (اسدها عندى) بسين مهملة وتشديد ثانية اى اقواها واقومها ومنه قول الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

وقيل فى البيت انها بالمعجمة (وهو تأويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى) بفتح الزاى وهو الاكثر وقد تكسر وهو منسوب لمازر بلدة بجزيرة صقلية وقيل قبيلة تسمى بمازر افتى وهو ابن عشرين سنة وهو مشهور بالامام سماه النبى عليه الصلاة والسلام بذلك فى المنام مات بالمهدية سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة واحتمل فى البحر الى المنستير فدفن بها وهو احد الاعلام المالكية وقد شرح مسلما شرحا جيدا سماه المعلم لفوائد كتاب مسلم وعليه بنى القاضى عياض المصنف كتاب الاكمال وهو تكملة لهذا الكتاب وله كتاب ايضاح المحصول فى برهان الاصول وله فى الادب كتب متعددة مفيدة (وقد تأوله قديما ابن عائشة) وهو عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى القرشى المعروف بالعيشى لانه من ولد عائشة بنت طلحة كان احد العلماء والاشراف والمحدثين روى عن حماد بن سلمة وغيره وعنه ابو داود والبغوى وخلق وثقه ابو حاتم واخرج له ابو داود والترمذى والنسائى ومات سنة ثمان وعشرين ومائتين (وغيره) اى من العلماء المتقدمين (على صكه) المعنوى (ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته) وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة ومعروف عند اهلها فانه يقال صكه ضربه مطلقا وضربه بشئ عريض وصكه غلبه بالحجة وكذا يقال لطمه ضربه على الوجه بباطن الراحة ولطمه غلبه بالحجة والظاهر ان المعنى الاول حقيقى والآخر مجازى (واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه فقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه) اى امتحناه واختبرناه (وابتلاؤه بما) وفى نسخة ما (حكى) الاولى روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) اى سليمان عليه الصلاة والسلام فى بعض الايام (لاطوفن) وفى رواية لاطيفن بضم الهمزة اى ادورن والمراد اقعن (الليلة) اى المقبلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) اى امرأة والشك من الراوى (كلهن ياتين) اى كل واحد منهن تاتى (بفارس) اى بمولود يكبر ويصير راكب فرس (يجاهد فى سبيل الله تعالى) ولا شك ان هذا نية صالحة يترتب عليها مثوبة كاملة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل (فقال له صاحبه) اى مخاطبه (وهو الملك) وقيل آدمى وقيل القرين وابعد من قال خاطره (قل ان شاء الله فلم يقل) حيث شغله عنه شئ وانساه لما قدره الله وقضاه (فلم تحمل) بكسر الميم اى فلم تحبل (منهن) اى النساء كلهن (الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل) بكسر الشين وتشديد القاف اى بنصفه وفى صحيح مسلم فولدت له بنصف انسان قال النووى فى شرح مسلم عقيب قوله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله تعالى قيل المراد بصاحبه الملك وهو الظاهر من لفظه ثم حكى القولين الآخرين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا) اى لجاءت كل واحدة بولد وكبروا وقاتلوا فوق الفرسان (فى سبيل الله تعالى قال اصحاب المعانى) اى المؤولون للمبانى (والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه) اى سرير سليمان عليه السلام (حين عرض

عليه) اى ولده وذكر فى عصمة الانبياء ان الجسد عبارة عن ولد لسليمان ولد له بفرد رجل وهو ميت فوضع فى سريره (وهى) اى هذه الحالة (عقوبته) اى بليته (ومحنته) المعبر عنها بفتنته (وقيل بل مات) الولد (فالقى على كرسيه ميتا) وهو الظاهر من اطلاق الجسد والعدول عن الولد وهذا يحتمل ان يكون من اصله نزل ميتا او كان حيا ثم صار ميتا وروى انه ولد له ابن فقال الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله فعلم ذلك وكان يغذه فى السحابة فما راعه الا ان القى على كرسيه ميتا فنبه على خطاه فى انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه واناب ثم يحتمل ان هذا الابتلاء لاجل ترك الاستثناء على ما هو ظاهر الحديث (وقيل ذنبه حرصه على ذلك) اى جنس الولد (وتمنيه) اى كثرتهم فى البلد ولا ينبغى للكامل ان يطلب من الله سواه (وقيل لانه لم يستثن) اى لم يقل ان شاء الله تعالى (لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى) اى فكان سبب نسيان الاستثناء فى ذلك التمنى (وقيل عقوبته) المعبر عنها بفتنته (ان سلب ملكه) اى حكمه فى رعيته وفى هذا امتحان من الله تعالى لارباب الجاه (وذنبه) الذى كان سبب سلب ملكه (ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه) بفتح الهمزة جمع الختن اى اصهاره او كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ (على خصمهم) ولعل هذا كان على خطرة من لوازم البشرية فلا يعد من المعصية الا للكمل فى القضية وقال الانطاكى فقد ورد عن السدى انه قال كان سبب فتنة سليمان هو انه كانت فى نسائه امرأة يقال لها جرادة وهى آثر نسائه عنده فقالت له يوما ان اخى بينه وبين فلان خصومة وانا احب ان يقضى له اذا جاء فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله (وقيل ووخذ) مجهول واخذ كورى مجهول وارى وفى نسخة أوخذ اى عوقب (بذنب قارفه بعض نسائه) اى كسبته من غير اطلاعه وفيه انه تعالى لا يؤاخذ احدا بفعل غيره ولعله عوقب لتقصيره فى امره ومقارفتهن انما تكون من تأخير صلاة او صوم او زكاة او لبس حلية محرمة او نياحة مكروهة وامثالهما ولا يجوز ان يتوهم فعل فاحشة منهن فقد قال المفسرون فى قوله سبحانه وتعالى فخانتاهما اى فى الطاعة لهما والايمان بهما اذ ما بغت امرأة نبى قط اى ما زنت ويشير اليه قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات الآيات واما ما نقله التلمسانى عن السهيلى فى قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية ان من قذف ازواج النبى عليه الصلاة والسلام فقد سبه فان اعظم الاذية ان يقول عن الرجل قرنان واذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح انتهى فهو معلول اذ لا يلزم هذا الا اذا كان عالما بالفاحشة وراضيا بها على تقدير وجودها نعم الآن قذف عائشة كفر بلا شبهة بناء على انه انكار للقرآن بخلاف من سبق له قذفها قبل نزول آيات البراءة فانه كان مرتكب كبيرة ولذا حدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد القذف ولم يقتلهم لارتدادهم ولا امرهم بتجديد الاسلام وسائر ما يترتب عليه من الاحكام وقال الانطاكى حكى ان سليمان عليه السلام بلغه ان فى بعض الجزائر مدينة عظيمة وبها ملك عظيم الشان فخرج اليها بحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له من احسن النساء وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لتلك الصورة فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى متضرعا الى مولاه (ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به) اى بصورته وفى نسخة ما قاله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به (وتسلطه على ملكه) اى سرير دولته (وتصرفه فى امته) وسائر رعيته (بالجور فى حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله) قلت ومما يؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام ان الشيطان لا يتمثل بى ولا يتصور بصورتى فهذا اذا كان ممنوعا عنه فى حال المنام فبالاولى ان لا يقدر على التمثل فى حال اليقظة بشكله عليه الصلاة والسلام والظاهر ان سائر الانبياء عليهم السلام يكون امرهم على هذا النظام فان الانام مأمورون باتباع اوامرهم ونواهيهم والاقتداء باقوالهم وافعالهم فلو تصور الشيطان بصور الانبياء لوقع التشكيك فى حقيقة احوالهم ومن جملة ما نقله الاخباريون فى تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه ان سليمان عليه السلام كانت له ام ولد يقال لها امينة وكان اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه الصخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمى فناولته اياه فتختم به وجلس على كرسى سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان من هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فكان عليه السلام يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك ويعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة ثم طار

الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به فوقع
ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه ولقد ابى العلماء المحققون قبول هذا النقل تنزيها النساء الانبياء عما نسب اليهن
من الانباء (وان قيل لم يقل سليمان فى القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة) متعددة (احدها) وفى نسخة فعنه
جوابان اى مرضيان احدهما (ماروى فى الحديث الصحيح انه نسى ان يقولها وذلك) اى وقوع النسيان (لينفذ
مراد الله تعالى) وفق ما قدره وقضاه فهذا كقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (والثانى
انه لم يسمع صاحبه) اى كلامه (وشغل عنه) بشئ خالف مرامه (وقوله وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل
هذا سليمان) اى لم يصدر عنه هذا القول (غيرة) بفتح الغين ويكسر اى حرصا ونهمة (على الدنيا) من مالها وجاهها
(ولا نفاستة بها) بفتح النون اى لا رغبة فيها اذ جل رغبتهم فى حضرة المولى ونعمة الاخرى قال تعالى وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون لان النفاسة رغبة فى الشئ النفيس دون الخسيس وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء وانما ابتلى سليمان بهذا الملك الوسيع والجاه الرفيع ليكون حجة على الملوك فى القيام بحق العبودية
والعمل باحكام الربوبية ومع هذا فقد ورد انه يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام لتعرف ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر ولهذا اورد ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام فكل هذا
تزهيد فى الدنيا وترغيب فى العقبى والحكم فيهما للمولى رزقنا الله العمل بالاولى وبلغنا المقام الاعلى والمرام الاغلى
(ولكن مقصده) بكسر الصاد اى مراده بهذا الدعاء (فى ذلك) النداء (على ما ذكره المفسرون) اى بعضهم (ان لا يسلط
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذى سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال) ويروى على من قال (ذلك)
وقد عرفت ضعف ما هنالك (وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة) زائدة (وخاصة) اى مزية خالصة (يختص
بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه) كالخلة لابراهيم وكالتكليم لموسى ونحوهما فان قيامه
على وجه العدالة والاستقامة مع كثرة الرعية من الجن والانس والطير والذرة وتفقدهم بالرعاية والحماية لعله
من خواصه لم يكن لغيره ان يقوم مقامه فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد قال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا فمن عباده من يصلح للفقر والعناء ومنهم من يصلح للجاه والغنى وليس احد يطلع
على حقيقة القدر والقضاء (وقيل ليكون ذلك) اى بقاء ملكه حقيقة وحكما (دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه)
اى داود كما فى نسخة (واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة) اى الكبرى وهى
المقام المحمود (ونحو هذا) من اختصاص موسى بنعت الكليم ووصف ابراهيم بالخلة (واما قصة نوح عليه السلام)
وهو منصرف وجوز منع صرفه قيل واسمه عبد الغفار وسمى نوحا لكثرة بكائه وتضرعه فى دعائه (فظاهرة العذر) فيما
وقع له من الامر (وانه اخذ فيها بتأويل) وفى نسخة بالتأويل (وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك) اى عمومه
فى الخلاص من هلاكه وكأنه صرف الاستثناء الى غير اهله (فطلب مقتضى هذا اللفظ) من عمومه (واراد علم
ما طوى عنه) بصيغة المجهول اى ستر وخفى (من ذلك) خصوصه باخراجه من جملة اهله (لا انه) اى نوحا (شك فى
وعد الله تعالى) بنجاة اهله (فبين الله عليه) اى اظهر لديه وفى نسخة علته اى سببه (انه ليس من اهله الذين وعدهم)
وفى نسخة وعده (بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد اعلمه) اى الله (انه مغرق الذين ظلموا) بالاضافة ودونها
(ونهاه عن مخاطبته) اياه (فيهم فاوخذ) بصيغة المجهول من المؤاخذة بالهمزة والواو لغتان وقرأتان وفى نسخة
فووخذ بواوين بناء على اللغة الاخيرة فهو كقوله تعالى ما ووري والمعنى فعوتب (بهذا التأويل) حيث خالف حقيقة
التنزيل (وعتب عليه) عطف تفسير وكان الاظهر وعوتب عليه وفى نسخة وعيب بكسر فسكون تحتية والظاهر انه
تصحيف (واشفق) اى خاف (هو) اى نوح (من اقدامه على ربه) اى جراءته (لسؤاله) اى لاجله وفى نسخة بسؤاله اى
بسببه (ما لم يؤذن له) وفى نسخة ما لم يأذن (فى السؤال فيه) اى فى حقه (وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه)
لانه كان منافقا فى امره وتابعا لامه فى كفره (وقيل فى الآية غير هذا) لبعض العلماء فى تفسيره (وكل هذا لا يقضى)
اى لا يحكم (على نوح بمعصية) اى كبيرة (سوى ما ذكرناه من تأويله) للمقال (واقدامه بالسؤال فيمن لم) وفى نسخة
فيما لم (يؤذن له فيه ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح) اى صحيح الاحاديث مما رواه الشيخان وابو داود والنسائى
وابن ماجه عن ابى هريرة (من ان نبيا قرصته نملة) اى عضته (فحرق) بتشديد الراء اى فاحرق (قرية النمل) اى بيتها
وجحرها (فاوحى الله تعالى اليه ان) بفتح الهمزة وسكون النون اى لان (قرصتك نملة) اى واحدة كما فى نسخة
(احرقت امة من الامم تسبح) وذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وقوله
وان من شئ الا يسبح بحمده وقال الزكى المنذرى ان هذا النبى جاء من غير وجه انه عزير انتهى ولا شك ان المبهمين

فى الاحاديث لا يعرفون الا من حديث آخر مصرح بتسمية الشخص منهم ويشكل هذا بما فى ابى داود مرفوعا لا ادرى
اعزير نبى ام لا وصححه الحاكم فى مستدركه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه والجواب لعل الله اطلعه على انه
نبى بعد ذلك فاخبره وفى كلام الطبرى ان هذا النبى هو موسى عليه السلام ونقله عن الحكيم الترمذى وعن ابن عباس
قال نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه احمد وابو داود
وابن ماجه والصرد بضم الصاد المهملة وفتح الراء طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له ريش عظيم نصفه اسود ونصفه
ابيض قال الخطابى اما نهيه عن قتل النحل فلما فيها من المنفعة واما الهدهد والصرد فانما نهى عن قتلهما لتحريم
لحمهما وذلك ان الحيوان اذا نهى عن قتله ولم يكن ذلك لحرمة ولا لمضرة كان ذلك لتحريم لحمه انتهى ولعل النهى عن
قتل النمل محمول على حال عدم الاذية والمضرة فالمعاتبة على النبى من حيث قتله سائر النمل من غير حصول العلة
والله تعالى اعلم بالحقيقة ثم النمل جنس مفرده النملة ويستوى مذكرها ومؤنثها كالحمامة ونحوها وانما استدل
امامنا الاعظم على ان نملة سليمان عليه السلام كانت انثى بدليل قوله تعالى قالت لانها لو كانت ذكرا لقيل قال لا سيما
والفعل مقدم والتأنيث غير حقيقى وقد وهم التلمسانى ولم يتحقق كلام الامام الربانى واذا عرفت حقيقة القضية (فليس
فى هذا الحديث) اى السابق ما يقتضى (ان هذا النبى اتى معصية) ووقع فى اصل التلمسانى ان هذا الذى اتى معصية
فتكلف له بان الذى موصول واتى صلته وعائده محذوف لانه منصوب اى اتاه معصية برفعها على خبر ان او خبر
محذوف (بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا) اى صورة (بقتل من) وفى نسخة صحيحة ما (يؤذى جنسه) ولعل وجهه من ان
جنس المؤذى مختلط بين من يعقل وما لا يعقل (ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى) اى من الراحة بالنوم ونحوه (الا ترى
ان هذا النبى كان نازلا تحت الشجرة) وفى نسخة تحت شجرة ولعلها كانت بعيدة عن العمارة (فلما آذته النملة) اى
الواحدة بان عضته (تحول برحله) اى متاعه (عنها مخافة تكرار الاذى عليه) منها (وليس فيما اوحى الله تعالى اليه)
من الملامة (ما يوجب عليه معصية بل ندبه) اى دعاه (الى احتمال الصبر) على الاذية (وترك التشفى) اى الانتقام
فى القضية (كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وفيه ان الصبر على اذى الحيوان ليس كالصبر على مضرة
افراد الانسان كما بينه علماء الاعيان (اذ ظاهر فعله) من الاحراق (انما كان لاجل انها آذته هو فى خاصته) اى
خاصة نفسه (فكان انتقاما لنفسه) اى انتصارا لروحه (وقطع مضرة بتوقعها) اى يخشاها اى يمكن حصولها
(من بقية النمل هنالك) ولذا توقف فى ذلك (ولم يأت) اى لم يفعل النبى (فى كل هذا امرا نهى عنه فيعصى به) بضم الياء
وفتح الصاد المشددة اى حتى ينسب الى المعصية (ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه)
اى تصريحا والا فيستفاد منه تلويحا فانه وان كان لم يوح اليه نهى اولا فكانه نسب الى خطأ فى اجتهاده ثانيا
وهو يستدعى فى الجملة رجوعه الى الاستغفار والتوبة كما هو طريق ارباب النبوة واصحاب الفتوة هذا وفى حديث
رواية الطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ما من دابة طائر ولا غيره تقتل بغير حق الا تخاصم يوم القيامة (فان قيل فما معنى
قوله عليه الصلاة والسلام ما من احد الا الم بذنب) اى نزل به وتنزل بارتكابه (او كاد) اى قارب ان يلم به (الا يحيى
ابن زكريا او كما قال عليه الصلاة والسلام) ما هذا معناه وانما الشك فى مبناه وانما قال هذا لان الحديث روى بالفاظ
مختلفة منها ما رواه القاضى ومنها ما من نبى الا وقد هم اوالم ليس يحيى بن زكريا ونحو ذلك (فالجواب عنه كما تقدم
من ذنوب الانبياء التى وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة) ويدل عليه ان اللمم انما يطلق على الصغيرة من الزلة
كما قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واللمم هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود اليه
كما قاله ابن عباس والمشهور انه الصغيرة من الذنوب وقد قال عليه الصلاة والسلام ان تغفر اللهم فاغفر جما *
واى عبد لك لا الما فهذا الاستثناء الدال على العموم ينافى الحديث المذكور من استثناء يحيى الا ان يحمل على الاغلب
ثم الانسب ان يقال ان هذا النعت من خصائص يحيى عليه السلام وانه من صغره الى كبره ما هم بمعصية قط
ولا خطر بباله سيئة قبل البعثة فضلا عما بعد النبوة ولذا قيل فى قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اى نبئ فى اول امره
ونشأة عمره ولذا امتنع من اللعب مع اقرانه فى حال صغره وقد اعطى عيسى عليه السلام ايضا النبوة من اول الوهلة
كما يشير اليه قوله تعالى حكاية عنه انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وهو يوم القيامة لم يذكر له ذنبا كسائر
اولى العزم من الرسل الا انه يتعلل بانه عبد من دون الله وهو بلا شبهة ما كان يريده ويرضاه لكنه يحتمل انه هم ببعض
الذنوب وتركه خشية من الله فحصر الحكم فى يحيى يستقيم بهذا التأويل القويم والله تعالى اعلم ثم ان الحديث الذى
اورده المصنف ضعيف فلا يجوز الاحتجاج به على ما اجاب عنه النووى والمصنف انما اجاب عنه على تقدير صحته ثم اعلم
ان هذا الحديث رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان

عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد من ولد آدم الا وقد اخطأ او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا اى الا يحيى ولعل هذا لدعاء زكريا واجعله رب رضيا اى مرضيا وهذا اسناد ضعيف لاجل على بن زيد بن جدعان وان كان حافظا لكنه ليس بالثبت وقد اخرج له مسلم والاربعة ويوسف بن مهران انفرد عنه على بن زيد بن جدعان وقد وثقه ابو زرعة وقال ابو حاتم يكتب حديثه ويذاكر به اخرج له البخارى فى تاريخه وظاهر هذا الاسناد انه حسن لا ضعيف ولا صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب) اى الكبائر (والمعاصى) اى الصغائر (بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين) فى الفصل السابق وحاصله ان حسنات الابرار سيئات المقربين (فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) اى جهل حكمه (وما تكرر فى القرءآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم) فى الدنيا او يوم القيامة (وتوبتهم) اى عن تقصيرهم فى طاعتهم (واستغفارهم) اى طلب مغفرتهم عن سهوهم وغفلتهم (وبكائهم على ما سلف منهم) فى حالتهم كداود اذ ورد انه بكى حتى بلت دموعه الارض (واشفاقهم) اى من عقوبتهم فى عاقبتهم (وهل يشفق) بصيغة المجهول اى يخاف (ويتاب ويستغفر من لا شئ) اى من غير شئ هو باعث وفى نسخة من لا يسئ اى لا يذنب على ان الافعال الثلاثة فيما قبله مبنية للفاعل (فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو) اى علو الرتبة (والمعرفة بالله) واتصافه بنعوت جلاله وعظمته وكبريائه (وسنته) اى عادته الجارية (فى عباده وعظيم سلطانه) وكريم برهانه وعلو شانه وفى نسخة وعظم سلطانه (وقوة بطشه) اى اخذه بالقهر والغلبة (مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله) وعظم كماله (والاشفاق) اى وعلى الحذر (من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم) كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اعلمكم بالله واخشاكم له (وانهم فى تصرفهم بامور) اى مباحة (لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا) وفى نسخة ووخذوا اى عوقبوا (عليها وعوتبوا بسببها او حذروا) اى احترسوا وفى نسخة حذروا بتشديد الذال على بناء المجهول اى خوفوا (من المؤاخذة بها واتوها) اى فعلوها (على وجه التأويل او السهو) اى الخطأ والغفلة (او تزيد) بفتح التاء والزاى وتشديد الياء اى على وجه طلب زيادة (من امور الدنيا المباحة خائفون) اى وهم مشفقون (وجلون) اى حذرون مضطربون (وهى ذنوب بالاضافة الى على منصبهم) بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء اى علوه (ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم) وجمال عبادتهم (لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم) اى معاصى غيرهم كما ان طاعات الانبياء وايمانهم ليسا كطاعات الامم وايمانهم فى مراتب ايقانهم واتقانهم فلا يقاس الملوك بالحداد والصعلوك (فان الذنب ماخوذ من الشئ الدنى) اى الحقير الخسيس (الرذل) بفتح الراء وسكون الذال المعجمة اى المذموم الردى (ومنه ذنب كل شئ) بفتحتين (اى آخره واذناب الناس رذالهم) بضم اوله وتخفيف ثانيه جمع رذل اى خسيسهم وفى نسخة اراذلهم جمع ارذل (فكان) بتشديد النون وفى نسخة فكان وفى اخرى فكانت (هذه) اى الامور التى تصدر فوافيها (ادنى افعالهم) اى ارداها (واسوأ ما يجرى من احوالهم) بالاضافة الى اعلى مراتب افعالهم (لتطهيرهم وتنزيههم) عما لا يليق بهم (وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح) مما امروا به واجبا او مندوبا (والكلم الطيب) من تهليل وتسبيح وتكبير واذكار ودعاء واستغفار وفيه اشارة الى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفى الحديث ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم تقبل (والذكر الظاهر) اى الجلى (والخفى) اى الباطن وفى الحديث خير الذكر الخفى (والخشية لله) لما تقدم من الآية والحديث (واعظامه فى السر والعلانية) بتحسين النية وتزيين الطوية (وغيرهم) من عوام الامة (يتلوث) اى يتلطخ بقاذورات الذنوب (من الكبائر والقبائح) اى الشاملة للصغائر (والفواحش) اى اعظم الكبائر وهو ما يتعلق بحقوق العباد (ما) وكان حقه ان يقول كما فى نسخة بما اى يتلوث غيرهم باشياء (تكون هذه الهنات) بفتح الهاء والنون اى العثرات والزلات وفى نسخة الهيئات بفتح الهاء وسكون الياء وهمزة ممدودة اى الحالات وفى نسخة بالاضافة الى هذه الهنات وروى بالاضافة اليه هذه الهنات فالهنات بالرفع فاعل تكون والمعنى تكون الهنات التى صدرت عن اصحاب النبوات بالاضافة اليه على ان الضمير فى اليه يعود الى ما اى بالنسبة الى ما يتلوث به ذلك الغير من السيئات (فى حقه) اى فى حق غيرهم (كالحسنات) بل حسنات اذ ليست فى الحقيقة سيئات بل طاعات (كما قيل حسنات الابرار) اى من المؤمنين (سيئات المقربين) من الانبياء والمرسلين (اى يرونها) اى يظنون تلك الحسنات (بالاضافة الى احوالهم كالسيئات) وهذا كما قيل كان المقربون اشد استعظاما لازلة

الصغيرة من الابرار للمعصية الكبيرة وكانوا فيما احل لهم ازهد من الابرار فيما حرم عليهم وكان الذى لا بأس به عند الابرار كالموبقات عند اولئك الاخيار فبين المقامين بون بين (وكذلك العصيان) اى معناه (الترك) اى ترك الموافقة (والمخالفة) فى الطاعة الا انه ان كان عن عمد فذنب ومعصية والا فزلة وعثرة (فعلى مقتضى اللفظة) اى اطلاقها (كيف ما كانت من سهو او تأويل فهى مخالفة وترك) اى وترك طاعة اما حقيقة واما صورة (وقوله غوى اى جهل) وكان الاحسن فى العبارة ان يقول لم يعرف (ان تلك الشجرة) المأكول منها (هى التى نهى عنها) اى بعينها او غيرها من جنسها فاكل منها غير عالم انها هى بخصوصها وهذا معنى قوله تعالى فنسى (والغى الجهل) واصل معنى غوى ضل وقد يأتى متعديا فيكون المعنى انه اغوى حوآء بان تبعته فى الهوى (وقيل) اى فى معنى غوى (اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها) اذ تعليلية والمعنى لانه اكلها (وخابت امنيته) بضم الهمزة وكسر النون وتشديد التحتية وهى ما يتمنى والجمع امانى مشددا او يخفف (وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ) بواوين وفى نسخة اوخذ اى عوتب (بقوله لاحد صاحبى السجن) اى ساكنيه معه وهو الشرابى للملك (اذكرنى) اى حالى (عند ربك) اى سيدك ليخلصنى من سجنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) مصدر مضاف الى مفعوله اى انساه ذكر يوسف لسيده (فلبث فى السجن) اى مكث فى الحبس (بضع سنين) واكثر ما قيل انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقيل لبثها سبعا اى بعد قوله اذكرنى عند ربك (قيل انسى يوسف) بصيغة المجهول اى انساه الشيطان (ذكر الله تعالى) حتى استعان بما سواه (وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك) كما قدمناه وفى الجملة (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف) اى هذه (ما لبث فى السجن ما لبث) اى مدة لبثه وفى رواية رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس على ما بيناه والاستعانة فى كشف شدائد البلاء وان كانت محمودة فى الجملة لكن لا تليق بمنصب الانبياء والكمل من الاولياء والاصفياء ونظيره ما حكى عن الجنيد انه كان فى جنازة فرأى سائلا يسأل فخطر بباله لو اكتسب هذا السكان خيرا له من ان يسأل فرآه فى منامه ميتا ويقال له كل منه فقال كيف آكل منه وهو آدمى فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالى ذلك فقيل له انا لا نرضى من مثلك بهذا (قال ابن دينار) من اجلاء التابعين واسمه مالك مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو من اجل علماء البصرة وزهادهم يروى عن انس وسعيد بن جبير وثقه النسائى وغيره وقد ذكره ابن حبان فى الثقات اخرج له الاربعة وعلق له البخارى وقد رواه ابن ابى حاتم ايضا عن انس موقوفا (لما قال ذلك يوسف) اى اذكرنى عند ربك (قيل له) اى بالوحى الجلى او الخفى وهو الالهام الغيبى (أتخذت من دونى وكيلا) بهمزة الاستفهام الانكارى مقررا او مقدرا (لاطيلن حبسك) اى عن غيرى لتطمئن الى امرى وتسلم لى فى قضائى وقدرى وتعرف حقيقة قدرى فحبسه كان تهذيبا لا تعذيبا كالاربعين للمريدين تأديبا وتدريبا (فقال) اى يوسف اعتذارا (يا رب انسى قلبى كثرة البلوى) النازلة على قلبى من حين القيت فى جبى وفورق بينى وبين ابى وحبى (وقال بعضهم يؤاخذ) بصيغة المفعول وفى نسخة بالفاعل وفى اخرى اخذ (الانبياء بمثاقيل الذر) اى من محقرات الامر (لمكانتهم عنده) اى لرفعة مرتبتهم لديه فى القدر (ويجاوز) بالوجهين وفى نسخة ويتجاوز وفى اخرى وتجاوزه (عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم) اى لعدم عنايته ورعايته وحمايته فيهم والا لكانوا كلهم اصفياء من انبياء او اولياء (فى اضعاف ما اتوا به) بقصر الهمزة اى ما فعلوه (من سوء الادب) اى كالجبال فى مخالفة امر الرب (وقد قال المحتج للفرقة الاولى) اى اعترض المستدل الموافق للطائفة السابقة القائلة باثبات المعصية للانبياء بعد البعثة واورد (على سياق ما قلناه) ولحاق ما اولناه بطريق السؤال لما ظهر له من الاشكال حيث قال (اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا) الحال والمنوال (مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان) فى الاقوال والافعال (وما ذكرته) من حالهم بانهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم فى مقادير الجبال (وحالهم ارفع) جملة حالية اى والحال انهم ارفع درجة فى نفس الامر (فحالهم اذن) اى حينئذ (فى هذا) اى فى حق المؤاخذة (اسوأ حالا من غيرهم) حيث يعاملون بالمسامحة والمساهلة وهذا من سخافة العلم وركاكة الفهم اذ لم يهتد الى ان الارفع درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بما يسامح البعيد عن مقام قربه كالوزرآء والامرآء بالنسبة الى الملوك اذا كانوا على بساط الانبساط يخاف عليهم اقوى من الرعايا فى المفازات البعيدة المشتغلين بانواع النشاط ومن هنا يعلم معنى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اخشاكم له واتقاكم اذا عرفت ذلك مجملا (فاعلم) ما سنلقى اليك مفصلا (اكرمك الله انا لا نثبت) بالتشديد والتخفيف (لك) اى مخاطبا لك ومبينا لاجلك (المؤاخذة) اى مؤاخذتهم (فى هذا) الباب (على حد مؤاخذة غيرهم) من حلول العقاب وحصول الحجاب الدنيوى او الاخروى (بل نقول انهم) اى الانبياء ونحوهم من العلماء (يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك) مع كونه

كفارة لما صدر عنهم هنالك (زيادة) اى لهم كما فى نسخة (فى درجاتهم) فى العقبى (ويبتلون) بضم الياء وفتح اللام على صيغة المجهول اى ويمتحنون (بذلك) اى بمؤاخذة ربهم (ليكون استغفارهم له) وفى اصل الانطاكى ليكون استشعارهم له اى ليكون وقوع ذلك فى قلوبهم (سببا لمناة رتبتهم) بفتح الميم الاولى اى لزيادة مراتبهم ومزية مناقبهم (كما قال) عز من قائل فى حق آدم عليه السلام (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال فى حق يونس عليه السلام ايضا فاجتباه ربه فجعله من الصالحين اى الكاملين فى الصلاح القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق العباد على وجه الفلاح (وقال تعالى لداود) اى فى حقه ولاجله (فغفرنا له ذلك الآية) اى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس) اى برسالاتى وبكلامى (وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب) اى الى قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وامثال ذلك مما ورد فى هذا الباب (وقال بعض المتكلمين) من ارباب الاشارات (زلات الانبياء فى الظاهر زلات) اى عثرات تستوجب ملامات (وفى الحقيقة كرامات وزلف) بضم الزاى وفتح اللام اى قربات ومكرمات (واشار الى نحو مما قدمناه) من مستحسنات عبارات (وايضا فلينبه) من التنبيه بصيغة المجهول او من الانتباه بصيغة المعلوم (غيرهم من البشر) وهم خواص اممهم واولياء ملتهم وعلماء شريعتهم (منهم) اى من جهة احوالهم (او ممن ليس فى درجتهم) من اهل النبوة لتفاوت مراتبهم (بمؤاخذتهم بذلك) اى بمعاتبتهم بما فعلوا هنالك (فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة) فيما قل وكثر (ليلتزموا الشكر على النعم) بان سلموا من موجب النقم (ويعدوا) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيئوا (الصبر على المحن) عند ابتلائهم بالفتن (بملاحظة ما وقع) اى حل (باهل هذا النصاب) اى القدر الكامل من النصب وروى هذا النمط اى الطريق (الرفيع) فى الرتبة (المعصوم) اى المحفوظ من الفتنة والمحنة (فكيف بمن سواهم) ممن يدعى المحبة والمتابعة فى طريق المودة (ولهذا قال صالح المرى) بضم الميم وتشديد الراء نسبة الى قبيلة بنى مرة وهو الواعظ الزاهد يروى عن الحسن البصرى وعنه يونس المؤدب ويحيى بن يحيى ضعفوه وقال ابو داود لا يكتب حديثه وقال الترمذى له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها وهو رجل صالح وقد اخرج له الترمذى (ذكر داود) مبتدأ اى ذكر الله تعالى قصة داود خبره (بسطة للتوابين) اى تسلية ونشاط وسبب انبساط للمذنبين ليتهيئوا للتوبة ولا ييئسوا من الرحمة (قال ابن عطاء) وهو من العلماء الاجلاء (لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت) وهو يونس عليه السلام (نقصا له) فى المرتبة (ولكن) كان نصه (استزادة من نبينا عليه الصلاة والسلام) فى علو الدرجة (وايضا فيقال لهم) اى للقائلين بجواز صدور المعصية عن ارباب النبوة بعد البعثة بطريق الالزام فى القضية (فانكم ومن وافقكم) فى هذه العقيدة (تقولون) اى أتقولون (بغفران الصغائر باجتناب الكبائر) اى بمجرد اجتنابها فيلزم منه غفران الكبائر (ولا خلاف) اى بيننا وبينكم (فى عصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم) اى بالفرض والتقدير (هى مغفورة على هذا) التقرير (فما معنى المؤاخذة بها اذن) اى حينئذ (عندكم) مع قولكم انهم منزهون عن الكبائر (وخوف الانبياء) اى وما معنى خوف الانبياء من الصغائر (وتوبتهم منها وهى مغفورة لهم) اى لاجتنابهم الكبائر (لو كانت) اى الصغائر موجودة (فما اجابوا به) لنا (فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل) وفيه ان مذهب اهل السنة والجماعة انه يجوز العقوبة على الصغائر ولو اجتنب مرتكبها الكبائر لدخولها تحت قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نعم ذهب بعض المعتزلة الى انه اذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه بالصغائر لا بمعنى انه يمتنع عقلا بل بمعنى انه لا يجوز ان يقع لقيام الادلة السمعية على انه لا يقع مستدلا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واجيب بان الكبيرة المطلقة هى الكفر لانه الكامل فى المعصية وجمع الاسم بالنظر الى انواع الكفر الصادر من اليهود والنصارى والمشركين وان كان الكل ملة واحدة فى حكم الكفر او الى افراده القائمة بافراد المخاطبين فيكون من قبيل مقابلة الجمع بالجمع فيكون التقدير ان تجتنبوا انواع الكفر نكفر عنكم سيئاتكم السابقة واما اللاحقة فهى تحت المشيئة للآية المتقدمة فالخطاب على هذا للكفرة والمعنى ان تجتنبوا الكبائر نكفر عنكم الصغائر بالحسنات من الطاعات كالصلاة والزكاة وسائر العبادات والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحالات (وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوبته) اى بوصف كثرته (وغيره من الانبياء) انما كان (على وجه ملازمة الخضوع والعبودية) ولوازمها من المسكنة والخشوع (والاعتراف بالتقصير) فى القيام بحق العبودية كما يقتضيه كمال الربوبية وجمال الالوهية (شكرا لله تعالى على نعمه) اى من احسانه وكرمه (كما قال عليه الصلاة والسلام وقد امن) بفتح فكسر وفى نسخة بضم فتشديد ميم مكسور مجهول من باب التفعيل وليس كما قال الانطاكى الظاهر انه غلط اذ البناء المجهول من هذا الباب اومن بالميم المخففة واصله أؤمن قلبت الهمزة الثانية واوا

لسكونها وانضمام ما قبلها هذا مقتضى القواعد التصريفية انتهى نعم هذا مقتضاها لو اريد مجهول آمن من باب الافعال والله اعلم بالاحوال اى والحال انه قد اعطى الامن (من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر) من ذنبه ومع هذا قام فى التهجد لربه حتى تورمت قدماه من طول قيامه مع علو مقامه وقلة منامه فعاتبه بعض اصحابه أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال فى جوابه (افلا اكون عبدا شكورا) اى كثير الشكر لربى على مغفرة ذنبى وشرح صدرى وقلبى (وقال) فى حديث آخر فى جواب من قال يبيح الله لنبيه ما شاء من الاشياء (انى اخشاكم لله) وفى نسخة لاخشاكم لله اى اكثركم خشية (واعلمكم بما اتقى) اى احذره فاتركه من المعصية والمخالفة ورواه البخارى بلفظ انى لاتقاكم لله واخشاكم له وفى رواية ان اخشاكم واتقاكم لله انا (قال الحارث بن اسد) وفى نسخة سويد والاول هو المعول وهو المحاسبى العارف الزاهد المعروف البصرى الاصل صاحب التآليف منها كتاب الرعاية ومنها النصائح ومن جملة كلامه انه لا يعمل بما فيه خلاف الاولى والمحاسبى بضم الميم نسبة الى محاسبة نفسه كما قاله النووى روى عن يزيد بن هارون وغيره وعنه ابن مسروق ونحوه وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن والشريعة والطريقة والحقيقة وورث من ابيه سبعين الف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل ولاجل لان اباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع ان لا يأخذ من ميراثه ومات وهو محتاج الى درهم واحد وكان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع منه وفى هذا من مناقبه كفاية توفى سنة ثلاث واربعين ومائتين (خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله) على وجه اكرام (لانهم آمنون) من وقوع ايلام (وقيل فعلوا) اى الانبياء (ذلك) اى اظهار التوبة والاستغفار هنالك (ليقتدى بهم) غيرهم (وتستن بهم) اى تتابعهم (اممهم كما قال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم) اى من الاهوال وشدائد الاحوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن انس ورواه الحاكم فى مستدركه عن ابى ذر وزاد وما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابى الدرداء وزاد ولخرجتم الى الصعدات بضمتين اى الطرقات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون او لا تنجون (وايضا فان فى التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا) ومبنى شريفا (اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى) باستقصاء الغيبة عما سواه (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين) اى الذين يرجعون الى الله بتوبتهم عن رؤية حولهم وقوتهم اى عن ملاحظة طاعاتهم وعباداتهم (ويحب المتطهرين) عن وجودهم وشهودهم وعن جودهم (فاحداث الرسل والانبياء) اى ايجادهم واظهارهم (الاستغفار) وفى نسخة للاستغفار اى طلب المغفرة على وجه الافتقار وطريق الانكسار (والتوبة) عن الغفلة (والانابة) اى الرجوع من المباح الى الطاعة (والاوبة) اى الانتقال من حال الى حال اطلب الكمال (فى كل حين) من زمان الاستقبال (استدعاء) اى استجلاب (لمحبة الله) بالرجوع الى ما يحبه ويرضاه (والاستغفار فيه معنى التوبة) كما ان فيها معنى الاستغفار فهما متلازمان فى مقام الاعتبار والحاصل انه لا يلزم من الاستغفار والتوبة مباشرة الذنب والمعصية (وقد قال الله تعالى لنبيه) النبيه (بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) ان كان هناك ذنب حقيقى يتصور (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الآية) اى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية والمعنى انه سبحانه وفقهم للتوبة او قبل توبتهم او ثبتهم على التوبة وذكر النبى صلى الله عليه وسلم تحسين للتوبة وتزيين للقضية وكذا ذكر المهاجرين والانصار جبر لخواطر ارباب الانكسار من الثلاثة الذين خلفوا واظهروا التوبة والاستغفار (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (فسبح بحمد ربك) اى اجمع فى دعائه بين التسبيح والحمد فى ثنائه المشعر بنفى الصفات السلبية وباثبات النعوت الثبوتية (واستغفره) اى اطلب منه المغفرة فى المجاوزة عما يصدر منك من الغفلة او التقصير والفترة (انه كان توابا) اى كثير الرجوع عليك بالرحمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله واتوب اليه وكان نزول هذه الآية الشريفة بعد فتح مكة المنيفة وفيه ايماء الى الارتحال بعد تحصيل الكمال والانتقال الى ما كان له من الحال فانه عود احمد والنهاية هى الرجوع الى البداية فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل موته يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وكان آخر كلامه اللهم الرفيق الاعلى وقد بلغه الله تعالى المقام الاعلى والله تعالى اعلم

(فصل)

(قد استبان) اى ظهر وتبين (لك ايها الناظر) اى المتأمل (بما قررناه) من الكلام وحررناه من المرام (ما هو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام) وكذا عصمة سائر الانبياء عليهم السلام وكان الاظهر ان يقول من عصمتهم عليهم السلام

(عن الجهل بالله تعالى) اى بذاته (وصفاته) وافعاله ومصنوعاته (وكونه) وفى نسخة اوكونه اى كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه اى بجنسه (على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك) اى مما ذكر من الذات والصفات (كله) جميعه (جملة) اى اجمالا لا تفصيلا اذلا يحيط به احد علما وهذه العصمة ثابتة له (بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا) كان الاولى بحسب السجع نقلا وسماعا ومؤداهما واحد والمراد بالسماع ما ثبت بالسنة وبالنقل ما نقل عن الائمة وذلك لحديث الصحيحين ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة رضى الله عنه اقرأوا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بى غيرى ومن المعلوم استثناء الانبياء اذ لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا فى الاغواء قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله فاجتالتهم بالجيم اى استخفتهم فجالوا معه فى ميدان الضلالة يجيئون وروى بالحاء اى نقلتهم من حال الى حال فهم فى طغيانهم يعمهون (ولا بشئ) اى ولا على حالة تنافى العلم بشئ (مما قرره) اى النبى (من امور الشرع واداه عن ربه عز وجل من الوحى) اى الجلى او الخفى من الكتاب والسنة (قطعا) اى بلا شبهة (عقلا وشرعا) اى من الجهتين (وعصمته) اى ومن عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الكذب) فى القول مطلقا (وخلف القول) فى الاخبار (منذ نبأه الله تعالى) اى من ابتداء ما اظهر نبوته خصوصا (وارسله) الى امته (قصدا او عن غير قصد) اى لا عن عمد ولا عن خطأ (واستحالة ذلك) اى ومن استحالة ما ذكر من الكذب والخلف (عليه شرعا) اى سمعا (واجماعا ونظرا) اى عقلا (وبرهانا) اى بيانا ظاهرا (وتنزيهه عنه) اى عن الكذب (قبل النبوة قطعا) لئلا يقع الامة فى الشبهة بعدها اصلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) من غير التفات لمن خالف فيه سمعا او عقلا (وعن الصغائر تحقيقا) حملها على خلاف الاولى تدقيقا (وعن استدامة السهو والغفلة توفيقا) وقد قيل

يا سائلى عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فى التعظيم لله

(واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه لامته) من الاحكام واجبا ومندوبا وحراما ومكروها وخلاف الاولى ومباحا (وعصمته) اى ومن عصمته (فى كل حالاته من رضى وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل والمراد به هنا العزم والحزم (ومزح) فانه كما قال امزح ولا اقول الا حقا فاذا كان مزحه حقا فكيف لا يكون جده صدقا (فيجب عليك) يروى مما يجب لك (ان تتلقاه) اى تأخذ وتتناول وتقبل ما صدر من مشكاة صدره فى اى حالة كانت من امره (باليمين) اى بالقوة او بالبركة وقيل باليد اليمين لان اليمين تمد الى كل حسن مرغوب ويتناول بها كل عزيز مطلوب (وتشد عليه يد الضنين) بالضاد المعجمة اى البخيل الممسك للشئ الثمين وهذا نظير ما يقال عضوا عليه بالنواجذ (وتقدر) بكسر الدال وضمها اى تعرف (هذه الفصول حق قدرها) اى حق معرفتها او تعظمها حق عظمتها كما قيل بالمعنيين فى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وتعلم عظيم فائدتها وخطرها) بفتحتين وحكى سكون ثانيهما اى منزلتها وقدرها وعائدتها (فان من يجهل ما يجب للنبى او يجوز او يستحيل عليه) اى يمتنع عقلا او نقلا (ولا يعرف صور احكامه) اى فرضا ونقلا (لا يأمن) ويروى لا يؤمن اى عليه من (ان يعتقد فى بعضها) اى المذكورات (خلاف ما هى عليه) من الصواب فى القضيات المشهورات (ولا ينزهه) اى النبى (عما لا يجب) ويروى عما لا يجوز اى لا ينبغى (ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدرى) ما يترتب عليه (ويسقط فى هوة الدرك) بضم الهاء وتشديد الواو الوهدة العميقة والدرك بفتح الراء وسكونها ضد الدرج (الاسفل من النار) اى منازلها وفيه اشعار الى ان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ومن لم يكن فى اعتلاء فهو فى ارتداء اذ لا توقف للانسان فى مرتبة استواء ومنه قول ابى الفضل التوريزى

(ونزولهم وطلوعهم * فالى درك وعلى درج) فالابرار لهم درجات والفجار لهم دركات (اذ ظن الباطل به) اى بالنبى عليه الصلاة والسلام (واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل) بفتح الياء وضم الحاء ويكسر وبتشديد اللام اى ينزل (بصاحبه) فيدخله (دار البوار) اى الهلاك والخسار (ولهذا) المعنى (ما) اى الامر الذى وقيل ما زائدة (احتاط النبى صلى الله عليه وسلم) اى اخذ بالحزم والثقة من جهة الشفقة (على الرجلين) اى من الانصار كما فى البخارى وغيره قيل هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر (اللذين رأياه ليلا وهو معتكف فى المسجد) جملة معترضة (مع صفية) متعلق برأياه (فقال لهما انها صفية) اى احدى امهات المؤمنين وقد جاءت تزوره فى اعتكافه فى العشر الاواخر من رمضان فتحدثت معه ساعة ثم قام معها ليقلبها الى بيتها حتى اذا بلغت باب المسجد فرآه فابصراه فسلما على النبى صلى الله عليه وسلم واسرعا فى المشى اما لحيائهما من النبى صلى الله عليه وسلم واما لئلا يستحيى النبى عليه الصلاة والسلام منهما فقال

لهما

لهما على رسلكما اى اتئدا على مشيكما ولا تسرعا فى سيركما انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظن مسلم به عليه الصلاة والسلام ما لا يليق به من قبح المقام (ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) بنفوذه فى المنافذ الضيقة للوساوس الخفية وفى النهاية المراد من قوله يجرى مجرى الدم انه يتسلط عليه وتسرى وساوسه فى العروق مجرى الدم لا ان يدخل جوفه (وانى خشيت ان يقذف) اى يلقى ويرمى (فى قلوبكما شيأ) وفى رواية شرا (فتهلكا) قال الخطابى خشى صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما الكفر لو ظنا تهمة برؤيته معه امرأة اجنبية فبادر الى اعلامهما بمكانها نصيحة لهما فى حق الدين قبل ان يقعا فى امر يهلكان به انتهى وفى هذا ايماء الى عصمة الانبياء عليهم السلام من مقارفة السوء والفحشاء (هذه) اى الفائدة الجلية وهى ما ذكر من احتياطه عليه الصلاة والسلام للرجلين فى هذه القضية (اكرمك الله) جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهو (احدى فوائد ما تكلمنا عليه فى هذه الفصول) السالفة من تعظيم ارباب النبوة واصحاب الرسالة تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم لاجل جهالته بعصمتهم وغفلته عما يجب لهم ويجوز ويمتنع من حالتهم (ولعل جاهلا) اى عن مراتب العلم غافلا (لا يعلم بجهله) اى يجهل كونه جاهلا ويسمى جهلا مركبا (اذا سمع شيأ منها) اى من تنزيهات الانبياء عليهم السلام ويروى من هذا اى مما ذكر (يرى) اى يظن (ان الكلام فيها) ويروى فيه (جملة) اى بجملتها او بجملة (من فضول العلم) اى زوائده وهو خبر ان (وان) ويروى او ان (السكوت اولى) من التعرض لذكره (وقد استبان لك انه) اى الكلام فى عصمتهم عليهم السلام (متعين) اى واجب معرفته على اهل الاسلام (للفائدة التى ذكرناها) مع فوائد اخر فى هذا المقام كما بينه بقوله (وفائدة ثانية يضطر) بصيغة المجهول اى يحتاج (اليها فى اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل) متفرعة عنها (لا تتعد) لكثرتها وهى لغة رديئة فى لا تعد ذكره الدلجى وفى حاشية التلمسانى لا تبعد من البعد ومعناه قريبة تبنى عليها المسائل (من الفقه) وروى لا تتعدد تفعل من العدد ومعناه مسائل كثيرة لا يحصرها العد ومن الفقه على الاول معمول لا تتعد وهو الاظهر او مسائل ولا تتعد صفة وعلى الثانى عامله هو المسائل فقط ولا يصح تتعدد لفساد المعنى (ويتخلص) بصيغة المجهول اى ويحصل الخلاص (بها من تشغيب مختلفى الفقهاء) اى تهييجهم الشر والفتنة والخصومة (فى عدة منها) اى من المسائل (وهى) اى الفائدة المضطر اليها فى اصول الفقه وغيره (الحكم فى اقوال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جنسه او خصوصه (وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه) لابتناء كثير من احكام الشريعة عليها وتفرعها عنها (ولا بد من بنائه) اى الاصل الكبير (على صدق النبى فى اخباره) بكسر الهمزة او فتحها (وبلاغه) اى تبليغه وهذا تخصيص بعد تعميم (وانه لا يجوز عليه السهو فيه) اى فى ابلاغ ما امر بتبليغه (وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا) احترازا من وقوعها سهوا (وبحسب اختلافهم) بفتح السين وابعد الحلبى فقال هنا باسكانها (فى وقوع الصغائر) من جواز صدورها وعدمه من الانبياء (وقع خلاف) وفى نسخة اختلاف (فى امتثال الفعل) اى بمجرد صدوره منهم والحق المصير الى امتثال افعالهم واتباع سيرهم وآثارهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك واكثر اصحاب الشافعى (بسط بيانه) بصيغة المصدر وفى نسخة وبسط وهو يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون فعلا مجهولا اى وشرح بيان امتثال الفعل (فى كتب ذلك العلم) اى علم الاصول فى الدين المذكور فيه اختلافهم فى وقوع الصغائر منهم او علم اصول الفقه المذكور فيه اختلافهم فى امتثال افعالهم المقصودة دون افعالهم بمقتضى العادة (فلا نطول) اى الكلام (فيه) وفى نسخة به اى لا نطول الكتاب بذكره اكتفاء بما هنالك من استيفاء ذلك (وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم) قاضيا كان او غيره (والمفتى) اى مجيب السائل عن مسألته الحادثة (فيمن اضاف) اى نسب (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من هذه الامور او وصفه بها) اى مما يجب له او يجوز او يمتنع مما سيأتى تفصيلها (فمن لم يعرف ما يجوز) اى له فعله (وما يمتنع عليه) اى وقوعه منه (وما وقع الاجماع فيه والخلاف) اى ولم يعرف موضع الاتفاق ومحل الاختلاف (كيف) اى على اى حال (يصمم) اى يتمادى عليه ويجزم به ويعزم (فى الفتيا) بضم الفاء واما الفتوى فبفتحها وقد يضم وكلاهما اسم للافتاء (فى ذلك) اى الذى يجب له او يجوز او يمتنع عليه اذا رفع السؤال اليه (ومن اين يدرى هل ما قاله) اى الحاكم او المفتى (فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (نقص) اى طعن (او مدح) حتى يقدم على حكمه ليعمل به واذا لم يعلم واقدم (فاما ان يجترئ) اى يهجم (على سفك دم مسلم حرام) اى اراقته من غير استحقاقه (او يسقط حقا) اى امرا ثابتا (ويضيع حرمة للنبى) وفى نسخة حرمة النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيهلك من حيث لا يعلم والثانى اقبح من الاول لانه موجب كفره ولغيره فتأمل (ولسبيل هذا) اى ما ذكر من الكلام فى عصمة الانبياء عليهم السلام (ما) زائدة او موصولة (قد اختلف ارباب الاصول) اى اصول الدين (وائمة العلماء) من المجتهدين (والمحققين)

من المفسرين والمحدثين (فى عصمة الملائكة) المقربين والمعتمد انهم كالانبياء والمرسلين فى تنزيههم عن المخالفة فى امر الدين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

(فصــــل)

(فى القول فى عصمة الملائكة) جمع ملك اصله ملأك حذفت همزته بعد نقل حركتها لكثرة الاستعمال وقيل اصله مألك من الالوكة وهى الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الهاء فيقال ملائك (اجمع المسلمون على ان الملائكة كلهم مؤمنون) كاملون (فضلاء) بضم ففتح اى فاضلون فى قدرهم عند ربهم (واتفق أئمة المسلمين) من علماء الامة وعظماء الملة (على ان حكم المرسلين منهم) اى من الملائكة المقربين الى الانبياء والمرسلين (حكم النبيين سواء) اى مستوين (فى العصمة) وتعظيم الحرمة (مما ذكرنا عصمتهم) اى النبيين (منه) اى من السهو فى القول والتبليغ فى الفعل (وانهم) اى رسل الملائكة (فى حقوق الانبياء والتبليغ اليهم) ما امرهم الله تعالى به من الانباء (كالانبياء مع الامم) فى هذه الاشياء (واختلفوا) اى العلماء (فى غير المرسلين منهم) أمعصومون هم كمرسليهم ام لا (فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصى واحتجوا) اى استدلوا وهم الائمة وفى نسخة واحتجت اى الطائفة او الفرقة فى عصمتهم من جميع المعصية (بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم) اى فيما امرهم به فيما مضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون ولا يتثاقلون عن القيام به (وبقوله وما منا) اى معشر الملائكة احد (الا له مقام معلوم) لعبادته لا يتجاوز الى غير حالته (وانا لنحن الصافون) اقدامنا فى الصلاة او الحافون حول العرش واقفون (وانا لنحن المسبحون) اى المنزهون لله عما يشركون (وبقوله ومن عنده) اى عندية مكانة ومنزلة وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) تعاظما (ولا يستحسرون) اى لا يعيون ولا يتعبون ولا ينقطعون تفاقما (الاية) اى يسبحون الليل والنهار لا يفترون كما فى نسخة اى لا ينقطعون ولا يملون (وبقوله ان الذين عند ربك) اى مقربون (لا يستكبرون عن عبادته) بل يفتخرون بطاعته (الاية) اى ويسبحونه وله يسجدون حقيقة او ينقادون لحكمه ويتذللون بالخضوع والخشوع لامره (وبقوله) تبارك وتعالى فى وصفهم (كرام) اى مكرمين على الله (بررة) اى اتقياء مطيعين فى مقام رضاه (ولا يمسه) اى اللوح المحفوظ او القرءآن المحفوظ (الا المطهرون) اى الملائكة المتطهرون من ادناس الذنوب واجناس العيوب (ونحوه) اى وبامثال ما ذكر (من السمعيات) من الكتاب والسنة (وذهبت طائفة) من العلماء (الى ان هذا) اى ما ذكر من قضية العصمة وعدم المخالفة (خصوص للمرسلين والمقربين (منهم) اى من الملائكة (واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير) المعتمدة على ما نقله فيها عن الرهبان والاحبار (ونحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد) اى بعد ذلك (ونبين الوجه) اى الاوجه (فيها) هنالك (ان شاء الله تعالى) اى ارادة وقضاه وما احسن ما قال الشافعى رحمه الله تعالى

فما شئت كان وان لم اشأ * وما لم تشأ ان اشأ لم يكن

وهو مضمون كلام اتفق عليه السلف والخلف مما ثبت فى الحديث ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (والصواب عصمة جميعهم) اى الملائكة من جنس المعصية (وتنزيه نصابهم) اى تبرئة ساحة منصبهم وقدرهم (الرفيع) عند ربهم (عن جميع ما يحط من رتبتهم) ويزرى من رتبهم (ومنزلتهم عن جليل مقدارهم) وجميل درجتهم (ورأيت بعض شيوخنا اشار بان) وفى نسخة مال الى ان اى انه يعنى الشان (لا حاجة بالفقيه) اى له (الى الكلام فى عصمتهم) بل يجوز له السكوت عن تفصيل حالتهم ومرتبتهم (وانا اقول ان للكلام فى ذلك) المرام من كثرة الفوائد (ما للكلام) وفى نسخة كالكلام (فى عصمة الانبياء من الفوائد التى ذكرناها) فيما تقدم من الفصول المشتملة على انواع من الفوائد (سوى فائدة الكلام فى الاقوال والافعال) لعدم اطلاعنا على ما يصدر عنهم من قول وفعل مفصلا وانما نعرف احوالهم مجملا مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيها فلا داعى الى اثبات عصمتهم فيهما من طرق ما لا يليق بهم فيها عمدا او سهوا (فهى) اى فائدة الكلام فى اقوالهم وافعالهم (ساقطة ههنا) اى غير مذكورة فى بيان عصمتهم لعدم احتياجنا اليها فاذا عرفت هذا (فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم) اى جميع افراد الملائكة بل يوجب عصمة جنسهم الصادق على بعضهم (قصة هاروت وماروت) وهما ملكان نزلا ببابل قرية بالعراق اسمان اعجميان بدلالة منع صرفهما للعلمية والعجمة (وما ذكر) عطف على قصة اى وما ذكره (فيها) اى فى قصتهما (اهل الاخبار ونقلة المفسرين) عن الاحبار من ان الملائكة عيرت بنى آدم بعصيانهم الله تعالى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر يا رب هؤلاء ما اقل معرفتهم بعظمتك فقال لو كنتم فى مسلاخهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بنى آدم

ومثلت لهما امرأة فما عصما حتى واقعا المعصية فقال الله تعالى لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا (وما روى) اى عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما (عن على) كرم الله وجهه (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (فى خبرهما) اى هاروت وماروت فعن على رضى الله عنه ان هذه الزهرة يسميها العجم اناهيذ وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما امرأة فارادها كل منهما مخفيا من الاخر فقال احدهما يا اخى اريد ان اذكر لك ما فى نفسى فقال اذكره لعله ما فى نفسى فاتفقا فقالت لا امكنكما او تخبرانى اى حتى تعلمانى بما تصعدان به الى السماء وتهبطان به فقالا باسم الله الاعظم قالت علمانيه فعلماها اياه فتكلمت به فطارت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا وروى ابن ابى حاتم عن ابن عباس ان ملائكة سماء الدنيا قالوا يا ربنا اهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة يحكمون فى الارض وجعل فيهم شهوة بنى آدم وامروا ان لا يقترفوا ذنبا فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط اثنان فاتتهما امرأة من احسن النساء فهوياها فاتيا منزلها واراداها فابت حتى يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا ان يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت اخبرانى بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما الى السماء فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهى الزهرة فارسل اليهما سليمان ابن داود وقيل ادريس يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض قيل معلقان بشعورهما وقيل جعل فى جب ملئت نارا منكوسان يضربان بسياط الحديد (وابتلائهما) اى ما روى من اختبارهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس اى امتحانا لهم فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه او تعلمه ليتوقى شره لم يكفر (فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وانما رويت عن علماء اليهود والنصارى ممن لا يصدق ولا يكذب فى اخبارهم ولا يعتمد على آثارهم لكن يشكل هذا بما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسنده فقال حدثنا يحيى ابن ابى بكير وقال عبد بن حميد فى مسنده ثنا ابو بكر ابن ابى شيبة قال حدثنى ابن ابى بكير ثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر انه سمع نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما اهبطه الله تبارك وتعالى الى الارض قالت الملائكة اى رب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن اطوع لك من بنى آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما الى الارض لينظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من احسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك به ابدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبى فقالا لا والله لا نقتله ابدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى وتكلما بكلمة الاشراك فلما افاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيأ مما ابيتماه على الا وقد فعلتماه حتى سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا انتهى ويحيى ابن ابى بكير شيخ احمد ثقة اخرج له الائمة الستة وزهير ابن احمد اخرج له ايضا اصحاب الكتب الستة ووثقه احمد وروى الميمونى عن احمد مقارب الحديث وروى المروزى عن احمد ما به بأس وروى البخارى عن احمد قال كان زهير الذى روى عنه اهل الشام زهيرا آخر وروى الاثرم عن احمد قال للشاميين عن زهير مناكير وقال الترمذى فى العلل سألت البخارى عن حديث زهير هذا فقال انا اتقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع وليس هذا عندى بزهير بن محمد قال وكان احمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ويقول هذا الشيخ ينبغى ان يكونوا قلبوا اسمه قال الحلبى وله ترجمة فى الميزان وقد ذكر فيها مناكير ولم يذكر هذا منها واما موسى بن جبير فقد اخرج له ابو داود وابن ماجه وذكره ابو حيان فى الثقات واما نافع فلا يسأل عنه فيحتاج هذا الحديث الى جواب على وجه صواب قال الحلبى وقد رأيت الحديث فى مستدرك الحاكم فى تفسير سورة الشورى من طريق ابن عباس وقال فى آخره صحيح ولم يتعقبه الذهبى فى تلخيصه للمستدرك هذا وذكر فى الميزان فى ترجمة سنيد بن داود واسمه الحسين انه حافظ له تفسير وله ما ينكر ثم ساق بسند الى سنيد ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سرت مع ابن عمر فقال طلعت الحمراء قلت لا ثم قال قد طلعت قلت لا قال لا مرحبا بها ولا اهلا قلت سبحان الله نجم سامع مطيع قال ما قلت الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بنى آدم قال انى قد ابتليتهم وعافيتهم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقى عليهما الشهوة فجاءت امرأة يقال لها الزهرة الحديث بطوله ثم قال روى عنه ابو زرعة والاثرم وجماعة وضعفه ابو حاتم وقال ابو داود لم يكن بذاك وقال النسائى الحسين سنيد بن داود ليس بثقة ثم اخرج الذهبى وفاته انتهى ولا يخفى ان الحديث

كما رواه مرفوعا وموقوفا له اصل ثابت فى الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده فى مسند احمد وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب البيهقى ومسند عبد بن حميد والعقوبات لابن ابى الدنيا وغيرهم مطولا ومن رواية ابى الدرداء فى ذم الدنيا لابن ابى الدنيا وموقوفا عن على وابن عباس كما مر وعن ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة وقد قيل لهذه القصة طرق تفيد العلم لصحتها فالجواب الصواب ان الكلام فى عصمة الملائكة الكرام وهذان قد خرجا عن صفة الملائكة بالقاء نعت البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما فى القضية والتحقيق والله ولى التوفيق ان الملائكة خلقوا للطاعة كما ان الشياطين خلقوا للمعصية وكل من الطائفتين جبلوا بما لهم من القابلية واما افراد الانسانية فمعجون مركب من الصفات الملكية والنعوت الشيطانية مرتب بين المراتب العلوية والمناقب السفلية فمن مال الى اطوار الملائكة ترقى عنهم ومن مال الى اشرار الشياطين تنزل عنهم فالانسان كالبرزخ بين البحرين الشارب من النهرين جامع بين نعوت الجلال وصفات الجمال وقابل لقبول ما لله من صفات الكمال فقد ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ايماء الى نعت الغفور والغفار والحليم والستار ومن هنا يتبين ان الانبياء يتصور منهم المعصية فى الجملة بخلاف الملائكة مع ان المعتمد فى المعتقد ان رسل البشر افضل من رسل الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولعل العلة انهم مع كون الشهوة فيهم مركبة وقعت احوالهم مرتبة فى رفعة منزلة وعلو مرتبة (وليس هو) اى ما نقل من الاخبار (شيأ يؤخذ بقياس) اى من الاثار فى مقام الاعتبار (والذى منه) اى من خبر قصتهما (فى القرآن) اى فى سورة البقرة (اختلف المفسرون فى معناه) فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا من جهة مبناه (وانكر ما قال بعضهم فيه) اى فى معناه (كثير من السلف كما سنذكره) فيما سيأتى فلا نطول هنا بذكره (وهذه الاخبار) التى اوردها المفسرون فيه (من كتب اليهود وافترآتهم) على انبياء الله وملائكته من ارباب الشهود (كما نصه الله تعالى) اى صرحه (اول الايات) اى فى اولها (من افترآتهم) اى كذب اليهود (بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه) فى قوله واتبعوا اى اليهود ما تتلو الشياطين اى كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرأها على ملك سليمان اى فى زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يخلطون بما سمعوا اكاذيب كثيرة ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا به وما سخر له الجن والانس والطير والريح الا به وما كفر سليمان شهادة من الله وتكذيب لليهود ودفعا لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينهم يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وقد انطوت القصة) اى احتوت واشتملت قصة هاروت وماروت (على شنع) بضم المعجمة وفتح النون اى قبائح (عظيمة وها) للتنبيه (نحن نخبر) بضم نون وفتح مهملة وكسر موحدة مشددة اى نحسن (فى ذلك) القول من العبارات (ما يكشف غطاء هذه الاشكالات) اى ما يرفع حجابها ويزيل نقابها (ان شاء الله تعالى فاختلف) اى فاختلفوا (اولا فى هاروت وماروت هل هما ملكان) بفتح اللام وهو الصحيح (او انسيان) اى منسوبان الى الانس اى آدميان ويمكن الجمع بانهما كانا ملكين وتشكلا بصورة رجلين (وهل هما) اى هاروت وماروت (المراد بالملكين) فى آية وما انزل على الملكين وهو الصحيح (ام لا) وهذا مما لا يلتفت اليه اصلا (وهل القرآءة ملكين) بفتح لامهما كما فى القرآءة المتواترة التى اتفق عليها القرآء السبعة والعشرة (او ملكين) بكسرها كما فى قرآءة شاذة وهما كانا نبيا بل انزل عليهما السحر ولا معنى للاختلاف فيهما اذ الرواية الشاذة الغير المعتبرة لا تقاوم القرآءة المتواترة على انه يمكن الجمع بينهما بانهما ملكان فى اصلهما انزلا على صورة ملكين حاكمين فى عهدهما (وهل ما فى قوله تعالى وما انزل) اى على الملكين (وما يعلمان من احد نافية) فيهما فيكون عطفا على ما كفر اى وما كفر سليمان ولا انزل على الملكين اى جبريل وميكائيل فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله به (او موجبة) اى ثابتة موصولة معطوفة على السحر على الصحيح والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار ويراد به نوع اقوى منه اى ويعلمونهم ما الهما او معطوفة على ما تتلو قال البيضاوى وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة واذا عرفت هذا الاختلاف اجمالا فاعلم ما بين لك المصنف تفصيلا (فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين) بفتح اللام (لتعليم السحر وتبيينه) فى مقام تعيينه (وان عمله) اى تعلمه وفى نسخة عمله (كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن) بمد الهمزة اى دام على ايمانه ولم يكفر ولا يبعد ان يكون بفتح الهمزة وكسر الميم اى امن من الوقوع فى الكفر واعلم ان استعمال السحر كفر عند ابى حنيفة ومالك واحمد وعند الشافعى استعماله من الكبائر اذا لم يعتقد جوازه ولم يكن فى السحر ما يوجب الكفر وظاهر الاية يؤيد اطلاق قول الائمة الثلاثة حيث

(قال الله تعالى خبرا عنهما وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له) مبتدأ خبره (تعليم انذار) اى تخويف وانكار (اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعلوا) وفى نسخة لا تفعل (كذا) اى لا تتعلمه (فانه يفرق بين المرء وزوجه) اى هو سبب للتفريق بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز فى قلوبهما فالسحر له بنفسه اثر يحدثه الله عند تعاطيه وقد لا يحدثه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله (ولا تتخيلوا) بخاء معجمة من التخيل وفى نسخة لا تخيلوا من التخييل من باب التفعيل وهو ظن الشئ على خلاف ما هو عليه ومنه قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفى نسخة لا تتحيلوا بالحاء المهملة (بكذا) اى وكذا (فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا) التفسير (فعل الملكين طاعة) بلا شبهة (وتصرفهما فيما امرا به) بما انزل عليهما (ليس بمعصية) وفى نسخة معصية اى مخالفة (وهى) اى هذه الحالة (لغيرهما فتنة) اى ابتلاء ومحنة (وروى ابن وهب) وهو عبد الله بن وهب المصرى المعلم وقد تقدم (عن خالد ابن ابى عمران) التجيبى التونسى قاضى افريقية يروى عن عروة وجماعة وعنه الليث بن سعد وعدة صدوق فقيه عابد ثقة (انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان) اى الناس كما فى نسخة (السحر فقال نحن ننزههما عن هذا) اى عن تعليم السحر لانه كفر او كبيرة ويروى عن هذه النقيصة (فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين) بناء على ان ما موصولة وهاروت وماروت بدل منهما فيكون حجة على اثباته لهما (فقال خالد) دفعا لما اورده عليه بقوله وما انزل معناه انه (لم ينزل عليهما) بناء على كون ما نافية (فهذا خالد على جلالته) اى عظيم رتبته (وعلمه) اى وكثرة معرفته (نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما مأذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه) اى امرهما (امتحان من الله تعالى وابتلاء) اى اختبار لخلقه وليس فيه محظور ولا يترتب عليه محذور ويمكن الجمع بان المثبت يحمل امرهما على انهما مأموران والنافى على ضد ذلك فيرتفع الخلاف هنالك (فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصى) من قتل النفس والزنى وشرب الخمر (والكفر) من السجدة للصنم (المذكورة فى تلك الاخبار) المسطورة المشهورة وقد قدمنا دفع الاشكال حيث حملنا حالهما حينئذ على سلب ماهية الملكية عنهما وتركيب الشهوة البشرية فيهما والكلام فى حق الملائكة الثابتة على جبلتهم الاصلية بخلاف الاحوال العارضية (وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية) كما قدمنا (وهو قول ابن عباس) اى رواية عنه (قال مكى وتقدير الكلام) على قول خالد تبعا لابن عباس ان ما نافية عطفا على قوله تعالى (وما كفر سليمان يريد) اى الله سبحانه وتعالى ان سليمان ما كفر (بالسحر الذى افتعلته عليه) اى افترته عليه (الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود) فان الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان او نزع منه ملكه استخرجوه وقالوا انسلطه فى الارض بهذا السحر فتعلموه وبعضهم نفوا نبوته وقالوا ما هو الا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال وما كفر سليمان (وما انزل على الملكين قال مكى هما) يعنى الملكين اللذين لم ينزل عليهما (جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك) فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله وعلى هذا فقوله ببابل متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قرآءة الملكين بالكسر ابتلاهما الله بالسحر وقع ابدل بعض من الشياطين هذا وعن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما ان سليمان اخذ ما فى ايدى الشياطين من السحر ودفنه تحت كرسيه ثم لما مات اخرجه الانس بتعليم الجن وعملوا به وعن الحسن ثلث ما اخرجوا من تحت كرسيه شعر وثلثه سحر وثلثه كهانة (ولكن الشياطين كفروا) قرئ فى السبعة بتشديد لكن وتخفيفها (يعلمون الناس السحر ببابل) قرية بالعراق ومنع صرفه للعلمية والتأنيث او العجمة وعن ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقيل بابل موضع بالمغرب وهو بعيد ولعله اسم مشترك وانما الكلام فى المراد والله تعالى اعلم (هاروت وماروت) سبق انهما ملكان فى اصلهما وقع منهما ما وقع ثم ابتليا بتعليم السحر للخلق ابتلاء من الحق (قيل هما رجلان تعلماه) ويؤيده انه (قال الحسن) اى البصرى رحمه الله (هاروت وماروت علجان) تثنية علج بكسر اوله وقد يفتح وهو الشديد القوى الغليظ الجافى والمعنى انهما كافران من العجم (من اهل بابل وقرأ) اى الحسن (وما انزل على الملكين بكسر اللام) بناء على انهما كانا من بابل انزل عليهما السحر ابتلاء من الله تعالى لهما او لغيرهما (وتكون ما) فى الاية حينئذ (ايجابا) اى موصولة لا نافية على هذا (ومثله) اى ومثل قرآءة الحسن (قرآءة عبد الرحمن بن ابزى) بموحدة ساكنة وزاى مقصورا (بكسر اللام) قال صليت خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتم التكبيرات انتهى ونقل الذهبى عن البخارى ان له صحبة وعن ابن ابى حاتم انه صلى خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الكلاباذى له صحبة وحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا فى الاكمال قال انه صحابى وقال ابن ابى داود انه تابعى وقال ابن قرقول

فى مطالعه انه لم يدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى التجريد للذهبى عده فى الصحابة وكذا النووى فى التهذيب
وقد روى عن ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (ولكنه) اى ابن ابزى (قال الملكان هنا) اى فى آية وما انزل على
الملكين (داود وسليمان وتكون ما) على قرآءته (نفيا على ما تقدم) عن اليهود انهم كانوا ينسبون انزال السحر تارة
الى جبريل وميكائيل واخرى الى داود وسليمان (وقيل كانا ملكين) اى آخرين (من بنى اسرائيل) ساحرين
(فمسخهما الله حكاه السمرقندى) وهو الفقيه ابو الليث (والقرآءة بكسر اللام شاذة) اى ليست متواترة (فحمل
الآية) وروى لحمل الاية اى آية وما انزل على الملكين (على تقدير ابى محمد مكى) بجعل ما نافية عطفا على ما كفر سليمان
(حسن) لو قيل انهما لم يؤمرا بتعليم السحر للناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مأموران بما ذكر
فلا حاجة الى ارتكاب القول بجعل ما نافية لمخالفته ظاهر الآية ولان فعلهما ذلك حينئذ طاعة (ينزه الملائكة)
عن الخروج عن الطاعة بارتكاب المعصية (ويذهب الرجس) اى جنس الذنب (ويطهرهم تطهيرا) بالعصمة عن
العيب (وقد وصفهم الله تعالى) اى الملائكة (بانهم مطهرون) من الادناس (وكرام بررة) عند الله تعالى وعند الناس
(ولا يعصون الله ما امرهم) فى جميع الانفاس ومجمل الكلام فى هذا المقام ان الاصح عند العلماء الكرام فى هذه
القصة ان الملكين بفتح اللام يراد بهما هاروت وماروت وما موصولة وبكسر اللام يراد بهما داود وسليمان عليهما
السلام وما نافيه وكذا اذا فسر الملكين بفتح اللام بجبريل وميكائيل يكون ما نافية فارتفع الخلاف فى المرام واجتمع
نظام الالتئام (وما يذكرونه) اى الطائفة القائلة بعدم عصمة جميعهم ويستدلون به (قصة ابليس) ويروى من قصة
ابليس (وانه كان من الملائكة) على زعمهم (ورئيسا فيهم) وفيه انه لا يلزم من كونه رئيسا فيهم انه فى اصله منهم
(ومن خزان الجنة) بضم الخاء وتشديد الزاى اى خزنتها (الى آخر ما حكوه) وليس فيه دلالة على ما ادعوه (وانه) اى
الله سبحانه وتعالى (استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس) والاصل فى الاستثناء ان يكون متصلا الا انه قيل
بانقطاعه لقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وبان الملائكة ليس لهم ذرية وقال تعالى افتتخذونه وذريته
اولياء من دونى وهم لكم عدو والملائكة ليس هم اعداءنا (وهذا) وروى وهو اى القول بانه من الملائكة (ايضا) قول
طائفة قليلة (لم يتفق عليه) بين العلماء (بل الاكثر منهم ينفون ذلك) القول بانه منهم (وانه ابو الجن) عندهم على الصحيح
(كما ان آدم ابو الانس وهو) اى القول بانه ابو الجن (قول الحسن وقتادة وابن زيد) وانما استثنى منهم لانه كان
مغمورا بين الوف منهم فامر بالسجود لآدم معهم ثم استثنى استثناء واحد منهم بقوله فسجدوا الا ابليس والحاصل
انه استثناء متصل مجازا او منقطع حقيقة ولا يبعد ان يقال جمعا بين الاقوال انه كهاروت وماروت كان من
جنس الملائكة لكن الله سبحانه وتعالى خلق فى جبلته المعصية فتغير عن حالته الاصلية فخالف الامر الالهى
فى السجدة الصورية فانتقل الى الخلقة الجنية وحصلت منه الذرية (وقال شهر بن حوشب) بفتح الحاء المهملة فواو
ساكنة فشين معجمة مفتوحة فموحدة يروى عن مولاته اسماء بنت يزيد وعن ابن عباس وابى هريرة وعنه مطر
الوراق وثابت وثقه ابن معين واحمد وضعفه شعبة وقال النسائى ليس بالقوى توفى سنة مائة اخرج له الاربعة (كان)
اى ابليس (من الجن الذين طردتهم الملائكة من الارض حين افسدوا) يعنى (والاستثناء) بقوله الا ابليس منقطع لانه
من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اى الاستثناء (من غير الجنس فى كلام العرب) نظما ونثرا (سائغ) بسين مهملة
وغين معجمة اى جائز من ساغ الشراب فى الحلق اذا جاوزه بسهولة وفى نسخة زيادة وشائع بشين معجمة وعين مهملة اى فاش
ذائع من شاع الخبر اذا ذاع ومنه كل سر جاوز الاثنين شاع (وقد قال تعالى) تكذيبا لمن زعم قتل عيسى (ما لهم به
من علم الا اتباع الظن) لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثناء منقطع اى ولكنهم اتبعوا فيه ظنهم (ومما رووه)
اى الطائفة القائلة بعدم عصمة جنس الملائكة (فى الاخبار) كابن جرير عن ابن عباس وابن ابى حاتم عن يحيى
ابن كثير (ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا) اى احرقوا (وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون
كذلك حتى سجد له) اى لآدم (من ذكر الله) اى جميع الملائكة (الا ابليس فى اخبار لا اصل لها) مما يعتمد عليها (يردها
صحاح الاخبار فلا يشتغل) اى فينبغى ان لا يشتغل (بها) ويروى بهذا وفى نسخة بصيغة المتكلم ثم على تقدير صحتها
يحمل على ان الله تعالى غير ماهيتهم عن اصل جبلتهم وعصمتهم فوقع فيهم ما اراد الله من معصيتهم وهذا كقضية بلعم
ابن باعوراء حيث تغير عن جبلته الى صورة كلب وماهيته وعكسه كلب اصحاب الكهف وقد ورد ان بلعم يدخل النار
بصورة ذلك الكلب وذلك الكلب يدخل الجنة بصورة بلعم ثم رأيت فى حاشية الانطاكى روى ان الله تعالى لما خلق
الارض خلق لها سكانها من بنى الجن من نار فركبت فيهم الشهوة وامرهم ونهاهم فلما سكنوا فيها افسدوا وعصوا
امر ربهم وسفكوا الدماء فانزل الله تعالى نارا من السماء فاحرقتهم الا ابليس سأله من الله ملك من الملائكة فوهب له

ثم

ثم خلق الله ثانيا وثالثا مثلهم ففعلوا ذلك فاهلكهم الله (والله اعلم) وفى نسخة والله الموفق وزيد فى نسخة للصواب

(الباب الثانى)

(فيما يخصهم) اى الانبياء (فى الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية) اى ما يعرض للانسان ويحدث له
من الامور الكونية (قد قدمنا انه عليه الصلاة والسلام وسائر الانبياء والرسل) الكرام (من البشر وان جسمه)
اى جسده (وظاهره) اى بدنه (خالص للبشر) اى لعوارضه كغيره (يجوز عليه من الآفات) اى العاهات (والتغيرات)
من قبض وبسط وفرح وغم وسائر الحالات (والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام) بكسر الحاء الموت وكل منها
لا يخلو عن كلفة والتجرع شرب بمهلة وقيل ابتلاعه بعجلة او القضاء والقدر والكأس مهموز وقد تبدل (ما يجوز)
اى كل ما يجوز وقوعه من الآفات والحالات (على البشر) اى جنس بنى آدم (وهذا كله) ويروى وذلك كله (ليس
بنقيصة فيه) ولا فى غيره من الانبياء (لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه) اى من جنسه ويروى
الى غيره مما هو اتم (واكمل من نوعه) كافراد الانسان فى تفاوت مراتب الاحسان (وقد كتب الله) اى قدر وقضى
(على اهل هذه الدار) اى دار الهموم والاكدار او اثبت فى كتابه (فيها تحيون) اى تعيشون (وفيها تموتون) اى
وتقبرون (ومنها تخرجون) بصيغة المجهول فى قرآءة وبصيغة الفاعل فى اخرى (وخلق جميع البشر بمدرجة الغير) بكسر
الغين المعجمة وفتح التحتية الاسم من قولك غيرت الشئ فتغير والمدرجة بفتح الميم وسكون الدال وبالراء والجيم اى فى مسلك
التغير من حوادث الدهر (فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى) الضر تكثيرا للاجر وقد ورد اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وفى حديث قالوا له انك توعك وعكا شديدا قال اجل كما يوعك رجلان منكم (واصابه
الحر والقر) بضم اوله وبفتح البرد مطلقا وقيل برد الشتاء وحر الصيف اذ لم يخص بهما احد دون احد وقد يطلقان مجازا
على المحنة والنعمة قال عمر لابن مسعود بلغنى انك تفتى ول حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة وبالبرد
عن الهينة اى ول شرها من تولى خيرها (وادركه الجوع والعطش) كغيره من البشر حتى ربط ببطنه الحجر (ولحقه
الغضب) لله اذا رأى خلاف ما يرضاه (والضجر) بفتحتين اى القلق والملل (وناله الاعياء) اى العجز والكلال (والتعب)
اى المشقة والنصب (ومسه الضعف) اى ضعف البدن (والكبر) اى اثره بانواع الغير (وسقط) اى عن دابة وفى رواية
عن فرس كما رواه الشيخان (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة فشين معجمة اى خدش (شقه) وقشر جلد بعض
اعضائه وفى رواية جانبه الايمن وفى رواية شقه الايسر وفى رواية ساقه او كتفه فلم يخرج اياما (وشجه الكفار) فى وجهه
فادموه والشج فى الاصل ضرب الرأس وكسره وشقه ثم استعمل فى غيره من الاعضاء والمعنى جرح وجهه الكريم
ابن قمئة اللئيم يوم احد (وكسروا رباعيته) بتخفيف التحتية على زنة الثمانية وهى التى بين الثنية والناب وكانت
السفلى اليمنى على ما ذكره الحلبى واما قول الدلجى اى احدى ثنايا اسنانه فغير صحيح (وسقى) بصيغة المجهول (السم)
بتثليث السين والفتح افصح ثم الضم وقد تقدم ان زينب بنت الحارث اليهودية سمته فى عضد الشاة بخيبر وسبق
ما فعل بها واخبرته العضد بانها مسمومة (وسحر) وقد تقدم ان لبيد بن الاعصم سحره او بناته (وتداوى) لبعض
اوجاعه تشريعا لاتباعه (واحتجم) كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (وتنشر) بتشديد الشين المعجمة وهو من النشر
مثل التعويذ والرقية وفى الصحيح من حديث عائشة هلا تنشرت قال اما الله فقد عافانى قال الحلبى والظاهر ان مرادها
بالنشرة المعروفة عندهم وهى اغسال مخصوصة وليس المراد الرقية بالقرآن او بغيره من الاذكار وذكر الدلجى
ان النشرة هى الرقية من سحر ونحوه وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل بسم الله ارقيك
من كل داء يؤذيك الله يشفيك وقالت له عائشة الا تنشر فقال اما الله فقد شفانى (وتعوذ) كما رواه الترمذى والنسائى
عن ابى سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزل المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما وروى
الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وذكر
التلمسانى ان النشرة هى علاج ورقية من مرض او جنون واختلف فى النشرة فقيل يجوز وقيل لا وقال الخطابى
ما يؤخذ على كتبها جائز حلال اذا كان باسم الله تعالى وبما يفهم من الكلام واما بغير ذلك فحرام (ثم قضى نحبه)
اى نذره او سيره او اجله والتحقيق انه كناية عن الموت اذ اصله النذر وكل حى لا بد ان يموت فكانه نذر لازم له فاذا مات
فقد قضاه (فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى توفاه الله تعالى (ولحق بالرفيق الاعلى) كما تمناه
من المولى على ما رواه البخارى وغيره عن عائشة اللهم الرفيق الاعلى وفى رواية الحقنى بالرفيق الاعلى اى من النبيين
والملائكة وقيل هو مرتفق الجنة وقيل الرفيق اسم لكل سماء واراد الاعلى لان الجنة فوق ذلك وقيل المراد اعلى الجنة
وقيل هو الله تعالى وقيل لا يصح انه اسم الله ويرد بانه يقال الله رفيق بعباده وقيل معناه رفق الرفيق وقيل لا يعرف

اهل اللغة الرفيق واعله تصحيف الرفيع وما قدمناه هو الصحيح لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو يقع على الواحد والجمع وقيل
الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين (وتخلص من دار الامتحان والبلوى) اى المحنة والبلية (وهذه
سمات البشر) بكسر السين المهملة جمع سمة اى علامات كون البشر يبتلى بها (التى لا محيص عنها) بكسر الحاء
المهملة اى لا معدل ولا محيد ولا مخلص (واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها) اى بحسب الصورة فيها (فقتلوا)
بالتشديد للتكثير (تقتيلا) وفى نسخة فقتلوا قتلا بغير حق كيحيى بن زكريا بجز عنقه وفى حاشية التلمسانى وانما اكد
بالمصدر تحقيقا للوقوع وقال ابن سيدى الحسن وجدت بخط شيخنا الامام ابى عبد الله ابن مرزوق قال وجدت
فى بعض كتب اهل التاريخ عن ابى هريرة قال اشتريت غلاما بربريا فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال من هذا قلت غلام بربرى اشتريته فقال بعه ولا تمسكه عندك فان قومه قتلوا اربعين نبيا فاكلوا لحومهم ورموا
عظامهم على المزابل فسلط الله عليهم ريحا بددتهم والقتهم بالمغرب قال الشيخ ولا يخفى ما فى احاديث المؤرخين
من الضعف (ورموا فى النار) كابراهيم عليه السلام فكانت عليه بردا وسلاما وقد احرق جرجيس وطبخ ثم قام سالما
(ونشروا بالمناشير) وفى نسخة وانشروا بالمآشير جمع منشار بهمز لغة فى المنشار بنون وفيه لغة اخرى وهى المواشير بالواو
وقيل المياشير بالياء من وشر والمعنى واحد اى شقق وقطع بالمنشار ونحت به كزكريا عليه السلام نشر بالمنشار جزلتين
اى قطعتين (ومنهم من وقاه الله ذلك) اى حفظه هنا للتمن الآفات والبليات (فى بعض الاوقات ومنهم من عصمه)
اى الله كما فى نسخة اى حفظه ووقاه من القتل كعيسى عليه السلام اذ تمالأت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه اليه
ويطهره من صحبتهم ويقربه لديه فقال لبعض اصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة
فقال رجل منهم انا فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وعصم عيسى برفع الله اياه (كما عصم بعض الانبياء من الناس)
اى من شرهم جميعا وفى اصل الدلجى كما عصم بعد مبنيا على الضم اى بعد عيسى نبينا من الناس لقوله تعالى
والله يعصمك من الناس اى من قتلهم اياك وقيل نزلت هذه الآية بعد ما وقعت له الجراحة ففى الجملة حصلت له الرعاية
والكفاية والصيانة والحماية (فلئن لم يكف نبينا) اى محمدا كما فى نسخة (ربه) بالرفع على انه فاعل اى فلئن لم يمنع عنه
(يد ابن قمئة) فعلة بكسر القاف وسكون الميم فهمزة وقيل بفتح اوله وكسر ثانيه وزيادة ياء فيه على وزن سفينة
وهو الاكثر وهو من قمأ صغر وذل وهو عبد الله بن قمئة الذى جرح وجنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت
حلقتان من حلق المغفر فى وجنته (يوم احد) وكسر رباعيته وهو الذى قتل مصعب بن عمير كما حكاه الطبرى وقد نطحه
تيس فتردى من شاهق جبل كافرا وضبطه الدلجى بكسر اوله وثانيه مشددا بعده همزة (ولا حجبه) اى ولئن لم يحجبه
ولم يستره (عن عيون عداه) بكسر اوله ويضم اسم جنس للعدو اى عن اعين اعدآئه (عند دعوته اهل الطائف) ويروى
عن عيون عداء اهل الطائف عند دعوته ففى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة
اذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن
الثعالب الحديث وكان عبد ياليل من اكابر اهل الطائف وروى انه عليه الصلاة والسلام لما انتهى الى الطائف حين
التمس من ثقيف النصرة فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمون رجليه بالحجارة فدميتا
وطفق يقيهما بثيابه حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى حائط لابنى ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان
يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء اهل الطائف فتحركت له
رحمهما فبعثا له قطف عنب الحديث وروى الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال لما توفى ابو طالب خرج
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم
اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى اى يلقانى بوجه كريه ام الى صديق قريب كلفته امرى ان لم تكن غضبان على فلا
ابالى غير ان عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى
غضبك او يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (فلقد اخذ) اى الله سبحانه وتعالى (على عيون
قريش) باخفائه عنها حين ارادوا قتله فخرج عليهم وقرأ وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وذر على رأس كل واحد منهم ترابا وذلك (عند خروجه) ويروى فى يوم خروجه (الى ثور) اى الى غار
فى جبل ثور عن يمين مكة وهو المراد بقوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

ووقع

ووقع فى اصل التلمسانى جبل ابى ثور ثم قال وروى الى ابى ثور وصوابه الى جبل ثور او الى يوم ثور ولفظ ابى وهم اذ لا
يعرف جبل ابى ثور (وامسك) اى الله (عنه) اى عن نبيه (سيف ابن غورث) بالغين المعجمة وهو ابن الحارث الغطفانى
وقد تقدم انه اسلم وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم والذى فى البخارى انه عليه الصلاة والسلام نزل بمكان كثير العضاة
فعلق سيفه بشجرة ونام فى ظلها فجاء غورث فاخترطه وقال للنبى عليه الصلاة والسلام من يمنعك منى فقال الله
فسقط السيف من يده الحديث (وحجر ابى جهل) فرعون هذه الامة اى امسكه عنه حين اراد ان يرميه به وكان
حمل صخرة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد ليطرحها عليه فلزقت بيده وتقدمت القصة (وفرس سراقة)
بضم اوله باساخة رجليها بالارض فوقاه الله شره وقد اسلم كما افاده حديث الهجرة (ولئن لم يقه) اى لم يحفظه ولم يمنعه
(سحر ابن الاعصم) وفى نسخة من سحر ابن الاعصم وهو لبيد اليهودى هلك على كفره وقد سحره فى مشط ومشاطة
وجف طلعة ذكر كما فى رواية البخارى (فلقد وقاه ما هو اعظم) خطرا واكثر ضررا من سحره (من سم اليهودية) بيان
لما وقد سمته بشاة مخنوذة بخيبر فاخبره كتفها انه فاكل منها وبعض اصحابه فلم يضره فعفا عنها ومات به بشر بن البراء
فقتلها به كذا روى وفيه خلاف تقدم والله اعلم والحاصل انه سبحانه وتعالى ربى نبيه الذى عظم شانه تارة بصفة الجلال
واخرى بنعت الجمال ليكون فى مقام الكمال حيث مقتضيات اسماء الذات والصفات (وهكذا سائر انبيائه) منهم
(مبتلى) كايوب عليه السلام (و) منهم (معافى) من كثرة الاسقام وشدة الآلام وهم قليل من الانام (وذلك) اى
ابتلاؤهم (من تمام حكمته ليظهر) من الاظهار او الظهور (شرفهم) بصبرهم على البليات (فى هذه المقامات)
المتفاوتة فى الحالات (ويبين) وفى نسخة ويتبين (امرهم) اى رفعة قدرهم لغيرهم (ويتم) من الاتمام او التمام
(كلمته فيهم) باظهار محنته عليهم وآثار بليته لديهم (وليحقق) اى ليثبت لهم ولغيرهم (بامتحانهم) بانواع ابتلائهم
(بشريتهم) اى عجز عنصريتهم (ويرفع الالتباس) وفى نسخة ويرتفع الالتباس بعد معرفة انها من عوارض
اجسام البشر اى الاشتباه (عن اهل الضعف) بالضم والفتح فى مقام اليقين من الناس ازالة لما يتوهمونه (فيهم) من
انهم لا يصيبهم محنة وبلاء ولا يغشاهم شدة وعناء استعظاما لمرتبتهم واستبعادا لمحنتهم (لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب)
اى الخوارق للعادات من الغرائب (على ايديهم) كبرد النار لابراهيم الخليل وقلب العصا حية لموسى الكليم وخلق
الطير من الطين واحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر لنبينا الاكبر (ضلال النصارى) كضلالتهم (بعيسى)
اى ابن مريم كما فى نسخة اذ بالغوا فى تعظيمه حتى قالوا ان فيه لاهوتية وناسوتية (وليكون فى محنتهم) وفى نسخة ومحنهم
اى محن الله اياهم (تسلية لامهم) اشارة لكونهم بهم اذا اصابهم شئ من الآفات والبلايا ونالهم بعض المصيبات
والرزايا (ووفور) اى وسبب كثرة (لاجورهم) ويروى فى اجورهم (عند ربهم تماما) للكرامة الحاصلة لديهم (على
الذى احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ) بالهمز وقد لا يهمز اى العوارض من الآفات (والتغيرات
المذكورة) من الحالات المسطورة (انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها) اى التى قصد باجسامهم (مقاومة
البشر) اى مداخلتهم (ومعاناة بنى آدم) اى مقاساتهم فى مخالطتهم (لمشاكلة الجنس) اى لمشابهتهم (واما بواطنهم
فمنزهة غالبا عن ذلك) اى عما ذكر (معصومة منه) اى مبرأة ومبعدة عنه عما لا يجوز طروقه عليهم كالجنون ولو متقطعا
وقيد الغالبية مشعر بجواز وقوع ما لا يشين عليهم كالاغماء لحظة او لحظتين كما فى حديث البخارى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه هريقوا على من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن فوضع فى مخضب وصب عليه منها
ثم ذهب ليتوضأ فاغمى عليه وبهذا اندفع ما قال الحلبى من ان المصنف لو حذف لفظة غالبا لكان احسن اذ حذفها
واجب (متعلقة بالملأ الاعلى) من ارواح الانبياء والملائكة المقربين وقيل نوع من الملائكة اعظمهم عند الله مرتبة
واعلاهم درجة (والملائكة) اجمعين (لاخذها) اى لاستفاضة بواطنهم اخبار السماء وغيرها (عنهم وتلقيها الوحى منهم
قال) اى بعض المحققين (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) اى غالبا لما سبق فى نوم
الوادى (وقال انى لست كهيئتكم) اى كصفتكم من جميع الوجوه (انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى) بفتح اوله وضمه
يقال سقاه واسقاه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال تعالى واسقيناكم ماء فراتا ولما كان الطعام قوت
الابدان والاشباح والمعارف قوت الجنان والارواح جعلت كانها مطعومة لانه يتقوى بها قلب الانام كما تتقوى
الاجساد بانواع الطعام ولما كان الماء يشفى ظمأ العليل والمعرفة تطفئ ظمأ الغليل جعلت كانها مشروبة لانها
تذهب ظمأ الجهل كما يذهب الماء ظمأ العطش وهذا بناء على ان معناه مجاز للمعارف فى حق العارف وقيل هو
حقيقة وانه يأكل ويشرب من طعام الجنة وشرابها وقيل المراد منه النشاط والقوة فى الطاعة والعبادة (وقال)
اى النبى عليه الصلاة والسلام (لست انسى) كسائر الانام (ولكن انسى ليستن بى) اى ليقتدى بفعلى فى الاحكام

(فاخبر) عليه الصلاة والسلام (ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التى تحل) بضم الحاء وكسرها اى تنزل (ظاهره) اى بظاهره عليه الصلاة والسلام فقط (من ضعف) اى ضعف بدن (وجوع وسهر ونوم لايحل منها) اى من هذه المذكورات (شئ باطنه) اى بباطنه ولا يؤثر فى خاطره (بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطن) مع مشاركتهم له فى حكم الظاهر (لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه) اى غمره او غطاهما (وهو عليه الصلاة والسلام فى نومه) وان استغرق جميع اعضائه فهو (حاضر القلب كما هو فى يقظته) حاضر مع الرب (حتى قد جاء فى بعض الآثار انه عليه الصلاة والسلام كان محروسا من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان) بربه (كما ذكرناه) من قبله من ان عينيه كانتا تنامان ولا ينام قلبه ولعل المراد ببعض الآثار فى كلام المصنف ما رواه سعيد بن منصور عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى حديث مبيته عند خالته ميمونة زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاته بالليل معه عليه الصلاة والسلام وفيه ثم وضع رأسه حتى اغفى وسمعت بجبجة واصله فى البخارى ثم جاء بلال فاستيقظ فقام فصلى باصحابه زاد البخارى ولم يتوضأ اى بعد انتباهه من اغفائه اى نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما احسن هذه فقال انها ليست لك ولا لاصحابك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحفظ من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان (وكذلك) اى لا يشابهه (غيره) فان غيره (اذا جاع ضعف لذلك) الجوع (جسمه والنحل جسده (وخارت) بالخاء المعجمة اى فترت (قوته) وذهبت همته (فبطلت بالكلية جملته) اى جميع محاسن حالاته (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخبر) عن نفسه (انه لا يعتريه ذلك) اى لا يغشاه ضعف هنالك (وانه بخلافهم) فانه يلحقهم ويرهقهم (بقوله) اى فى حديث البخارى فى حال الوصال (انى لست كهيئتكم) اى فى ضعف بنيتكم وفتور حالتكم (انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى) على ما تقدم (قال القاضى رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وكذلك) اى مثل مقول بعض المحققين من ان الطوارئ والتغيرات انما تختص باجسام الانبياء (اقول انه عليه الصلاة والسلام فى هذه الاحوال كلها من وصب) بفتحتين اى الم وتعب (ومرض وسحر وغضب) للرب (لم يجر على باطنه ما يخل به) بفتح الياء وكسر الخاء المعجمة اى يضعف باطنه مما كان يخل به ظاهره (ولا فاض) اى ولا سال ولا حدث وخرج (منه) اى مما كان يخل ظاهره (على لسانه وجوارحه مما لا يليق به) من هذيانات المرضى وخرافاتهم واختلاف حالاتهم (كما يعترى غيره من البشر) ممن نزل به شئ منها من شدة الالم وقوة الضرر (مما نأخذ بعد) اى نشرع بعد هذا (فى بيانه) اى فى بيان شانه وتبيين برهانه

(فصل)

(فان قلت فقد) ويروى قد (جاءت الاخبار الصحيحة) والآثار الصريحة (انه عليه الصلاة والسلام سحر) اى اثر عليه السحر (كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى) بفتح العين وتشديد المثناة فوق وبعد الالف موحدة فياء نسبة (بقراءتى عليه قال ثنا حاتم بن محمد) وهو الطرابلسى (ثنا ابو الحسن على بن خلف) وهو الحافظ القابسى المعافرى القروى (ثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى (ثنا محمد بن يوسف) وهو الفربرى (ثنا البخارى) وهو الامام محمد بن اسماعيل صاحب الصحيح (ثنا عبيد بن اسماعيل) اى الهبارى يروى عن ابن عيينة وطبقته (قال ثنا ابو اسامة) هو الحافظ حماد الكوفى يروى عن الاعمش وغيره وعنه احمد واسحق وابن معين وكان حجة عالما اخباريا عنده ستمائة حديث عن هشام بن عروة عاش ثمانين سنة وتوفى سنة احدى ومائتين اخرج له الائمة الستة (عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ) وفى رواية الفعل اى من الجماع وغيره (وما فعله) جملة حالية وهذا الحديث ساقه القاضى كما ترى من عند البخارى وقد اخرجه مسلم ايضا فهو حديث متفق عليه كما سيأتى قريبا فى كلام المصنف (وفى رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتى النساء وما يأتيهن) اى يظن انه واقعهن والحال انه لم يجامعهن (الحديث) قال الحكيم الترمذى ولما سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عجز عن نسائه واخذ بقلبه لبث فى ذلك ستة اشهر فيما روى فى الخبر ثم نزلت المعوذتان انتهى كذا فى تفسير البغوى وسيأتى عن عائشة انه لبث سنة قال عبد الرزاق حبس عنها خاصة حتى انكر بصره قال ابن الملقن فى شرح البخارى فى تفسير قل اعوذ برب الناس ورواية ثلاثة ايام او اربعة ايام هو الصواب وسنة بعيد اقول ولعله عليه الصلاة والسلام كان سحره شديدا عليه فى تلك الايام ثم خف عنه الى نصف سنة ولم يتعاف منه الا بعد كمال سنة (واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك) الوقت المذكور (وكيف جاز عليه) اى السحر وان يكون فى مقام موهوم (وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث) الذى اسندناه الى عائشة (صحيح متفق عليه) لا شبهة لديه (وقد طعنت فيه الملحدة) اى الطائفة

الملاحدة الزائغة بالعقيدة الفاسدة (وتذرعت) بذال معجمة من الذريعة اى توسلت (به) الى التشكيكات الكاسدة وفى نسخة بدال مهملة اى تسلحت به لاظهار الحجج الداحضة الشاردة (لسخف عقولها) بضم السين المهملة وسكون الخاء اى رقتها وضعفها (وتلبيسها) اى تخليطها (على امثالها) اى اشباهها من ضعفاء اليقين فى امر الدين (الى التشكيك) اى ايقاع الشك ويروى التشكك اى قبول الشك (فى الشرع) اى فى امور الشرع المبين (وقد نزه الله الشرع) اى الشريف المكرم (والنبى) المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم (عما يدخل) اى عن شئ يدخل (فى امره لبسا) بفتح اوله اى خلطا واشتباها (وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل) اى من جملة الاعراض (يجوز) وقوعه (عليه كانواع الامراض مما لا ينكر) بالاجماع (ولا يقدح فى نبوته) من غير النزاع (واما ما ورد انه كان يخيل اليه) اى يقع فى خيال باله (انه فعل الشئ) من افعاله (ولا يفعله) فى حاله ويروى وما فعله (فليس فى هذا) التخيل (ما يدخل عليه داخلة) اى ريبة وتهمة (فى شئ من تبليغه) اى لامته (او شريعته) اى بيان احكام ملته (او يقدح فى صدقه) وفى نسخة فى شئ من صدقه (لقيام الدليل) من انواع المعجزة (والاجماع) من علماء الامة (على عصمته من هذا) اى من ادخال فساد فى الحال (وانما هذا) ويروى وانما هو اى التخيل (فيما يجوز طروه عليه فى) وفى نسخة من (امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل) على غيره (من اجلها) كما يشير اليه قوله انتم اعلم بامر دنياكم وانما فضل بالوحى الالهى وما يتعلق بالامر الدينى والاخروى كما يومى اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيها) اى فى امور دنياه (عرضة للافات) اى هدف للعاهات (كسائر البشر) فى جميع الحالات واذا كان الامر كذلك (فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له فى صدورها (ثم ينجلى عنه) اى ينكشف الامر (كما كان) على وجه ظهورها كسحابة عارضة مانعة عن شعاع الشمس ونورها (وايضا فقد فسر هذا الفصل) اى الكلام المجمل (الحديث الآخر) المفصل (من قوله حتى يخيل اليه انه يأتى اهله) من النساء (ولا يأتيهن) فان اتيانهن من جملة امور دنياه ولا ضرر من هذه الاحوال فى دينه واخراه (وقد قال سفيان) اى الثورى وقال الدلجى الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد بالاطلاق عند ائمة الحديث وجزم الحلبى وقال هو ابن عيينة لانه المذكور فى السند فى الصحيح (وهذا) النوع (اشد ما يكون من السحر) والالم بمرض له هذا التخيل ويشير الى كلامه قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى (ولم يأت فى خبر منها) اى من احاديث سحره عليه الصلاة والسلام او من الاخبار الصحيحة (انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله) والمعنى انه لم ينقل عنه انه قال حال سحره فعلت كذا والحال انه لم يفعله لعصمته من الخلف فى الاخبار لامته (وانما كانت) هذه السوانح واللوائح (خواطر) اى خطرات (وتخيلات) فى صورة تسويلات ويروى بموحدة وتحتية (وقد قيل ان المراد بالحديث) اى حديث حتى يخيل اليه (انه كان يتخيل الشئ) ويروى يتخيل اليه الشئ (انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد) هو بنفسه (صحته) وفى نسخة بصيغة المجهول اى كل احد يدرك عدم حقيقته كما يستفاد من نفس التخيل وصيغته واشتقاق بنيته (فيكون اعتقاداته كلها) اى سواء تعلقت بامور دنياه او باحوال اخراه (على السداد) اى الصواب ومنهج الرشاد (واقواله على الصحة) التى تصلح للاعتماد والاعتقاد (هذا ما وقفت عليه لائمتنا) اى الاشعرية او المالكية او ائمة اهل السنة والجماعة (من الاجوبة على) وفى نسخة عن (هذا الحديث) اى حديث سحره عليه الصلاة والسلام (مع ما اوضحناه من معنى كلامهم) وبيناه على مبنى مرامهم (وزدناه بيانا من تلويحاتهم) اى من اشاراتهم من غير تصريح عباراتهم (وكل وجه منها) من الوجوه المذكورة (مقنع) بضم الميم وكسر النون ويجوز فتحهما على انه مصدر للمبالغة او اسم مكان وهو من قنع بالكسر قناعة اذا رضى ويقال فلان مقنع فى العلم وغيره على وزن جعفر اى مرضى فيه وليس المراد به انه دليل اقناعى وان كان يشير اليه قوله (لكنه قد ظهر لى فى الحديث) هذا (تأويل اجلى) بالجيم اى اظهر واوضح من التأويلات السالفة (وابعد من) وفى نسخة عن (مطاعن ذوى الاضاليل) جمع ضليل مبالغة فى الضلال ومنه قول على وقد سئل عن اشعر الشعراء فقال الملك الضليل يعنى امرأ القيس وكان يلقب به وقيل هو جمع اضلولة وهو ما يضل من ركبه (يستفاد) اى ذلك التأويل الاجلى (من نفس الحديث) ويروى من تفسير الحديث (وهو ان عبد الرزاق) وهو الحافظ الصنعانى (قد روى هذا الحديث) فى مصنفه عن معمر عن الزهرى (عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال) اى عبد الرزاق (فيه) اى فى حديثه (عنهما) اى ابن المسيب وعروة (سحر يهود بنى زريق) بضم الزاى وفتح الراء (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه) اى ما سحروه به (فى بئر) وهى بئر ذروان (حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قارب (ان ينكر بصره) اضعف حدته او لامر تخيله (ثم دله الله تعالى على ما صنعوا) اى اليهود (فاستخرجه)

بنفسه اوبمأموره (من البئر وروى نحوه) بصيغة المجهول (عن الواقدى) قاضى العراق وقد سبق ذكره (وعن
عبد الرحمن بن كعب) اى ابن مالك السلمى يروى عن ابيه وعائشة وعنه الزهرى وهشام بن عروة ثقة مكثر اخرج له
اصحاب الكتب الستة (وعمر بن الحكم) بفتحتين تابعى جليل (وذكر) بصيغة المجهول (عن عطاء الخراسانى)
من اكابر التابعين روى عنه الاوزاعى ومالك وشعبة قال ابن جابر كنا نغزو معه وكان يحيى الليل صلاة الى نومة السحر
اخرج له الائمة الستة (عن يحيى بن يعمر) بفتح الياء والميم وقد يضم وحكى عن البخارى وهو غير مصروف للعلمية
ووزن الفعل قاضى مرو يروى عن عائشة وابن عباس مقرئ ثقة اخرج له الائمة الستة (قال) هارون بن موسى اول
من نقط المصاحف يحيى بن يعمر قال الذهبى يقال توفى سنة تسعين وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء (حبس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة) بصيغة المجهول اى منع من قربانها (سنة فبيناهو نائم اذا اتاه
ملكان) وهما جبريل وميكائيل كما فى سيرة الدمياطى (فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث)
اى فقال احدهما ماله فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم فى جف طلعة ذكر نخل فى بئر ذروان
وروى عن ابن عباس وعائشة ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى عليه الصلاة والسلام فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به
حتى اخذ مشاطة رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها فنزلت
السورتان فيه وعن عائشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طب اى سحر حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيأ
وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه قالت عائشة وما ادراك يا رسول الله قال جاءنى
رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الآخر مطبوب
قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال واين هو قال فى ذروان وذروان
بئر فى بنى زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها
نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قالت فقلت له هلا اخرجته قال اما انا فقد شفانى الله وكرهت ان اثير على
الناس منه شرا وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة واذا فيه مشاطة رأسه واسنان
مشطه وعن زيد بن ارقم قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك اياما قال فاتاه
جبريل عليه السلام فقال رجل من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا
فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال
فما ذكر ذلك لليهودى ولا رأه فى وجهه قط قال مقاتل والكلبى كان فى وتر عقد احدى عشرة عقدة وقيل وكانت مغروزة
بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهى احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات
كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال قال
البغوى وروى انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (قال عبد الرزاق حبس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ان سحر (عن عائشة خاصة) دون غيرها من نسائه (سنة) وطالت المدة (حتى انكر
بصره) اى من ضعف بصره او من تخييل بعض امره (وروى محمد بن سعد) بفتح وسكون وهو كاتب الواقدى وصاحب
الطبقات وكذا رواه البيهقى بسند ضعيف (عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن
النساء) اى منع عنهن وحيل بينه وبينهن (والطعام والشراب) اى وعن تكثيره منهما كما هو عادته فيهما (فهبط)
بفتح الموحدة اى نزل (عليه ملكان) اى بصورة رجلين فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (وذكر القصة)
اى الى آخرها على ما قدمناه ويروى القضية (فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على
ظاهره وجوارحه) اى من جهة منع جماعه ونقصان اكله وشربه (لا على قلبه واعتقاده وعقله) وكذا سلم منه آلة
لسانه الذى هو عمدة بيانه وزبدة برهانه (وانه انما اثر) اى السحر بعض اثره (فى بصره) من ضعف نظره او تخييل اثره
(وحبسه) اى منعه (عن وطء نسائه وطعامه) اى بعض المنع (واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله
يخيل اليه انه يأتى اهله) اى بعض نسائه (ولا يأتيهن) فى نفس الامر (ان يظهر له من نشاطه) اى كمال رغبته
(ومتقدم عادته) اى سابقتها فى حالته (القدرة على النساء) بالمجامعة (فاذا دنا منهن) اى على قصد مواقعتهن
(اصابته) ادركته (اخذة السحر) بضم الهمزة وخاء ساكنة فذال معجمة فتاء تأنيث وهى رقية كالسحر او خرزة تؤخذ
اى تحبس بها النساء ازواجهن عن النساء دونهن (فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى) اى يصيب ويغشى (من اخذ)
بضم همز وتشديد خاء اى حبس عن وطء امرأة لا يصل لجماعها يقال اخذت المرأة زوجها تأخيذا اذا فعلت به ما تقدم
من السحر وفى نسخة وخذ وهو فى مبناه ومعناه ونظيرهما قوله تعالى واذا الرسل اقتت ووقتت كما قرئ بهما فى السبعة

واختير التفعيل فى التأخيذ للمبالغة فى اخذه وحبسه (واعترض) بصيغة المجهول ايضا من العرض بالتحريك
وهو ما يعرض للانسان من حوادث الدوران (ولعل) اى الشان ويروى ولعله (لمثل هذا) السحر (اشار سفيان)
اى ابن عيينة او الثورى (بقوله وهذا) النوع (اشد ما يكون من السحر) لانه غالبا يكون سببا للتفريق بين المرء
وزوجه (ويكون قول عائشة رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه ليخيل) وفى نسخة يخيل اى يشبه (اليه انه فعل
الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره) اى لانه كناية عن جماعه مع اهله كما تقدم (فيظن انه رأى شخصا من بعض
ازواجه او شاهد) اى او يظن انه رأى (فعلا من غيره ولم يكن) ما ذكر من الشخص والفعل (على ما يخيل اليه)
اى موافقا لتخيله (لما اصابه) اى من ضعف (فى بصره) وفى نسخة من بصره اى لما اصابه وهن من جهة بصره
(وضعف نظره لا لشئ طرأ) بالهمز اى عرض وحدث (عليه فى ميزه) بفتح الميم وسكون التحتية وبالزاى اى تمييزه
وتفرقته بين الاشياء قال التلمسانى وروى فى غيره اقول الظاهر انه تصحيف (واذا كان) اى امره عليه الصلاة
والسلام (هذا) الذى ذكرناه فى هذا المقام (لم يكن فى اصابة السحر) وفى نسخة لم يكن ما ذكر فى اصابة السحر
(له وتأثيره فيه) اى فى ظاهر امره (ما يدخل عليه لبسا) اى خلطا فى باطنه (ولا يجد به الملحد) المائل عن الحق فى مقاله
(المعترض) بعقله التابع لباطله (انسا) بضم فسكون اى تبصرا فيما لا يجدى بطائله

(فصل)

(هذا) الذى ذكرنا فى الفصل الذى قدمنا على ما حررنا (حاله) من جهة امراض واعراض نازلة
او حاصلة له (فى جسمه) من ظاهر جسده وباطنه (فاما احواله) اى الواردة (فى امور الدنيا) اى الخارجة عن جسمه
(فنحن نسبرها) بنون مفتوحة وسين ساكنة وبموحدة مضمومة فرآء من سبرها او بضم نون فكسر موحدة من اسبرها
اى نقيد احواله ونروز افعاله ونوردها (على اسلوبها) ويروى على اسلوبنا (المتقدم) اى طريقنا السابق (بالعقد)
بمعنى الاعتقاد (والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد) اى يظن النبى عليه الصلاة والسلام (فى امور الدنيا الشئ
على وجه) من جواز فعله وتركه فى بادئ رأيه (ويظهر خلافه او يكون منه على شك) اى تردد لا يترجح احد طرفيه
(او ظن) يترجح عنده احد شقيه ويتبين ضده بعده وهذا كله فى امر الدنيا وما يتعلق به من الفرع (بخلاف امور
الشرع كما) يدل عليه ما (حدثنا ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (سفيان بن العاص) بغير الياء فى آخره (وغير
واحد) من المشايخ (سماعا) من بعض (وقراءة) على بعض وهما منصوبان على التمييز او حالان (قالوا) كلهم (ثنا
ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد بن عمرويه) بفتح فسكون فضم وفتح فسكون هاء وفى نسخة
ففتح تاء وفى نسخة بفتح الراء والواو وسكون الياء وكسر الهاء (ثنا ابن سفيان) هذا ابو اسحق محمد بن سفيان
راوى الصحيح عن مسلم (ثنا مسلم) اى ابن الحجاج الحافظ صاحب الصحيح (ثنا عبد الله) ويقال عبيد الله (ابن الرومى)
يروى عن ابن عيينة انفرد مسلم بالاخراج له (وعباس العنبرى) منسوب الى بنى العنبر ابن عمرو بن تميم من حفاظ البصرة
روى عن القطان وعبد الرزاق وعنه مسلم والاربعة والبخارى تعليقا قال النسائى ثقة مأمون توفى سنة ست واربعين
ومائتين (واحمد المعقرى) بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وفى نسخة بكسر الميم وفتح القاف وفى اخرى
بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة الى ناحية من اليمن توفى بعد خمس وخمسين ومائتين كان بزازا بزابين
بمكة روى عنه مسلم (قالوا) اى كلهم (ثنا النضر بن محمد) هو الجرشى اليمانى يروى عن شعبة وغيره وعنه احمد العجلى
اخرج له الستة الا النسائى (قال حدثنى عكرمة) اى ابن عمار (ثنا ابو النجاشى) هو عطاء بن صهيب روى عنه
عكرمة والاوزاعى وجماعة اخرج له الشيخان والنسائى وابن ماجه (ثنا رافع بن خديج) انصارى اوسى حارثى شهد
احدا عاش ستا وثمانين سنة توفى بالمدينة سنة ثلاث وسبعين اخرج له الائمة الستة (قال قدم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم المدينة وهم يأبرون) بضم الموحدة وفى نسخة يؤبرون بضم اوله وكسر بائه مشددة وهو رواية الطبرانى
يلقحون (النخل) بوضع طلع ذكورها فيها (فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه) اى شيأ على عادتنا ليكثر فيها ثمر (قال
لعلكم لو لم تفعلوا) اى لو تركتم تأبيرها (كان خيرا) من تأبيرها بناء على عدم المعالجة فى تدبير لتأثيرها (فتركوه
فنفضت) بفتح النون والفاء والضاد المعجمة اى اسقطت حملها من ثمرها وروى فنقصت بالقاف والصاد المهملة وقيل
هو تصحيف وعلى تقدير صحته اما بمعنى اسقطت واما قلت فى الحمل واما قلت فى نفسها مع كثرتها اى صارت حشفا
وروى نصبت بصاد مهملة بعدها موحدة وبغين معجمة وصاد مهملة قال القاضى ولا معنى لهما وقيل فى معناهما
ان نصبت من النصب وهو التعب ومعناها ان ثمرها لم يخرج الا بنكد فصار كانه تعب وان نغصت من قولهم نغص لم يتم
مراده قال ابن قرقول وفى هذه اللفظة روايات كلها تصحيف الا الاول (فذكروا ذلك له) اى من نقصان الثمر (فقال انما انا

بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم) اى ولو برأيى (فخذوا به) لانه عليه الصلاة والسلام مبين لاحكام الاسلام (واذا امرتكم بشئ من رأيى) وفى رواية من رأى اى فى امر دنياكم مما ليس له تعلق بامر دينكم وآخرتكم (فانما انا بشر) مثلكم فقد اصيب وقد اخطئ فالامر فيه مخير لكم (وفى حديث انس) وفى نسخة رواية انس اى اسلم عنه (انتم اعلم بامر دنياكم) ان اردتم تبعتمونى وان اردتم اخترتم رأيكم (وفى حديث آخر) رواه مسلم عن طلحة (انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن) ان لم يكن مطابقا لظنكم وموافقا لرأيكم هذا وعندى انه عليه الصلاة والسلام اصاب فى ذلك الظن ولو ثبتوا على كلامه لفاقوا فى الفن ولارتفع عنهم كلفة المعالجة فانما وقع التغير بحسب جريان العادة الا ترى ان من تعود باكل شئ او شربه يتفقده فى وقته واذا لم يجده يتغير عن حالته فلو صبروا على نقصان سنة او سنتين لرجع النخيل الى حاله الاول وربما انه كان يزيد على قدره المعول وفى القضية اشارة الى التوكل وعدم المبالغة فى الاسباب وقد غفل عنها ارباب المعالجة من الاصحاب والله تعالى اعلم بالصواب (وفى حديث ابن عباس) رضى الله عنه كما رواه البزار بسند حسن (فى قصة الخرص) بفتح الخاء المعجمة فراء ساكنة فصاد مهملة هو الحزر والتقدير لما على الشجر من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا اى تخمينه ظنا والقصة ما روى عن ابى حميد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فاتينا وادى القرى على حديقة لامرأة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخرصوها فخرصناها وخرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة اوسق وقال احصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى الى قوله ثم اقبلنا حتى قدمنا وادى القرى فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها قالت عشرة اوسق (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر) وفى كلام جنسهم خطر (فما حدثتكم عن الله تعالى) اى وحيه جليا او خفيا (فهو حق) اى صواب دائما (وما قلت فيه) اى من امور الدنيا (من قبل نفسى) اى مما خطر لى (فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا) وارد (على ما قررناه) آنفا من انه عليه الصلاة والسلام قد يعتقد الشئ من امور الدنيا على وجه ويظهر خلافه كذا قرره الدلجى على طبق ما حرره القاضى ولكن فيه انه لم يعتقده بل ظنه كما يدل عليه قوله (فيما قاله من قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه من احوالها) الجارية على منوال افعال اهلها فى منالها (لا ما قاله من قبل نفسه) جزما مع انه جاء مطابقا لما قاله جزما (واجتهاده فى شرع شرعه) اى اظهره وبينه عزما (وسنة) وفى نسخة او سنة (سنها) اى طريقة اخترعها لحديث ابى داود عن المقدام بن معدى كرب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انى اوتيت القرآن ومثله معه يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى الا لا يحل الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه (وكما حكى ابن اسحق) وقد رواه البيهقى عن عروة والزهرى ايضا (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر) اى فى ابعدها منه (قال له الحباب بن المنذر) بضم الحاء المهملة وبموحدتين الخزرجى وكان يقال له ذو الرأى توفى فى خلافة عمر كما ولم يرو نقلا (هذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه) لا بان نتأخر عنه ولا ان نتقدم عليه (ام هو الرأى والحرب والمكيدة) وهى مفعلة من الكيد بمعنى المكر يعنى فلنا المخالفة فان الحرب خدعة والمكيدة بمعنى الخديعة واقعة (قال لا) اى لم ينزلنى الله تعالى فيه ولم يأمرنى به وانما وقع نزولى فيه اتفاقا من غير تأمل فى امره وقد امرنى الله تعالى بقبول قولكم فى مصلحة امركم حيث قال وشاورهم فى الامر (قال فانه ليس بمنزل) مرضى بحسب العقل (انهض) بفتح الهاء والضاد المعجمة وهو القيام الى الشئ بالسرعة والعجلة اى قم لنا وانتقل بنا (حتى نأتى ادنى ماء) اى اقربه (من القوم) يعنى قريشا (فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب) بضمتين جمع قليب وهو البئر ونعور بتشديد الواو المكسورة بعد عين مهملة وقيل معجمة فعلى الاول اى نفسدها عليهم وعلى الثانى نذهبها فى الارض وندفنها لئلا يقدروا على الانتفاع بها وفى رواية السهيلى بضم العين المهملة وسكون الواو وهى لغة فيها (فنشرب ولا يشربون) اى منها (فقال اشرت بالرأى) اى الصحيح (وفعل ما قاله) اى الحباب فى هذا الباب وقد روى ابن سعد انه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الرأى ما اشار به الحباب (وقد قال الله تعالى) اى وامره عليه الصلاة والسلام بقوله (وشاورهم فى الامر) ومدحهم فى مواضع اخر فقال وامرهم شورى بينهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما تشاور قوم الاهدوا لارشد امرهم وقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم من استشار (واراد) اى النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاحزاب (مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة) من التمر وغيره وفى نسخة بالثاء الفوقية (فاستشار الانصار) كما رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله عنه بلفظ جاء الحارث الغطفانى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا ثمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا

ورجلا فقال حتى استأمر السعود يعنى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما اعطينا الدنية من انفسنا بالجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام وفى رواية ابن اسحق انه عليه الصلاة والسلام اراد فى غزوة الخندق ان يقاضى اى يصالح بذلك عيينة بن حصين الفزارى والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان فاستشار صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقال سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله تعالى وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم فقال عليه الصلاة والسلام فانت وذاك القصة وهذا معنى قوله (فلما اخبروه برأيهم رجع عنه) اى عن رأيه (فمثل هذا) اى ما ذكر عن الحباب ببدر وعن الانصار فى الاحزاب (واشباهه من امور الدنيا) مما لم يكن به الاعتناء (وهى التى لا مدخل فيها العلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها) اى مما لم يؤمر به بيانا وتعليما وتبيانا (يجوز عليه فيها ما ذكرناه) وفى نسخة ما ذكروا اى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد يظن شيأ على وجه ويظهر خلافه (اذ ليس فى هذا كله نقيصة) اى منقصة (ولا محطة) له عن رفعة مرتبة وعلو منزلة (وانما هى امور اعتيادية) اعتادها الناس والفوها (يعرفها من جربها) مرة بعد اخرى (وجعلها همه) اى غاية همه فيها وشغل نفسه بها وعالجها وعاناها (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول فى دعائه ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وهو (مشحون القلب) اى مملوءه بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من آداب العبودية (ملآن الجوانح) اى الاضلاع وفى نسخة الجوارح (بعلوم الشريعة مقيد البال) اى مربوط القلب فى جميع الحال (بمصالح الامة الدينية والدنيوية) اى التى لها تعلق بالامور الاخروية (ولكن هذا) اى ما يظنه على وجه ويظهر خلافه (انما يكون فى بعض الامور) الدنيوية اى التى ليس لها تعلق اصلا بالاحوال الدينية (ويجوز) اى وقوع مثله عنه (فى النادر منها وفيما سبيله التدقيق) اى تدقيق النظر وتحرير الفكر (فى حراسة الدنيا) بكسر اوله اى محافظتها ومراعاتها (واستثمارها) اى تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها (لا فى الكثير) من امورها (المؤذن بالبله) بفتحتين اى المشير الى البلاهة (والغفلة) المؤذنة بقلة شعورها والحاصل انه عليه الصلاة والسلام واتباعه الكرام كانوا على ضد حال الكفار وارباب الكفر الاثام كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقد تواتر بالنقل) من جمع يمتنع من تكذيبهم العقل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا) واحوالها (ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز فى البشر) حيث لم يقدر احد ان يأتى بنظام امور هذا الباب (مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب)

(فصل)

(واما ما يعتقده) وفى حاشية الحجازى ويروى بضم اوله وفتح ثالثه والقاف (فى امور احكام البشر الجارية على يديه صلى الله تعالى وسلم عليه (وقضاياهم) المرفوعة منهم اليه (ومعرفة المحق منهم من المبطل) واغرب التلمسانى فى ضبطهما بصيغة المفعول وتفسيرهما بالحق والباطل وغرابته من جهة المبنى والمعنى فى هذا المقام مما لا يخفى (وعلم المصلح من المفسد) من يداخل باصلاح او افساد من العباد فى امور البلاد (فهذا السبيل) اى ما ذكر هنا من معتقده ومعرفته على الوجه الجميل (لقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ام سلمة (انما انا بشر وانما يوحى الى احيانا (وانكم تختصمون) بينكم وترفعون الامر (الى ولعل بعضكم الحن) اى اعرف وافطن (بحجته) اى خصومته وتبيين بينته وطريق تمشيته ومنه قول عمر بن عبد العزيز عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم اى فاطنهم (من بعض) لبلاهته او لصفاء حالته (فاقضى له) اى فاحكم (على نحو) بالتنوين (مما اسمع) اى منه كما فى نسخة يعنى من كلامه حيث لم اعرف حقيقة مرامه وفى نسخة على نحو ما اسمع بالاضافة (فمن قضيت له من حق اخيه بشئ) فيما ظهر لى على وجه يكون الامر فى الواقع بخلافه (فلا يأخذ منه شيأ فانما اقطع له قطعة من النار) لبناء احكام شريعته على الظاهر وغلبة الظن فى قضيته وقد ورد نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر وانما صدر الحديث بقوله انما انا بشر مثلكم ايذانا بان السهو والنسيان غير مستبعد من الانسان وان الوضع البشرى يقتضى ان لا يدرك من الامور الشرعية الا ظواهرها تمهيدا للمعذرة فيما عسى يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من امثال تلك الاحكام ولو كان نادرا فى الايام وليس هذا من قبيل الخطأ فى الحكم فان الحاكم مأمور مكلف بان يحكم بما يسمع من كلام الخصمين وبما تقتضيه البينة لا بما فى نفس الامر فى القضية حتى لو حكم لمبطل فى دعواه بشاهدى زور وفق مدعاه وظن القاضى عدالتهما فهو محق فى الحكم وان لم يكن المحكوم به ثابتا فى نفس الامر (حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى) اى الباجى وهو هشام بن احمد وهو ابن العواد (حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ) هو ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر) اى ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد) هو عبد الله بن محمد ابن عبد القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البر كان تاجرا صدوقا (ثنا ابو بكر) وهو ابن داسة راوى السنن عن ابى داود (ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن كثير) بفتح الكاف وكسر المثلثة العبدى البصرى يروى عن شعبة والثورى عاش تسعين سنة اخرج له الائمة الستة (اخبرنا سفيان) قال الحلبى الظاهر انه الثورى ومستندى فى هذا ان الحافظ عبد الغنى ذكر الثورى فيمن روى عنه محمد بن كثير ولم يذكر ابن عيينة وفى التذهيب قال روى عن سفيان واطلق فحملت المطلق على المقيدات وكلاهما امامان جليلان فى مقامهما فلا اشكال فى ابهامها (عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن زينب بنت ام سلمة) ربيبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صحابية اخرج لها الائمة الستة لها الرواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان اسمها برة بفتح الموحدة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم فسماها زينب (عن ام سلمة) احدى امهات المؤمنين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث) كما تقدم وسبق انه رواه الشيخان وغيرهما (وفى رواية الزهرى) وهو الامام العالم (عن عروة) وقد تقدم (فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض) اى افصح او اكثر بلاغا يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد فى الامر اى اجهد نفسه فى ايصال كلامه الى ذهن سامعه واقتصر الدلجى عليه وفيه انه لا يبنى افعل من غير الثلاثى المجرد الا بتقوية اشد ونحوه فلو اريد هذا المعنى لقيل اكثر تبليغا او اشد بلاغا ونحوهما (فاحسب انه صادق) اى اظن انه فى قوله لما فى نفس الامر موافق (فاقضى له) بما اظنه انه يستحقه (ويجرى) من الاجراء اى ويمضى (احكامه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة يجرى من الجريان اى ويقع احكامه عليه الصلاة والسلام ويروى احكامهم (على الظاهر) من الامور واحوال الانام (وموجب) بفتح الجيم اى ومقتضى (غلبات الظن) جمع باعتبار جمع القضايا (بشهادة الشاهد) اى جنسه تارة (ويمين الحالف) اخرى عند انكاره وعدم البينة على خلافه (ومراعاة الاشبه) مما يظنه حقا وقال التلمسانى يعنى فى الحكم بالقائف اقول وهذه مسئلة مختلف فيها (ومعرفة العفاص) بكسر العين والصاد المهملتين بينهما فاء بعدها الف الوعاء الذى يكون فيه الشئ (والوكاء) بكسر اوله ممدودا خيط الوعاء والمراد كل ما يربط من صرة وغيرها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام بنى امره فى الاحكام على الامور الظاهرة من الشهادة واليمين والشبه ومعرفة الوعاء والوكاء فى اللقطة من الاشياء وقد اغرب الدلجى حيث قال كنى بالعفاص والوعاء عما يظهر له من فحوى كلام الخصمين مما يظن به حقيقة ما ادعى به (مع مقتضى حكمة الله تعالى فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه) اى نبيه (على سرائر عباده) من اهل ملته (ومخبئات) اى مخفيات (ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه) حينئذ (دون حاجة) اى من غير افتقار له (الى اعتراف) من احد المتخاصمين بالحق (او بينة او يمين او شبهة) اى مشابهة ومناسبة ترجح الحكم لاحد وكل ذلك على تقدير مشيئة الله تعالى اطلاعه عليه الصلاة والسلام فى القضايا (ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه) فى قواعد شريعته (والاقتداء به فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره) اى طريقته (وكان هذا) اى ما امر الله تعالى امته باتباعه فى جميع سيرته (لو كان مما يختص) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بعلمه ويؤثره الله تعالى به) اى بانفراده واختصاصه (لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك) لعدم اطلاعهم على حقيقة وقوع ما هنالك (ولا قامت) بعده (حجة) على من خالف امرا من امور دينه (بقضية من قضاياه لاحد) من حكام ملته (فى شريعته) على احد من امته (لانا لا نعلم ما اطلع) من الاطلاع او الاطلاع اى مما اوثر به (هو فى تلك القضية) المرفوعة اليه (لحكمه هو اذن) اى حينئذ (فى ذلك) اى فى وقت ورودها هنالك (بالمكنون) اى المستور (من اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم) اى ضمائرهم (وهذا) الامر المكنون والسر المصون (مما لا تعلمه الامة) اذ لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واما الاولياء وان كان قد يكشف لهم بعض الاشياء لكن علمهم لا يكون لهم يقينا والهامهم لا يفيد الامر اظنيا وبهذا المقال يندفع ما يرد على الحصر فى الاية من نوع الاشكال والله تعالى اعلم بالاحوال ثم الاولياء من ارباب الكشوف لا يوجدون فى كل زمان ومكان ايضا وربما يدعى كل احد انه فى مرتبة الولاية العلية (اجرى الله تعالى احكامه الشرعية على ظواهرهم) فى القضية (التى يستوى فيها هو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (وغيره من البشر) فى زمنه وبعده من الايام (ليتم) من الاتمام او التمام اى ليعم (اقتداء امته به فى تعيين قضاياه) اى احكام ملته (وتنزيل احكامه) على امته وفق قواعد شريعته (ويأتون ما اتوا من ذلك) اى يفعلون ما فعلوا من الحكم بطريقته (عن علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول) اى وحده على خلاف فيه (وارفع) اى ادفع كما روى (لاحتمال اللفظ وتاويل المتأول) وفيه ان الاحكام منه عليه الصلاة والسلام كانت جامعة بين الفعل والقول والا فى قضية الحال كلام لاهل

المقال

المقال (فكان حكمه على الظاهر اجلى) اى اظهر لكل احد (فى البيان) اى فى ميدان العيان (واوضح) اى ابين (فى وجوه الاحكام) لظهور المرام (واكثر فائدة لموجبات التشاجر) اى التخالف والتنازع (والخصام) اى التخاصم فى الاحكام (وليقتدى بذلك كله) اى بقضاياه وفق شريعته (حكام امته) وعلماء ملته (ويستوثق) عطف على ليقتدى اى يستملك وليس بتصحيف كما ظنه الانطاكى وفى نسخة يستوسق بالسين بدل المثلثة اى يجتمع وينتظم (بما يؤثر عنه) اى يروى من بيان قواعد طريقته (وينضبط قانون شريعته) المشتملة على كليات اصولية يبنى عليها جزئيات فرعية (وطى ذلك) اى عدم اطلاع ما هنالك (عنه) عليه الصلاة والسلام فيما تعلق به القضايا والاحكام (من علم الغيب الذى استأثر) اى انفرد (به عالم الغيب) اى ما غاب عن غيره (فلا يظهر على غيبه احدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) اى من ملك او بشر (فيعلمه منه) اى بعضه لا كله (بما يشاء) اى بشئ يشاء او بقدر يشاء (ويستأثر) اى وينفرد (بما يشاء) وفى نسخة فى الموضعين بما شاء (ولا يقدح هذا) اى عدم اطلاعه بعض قضية (فى نبوته) من رفعة مرتبته (ولا يفصم) بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد اى لا يكسر او لا يحل (عروة) اى عقدة (من عصمته) اى نزاهته من طهارته

(فصل)

(واما اقواله الدنيوية) اى الصادرة منه فى غير الامور الاخروية (من اخباره) بكسر اوله اى اعلامه (عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله) مستقبلا او ماضيا (فقد قدمنا ان الخلف) اى التخلف او صدور الخلاف او الاخلاف وفسر بالكذب (فيها) اى فى تلك الاقوال وفى نسخة فى هذا اى هذا النوع (ممتنع عليه) ولا يجوزان ينسب شئ منه اليه لعصمته فى اخباره (فى كل حال) يكون عليها (وعلى اى وجه) يتصور فيها (من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب) اى فرح او حزن (وانه) وفى نسخة فانه (عليه الصلاة والسلام معصوم منه) اى من الخلف فى اخباره فى جميع احواله واسراره (هذا) اى ما ذكر (فيما طريقه الخبر المحض) الذى ليس فيه تورية لمصلحة (مما يدخله الصدق والكذب) اى بالنسبة الى غيره (فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها) صفة كاشفة (فجائز ورودها منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (فى الامور الدنيوية لا سيما) اى خصوصا (لقصد المصلحة) المتعلقة بالاحوال الاخروية (كتوريته عن وجه مغازيه) حيث كان اذا اراد غزاة ورى بغيرها اى سترها واوهم انه يريد غيرها واصله من الوراء اى الق البيان وراء ظهره (لئلا يأخذ العدو حذره) اى احترازه واحتراسه بعد بلوغ خبره وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب (وكما) عطف على كتوريته وقال الدلجى اى ومثل توريته ما (روى من ممازحته ودعابته) بضم داله المهملة اى ملاعبته ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وفيه اشارة الى ملاعبة صغارهم فعن انس انه عليه الصلاة والسلام دخل على ام سليم فرأى ابا عمير حزينا فقال يا ام سليم ما بال ابى عمير حزينا قالت يا رسول الله مات نغيره الذى كان يلعب به فقال عليه الصلاة والسلام ابا عمير ما فعل النغير رواه الترمذى والمراد بها ممازحته ومطايبته ومنه قول عمر وقد ذكر عنده على للخلافة ولا دعابة فيه فتحصل ان الدعابة اعم من الممازحة (لبسط امته معه) اى لانبساطهم معه او لانبساطه معهم وانشراح صدر وطيب خاطر فيما بينهم تأنيسا لهم ببشاشة ملاقاة وطلاقة وجه وحلاوة مكالمة (وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته) قال الدلجى من بيانية لا تبعيضية واقول الاظهر الثانى لان مزاحه عليه الصلاة والسلام لم يكن مع جميع اصحابه الكرام (وتأكيدا فى تحبيبهم) ويروى فى تحببهم اى فى محبتهم فيه وميلهم اليه (ومسرة نفوسهم) اى فرحهم حال حضورهم لديه صلى الله تعالى وسلم عليه (كقوله) لبعض اصحابه على ما رواه ابو داود والترمذى وصححه عن انس رضى الله عنه (لاحملنك على ابن الناقة) ولفظ الترمذى ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى حاملك على ولد الناقة وروى ابن سعد باسناده ان ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت احملنى فقال احملك على ولد الناقة فقالت انه لا يطيقنى فقال لا احملك الا على ولد الناقة والابل كلها اولاد النوق فدل على تعدد الواقعة فقال يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة فقال عليه الصلاة والسلام وهل تلد الابل الا النوق (وقوله) فيما رواه ابن ابى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى (للمرأة التى سألته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض وهذا) اى ما قاله عليه الصلاة والسلام مداعبة (كله صدق لان كل جمل) صغيرا كان او كبيرا هو (ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض) اى قليل غالبا (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى حين قالوا يا رسول الله انك تداعبنا (انى لامزح ولا اقول الا حقا) رواه الترمذى وقال العلماء المباح من المزاح هو الذى يفعل على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب وهذا القدر هو المستحب وهو الذى كان يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الذى فيه افراط مما يورث الضحك

وقسوة القلب والشغل عن ذكر الله تعالى وامور الدين ويؤول فى كثير من الاوقات الى الايذآء ويورث الاحقاد فهو
منهى عنه (هذا) اى مزاحه (كله فيما بابه الخبر) بمعنى الاخبار (فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر)
باللام او بالصيغة (والنهى) اى صورة النهى للغائب او الحاضر ولو (فى الامور الدنيوية فلا يصح) القول بصدوره (منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشئ او ينهاه عنه وهو يبطن) اى يضمر (خلافه) جملة حالية (وقد قال عليه
الصلاة والسلام ما كان) اى ما صح وما استقام (لنبى ان تكون له خائنة الاعين) اى ايماؤه بها على وجه الخيانة
وقد قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور اى ما يسترق من النظر الى ما لا يحل وقيل هو النظر لريبة وما تخفى
الصدور من خبث النية وفساد الطوية والخائنة اسم فاعل او مصدر بمعنى الخيانة اى ما يخان به كالعافية بمعنى
المعافاة وعن الشيخ ابى الحسن الشاذلى خائنة الاعين النظر لمحاسن المرأة وما تخفى الصدور حب مواقعتها
وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد لهم انا العالم بجبال الفكر وكسر الجفون اى من البصر
وسبب ورود الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما كان يوم فتح مكة آمن الناس الا جماعة منهم عبد الله ابن ابى سرح
فاختبأ عند عثمان رضى الله عنه وكان اخاه لامه فلما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به
حتى اوقفه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى
فبايعه بعد ذلك ثم اقبل على اصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رأنى كففت يدى عن مبايعته
فيقتله فقالوا ما ندرى يا رسول الله ما فى نفسك ألا اومأت الينا بعينك قال انه لا ينبغى ان يكون لنبى خائنة الاعين رواه
ابو داود والنسائى من حديث سعد ابن ابى وقاص واختلف فى المراد بخائنة الاعين كما قاله ابن الصلاح فى مشكله
فقيل هى الايماء بالعين وقيل مسارقة النظر وعبارة الرافعى هو الايماء الى مباح من ضرب او قتل على خلاف
ما يظهر ويشعر به الحال وانما قيل لها خائنة الاعين تشبيها بالخيانة من حيث انه يخفى خلاف ما يظهر واختاره
النووى وقال كان يحرم ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يحرم على غيره الا فى محظور وقال صاحب التلخيص
من الشافعية لم يكن له عليه الصلاة والسلام ان يخدع فى الحرب مستدلا بهذا الحديث وخالفه الجمهور وعلله الرافعى
بانه اشتهر انه كان اذا اراد سفرا ورى بغيره وهو فى الصحيحين من حديث كعب بن مالك وصح انه عليه الصلاة والسلام
قال الحرب خدعة وهو بفتح الخاء لغة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها لغات اخر والفرق لهم ان الرمز يزرى بالرامز
بخلاف الابهام فى الامور العظام وعبد الله هذا كان كاتبه عليه الصلاة والسلام فارتد ثم اسلم وحسن اسلامه
ومات ساجدا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن له خيانة الاعين فى الامر الظاهر (فكيف ان تكون
له خيانة القلب) وهو بيت الرب الطيب الطاهر ويروى خائنة القلب (فان قلت فما معنى قوله تعالى فى قصة زيد)
اى ابن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسم فى القرآن احد من الصحابة باسمه الا زيد
هنا قيل وسر ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان تبناه وكان يدعى زيد ابن محمد فلما نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط
عند الله اى اعدل واقوم قيل زيد بن حارثة فلما فاته شرافة عظيمة ونسبة وسيعة ابدله الله من ذلك ان سماه فى كتابه
هنالك اشعارا بانه سماه فى ازله فيصير برفعة محله حيث جعل اسمه فى كتابه المسطور المحفوظ فى الصدور وقد قتل
فى غزوة مؤتة شهيدا بعد ان عاش مدة مديدة فى خدمته عليه الصلاة والسلام سعيدا وكان عليه الصلاة والسلام
خطب زينب بنت جحش الاسدية بنت عمة النبى عليه الصلاة والسلام لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشتراه فى الجاهلية فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه
يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة فيها
حدة وكذلك كره اخوها عبد الله بن جحش فنزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان
تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فلما سمعا ذلك رضيا بما هنالك وجعلت
امرها بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا
فدخل بها وساق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة
وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وكان من قدمها انه رآها عليه الصلاة والسلام مرة فوقعت فى نفسه عليه
الصلاة والسلام فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها
ورغب عنها لاجله عليه الصلاة والسلام فقال اريد ان افارقها فقال أرابك منها شئ قال لا والله ولكنها تتعاظم على
بشرفها وتؤذينى بلسانها ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له عليه الصلاة والسلام ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك
اخطب لى زينب قال فانطلقت اليها فاذا هى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى نفسى فلم استطع النظر اليها لرغبة

النبى

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيأ حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل (واذ تقول للذى انعم الله
عليه) بالاسلام الذى هو اجل انواع الانعام (وانعمت عليه) بالعتق والتبنى المنبئ عن كمال الاكرام (امسك
عليك زوجك) اى اصبر عليها (الاية) اى واتق الله اى لا تطلقها فان الطلاق ابغض الحلال الى الله الملك المتعال وتخفى
فى نفسك ما الله مبديه اى شئ الله تعالى مظهره وتخشى الناس فى مقالتهم باطلاق السنتهم وقال ابن عباس والحسن
اى تستحيى منهم والله احق ان تخشاه وان لا تلتفت الى ما سواه (فاعلم اكرمك الله ولا تسترب) اى لا تكتسب ريبة
ولا تشك (فى تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبرئته (عن هذا الظاهر) كما بينه بقوله (وان يأمر زيدا بامساكها
وهو) اى والحال انه (يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا المعنى ما حكاه اهل
التفسير) كالبغوى وغيره (عن على بن الحسين) اى ابن على ابن ابى طالب وهو الامام زين العابدين (ان الله تعالى كان
اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله
واخفى منه) وفى نسخة عنه (فى نفسه) اى فى باطنه استحياء منه مع كونه مباحا (ما اعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه) اى مبينه (ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها) مصلحة لعباده وحكمة فى مراده المبين بقوله لكيلا
يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج
فيما فرض الله له وتوضيح هذا الكلام وتصحيح هذا المرام ما ذكره البغوى فى تفسيره انه روى سفيان بن عيينة عن
على بن زيد بن جدعان قال سألنى على بن الحسين زين العابدين ما يقول ابو الحسن فى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت لما ان جاء زيد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله
اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال على بن الحسين ليس كذلك فان الله
قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال انى اريد ان اطلقها قال امسك عليك زوجك
فعاتبه الله تعالى فقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق
بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلمه انه يبدى ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال
زوجناكها فلو كان الذى اضمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محبتها او طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز
ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى انها ستكون زوجة له وانما
اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التى تحتك فى نكاحك ستكون امرأتى قال البغوى وهذا قول حسن مرضى
وان كان القول الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح فى حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع
فى قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك
واتق الله أمر بالمعروف وهو حسنة لا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه
عليه الصلاة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه تعالى لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى احق
بالخشية فى عموم الاحوال وفى جميع الاشياء هذا وزين العابدين احد النظرآء السبعة وهم كلهم مدنيون هو وعلى
ابن عبد الله بن العباس وابان بن عثمان ابن عفان وسالم بن عبد الله بن عمر وابو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وابو بكر
ابن محمد بن عمرو بن حزم وعبد الله بن هرمز الاعرج (وروى) وفى نسخة وذكر (نحوه عن عمرو بن فائد) بالفاء فى اوله
ودال مهملة فى آخره وهو ابو على الاسوارى قال الدارقطنى متروك وقال ابن عدى منكر الحديث وقال العقيلى كان
يذهب الى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث (عن الزهرى) هو ابن شهاب تابعى جليل (قال نزل جبريل عليه السلام
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك) اى تزوجها (الذى اخفى
فى نفسه) واعلم ان فى ازواجه عليه الصلاة والسلام زينب اخرى هى بنت خزيمة بن الحارث تسمى ام المساكين
تزوجها عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة ومكثت عنده ثمانية اشهر
وتوفيت على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة وصلى عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع ولذا
قيد زينب فى الاصل بقوله بنت جحش فان الاية نزلت فيها (ويصحح هذا) المروى عن الزهرى (قول المفسرين فى قوله
تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اى لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا) اى ما يصحح (ان الله تعالى لم يبد من امره)
اى لم يظهر من شأنه (معها غير زواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان اعلمه به تعالى) اى لا غيره
(وقوله) اى ويوضح هذا ايضا قوله (تعالى فى القصة) هذه (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله) اى قدره (له)
وقضاه واوجبه وارضاه (سنة الله) اى سن سنة مؤكدة وقضية مؤيدة (الاية) اى فى الذين خلوا من قبل اى مضوا من

قبله من ارباب النبوة واصحاب الرسالة حيث اباح لهم كثرة النساء فكان لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية (وكان امر الله قدرا مقدورا) اى قضاء مقضيا وامرا مقطوعا (فدل) اى قوله ما كان على النبى من حرج (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن عليه حرج) اى ضيق واثم (فى الامر) اى المفروض له عما لاثم بتركه (قال الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (ما كان الله ليؤثم) بتشديد المثلثة اى ينسب الى الاثم (نبيه فيما احل له مثال فعله) اى مثل فعل الله (لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله) اى شرع طريقته واظهر شريعته (فى الذين خلوا) اى مضوا (من قبل) اى من قبلك (اى من النبيين فيما احل لهم) من نكاح وغيره (ولو كان) اى ما اخفاه (على ما روى فى حديث قتادة) كما رواه عبد بن حميد عنه (من وقوعها) اى من وقوع محبة زينب (من قلب النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى خاطره (عندما اعجبته) اى رؤيتها (ومحبته) اى ومن محبته (طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج) وهذا يندفع بما سبق وبما يأتى بعد ايضا (وما لا يليق) اى ولكان فيه ما لا ينبغى (له من مد عينيه) اى طمعها وفى نسخة من مد عينه (لما نهى عنه) وفى رواية الى ما نهى عنه (من زهرة الحياة الدنيا) وفيه بحث اذ المراد بها زينتها المذمومة وبهجتها الملومة (ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم) اى لا يتصف (به الانبياء فكيف سيد الانبياء) اقول هذا ليس بحسد اصلا لانه عليه الصلاة والسلام هو الذى اختارها له اولا ثم لما قدره الله وقضاه وقلب قلب نبيه بما كتب عليه وامضاه حين رآها واعجبته أدار عنها وجهه وقال سبحان مقلب القلوب تعجبا مما وقع له فى صورة ما يعد صدوره عن غيره من الذنوب وخطر بباله ان زيدا لو طلقها لادخلها فى حباله ومع هذا جاهد نفسه ولم يظهر باطن حاله وامره بامساك امرأته فى استقباله رعاية لحسن ماله ولكنه سبحانه وتعالى كما انه قلب قلب حبيبه الى محبتها اقلب قلب صاحبه الى كراهتها ليقضى الله امرا كان مفعولا (قال القشيرى) وهو الامام المفسر صاحب الرسالة وغيرها (وهذا) اى القول بوقوعها من قلبه ومحبة طلاق زيد لها (اقدام عظيم) اى جراءة كبيرة (من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته) اى اميمة بنت عبد المطلب (ولم يزل) اى دائما (يراها منذ ولدت) اى من ابتداء ما ولدت الى انتهاء ما كبرت (ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل زواجها فقد روى ان آية الحجاب نزلت حين تزوج زينب واولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه الصلاة والسلام من منزله ثم رجع ليدخل وهم جلوس وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء والحديث مروى فى الصحيحين (وهو زوجها لزيد) وفيه بحث اذ لا مانع من انه كان يراها وما تعجبه ثم رآها فاعجبته ليقضى الله امرا كان مفعولا وهذا لا ينافى قوله (وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى) بفوقية فموحدة مفتوحة فنون مكسورة مشددة (وابطال سببه) بموحدتين وفى نسخة سنته بنون ففوقية اى طريقته حسب عادته (كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم) اى حقيقة (وقال) اى وقع ما وقع (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اى شك وشبهة وضيق وتهمة (فى ازواج ادعيائهم) جمع دعى وهو المدعو بالابن وفى معناه المدعو بالاب والاخ والجد والام والاخت والبنت فانه لا يحرم شيأ (ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو) اى فجوابه وفى نسخة فهى اى فائدة امره بالامساك (ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته) اى فى آخر الامر (فنهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما) اى بين زيد وزوجته (الفة) الظاهر ان اذ تعليلية وحينئذ لم يتبين وجهه وكذا اذا كانت ظرفية فالاولى ان يحمل نهيه عن طلاقها لكونه عليه الصلاة والسلام شارعا وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فلا يناسبه ان يأمره بالفراق ولا يبعد ان يقدر امسك عليك زوجك بمعروف او سرحها بمعروف كما قال تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ولعله كان يرجوا ان الله تعالى يصلح بينهما وان يقلب قلبه عليه الصلاة والسلام عن محبتها وارادة تزوجها فلا ينافى ما قررنا قوله (واخفى فى نفسه ما اعلمه الله تعالى به) من انها ستصير زوجته ان شاء الله وايضا لو امره بطلاقها لصارت سنة لمن بعده فى من تبناه بالنسبة الى زوجته او مطلقا لكل خليفة او قاض ونحوهما ولا يخفى ما يتفرع عليه من الفساد ويفوت طريق السداد (فلما طلقها زيد خشى قول الناس) اى استحيى منه او خاف تزلزل امر الامة على الاطلاق او كلام اهل النفاق (يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها) ويروى تزويجها بل زوجها الله تعالى كما قال فلما قضى زيد منها وطرا اى حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها (ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) اى دخلوا عليهن يعنى لئلا يظن ان حكم الادعياء حكم الابناء فانه جاز ان يتزوج موطوءة دعيه بخلاف موطوءة ابنه والظاهر انه لمسها لكن روى عن زينب انها قالت ما كنت امتنع عنه غير

ان

ان الله تعالى منعنى منه (وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة) اى متمناها (ورد للنفس عن هواها) وانتظارا لرفع هذا الخاطر عنها (وهذا) القيل انما يعتبر (اذا جوزنا عليه) اى حملنا امره على (انه رآها فجأة) بفتح فسكون فهمزة وبضم ففتح فالف بعدها همزة لغتان وقيل الاول مصدر للمرة والثانى مصدر فجأه اذا جاءه بغتة (واستحسنها) اى واحبها (ومثل هذا) اى ما ذكر من رؤيته اياها فجاءة واستحسانها بغتة (لا نكرة فيه) بضم نون فسكون كاف كذا فى النسخ وقال الدلجى بالتحريك اسم من الانكار كالنفقة من الانفاق وهو كذلك فى القاموس وفيه ايضا ان النكر بالضم وبالضمتين المنكر انتهى وقد قرئ لقد جئت شيأ نكرا بهما فى السبعة (لما طبع عليه ابن ادم) اى خلق وجبل (من استحسانه للحسن) بفتحتين او بضم فسكون اى ميل طبعه الى الامر المستحسن (ونظرة الفجاءة معفو عنها) جملة حالية (ثم قمع نفسه عنها) اى عن رؤيتها قصدا (وامر زيدا بامساكها) لزيادة قمعها ولانتظار رفعها (وانما تنكر تلك الزيادات التى) ذكرها بعض المفسرين (فى القصة) من انه عليه الصلاة والسلام اخفى عنه تعلق قلبه بها وارادة مفارقته لها (والتعويل) اى المعول عليه (والاولى) مما يذهب اليه (ما ذكرناه) وفى نسخة والتعويل على ما ذكرناه (عن على بن الحسين) على ما حررناه (وحكاه) اى وما رواه (السمرقندى) كما سبق عنه (وهو قول ابن عطاء وصححه) وفى نسخة واستحسنه (القاضى القشيرى) سبق انه غير الامام القشيرى (وعليه عول) اى وعلى ما ذكر اعتمد (ابو بكر ابن فورك وقال انه) اى ما عول عليه ابن فورك (معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال) اى ابن فورك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه) اى مبرأ (عن استعمال النفاق فى ذلك) باخفائه خلاف ما يعلن واظهاره خلاف ما فى نفسه هنالك (وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج) اى بأس بل له سعة (فيما فرض الله له) اى قدره وقضاه او اوجب عليه فعله وامضاه (وقال) اى ابن فورك (ومن ظن ذلك) اى ارادة مفارقتها (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اخطأ) خطأ بينا (وفيه بحث لانه عليه الصلاة والسلام اذا اعلمه الله تعالى بالوحى او الالهام انها ستصير زوجته فى بقية الايام فلا مانع من ان يريد مفارقتها وفق ارادة الملك العلام (وليس معنى الخشية هنا) اى فى قوله تعالى وتخشى الناس (الخوف) اى من ملامتهم لعدم مبالاته بهم (وانما معناه) اى اللفظ او ما ذكر وروى معناها اى اللفظة او الخشية (الاستحياء) اى ان يستحيى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء جهلا منهم ان المراد بالابناء ابناء الاصلاب كما بينه تعالى بقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم (وان) اى وانما معناه ايضا ان (خشيته عليه الصلاة والسلام من الناس كانت) اى حذرا (من ارجاف المنافقين واليهود) اى اخبار سوء وتزلزل (وتشغيبهم) اى بايقاع شر وفتنة (على المسلمين) بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان (فعتبه الله تعالى على هذا) اى على استحيائه منهم (ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له) من نكاح زوجة دعيه (كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية) اى تبتغى مرضاة ازواجك والله غفور رحيم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا عند زينب فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رائحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحله العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه بقوله يا ايها النبى لم تحرم الآية (وكذلك قوله هنا) ملاطفة له على منعه من مراعاة الناس والتفاته اليهم (وقد روى) كما فى جامع الترمذى وقد رواه ابن جرير وغيره ايضا (عن الحسن) اى البصرى رحمه الله فانه المراد عند المحدثين حال اطلاقه (وعائشة) كان المستحسن تقديم عائشة على الحسن (لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من الوحى) اى مما يوحى اليه (لكتم هذه الآية) اى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه (لما فيها من عتبه) اى عتابه عليه (وابداء ما اخفاه) اى واظهار ما كتمه اليه

(فصل)

فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام فى اقواله وفى جميع احواله) المشتملة على افعاله (وانه لا يصح منه فيها خلف) لقوله من كذب (ولا اضطراب) اى تردد من ريب (فى عمد) اى قصد (ولا سهو) اى خطأ ونسيان نشأ عن ذهول وغفلة (ولا صحة) اى فى حال عافية (ولا مرض) اى علة (ولا جد) بكسر الجيم ضد الهزل (ولا مزح ولا رضى) اى حال شرح وفرح (ولا غضب) اى حال ضيق خلق وكراهية نفس وكرر لا تأكيد النفى ما ذكر من انفراد كل من ذلك كما يقتضيه عصمته هنالك (ولكن ما معنى الحديث) الذى رواه الشيخان والنسائى ايضا (فى وصيته عليه الصلاة والسلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (قال ثنا القاضى ابو الوليد) اى الباجى

(ثنا ابوذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن حموية السرخسى (وابو الهيثم) اى الكشميهنى (وابو اسحق) اى المستملى
(قالوا) ثلاثتهم (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا على بن عبد الله)
اى ابن جعفر بن نجيح ابن المدينى الحافظ قال شيخه ابن مهدى على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة وقال ابن عيينة تلومونى على حب على ابن المدينى والله لا تعلم منه اكثر
مما تعلم منى وكذا قال يحيى ابن القطان فيه وقال امام هذه الصناعة البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على
قال الفانى كان الله خلقه لهذا الشأن مات بسامرا سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة والمدينى نسبة
الى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن الاثير فى كتابه والاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى والاول
مدينى واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة اماكن وفى الصحاح المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وعن ابن الصلاح ان المدينى نسبة الى مدينة اصبهان
(ثنا عبد الرزاق عن همام عن معمر) قال الحلبى هكذا فى كثير من النسخ والصواب ما فى بعضها وهو عبد الرزاق
ابن همام او عبد الرزاق عن معمر لان عبد الرزاق لا يروى عن همام واسم ابيه همام ويروى عن معمر وهو بفتح الميمين
وسكون العين المهملة ابن راشد (عن الزهرى) اى ابن شهاب (عن عبيد الله بن عبد الله) اى ابن عتبة الفقيه الاعمى
يروى عن عائشة وابى هريرة وجماعة وهو معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم مات سنة ثمان وتسعين وعبيد الله
هذا احد الفقهاء السبعة (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى احتضر
والمعنى قرب اجله (وفى البيت رجال) اى من قرابته وصحابته جملة حالية (قال هلموا) اى تعالوا وهو لغة اهل نجد
وتميم فانهم يثنون ويجمعون ويؤنثون واما اهل الحجاز فيستوى الكل عندهم ومنه قوله تعالى والقائلين لاخوانهم
هلم الينا (اكتب) بصيغة المتكلم مجزوما على جواب الامر وفى نسخة بالرفع اى انا اكتب (لكم كتابا) يعنى آمر
ان يكتب احد لكم مكتوبا فيه بيان مهمات الدين للامة او محل الخلافة دفعا للمنازعة وفيه ان هذا غير محتاج
الى الكتابة (لن تضلوا بعده) اى بعد العمل به ويروى بعدى (فقال بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه
(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث) اى وعندنا كتاب الله تعالى حسبنا كتاب ربنا
وهو بسكون السين اى كافينا (وفى رواية ائتونى) اى احضرونى (اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى) وفى نسخة بعده
(ابدا فتنازعوا فقالوا) اى بعضهم كما فى البخارى (ماله أهجر) ويروى فقالوا أهجر وهو بفتحات على ان الهمزة
للاستفهام الانكارى من الهجر بضم الهاء بمعنى الهذيان فى حال المرض والغشيان على من توقف فى امتثال امره
عليه الصلاة والسلام بالكتابة والمعنى لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع مرامه كما يقع للمرضى ممن لا يرتبط
نظامه (استفهموا) بكسر الهاء اى استخبروا القائل بمنعه او النبى عليه الصلاة والسلام عما اراده افعله اولى ام تركه
(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعونى) اى اتركونى فى حالى وترك مقالى (فالذى انا فيه) من مراقبة ربى
ومحاسبة قلبى (خير) مما انتم فيه من تنازع وضبر ولعله عليه الصلاة والسلام ظهر له فى رأيه او اوحى اليه اولا ان الخير
فى كتابته ثم بعد ما تبين له او اوحى اليه ان الخير فى تركها فتركها (وفى بعض طرقه) كما فى مستخرج الاسماعيلى من
طريق ابن خلاد عن سفيان (فقال) اى قائل (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر) بكسر الجيم مع فتح اوله بتقدير
استفهام انكار (وفى رواية) كما فى البخارى (هجر) اى اهجر قال ابن الاثير اى هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به
من المرض مرامه وهذا احسن ما قيل ولا يصح ان يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل كان عمر رضى
الله عنه ولا يظن به ذلك انتهى (ويروى اهجر) بهمزة الاستفهام وضبط فى نسخة بضم الهاء وكسر الجيم اى اترك امر
كتابته وفى اخرى بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح الجيم يقال اهجر فى منطقه اذا افحش واكثر فى كلامه فالاستفهام
مقدر فى الكلام (ويروى اهجرا) بهمزة الاستفهام وضم هاء وسكون جيم منصوبا والتقدير اتهجر هجرا يعنى لا وقد
افرد ابن دحية تأليفا فى اختلاف الرواة فى هذه اللفظة (وفيه) اى وفى الحديث من بعض طرقه (فقال عمر رضى الله
عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط) بفتحتين وهو اختلاف
الاصوات والكلام بحيث لم يتميز فيه الصواب والغلط (فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت) اى
حاضروه من اهل البيت وغيرهم (واختصموا) اى تنازعوا واختلفوا (فمنهم من يقول قربوا) اى كاغدا (يكتب لكم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يملى لاجلكم (كتابا) فيه ذكركم (ومنهم من يقول ما قال عمر) اى عندنا
كتاب الله حسبنا مقتبسا من قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا من عمر مؤذن بحسن نظره
وصحة فكره ولذا وافقه عليه الصلاة والسلام واعرض عن كلام غيره من الانام ولا يعارضه قول ابن عباس ان الرزية

كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ان يكتب لان عمر كان افقه من ابن عباس لعلمه
بان الله تعالى قد اكمل دينه ورسوله قد بلغ امره ثم الخير فيما اختاره الله وقدره (قال ائمتنا) اى المالكية او الاشعرية
او اهل السنة والجماعة (فى هذا الحديث) اى حديث ابن عباس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من
الامراض) اى العارضة على ظاهره دون باطنه كغيره من الانبياء (وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشى)
بفتح وسكون اى اغماء (ونحوه) اى ماذكر (مما يطرأ) اى يقع ويحدث (على جسمه) اى ظاهر جسده (معصوم
ان يكون منه) اى يصدر عنه (من القول) مما لا ينبغى (اثناء ذلك) اى فى خلال ذلك المرض العارض هنالك (ما)
موصولة او موصوفة (يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد شريعته من هذيان) بفتحتين اى كلام مهجور فى حال منام
(او اختلال) بنقصان او اختلاف (فى كلام وعلى هذا) القول بعصمته مما ذكر فى حال نبوته (لا يصح ظاهر رواية
من روى فى هذا الحديث هجر) بصيغة الاخبار الا اذا قدر له استفهام الانكار (اذ معناه هذى) اى اكثر كلامه
بلا جدوى (يقال هجر هجرا) بفتح فسكون اذا هذى (واهجر) بفتح فسكون (هجرا) بضم فسكون (اذا افحش) اى اتى
بكلام يقبح ذكره (واهجر) بفتح الهمزة وسكون الهاء (تعدية هجر) وهذا وهم من المصنف والصواب انهما لغتان
وفى معناهما متقاربان وانهما لازمان لا يتعديان وقد قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى سامرا تهجرون فالجمهور
بفتح اوله وضم جيمه على انه بمعنى الهذيان ومنه الهجر بالضم الفحش وقرأ نافع بضم اوله وكسر جيمه من اهجر اذا افحش
للمبالغة فزيادة المبنى لزيادة المعنى (وانما الاصح والاولى) اى فى هذا المقام الاعلى (اهجر على طريق الانكار) بزيادة
الاستفهام اخراجا له من صيغة الاخبار ومحط الانكار (على من قال لا يكتب) اى لا يحتاج الى الكتابة لتمام علم الامة
بامر الديانة حتى قضية الامارة بامارة نصب الامامة (وهكذا) اى لفظ اهجر مع الاستفهام (روايتنا فيه) اى فى الحديث
المروى (فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة) اى رواة هذا الحديث من الطرق الواقعة (فى حديث الزهرى
المتقدم) اى المروى فى صحيح البخارى (وفى حديث محمد بن سلام) بتخفيف اللام وقد تشدد وهو البيكندى الحافظ
شيخ البخارى (عن ابن عيينة) وهو سفيان والا فابن عيينة عشرة منهم خمسة لهم رواية واجلهم فى العلم سفيان فهو
المراد به عند الاطلاق لانه الفرد الاكمل فتأمل (وكذا) اى اهجر بفتحات مع همزة انكار (ضبطه الاصيلى) وهو بفتح
الهمز وكسر الصاد (بخطه فى كتابه) اى لا بهمز وسكون هاء كما ضبطه غيره وان اراد ان الاستفهام مقدر لكن الاول
هو الاظهر فتدبر (وغيره) اى وكذا ضبطه غير الاصيلى من الرواة (من هذه الطرق) ويروى من هذا الطريق اى من
اهل هذا الاسناد المنتهى الى الزهرى المروى فى صحيح البخارى (وكذا) اى بفتحات وهمزة انكار (رويناه) وفى نسخة
بصيغة المجهول مخففا وفى اخرى مشددا وفى اخرى رويتنا (عن مسلم فى حديث سفيان) اى ابن عيينة (وعن غيره)
اى وكذا رويناه عن غير مسلم فهو اوضح من رواية هجر على ظاهر الاخبار وكذا اصح من رواية اهجر بفتح الهمزة
وسكون الهاء لان كلا منهما يحتاج الى تقدير همزة الانكار على من قال لا يكتب اى كيف يترك امره فى مرامه
ويجعل كمن هجر فى كلامه وهو محفوظ فى اعلى مقامه واما قول عمر عندنا كتاب الله تعالى حسبنا فانما كان ردا على
من نازعه لا ردا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم والحاصل انه رضى الله عنه كان فى حزب يقولون لا احتياج الى الكتابة
والله اعلم (وقد يحمل عليه) اى على لفظ اهجر انكارا (رواية من رواه هجر) اخبارا (على حذف الف الاستفهام)
جمعا بين الروايتين فى مقام المرام (والتقدير اهجر) بفتحات وكذا اهجر (او ان يحمل قول القائل هجر) بفتحات
(او اهجر) بفتح فسكون على ظاهره من الخبر الا انه وقع ذلك (دهشة) اى وحشة او غفلة (من قائل ذلك وحيرة) توجبها
هيبة (لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مرضه (وشدة وجعه) وحصول غشيانه الموهم
لوقوع هذيانه (وهول المقام الذى اختلف فيه عليه) بامتثاله وامتناعه تهوينا له به مع تسليم الحكم اليه (والامر)
اى وهول الامر (الذى هم) اى اهتم (بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه) اى فى كلام نفسه (واجرى
الهجر) بالضم الفحش وبالفتح الهذيان (مجرى) بضم الميم وبفتح اى موضع (شدة الوجع) فى مرضه (لانه) اى القائل
(اعتقد انه يجوز عليه الهجر) بالضم او الفتح (كما حملهم الاشفاق على حراسته) اى محافظته ورعايته (والله) اى والحال
انه سبحانه وتعالى (يقول والله يعصمك من الناس) اى ولو لم يحفظك الناس فانهم كانوا يعدون تلك الحراسة عبادة
وطاعة ويغتنمون الحضور بين يديه ولو ساعة (ونحو هذا) من اشفاقهم عليه حين وقوع غضب واعراض لديه
عنهم انه لو سكت مع كمال ميلهم اليه (واما رواية اهجرا) ويروى واما على رواية اهجرا وهو بفتح الهمزة وضم الهاء وهو
بالنصب منونا على ان يكون مصدر الهجر يهجر او اسما من الاهجار (وهى رواية ابى اسحق المستملى) بميم مضمومة فسين
مهملة ساكنة احد رواة البخارى (فى الصحيح فى حديث ابن جبير) وهو سعيد (عن ابن عباس رضى الله عنه من

رواية قتيبة) اى ابن سعيد احد شيوخ البخارى (فقد يكون هذا) اى قوله اهجرا (راجعا الى المختلفين) ويروى عن المختلفين (عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم) انكارا عليهم (اى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه) اى والحال انكم بين يديه (هجرا) اى ما يجب عليكم ان تهجروه (ومنكرا من القول) اى ما ينبغى لكم ان تتركوه (والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق) ولا يتصور ان احدا من الصحابة يخاطبه عليه الصلاة والسلام بمثل هذا الكلام فى مقام الملام وهذا ما يتعلق بالفاظ هذا الحديث ومبناه ويجمل ما يتعلق بفحواه ومقتضاه (وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث) اى حديث هلموا اكتب لكم (وكيف اختلفوا بعد امره لهم ان يأتوه بالكتاب) الموصوف بانهم لن يضلوا بعده فى هذا الباب (فقال بعضهم) اى بعض العلماء (اوامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها) تارة و(من اباحتها) اخرى (بقرائن) قالية او حالية يدركها اربابها (فلعله) اى الشأن (قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلاة والسلام لبعضهم) اى من الصحابة الحاضرين (ما فهموا انه لم يكن منه) اى من جانبه (عزمة) اى امر عزيمة (بل امر) اى على وجه خبر (رده الى اختيارهم) ولا يبعد انه كان لظهور امرهم فى مقام امتحانهم واختبارهم (وبعضهم لم يفهم ذلك) لقصور فهمه ادراك حقيقة ما هنالك (فقال) اى ذلك البعض لبعض منهم (استفهموه) اى استخبروه حتى يتبين لكم ما تفهمونه (فلما اختلفوا) اى كلهم ولم يستقر على شئ رأيهم (كف عنه) اى اعرض عن امره (اذ لم يكن عزمة) فى حكمه اذ لو كان عزيمة لما تركها (ولما) اى ولاجل ما (رأوه) اى كلهم او اكثرهم ومنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صواب رأى عمر ثم هؤلاء) اى العلماء (قالوا ويكون امتناع عمر) على وجه حكمه يظهر (اما اشفاقا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خوفا عليه (من تكليفه) اى تحمله (فى تلك الحال املاء الكتاب) اى كلفته ومحنته (وان يدخل) بصيغة الفاعل او المفعول مذكرا او مؤنثا اى يحمل (عليه مشقة من ذلك) الاملاء للكتابة (كما قال) اى عمر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشتد به الوجع) فلا ينبغى ان يكلف املاء كتاب لنا كتاب الله حسبنا (وقيل خشى عمر ان يكتب امورا) اى احكاما (يعجزون عنها) اى عن القيام بها (فيحصلون فى الحرج بالمخالفة) اى فيقعون فى الاثم بترك الموافقة (ورأى) اى عمر (ان الاوفق) وفى نسخة الارفق (بالامة فى تلك الامور) اى المجملة المقدرة (سعة الاجتهاد وحكم النظر) اى التأمل فى ظهور المراد (وطلب الصواب فيكون المصيب) للحكم الشرعى (والمخطئ) بعد مراعاة شرعه المرعى (مأجورا) فللمصيب اجران وللمخطئ اجر واحد (وقد علم عمر تقرر الشرع) اى شرع هذه الامة وروى الشريعة (وتأسيس الملة) برسوخ قواعده وثبوت دعائمه (وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم) واتممت عليكم نعمتى وهذا معنى قوله حسبنا كتاب ربنا (وقوله) اى وعلم ايضا قوله عليه الصلاة والسلام (اوصيكم بكتاب الله تعالى) اى بما فيه مما يتعلق باعتقاده وباوامره ونواهيه ومعرفة حلاله وحرامه وما يترتب على اجتهاده (وعترتى) اى اهل بيتى كما فى رواية والمراد به اقاربه من عشيرته واهل بيته من ازواجه وذريته وقيل المراد بعترته من يتتبع اخباره وآثاره من سيره وسيرته فكانه قال اوصيكم بالكتاب والسنة ولعل تخصيص العترة لانهم اقرب الى مشاهدة افعاله فى الجلوة والخلوة واما على التفسير الاول فالعمل بالسنة يؤخذ من الكتاب ايضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقول عمر) مبتدأ مقوله (حسبنا كتاب الله) اى كافينا خبره (رد على من نازعه) اى خالفه فى امر الكتاب على ما رأه عمران تركه هو الصواب فى مقام فصل الخطاب (لا رد امنه) اى من ابن الخطاب (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه لا يتصور منه مثله فى هذا الباب (وقد قيل خشى عمر تطرق المنافقين) اى توصلهم (ومن فى قلبه مرض) اى شك وترددا و حقد وحسد (لما كتب) اى حين كتب او لاجل ما كتب (ذلك) وفى نسخة فى ذلك (الكتاب) اى المكتوب (فى الخلوة) اى فى الحجرة الشريفة (ان يتقولوا) اى يتكلفوا (فى ذلك) اى فى جملة ذلك الكتاب (الاقاويل) الباطلة افتراء من عند انفسهم المنهمكة فى الضلالة (كادعاء الرافضة الوصية) بالخلافة لعلى كرم الله وجهه قدحا فى اكابر الصحابة بل فى على نفسه اذ لم يقم بالامر الموصى به (وغير ذلك) مما لا اطلاع لنا على ما هنالك (وقيل انه) اى قوله لهم هلموا (كان من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة) بفتح فسكون ففتح وفى نسخة بضم ثانيه وسكون واوه وقيل لا يصح هذا اى المشاورة (والاختبار) اى الامتحان ليظهر منهم حسن الاختيار (هل يتفقون على ذلك فيكتب لهم (ام يختلفون) فيتركه (فلما اختلفوا تركه) ويروى تركهم ولا يبعد ان يكون الامتحان ليعلم انهم الى الآن محتاجون الى الكتاب والبيان او هم متيقنون فى احكام الاديان ولا يفتقرون الى زيادة التبيان فلما تبين من كلام عمر ومن تبعه انهم فى مقام العيان وفى غاية من كمال الايمان وجمال الايقان والاتقان من منازل

الاحسان ترك ما اراد كتابته مجملا لظهور امرهم مفصلا (وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث) المذكور (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب) اى فى قصده او امره (لما طلب منه) بيان القال او بلسان الحال (لا انه ابتدأ بالامر به) من غير السؤال (بل اقتضاه) اى طلبه واستدعاه (منه بعض اصحابه) اى المخصوصين من اقاربه واحبابه (واجاب رغبتهم) واطاب طلبتهم (وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها) عن عمر وغيره مما اقتضت حكمتهم فلما تعارضا تساقطا (واستدل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى استدل القائل (فى مثل هذه القصة) المشتملة على الغصة (بقول العباس لعلى رضى الله تعالى عنهما انطلق بنا) اهل البيت او معشر بنى هاشم الذين هم افضل من سائر قريش وقد وردان الخلافة فى قريش (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر) اى امر الخلافة بعده (فينا) خصوصا (علمناه) ولا ينازعنا فيه احد (وكراهة على هذا) القول من عمه العباس (وقوله لعمه (والله لا افعل الحديث) كما فى البخارى (واستدل) كما تقدم واغرب الدلجى حيث قال واستدل على (بقوله دعونى) اى اتركونى (فان الذى انا فيه خير) اى ان الذى انا فيه من الاعراض عن الدنيا والاقبال على العقبى والتوجه الى المولى خير وابقى مما تدعوننى اليه (من ارسال الامر) بلا كتابة (وتركُكم) اى وخير من ترككم اياكم (وكتاب الله) اى معه اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف من قبلكم (وان تدعونى) بفتح الدال قال الدلجى عطف على دعونى والظاهر انه عطف على ترككم اى وان تركتم لى (مما طلبتم) ويروى من الذى طلبتم منى من كتابتى لكم كتابا خيرا ايضا هذا (وذكر) اى روى (ان الذى طلب) اى المطلوب (كتابته) خبران وقوله (امر الخلافة) منصوب على المفعولية (بعده) وكذا قوله (وتعيين ذلك) اى امر الخلافة وفى نسخة كتابة امر الخلافة بالاضافة وفى نسخة كفاية بدل كتابة فهى مرفوعة على انها اسم ان وكذا تعيين بالعطف عليها

(فصل)

(فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمة (بقراءتى عليه ثنا ابو على الطبرى ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا ليث) وهو ابن سعد (عن سعيد ابن ابى سعيد) هو المقبرى (عن سالم مولى النصريين) بالنون والصاد المهملة اى ابن عبد الله النصرى (قال سمعت ابا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما محمد) وفى نسخة ان محمدا (بشر يغضب كما يغضب البشر) وان كان غضبه لله بخلاف من سواه (وانى قد اتخذت عندك عهدا) يحتمل ان يكون اخبارا وان يكون ابتداء انشاء (ان تخلفنيه) اى ابدا فاسألك الوفاء بعهدك (فايما مؤمن آذيته) بنوع من الاذى (او سببته) بلسانى (او جلدته) اى ضربته بيدى او بامرى (فاجعلها) اى تلك الاذية او الامور المذكورة (له كفارة) لذنبه كيلا يقع فى الندامة (وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) اى قربة رتبة ومكانة (وفى رواية) اى عن انس كما صرح به الحلبى فكان ينبغى من جهة الصناعة ان يقول وفى رواية لانس (فايما احد دعوت عليه دعوة) اى الى آخره (وفى رواية انس) اى المدعو عليه (ليس لها باهل) اى مستحق (وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته) اى شتمته (او لعنته) بلسانى او طردته عن مكانى (او جلدته) اى ضربته بالجلد وغيره (فاجعلها له زكاة) اى طهارة من سيئته او بركة فى معيشته (وصلاة) اى ووصلة لقربه (ورحمة) ينشأ منها نعمة (وكيف) اى على اى حال (يصح ان يلعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق اللعن) اى عمدا وقصدا (ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم) بعناية الرب (عن هذا) الذى ذكر (كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله عليه الصلاة والسلام اولا ليس لها باهل اى عندك يا رب فى باطن امره فان حكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر من حاله (كما قال) فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (وللحكمة التى ذكرناها) من ان احكامه انما كانت جارية على موجبات غلبات ظنه لتقتدى به امته فى حكمه (فحكم عليه الصلاة والسلام) فيما ظهر له من قرائن المقام (بجلده او ادبه بسبه) اى بشتمه (او لعنه) بصيغة المصدر او الخبر (بما اقتضاه) من جواز ذلك (عنده حال ظاهره) بالرفع على انه فاعل لاقتضاه او بالنصب على الظرفية وفى نسخة عند حال ظاهره (ثم دعا عليه الصلاة والسلام) على وجه الابهام (لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين) اى شدة رأفته لخاصتهم وارادة نعمته لعامتهم (التى وصفه الله بها) اى فى قوله سبحانه وتعالى بالمؤمنين رؤف رحيم (وحذره) اى ولاحترازه (ان يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته) اى فى دعوته عليه وفى نسخة فيمن دعا عليه دعوته على انها مفعول يتقبل وقوله

(ان يجعل) متعلق بقوله فيما سبق ثم دعاله اى بدل مادعا عليه ان يجعل (دعاءه) اى عليه (ولعنه له رحمة) نازلة عليه وواصلة اليه وحاصلة لديه (فهو معنى قوله) عليه الصلاة والسلام (ليس) اى المدعو عليه (لها باهل) ولذا ورد فى دعائه اللهم مالعنت من لعن فعلى من لعنت وماصليت من صلاة فعلى من صليت انت ولى فى الدنيا والآخرة (لانه عليه الصلاة والسلام يحمله الغضب) اى يبعثه (ويستفزه) بتشديد الزاى اى ويستخفه (الضجر) بفتحتين ضيق الصدر وعدم الصبر (لان يفعل مثل هذا) الذى ذكر من اللعن والضرب والشتم (بمن) وفى نسخة لمن اى لاجل من (لايستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح) وفى المدعى صريح لاينبغى ان يفهم منه غيره (ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب) الذى يعترى ابن آدم من ثوران الدم وهو من خصال تذم (حمله على ما يجب) اى لاينبغى ان يفعله (بل يجوز ان يكون المراد بهذا) الذى ذكر من قوله اغضب كما يغضب البشر (ان الغضب لله) هو الذى (حمله على معاقبته بلعنه او سبه) او ضربه اذ ورد كما مر انه ما انتقم رسول الله لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم له وقد قال له صحابى اوصنى يارسول الله فقال لاتغضب وكلما اعاد السؤال اجاب له بهذا الجواب فلا يتصور انه ينهى آحاد امته عن الغضب وهو على منوالهم يغضب (وانه) اى غضبه عليه الصلاة والسلام (مما كان يحتمل) تحمله من الخلق تواضعا للحق واختيارا لصفة الحلم الناشىء عن كمال العلم (ويجوز عفوه) عليه الصلاة والسلام (عنه) اى عن من عاقبه بلعن او غيره من الايلام (او كان) ذنب المغضوب عليه (مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه) وفى نسخة او العفو عنه ولكنه كان قد اختار المعاقبة لما رأى فيها من الحكمة والمصلحة (وقد يحتمل) اى دعاؤه عليه الصلاة والسلام لمن عاقبه (انه خرج مخرج الاشفاق) اى اظهار الشفقة او الخوف على من عاقبه بلعن او غيره (وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله تعالى) شفقة منه عليهم ان يعاقب احدا منهم واحتراسا لهم مما يصدر عنهم (وقد يحمل ماورد من دعائه هنا) اى فى مواضع المعاقبة ومقام الغضب طلبا لرضى الرب (ومن دعواته على غير واحد) اى على كثيرين (فى غير موطن) اى فى مواضع كثيرة (على غير العقد) اى عقد القلب بالعزم (والقصد) اى قصد المعاقبة بالجزم (بل) كانت صادرة منه من غير الغضب (بما جرت) اى على وفق ما جرت (به عادة العرب) حيث لا يريدون وقوع الامر وانما يقصدون به الادب او الملاطفة فى مقام الطلب اذ قد يشنعون اللفظ وكله ود و يتفونه ومامن فعله بد يقولون للشىء اذا مدحوه قاتله الله ولا اب له ولا ام له ولا يريدون به الذم وفى الحديث ويل امه مسعر حرب فلك ان تنظر الى القول وقائله والقرينة الدالة على حاله وما له بحسب اختلاف شمائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن فضرب الحبيب حلو كالزبيب بخلاف دعاء الرقيب (وليس المراد بها) اى بدعواته عليه الصلاة والسلام على غير واحد من الصحابة الكرام (الاجابة كقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان لعائشة وفى رواية لام سلمة (تربت يمينك) بكسر الراء اى خسرت وقيل امتلأت ترابا وقيل استغنت والظاهر ان أترب بمعنى استغنت على ان الهمزة للسلب وروى يداك (ولا اشبع الله بطنك) قاله لمعاوية لكن بلفظ لا اشبع الله بطنه كما فى نسخة هنا وهو فى مسلم فى كتاب الادب من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال كنت العب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتواريت خلف باب فجاء فحطانى حطوة وقال اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لى اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا اشبع الله بطنه زاد البيهقى فى الدلائل فما شبع بطنه ابدا وهذا يشير الى انه كان دعاء عليه وقد استجاب الله له به (وعقرى حلقى) قاله لصفية بنت حيى بن اخطب فى حجة الوداع كما رواه الشيخان اى عقرها الله تعالى وحلقها اى عقر الله جسدها واصابها بوجع فى حلقها قيل وقد جعلها الله كذلك كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى والمعروف فى اللغة التنوين لانه من مصادر حذفت افعالها لفظا اى عقرها الله تعالى عقرا وحلقها حلقا ويقال للامر المتعجب منه عقرا حلقا وكذا للمرأة المؤذية المشومة وقيل يقال لطويلة اللسان وقيل عقرى عاقر لاتلد وقيل عقرا حلقا مصدران او الالف للتأنيث وقد روت عائشة ان صفية حاضت ليلة النفر فقالت ما ارانى الا حابستكم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى (وغيرها من دعواته) مما لا يريد هو وغيره اجابته كقول بعضهم انعم صباحا تربت يداك فانه دعاء له بقرينة ما قبله (وقد ورد فى صفته) اى نعته (فى غير حديث) اى فى احاديث كثيرة من شمائله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فحاشا) اى متجاوزا الى قول الفحش وفعله بل كان اقواله وافعاله كلها مستحسنة (وقال انس) كما رواه البخارى (لم يكن سبابا) اى كثير السب والشتم (ولا فحاشا) وفى نسخة صحيحة ولا فاحشا وهو اولى صيانة لساحة رفيع جنابه ان يوجد نوع من الفحش فى بابه (ولا لعانا) اى كثير اللعن (وكان يقول لاحدنا عند المعتبة) بفتح الفوقية ويكسر اى عند العتب فى مقام الادب

(ماله) وفى نسخة ماباله (ترب جبينه) وفى العدول عن الخطاب التفات حسن فى الاداب وقد قيل اراد به دعاءله بكثرة السجود وبتواضعه للرب المعبود وقيل يسقط فى الارض فيترب جبينه واما قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل شهيدا فدعاء له لا عليه كما وهم الدلجى وقال فهو محمول على ظاهره واغرب منه قوله (فيكون حمل الحديث) اى حديث ترب جبينه (على هذا المعنى) من ان يقتل والصواب ان قوله فيكون حمل الحديث اى حديث تربت يمينك على هذا المعنى اى على معنى ترب جبينه اذ قوله ترب نحرك ليس مذكورا فى كلام المصنف فكيف يحمل عليه المعنى من غير ذكر المبنى ولا يبعد ان يراد بتربت يمينه وترب جبينه اختيار غاية الفقر ونهاية المسكنة لصاحبه كما يشير اليه قوله تعالى او مسكينا ذا متربة فيكون فى الحقيقة دعاء له لا عليه (ثم) اى مع هذا كله (اشفق عليه الصلاة والسلام) اى خاف على من جرى فى شأنه هذا الكلام (من موافقة امثالها) وفى نسخة موافقة امثالها اى الدعوات التى لم يرد بها وقوعها (اجابة) مفعول اشفق اى ان يجيبها الله فى الدنيا والاخرى فتداركه (فعاهد ربه كما قال فى الحديث) السابق (ان يجعل ذلك) الدعاء (للمقول له زكاة) اى طهارة (ورحمة) عليه (وقربة) تقربه اليه (وقد يكون ذلك) الدعاء (اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له) اى تلطفا بحاله وتداركا لمقاله (لئلا يلحقه) اى المدعو عليه (من استشعار الخوف) اى ادراكه من الله تعالى (والحذر من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وتقبل دعائه) فى حقه (ما يحمله على اليأس) من رحمة الله فى الدنيا (والقنوط) فى العقبى وهو بضم القاف اشد اليأس (وقد يكون ذلك) الدعاء (سؤالا منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (لربه) جل جلاله وعز كماله (لمن جلده) اى ضربه (او سبه) اى شتمه او لعنه (على حق) اى امر يستحقه (بوجه صحيح) وفق شرعه (ان يجعل ذلك) الجلد ونحوه (كفارة لما اصابه) من الذنوب (وتمحية) مصدر محى مشدد للمبالغة اى وكثرة محو (لما اجترم) اى اكتسبه من العيوب وفيه انه يأباه ظاهر رواية ليس لها باهل اللهم الا ان يقال ليس للعقوبة باهل على جهة الدوام بان يكون من اهل الاسلام (وان تكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو) عن تقصيراته (والغفران) لسيئاته فى العقبى (كما جاء فى الحديث الآخر) مما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله (ومن اصاب من ذلك شيأ فعوقب به) اى فجوزى به فى الدنيا (فهو كفارة له) وفى نسخة فهو له كفارة اى فى العقبى وتمام الحديث ومن اصاب من ذلك شيأ فستره الله فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه (فان قلت فما معنى حديث الزبير) اى ابن العوام احد العشرة المبشرة (وقول النبى) اى وما معنى قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للزبير (حين تخاصمه) بصيغة المصدر اى وقت تنازعه واختلافه (مع الانصارى) اى المنسوب الى الانصار فانه قيل انه كان منافقا فهو من نسبهم لا من حسبهم وقيل غير ذلك واختلف فى تعيين قائله هنالك (فى شراج الحرة) بكسر الشين المعجمة جمع شرجة وهى مسيل الماء الى السهل من الحرة وهى موضع من المدينة فيه حجارة سود (اسق) اى حديقتك وهو بكسر همزة الوصل او بفتح همزة القطع (يازبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان) وفى نسخة انه (كان ابن عمتك يارسول الله) وهو علة لقوله اسق اى حكمت للزبير لاجل ان كان ابن عمتك وهى صفية بنت عبد المطلب وقيل الرواية بمد الهمزة بناء على انه بهمزتين والثانية منهما مبدلة ممدودة وهو وجه من الوجوه فى اجتماع الهمزتين للقراء السبعة ورواتهم (فتلون) اى فتغير حيث احمر واصفر (وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) غضبا لله وتنزيها لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عما نسب اليه (ثم قال اسق يازبير) اى حديقتك كما ذكر (ثم احبس) الماء وامنعه عن غيرها واصبر على جريانه (حتى يبلغ الجدر) اى جدر الحديقة او اصول الكرم وهو بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وروى بضم اوله جمع جدار وبذال معجمة من جذر الحساب بالفتح او الكسر اراد به مبلغ تمام الشرب من اسقاء لحق الزبير رضى الله عنه (الحديث) بطوله والمقصود حل مشكله (فالجواب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان) وفى نسخة عن ان (يقع بنفس مسلم) اى فى خاطره (منه) اى من جهة امره عليه الصلاة والسلام (فى هذه القضية) وفى نسخة القصة (امر ريب) بضم اوله وفتحه اى شىء يوقع فى الريبة والشك والتهمة (ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب) اى الزبير كما فى نسخة اى امره امر ندب واحسان ودعاء (اولا) اى فى اول امره حيث اشار (الى الاقتصار) للزبير (على بعض حقه على طريق التوسط) اى مراعاة الجانبين (والصلح) الذى هو موجب صلاح العباد وفلاح البلاد فلما لم يرض بذلك الآخر (ولج) بتشديد الجيم اى وبالغ فى طلب الحكم المقرر (وقال ما لا يجب) اى ما لا ينبغى فى ذلك المقر (استوفى) جواب لما اى اخذ (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه) وافيا ثانيا (ولهذا ترجم البخارى)

اى عنون فى صحيحه (على هذا الحديث باب اذا) بالاضافة منصوبا على انه مفعول ترجم وضبط باب بالرفع منونا فيكون محكيا والنصب محليا والتقدير هذا باب فيما اذا (اشار الامام بالصلح فابى) اى الخصم به (حكم عليه) بالبناء للمفعول او الفاعل (بالحكم) اى البين كما فى البخارى وتركه المصنف لوضوحه (وذكر) اى البخارى (فى آخر الحديث فاستوعى) اى استوفى كما فى نسخة اى استوعب (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير حقه) ووقع فى اصل الحلبى والتلمسانى حقه للزبير فلا فيه تقديم وتأخير والتقدير استوعى حق الزبير للزبير يعنى وقد سبق فى الحديث ذكر الزبير فالمرجع موجود وقال الحلبى وكذا فى نسخة صحيحة عندى بالبخارى (وقد جعل المسلمون هذا الحديث) اى حديث الزبير مع الانصارى (اصلا فى قضيته) اى فى مثل حكم الزبير (وفيه) اى وفى الحديث (الاقتداء) اى اخذ الاقتداء والاهتداء (به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وانه) عليه الصلاة والسلام (وان نهى) فيما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان يقضى القاضى وهو غضبان) جملة حالية افادت ان غيره من القضاة غير معصوم فلا يقضى حال غضبه بخلافه عليه الصلاة والسلام (فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما) اى فى الغضب والرضى وفى نسخة فيها اى فى حالتهما (معصوما) من الخطأ فى القضاء (وغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا) اى فى امر الزبير مع خصمه (انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصحيح) من انه لم يكن يغضب لنفسه وانما كان يغضب لربه هذا ولو صدر مثل هذا الكلام الذى خاطبه عليه الصلاة والسلام به من انسان اليوم من نسبته عليه الصلاة والسلام الى هوى وغرض فى الاحكام كان ارتدادا عن الاسلام فيجب قتله بشرطه المعتبر عند الاعلام وقد قال العلماء انما تركه عليه الصلاة والسلام لانه كان فى اول الاسلام يتألف الناس فى الكلام ويدفع بالتى هى احسن فى ذلك المقام ويصبر على اذى المنافقين فى تلك الايام وهذا كقول الآخر هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فانه نسب الغرض فى العطية اليه عليه الصلاة والسلام ولم يأمر بقتله فاقرب امره ان يكون منافقا او حديث عهد بجاهلية او بدويا فى غلظة طبعهم وجهالة شانهم وجفاوة لسانهم (وكذلك الحديث) الذى ورد فى الحلية لابى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنه (فى اقادته) بالقاف من القود اى فى قصاصه (عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف وهو ابن محصن الاسدى صحابى جليل رضى الله عنه والمعنى ان يقتص لنفسه (من نفسه) عليه الصلاة والسلام (لم يكن) اى ضربه عليه الصلاة والسلام له (لتعدّ) بتشديد الدال اى لتجاوز حد وفى نسخة صحيحة لتعمد اى لقصد (حمله الغضب عليه) اى على ضربه (بل وقع فى الحديث) اى فى حديث قود عكاشة (نفسه ان عكاشة قال له) عليه الصلاة والسلام (وضربتنى بالقضيب) اى بالعصا (فلا ادرى اعمدا) كان ضربك لى (ام اردت ضرب الناقة) فوقع على (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك بالله) اى اجعلك فى حفظه (ان يتعمدك رسول الله) وفى نسخة ان يتعمدك نبيك (صلى الله تعالى عليه وسلم) وحاصل الجواب انه وقع منه خطأ وهو جواب حسن صواب يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال الاول فى الحديث الآخر ايضا وهو ايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته بمعنى ضربته او شتمته سهوا او خطأ والله تعالى اعلم هذا وفى حاشية الحلبى ان حديث عكاشة فى اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه ذكره ابن الجوزى فى موضوعاته مطولا وقال فى آخره هذا حديث موضوع لا محالة كافأ الله تعالى من وضعه وقبح من شين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذى لا يليق بالرسول ولا بالصحابة والمتهم عبد المنعم بن ادريس قال احمد بن حنبل كان يكذب على وهب وقال يحيى كذاب خبيث وقال ابن المدينى وابو داود ليس بثقة وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج به وقال الدارقطنى فى ميزانه فيه مشهور قصاص ليس يعتمد عليه تركه غير واحد ثم ذكر كلام احمد فيه وقال قال البخارى ذاهب الحديث ثم قال وله عن ابيه عن وهب عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما خبر اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طويل وانه دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه وقال قال ابن حبان كان يضع الحديث على ابيه وعلى غيره (وكذلك) الكلام (فى حديثه الآخر) قال الدلجى لا اعرف من رواه (مع الاعرابى) قال الحلبى هذا الاعرابى لا اعرفه (حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص منه) اى من نفسه الشريف للاعرابى (فقال الاعرابى قد عفوت عنك وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه) اى الاعرابى (بالسوط لتعلقه بزمام ناقته) بكسر الزاى اى بخطامها (مرة بعد اخرى) علة لضربه (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه) كل مرة عن تعلقه بزمامها (ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى) قبول قوله ذلك له (فضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث مرات) من نهيه وابائه عن قبوله ووقع فى اصل الدلجى فضربه ثلاث مرات بعد وقال ظرف غائى قطع عما اضيف هو اليه منويا اى بعد نهيه له وهذا خطأ فاحش لان

الضرب لم يقع ثلاث مرات بل مرة واحدة بعد نهيه ثلاث مرات ثم لا يتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تأديبا وتشريعا له ولغيره للاجتناب عن مثل ذلك لقبحه (وهذا) اى ضربه الذى وقع عليه (منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عند نهيه) ولم ينزجر بردعه (صواب وموضع ادب) وهما خبران لقوله وهذا او قد وهم الدلجى حيث قال ويروى انه صواب وموضع ادب يقتبس منه ويستضاء به (لكنه عليه الصلاة والسلام اشفق) اى خاف مقام ربه (اذ كان حظ نفسه) وفى نسخة حق نفسه والجملة تعليلية اعتراضية بين اشفق ومتعلقه اعنى (من الامر) اى لاجل امر ضربه (حتى عفا عنه) الاعرابى غاية لطلبه الاقتصاص منه والحاصل ان اقتصاصه انما كان لكمال خوفه من ربه حيث كان ظاهر ضربه على صورة حظ نفسه مع ما يتضمنه من تعليم امته عدم المسامحة والمساهلة فى حقوق العباد قبل يوم المعاد (واما حديث سواد) بفتح السين المهملة وتخفيف الواو (ابن عمرو) اى ابن عطية الانصارى الذى رواه ابو القاسم البغوى فى معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق فى جامعه عن الحسن (اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال ابن عبد البر سوادة بزيادة تاء ابن عمرو الانصارى ويقال سواد بن عمرو وحديثه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقاده من نفسه روى عنه الحسن ومحمد بن سيرين انه قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا متخلق) اى متلطخ بالخلوق من الطيب يقال خلقه تخليقا طيبه فتخلق كما فى القاموس (فقال عليه الصلاة والسلام ورس ورس) وهو نبت اصفر يصبغ به ومعناه التهديد فى النهى عن لبسه او تطيبه وكرر للتأكيد كقوله (حط حط) بضم الحاء وتشديد الطاء المهملتين اى ضع عنك هذا بلبس غيره او بغسله ويجوز فى طائه الحركات الثلاث لانه امر مضاعف كمد فيجوز الفتح للخفة والضم للاتباع والكسر للاصل فى تحريك الساكن اما قول الحلبى الظاهر ان هذا امر بالحط وكذا رأيته مضبوطا بحط باسكان الطاء فهو وهم منه فانه اذا كان الامر بالحط فالاسكان خطأ فى الخط هذا وقال التلمسانى وروى بسكون سين ورس وفتح طاء حط ساكنين وروى بتنوين السين وسكون الطاء انتهى وخلله مما لا يخفى نعم وجه السكون هو الوقوف ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ مقدر اى أهذا ورس او بفعل محذوف اى أيفعل ورس يعنى يصبغ به ويلبس واما على التنوين فظاهر اعرابهما قال التلمسانى ولعله كان محرما فنهاه عنه لانه لا يلبسه المحرم اقول لبس الاصفر والاحمر مكروه عندنا مطلقا وكذا التطيب بطيب فيه لون لانه تشبه بالنساء وقال الدلجى الخلوق طيب مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته وبالنهى عنه وهو اكثر والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النساء وهن اكثر استعمالا له (وغشينى) وفى نسخة فغشينى اى فلحقنى (بقضيب فى يده) اى موقعا ضربه (فى بطنى فاوجعنى) ولعله كان بعد امتناعه عن امتثال الامر واجتناب النهى ثم رايت فى حاشية الشمنى انه روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عن الخلوق مرتين او ثلاثا وانه رآه متخلقا فطعنه فى بطنه بجريدة فى يده (قلت القصاص) بالنصب مفعول لمحذوف نحو اسألك او اطلب منك (يا رسول الله) ولعله ظن انه عليه الصلاة والسلام ضربه بغير ما يستحقه من الآثام (فكشف لى عن بطنه) تواضعا له وتنزلا مع قومه (انما) جواب اما لحقه ان يقول فانما (كان ضربه اياه) وفى نسخة انما ضربه النبى عليه الصلاة والسلام (لمنكر رآه به) وفى نسخة رآه عليه وقد نهاه عنه وهو على حاله (ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه) بضرب لطيف فى مقام التأديب (فلما كان منه ايجاع) اى حقيقة او اظهار وجع حيلة (لم يقصده) بضربه (طلب التحلل منه) اى فى قدر الزائد على ما يستحقه (على ما قدمناه) من نظير ما وقع له مع غيره قال ابن عبد البر وهذه القصة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزية وقد رويت لسواد بن غزية انتهى ويقال سواد بن غزية مشدد الواو وسواد فى الانصار غيره مخففه وقال ابن اسحق حدثنى حبان بن واسع عن اشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر ومعه قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف ابن عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف قال ابن هشام ويقال متنصل من الصف فطعن فى بطنه بالقدح وقال استو يا سواد قال يا رسول الله اوجعتنى وقد بعثك الله تعالى بالحق والعدل فاقدنى قال فكشف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه وقبل بطنه قال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك الشريف فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخير انتهى وقال الحلبى واما ما وقع فى بعض النسخ انه عمرو بن سواد فغلط وعلى الخطأ نقله شيخنا ابن الملقن فى شرح البخارى ثم تعقبه لكنه لم ينبه على انه مقلوب

(فصل)

(واما افعاله عليه الصلاة والسلام الدنيوية) اى المجردة عن الاحكام الاخروية (فحكمه) مبتدأ (فيها) اى فى افعاله الدنيوية (من توقى المعاصى والمكروهات) بيان لحكمه اى من تحفظه عنهما (ما قدمناه) وفى نسخة ما قد قدمناه

وهو خبر المبتدأ واما ما صدر عنه من فعل بعض المكروهات كشربه وبوله قائما بعد نهيه عنهما فانه كان اعذر لديه
اولبيان الجواز مما كان واجبا عليه (ومن) اى وحكمه من (جواز السهو والغلط فى بعضها) اى افعاله كتسليمه من
ركعتى احدى صلاتى العشى سهوا (ماذكرناه) فى حديث ذى اليدين (وكله غير قادح فى النبوة) المبنية على صفة
العصمة (بل) وفى نسخة بلى (ان هذا) اى صدور السهو (فيها على الندور اذ عامة افعاله) اى غالبها بل كلها
(على السداد) اى الاستقامة والاقتصاد (والصواب) فى الاجتهاد (بل اكثرها او كلها) اى افعاله الصادرة عن
وفق العادات (جار بمجرى العبادات والقرب) بضم ففتح اى القربات (على ما بينا) من ان الاعمال بالنيات وان
المباحات بها تنقلب طاعات (اذ كان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ منها) اى من افعاله الدنيوية (لنفسه الاضرورته)
اى حاجته المعينة على احواله الاخروية من القيام بالعبودية وفق مقتضى الربوبية وفى نسخة الاضروريته اى الاموره
الضرورية التى لا يستغنى عنها افراد البشرية (وما يقيم رمق جسمه) اى مادة قوته وقوته من اكله وشربه ونومه التى
بها قيام بنيته ونظام صحته قدر رفع بضعه (وفيه مصلحة ذاته) وما يتبعه من صفاته (التى بها يعبد ربه ويقيم شريعته)
ببيان احكامها (ويسوس امته) اى يراعيهم ويؤدبهم بما فيه نظامهم اوهذا كله فيما بينه وبين ربه (وما كان فيما بينه
وبين الناس من ذلك) اى مما ذكر من افعاله الدنيوية (فبين معروف يصنعه) بين ظرف ومعروف مجرور منون
مضاف اليه اى فامره دائر بين فعل معروف يصنعه اليهم (اوبر) اى انعام (يوسعه) عليهم (او كلام حسن يقوله)
ويلقيه لديهم (او يسمعه) بضم الياء وكسر الميم اى يرويه لهم وفى نسخة بفتحهما اى يسمعه منهم فيما صدر عنهم (او تألف
شارد) اى نافر بطبعه مارد فيداريه بالاحكام ليثبت قلبه على الاسلام (او قهر معاند) اى منكر جاحد
(او مداراة حاسد) اى مدافعته وهو من الدرء بالهمز وهو الدفع وقد يخفف همزه ومنه قولهم ودارهم مادمت
فى دارهم (وكل هذا لاحق بصالح اعماله) وفى نسخة بصالح اعماله (منتظم فى زاكى وظائف عباداته) اى طاهرها
اوزائدها فى مقام فوائدها (وقد كان يخالف فى افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال) العارضة من الامور
الاخروية (ويعد) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيء (للامور اشباهها) المناسبة لافعالها (فيركب
فى تصرفه) وتوجهه (لما) اى لسير (قرب) من البلد (الحمار) اذ لا كلفة فى ركوبه مع الايذان بعدم التكبر مع جلالة
مقامه (وفى اسفاره) اى البعيدة (الراحلة) لصبرها على شدة السير ومشقة الزاملة (ويركب البغلة فى معارك الحرب
دليلا على الثبات) الى الوفاة واشعارا بقوة شجاعته وشدة قلبه مع كونها لا تصلح للكر والفر وقال على كرم الله وجهه
اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلناه وقاية من الناس (ويركب الخيل ويعدها
من اعدائه يجيبها (ليوم الفزع) اى وقت الاغاثة والاعانة (واجابة الصارخ) اى الصائح للاعلام بالحادثة الواقعة
(وكذلك) كان يفعل (فى لباسه وسائر احواله) وفى نسخة فعاله اى من اكله وشربه وفراشه ومنامه وقيامه
وافطاره وصيامه وسكونه وكلامه (بحسب اعتبار مصالحه) اى مهمات ذاته (ومصالح امته) اى مراعاة اهل
ملته ليقدر كل احد فى الجملة على متابعته على ما بيناه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وكذلك يفعل الفعل من امور
الدنيا مساعدة لامته) على احوال العقبى (وسياسة) لبعضهم (وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه)
اى من حيثية اخرى (كما) كان (يترك الفعل) اى فعل الخير (لهذا) اى لحكمة نفسه اولمصلحة امته (وقد يرى فعله
خيرا منه) اى من تركه فى نفس الامر اشعارا بجوازه (وقد يفعل هذا) اى ما يرى تركه خيرا من فعله (فى الامور
الدينية مما له الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء ويسكن اسم من خار بمعنى اختار اى ما هو مخير (فى احد وجهيه) اى
فى فعلهما (كخروجه) باصحابه (من المدينة لاحد) حين محاربة ابى سفيان وقومه (وكان مذهبه) اى عادته
(التحصن بها) وعدم الخروج منها (وتركه) اى وكتركه عليه الصلاة والسلام (قتل المنافقين وهو على يقين من
امرهم) غير شاك فى كفرهم وفى نسخة من امورهم وانما تركهم (مؤالفة لغيرهم ورعاية) اى ومراعاة (للمؤمنين
المخلصين (من قرابتهم وكراهة) وفى نسخة وكراهية (لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث)
المناسب لبابه وهو ما رواه البخارى وغيره فى قصة رئيس اهل النفاق عبد الله بن ابى وقوله فى غزوة بنى المصطلق لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه
زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت والله الاذل المبغض فى قومه ومحمد هو الاعز برب وقومه ثم اخبر رسول الله بقوله
فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كبيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله
مهاجرى فمر انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه (وتركه) اى وكتركه عليه الصلاة والسلام
(بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش) حيث كانوا قريب عهد بالاسلام ولم يتمكنوا فى قبول

الاحكام

الاحكام (وتعظيمهم لتغيرها) وفى نسخة لتغييرها اى الكعبة بيت الله الحرام عما لها من ظاهر النظام (وحذرا
من نفار قلوبهم) بكسر النون اى تنافرها (لذلك) اى لتغيرها (وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله) بالارتداد
ونحوه (فقال لعائشة) كما رواه الشيخان (لولا حدثان قومك) بكسر الحاء اى قرب عهدهم (بالكفر) ويروى
حداثة قومك (لاتممت البيت على قواعد ابراهيم) اى اسست او بنيت او اعليت او اتممته بادخال الحجر وقد بناه ابن
الزبير كما تمناه وغير الحجاج بعض ما بناه وعلى ذلك البناء بقى الى وقتنا (ويفعل الفعل) اى احيانا (ثم يتركه) بعده (لكون
غيره خيرا منه) حينئذ (كانتقاله من ادنى مياه بدر) اى من ادناها الى بدر (الى اقربها للعدو من قريش) برأى الحباب
ابن المنذر كما سبق (وكقوله) فى حجة الوداع على ما رواه الشيخان (لو استقبلت من امرى ما استدبرت) اى الامر الذى
استدبرته (ما) وفى نسخة لما (سقت الهدى) اذ بفعله ذلك لزمه ان لا يحل حتى ينحر ولا يجوز نحره الا يوم النحر فلا يجوز له
فسخ الحج بعمرة كما امر بذلك اصحابه ليخرج عن خاطرهم ما اشتهر فى الجاهلية من ان العمرة فى اشهر الحج من افجر
الفجور وانما امر بذلك من لم يكن معه هدى اذ يكون له فسخه هنالك وانما قال ذلك على وجه الاعتذار تطييبا لقلوب
اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخه بها افضل وانه لولا
الهدى لفعله ثم هذا الفسخ منسوخ عند الائمة الا احمد بن حنبل (ويبسط وجهه للكافر والعدو) من المنافق (رجاء
استئلافه) طمعا فى الفته وحذرا من نفرته (ويصبر للجاهل) فيما يصدر عنه حال فترته (ويقول) كما رواه الشيخان عن
عائشة (ان من شرار الناس) وفى نسخة من شر الناس (من اتقاه الناس) اى خافوه وحذروه واحترسوا منه (لشره
ويبذل له) بضم الذال المعجمة اى يعطى من ذكر وامثاله (الرغائب) اى النفائس من ماله (ليحبب اليه شريعته) اى
احكام ملته (ودين ربه) اى من طاعته وعبادته (ويتولى فى منزله ما يتولى به) اى يقوم فيه بما يقوم وفى نسخة
ما يتولاه (الخادم من مهنته) بفتح الميم هو الرواية وقد يكسر وقيل خطأ اى خدمة منزله (ويتسمت)
بتشديد الميم من السمت وهو الهيئة الحسنة اى يظهر السمت الحسن ويقصد الطريق المستحسن (فى ملاءته) بضم الميم
ممدودا وقيل مقصور مهموز وغلط اى فى ازاره كذا قالوا والظاهر فى ملابسه اذ الملاءة جمع ملاءة وهى الملحفة
ويقال لها الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين يشتمل بها وروى فى ملئه بفتحتين مقصورا اى جماعته وقومه
(حتى لا يبدو) اى لا يظهر (منه شئ من اطرافه) اى اعضائه من ساق وقدم وساعد ونحوها من كمال ادبه ووقاره
وجمال حيائه وانكساره وتواضعه لربه وافتقاره وليتأدب اصحابه بشعاره ودثاره (حتى كان) بتشديد النون (على رؤوس
جلسائه الطير) من كمال سكوتهم وسكونهم ووقارهم فى قرارهم لان الطير لا يقع الا على ساكن (ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم) اى بحكايته او آثرهم وما جرى لهم تأنسا بهم وتلطفا بحالهم او بحديث اول متكلم منهم فيبنى عليه
كلامه الى ان ينتهى مرامه او يتحدث مع آخرهم بحديث اولهم من جهة النشاط وطريق الانبساط من غير اعراض
عن بعضهم وملالة وكلالة فى آخرامرهم ولفظ الترمذى حديثهم عنده كحديث اولهم (ويتعجب مما يتعجبون منه
استجلابا لخواطرهم (ويضحك مما يضحكون منه) فى عجائب اخبارهم وغرائب آثارهم (وقد وسع الناس) اى جميعهم
(بشره) بكسر فسكون اى طلاقة وجهه وبشاشة حديثه (وعدله) اى وكذا وسعهم عدله فى حكمهم او اعتداله
فى امرهم (لا يستفزه الغضب) اى لا يستخفه ولا يزعجه ولا يخرجه عن مقام الادب مع ان غضبه كان للرب
(ولا يقصر عن الحق) بل يقوم به غاية القيام (ولا يبطن) بضم الياء وكسر الطاء اى لا يضمر (على جلسائه) خلاف
ما يظهره (يقول) شاهدا لامره (ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين) وقد تقدم ما يتعلق به مبنى ومعنى وتفصيل
هذه الفضائل ذكرته فى شرح الشمائل (فان قلت فما معنى قوله لعائشة) كما رواه الشيخان (فى الداخل عليه) وهو
عتبة بن حصين الفزارى قبل ان يسلم او مخرمة بن نوفل القرشى ولا يبعد تعدد القضية (بئس ابن العشيرة) وفى نسخة
هو وفى رواية او اخو العشيرة كما فى رواية الترمذى على الشك واما رواية البخارى بئس ابن العشيرة واخو العشيرة اى انما
قاله حين استأذن فى الدخول عليه (فلما دخل عليه ألان له القول) اى لين له الكلام (وضحك معه) فى المقام
وفى رواية البخارى تطلق فى وجهه وانبسط اليه (فلما خرج سألته) اى عائشة (عن ذلك) ولفظ الترمذى فلما خرج
قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول (فقال) يا عائشة متى عهدتنى فحاشا (ان من شر الناس) وفى رواية
ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة (من اتقاه الناس لشره) وفى رواية من تركه الناس اتقاء فحشه وفى رواية
اتقاء شره (وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن) اى يضمر (ويقول فى ظهره) اى فى غيبته قبل ان يدخل
فى حضرته (ما قال) فى مواجهته (فالجواب ان فعله عليه الصلاة والسلام) اى ضحكه وألانه قوله له (كان
استئلافا) اى مداراة له وتألفا (لمثله) من اجلاف العرب وعتاتهم فى مقام الادب (وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه)

فى باطن قلبه (ويدخل فى الاسلام بسببه) اى بسبب اتباعه (اتباعه) اى قومه واشياعه (ويراه مثله) فى الجفاوة والقساوة (فينجذب) اى ينقاد (بذلك الى الاسلام) وقبول الاحكام (ومثل هذا) الانقاد (على هذا الوجه) اى وجه الاستئلاف (قد خرج من حد مداراة الدنيا) اى مداراة الامور الدنيوية (الى السياسة الدينية) اى انتقل منها اليها بالمقاصد الاخروية (وقد كان يتألفهم) وفى نسخة يستألفهم (باموال الله العريضة) اى باعطاء الاموال الكثيرة (فكيف) لا يتألفهم (بالكلمة اللينة) فانها اولى ان تقع فانها فى المرتبة الهينة (قال صفوان) اى ابن امية ابن وهب الجمحى اسلم بعد حنين وكان احد الاشراف والفصحاء وفى الصحابة من يقال له صفوان ستة عشر غير ما تقدم والله تعالى اعلم (لقد اعطانى) اى رسول الله كما فى نسخة (وهو ابغض الخلق الى فما زال يعطينى) اى الاموال عفوا من غير السؤال (حتى صار احب الخلق الى) فان الانسان عبد الاحسان (وقوله) عليه الصلاة والسلام (فيه) اى فى حق الرجل المذكور (بئس ابن العشيرة هو غير غيبة) بكسر الغين وهى ان تذكر اخاك المسلم بما يكرهه (بل هو تعريف) اى اعلام (بما علمه منه) وفى نسخة تعريف ما علمه منه (لمن لم يعلم) بحاله (ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق) اى لا يعتمد وفى نسخة لا يثق (بجانبه كل الثقة لا) وفى نسخة ولا (سيما وقد كان مطاعا) بضم الميم يفسره (متبوعا) اى لقومه لا يخرجون عن رأيه (ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة) وكذا حصول منفعة وظهور مصلحة (لم يكن بغيبة بل كان جائزا) بلا شبهة (بل) قد يكون (واجبا فى بعض الاحيان كعادة بعض المحدثين فى تجريح الرواة) بكذب او سوء حفظ او قلة ديانة ونحوها (والمزكين) بكسر الكاف عطف على المحدثين وفى نسخة بفتحها على انه عطف على الرواة (فى الشهود) قال التلمسانى بسكون الياء جمع مزكى هذا قول البصريين واجراه الكوفيون كالصحيح (فان قيل فما معنى المعضل) بكسر الضاد المعجمة اى الداء العضال المشكل الذى اعيى الفضلاء والحكماء فى باب الدواء وفى نسخة الفصل واحد الفصول بدل المعضل (الوارد فى حديث بريرة) براء ثم على زنة فعيلة وهى بنت صفوان مولاة عائشة وهى حبشية او قبطية (من قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة) كما فى الصحيحين (وقد اخبرته) اى عائشة (ان موالى بريرة ابوا بيعها) اى امتنعوا عنه (الا ان يكون لهم الولاء) بفتح الواو اى ولاء عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فأتت عائشة تستعين بها فقالت ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك ويكون ولاؤك لى فابوا (فقال لها عليه الصلاة والسلام اشتريها واشترطى لهم الولاء) هذا هو المعضل من الداء الذى تحير فى معالجته العلماء (ففعلت) اى اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها (ثم قام خطيبا) اى واعظا (فقال ما بال اقوام) اى ما حالهم وشأنهم (يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله تعالى) اى مما لم يرد بشرعيتها احكام ليعمل بها (كل شرط ليس فى كتاب الله) اى ولا فى سنة رسول الله (فهو باطل) ليس تحته طائل وفى بعض النسخ زيادة قوله شرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم) وهذا مشكل (وعليه باعوا) وهذا معضل (ولولاه) اى ولولا شرط عائشة لولائه لهم (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (لما باعوها) اى بريرة (من عائشة كما لم يبيعوها قبل) اى قبل قبول عائشة شرطهم (حتى شرطوا ذلك عليها) اى على عائشة (ثم ابطله عليه الصلاة والسلام وهو قد حرم الغش) بقوله من غشنا فليس منا كما رواه الترمذى (والخديعة) اى وكذا حرم المكر والمكيدة بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهذا مشكل من وجوه فيحتاج الى جواب شاف كاف (فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبرا) اى منزه (عما يقع فى بال الجاهل) اى قلب الغافل (من هذا) المقام الكامل (ولتنزيه النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن ذلك) وعدم ظهور تأويل ذلك لهم فيما هنالك (ما) زائدة او موصولة (قد انكر قوم) من المحدثين منهم يحيى بن اكثم (هذه الزيادة) اعنى (قوله) اى وهى قوله (اشترطى لهم الولاء اذليست) هذه الزيادة (فى اكثر طرق الحديث) اى حديث بريرة فلا اشكال فى جهة الافادة وقد اعتل بتفرد مالك به عن هشام بن عروة وانه لم يتابع عليه لكن الصحيح انه تابعه عليه ابو اسامة وجرير فى طرق متعددة (ومع ثباتها) اى ومع صحة هذه الزيادة وهو المعتمد لان زيادة الثقة مقبولة بلا شبهة (فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم) فان حروف الجر يستعار بعضها لبعض كما هو مقرر فى محله من المغنى ونحوه (قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة) اى عليهم والاظهر ان اللام فيه للاختصاص اى اللعنة حاصلة لهم دون غيرهم (وقال وان اسأتم فلها) اى فعليها وعدل عنها للمشاكلة اوللاختصاص كما قدمناه (فعلى هذا) القول بان اللام بمعنى على فالمراد (اشترطى عليهم الولاء لك) فانما هو لمن اعتق وهذا بعيد جدا من جهة المبنى والمعنى اما الاول فلانه لا يصلح كون لهم هنا بمعنى عليهم وان صح فى غيره لان اللام لا تكون كعلى الا حيث لا لبس فانه يقال اشترط له واشترط عليه كما يقال دعا له ودعا عليه وشهد له وشهد عليه وقضى

له وعليه فلا ينوب احدهما مناب الاخر فتدبر واما الثانى فلما قدمه المصنف من ان موالى بريرة لم يرضوا الا ان يكون ولاؤها لهم فلو رضوا لما وقع العتب فى الخطبة عليهم وان تكلف المصنف فى دفعه بقوله (ويكون قيام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك) فعلى هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة اشترطى اظهرى شرط الولاء لك وقيل معناه الوعيد الذى ظاهره الامر وباطنه النهى قاله محمد بن شجاع ومنه قوله تعالى اعملوا ما شئتم ومعناه التهديد على عمله ان عملوه لان صعوده على المنبر ونهيه دليل ذلك فتدبر (ووجه ثان) من وجوه الاجوبة (ان قوله) عليه الصلاة والسلام (اشترطى لهم الولاء ليس على معنى الامر) المجزوم به للتأكيد ولا للتهديد (لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل) اى قبل ذلك والمعنى قبل قوله لها اشترطيه لهم (ان الولاء لمن اعتق فكأنه قال اشترطى اولا تشترطى) فحذفه يكون من باب الاكتفاء والمعنى وان تشترطى (فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره) من العلماء قاله الدلجى ويؤيده انه قد ورد فى بعض طرقه اشترطى اولا تشترطى فانما الولاء لمن اعتق وفيه بحث اذ المراد به ان الولاء لمن اعتق سواء اشترط عند شرائه الولاء لنفسه اولم يشترط بان اطلق الشراء وانما الكلام فيما اذا لم يرض البائع الا بشرط الولاء لنفسه ثم يرد عليه اذ اعلم ان هذا الشرط باطل فى الشريعة فاراد صلى الله عليه وسلم بقوله لها اشترطى ان شرطك لا يضرك هنالك بل يضرهم ذلك (وتوبيخ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك) اى تصميمهم على شرطهم وامتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولاء (يدل على علمهم به) بان شرطه لهم غير نافع (قبل هذا) التوبيخ والتقريع (الوجه الثالث) كأنه تفنن فى العبارة (ان معنى قوله اشترطى لهم الولاء) اظهرى لهم (حكمه) اى شريعته (وبينى عندهم سنته) اى طريقته وهو (ان الولاء انما هو لمن اعتق) وان شرط لغيره فشرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (ثم قام) اى هو كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطيبا واعظا (مبينا ذلك) اتم الفائدة هنالك (وموبخا) لهم (على مخالفة ما تقدم منه فيه) وفى نسخة وموبخا على مخالفه بالاضافة هذا ومن قصة بريرة انها لما اعتقت وهى منكوحة مغيث اختارت نفسها ولم تقبل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى زوجها فقد قيل انما فعلت ذلك ايثارا لخدمة النبى عليه الصلاة والسلام على خدمة زوجها وهو حسن مستحسن وذكر الغزالى فى الاحياء وجها آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام لبس يوما واحدا ثوبا من سندس ثم نزعه وحرم لبس الحرير وكأنه انما لبسه اولا لتأكيد التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضى الله عنها فى شأن بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثة ايام ثم حرمها لتأكيد امر النكاح انتهى وفيه بحث لا يخفى اذ يقتضى هذا ان الاشتراط اولا كان حلالا ثم صار حراما فينبغى ان يكون العقد الاول بشرطه صحيحا وليس كذلك بل العقد صحيح والشرط باطل فرجع الاشكال بان فيه غرورا بظاهر الحال (فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه) اى شقيقه بنيامين (اذ جعل السقاية) اى الصاع الذى كان يسقى فيه ويكال به ايضا لعزة الغلة فى وقته وقد قيل كانت من زبرجد او من ذهب او فضة مرصعة (فى رحله) اى وسط متاع اخيه (واخذه) اى واخذ يوسف اخاه وحبسه عنده (باسم سرقتها) اى بعنوان سرقته السقاية (وما جرى على اخوته فى ذلك) بعمومهم (وقوله تعالى) حكاية عن المنادى ومن معه خطابا لاخوة يوسف (انكم لسارقون ولم يسرقوا) جملة حالية (فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان) صادرا (عن امر الله لقوله تعالى كذلك) اى مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) اى بينا الكيد له بان اوحينا اليه ليأخذ اخاه فى دين ابيه لانه اولى من حكم غيره وقيل الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم حال الانتهاء حتى ضم يوسف اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته (ما كان ليأخذ اخاه) فيضمه الى نفسه فى مثواه (فى دين الملك) اى حكمه اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه مثلى ما سرقه دون الاسترقاق (الا ان يشاء الله) بان يجعل ذلك الحكم حكم ملك مصر فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه (الآية) اى نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم والحاصل ان يوسف لم يكن ليتمكن من حبس اخيه فى حكم الملك لولا ما كدناه باطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما اجرى على السنة الاخوة ان جزاء السارق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الخلاق (فاذا كان) الامر (كذلك فلا اعتراض به) اى فيه هنالك (كان فيه ما فيه) بدل من قوله فلا اعتراض به جواب لاذا اى والذى فيه هو انه كيف يجوزان بامر الله تعالى به ولا يبعد ان يكون التقدير فاذا كان ذلك باذن الله تعالى وتعليمه هنالك فلا اعتراض به على اى وجه كان فيه عما وقع فيه ثم رأيت الانطاكى قال يعنى اى شئ كان بعد ان يكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى

لان الملك ملكه وما فيه عبيده واماؤه وللمالك ان يتصرف فى ملكه ما يشاء (وايضا) يمكن ان يقال فى دفع الاشكال (فان يوسف عليه السلام لما كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس) اى لا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير وتفضل علينا ونعم ما قيل

كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وروى انه قال ليوسف بعد ما اعلمه انا اخوك فانا لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ثم لا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل فى حقك فقال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم يقال انك سرقته ليتأتى لى ردك الى بعد تسريحك معهم قال فافعل ولله در القائل

فليس لى فى سوا لحظ * فكيف ما شئت فاختبرنى

(كان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه) اى وفق مرافقته وفى نسخة وفقته (ورغبته) اى ميله فى اقامته (وعلى) اى وكان (على يقين من عقبى الخيرله به) اى لبنيامين بسبب يوسف (وازاحة السوء) بضم السين وفتحها والازاحة بالزاى اى ازالة الشر (والمضرة عنه بذلك) التوفيق (واما قوله سبحانه وتعالى) حكاية (ايتها العير) اى اصحاب الابل ذات الاحمال من الطعام والاثقال (انكم لسارقون) اى فى ظننا (فليس من قول يوسف) بل من مناديه (فيلزم) اى فلا يلزم (عليه جواب يحل شبهه) اى يزيلها وفى نسخة لحل شبهه اى لفك عقده (ولعل قائله ان حسن له التأويل) بصيغة المجهول مشدد السين اى ان صح (كائنا من كان) اى بامر يوسف او غيره (ظن على صورة الحال ذلك) كما يقتضى المقال هنالك (وقد قيل قال ذلك) بامر يوسف هنالك (لفعلهم قبل) اى قبل ذلك (بيوسف) فانه كان سرقة فى المعنى من ابيه ومكيدة فى حق ابنه (وبيعهم له) حيث قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة اى باعه اخوته او اشتراه السيارة من اخوته قولان للمفسرين وقد اغرب الدلجى حيث قال بعد قوله وبيعهم له وفيه ما فيه لانهم لم يسرقوا بل ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه فى غيابة الجب ورجعوا (وقيل غير هذا) من الاجوبة وفيما ذكرنا الكفاية (ولا يلزم ان تقول الانبياء) بتشديد الواو المكسورة اى تنسب اليهم (ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه) وانما يطلب الخلاص مما ثبت انه قولهم او فعلهم وفى اصل الانطاكى ضبط يقول بالبناء للمجهول (ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم) ولو كانوا من اقاربهم وكان الشيخ المصنف ذهب الى ان اخوة يوسف ما وصلوا الى مرتبة النبوة وقد تقدم ذكر الخلاف فى هذه القضية فلا ينبغى الجزم لا بالاثبات ولا بالنفى كما هو طريق الحزم والله تعالى اعلم

(فصل)

(فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض) اى انواع العلة (وشدتها عليه) اى على نبينا (وعلى غيره من الانبياء) الشامل للرسل وغيرهم (على جميعهم السلام) والتحية والاكرام (وما الوجه) اى التوجيه الوجيه (فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم) بانواع العناء (فيما) وفى نسخة بما (امتحنوا به) من الضراء فصبروا كما شكروا على السراء (كايوب) وكانت تحته رحمة بنت يعقوب وقضيته معروفة مشهورة وفى كتب التفسير وغيره مسطورة (ويعقوب) ابتلاه بفقد ولده وذهاب بصره (ودانيال) بكسر النون وكان عالما بتعبير الرؤيا حكى انه دخل بلاد الغرب وقيل قبره بالسوس ويقال انه نبى غير مرسل وكان فى ايام بخت نصر وهو اكرم الناس عنده فحسدته المجوس فوشوا اليه وقالوا ان دانيال واصحابه لا يعبدون آلهتك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا اجل فأمر بخد فخد لهم فالقوا فيه وهم ستة والقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم راحوا من الغد فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه لم يضرهم فآمن بخت نصر وقيل لم يؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (ويحيى) ابتلاه الله بذبحه (وزكريا) ابتلاه الله بنشره (وابراهيم) ابتلاه الله بالقائه فى النار (ويوسف) ابتلاه الله بفراق ابيه وغيره (وغيرهم) من الانبياء (صلوات الله تعالى عليهم) وفى نسخة على جميعهم (وهم) اى والحال انهم (خيرته) بكسر الخاء وسكون الياء وتفتح اى مختاره (من خلقه واحباؤه واصفياؤه) اجتباهم من بينهم لشرف مابهم وكرم ما بهم (فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل) كما ورد بالله المحمود فى كل فعاله (وكلماته) اى احكامه (جميعها صدق) لا خلف فى وعده ووعيده قال تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا (لا مبدل لكلماته) اى لاحكامه (يبتلى عباده) اى يمتحنهم بما اراده تارة بمحنهم واخرى بمنحهم لقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة (كما قال تعالى لهم) اى فى ضمن غيرهم ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم (لننظر كيف تعملون) من الشر والخير فنجازون وفق اعمالكم واختلاف احوالكم والابتلاء من الله تعالى ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب (وليبلوكم) اى وقال خطابا عاما الذى خلق الموت والحياة

ليبلوكم اى ليعاملكم معاملة الممتحن (ايكم احسن عملا) اى اصوبه واخلصه وقد ورد مرفوعا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله تعالى واورع عن محارمه وقيل اكثركم ذكرا للموت واستعدادا لما بعده قبل الفوت وقيل ازهدكم فى الدنيا واجهدكم فى العقبى وقال تعالى ايضا (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة مقدرة اى نداول الايام بين الانام لتتعظوا وليعلم الله ايذانا بان الحكمة فيه كثيرة وان ما يصيب المؤمن من المصالح مما لا يعلمه غيره او التقدير فعلنا ذلك ليتميز الثابتون على الايمان من المنحرفين عنه وهم المنافقون ام حسبتم ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى لم يتعلق علمه سبحانه وتعالى بجهادكم (ويعلم الصابرين) بالنصب على اضمار ان والواو للجمع اى ولم يتعلق علمه بصبركم على اجتهادكم والقصد فى امثاله ليس الى اثبات علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان فى امره فان علمه تعالى اذا تعلق بشئ لزم وجوده كما ان عدم تعلقه به ينافى شهوده وقال ايضا (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم) قرئ فى السبعة بالنون والياء فى الافعال الثلاثة (فامتحانه) اى الله سبحانه وتعالى (اياهم) اى الانبياء واتباعهم من الاولياء (بضروب المحن) وفنون البلاء والفتن (زيادة فى مكانتهم) اى منزلتهم (ورفعة فى درجاتهم) اى مراتبهم العالية حسا ورتبة (واسباب لاستخراج حالات الصبر) على البلاء والجهاد مع الاعداء (والرضى) منهم بما قضى عليهم من السراء والضراء (والشكر) على النعماء والالاء (والتسليم) فى الامور (والتوكل) فى الصدور (والتفويض) اى الاعتماد على رب العباد فيما اراد (والدعاء) فى البلاء والرخاء (والتضرع منهم) حال الاستدعاء والاستكفاء (وتأكيد) بالرفع وهو الظاهر وفى نسخة وتأكيدا (لبصائرهم فى رحمة الممتحنين) بفتح الحاء (والشفقة على المبتلين) بفتح اللام وهو كالتفسير لما قبله (وتذكرة) اى تنبيه وتبصرة (لغيرهم) من اممهم (وموعظة لسواهم ليتأسوا) بتشديد السين اى ليقتدوا (فى البلاء بهم ويتسلوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم فى الصبر) على الاحوال كلها فانه كما قيل

هو المهرب المنجى لمن احدقت به * مكاره دهر ليس عنهن مذهب

(ومحو) بالرفع وفى نسخة ومحوا اى سبب عفو (لهنات) بفتح هاء وتخفيف نون اى زلات (فرطت منهم) اى صدرت عنهم وقد قال الشراح ان نسبة الهنات وهى الخصال السوء لا تليق الى الانبياء وان ذكره المصنف فلكل عالم هفوة (او غفلات سلفت لهم) اى سبقت منهم (ليلقوا الله طيبين مهذبين) ظاهرا وباطنا مؤدبين (وليكون اجرهم اكمل) اى اكثر واجمل (وثوابهم اوفر واجزل) اى اتم واعظم والله اعلم (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير هو الصحيح (الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون) بفتح فسكون فضم يصرف ولا يصرف (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو على البغدادى) بدال مهملة ثم معجمة هو الرواية المعتمدة من الوجوه الاربعة المحتملة (قال ثنا ابو على السنجى) بكسر اوله (ثنا محمد بن محبوب) وهو راوى جامع الترمذى عنه (حدثنا ابو عيسى الترمذى) صاحب الجامع (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة) بسكون بين فتحتين اوله موحدة قيل هى امه واسم ابيه عبد وهو ابو بكر ابن عاصم ابن ابى النجم وبهدلة مولى بنى اسد احد القراء السبعة قرأ على السلمى وذر وحدث عنهما وعن جماعة وعنه شعبة والحمادان والسفيانان ثبت امام فى القرآت قال الذهبى هو حسن الحديث قال وقال ابو زرعة واحمد ثقة اخرج له البخارى ومسلم مقرونا لا اصلا واخرج له الائمة الاربعة فلا يلتفت الى ما قال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ فانه منقوض بالامام عاصم هذا فانه حافظ الكتاب والسنة مات بالكوفة سنة ثمان او سبع وعشرين ومائة (عن مصعب بن سعد) كنيته ابو زرارة روى عن على وطلحة ثقة نزل الكوفة واخرج له الائمة الستة (عن ابيه) وهو سعد ابن ابى وقاص احد العشرة المبشرة (قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل) اى الاشبه فالاشبه من العلماء والاصفياء والافضل فالافضل من الصلحاء والاولياء (يبتلى الرجل على حسب دينه) بفتح السين اى على قدر يقينه (فما يبرح) اى فما يزال (البلاء) متعلقا (بالعبد) يطهره من الذنوب (حتى يتركه يمشى على الارض) اى ماشيا عليها (ما عليه خطيئة) ينسب اليها ويؤاخذ لديها والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى النسائى وابن ماجه والحاكم نحوه (وكما قال تعالى وكأين) وفى قراءة وكائن اى وكم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل (معه ربيون كثير) واحدها ربى اى جماعات كثيرة ويقال هم سادات كبيرة والربى منسوب الى الربة اى الجماعة وجمع للمبالغة وقيل منسوب الى الرب والكسر من تغييرات النسب اى علماء او عابدون لربهم اتقياء (الايات الثلاث) وهى قوله فما وهنوا اى ما جبنوا او ما فتروا وما انكسروا لما اصابهم فى سبيل الله من قتل نبيهم او بعض اكابرهم وما ضعفوا عن دينهم وما تغيروا عن يقينهم وما استكانوا اما خضعوا لاعدائهم والله يحب الصابرين على بلائهم وامر ربهم وطاعة نبيهم وما كان قولهم الا ان قالوا اى الا قولهم ربنا اغفر

اناذ نوبنا اى سيئاتنا واسرافنا فى امرنا من التقصير فى طاعاتنا وانصرنا على القوم الكافرين فى مجاهدتنا فآتاهم الله
ثواب الدنيا من عزة ونصرة وغنيمة وحسن ثواب الآخرة من زيادة مثوبة ورفعة درجة وعلو رتبة والله يحب المحسنين
فى كل حالة (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) اى مرفوعا كما رواه الترمذى وصححه (ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده
وماله) يكفر عنه ذنوبه (حتى يلقى الله تعالى) اى يموت (وما عليه خطيئة) يؤاخذ بها (وعن انس) كما رواه الترمذى
ايضا وحسنه (عنه عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله تعالى بعبده الخير) اى الكامل فى العقبى (عجل له العقوبة) اى
بما يكون كفارة له (فى الدنيا واذا اراد الله تعالى بعبده الشر) اى السوء الكامل فى العقبى (امسك عنه بذنبه) اى من
غير ان يكفر بشئ يكون بسببه (حتى يوافى) بكسر الفاء وفتحها اى حتى يأتى او يؤتى (به) اى بذنبه وافيا والمعنى
يجازى به (يوم القيامة) وسبب وروده ان رجلا اصاب ذنبا من قبله اوغيره فاتبع بصره الشخص فاصابه حائط
فى وجهه فاقبل وهو ينضح دما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله تعالى الحديث (وفى حديث
آخر) رواه الديلمى عن ابى هريرة رضى الله عنه (اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه) اى تذلله فى انينه
وشكواه وخضوعه وبكاه (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد)
من بلاء غيره (كى يتبين) اى ليظهر (فضله) على غيره (ويستوجب الثواب) بقدره (كما روى عن لقمان) واختلف
فى نبوته (انه قال لابنه) واختلف فى اسمه (يا بنى) بفتح الياء وكسرها لغتان وقرآتان (الذهب والفضة يختبران)
بصيغة المجهول اى يمتحنان (بالنار) فينظفان من وسخهما (والمؤمن يختبر بالبلاء) فيطهر من دنسه وخبثه (وقد
حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف) اى بفقده (كان سببه التفاته فى صلاته اليه وهو) اى ويوسف كما فى نسخة (نائم) لديه
(محبة له) اى غيرة الهيبة عليه واغرب الدلجى فى قوله ولا اقول بان هذا سببه لنزاهته عليه الصلاة والسلام عن
قطعه به كمال اقباله على ربه فيها انتهى وغرابته لا تخفى وروى فى سبب ابتلائه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اوحى
اليه أتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته انى اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون
لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى (وقيل بل اجتمع) اى يعقوب (يوما هو
وابنه يوسف) واغرب الدلجى بقوله يوسف مفعول معه (على اكل حمل) بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضأن له
سنة او اقل (مشوى وهما يضحكان) جملة حالية اى والحال انهما منشرحان منبسطان (وكان لهما جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه) شفقة منها عليه (وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه) بجارهما
ولعله وقع لتقصير يعقوب فى تفحص حالهما فى جميع اوقاته فاندفع اعتراض الدلجى على المصنف بان الانسان لا يؤاخذ
بما لم يعلم سيما اذا لم يجب عليه (فعوقب) اى يعقوب كما فى نسخة (بالبكاء اسفا) بفتحتين اى للحزن والتأسف (على
يوسف) فى جميع اوقاته (الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن) اعترض الدلجى بان قوله وابيضت عيناه
يدفع قوله سالت حدقتاه وهو وهم فاحش اذ الحدقة محركة سواد العين كما فى القاموس (فلما علم بذلك) اى ببكائهما
(كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه) اى فوق بيته (الا) للتنبيه (من كان مفطرا) فقيرا او غنيا (فليتغد)
بالدال المهملة المشددة من الغداء وهو طعام اول النهار ويؤيده قوله مفطرا قال الحلبى وفى النسخة المعتمدة بالذال
المعجمة وهو ابلغ منه بالمهملة انتهى وفيه ما تقدم (عند آل يعقوب) اى بنيه واهل بيته او عنده نفسه وآل مقحم تفخيما
لشأنه وهذا كقوله تعالى مما ترك آل موسى وآل هارون (وعوقب يوسف بالمحنة) بنون بعد الحاء المهملة كذا
ضبطوه احترازا عن تصحيفه بالمحبة بالموحدة (التى نص الله تعالى عليها) فيه اشكال اذ هو كان صغيرا دون البلوغ
حينئذ لكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولعل هذا من الحكم المجهولة عندنا كايلام الاطفال والله تعالى
اعلم بالاحوال (وروى عن الليث) اى ابن سعد (ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه
فى ظلمه واغلظوا عليه فى القول له الا ايوب فانه رفق به) بفتح الفاء من الرفق اى الطف معه فى كلامه رجاء ان يرتدع
عن ظلمه ولا مانع من ان يكون رفقه به (مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه) وجملة الكلام فى هذا
المقام على تقدير صحة نقل هؤلاء الاعلام ان لله ان يبتلى من شاء بما شاء من العمل اذ لا يسأل عما يفعل (ومحنة سليمان)
اى وسبب بلائه (لما ذكرناه) فيما سبق (من نيته) اى خطور طويته (فى كون الحق فى جنب اصهاره) بفتح الجيم
والنون اى جهة اصهاره كما فى نسخة (او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده) كما تقدم بيانه فى اخباره (وهذه)
اى الامور المرتبة على المحنة والبلية من الكفارة فى بعض القضية اورفع الدرجة العلية وفى نسخة وهذا (فائدة شدة
المرض) من الحمى وغيرها (والوجع) من الصداع ونحوه (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عائشة رضى الله
عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت الوجع على احد اشد منه) اى من الوجع (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وعن

وعن عبد الله) كما رواه الشيخان وهو ابن مسعود فانه المراد اذا اطلق عند المحدثين فلا وجه لقول الدلجى لعله ابن
مسعود او ابن عمر مع انه لا وجه فيما حصره اذ يحتمل ابن عباس وابن عمرو وابن الزبير وغيرهم اذ فى الصحابة من يقال له
عبد الله كثير قال الحلبى عبد الله هذا هو ابن مسعود وانما نبهت عليه لان فى الصحابة من يقال له عبد الله فوق
الاربعمائة وقال ابن الصلاح انهم نحو مائتين وعشرين قيل وثلاثين وقيل هم ثلثمائة واربعة وستون وهذا
الاختلاف فى عددهم انما وقع لان منهم من كرر لاختلاف فى اسم ابيه او فى اسمه هو ومنهم من لم يصح له صحبة عنده هذا
وصح له عند غيره والله تعالى اعلم اقول والاظهر ان يحمل على زيادة تتبع بعضهم (رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مرضه يوعك) بصيغة المجهول (وعكا شديدا) بسكون العين المهملة وتحرك اى شدة الحمى وحدتها فى وجعها
(فقلت انك توعك وعكا شديدا قال اجل) اى نعم (انى لاوعك) وفى نسخة اوعك (كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك
ان لك) وفى نسخة ان ذلك (الاجر مرتين قال اجل ذلك) الامر (كذلك) والاظهر لذلك باللام اى اجل ذلك لاجل
ذلك (وفى حديث ابى سعيد رضى الله عنه) رواه ابن ماجه والحاكم (ان رجلا) يحتمل الراوى وغيره والاول اولى
لرواية ابن ماجه ان ابا سعيد هو الذى وضع يده لكن لا يبعد ان غيره ايضا (وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
ليختبر حماه أشديدة هى ام خفيفة (فقال والله ما اطيق اضع) وفى نسخة ان اضع (يدى عليك من شدة حماك فقال النبى
صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء) بالنصب على الاختصاص او المدح اى جماعتهم (يضاعف لنا البلاء) على
مقدار مالنا من الولاء (ان) مخففة من الثقيلة اى انه اى الشأن (كان النبى) اى فرد من افراد هذا الجنس (ليبتلى
بالقمل حتى يقتله) لكثرته وما ذاك الا لرفعة مرتبة النبى وعلو درجته (وان كان النبى ليبتلى بالفقر) اى الجوع حتى
يقتله (وان كانوا) اى الانبياء (ليفرحون بالبلاء كما تفرحون) اى انتم (بالرخاء) المتضمن للنعماء لقوة يقينهم
فى امر دينهم وتسليم امرهم عند حكم ربهم وفى العدول عن الغيبة الى الخطاب ايماء الى انهم لا يفرحون بالرخاء وقد
اورد المصنف فى الباب الثانى من القسم الاول حديثا يقرب من معنى هذا الحديث وهو انه عليه الصلاة والسلام قال
لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم (وعن انس) كما رواه
الترمذى وحسنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء) بكسر العين وفتح الظاء ويجوز ضمها
مع سكون الظاء اى فمن كان بلاؤه اكثر او اكبر فجزاؤه اتم واوفر (وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى)
بالقضاء (فله الرضى) من الله تعالى وجزيل الثواب وجميل المآب (ومن سخط) بكسر الخاء اى كره (فله السخط)
بفتحتين اى الغضب واليم العذاب ودوام الحجاب (وقال) وفى نسخة وقد قال (المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوأ
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة) حتى لا يعذب فى العقبى (وروى هذا) اى قول المفسرين
وفى نسخة وروى مثل هذا (عن عائشة وابى) اى ابن كعب (ومجاهد) كما رواه احمد والحاكم عنهم ومثل هذا ما يقال
بالرأى فهذا الموقوف فى حكم المرفوع وقد ذكر البغوى فى تفسيره باسناده عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال
كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزلت عليه هذه الاية من يعمل سوأ يجز به فقال عليه الصلاة
والسلام يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت على قال قلت بلى يا رسول الله فاقرأنيها قال ولا اعلم انى وجدت انقصاما
فى ظهرى حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقلت يا رسول الله بابى انت وامى واينا لم
يعمل سوأ وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون
فيجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله تعالى وليست لكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة
وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوأ غيرك فكيف
الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشره
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده عشراته واما ما كان جزاء فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فتلقى
مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله وفى رواية عن ابى بكر حين
نزلت الاية فمن ينجو مع هذا يا رسول الله قال لا تحزن اما تمرض اما تصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك
(وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى صحيح البخارى (من يرد الله تعالى به خيرا يصب منه)
بضم اوله وكسر صاده وبفتح اى ينزل به مكروها ليثاب عليه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح
مسلم (من رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم) اى من الامر المكروه (الا كفر) وفى نسخة الا يكفر (الله تعالى بها
عنه) اى ذنوبه (حتى الشوكة) بالحركات الثلاث والاظهر الجر على ان حتى عاطفة او بمعنى الى او الرفع على ان الشوكة
مبتدأ والخبر قوله (يشاكها) بضم الياء والضمير القائم مقام الفاعل عائد الى المؤمن والتقدير يشاك المؤمن تلك

الشوكة والمراد شوكة العضاة وابعد التلمسانى فى تجويزه ان الشوكة ذات الجنب اى تصيبه فيمرض منها قال فعلى الاول غاية فى الضعف وعلى الثانى غاية فى القوة انتهى والاولى اولى كما لا يخفى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (من رواية ابى سعيد) اى الخدرى (ما يصيب المؤمن من نصب) بفتحتين اى تعب (ولا وصب) بفتحتين اى وجع (ولا هم) اى غم يذيب الانسان (ولا حزن) بضم فسكون وبفتحتين اى غم فوت شئ (ولا اذى ولا غم) يدم فؤاد صاحبه وقيل الهم من الامر السابق والغم من اللاحق (حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله تعالى بها من خطاياه) اى بعض ذنوبه وقيل من زائدة (وفى حديث ابن مسعود) كما رواه الشيخان (ما من مسلم يصيبه اذى) اى ما يتأذى به ولو قطع شسع النعل او انطفاء سراج (الا حات) بتشديد الفوقية من باب المغالبة للمبالغة اى اسقط (الله عنه خطيئاته) وفى نسخة خطاياه (كما يحت) اى الله (ورق الشجر) وفى نسخة بصيغة المجهول وفى نسخة تحات بصيغة الماضى من باب التفاعل وفى اخرى بصيغة المضارع على انه حذف منه احدى التائين وفى رواية تحاتت عنه ذنوبه اى تساقطت وعن ابن عباس رضى الله عنهما حمى يوم كفارة ثلاثين سنة (وحكمة اخرى) فى اجراء الامراض والبلاء على الانبياء والاصفياء (اودعها الله تعالى فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها) اى على اعضائهم (وشدتها) كمية وكيفية (عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم) فى تعلقاتهم وفى نسخة قوى انفسهم (فيسهل خروجها) اى انتقال ارواحهم (عند قبضهم) اى وفاتهم (فتخف عليهم مؤونة النزع) اى ثقل نزع ارواحهم ومشقة اخراجها من اشباحهم (وشدة السكرات) وغلبة الغمرات (بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك) اى لما تقدم من الحكمة هنالك وهذا (خلاف موت الفجاءة) بفتح فسكون مقصورا وبضم ممدودا اى موت البغتة (واخذه) بالغفلة وان ورد فى الحديث موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للفاجر على ما رواه احمد والبيهقى عن عائشة (كما يشاهد) بصيغة المجهول (من اختلاف احوال الموتى) اى الذين على شرف الموت وقربه (من الشدة واللين) اى الهينة (والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن كعب بن مالك وجابر (مثل المؤمن مثل خامة الزرع) بالخاء المعجمة وتخفيف الميم اى طاقته اللينة عطفها او ضعفها (تفيئها) بضم اوله ففاء مفتوحة وتحتية مشددة مكسورة فهمزة مضمومة واما قول التلمسانى وروى تفيها بدون ياء فخطأ فاحش اى تحركها وتميلها (الريح) اى جنس الرياح (هكذا) مرة عن يمينها (وهكذا) مرة عن يسارها والمعنى تميلها من جانب الى جانب (وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه) وفى نسخة لابى هريرة كما فى صحيح مسلم (من حيث اتتها الريح تكفأها) بفتح الفاء وتكسر اى تقلبها (فاذا سكنت) اى الريح (اعتدلت) اى قامت قامة الخامة على ساقها معتدلة غير مائلة (وكذلك المؤمن يكفأ) بصيغة المجهول اى يقلب ويغير حاله (بالبلاء) عما كان عليه فى النعماء (ومثل الكافر) وفى معناه الفاجر (كمثل الارزة) بسكون الراء وفتحها شجرة الارزن وهو خشب معروف وقيل الصنوبر وقال بعضهم الآرزة بوزن فاعلة ومعناها الثابتة فى الارض وانكرها ابو عبيد كذا فى النهاية (صماء) اى صلبة يابسة (معتدلة) اى مستوية ثابتة (حتى يقصمها الله تعالى) بكسر الصاد بعد سكون القاف اى يكسرها (ويهلكها) ويأخذه بغتة من غير تقدم بلية فى غالب قضية وعن انس رضى الله عنه ان الله تعالى خلق عباده منهم صحيح وسقيم وغنى وفقير فمنهم من لو اسقمه لافسده ذلك ومنهم من لو اصحه لافسده ذلك ومنهم من لو اغناه لافسده ذلك ومنهم من لو افقره لافسده ذلك والله تعالى اعلم بمصالح عباده وفق مراده اقول وقد يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفى الجملة كما ورد المؤمن مكفر على ما رواه الحاكم عن سعد (معناه) اى الحديث السابق (ان المؤمن مرزأ) بتشديد الزاى المفتوحة وفى نسخة بتخفيفها اى مبتلى بالرزايا (مصاب بالبلاء) اى بانواع البلايا بموت اعزته وفوت احبته (والامراض) وفى معناها فقد الاغراض (راض بتصريفه) اى بتغيير احواله وتغير آماله فى حاله وماله وجاهه وماله (بين اقدار الله تعالى) اى انواع قضائه من بلائه ونعمائه (مطاع) وفى نسخة منطاع اى منقاد (لذلك) الذى اصيب به هنالك (لين الجانب) اى متواضع لربه متلبس (برضاه) وفق ما قدر له وقضاه (وقلة تسخطه) اى وعدم كراهته لبلواه (كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح) حال تقلبها يمنة ويسرة فى الصباح والرواح (وتمايلها لهبوبها) المختلفة فى الشدة واللينة (وترنحها) بنون مشددة مضمومة بعد راء مفتوحة اى دورانها فى تغير شانها وعن يزيد الرقاشى المريض يرنح والعرق من جبينه يرشح (من حيث ما اتتها) اى جاءتها رياح البلايا والرزايا (فاذا ازاح الله تعالى) بالزاى اى ازال (عن المؤمن رياح البلاء) وابدل منها رياح النعماء (واعتدل صحيحا) واستقام صريحا (كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو) بفتح الجيم وتشديد الواو اى هواء جو السماء (رجع) المؤمن من مقام صبره (الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه) اى بدفع محنته

(منتظرا

(منتظرا رحمته وثوابه) اى مثوبته (عليه) اى على شكر ربه فى حاليه (فاذا كان) اى المؤمن (بهذه السبيل) اى بهذه المثابة من تحمل توارد الرزايا وترادف البلايا (لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله) اى حلوله وحصوله فى وقت من اوقات الفوت (ولا اشتدت) اى ولحقت (عليه سكراته ونزعه) حين صعبت غمراته (لعادته) اى تعوده (لما) وفى نسخة بما (تقدم) وفى نسخة تقدمه (من الآلام) اى تحملها فى ضمن الاسقام (ومعرفة ماله فيها من الاجر) اى الثواب التام يوم القيام (وتوطينه) اى واثبته وتمكينه (نفسه على المصائب) اى اصابتها (ورقتها وضعفها بتوالى المرض) ولو مع خفته (او شدته) وان لم يتوال فى مدته (والكافر) اى شأنه وحاله (بخلاف هذا) المؤمن فى حاله وماله (فهو) وكذا الفاجر (معافى فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه) وكثرة ماله وسعة منابه (كالارزة الصماء) اى الشجرة القوية (حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه) اى كسره واهلكه (لحينه) بكسر الحاء اى فى وقته فورا (على غرة) بكسر غين وتشديد راء اى على حين غرور وغفلة (واخذه) اى اماته (بغتة) اى فجأة (من غير لطف ولا رفق) بل بعنف وشدة تضرب الملائكة وجهه ودبره بسياط من نار (فكان موته اشد عليه حسرة) اى تأسفا وكآبة (ومقاساة نزعه) اى معاناة خروج روحه (مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا) عند قبضه (ولعذاب الآخرة اشد) اى اقوى (وابقى) وفى نسخة زيد لو كانوا يعلمون اى لآمنوا (كانجعاف الارزة) بالنون والجيم اى انقلاعها من اصلها وقال التلمسانى وروى انخعاف بخاء معجمة اى ضعف واسترخاء (وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) قبل ذلك امارة وعلامة وقد ورد الحمى رائد الموت اى بريده ونذيره (وكذلك عادة الله فى اعدائه) اى معهم خلاف عادته مع احبائه (كما قال تعالى فكلا) من اعدائنا ممن كذب باصفيائنا (اخذنا بذنبه) بغتة فاذاهم مبلسون اى متحيرون آيسون (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة تحصبهم كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كثمود فاصبحوا فى ديارهم جاثمين (الآية) اى ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقوم نوح وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (فجعا) اى فجاءة (الله جميعهم) حيث اخذهم كلهم (بالموت على حال عتو) اى فرط تكبر وتجبر (وغفلة) عما خلقوا له من الموت والبعث فى العاقبة (وصبحهم به) بتشديد الموحدة اى وجاءهم بالموت (على غير استعداد) حال كونه (بغتة ولهذا ما) كذا فى نسخة فقيل هى زائدة او موصولة (كره السلف موت الفجاءة ومنه حديث ابراهيم) اى النخعى كما صرح به ابن الاثير فى نهايته فلا وجه لقول الدلجى النخعى او التيمى وكذا القول غيره انه ابن ادهم ولا يبعد التعدد والله اعلم (كانوا) اى الصحابة والتابعون (يكرهون اخذة كاخذة الاسف) رواه سعيد ابن منصور فى سننه وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت والاسف بفتحتين (اى الغضب) الموجب لكثرة التأسف وشدة التلهف وفى نسخة بكسر السين اى الغضبان المتأسف (يريد) اى ابراهيم وفى نسخة يريدون اى السلف بهذه الاخذة (موت الفجاءة وحكمة ثالثة) فى اجراء انواع البلاء على الانبياء والاصفياء (ان الامراض) اى كلها (نذير الممات) وفى نسخة نذير الموت اى منذر الموت ومخوف الوفاة كما ورد الحمى رائد الموت لانها تنبئ عن قرب الفوت (وبقدر شدتها) اى قوة الامراض وقلتها (شدة الخوف) اى خوف الفوت (من نزول الموت فيستعد) للموت (من اصابته) تلك الامراض قبل الفوت (وعلم) اى المؤمن (تعاهدها له) اى تفقد الامراض وتعاودها له استعدادا تاما (للقاء ربه عز وجل ويعرض عن الدنيا الكثيرة الانكاد) اى الكدورات وما احسن قول ابن عطاء فى حكمه مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار (ويكون قلبه متعلقا بالمعاد) ويكون متهيئا لتحصيل الزاد ليوم التناد (فيتنصل) من باب التفعل وفى نسخة فينتصل من باب الانفعال اى يتخلص وينفصل (من كل ما يخشى تباعته) بكسر اوله لا بفتحه كما وهم الحلبى بمعنى تبعته ومؤاخذته (من قبل الله تعالى) وهو اهون (وقبل العباد) وهو اقوى (ويؤدى الحقوق) المتعلقة به جميعها (الى اهلها) بقدر امكان ادائها (وينظر) اى يتأمل (فيما يحتاج اليه من وصية) بما تركه الى من يثق به (فيمن يخلفه) بتشديد اللام المكسورة اى فيمن يعقبه من ولد وعبد (او امر يعهده) الى من يريده (وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له) اى ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما فى نسخة (قد طلب التنصل) اى التخلص (فى مرضه ممن كان له عليه مال) دينا او قرضا (او حق فى بدن) يورث قصاصا او ارشا (واقاد من نفسه وماله) اى اعطى القود منهما من يستحقه (وامكن من القصاص منه) اى من نفسه (على ما ورد فى حديث الفضل) اى ابن عمه العباس كما مر وفيه انه صلى الله عليه وسلم ضرب اعرابيا بعود كان بيده فقال يا رسول الله القصاص غير مريد له فكشف له عن بطنه فالتزمه تبركا به وفى حديث الوفاة كما تقدم والله تعالى اعلم (واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى) بالجر بدل مما قبله ويجوز رفعه ونصبه (وعترته) بكسر اوله اى اقاربه واهل بيته وسميا بالثقلين اما لثقلهما على نفوس كارهيهما او لكثرة حقوقهما فهما شاقان او لعظم قدرهما او لشدة الاخذ بهما او لثقلهما فى الميزان من قبل ما امر به فيهما او لان عمارة الدين بهما كما عمرت

الدنيا بالانس والجن المسمين بالثقلين فى قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان (وبالانصار عيبته) بفتح العين المهملة وسكون التحتية فبا موحدة اى لانهم موضع سره وامانته ومحل رعايته وعنايته وحراسته ووقايته كعيبة الثياب التى يضع الشخص فيها متاعه النفيس (ودعا) اى اصحابه فى مرض موته (الى كتب كتابه) اى كتابة مكتوبه (لئلا تضل امته بعده) اذا عملوا بكتابته فاختلفوا فى ذلك وتنازعوا هنالك فقال دعونى فانه لا ينبغى التنازع عند نبى وذلك الكتاب (اما فى النص على الخلافة) وفيه ان الوصية بالخلافة لا تحتاج الى امر الكتابة مع انه قد اشار اليه بنصب الامامة (والله تعالى اعلم بمراده) مما خطر ببالة نصيحة لخلق الله تعالى وعباده (ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا) من الكتابة واجمل (وهكذا سيرة عباد الله تعالى المؤمنين واوليائه المتقين) من الابتلاء بانواع البلاء المذكورة لحال الفناء المهيئة للاستعداد ليوم اللقاء فى دار البقاء (وهكذا كله) اى ماذكر من حال انبيائه واوليائه الابرار (يحرمه) بصيغة المجهول اى يحرم منه (غالبا الكفار) وكذا الفجار (لاملاء الله تعالى لهم) اى امهالهم الى انصرام آجالهم (ليزدادوا اثما) ويستزيدوا ظلما ليكون لهم عذاب مهين فيما اكتسبوا جرما (وليستدرجهم) اى ليستدنيهم الله درجة درجة فى مراتبهم الى ما يهلكهم باشد عقبهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم بتواتر نعمه سبحانه وتعالى عليهم منهمكين فى غيهم وضلالتهم كلما جدد لهم نعمة زادوا فى طغيانهم وعصيانهم ظنا منهم ان تواتر النعماء عليهم تقريب واسعاد وانما هو تطريد وابعاد (قال تعالى ما ينظرون) اى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم) بغتة وتهلكهم بجأة غافلين عنها لا يخطر ببالهم امرها (وهم يخصمون) بفتح الخاء وكسرها واختلاسها اى والحال انهم يختصمون فى معاملاتهم وفى قراءة بسكون الخاء وكسر الصاد من خصم اذا اختصم وفى الحديث لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ما يتبايعانه ولا يطويانه فلتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها (فلا يستطيعون) اى حينئذ (توصية) فى امرهم (ولا الى اهلهم يرجعون) اى ولا يقدرون ان يرجعوا الى قومهم بل يموتون فجأة كلهم (ولذلك) اى لكون موت الفجأة مذموما فى الجملة (قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابو يعلى وابن ابى الدنيا عن انس (فى رجل مات فجأة) اى فى حقه (سبحان الله) تعجبا من شأنه (كأنه على غضب) اى وقع على سبب غضب يقتضى موته كذلك (المحروم من حرم وصيته) تلويح بالحث على الوصية لئلا يموت الواحد فجأة لحديث ما حق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده وكأنه عليه الصلاة والسلام كشف له ان الرجل كان واجبا عليه الوصية فى شئ من الاحكام فلا ينافى ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه كما بينه المصنف بقوله (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى حديث احمد عن عائشة بسند صحيح (موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف) اى غضب (للكافر او الفاجر) قال الدلجى شك من احد رواته واقول الاظهر انه للتنويع والمراد بالفاجر المنافق او الفاسق (وذلك) اى كون موت الفجأة مختلفا هنالك (ان الموت) وفى نسخة لان الموت (يأتى المؤمن وهو غالبا مستعد له) اى لوصوله (منتظر لحلوله) متهيئ لنزوله (فهان امره) اى سهل (عليه كيفما جاء) حال حصوله (وافضى) اى اوصله (الى راحته من نصب الدنيا واذاها) اى تعبها واذيتها (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن ابى قتادة حين مر بجنازة (مستريح) اى الميت مستريح (ومستراح منه) اى او مستراح منه وفى نسخة يستريح ويستراح منه قيل من هما يا رسول الله قال اما المستريح فالمؤمن يموت فيستريح من تعب الدنيا واما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب قال النووى اما استراحة العباد منه فاندفاع اذاه عنهم واستراحة الدواب منه فكذلك لانه يؤذيها بالضرب والاجاع وتحميل ما لا تطيقه واستراحة البلاد والشجر لانها تمنع القطر بمعصيته (وتأتى الكافر والفاجر) بالواو اى الفاسق او الظالم (منيته) بتشديد تحتية اى موته (على غير استعداد) لمعاد (ولا اهبة) بضم فسكون اى تهيئة (زاد ولا مقدمات) بكسر الدال وتفتح اى مؤذنات سابقة ومخوفات لاحقة (منذرة) اى مخوفة (مزعجة) اى مقلقة محركة (بل تأتيهم) المنية (بغتة) فجأة (فتبهتهم) اى تحيرهم وتدهشهم (فلا يستطيعون ردها) اى صرفها (ولاهم ينظرون) اى لا يمهلون حينئذ وان كانوا من قبله ايمهلون (فكان الموت اشد شئ عليه وفراق الدنيا افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اهيب واصعب واشنع وامر (امر) لديه من حال (صدمه) اى اصابه مما هجمه (واكره شئ له) اى اصعب شئ ارهقه واصابه (والى هذا المعنى اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) كما فى الصحيحين عن عبادة بن الصامت (من احب لقاء الله) اى برؤية الله تعالى له عند موته ما اعده له فى الجنة (احب الله لقاءه) اى اراد مصيره اليه ومنحه ما لديه (ومن كره لقاء الله تعالى) برؤيته له عند موته ما اعده من سخطه كما ورد فى الحديث تفسيره بذلك (كره الله لقاءه) فلم يظفر بمطلوب ولم يظهر بمرغوب وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم قال ان اهل البيت ليتنافسون فى الخير والمعروف فيدخلون الجنة كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وان اهل البيت ليتنافسون فى الشر فيدخلون النار كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وقد يقتبس هذا المعنى منطوقا ومفهوما من قوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وروى الترمذى عن سالم بن عمر قال لقيت عليا رضى الله تعالى عنه وهو منصرف من مسجد القبلتين فقال يا ابن عمر انى كنت آنفا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرنى بكلمات اخبره بهن جبريل عن الله عز وجل وانا مخبرك بهن وانت لذلك اهل اخبرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال جبريل عليه السلام ما من قوم يكونون فى حبرة الا ستتبعهم عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم الجنة وكل هم منقطع الا هم اهل النار واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا واكثر من صنائع المعروف توق مصارع السوء وما من عمل بعد الفرائض احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن ثم قال دونكهن يا ابن عمر قال فشرح الله بهن صدرى مرتين كذا ذكره التلمسانى والله سبحانه وتعالى اعلم

(القسم الرابع)

(فى تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مجملا (وما يتعين له من بر) اى طاعة او احسان (وتوقير) اى تبجيل (وتعظيم واكرام) وامثال ذلك مفصلا (وبحسب هذا) بفتح السين اى على قدر ما يجب له ويتعين فى حقه (حرم الله تعالى اذاه فى كتابه) وبين حرمته فى فصل خطابه (واجمعت الامة على قتل متنقصه) بنوع من تحقيره خلاف ما يجب من توقيره (من المسلمين) بخلاف الكافرين (وسابه) اى شاتمه بطريق الاولى فى حقه ففى فتاوى قاضيخان لو عاب الرجل النبى فى شئ كان كافرا وكذا قال بعض العلماء لو قال لشعر النبى شعير فقد كفر وعن ابى حفص الكبير من عاب النبى بشعرة من شعراته الكريمة فقد كفر وذكر فى الاصل ان شتم النبى كفر ولو قال جن النبى ذكر فى نوادر الصلاة انه كفر ويجوز ان يقال اغمى على النبى وهذا حكم المؤمن به واما الكافر اذا تنقصه او سبه قال بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده ويخرج من بلده فيبلغ مأمنه (قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) اى ابعدهم عن الرحمة (فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) وعجابا مبينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه قال البغوى وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) اى مؤلم بفتح اللام وكسرها وصدر الاية ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن نزلت فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما محمد اذن اى اذن سامعة فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم الاية (وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بنوع من الاذى لا فى حياته ولا بعد مماته (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) اى لا بعد وفاته ولا بعد فراقه لها دخل بها ام لا تعظيما لقدره وتفخيما لامره (ان ذلكم) اى الاذى من قبلكم (كان عند الله عظيما) اى ذنبا جسيما نزلت فى رجل من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وروى معمر عن الزهرى ان العالية بنت ظبيان التى طلقها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير البغوى انه نزل فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تبدوا شيأ او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما (وقال تعالى فى تحريم التعريض له) اى التلويح بما يوهمه من غير التصريح (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) فانه امر بالمراعاة فى مقام التصريح لكنه متضمن لمعنى الرعونة فى مقام التلويح (وقولوا) اى بدله (انظرنا) اى انظر الينا وراقبنا او انتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونعلم مرامك (واسمعوا) اى سماع قبول (الاية) اى وللكافرين عذاب اليم وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد (وذلك) اى سبب نزول الاية هنالك (ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك) بفتح الهمزة وكسر العين والمعنى راعنا بسمعك والقه الينا (واسمع منا ولا تغفل عنا (ويعرضون) بتشديد الراء المكسورة اى ويلوحون (بالكلمة) التى هى سبة عندهم (يريدون الرعونة)

وهى بضم الراء الحماقة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها فقال لليهود وائن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها (فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم) ولو فى الصورة (وقطع الذريعة) اى الوسيلة وسد باب الفساد (بنهى المؤمنين عنها) اى عن كلمة راعنا (لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه) اى طعنه (والاستهزاء به وقيل بل لما فيها) اى فى كلمة راعنا (من مشاركة اللفظ) اى المبنى ومشابهة المعنى (لانها عند اليهود بمعنى اسمع لاسمعت) دعاء عليه كما قال تعالى اخبارا عنهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبهذا تبين انه ما يصح كون كلمة راعنا بمعنى اسمع بل بينهما مغايرة (وقيل بل لما فيها) اى فى كلمة راعنا (من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبجيله (وتعظيمه لانها فى لغة الانصار) وفى نسخة لغة النصارى ولا وجه للتقييد باحدهما اذ هى على وفق اللغة الجادة فان المراعاة مفاعلة من باب المغالبة فيكون (بمعنى ارعنا) بوصل همزة وفتح عين امر من الرعاية (نرعك) اى حتى نرعاك فحذف الالف للجزم فى جواب الامر وحيث كان يؤذن بان رعايتهم له مشروطة برعايته لهم (فنهوا عن ذلك اذ مضمنه) بفتح الميم الثانية المشددة اى مضمونه (انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه الصلاة والسلام واجب الرعاية بكل حال) سواء راعاهم اولم يراعهم (وهذا هو عليه الصلاة والسلام قد نهى) الحاضرين من امته (عن التكنى بكنيته) وهى ابو القاسم اما بابنه القاسم وهو الطاهر او كناه الله تعالى بذلك لقوله انا قاسم بينكم وله كنية اخرى وهى ابو ابراهيم لابنه الآخر (فقال سموا) وفى نسخة تسموا (باسمى) اى محمد او احمد (ولا تكنوا) من كنى مخففا او مشددا وروى ولا تكتنوا (بكنيتى) بضم الكاف وبكسر وفيه ايماء الى ان محط النهى هو الجمع بين الاسم والكنية لانهما موجبان للشبهة (صيانة لنفسه) اى الكريمة كما فى نسخة (وحماية عن اذاه) اذا احد به غيره ناداه ولعل وجه النهى عن الكنية دون الاسم كونهم متأدبين معه حيث لا ينادونه باسمه لاسيما بعد نهيهم عنه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تقولوا له يا محمد يا احمد بل قولوا يا نبى الله يا رسول الله واما ما ثبت من حديث انس ان رجلا من اهل البادية قال يا محمد الحديث فلعله كان قبل النهى او قبل بلوغه ونقل عن عز الدين بن عبد السلام انه يجوز ذلك فى الادعية وكانوا ينادونه بالكنية لما فيه من نوع التعظيم فى الجملة بحسب العرف والعادة ولما كان فيه شبهة المشاركة نهاهم عن ذلك ليكونوا متأدبين هنالك (اذ كان صلى الله عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن انس (استجاب) اى اجاب (لرجل نادى) غيره (يا ابا القاسم فقال لم اعنك) بفتح فسكون فكسر اى لم اردك بهذا النداء (انما دعوت هذا) واشار الى رجل آخر وهو ابن القاسم الانصارى مذكور فى الصحابة (فنهى حينئذ عن التكنى بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره) وفى نسخة باجابة دعوته غيره الصادرة (ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون المستهزئون ذريعة) اى وسيلة (الى اذاه) اى اذيته (والازراء به) اى الاستحقار بدعوته والانتقاص فى حالته (فينادونه) قصداله (فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا) الواقف ونحوه (لسواه) اى لغيره عليه الصلاة والسلام (تعنيتا له) تفعيل من العنت بفتحين وهو المشقة ادخالا للتعب عليه فى امره وتنقيصا لقدره (واستخفافا بحقه على عادة المجان) بضم الميم وفتح الجيم المشددة جمع الماجن وهو الذى لا يبالى بما صنع (والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه) بفتح الحاء فى الاول وكسره فى الثانى اى صان حريم ساحته عن اذى يلحقه فى حالته (بكل وجه) فى شريعته وطريقته (فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا) اى التكنى بكنيته (على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة) وهى ايذاؤه فى تلك الحالة ولما سيأتى ايضا من الادلة وقد اغرب الدلجى بقوله حملوا بلا دليل شرعى مع ترجيح ولا مرجح له وليس ارتفاع العلة بكاف فى تجويزه بعدها مع صراحة عموم النهى المطلق عنه الشامل لما قبلها وما بعدها كيف وقد غير عمر فى خلافته اسماء كثيرة من اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا بغيره كاسم ابن اخيه غيره بعبد الرحمن مع اذنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التسمية به فلأن يمنع من التكنية بكنيته مع النهى عنها اولى وممن منعه بها مطلقا الشافعى انتهى وسيأتى الجواب عن تغيير عمر مع انه بظاهره حجة عليه لانه غير موافق لمذهبه واما قول الشافعى ليس لاحد ان يكنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا اولا لظاهر النهى فيرد عليه بان الناس ما زالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار وذلك منهم بمنزلة الاجماع ولا تجتمع الامة على الضلالة على ما قاله الانطاكى وتبعه التلمسانى (وللناس فى هذا الحديث مذاهب) اى كثيرة (ليس هذا موضعها) وسيأتى بعضها (وما) وفى نسخة والذى (ذكرناه) من تقييد النهى بحياته (هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله) عارضه الدلجى بقوله بل الصواب المنع مطلقا وقد سمعت الجواب محققا (ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب

لا على التحريم) وتعقبه الدلجى بان هذا دعوى مجردة عن البينة لصدوره على خلاف الاصل من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكنى به اذ الاصل حمل لفظ النهى على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنها انتهى واعلم ان القول الذى هو فصل الخطاب فى هذا الباب ان حديث تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى اخرجه البخارى ومسلم من رواية جماعة من الصحابة منهم جابر وابو هريرة وغيرهما فقال الشافعى ليس لاحد ان يكتنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا قال الرافعى ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية وجواز الافراد قال ويشبه ان يكون هو الاظهر لان الناس ما زالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار قال النووى فى الروضة وهذا التأويل والاستدلال ضعيف والاقرب مذهب مالك وهو جواز الكنى بابى القاسم مطلقا لمن اسمه محمد ولغيره والنهى مختص بحياته عليه الصلاة والسلام لان سبب النهى ان اليهود تكنوا به وكانوا ينادون يا ابا القاسم فاذا التفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لم نعنك اظهارا للايذاء وقد زال ذلك المعنى وهذا نقله الغزالى فى الاحياء عن العلماء (ولذلك لم ينه عن اسمه لانه) اى الشأن (قد كان منع الله من ندائه به) اى باسمه (بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) اى نداءه باسمه (كدعاء بعضكم بعضا) باسمائكم (وانما كان المسلمون يدعونه) اى ينادونه (يا رسول الله يا نبى الله وقد يدعونه) هو بصيغة الجمع على الصواب وروى يدعوه بالافراد قيل ووجهه يدعوه الداعى (بكنيته) يعنى (ابا القاسم) اوفيه ولون ابا القاسم اى يا ابا القاسم وفى نسخة ابى القاسم فلا اشكال (بعضهم) بدل من ضمير يدعونه او هو فاعل يدعوه على حقيقة الافراد وليس بعضهم فى نسخة (فى بعض الاحوال) لما استقر عندهم من ان الدعاء بالكنية اشعار بالتعظيم والاجلال وذكر الحلبى عن بعض مشايخه ان قول النووى فى الروضة ما ذكره الرافعى انه ضعيف وكذا قوله فى الاذكار ان فيه مخالفة لاصل الحديث فيه نظر لان فيه موافقة لحديث صحيح رواه احمد وابو داود والترمذى من حديث ابى الزبير عن جابر رفعه من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى قال الترمذى حسن غريب وقال البيهقى فى شعب الايمان بعد ان اخرجه هذا حديث صحيح وصححه ابن حبان وابن السكن وهو مذهب ابى حاتم وشذ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جملة كيف ما كان حكاه المنذرى قال وذهب آخرون الى ان النهى فى ذلك منسوخ انتهى وما ذكره المنذرى من المنع عن التسمية باسمه عليه الصلاة والسلام حكاه النووى فى شرح مسلم فقال التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية ام لا قال وجاء فى حديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمون اولادهم ثم يلعنونهم وهذا معنى قوله (وقد روى انس) كما رواه الحاكم والبزار وابو يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه) اى تبعيد اسمه (عن ذلك) اى عن ان يتسمى به غيره (اذا لم يوقر) اى لم يعظم حق تعظيمه (فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم) بتقدير الاستفهام الانكارى اى التوبيخى ومحط الانكار الجملة الثانية كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم (وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد) بصيغة المجهول ويجوز كونه للفاعل (باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد به محمد لانه اشهر اسمائه او الجنس ليشمل احمد ايضا ويؤيده انه فى نسخة صحيحة باسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حكاه ابو جعفر الطبرى) وهو محمد بن جرير (وحكى محمد بن سعد) كاتب الواقدى وصاحب الطبقات عن عبد الرحمن ابن ابى ليلى (انه) اى عمر رضى الله تعالى عنه (نظر الى رجل) قيل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب (اسمه محمد ورجل يسبه) اى يشتمه (ويقول) اى له كما فى نسخة (فعل الله بك يا محمد وصنع) الله (فقال عمر رضى الله عنه) عند ذلك (لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى) لا نافيه لا ألا منبهة كما تصحف على الدلجى اى لا ارضى (محمدا عليه الصلاة والسلام يسب بك) اى فى ضمن سبك او بسبب سبك نصريحا (والله لا تدعى محمدا ما دمت) انا او انت (حيا وسماه عبد الرحمن) ثم ارسل الى بنى طلحة بن عبيد الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد ان يغير اسمه فقال محمد بن طلحة فوالله يا امير المؤمنين ان من سمانى محمدا لمحمد فقال قوموا فلا سبيل الى تغيير شىء سماه رسول الله وروى ان من الصحابة من اسمه محمد بضعة وثمانون انسانا (واراد ان يمنع لهذا) السبب وهو تنزيه الاسم عن السب (ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك) اى بتغيير اسمائهم هنالك (وغير اسماءهم) اى اسماء بعض من تسمى باسماء الانبياء وفى نسخة وغير اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء فقد روى ابن سعد قال دخل عبد الرحمن بن سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى على عمر وكان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن وروى ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن (وقال لا تسموا) اى اولادكم ويجوز ان يكون بفتح التاء والميم اى لا تتسموا (باسماء الانبياء ثم امسك) اى عمر عن منعهم وفى شرح مسلم ان المذاهب فى هذه المسئلة ستة الاول النهى عن التكنى بابى القاسم مطلقا الثانى انه خاص بحياته الثالث انه على الادب

الرابع انما يحرم الجمع الخامس التسمى بقاسم السادس المنع من التسمى بمحمد (والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلاة والسلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم) اى من الصحابة (ابنه محمدا) اقوله عليه الصلاة والسلام تسموا باسمى (وكناه بابى القاسم) كما يشير اليه قوله (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذن فى ذلك) اى فى تسمية ولده محمدا وتكنيته بابى القاسم (لعلى رضى الله عنه) اذنا خاصا او عاما فقد رواه ابوداود والترمذى من حديث محمد ابن الحنفية عن على بلفظ قال اى على يارسول الله ارأيت ان ولدلى بعدك اسميه محمدا واكنيه بكنيتك قال نعم وبروى انه عليه الصلاة والسلام قال لعلى سيولد لك بعدى غلام وقد نحلته اسمى وكنيتى ولا يحل لاحد من امتى بعده (وقد اخبر عليه الصلاة والسلام ان ذلك) اى مجموع محمد وابى القاسم (اسم المهدى) من اهل بيته فى آخر الزمان (وكنيته) رواه ابوداود والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى ولم يعرف من زاد الكنية فى روايته (وقد سمى به) اى باسمه محمد (النبى عليه الصلاة والسلام محمد ابن طلحة) بن عبيد الله التيمى على ماتقدم قيل وكناه بكنيته وقد مسح رأسه وهو المعروف بالسجاد امه حمنة بنت جحش اخت زينب قتل يوم الجمل مع ابيه سنة ست وثلاثين وكان هواه فيما ذكر مع على بن ابى طالب وكان على قد نهى عن قتله فى ذلك اليوم وقال اياكم وصاحب البرنس وبروى ان عليا مرّ به وهو قتيل يوم الجمل فقال هذا السجاد ورب الكعبة هذا الذى قتله برّه بابيه يعنى ان اباه اكرهه على الخروج فى ذلك اليوم (ومحمد بن عمرو بن حزم) الانصارى النجارى ولد سنة ست عشرة بنجران وقيل بالحرة وكان فقيها قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين من الهجرة (ومحمد بن ثابت بن قيس ابن شماس الانصارى الخزرجى المدنى اتى به ابوه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه محمدا وحنكه بريقه قتل يوم الحرة (وغير واحد) اى وكثيرا منهم سماه عليه الصلاة والسلام محمدا كمحمد بن خليفة قال الذهبى وكان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر ولد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومحمد بن هلال بن العلاء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان) وفى نسخة صحيحة وثلاثة (وقد فصلت الكلام) اى فيما ينبت فيه المرام (فى هذا القسم) اى الرابع من الكتاب (على بابين كما قدمناه)

(الباب الاول)

(فى بيان ما هو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سب اونقص من تعريض اونص) اى تلويح او تصريح من شتم اوذم (اعلم) وفى نسخة فاعلم (وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شتمه (اوعابه) اى ذمه (اوالحق به نقصا فى نفسه) اى ذاته اوصفاته (اونسبه) بفتحتين (اودينه) اى شريعته وسيرته وحكوماته (اوخصلة من خصاله) اى حالة من حالاته اوكلمة من مقالاته سواء صرح به (اوعرض به) بتشديد الراء اى لوح فيه (اوشبهه بشئ على طريق السب له اوالازراء عليه) اى احتقارا به واستخفافا بحقه (اوالتصغير لشأنه) اى الاحتقار لعظيم قدره (اوالغض منه) اى الخفض والنقص من امره (اوالعيب له) فى حكمه (فهو) بكل واحد مما ذكر (ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل) اى اجمالا (كما نبينه) تفصيلا (ولانستثنى فصلا من فصول هذا الباب) اى نوعا من انواع كلام الساب (على هذا المقصد) بكسر الصاد اى الذى قصدناه من صوب الصواب (ولانمترى فيه) اى ولانشك فى قتل هذا الساب (تصريحا كان اوتلويحا) فى هذا الباب اذ يستويان فى الحكم عند اولى الالباب (وكذلك) بالطريق الاولى (من لعنه اودعا عليه عليه السلام اوتمنى مضرة له) كانت تحصل لديه (اونسب اليه ما لايليق بمنصبه) بكسر الصاد اى بمقامه الشريف ومكانه المنيف (على طريق الذم) لعله احترازمن الخطأ اوالسهو (اوعبث) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة اى لعب ومزح اى خلط (فى جهته العزيزة) اى جانبه الكريم وهو بزايين وفى نسخة بغين معجمة وراء ثم زاى اى الطبيعة (بسخف) بضم السين وسكون المعجمة اى برقة قبيحة (من الكلام وهجر) بضم فسكون اى فحش فى المنطق (ومنكر من القول) اى تنكره الشريعة (وزور) اى كذب وافتراء امر منحرف عن الحق (اوعيره) بعين مهملة وتحتية مشددة اى عابه (بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه) كالفقر والكسر وغيرهما (اوغمصه) بغين معجمة وصاد مهملة اى حقره (ببعض العوارض البشرية الجائزة) جريانها (عليه المعهودة لديه) كالجوع والاغماء ونحوهما (وهذا) الذى ذكرناه (كله اجماع من العلماء) من المفسرين والمحدثين (وائمة الفتوى من المجتهدين من لدن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الى هلم جرا) اى الى يومنا وهلم جرا كما فى نسخة وهو من الجر بمعنى السحب والمعنى استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الآن وكذا الى ما بعده من الزمان وانتصب جرا على المصدر اوالحال اوالتميز (قال القاضى (ابوبكر ابن المنذر) محمد بن ابراهيم النيسابورى (اجمع عوام اهل العلم) اى كلهم (على ان من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل) صونا لقدره وتعظيما لامره ونعم ما قيل من المبنى فى هذا المعنى

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

(وممن قال ذلك) اى القتل بسببه (مالك بن انس) امام المذهب (والليث) اى ابن سعد (واحمد) اى ابن حنبل (واسحق) اى ابن راهويه (وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) يعنى المصنف (وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ولاتقبل توبته عند هؤلاء المذكورين) من العلماء (وبمثله) اى بمثل قول من ذكر بقتل من سبه لابعدم قبول توبته كما وهم الدلجى اذ برده قول المصنف لكنهم قالوا هى ردة (قال ابو حنيفة رحمه الله) اى نصا منه (واصحابه) واتفقوا معه فيه (والثورى) اى سفيان بن سعيد (واهل الكوفة) اى جميعهم (والاوزاعى) وهو امام جليل اخذ عنه مالك والثورى (فى المسلمين) وفى نسخة فى المسلم احترازا ممن وقع له سب وهو من المعاهدين لاختلاف فيه على ما تقدم (لكنهم قالوا) اى العلماء المتأخرون من ابى حنيفة ومن بعده فى الذكر وان كانوا هم المتقدمين فى الرتبة والعمر (هى) اى سبه وانثه باعتبار خبره وهى (ردة) اى ارتداد وسيجيء بيان حكم المرتد من انه يستتاب فان ابى يقتل على الجواب الصواب (وروى مثله) اى مثل قول هؤلاء انه ردة (الوليد بن مسلم) احد الاعلام من اهل الشام مات سنة خمس وتسعين وروى ابن ابى مسلم والاول اصح (عن مالك) الامام فيكون عنه روايتان (وحكى الطبرى مثله) اى مثل القول بانه ردة (عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه) بشئ ينقصه (صلى الله تعالى عليه وسلم اوبرئ منه) اى تبرأ منه بان قطع مودته ومحبته عليه الصلاة والسلام (اوكذبه) فى قول من اقواله (وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة) من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح ذكره الدلجى تبعا للجوهرى فى صحاحه ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة انتهى وقال ابن قرقول الزنادقة من لاتعتقد له من الملل المعروفة ثم استعمل فى كل من عطل الاديان وانكر الشرائع وفيمن اظهر الاسلام واسر غيره وقال الرافعى هو الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر والاصح عند الشافعية انه الذى لاينتحل دينا وقيل هو المباحى الذى لايتدين بدين ولاينتمى الى شريعة ولايؤمن بالبعث والنشور والزندقة بالفتح عقيدته (وعلى هذا) اى القول بكونه ردة مطلقة كالزندقة (وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره) اى خروجه من الاسلام الى كفره لانه لم يعرف له دين فى امره فلا يستتاب لعدم الاعتماد على تغيره (وهل قتله) اى بعد توبته (حد) اى سياسة (اوكفر) حقيقة (كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى) والحاصل ان الخلاف محصور فيما ذكرنا (ولانعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الائمة) من صلحاء الكبار (وقد ذكر غير واحد) اى كثير من الاخبار (الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد) اى ابن سعيد بن حزم اليزيدى القرطبى الظاهرى (الفارسى) الاصل مات سنة سبع وخمسين واربعمائة صاحب التصانيف وله كتاب نوادر الاخبار ويسمى بنقط العروس وكان شافعيا ثم صار مجتهدا ظاهريا وصنف كتبا كثيرة (الى الخلاف فى تكفير المستخف به) ولعله محمول على عدم تعمده (والمعروف ما قدمناه) من تكفيره وقتله (قال محمد بن سحنون اجمع العلماء) اى علماء الاعصار فى جميع الامصار (على ان شاتم النبى) صلى الله عليه وسلم (المتنقص له) صفة كاشفة وكان الاولى ان يؤتى بعاطفة (كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له) فى الدارين (وحكمه) فى الدنيا (عند الامة) اى جميع الائمة (القتل ومن شك فى كفره) فى الدنيا (وعذابه) فى العقبى (كفر) ولحق به وفى نسخة فقد كفر (واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه) بالرفع نعت لابراهيم والمعنى استدل (فى مثل هذا) اى تنقصه عليه الصلاة والسلام (بقتل خالد بن الوليد) اى ابن المغيرة (مالك) بالنصب على انه مفعول قتل (ابن نويرة) بضم النون وفتح الواو وسكون التحتية وفتح الراء على انه تصغير نار اونورة وهو التميمى اليربوعى كان فارسا شاعرا رابطا فى قومه قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم واستعمله عليه الصلاة والسلام على صدقات قومه بنى يربوع (لقوله) اى لاجل قول ابن نويرة وفى نسخة بقوله اى بسبب نقله (عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم) وسبب ذلك انه منع الزكاة زمن ابى بكر رضى الله عنه فارسل اليه خالد بن الوليد فى منع الزكاة فقال مالك انا آتى بالصلاة دون الزكاة فقال خالد اما علمت ان الصلاة والزكاة لاتقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان اضرب عنقك ثم تجادلا فى الكلام فقال خالد انى قاتلك قال اوبذلك امرك صاحبك قال وهذه بعد تلك وكان عبد الله بن عمر وابو قتادة الانصارى حاضرين فكلما خالدا فى امره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى ابى بكر فيكون هو الذى يحكم فينا فقال خالد لا اقالنى الله ان اقلتك فامر ضرار بن الازور بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته وكانت فى غاية من الجمال فقال لخالد هذه هى التى قتلتنى فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد ياضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه اثفية لقدره وقبض خالد امرأته قيل انه اشتراها من الفئ وتزوجها

وقيل انها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها وقال لابن عمر وابى قتادة احضرا النكاح فابيا وقال له ابن عمر نكتب
الى ابى بكر ونعلمه بامرها وتتزوج بها فابى وتزوجها ولما بلغ ذلك ابابكر وعمر رضى الله عنهما قال عمر لابى بكر
ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت ارجمه انه تأول فاخطأ قال فانه قد قتل مسلما فاقتله قال ما كنت اقتله انه تأول
قال فاعزله قال ما كنت اغمد سيفا سله الله على المشركين وفى رواية لا اعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد رثاه اخوه متمم بن نويرة بمراثى كثيرة وكان اعور وبكى عليه حتى تبكى عينه العوراء وقد يكون قتله خالد بن الوليد مع
اهل الردة حين قتل مسيلمة وغيره وقد اختلف فى مالك هذا فقيل انه قتل مسلما بسبب كلام سمعه خالد منه وبظن ظنه
به وانكر عليه ابو قتادة قتله وخالفه فى ذلك واقسم انه لا يقاتل تحت رايته ابدا وقيل بل قتل كافرا وفى الروض للسهيلى
ان مالك بن نويرة ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد فى مقام الاحكام وشهد عنده رجلان من الصحابة
برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما انتهى ماذكره التلمسانى عن الحلبى والقضية غير صافية عما يرد عليه من بعض الاشكال
والله تعالى اعلم بالاحوال فلا يصح احتجاج الفقيه بهذا مع وجود الاحتمال (قال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من
المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما) اى بخلاف ما اذا كان كافرا (وقال ابن القاسم) المصرى صاحب
مالك (عن مالك فى كتاب ابن سحنون) بالانصراف وعدمه (والمبسوط) اى وفيه وهو كتاب للمالكية (وفى العتبية)
بضم فسكون فكسر فتشديد وهو كتاب آخر لهم (وحكاه) اى ما قاله ابن القاسم عن مالك (مطرف عن) خاله (مالك
فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اى حدا لا قولا واحدا (ولم يستتب) وهذا
عندهم فى قواعد المذهب (وقال ابن القاسم فى العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه) اى احتقره (فانه يقتل) اى
ولم يستتب (وحكمه عند الائمة) اى الجماعة الائمة من المالكية (القتل كالزنديق) عندهم من غير الاستتابة (وقد
فرض الله تعالى له) علينا (توقيره وبره) اى طاعته لدينا كما قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
(وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة) بكسر الكاف مات سنة ست وثمانين ومائة بعد وفاة مالك بسنتين (من شتم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اى ذبحا (او صلب حيا) اى وطعن او ترك الى ان يصير ميتا (ولم يستتب)
اى ولم تقبل توبته على ما هو عندهم من المذهب (والامام مخير فى صلبه حيا او قتله) اى لا مرتب فى حكمه (ومن رواية
ابى المصعب) بضم الميم وفتح العين وهو الزهرى العوفى قاضى المدينة وعالمها سمع مالكا وغيره وعنه اصحاب الكتب
الستة الا النسائى فانه بالواسطة (وابن ابى اوس) بفتح فسكون وهو ابن اخت مالك قالا (سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب) لان حده القتل وان
تاب فهذه الرواية مطلقة بخلاف ما سبق من الروايات حيث كانت بالمسلمين مقيدة (وفى كتاب محمد) اى ابن ابراهيم بن
المواز (انا) اى اخبرنا كما فى نسخة (اصحاب مالك انه) اى مالكا (قال من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب) قال الدلجى بشهادة حديث من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله
ورسوله فقتله جماعة باذنه عليه الصلاة والسلام فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسبه الى الجواب عن هذا الحديث
انتهى ولعل الجواب ان الكلام فى الذمى لا الحربى والله تعالى اعلم بالصواب على انه ليس فيه دلالة على انه لم تقبل
توبته اذا تاب (وقال اصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وآخره معجمة وهو ابن الفرج الفقيه المصرى (يقتل) اى من سب
نبيا (على كل حال اسر ذلك) اى اخفاه وثبت عليه بالبينة (او اظهره) باقراره (ولا يستتاب) اى لا نعرض عليه
التوبة اذ لا تقبل توبته فى الدنيا (لان توبته لا تعرف) اى صحتها باطنا وفيه انا نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بالضمائر
كما فى حق الكافر والفاجر (وقال عبد الله بن عبد الحكم) فقيه المالكية بمصر يروى عن مالك والليث وثقه ابو زرعة
(من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم او كافر) اى ولو ذميا وفيه خلاف (قتل ولم يستتب) اى كالزنديق
عندهم (وحكى الطبرى مثله عن اشهب) اى ابن عبد العزيز المصرى (عن مالك) صاحب المذهب (وروى ابن وهب)
وهو عبد الله المصرى (عن مالك) وهو الامام (من قال ان رداء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مثلا وكذا حكم
ازاره وسائر دثاره وشعاره واعضائه وابشاره (ويروى) اى بدل ان رداء (ان زر النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو بكسر الزاى وتشديد الراء ما يشد به اطراف الجيب (وسخ) اى كان وسخا بفتح فكسر اى دنسا (اراد به عيبه) اى
نقصه وطعنه لا بيان الواقع فى نفس امره اذ ثبت فى الشمائل انه عليه الصلاة والسلام كان يكثر القناع حتى كأن ثوبه
ثوب زيات وانه خطب الناس وعليه عصابة دسماء اى ملطخة بدسومة شعره او عرقه والدسماء فى الاصل الوسخة
وهى ضد النظيفة (وقال بعض علمائنا) اى المالكية (اجمع العلماء) لعل المراد علماء المالكية فكان حقه ان يقول
اتفق العلماء (على من دعا على نبى من الانبياء بالويل) اى الهلاك او العذاب ونحوه (او بشئ من المكروه) فى حقه

(انه يقتل بلا استتابة) اى من غير مطالبة بتوبة ولا التفات الى قبولها (وافتى ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة
وهو المعافرى القروى الحافظ (فيمن قال فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الجمال) اى انه الجمال بفتح الجيم وتشديد
الميم وفى نسخة بالحاء المهملة (يتيم ابى طالب بالقتل لظهور استهانته) واستحقاره (بذلك) اى بكونه يتيما بقرينة
الجمال هنالك والا فهو فى نفس الامر كذلك وقد قال تعالى الم يجدك يتيما فآوى اى قد وجدك ولعل الجمع بين الوصفين
مطابق للواقع فى السؤال والافكل واحد منهما يكفى فى تكفير صاحب المقال (وافتى ابو محمد ابن ابى زيد) اى
القيروانى (بقتل رجل سمع قوما) اى جمعا (يتذاكرون صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال) اى الذى افتى ابن ابى زيد بقتله (تريدون تعرفون صفته) اى أتريدون ان تعرفوا صفة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (هى) اى صفته (صفة هذا المار) وفى نسخة هى فى صفة هذا المار (فى خلقه) اى خلقته فى طلعته
(ولحيته قال) اى ابن ابى زيد (ولا تقبل توبته) اى وان تاب (وقد كذب لعنه الله) فان شمائله معروفة بالحسن والجمال
ونهاية الكمال وغاية الاعتدال فى الاحوال (وليس يخرج) اى ولا يظهر ما قاله هذا القائل بالبهتان (من قلب سليم
الايمان وقال احمد ابن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود يقتل) لانه عليه
الصلاة والسلام كان ابيض كانما صيغ من فضة على ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
وفى رواية مسلم والترمذى عن ابى الطفيل كان ابيض مليحا مقصدا وفى رواية البيهقى عن على كان بياضه مشربا
بحمرة وفى رواية الشيخين عن البراء كان احسن الناس وجها وفى رواية مسلم عن انس كان ازهر اللون هذا ولم يكن
تكفير هذا القائل بكذبه اذا كان جاهلا بامره وانما يكفر بقصده استحقاره (وقال) اى ابن ابى سليمان (فى رجل
قيل له) اى ردا لما قاله (لا وحق رسول الله قال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا) اى لا ينبغى
ان يذكر صريحا (فقيل له) انكارا عليه (ما تقول يا عدو الله فى حق رسول الله فقال اشد) اى كلاما اقبح (من كلامه
الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب) فانه ارسل من عند الحق وسلط على الخلق تأويلا للرسالة العرفية
بالارادة اللغوية وهو مردود عند القواعد الشرعية (فقال ابن ابى سليمان للذى سأله) اى استفتاه (اشهد عليه) اى
اثبت الامر لديه (وانا شريكك) اى فى الاجر المنسوب اليه (يريد) اى ابن ابى سليمان مشاركته (فى قتله وثواب ذلك)
واجر ما يترتب على ما هنالك (قال حبيب بن الربيع) اى ابن يحيى بن حبيب القروى (لان ادعاءه التأويل فى لفظ
صراح) بضم اوله ويكسر مبالغة صريح كعجاب وعجيب ومعناه خالص لا لبس فيه ولا قرينة تنافيه فيكون دعوى
مجردة خالية عن علامة (لا يقبل) اى ادعاؤه (لانه امتهان) اى احتقار له صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى والحال
ان صاحب هذا القال (غير معزر) بكسر الزاى قبل الراء اى غير مبجل (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا موقر له) اى ولا معظم لشانه حيث غير وصفه الخاص به واراد به حيوانا استحق مهانة (فوجبت اباحة دمه)
لتقصيره فى توقيره وقد قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه (وافتى ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية
(فى عشار) اى مكاس فى ظلم الناس (قال لرجل اد) بفتح همزة وتشديد دال مهملة مكسورة امر من التأدية اى اعط
(المكس واشك) بضم الكاف ويكسر اى واظهر الشكوى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بانى اخذت منك
والمعنى انى ما ابالى باطلاعه على ذلك وكان العشار جار على ذلك الرجل فى اخذ المكس فتضرر الرجل وقال اشكوك
الى النبى عليه الصلاة والسلام فقال له ما قال (وقال) اى العشار ايضا بعد ذلك (ان سألت) اى طلبت المال
(او جهلت) بعض الحال (فقد جهل) اى النبى ايضا (وسأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من الله ما لم يعلم
(بالقتل) متعلق بافتى اى بقتله للكلام الذى صدر عنه من كمال جهله ويؤيده انه روى عن مالك بن عتاهية قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا لقيتم عشارا فاقتلوه لان الغالب عليهم ان يستحلوه ويقدموا امر ملكهم
على حكم نبيهم (وافتى فقهاء الاندلس) بفتح الهمزة وضمها وفتح الدال وضم اللام (بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى)
بضم الطائين المهملتين وفتح اللام الاولى وسكون التحتية وكسر اللام الثانية بعدها ياء النسبة (وصلبه) بفتح الصاد
اى بجعله على جذع مع مد باعه (بما شهد عليه) بصيغة المجهول (به من استخفافه بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
ولعل تفسيره قوله (وتسميته اياه اثناء مناظرته) اى فى خلال مجادلته فى علم الكلام ومباحثته (باليتيم) احتقارا له
(وختن حيدرة) بفتحتين اى ابى فاطمة زوج على فان حيدرة بدال مهملة لقب على كرم الله وجهه وهو اسم الاسد
فى اصله وكان اسم على قبل ذلك اسد اسمته امه فاطمة بنت اسد باسم ابيها فى اول ولادته وابوه غائب فلما قدم من غيبته
سماه عليا ايماء الى رفعته وقيل حيدرة لقب له لحدارته وشدة حرارته وفى صحيح مسلم من انشاد على حين بارز مرحبا
يوم خيبر انا الذى سمتنى امى حيدره (وزعمه) اى ظن ابن حاتم ووهمه (ان زهده عليه الصلاة والسلام لم يكن قصدا) اى

اختيارا بل كان عجزا واضطرارا (ولو قدر) بفتح الدال وبكسر اى لو تمكن (على الطيبات اكلها) وهذا اجهل منه بحاله عليه الصلاة والسلام وبكماله فى هذا المقام حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار الفقر وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر ليكون مظهرا لنعت الجلال ووصف الجمال على ان اختيار الله لعبده خير من اختيار العبد لنفسه وقد اكل الطيبات بلا شبهة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وانما اراد الملعون الطعن فى زهده والقدح فى فقره مع انه محل فخره تواضعا لربه وانكسارا فى امره (الى اشباه لهذا) الاستخفاف والاستحقار فى حقه مما يكفى امر واحد منها فى تكفيره وقتله (وافتى فقهاء القيروان) بفتح القاف والراء بلد معروف ومنهم ابو زيد (واصحاب سحنون) بفتح السين وتضم ويصرف ولا يصرف (بقتل ابراهيم الفزارى) بفتح الفاء والزاى (وكان شاعرا متفننا) اى ماهرا (فى كثير من العلوم) ادبية وعقلية لا شرعية ونقلية ولذا وقع فى بلية جلية (وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس ابن طالب للمناظرة) فى العلوم والمباحثة (فرفعت) اى اثبتت (عليه امور منكرة من هذا الباب) اى باب الاستخفاف بعلى الجناب (فى الاستهزاء بالله) اى بكتابه وانبائه (وانبيائه) فى مقام ايحائه (ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) من عظمائه (فاحضر له) اى لاجل ابراهيم الفزارى (القاضى) وهو ابو العباس المذكور (يحيى بن عمر وغيره) بالنصب على المفعولية (من الفقهاء وامر) اى ابو العباس (بقتله وصلبه فطعن) بصيغة المجهول اى فضرب فى بطنه (بالسكين) حتى هلك (وصلب منكسا) رأسه لاسفل مدة (ثم انزل) من صلبه (واحرق بالنار) فى الدنيا قبل عذاب العقبى لزيادة السياسة (وحكى بعض المؤرخين انه) اى ابراهيم الفزارى المصلوب بعد قتله (لما رفعت خشبته) التى صلب عليها (وزالت عنها الايدى) الممدودة اليها (استدارت) اى الخشبة (وحولته عن القبلة) اى جهة الكعبة الى غيرها (فكان) تحويلها له عنها (آية للجميع) من الحاضرين (وكبر الناس) عليه من الاولين والآخرين (وجاء كلب) فى عقبه (فولغ) بفتح اللام وتكسر (فى دمه) اى شرب بلسانه منه لعظم جرمه (فقال) اى القاضى (يحيى بن عمر وصدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم) قال الحلبى يقال ولغ الكلب والسبع بفتح اللام فى الماضى وبكسرها والظاهر ان اللام فى المضارع مفتوحة فى اللغتين انتهى وفى القاموس ولغ الكلب فى الاناء وفى الشراب ومنه وبه يلغ كيهب وولغ كورث ووجل شرب ما فيه باطراف لسانه انتهى ولا يخفى انه اذا كان من باب ورث يقع مضارعه بكسر اللام كيرث فيجوز الوجهان والله تعالى اعلم هذا وقال الدلجى الحديث لا اعلم من رواه والظاهر انه لا اصل له مع ما فيه من ركة التركيب انتهى ولا يخفى انه لا ركاكة فيه من جهة المبنى لان الولوغ يتعدى بفى ومن والباء على ما تقدم واما من جهة المعنى فلعله استدل بثبوته على وقوعه فى قضيته كما حكى عن ابن عربى انه قال بلغنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة غفر له وكنت ذكرت هذا العدد وما عينته لاحد حتى اجتمعت فى ضيافة مع شاب مشتهر بالمكاشفة فبكى اثناء اكله فسألته عن حاله فقال ارى امى وابى يعذبان فقلت فى نفسى وهبت ثواب التهليل الجليل لميت هذا الرجل الجميل فضحك فسألته فقال ارتفع عنهما العذاب فعرفت صحة الحديث بكشفه وصحة كشفه بثبوت الحديث واصله (وقال القاضى ابو عبد الله المرابط) بصيغة الفاعل وهو محمد ابن خلف بن سعيد بن وهب مات بعد الثمانين واربعمائة (من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هزم) بصيغة المجهول (يستتاب) يطلب منه رجعته (فان تاب قبلت توبته والا) اى وان لم يتب (قتل) لما اقتضته ردته (لانه) اى قوله هزم (تنقص) فى مرتبته (اذ لا يجوز ذلك) اى وقوع هزيمته (عليه فى خاصته) اى خاصة نفسه كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام) لبراءة ساحته من الهزيمة عن مقام طاعته (اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته) ففى حديث مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبراء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واحفادهم وهم حسر ليس عليهم سلاح او سلاح كثير فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء الحديث وكذا رواه البخارى وزاد عن ابى اسحق قال البراء كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه اى يقابله عليه الصلاة والسلام وكذا روى عن على كرم الله وجهه واما خروجه عليه الصلاة والسلام من البلد الحرام فانما كان بامر الله سبحانه بالهجرة الى دار السلام بل قيل انه فرض عليه الجهاد ولو لم يوافقه احد من العباد فى البلاد كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والله سبحانه وتعالى اعلم بالاسرار قال الحلبى واذا كان قوله هزم تنقصا فينبغى ان يقتل حدا عندهم وان تاب لان هذا هو المعروف من مذهبهم ولعل هذا اختيار لابن المرابط (وقال حبيب بن ربيع القروى) بفتح القاف والراء نسبة الى القرية او الى القيروان على غير قياس

(مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (ما فيه نقص) اى قدح وطعن (قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا) اى ملوحا (او مصرحا وان قل) الاذى وان كثر بالاولى (فقتله واجب فهذا الباب) اى باب ما يؤذى ذلك الجناب (كله مما عده العلماء سبا) اى شتما وطعنا (وتنقصا) اى قدحا وفى نسخة او تنقصا اى اظهار نقص فى كماله (يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متأخرهم) اى من المالكية (وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه) انه هل يستتاب اولا وهل اذا تاب يترك او يقتل حدا اولا يستتاب ويقتل كالزنديق والله تعالى ولى التوفيق (ونبينه بعد) اى نظهر تفصيله بعد ذلك على وجه التحقيق ثم اعلم ان فصل الخطاب فى هذا الباب ان هذا كله اذا صدر عنه تعمدا ولو هزلا بخلاف ما اذا جرى على لسانه سهوا او خطأ او اكراها لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقد صرح قاضيخان من ائمتنا فى فتاواه بان الخاطئ اذا جرى على لسانه كلمة الكفر خطأ لم يكن ذلك كفرا عند الكل بخلاف الهازل لانه يقول قصدا انتهى ثم انه لا يعذر بالجهل عند عامة اهل العلم خلافا لبعضهم ثم اعلم ان المرتد يعرض عليه الاسلام عند علمائنا الاعلام على سبيل الندب دون الوجوب لان الدعوة بلغته وهو قول مالك والشافعى واحمد ويكشف عن شبهته فان طلب ان يمهل فى مدته حبس ثلاثة ايام لانها مدة ضربت لاجل الاعذار فان تاب قبل والا قتل وفى النوادر عن ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله يستحب ان يمهل ثلاثة ايام طلب ذلك او لم يطلب وفى اصح قولى الشافعى انه يستتاب فى الحال والا قتل وهو اختيار ابن المنذر وقال الثورى يستتاب ما يرجى عوده وفى المبسوط من كتب مذهبنا انه ان ارتد ثانيا وثالثا فكذلك يستتاب وهو قول اكثر اهل العلم ويشير اليه قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى ان قال ولم يصروا على ما فعلوا ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة فان الحكم فى المعصية الصغرى والكبرى واحد فقد قال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال مالك واحمد لا يستتاب من تكرر منه كالزنديق ولعلهم تعلقوا بظاهر قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واوله المحققون بكونهم لا يتوبون او يكون توبتهم لا تكون الا نفاقا لا ارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فى لن تقبل توبتهم فان المبتدأ لا يكون سببا للخبر بل النفاق سبب له وقيل لن تقبل توبتهم اذا اشرفوا على الموت ففيه الحث على التوبة قبل الفوت وقيل نزل فيمن مات منهم كافرا كما بينه بعده بقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية او الاية السابقة مختصة بالزنديق والله ولى التوفيق ثم لنا فى الزنديق روايتان رواية لا تقبل توبته كقول مالك وفى رواية تقبل وهو قول الشافعى وهذا فى حق احكام الدنيا واما فيما بينه وبين الله تعالى فتقبل بلا خلاف وعن ابى يوسف اذا تكرر منه الارتداد يقتل من غير عرض الاسلام عليه لاستخفافه بالدين الواجب اكرامه اليه (وكذلك اقول حكم من غمصه) اى عابه (او عيره) بتشديد الياء اى احتقره (برعاية الغنم) اى برعيها بالاجرة وسيأتى تفصيل هذه القصة (او السهو والنسيان) مع انهما ثابتان عنه الا انه انما يكفر لاجل التعيير وسبب التحقير (او السحر) اى بالسحر وهو ظاهر فى الكفر (او ما اصابه) اى وبما نابه (من جرح) بضم الجيم ويفتح اى جراحة مع انه عليه الصلاة والسلام كسرت رباعيته وشج وجهه فكفر القائل انما هو لتعييره به وتنقيصه بسببه وكذا قوله (او هزيمة لبعض جيوشه) فانه هزم بعض اصحابه فى احد وحنين (او اذى من عدوه او شدة من زمنه) اى على وجه التعيير به (او بالميل الى نسائه) ففى المعالم فى قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحده حسدوه على ما احل الله له من النساء وقالوا ماله هم الا النكاح قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كداود وسليمان فانه كان لسليمان الف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا تسع نسوة انتهى وقد صرح بعض علمائنا ان من تزوج اربعا وتسرى الفا وعيره احد وذمه به يكفر لانه بمنزلة تحريم ما احل الله سبحانه وتعالى (فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك) اى من اختلاف فهم هنالك هل يستتاب ام لا (ويأتى ما يدل عليه) من الجواب على وجه الصواب

(فصل)

(فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه الصلاة والسلام) من الكتاب والسنة واجماع الامة (فمن القرآن لعنه تعالى) اى لعن الله كما فى نسخة (لمؤذيه) اى لمؤذى نبيه (فى الدنيا والآخرة) ظرف لعنه (وقرانه تعالى) اى وجمعه

سبحانه (اذاه) اى اذى رسوله (باذاه) اى باذى نفسه (ولا خلاف فى قتل من سب الله) اى عمدا من غير خطأ واكراه وانما
الخلاف فى انه هل يستتاب ام لا (وان اللعن) اى الطرد الكلى من رحمة الله (انما يستوجبه من هو كافر) واما ما ورد من
لعن اصحاب الكبائر وارباب الصغائر كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله آكل الربا ونحوه ولعن الله المحلل والمحلل له
وامثاله فهو لعن دون لعن والحاصل ان اللعن المطلق ينصرف الى الفرد الاكمل واغرب الدلجى فى هذا المحل حيث قال
بخلاف المؤمن فان لعنه كقتله كما ورد وفى رواية لعنه فسوق اذ ليس الكلام فى من لعن مؤمنا بل الكلام فيما اذا وقع
لعن الله على احد فانه ان لم يكن مؤمنا فهو كافر واما اذا وقع على مؤمن فالمراد زجره (وحكم الكافر القتل) اذ لم يكن
معصوم الدم (فقال) اى الله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وقد سبق بيان اذاهما وقيل ذكر الله تعالى
تعظيم وتمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام (الاية) اى لعنهم الله فى الدنيا والآخرة اى ابعدهم من رحمته الخاصة فيهما
واعد لهم عذابا مهينا وحجابا مبينا (وقال) اى الله تعالى (فى قاتل المؤمن مثل ذلك) اى نظير ما هنالك حيث قال
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لكن اللعن
الموجب للكفر انما يكون اذا استحل قتل المؤمن او قتله لكونه مؤمنا والا فهو محمول على الزجر كما ان خالدا مأول بمدة
مديدة (فمن لعنته فى الدنيا القتل) اى اما قصاصا واما حدا (قال الله تعالى) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم
مرض اى شك وشبهة والمرجفون فى المدينة بالاخبار السيئة لنغرينك بهم اى لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا اى زمانا قليلا فهددهم بالبعد عن حضرة حبيبه وعدم المجاورة فى مكان قربه الموجب للبعد عن رحمته
والطرد من جنته وهذا معنى قوله (ملعونين) بالنصب على الحال (اينما ثقفوا) اى وجدوا وادركوا (اخذوا) اى
امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى اشد انواع القتل وافظعها ليعتبر غيرهم ويقوموا بحق النبى كما يجب له توقيرا وتبجيلا
(وقال) اى الله (فى المحاربين) اى قطاع الطريق على سيارة المسلمين (وذكر عقوبتهم) بقوله انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا ان اقتصروا على القتل او يصلبوا ان جمعوا بين اخذ المال وقتل
النفس او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على اخذ المال او ينفوا من الارض بالاخراج او الحبس ان
اقتصروا على الاخافة (ذلك) اى ما ذكر من قتل وغيره (لهم خزى) اى ذل وفضيحة (فى الدنيا) ولهم فى الاخرة عذاب
عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وحاصله ان اللعن قد يجيء بمعنى القتل
على ان صاحب اللعن يستحق القتل (وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون) اى لعن الكذابون
المقدرون المفترون (وقاتلهم الله) اى اليهود والنصارى وامثالهم (أنى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن الحق مع
ظهور امره وعلو نوره (اى لعنهم الله تعالى) اى ابعدهم عن مقام حضوره (ولانه) اى الله تعالى (فرق بين اذاهما)
والتقدير لان الله سبحانه وتعالى فرق بين اذاهما اى اذى الله ورسوله بان فى اذاهما الكفر والقتل وفى اذى
المؤمنين القتل والضرب بحسب اختلاف الاذى حيث قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وفى اذى المؤمنين ما دون القتل) اى ان لم يكن الاذى بالقتل ونحوه
مما يستحق القتل (من الضرب والنكال) اى العقوبة التى هى العبرة لغيره فى الاستقبال (فكان حكم مؤذى الله ونبيه)
بخصوصه او عموم جنسه (اشد من ذلك) اى من اذى المؤمنين (وهو) اى حكمه الاشد (القتل) لمؤذيهما والكفر
فى متنقصهما (وقال تعالى فلا) اى فليس الامر كما يزعمون (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما
شجر بينهم) اى فيما اختلفوا فيما بينهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا الاية) اى ضيقا وشكا مما قضيت اى حكمت
بينهم سواء لهم او عليهم ويسلموا تسليما اى ينقادوا انقيادا تاما لحكمك ظاهرا وباطنا دائما (فسلب) اى نفى الله
(اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه) بعدم انقياده ولم يسلم له امره باذعانه وفق مراده (ومن تنقصه فقد
ناقض هذا) اى عارض ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه كيف ما جاء واسعا او ضيقا (وقال تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) تعظيما لقدره وتكريما لامره ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض (الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل
العمل فان المعاصى سواء الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند اهل السنة والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون
الا اذا تضمن رفع الصوت خفض حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفاف منصبه وهذا معنى قوله (ولا يحبط
العمل الا الكفر) بمجرد تحققه ولو رجع الى الاسلام عند اكثر علماء الاعلام (والكافر يقتل) بالارتداد بعد استتابته
اى بدونها على خلاف لارباب الاجتهاد (وقال تعالى واذا جاؤك) اى اليهود والمنافقون (حيوك) اى سلموا عليك
(بما لم يحيك به الله) اى بلفظ لم يأمر الله تعالى به فيقولون السام عليك والسام الموت ويقولون فى انفسهم اى

فى صدورهم او فيما بينهم من تحيرهم لولا يعذبنا الله بما نقول واقول قد عذبهم الله تعالى بعين المقول وان لم يدركوه
بالعقول (ثم قال حسبهم جهنم) اى كافيهم عذابها فى العقبى ولو امهلناهم لحكمة فى الدنيا (يصلونها) اى يدخلونها
ويحرقون بها او يخلدون فيها (فبئس المصير) اى المرجع هى لهم ولامثالهم فى مآلهم (وقال تعالى ومنهم) اى من
المنافقين (الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن) بضمتين وبسكون ثانيه الجارحة المعروفة والمراد به هنا المستمع
القائل لما يقول له كل احد قال تعالى ردا عليهم قل اذن خير لكم اى نعم هو اذن ولكن نعم الاذن هو يؤمن بالله
اى بوجوده وجوده ويؤمن للمؤمنين اى يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ورحمة للذين آمنوا منكم خاصة
وللخلائق عامة (ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) وعقاب مقيم (وقال تعالى ولئن سألتهم) اى المنافقين
وهم سائرون معه فى غزوة تبوك عن قولهم فى حقه انظروا هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه بالتمام
هيهات هيهات من هذا المرام (ليقولن) فى مقام الانكار على وجه الاعتذار (انما كنا نخوض ونلعب) فيما يخوض
فيه الركب ليقصر السفر ويخف التعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا باعتذاراتكم الكاذبة
(الى قوله قد كفرتم) سرا (بعد ايمانكم) ظاهرا (قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم) ما لا يليق بجنابه المكرم (واما الاجماع فقد ذكرناه) وهو اقوى الحجج فى مقام النزاع (واما الاثار) اى
الاحاديث والاخبار (فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون) بفتح معجمة وسكون لام وهو منصرف وقد
يمنع على مذهب ابى على الفارسى كما قدمناه (عن الشيخ ابى ذر الهروى) بفتح الهاء ويكسر (اجازة قال حدثنا
ابو الحسن الدارقطنى وابو عمر بن حيويه) بمهملة مفتوحة وتشديد تحتية مضمومة فواو ساكنة فتحتية وفى نسخة
حيوة بفتحتين بينهما ساكن وهو ابو عمر محمد بن زكريا الخزاز بزايين لعمله الخز (قالا) كلاهما (ثنا محمد بن نوح ثنا
عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة) بفتح الزاى وتخفيف الموحدة المدنى من أئمة الحديث ومصنفيهم قال ابن حبان
يأتى عن المدنيين بالاشياء المعضلات فبطل الاحتجاج به ذكره الذهبى فى الميزان على ما قاله الحلبى (ثنا عبد الله بن
موسى بن جعفر) قال الحلبى يحتمل ان يكون هذا عبد الله بن موسى الهاشمى فان كان هو يروى عن الحسن بن الطيب
والبغوى وطبقتهما وعنه ابو محمد الخلال والتنوخى قال ابن ابى الفوارس فيه تساهل شديد وقال البرقانى ابو العباس
الهاشمى ضعيف وله اصول رديئة وقال ابو الحسن ابن الفرات ثقة مات سنة اربع وسبعين وثلثمائة كذا ذكره الذهبى
فى الميزان فان كان هذا هو فهو لم يدرك على بن موسى يعرف ذلك بالنظر فى تاريخ موتهما فيكون الحديث منقطعا قال
وان لم يكن هو فلا اعرفه والله اعلم (عن على بن موسى) هو الرضى العلوى يروى عن ابيه وعمه وعنه ابو عثمان المازنى
وعبد السلام بن صالح وعدة مات بطرسوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة اخرج له ابن ماجه فقط تكلموا
فيه قال ابن طاهر يأتى عن ابيه بعجائب قال الذهبى انما الشأن فى ثبوت السند والا فالرجل قد كذب عليه ووضع
عليه نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق (عن ابيه) ابوه هو موسى بن جعفر بن محمد العلوى الكاظم روى
عن ابيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسماعيل وحسين
وصالح قال ابو حاتم ثقة امام توفى فى حبس الرشيد ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ومات سنة ثلاث وثمانين
ومائة اخرج له الترمذى وابن ماجه وكان من الاجواد الحكماء ومن العباد الاتقياء وله مشهد معروف ببغداد
وحديثه قليل جدا (عن جده) وهو جعفر بن محمد الصادق (عن محمد بن على بن الحسين) هو ابو جعفر الباقر (عن ابيه)
اى على بن الحسين زين العابدين (عن الحسين بن على) اى ابن ابى طالب (عن ابيه) امير المؤمنين (ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه) قال الحلبى الحديث هذا ليس
فى الكتب الستة قلت الحديث قد ساقه القاضى بسنده من طريق الدارقطنى وهو امام جليل من اهل السنة وقد
رواه الطبرانى فى الكبير ايضا لكنه بسند ضعيف عن على رضى الله عنه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد
ورواه ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد
والحاكم فى مستدركه من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى وفى حاشية التلمسانى عن على رضى الله عنه
قال لا أوتى بمن فضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى (وفى الحديث الصحيح) الذى رواه البخارى وغيره
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف) من يهود خيبر (وقوله) بالرفع عطف على ان النبى
اى وفى الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام وفى اصل الدلجى وفى الحديث الصحيح امر النبى بصيغة المصدر فقال
وقوله عطف على امر النبى (من لكعب بن الاشرف) اى من يتصدى لقتله (فانه) كما رواه الشيخان عن جابر (يؤذى)
وفى رواية لمه آذى (الله ورسوله ووجه) بتشديد الجيم اى ارسل (اليه من قتله) وهو محمد بن مسلمة وقد خرج معه

سلمان بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس بن جبير وهؤلاء الخمسة كلهم من الاوس وكان
خروجهم اليه لاربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه الصلاة
والسلام (وكان قتله غيلة) بكسر المعجمة اى خفية ومخادعة وحيلة والقضية مشهورة وفى كتب السير مسطورة
(دون دعوة) واستتابة لسبق الدعوة وعدم المنفعة (بخلاف غيره) اى غير كعب (من المشركين) فان قتله كان بعد
دعوته له الى الاسلام رجاء ان يرجع الى طريق دار السلام (وعلل) اى النبى عليه الصلاة والسلام فى قتله (باذاه له)
كما تقدم (فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى) وفيه ان ذلك الاذى كان نوعا من الاشراك اذ لم يثبت له ايمان
سابق واذى لاحق ليكون دليلا على ما نحن فيه فانه لعنه الله قد جمع بين الكفر بالله والقدح فى امر رسول الله فتقدير
كلام المصنف لغير الاشراك وحده بل للاذى معه (وكذلك) اى ومثل ما قتل كعبا فى الجملة (قتل ابا رافع) اى الاعور
سلام بتخفيف اللام وقيل بتشديدها وهو ابن ابى الحقيق وكان يهوديا بخيبر قاله البخارى فى صحيحه وزاد وقيل
هو حصن بارض الحجاز (قال البراء) اى ابن عازب (وكان) اى ابو رافع (يؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويعين) اى اعداءه (عليه) روى انه استأذن نفر من الخزرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتل ابى رافع فاذن
فخرج خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن انيس وابو قتادة ابن ربعى وخزاعى بن اسود
وحليف لهم من اسلم وامر عليهم ابن عتيك وذلك فى شهر رمضان سنة ست (وكذلك امره يوم الفتح) اى فتح مكة
(بقتل ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة واختلف فى اسمه رواه ابن ابى اسحق والبيهقى عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن
حزم مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ امر بقتل ابن خطل وفى الترمذى وهو متعلق باستار الكعبة واختلف
فى قاتله والظاهر اشتراكهم فى قتله (وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام) وهما سارة وفرتنا
بالفاء والتاء والنون واسلمت فرتنا وأمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رضى الله عنه ثم وطئها فرس فقتلها ذكره
السهيلى وقال ابو الفتح اليعمرى واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما واستأمنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الاخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ذكره الحلبى فحيث ما صح قتلهما ولا قتل
احداهما لاختلاف وقع فيهما فلا يرد على ابى حنيفة انه لم يحكم بقتل المرتدة مع انهما لم يعرف اسلام سابق لهما
وروى ابو داود والبيهقى عن سعد ابن ابى وقاص لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الناس الا اربعة وامرأتين ذكره الدلجى ولم يبين انهما قتلتا ام لا ولعلهما الجاريتان والله تعالى اعلم (وفى
حديث آخر) قال الدلجى لا ادرى من رواه (ان رجلا كان يسبه عليه الصلاة والسلام) قال الحلبى هذا الرجل
لا اعرف اسمه وقال التلمسانى هو الحويرث بن نقير وهو الذى نخس بزينب ابنته عليه الصلاة والسلام حين
ادركها فسقطت من دابتها والقت جنينها (فقال من يكفينى عدوى) اى شره وفى اصل التلمسانى يكفى
على ان من شرطية قال وروى يكفينى بالرفع اى باثبات الياء وهو اما على لغة الم يأتيك والانباء تنمى وقيل اشباع
وقيل من موصولة فيها معنى الشرط (فقال خالد انا فبعثه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل
جماعة) وقد تصحف على الحلبى بقوله وكذلك لم يقل بضم المثناة تحت اوله ثم قاف مكسورة وهذا ظاهر انتهى
وهو خطأ باهر كما لا يخفى وقد تبعه الانطاكى والدلجى ضبطه بضم اوله وكسر ثانيه من اقال عثرته اى هلكته
وتبعهما التلمسانى فى ضبط مبناه وقال معناه انه لم يترك جماعة انتهى ولا يخفى انه لم يثبت عن احد من الجماعة انه
رجع ولم يقبل عليه الصلاة والسلام رجعته حتى يصح نفى الاقالة فتأمل ولا يغرك كثرة القائلين الغافلين بل امر
بقتل جماعة غير تائبة (ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث) وهو القائل من كمال تعصبه فى مذهبه
وحماقته فى مشربه اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو النضر
ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى اخذ اسيرا يوم بدر وبالصفراء امر
عليه الصلاة والسلام عليا فقتله وهذا هو الصواب واما ابن منده وابو نعيم فغلطا فيه غلطين احدهما انهما قالا
فى نسبته كلدة بن علقمة وانما هو بالعكس ذكره الزبير بن بكار وابن الكلبى وخلائق وثانيهما انهما قالا ان النضر بن
الحارث شهد حنينا معه عليه الصلاة والسلام واعطاه مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة وعزوا ذلك الى ابن اسحق
وهذا غلط باجماع اهل المغازى والسير وقد اطنب ابن الاثير فى تعليقهما والرد عليهما انتهى وقد ذكر ذلك الشيخ محيى
الدين عنه وكذا الذهبى فى التجريد على ما قاله الحلبى والله سبحانه وتعالى اعلم (وعقبة ابن ابى معيط) بضم الميم
وفتح العين المهملة وسكون التحتية وطاء مهملة وهو ابان بن ذكوان بن امية بن عبد شمس بن مناف القرشى اسره
عبد الله بن سلمة بكسر اللام يوم بدر فلما انصرف عليه الصلاة والسلام من بدر وكان بعرق الظبية امر بقتله عاصم بن

ثابت

ثابت الانصارى وقيل عليا فقال حين قتله من للصبية يا محمد قال النار او قال الى من الصبية يا محمد قال الى النار
(وعهد) اى وصى (بقتل جماعة منهم) اى ممن كان يؤذيه (قبل الفتح وبعده فقتلوا) اى من عهد بقتله (الا من بادر
باسلامه قبل القدرة عليه) مثل كعب ابن زهير بن ابى سلمى بضم السين صاحب قصيدة بانت سعاد وقصته معروفة
(وقد روى البزار) بسند ضعيف (عن ابن عباس ان عقبة ابن ابى معيط نادى باعلى صوته يا معشر قريش) وروى
يا معشر قريش وهم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا باسم دابة فى البحر تأكل حيوانه وقد قيل فيها

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك يوما لذى جناحين ريشا

(مالى اقتل) بصيغة المجهول (من بينكم صبرا) اى محبوسا ومأخوذا من غير محاربة فى المعركة (فقال له النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بكفرك) اى اولا (وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ثانيا اهانة له واحتقارا
(وذكر عبد الرزاق) فى جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا (ان النبى صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من
يكفينى عدوى) بدفع شره عنى (فقال الزبير انا فبارزه) اى الزبير او هو (فقتله الزبير وروى ايضا) فى جامعه عن عروة عن
رجل من اليمن (ان امرأة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفينى عدوتى فخرج اليها خالد بن الوليد
فقتلها) وروى ابن ابى شيبة عن الشعبى ان رجلا من المسلمين كان يأوى الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه وتحسن اليه
ولا تزال تؤذيه فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها فى ليلة من الليالى خنقا فرفع ذلك له عليه الصلاة
والسلام فاخبره الرجل بانها كانت تؤذيه فيه وتسبه وتقع فيه فقتلها لذلك فاهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمها
(وروى) كما فى جامع عبد الرزاق (ان رجلا كذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه)
كذا روى مختصرا وروى البيهقى عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم امرنى ان تزوجونى فلانة فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال
اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه آخر موصولا
عن عطاء ابن السائب عن عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذى كذب جدجد الجندى كذا ذكره الدلجى وقال
الحلبى هذا الرجل لا اعرف اسمه اقول من حفظ حجة على من لم يحفظ (وروى ابن قانع) بقاف ونون وهو عبد الباقى بن
قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ ابو الحسين الاموى (ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابى يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك) اى لم يصعب امره (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال
الحلبى هذا الرجل وابوه لا اعرفهما (وبلغ المهاجر) بالنصب (ابن ابى امية امير اليمن) نيابة (لابى بكر رضى الله
عنه) والمعنى وصله (ان امرأة) وفى نسخة بتشديد لام بلغ ورفع المهاجر اى اوصل لابى بكر ان امرأة (هنالك)
اى فى اليمن (فى الردة) اى فى حالها او لاجلها (غنت) بتشديد النون اى تغنت وتغوت (بسب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فقطع) اى المهاجر (يدها) وفى نسخة يديها وفى نسخة ثديها (ونزع ثنيتها) وكان الانسب قطع لسانها
اوقع وجودها وشأنها (فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء) اى تعزيرتنقصهم
(ليس يشبه الحدود) المترتبة على اسبابها بالنسبة الى غيرهم فان القتل متعين الا فى المرأة لاختلاف فيها والحديث
رواه ابن سعد وابن عساكر والمهاجر هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى كان اسمه الوليد فكرهه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه المهاجر وهو اخو ام سلمة ام المؤمنين ارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميرى باليمن ثم استعمله على صدقات كندة فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسر
اليها فبعثه ابو بكر الى قتال من باليمن من المرتدين فاذا فرغ سار الى عمله فسار الى ما امره به ابو بكر وهو الذى فتح حصن
النجير بحضرموت زمن ابى بكر مع زياد بن لبيد الانصارى وله فى قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة رضى الله تعالى عنه
(وعن ابن عباس) قال الدلجى لا اعرف من رواه (هجت امرأة من خطمة) بفتح معجمة وسكون مهملة قبيلة والمرأة
عصماء بنت مروان ابن ابى امية ابن زيد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لى بها) اى من يقوم لاجلى بقتلها
(فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض) اى فقام (فقتلها) وهو عمير بن عدى بن خرشة الخطمى (فاخبر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المجهول (فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان) بفتح مهملة
فسكون نون فزاى وهو تثنية عنز اى لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع كنطاح التيوس والكباش وهذا من الكلام الذى
لم يسبق اليه احد من الانام وصار هذا مثلا فى تحقير الامر وانه لا يكون فيه مكروه وان قل او معناه ان امرها هين
لا يتكلم فيها ولا يطالب دمها لفعلها القبيح الدال على كفرها الصريح او معناه انه لا يحصل فى قتلها ما يثير فتنة

من قبلها وان ايسر الاشياء ان ينتطح عنزان وهو فى قتلها غير موجود وقيل العنزان لا ينتطحان وانما ينتطح التيسان والمعنى لا توجد فيها فتنة البتة وروى ان قاتلها صلى الفجر بالمدينة بعد قتلها فقال عليه الصلاة والسلام قتلت ابنة مروان قال نعم فهل علىّ فى ذلك شئ فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان وارسلته العرب مثلا يضرب فى امر هين لا يكون له تعيير ولا نكير قال الحافظ واول من تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم قاله حين قتل عمير بن عدى عصماء (وعن ابن عباس) كما رواه ابو داود والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه عنه (ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها) اى ينهاها الاعمى (فلا تنزجر) بقوله لها (فلما كانت ذات ليلة) اى ساعة من ساعاتها (جعلت) اى اخذت وشرعت (تقع فى النبى) اى فى عرضه (صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه) بكسر العين وضمها اى تسبه كما فى نسخة (فقتلها واعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها) قال الحلبى وهذه المرأة وزوجها الاعمى لا اعرفهما الآن وفى الصحابة جماعة عميان غير ان الامام السهيلى ذكر فى اواخر روضه فى مقتل عصماء بنت مروان قال وكانت تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها ادعاها على ذلك الى ان قال ووقع فى مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائظ فى مسجد بنى خطمة فاهدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمها قال ولم ينتطح فيها عنزان انتهى وقد ذكر ابن سعد فى سيرته ان عصماء بنت مروان من بنى امية بن زيد كانت عند يزيد بن فريد بن حصن الخطمى وكانت تعيب الاسلام وتؤذى النبى عليه الصلاة والسلام وتحرض عليه الانام وتقول الشعر فيه من نظم الكلام فجاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه فى صدرها فجسها بيده ونحى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها وكان ضرير البصر الى آخر القصة فعمير ليس بزوجها وزوجها يزيد بن فريد بن حصن صحابى ولا اعلمه فى العميان (وفى حديث ابى برزة) بفتح الموحدة فسكون راء فزاى (الاسلمى) على ما رواه ابو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقى فى سننه (قال كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق) رضى الله عنه (فغضب على رجل من المسلمين) اى ممن اغضبه عليه بسبب اوبسبب آخر (وحكى القاضى اسماعيل) اى ابن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد المالكى البغدادى الحافظ (وغير واحد من الائمة فى هذا الحديث) اى فى سبب ورود حديث ابى برزة (انه) اى الرجل (سب ابا بكر) ورواه النسائى (وهو لاحد الائمة السنة (اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل) اى فى القول (فرد) اى الرجل (عليه) اى على ابى بكر (قال) اى قال ابو برزة (فقلت يا خليفة رسول الله دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم وقيل بالرفع (عنقه) اى بسببه لك كما فى نسخة وكأنه قام مهتما بامره (فقال اجلس فليس ذلك) اى قتل مثله لاحد (الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) كاخوته من الانبياء لاشتراكهم فى بعث النبوة وصفة الرسالة بخلاف غيرهم من آحاد الامة ولو كانوا من اكابر الائمة هذا والحديث رواه النسائى من طرق بالفاظ متعددة منها ما تقدم ومنها تغيظ ابو بكر على رجل ومنها مر رث على ابى بكر وهو متغيظ على رجل من الصحابة ومنها غضب ابو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغير لونه ومنها كنا عند ابى بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جدا ورواه ابو داود ايضا ولفظه عن ابى برزة كنت عند ابى بكر فتغيظ على رجل فاشتد عليه (قال القاضى ابو محمد ابن نصر) ومن كلامه فى ايامه حال ضيق مرامه

بالهف قلبى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذن من اسعد البشر
كفاف عيش يقينى ذل مسألة * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

(ولم يخالف عليه احد) يعنى فصار اجماعا انه لا يقتل مسلم بسب صحابى وينبغى ان لا يكون فيه خلاف اذ لو قتل احد ابا بكر لم يكفر اتفاقا فكيف اذا سبه احد ومن المعلوم ان جناية السب دون جناية القتل وانما جوز بعض اصحابنا الحنفية قتل من سب اكابر الصحابة على وجه الزجر والسياسة واما ما نقلوه فيه من حديث سب الشيخين كفر فلا اصل له وعلى تقدير صحة ثبوته فيجب تأويله كحديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر اى قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او كفر النعمة او محمول على استحلال المعصية او عدم سبهم عبادة وامثال ذلك والله تعالى اعلم بحقيقة ما هنالك (واستدل) وفى نسخة فاستدل (الائمة) اى علماء الامة (بهذا الحديث) المروى عن ابى برزة المنتهى الى ابى بكر الصديق (على قتل من اغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه او آذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة) قال الحلبى هذا الرجل لا اعرفه وقال التلمسانى هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (وقد استشاره) اى ذلك العامل عمر بن عبد العزيز (فى قتل رجل سب عمر رضى الله عنه) الظاهر ان المراد به ابن الخطاب لانه الفرد الاكمل فى هذا الباب ولا يبعد ان يراد به عمر بن عبد العزيز (فكتب اليه عمر) اى ابن عبد العزيز (انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس) ولو بلا موجب وسبب (الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فن سبه فقد حل دمه) اى اجماعا وذلك لخروجه عن دينه قطعا (وسأل الرشيد) وهو هارون بن محمد المهدى ابن ابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد بويع له سنة سبعين ومائة فى الليلة التى مات فيها اخوه الهادى لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وحج بالناس ست حجات ولم يزل والياالى ان مات بطوس من خراسان وهناك قبره وذلك ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما وكان يحج عاما ويغزو عاما وهو آخر خليفة حج فى خلافته وحج بعده كثير من قبل ولايتهم والحاصل انه سأل (مالكا) امام المذهب ما تقول (فى رجل شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بخصوصه او احدا من جنسه (وذكر له) اى الرشيد (ان فقهاء العراق) اى الكوفة او البصرة او فقهاء العجم (افتوه) اذ سألهم عنه اجابوه (بجلده) اى بضربه حد الشتم (فغضب مالك) لفتواهم بذلك (وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة) على الجادة (بعد شتم نبيها) بهذه المثابة من عدم التفرقة بينه وبين غيره فى تفاوت الرتبة (من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احدا منهم (جلد) اى ضرب جلد الفرية (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (كذا وقع فى هذه الحكاية) اى ان فقهاء العراق افتوا الرشيد بجلده (رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك) ممن اعتنى بجمعها وفى نسخة ممن ذكر مناقب مالك (ومؤلفى اخباره وغيرهم) من رواة سيره وآثاره (ولا ادرى من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر) من انه يجلد ولا يقتل (وقد ذكرنا مذهب العراقيين) وفى نسخة مذاهب العراقيين (بقتله ولعلهم) اى من افتاه بجلده دون قتله (ممن لم يشتهر) وفى نسخة ممن لم يشهر (بعلم) وهذا بعيد جدا وكذا قوله (او ممن) وفى نسخة او من (لا يوثق بفتواه او يميل به هواه) فان مثل هؤلاء لا ينقل الرشيد عنهم فيتعين قوله (او يكون ما قاله) اى نقله الرشيد (يحمل على غير السب) الموجب لقتله (فيكون الخلاف) جاريا فيه (هل هو سب) فيقتل (او غير سب) فيجلد (او يكون) اى الساب (رجع وتاب عن سبه) وفى نسخة من سبه وهذا هو الاظهر لانه الموافق لمذهب الكوفيين على ما تقرر (فلم يقله) اى لم يقله الرشيد (لمالك) فلم يقله مالك (على اصله) اى حقيقة وقوعه (والا فالاجماع على قتل من سبه) اى فى الجملة (كما قدمناه) وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته بل يجب او يستحب ان يستتاب والله تعالى اعلم بالصواب (ويدل على قتله من جهة النظر) اى نظر العقل (والاعتبار) اى طريق القياس (ان من سبه او تنقصه عليه الصلاة والسلام) كغيره من الانبياء الكرام (فقد ظهرت علامة مرض قلبه) اى من سوء اعتقاده بربه (وبرهان شر طويته) اى ودليل خبث باطنه وفى نسخة وبرهان لسوء طويته اى فساد نيته (وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة) الصواب ما قاله التلمسانى ان ما زائدة او موصولة بخلاف قول الدلجى حيث جعلها نافية وقال لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا انتهى وهو خلاف مذهبهم لانهم قالوا بكفره قطعا الا انهم يقبلون التوبة منه خلافا لمالك على ما تقدم ويدل عليه قوله (وهى) اى الردة (رواية الشاميين عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين) اى وسائرهم (والقول الآخر) اى الرواية الاخرى عن مالك (انه) اى سبه (دليل على الكفر) اى بحسب ظاهر الامر (فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر) قطعا وقال التلمسانى ومعناه انه مسلم انتهى فيتفرع عليه انه يغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ونحو ذلك (الا ان يكون متماديا) اى مصرا مستمرا (على قوله غير منكر له) اى لمضمونه (ولا مقلع عنه) بتركه (فهذا كافر) وفى نسخة كفر اى بلا خلاف فقتله يكون كفرا كالزنديق لا حدا كالمرتد عنده (وقوله) اى الذى تمادى منه (اما صريح كفر كالتكذيب) به عليه الصلاة والسلام او بما جاء به عن ربه (ونحوه) كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور والظلم اذ امره بالسجود لادم عليه السلام زاعما انه خير من آدم (او من كلمات الاستهزاء والذم) مما هو غير صريح كفر فى مقام الفهم (فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو) اى استحلال المعصية (كفر ايضا فهذا) المستحل (كافر بلا خلاف) اى اذا لم يتب وفيه دليل على انه ممن يستتاب فى مذهب مالك ايضا فعنه روايات والله تعالى اعلم بالصواب وقال الائمة اذا كان فى المسألة قولان احدهما فيه تشديد والآخر فيه تخفيف فلا يجوز للمفتى ان يفتى العامة بالتشديد والخواص من ولاة الامر بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة فى الدين والتلاعب بالمسلمين والحاكم كالمفتى سواء وكذلك لا يأخذ فى امر نفسه بالتخفيف ويشدد على الناس بل الاولى له العكس وروى ان العبد يسئل عن فتواه هل افتى بعلم او جهل وهل فتواه نصيحة او خذلان وهل اراد وجه الله تعالى او الرياسة كذا ذكره التلمسانى وقال بعض علمائنا اذا وجدت رواية واحدة بعدم تكفير مسلم وتسع وتسعون رواية بتكفيره فينبغى للمفتى ان يختار تلك الرواية لان ابقاء الف كافر فى الدنيا اهون من افناء مسلم فى امر العقبى (قال الله تعالى فى مثله) اى مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم (يحلفون) اى المنافقون

(بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اى اظهروا كفرهم بعد اظهار اسلامهم (قال اهل التفسير هى) اى كلمة الكفر (ان كان ما يقول محمد) من انه سيفتح قصور الشام (حقا) اى صدقا (لنحن) اى واشرافنا المتخلفون (شر من الحمير) والقائل الجلاس بن سويد فسمعه عامر بن قيس الانصارى فقال اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلف بالله ما قال فصدقه النبى عليه الصلاة والسلام فجعل عامر يدعو ويقول اللهم انزل على نبيك من الصادق منا فنزلت فتاب وحسنت توبته (وقيل بل هى (قول بعضهم) وهو علم النفاق ورأس اهل النفاق عبد الله بن ابى بن سلول اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق بالمريسيع ماء لهم فهزمهم وقتل منهم وازدحم جهجاه بن سعد اجير عمر بن الخطاب وسنان حليف ابن ابى واقتتلا فصاح جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال ابن ابى لجعال وانت هنالك اى انت فى تلك المنزلة بحيث تلطم حليفى ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم (ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل) فى المثل السائر يضرب لمن يحسن الى احد فيسيء اليه (سمن كلبك يأ كلك) وقال لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فرده الله تعالى بقوله ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (و) قال ايضا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يريد نفسه (منها الاذل) يريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرده الله تعالى عليه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون روى انه قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم فقال والله انت الذليل المبغض فى قومه ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من اصحابه فقال له ابن ابى انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر انصاريا قال فكيف اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال عليه الصلاة والسلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك الباب وان زيدا لكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت تكذيبا لابن ابى لحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا مخلصا ورآءك يا منافق والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله هو الاعز وانا الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خله يدخل وقيل قال له ان لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (وقد قيل ان قائل مثل هذا) القول مما يشبه قول ابن ابى واضرابه وفى نسخة ويدل عليه ايضا ان قائل هذا (ان كان مستترا به) من الاستتار وفى نسخة متسترا من التستر فهما مأخوذان من الستر مع اهما مختفيا قال التلمسانى وروى مستسرا من السر وهو خلاف العلانية (ان حكمه حكم الزنديق يقتل) اى كفرا لا حدا ولا يستتاب اصلا قال التلمسانى وقد استدل من قال بقبول توبة المستسر بكفره بما جاء فى الصحيح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال الخطابى قوله وحسابهم على الله يعنى فيما يستسرون به قال وفيه دليل على ان الكافر المستسر بكفره لا يتعرض له اذا كان ظاهر حاله الاسلام وان توبته مقبولة واذا اظهر الانابة من كفر علم باقراره انه كان يعتقده قبل قال وهو مقول اكثر العلماء وقال مالك لا تقبل توبة المستسر بكفره (ولانه قد غير دينه) فصار مرتدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه) رواه احمد والبخارى والاربعة بلفظ من بدل دينه فاقتلوه فلعله نقل بالمعنى او رواية بالمبنى (ولان) الشان (لحكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحرمة) اى الاحترام والعظمة (مزية) اى زيادة رتبة (على امته وساب الحر) اى من يسب حرا (من امته) ذكرا او انثى (يحد) اى يعزر على ما هو المقرر الا ان يكون قذفا فيحد (فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلاة والسلام القتل) وهذا امر مجمع عليه فى عقوبته وانما الخلاف فى قبول توبته وذلك (لعظيم قدره) اى علو مرتبته عن امته (وشفوف منزلته) اى زيادتها (على غيره) من خلق الله سبحانه وتعالى والشفوف بضم الشين المعجمة والفاء الاولى من الشف بالكسر وهو الزيادة

(فصل)

فان

(فان قلت فلم يقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودى الذى قال له) اى للنبى وحده او له ولمن معه (السام عليكم) اى الموت او الملل والمعنى متم او مللتم (وهذا دعاء عليه) اى بالموت او الملل وهو السآمة من الطاعة او الملالة من الحياة والراحة والحديث رواه البخارى وغيره ولقد فطنت عائشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون السام عليك يا ابا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم يعنى الذى يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابى عامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لانه اذا حذفها صار قولهم مردودا عليهم خاصة واثباتها يؤذن بالاشتراك معهم فيه لانها لمطلق الجمع انتهى ولا يخفى ان ترجيح الرواية الشاذة وتخطئة الجمهور من الرواة ليس على الصواب وانما يتعين تأويل روايتهم بان المراد بالعاطفة هى المشاركة فى الموت لانه مشترك بين العباد فى جميع البلاد اذ كل نفس ذائقة الموت فكانه قيل وعليكم ما قلتم ايضا فهو جواب دعاء عليهم معاقبة لديهم مع احتمال انهم قالوا السلام باللام ولذا لم يصرح لهم بقول عليكم السام بالواو العاطفة او بدونها وفيه ايماء الى قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها هذا والذى دخل عليه عليه الصلاة والسلام وقال السام عليكم جاء فى رواية انه يهودى وفى اخرى انه رهط من اليهود وفى رواية اناس وفى اخرى ناس ولعلها قضيتان وقد يجمع بان دخل عليه رهط من اليهود وسلم واحد منهم والله اعلم (ولا قتل الآخر) جملة حالية او عطف بالمعنى على ما قبله اى ولم ما قتل الكافر الآخر (الذى قال له) كما رواه البخارى فى قسمة قسمها (ان هذه لقسمة) وفى نسخة قسمة (ما اريد بها وجه الله تعالى) قال الدلجى هو ذو الخويصرة وهو وهم منه فقد قال الحلبى هذا الآخر لا اعرفه غير انه وقع فى صحيح البخارى انه من الانصار وقد قال بعض الفضلاء انه مغيث بن قشير واما الذى قال له اعدل فذاك ذو الخويصرة يعنى بالتصغير كذا صرح به فى صحيح مسلم من رواية ابى سعيد الخدرى وهو تميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان وهو رأس الخوارج واهم ذو الخويصرة رجل آخر يمانى يروى فى حديث مرسل انه هو الذى بال فى المسجد ولا ثالث لهما فى الصحابة ووقع فى صحيح البخارى فى باب من ترك قتال الخوارج للتألف فى كتاب استتابة المرتدين ما لفظه جاء عبد الله ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل انتهى قال الحلبى والصحيح انه ذو الخويصرة ويحتمل انه مرة نسب القول الى ابيه ونسبه تارة اليه لانهما قالاه والله تعالى اعلم اقول ولا يبعد ان عبد الله هو ذو الخويصرة وانه لقبه ولقب ابيه ايضا والله تعالى اعلم وكان قول هذا القائل يوم حنين لما آثر عليه الصلاة والسلام اناسا فى القسمة لمصلحة رآها فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة ابن حصين مثل ذلك على ما قدمناه (وقد تأذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) ولكنه من كمال حلمه او لتألفه فى جال علمه تحمل منه هنالك (وقال قد اوذى موسى باكثر من هذا فصبر) على ما آذاه به بنو اسرائيل كحمل قارون المومسة بالرشوة على قذفه بنفسها او اتهامهم له بقتل اخيه هارون اذ ذهب معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة فمرت بهم فعرفوا انه لم يقتله ورميهم بعيب فى جسده من برص وادرة به قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه فى اكثر الاحيان) ويعظمونه فى قليل من الزمان وفى نسخة فى كل الاحيان اى غالب الازمان (فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى اول الاسلام) اى فى اول ظهوره عليه الصلاة والسلام (يستألف عليه الناس) اى يطلب ائتلافهم ويقصد تألفهم قال المزى المستعمل يتألف (ويميل) بالتشديد او التخفيف من الامالة اى يحول (قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم) باللطف والاحسان (ويداريهم) اى ويسامحهم ويدافعهم فهو من الدرء مهموز وقد يخفف فقول الحلبى غير مهموز وقد يهمز ليس فى محله ومن المخفف قولهم

فدارهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى ارضهم

(ويقول لاصحابه انما بعثتم) تغليبا لهم لكثرتهم على نفسه الشريفة تواضعا معهم او بعثتم بمعنى ارسلتم بعدى الى من بعدكم (ميسرين) بكسر السين اى مسهلين (ولم تبعثوا منفرين) بتشديد الفاء المكسورة اى مشددين رواه الترمذى عن ابى هريرة ولفظه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولعل المصنف وجد فى رواية قوله منفرين او نقله بالمعنى وقد اغرب التلمسانى حيث اعترض على المصنف فقال وصوابه معسرين من العسر لمطابقة الظاهر ولكنه راعى الطباق الخفى لان التيسير لازم السكون كما ان التنفير لازم العسر (ويقول يسروا ولا تعسروا) اى هونوا ولا تشددوا (وسكنوا) اى قرروا (ولا تنفروا) رواه احمد والشيخان والنسائى عن انس رضى الله عنه بلفظ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا (ويقول) اى فى الاعتذار عن عدم قتل المنافقين (لا يتحدث الناس) اى لا يقول بعضهم لبعض (ان محمدا يقتل اصحابه) فيكون تنفيرا لمن اراد ان يأتى الى بابه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم

بدارئ) بالهمز وابداله اى بدافع (الكفار والمنافقين) ويلاطفهم وقد ورد رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب الى الناس رواه الطبرانى فى الاوسط عن على كرم الله وجهه ورواه البزار والبيهقى عن ابى هريرة بلفظ التودد بدل التحبب ورواه البيهقى عن على ايضا رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع الخير الى كل بر وفاجر وزاد البيهقى عن ابى هريرة فى رواية واهل التودد فى الدنيا لهم درجة فى الجنة وفى رواية له عنه رأس العقل المداراة (ويجمل صحبتهم) من اجمل بالجيم اى يحسن او من اجمل جمع بعد تفرقة وفى نسخة بالحاء المهملة من حمل اى يتحمل كلفة صحبتهم (ويغضى عنهم) من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين اى يغمض عينه عن عيبهم وفى نسخة عليهم اى يخفى عليهم ذنبهم (ويحتمل من اذاهم) من تبعيضية او زائدة ويدل عليه انه فى نسخة صحيحة ويحتمل اذاهم اى يتحمل على ايذائهم (ويصبر على جفائهم) وهذا كله لقوله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اى دع مكافأة اذيتهم اياك فانا كفيناك والحاصل انه كان يجوز له (ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم) اى للمنافقين ونحوهم (عليه) اى على ما صدر من فعلهم وقولهم لانا مأمورون بزجرهم على كفرهم وبعدم اكرامهم فى مرامهم (وكان يرفقهم) بفتح الياء وكسر الفاء من الرفق ضد العنف وهو لين الجانب وبضم الياء من الارفاق يقال رفق به يرفق وحكى ابو زيد ارفقت به وارفقته بمعنى اى يلطف بهم (بالعطاء) لهم (والاحسان) اليهم تفاديا من نفرتهم عن حضرته وامتناعهم عن قبول ملته (وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال) اى دائما (تطلع على خائنة منهم) اى خيانة تبدر وجناية تصدر عنهم كما هو دأبهم وديدنهم اقتداء بمن قبلهم (الا قليلا منهم) وهو من آمن منهم او كان مقتصدا فيهم (فاعف عنهم واصفح) اى واعرض عنهم (ان الله يحب المحسنين) مع مهم ومع غيرهم تخلقا باخلاق الله فيهم حيث يرزقهم ويعافيهم فقيل هذا قبل امره بقتالهم وقيل اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (وقال تعالى ادفع) اى السيئة التى وردت عليك منهم بالحسد والعداوة (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) من اختها وهى العقوبة والمكافأة بمثلها والمجازاة بنحوها او بان تحسن اليه باساءته اليك (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) اى بسبب مدافعة السيئة بالحسنة (كانه ولى) تصير لك مائل اليك (حميم) قريب مشفق عليك (وذلك) اى ما امره الله به من المداراة وعدم المجازاة (لحاجة الناس) اى هو ومنهم (للتألف) وفى نسخة فى التألف اى طلب الالفة وعدم النفرة (اول الاسلام) فى اوائل الهجرة الى مدينة السلام (وجمع الكلمة عليه) اى ولاجتماع كلمة الامة لديه (فلما استقر) امره وثبت حكمه وعلا قدره واعلى نوره (واظهره الله على الدين) اى انواعه (كله) اى جميعه حسب ما وعده له بقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (قتل من قدر عليه) ممن عاداه (واشتهر امره) فيمن باداه (كفعله) عليه الصلاة والسلام (بابن خطل) وهو متعلق باستار بيت الله الحرام (ومن عهد بقتله) اى كفعله بقتل من اوصى بقتله (يوم الفتح) من بعض الرجال والنساء فمنهم من قتل وذهب الى جهنم ومنهم من تاب واسلم (ومن) اى وقتل من (امكنه قتله غيلة) بكسر المعجمة اى خفية او غفلة (من يهود) كابن ابى الحقيق وابن الاشرف (وغيرهم) اى وغير يهود على ما مر ذكرهم (او غلبة) بفتحتين اى او قتله شهرة وعلانية كالنضر بن الحارث وعقبة ابن ابى معيط (ممن لم ينظمه) بكسر الظاء المعجمة اى لم يشمله (قبل) اى قبل قتله (سلك صحبته) اى خيط محبته وحياطة مودته وحيازة معرفته (والانخراط) اى ولم ينظمه الدخول والاختلاط (فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يؤذيه) بلسانه ويطعن فى شانه (كابن الاشرف) المحروم عن الشرف (وابى رافع) الذى نسبه له غير نافع (والنضر ابن الحارث) بالضاد المعجمة وهو الذى لم يحصل له النصر (وعقبة ابن ابى معيط) بضم العين وسكون القاف الذى دخل فى عقبة النار وعقبى الفجار فى دار البوار (وكذلك هدر) بفتح الهاء والدال المهملة والراء اى ابطل (دم جماعة) وفى اصل الدلجى ندر بالدال وقال اى اسقط واهدر انتهى وفى القاموس الهدر محركة ما يبطل من دم وغيره هدر يهدر ويهدر هدرا وهدرا وهدرته لازم ومتعد واهدرته فعل وافعل بمعنى وندر الشئ ندورا سقط من جوف شئ او من بين اشياء انتهى نظهر انه لم يأت بمعنى اسقط واهدر نعم فيه ان اندر الشئ اسقط وهو كذا فى اصل الانطاكى ولكن ليس فيه تصريح بانه بمعنى اهدره وقال التلمسانى نذر بفتح الذال المعجمة اى التزم قتلهم ويجوز ان يكون معناه اباح لانه لما التزم قتله كان كانه اباح للقاتل ويجوز ان يكون نذر بالكسر اى اعلم والمعنى اعلم باباحة دمائهم والرواية بالفتح ويجوز ندر بالمهملة اى اهدر دمه واسقطه وقد روى فاهدر دماءهم (سواهم) اى ما عدا المذكورين (ككعب بن زهير) بالتصغير المزنى كان قد خرج هو واخوه بجير بضم الموحدة وفتح الجيم فتحتية ساكنة فراء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بجير ليكشف امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى كعبا ويخبره فلما جاءه بجير عرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ

ذلك

ذلك كعبا فانشد ابياتا ينكر فيها على اخيه اسلامه ويتعرض لغيره من ابى بكر الصديق ونحوه بقوله

الا ابلغا عنى بجيرا رسالة * على اى شئ ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا * عليه ولم تدرك عليه اخا لكا

فقال عليه الصلاة والسلام نعم لم يلف عليه امه ولا اباه فاهدر عليه الصلاة والسلام دمه وقال من لقيه فليقتله فبعث اليه اخوه يعلمه بذلك وانه عليه الصلاة والسلام لا يأتيه احد فيسلم الا قبل منه الاسلام واسقط ما كان قبله من الآثام فاذا اتاك كتابى هذا فاقبل واسلم فجاء كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد القصيدة المشهورة اولها * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * فلما بلغ

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
انبئت ان رسول الله اوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول

اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى من معه استمعوا واجازه عليه الصلاة والسلام على هذه القصيدة واعطاه بردة قيل ان معاوية ابن ابى سفيان طلب البردة منه بعشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى اولاده بعشرين الف درهم واخذ البردة ولم تزل فى خزائن بنى امية تنتقل من واحد الى واحد قيل اشتراها منه معاوية بثلاثين الفا ويقال انها البرد الذى توارثه خلفاء بنى العباس وكان قدومه واسلامه بعد انصرافه عليه الصلاة والسلام من الطائف وكعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وجده وكذلك ابنه عقبة وابن عقبة ايضا واشعرهم زهير ثم كعب وقد هلك زهير قبل المبعث (وابن الزبعرى) بكسر الزاى والموحدة فعين ساكنة مهملة فراء مقصورا القرشى السهمى الشاعر المشهور كان من اشد الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بلسانه ويده قبل اسلامه ثم اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه واعتذر عن زلاته حين اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد انقرض ولده ومن مدحه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

مضت العداوة فانقضت اسبابها * ودعت اواصر بيننا وحكوم
فاغفر فدى لك والداى كلاهما * زللى فانك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة * يوم اغر وخاتم مختوم

(وغيرهما ممن آذاه) بالسنتهم (حتى القوا) انفسهم بايديهم (بين يديه) وهو كناية عن اسلامهم واستسلامهم لديه (ولقوه مسلمين) اى منقادين مخلصين متوجهين اليه صلى الله تعالى وسلم عليه (وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر) اى واحكامه على ظواهرهم مستقرة مستمرة فى العلانية (واكثر تلك الكلمات المؤذية) (انما كان يقولها القائل منهم خفية) بضم اوله وكسره (ومع امثاله) اى من يهودى او منافق كما قال تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون (ويحلفون عليها) انكارا لها (اذا نميت) بصيغة المجهول مخففا اى رفعت اليه (وينكرونها) اذا وصلت لديه (ويحلفون بالله ما قالوا) كما اخبر الله تعالى عنهم واكذبهم بقوله (ولقد قالوا كلمة الكفر) وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا فى مرامهم من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل اى علاها فيه فاخذ عمار ابن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا (وكان) عليه الصلاة والسلام لكونه رحمة للعالمين (مع هذا) اى ما فعلوه وقالوه (يطمع فى فيئتهم) بفتح الفاء ويكسر وسكون التحتية تفسيره قوله (ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم) من الآثام (فيصبر عليه الصلاة والسلام على هناتهم) اى زلاتهم فى مقالاتهم (وهفواتهم) اى وسقطاتهم وفى نسخة وجفواتهم اى وغلطاتهم فى حالاتهم (كما صبر اولو العزم) اى اصحاب الجد والحزم (من الرسل) قيل من بيانية والاصح انها تبعيضية وانهم محمد ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل غير ذلك وقال البغوى هم الذين ذكرهم الله تعالى على التخصيص فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا انتهى وقدم النبى عليه الصلاة والسلام فى الآية الاولى للايماء الى انه فى المرتبة الاعلى وانه اول فى عالم الوجود وان كان آخرا فى مقام الشهود (حتى فاء) اى رجع الى الاسلام (كثير منهم باطنا) فى الآخر (كما فاء ظاهرا) فى الاول (واخلص سرا) فى الاستقبال (كما اظهر جهرا) فى اول الحال (ونفع الله بعد) اى بعد ذلك من اخلاصهم

هنالك (بكثيرمنهم) فى امر الجهاد وغيره (وقام منهم للدين وزرآء واعوان) اى امرآء (وحماة) بضم الحاء وتخفيف الميم
اى قضاة (وانصار) للدين ولونقل علوم اليقين (كما جاءت به الاخبار) التى ذكرها ارباب السير من المحدثين (وبهذا)
الجواب (اجاب بعض ائمتنا) اى المالكية وغيرهم (رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال) المشتمل على ما سبق من
الاشكال (وقال) ايضاحا لهذا المقال (لعله) اى الشأن (لم يثبت عنده عليه الصلاة والسلام من اقوالهم مارفع)
اليه وحكى لديه ويشكل هذا بقول بعضهم اعدل واتق الله (وانما نقله الواحد) القائل اذ قوله دفع ورد عليه (ومن
لم يصل) اى لم يبلغ قوله اوقائله (رتبة الشهادة) اى الكاملة من العدد المعتبر فى الشرع المقرر (فى هذا الباب)
بخصوصه المقدر فيما اوجب قتل من سب نبينا كما تحرر (من صبى) كزيد بن ارقم (اوعبد اوامرأة) كعائشة اوجارية
مملوكة اوبنت صغيرة اوكافر (والدماء لاتستباح) اراقتها (الابعدلين) لكن يشكل هذا بتكذيب الله تعالى اياهم فى قوله
ولقد قالوا كلمة الكفر وكذا فى شهادة ابن ارقم والله تعالى اعلم (وعلى هذا) الاحتمال (يحمل امر اليهود) اى كلامهم
(فى السلام) وفى نسخة فى السام (وانهم) على دأبهم وعادتهم (لووا به السنتهم) بتشديد الواو الاولى وتخفيفها اى
عطفوها واما لوها والمعنى انهم حرفوه (ولم يبينوه الاترى كيف نبهت) النبى عليه الصلاة والسلام (عائشة رضى الله
تعالى عنها) اى على ظن انه عليه الصلاة والسلام ما تفطن لقولهم السام (ولو كان) اى المنافق اواليهودى (صرح
بذلك لم تنفرد) عائشة من بين الصحابة (بعلمه) روى انها قالت لهم عليكم السام والذام وفى رواية واللعنة فقال مهلا
ياعائشة ألم تسمعى ما اقول لهم فان الله يستجيب لى فيهم ولا يستجيب لهم فى (ولهذا) اى لتنبيه عائشة (نبه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم على فعلهم) وكذا على كذبهم فى قولهم (وقلة صدقهم) المتين المبين (فى سلامهم) لعدم
اسلامهم (وخيانتهم فى ذلك) اى فى مقام كلامهم (ليابالسنتهم) اى تحريفا بها (وطعنا فى الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم) اى على المسلمين (فانما يقول السام عليكم) اى الموت (فقولوا عليكم) اووعليكم كما تقدم والله
تعالى اعلم وفيه ان الله سبحانه اخبر عنهم بقوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فهذا ثبت بشهادة الله تعالى فى حقهم فليس الحكم السابق مبنيا على اخبار
عائشة فقط (وكذلك) اى مثل هذا المقول المرضى عند المصنف (قال بعض اصحابنا) اى من المالكية (البغداديون)
بالرفع على انه نعت بعض والبغداديين بالجر على انه نعت اصحاب كالقاضى عبد الوهاب وابن خويز منداد
وابن الجلاب (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم) اى بمجرد علمه فى حقهم (ولم يأت) اى
فى حديث من الاخبار ورواية من الاثار (انه قامت بينة) اى ثبتت حجة (على نفاقهم) اى بخصوصهم وما ورد
فى الكتاب اغاهو مذكور لعمومهم سترا من الله فى اسرارهم وكتما فى اخبارهم وآثارهم ولذلك تركهم احياء على
احوالهم فى ديارهم فاندفع به ما اعترض الدلجى على المصنف بقوله وكفى بينة عليه ما وردت به سورة المنافقين
وبرآءة من البحث عن اسرارهم واظهار نفاقهم واخبارهم (وايضا) يقال فى دفع الاشكال (فان الامر كان سرا
وباطنا) اى بالاخفاء والكتمان (وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان) احدهم (من اهل الذمة بالعهد والجوار)
بكسر الجيم وتضم اى الامان فهو من الجار بمعنى المجاور والذى اجرته من ان يظلم (والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يميز بعد) اى بعد مضى تلك الايام (الخبيث من الطيب) اى المرآئى من المخلص فى مقام الكلام (وقد شاع) اى
فشا وذاع (عن المذكورين فى العرب) بحيث ملأ الاسماع (كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة
سيد المرسلين) المفاد من عموم حديث البخارى انا سيد الاولين والآخرين (وانصار الدين بحكم ظاهرهم) انهم
من المسلمين (فلو قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر) بضم الدال المهملة بعد الموحدة اى يسرع
للناس (منهم) وفى اصل الدلجى يبدو بالواو اى يظهر منهم (وعلمه) اى لمجرد علمه (بما اسروا فى انفسهم) من النفاق
والشقاق وجواب لو (لوجد المنفر) بتشديد الفاء المكسورة (ما يقول) فى تنفيره (ولارتاب الشارد) فى تغييره
(وارجف المعاند) بصيغة المفعول او الفاعل والمعاند بكسر النون هو المنكر الجاحد الحائد ومنه قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الاية والمرجف هو الذى يرجف قلوب الناس
بالاخبار المتزلزلة التى لا اصل لها من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى خاض فى امر الفتنة والاخبار السيئة (وارتاع) اى
وخاف (من صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول فى الاسلام غير واحد) اى كثير من الانام ممن ضعف دينه
وسقم يقينه وجهل ان الداخلين فى الاسلام وهم مخلصون اولئك لهم الامن وهم مهتدون (ولزعم الزاعم وظن العدو
الظالم) وفى نسخة الفذ بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة المنفرد الواهم (ان القتل) للمنافقين (انما كان للعداوة) الباطنية
المتعلقة بالامور الدنيوية (وطلب اخذ الترة) بكسر التاء الفوقية اى النقص والتبعة الكامنة فى الطباع البشرية

من مطالبة دماء القتيل الواقع فى الجاهلية (وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله تعالى)
اى الامام وفق ما قررته (ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه) وقد مر عليه
الكلام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام لكن لا يعرف من رواه من المخرجين الكرام (اولئك الذين نهانى الله
عن قتلهم) وعلى تقدير صحته يحمل على اول امره وحالته من قوله فاعف عنهم واصفح بخلاف آخره لقوله تعالى
يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وهذا) اى عدم اجرآء احكامه عليهم من حيث بواطنهم المستورة
لديهم (بخلاف اجرآء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنى) اى جلدا ورجما وهو بالقصر وقد يمد (والقتل
قودا وحدا (وشبهه) كحد السرقة والقذف وشرب الخمر (لظهورها) اى لوضوح امرها (واستوآء الناس فى علمها)
اى واشتراك الناس فى حكمها (وقد قال ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو ثم زاى (لواظهر المنافقون
نفاقهم) اى كفرهم وشقاقهم (لقتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخصوصهم فلا ينافى ما اظهره الله من حالهم
بعمومهم كما توهمه الدلجى واعترض به على القاضى وذلك لان المنافق اذا اظهر النفاق خرج عن كونه منافقا
(وقال) يعنى وقال به ايضا (القاضى ابو الحسن ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد وتصحف فى اصل الدلجى
بالصفار (وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون) اى عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك
عن ترددهم وشقاقهم (والمرجفون فى المدينة) عن ارجافهم باخبار سوء من عندانفسهم عن سراياه عليه الصلاة
والسلام بقولهم هزموا وقتلوا وجرى عليهم كذا وكذا يؤذون المؤمنين ويغمونهم (لنغرينك بهم) لنسلطنك
عليهم بان نفعل بهم ما يكون عبرة لغيرهم (ثم لا يجاورونك فيها) بان نضطرهم الى الجلاء عن المدينة السكينة
فلا يساكنونك فيها (الا قليلا) من الزمان ريثما يخرجون بعيالهم ثم يرتحلون اوالا قليلا منهم وهو الذى ينتهى
عما ذكر من المنهى (ملعونين) نصب على الحال اى حال كونهم مبعودين عن رحمة الله العظيم ورحمة رسوله الكريم
(اينما ثقفوا) اى وجدوا بعد ذلك (اخذوا) اى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى وبولغ فى قتلهم تنكيلا (سنة الله) اى
سن الله سنته واجرى عادته (الاية) اى فى الذين خلوا من قبل اى مضوا قبلكم من الانبياء واممهم ولن تجد لسنة
الله تبديلا اى تغييرا وتحويلا (قال) اى قتادة (معناه) اى معنى قوله لئن لم ينته المنافقون (اذا اظهروا النفاق) الذى
فى باطنهم من الشقاق (وحكى محمد بن مسلمة فى المبسوط عن زيد بن اسلم) وهو من فقهاء التابعين بالمدينة
(ان قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار) اى بالسيف (والمنافقين) اى بالحجة (واغلظ عليهم) جميعا فى محاربتهم
ومحاجتهم فعن الحسن وقتادة ومجاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم
واظهار اخبارهم والاظهر ان المعنى جاهد الكفار والمنافقين اذا اظهروا كفرهم واعلنوا سرهم وبهذا
التقدير (نسخت) هذه الاية (ما كان قبلها) من المسالمة والمسامحة وفى كثير من النسخ نسخها ما كان قبلها اى نسخ
هذا الحكم ما كان قبله من العفو والصفح عنهم (وقال بعض مشايخنا) من المالكية اوالاشعرية اوعلماء
اهل السنة (لعل القائل) وهو واحد من الانصار كما فى صحيح البخارى اومغيث بن قشير كما قاله بعضهم لاذوالخويصرة
كما توهم الدلجى (هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل) اى قبل ذلك اوبعده هنالك كذا حرره الدلجى وقال
الحلبى قائل اعدل هو ذوالخويصرة وكلام القاضى فى عطفه بقوله وقوله اعدل ظاهر فى ان الكلامين قالهما واحد
وفيه نظر فانما هما اثنان ولو قال وقول الآخر اعدل لكان حسنا (لم يفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى منه كما فى نسخة اى من قوله (الطعن عليه) اى على فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والتهمة له) اى لديه
ونسبة التقصير اليه (وانما رآها) اى القسمة اوتلك الحالة (من وجه الغلط فى الرأى) اى بناء على رأى ناقصه
(وامور الدنيا) اى فى امورها (والاجتهاد فى مصالح اهلها) ظنا منه ان هذا من قبيل انتم اعلم بامور دنياكم
(فلم ير) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الكلام (سبا) بتشديد الموحدة اى طعنا ومذمة وفى نسخة شيأ اى
من الملامة مما يستحق عليه العقوبة (ورأى انه من الاذى الذى يجوز له العفو) عنه (والصبر عليه) فلذلك لم يعاقبه
والصواب انه عليه الصلاة والسلام فهم من الخطاب ما يستحق عليه العقاب لكنه كان مأمورا بالاعراض عنهم
فى مقام العتاب والا فكيف لا يفهم الطعن من قوله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله نعم قوله اعدل قد يقال انه اراد به
التسوية اللغوية والعدالة العرفية ولكنه عليه الصلاة والسلام فهم انه اراد العدالة الشرعية فقال له ويلك من
يعدل ان لم اعدل وقال فى آخر الحديث يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من
الدين الحديث فكان كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل على يد على فى النهروان وهو رئيس الخوارج واهل
الخذلان (وكذلك) اى وكما قيل فيمن تقدم من الاعتذار (يقال فى اليهود اذ قالوا) بدل السلام (السام) اى عليكم

كما فى نسخة (ليس فيه صريح) وفى نسخة تصريح (سب) اى شتم (ولا دعاء) اى عليه بذم (الا) اى لكن دعاء عليه
(بما لابد منه من الموت الذى لابد) اى لا محالة ولا مفارقة (من لحاقه جميع البشر) بل كل ذى روح من الخلق كما صح
فى الخبر وفيه ان مثل هذا يسمى من باب الدعاء على المقول فيه بحسب العرف والعادة لانه يراد به الانشاء لا الاخبار
بما سيقع من الحالة وهذا المعنى الذى فهمته عائشة رضى الله عنها وهى من الفصحاء والبلغاء ومن اهل بيت الفهم
والحذاقة والعلم والفطانة (وقيل بل المراد به تسأمون دينكم) اى تملونه وتتركونه (والسأم) بهمزة ساكنة (والسآمة)
بهمزة ممدودة (الملال والملالة) قال الدلجى والرواية بلا همز لاختلاف صيغتيهما واوا وهمزا انتهى واراد انه لا يصح
هذا المعنى من ذلك المبنى والصواب انه لا مخالفة بين الرواية والدراية لان الهمزة الساكنة كثيرا تبدل الفا (وهذا
دعاء على سآمة الدين) اى فى قلوب المؤمنين (وليس بصريح سب) اى شتم لكنه متضمن لعيب وذم (ولهذا) اى
ولكونه ليس بصريح سب (ترجم البخارى على هذا الحديث باب) بالرفع منونا (اذا عرض) بتشديد الراء اى لوح
(الذمى اوغيره) وفى نسخة وغيره اى المستأمن (بسب النبى صلى الله عليه وسلم) اى ولم يصرح به قال ابن المنير كأن
البخارى كان على مذهب الكوفيين فى هذه المسألة وهو ان الذمى اذا سب يعزر ولا يقتل (قال بعض علمائنا
وليس هذا) اى قول اليهود السام عليكم (بتعريض بالسب) اى الشتم (وانما هو تعريض بالاذى) ولكنه موصوف
بالذم (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (وقد قدمنا ان الاذى) بعمومه (والسب) بخصوصه (فى حقه عليه
الصلاة والسلام سواء) لاستوائهما فى تنقصه والخروج عن دينه الموجب لتكفيره بخلاف غيره فانه يفرق بينهما
باختلاف تعزيره حسب تقريره وفيه ان جميع مراتب الايذاء لا تكون مع السب فى حالة السواء فانه عليه الصلاة
والسلام كان يتأذى من اصحابه الكرام اذا صدر عنهم ما يوجب شيأ من الآثام (وقال القاضى ابو محمد ابن نصر) بصاد
مهملة (مجيبا عن هذا الحديث) اى حديث السام (ببعض ما تقدم) من الكلام (ثم قال ولم يذكر فى الحديث
هل كان هذا اليهودى من اهل العهد) اى الجزية (والذمة) اى الامان فينتقض عهده ويبلغ مأمنه (او الحرب) اى
اهل الحرب فيهدر دمه (ولا يترك موجب الادلة) بفتح الجيم اى مقتضاها من القتل بشتم اوذم (للامر المحتمل) لواحد
منهما وفيه ان ذلك اليهودى اما كان منافقا واما مستأمنا والا فما كان عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام
يتحملون من الحربى نوعا من الكلام ولا كانوا يتركونه فى ذلك المقام بعد الامر بقتال من لم يذعن للاسلام نعم كما قال
هو وغيره (والاولى فى ذلك) وفى نسخة فى هذا (كله والاظهر من هذه الوجوه) فى حكمه (مقصد الاستئلاف) بفتح
الصاد وكسرها اى لمحض طلب الالفة ورفع الكلفة عن الامة (والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون) على وجه اليقين
(ولذلك ترجم البخارى على حديث القسمة والخوارج باب) بالتنوين وفى نسخة بالاضافة الى قوله (من ترك قتال
الخوارج) اى مقاتلتهم وفى نسخة قتل الخوارج وهم طائفة مشهورة من اهل البدعة يبغضون اهل بيت النبوة
(للتألف) اى طلب الالفة ليثبتوا على الملة (ولئلا ينفر الناس) بكسر الفاء من النفر وفى نسخة من التنفير عنه اى
ولدفع النفرة عن قبول الدعوة (ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل) اى قبل ذلك (وقد صبر لهم عليه الصلاة
والسلام على سحره) بكسر السين اى ما سحر به وفى نسخة بفتحها وهو المصدر (وسمه) اى وعلى تسميمه (وهو اعظم
من سبه) وفيه ان من سمه علله بانه اختبره على انه ان كان نبيا فلا يضره والا فيندفع به شره ولذا لم يقتلها اولا ثم قتلها
قصاصا بعدما مات بشر بن البراء من اصحابه (الى ان نصره الله عليهم) واظهر امره لديهم (واذن له فى قتل من
حينه منهم) بمهملة فتحتية مشددة فنون مفتوحات اى اهلكه من الحين وهو الهلاك وقيل من حينه اى انتظر وقته
وروى بالخاء المعجمة من الخيانة ويحتمل خيبه بالباء الموحدة اى نسبه الى الخيبة وفى نسخة اخرى عيبه بالموحدة او النون
وهذا كله فى بنى قريظة واضرابهم (وانزالهم) وفى نسخة وانزلهم (من صياصيهم) بفتح اوله اى حصونهم (وقذف) اى
والحال انه سبحانه وتعالى القى (فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها اى الخوف الشديد (وكتب على من شاء
منهم) كبنى النضير واحزابهم (الجلاء) بفتح الجيم وبكسر والمد اى الاخراج عن وطنهم ومألوف بدنهم وكربة الغربة
وسائر محنهم (واخرجهم من ديارهم) ومدار آثارهم (وخرب بيوتهم) من دارهم (بايديهم) اى انفسهم (وايدى
المؤمنين) بالنقض والهدم حتى لا يبقى منهم فى المدينة آثار دار ولا ديار (وكاشفهم) اى ظاهرهم وشافههم (بالسب)
اى الطعن والتعيير (فقال يا اخوة القردة والخنازير) خطابا بشبابهم ومشايخهم وفيه ايماء الى قوله تعالى وجعل منهم
القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ فى طائفتهم وقيل القردة فى اصحاب السبت من اليهود والخنازير
فى اصحاب المائدة من النصارى وهم من قوم واحد يجمعهم بنو اسرائيل (وحكم فيهم سيوف المسلمين) بتشديد الكاف
اشارة الى قتل بنى قريظة ونزولهم من حصونهم بحكم سعد بن معاذ (واجلاهم) اى اخرجهم (من جوارهم) بكسر

الجيم

الجيم ويضم اى مجاورتهم ومحاورتهم (واورثهم) اى الله سبحانه وتعالى (ارضهم وديارهم) اى مساكنهم (واموالهم)
كبنى النضير وهذا كله (لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى) فى الدنيا والاخرى قال ابن اسحق
كان اجلاء بنى النضير عند مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احد وفتح بنى قريظة عند مرجعه من
الاحزاب وبينهما سنتان ومجمل قصتهما ان بنى النضير كانوا صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يقاتلوه
ولا يقاتلوا معه ولما غزا احدا وهزم المسلمون نقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة
فاتوا قريشا وعاقدوهم بان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام
فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فامر رسول الله بقتل كعب بن الاشرف وامر الناس بالمسير
الى بنى النضير وكانوا بقرية فدس المنافقون اليهم ان لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن
خرجتم لنخرجن معكم فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله فى قلوبهم
الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة
ولهم ما اقلت الابل اى حملت من اموالهم وللنبى الله ما بقى ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى اذرعات واريحاء من
ارض الشام وذلك قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى
فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم قبل ذلك هذا الذل والتعب او فى اول حشرهم من اجلائه عليه الصلاة
والسلام الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى ذلك المقام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة
فانهم كغيرهم يحشرون اليه عند قيام الساعة واما قضية بنى قريظة فروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما رجع من منصرف الاحزاب الى المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال
ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وكانوا قد عاونوا الاحزاب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبى
عليه الصلاة والسلام مناديا اذن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا ابن ابى طالب كرم الله وجهه برايته اليهم فسار على حتى اذا دنا من الحصون سمع مقالة قبيحة
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع حتى اتاه فقال يا رسول الله لا عليك ان تدنو من هؤلاء الاخابث قال
لم اظنك سمعت فى منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمة قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
قال فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم
الرعب فنزلوا على حكم سعد بن معاذ قال سعد فانى احكم فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة بان يقتل مقاتلهم
ويسبى ذراريهم فحبسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم فى تلك الخنادق
وكانوا على ما قيل ستمائة او سبعمائة وقسم الاموال والنساء والذرارى وذلك قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من
اهل الكتاب اى عاونوا الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح)
من رواية البخارى وغيره (عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه)
اى لم يعاقب احدا على مكروه يقع عليه (قط) اى ابدا فى حال من احواله (الا ان تنتهك) بصيغة المجهول او الفاعل اى
تنتقص او تنتقض (حرمة الله تعالى) اى احترامه وعزته (فينتقم لله) اى حينئذ مع انتقامه لنفسه انتقاما لحرمة
ربه (فاعلم ان هذا) الحديث (لا يقتضى) مضمونه (انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه) اى بقوله او فعله (او كذبه فان هذه)
المذكورات (من حرمات الله التى انتقم لها) وفى نسخة منها اى من اجلها ابتغاء لوجه الله تعالى كما تقدم من
قتل ابى رافع وكعب بن الاشرف وغيرهما (وانما يكون ما لا ينتقم) اى منه كما فى نسخة (له) اى لاجل نفسه
(فيما يتعلق بسوء ادب) من اجلاف العرب (او معاملة) مع احد منهم (من القول والفعل فى النفس) وفى نسخة بالنفس
(والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه) اى اذى النبى عليه الصلاة والسلام (لكن) اى الا انه صدر (مما) وروى بما اى بسبب
ما (جبلت عليه الاعراب) اى من الاخلاق او من الطباع التى خلقت وطبعت وتعودت عليها (من الجفاء) بفتح الجيم
ومد الفاء وهو غلظ الطبع (والجهل) بآداب الشرع كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله (او جبل عليه البشر) اى جنس بنى آدم كلهم (من الغفلة) اى الغيبة عن مقام الحضرة وروى
من السفه وهو الخفة وقلة المبالاة بالعمل (كجبذ الاعرابى) بجيم فباء موحدة فذال معجمة اى جذبه بعنف وشدة
(رداءه) وفى نسخة برداءه فالباء للتقوية او لتأكيد التعدية وفى بعض النسخ بازاره وهو خطأ فاحش كما يدل عليه

(حتى اثر) اى اثر جبذه (فى عنقه) اللهم الا ان يحمل الازار على الملحفة وهو كل ما سترك وقد قال الاعرابى كما فى البخارى
مرلى من مال الله الذى عندك (وكرفع صوت الآخر) اى الاعرابى او غيره (عنده) قال الحلبى يحتمل انه يريد ثابت
ابن قيس بن شماس فقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال
رجل يا رسول الله انا اعلم لك الحديث فى خوفه من رفع صوته عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول قوله تعالى
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية ويحتمل انه يريد غيره قلت المتعين ان يكون غيره لان قصته من محامد مناقبه
لا فى مذامه من مراتبه واما قول الدلجى ان الذى قال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فموقوف على ثبوت كون مقوله
هذا واقعا برفع صوته وقد عينه التلمسانى بالاعرابى الذى طالبه عليه الصلاة والسلام فى دينه واراد اصحابه الكرام
منعه فقال عليه الصلاة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالا (وكجحد الاعرابى) اى له كما فى نسخة يعنى
وكانكاره للنبى عليه الصلاة والسلام (شراءه منه) اى الاعرابى وهو سواد بن قيس المحاربى وقيل سواد بن الحارث
(فرسه) المسمى بالمرتجز وكان ابيض وقيل النجيب (التى شهد فيها خزيمة) انه اشتراها منه فجعل صلى الله تعالى عليه
وسلم شهادته بشهادتين والحديث رواه البخارى (وما) وفى نسخة وكما (كان من تظاهر زوجيه) وفى نسخة
زوجتيه وهى لغة والاول افصح اى تعاونهما (عليه) فيما يسوءه من فرط الغيرة بالنسبة اليه وهما عائشة وحفصة
(واشباه هذا) الذى ذكرهنا (مما يحسن الصفح عنه) اى يستحسن الاعراض عنه وعدم الالتفات نحوه وقد قال بعض
علمائنا ان اذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه
وسلم فى حديث فاطمة رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يؤذينى ما آذاها الا وانى لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة
رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا (او يكون هذا) الحديث المتقدم ذكره (مما آذاه به كافر) صريح (وجاء بعد
ذلك اسلامه) كذا فى النسخ المصححة وجاء بالواو وقال الحلبى رأيت فى بعض النسخ بالراء من الرجاء وهذه ينبغى ان تكون
الصواب وتلك التى تقدمت تصحيف قلت اذا كان المبنى صحيح رواية ودراية فلا يقال فيه انه تحريف ولا يلزم ما ادعاه على
ما سيأتى دعواه (كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله) وهو غورث بن الحارث (وعن اليهودية
التى سمته وقد قيل قتلها) اى آخرا قصاصا ببشر بن البراء بعد ما عفا عنها اولا لاسلامها او اعتذارها فى كلامها هذا
وقال الحلبى المفهوم من عبارة القاضى المؤلف هنا ان هؤلاء الثلاثة قد اسلموا لكن الذى سحره وهو لبيد بن الاعصم
لم يسلم بلا خلاف فيما اعرفه واما الاعرابى الذى اراد قتله وهو غورث او دعثور على ما تقدم فقد اسلم بلا خلاف واما
اليهودية التى سمته فاسمها زينب بنت الحارث فقيل انها لم تسلم وقتلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الزهرى
كما رواه معمر بن راشد فى جامعه انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان وجه الخلاف والجمع قد تقدم
والله تعالى اعلم (ومثل هذا مما يبلغه) اى بعض ما يصل اليه (من اذى اهل الكتاب والمنافقين) من ارباب الحجاب
(وصفح عنهم) جملة حالية وفى نسخة فصفح عنهم اى اعرض عن اذاهم وتركهم على هواهم (رجاء استئلافهم) اى
تألف انفسهم (واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل) اى قبل ذلك على وجه التحقيق (وبالله التوفيق)

(فصل)

(قال القاضى تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه) اى المتعمد فى شتمه (والازراء به) وفى نسخة والازدراء وهو بمعنى
الاحتقار (وغمصه) بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة اى عيبه (باى وجه كان من ممكن) وجوده (او محال) بضم الميم
اى ممتنع شهوده (فهذا وجه بين) اى ظاهر مكشوف (لا اشكال فيه) ولا توقف فى قتل متعاطيه (الوجه الثانى
لاحق به) اى ملحق بالوجه الاول (فى البيان والجلاء) اى فى الظهور وعدم الخفاء (وهو ان يكون القائل لما قال) من
الكلام (فى جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد للسب) اى للشتم على وجه الجفاء (والازراء) وفى نسخة الازدراء
اى الاحتقار بالاستخفاف والاستهزاء (ولا معتقد) بالجر وفى نسخة ولا معتقدا (له) اى لمضمون كلامه (ولكنه تكلم
فى جهته عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر) وفى نسخة بكلمة من الكفر اى من القاطه كما بينه بقوله (من لعنه او سبه
او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه) اى نسبته اليه (او نفى ما يجب) اى ثبوته (له مما هو فى حقه عليه الصلاة والسلام
نقيصة) اى منقصة ومذمة (مثل) بالرفع ويجوز نصبه اى نحو (ان ينسب اليه اتيان كبيرة) بصيغة المجهول والاظهر
ان يكون بصيغة الفاعل اى ينسب القائل اليه اتيان كبيرة اى صدورها من قول او فعل بخلاف صغيرة للاختلاف
فى جواز صدورها عنه (او مداهنة) بالجر والنصب اى مصانعة (فى تبليغ الرسالة) كما نفاها الله عنه بقوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك (او) مسامحة او مساهلة (فى حكم بين

الناس) كما نفاها عنه فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (او بغض) بضم الغين
وتشديد الضاد المعجمتين اى بخفض وبنقص (من مرتبته) العلية (او شرف نسبه) الى آبائه واجداده الجلية من العيوب
العرفية لا من الذنوب الشرعية فان عبد المطلب من اجداده مات كافرا بالاجماع وجزم ابو حنيفة بان والدى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وكذا ابو ابراهيم عليه السلام من اهل الكفر اجماعا خلافا للشيعة وشرذمة
قليلة من اهل السنة وقد كتبت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة (او وفور علمه) اى كثرته (او زهده) من غير ضرورته
(او يكذب بما اشتهر به من امور اخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها) عنه (عن قصد لرد خبره) اذ لو انكر خبرا
متواترا كفر بخلاف ما اذا انكر حديثا آحادا فان انكره فسق ففى المحيط من انكر الاخبار المتواترة فى الشريعة كفر
مثل حرمة لبس الحرير على الرجال ومن انكر اصل الوتر واصل الاضحية كفر وفى الخلاصة من رد حديثا قال بعض
مشايخنا يكفر وقال المتأخرون ان كان متواترا كفر اقول وهذا هو الصحيح الا اذا كان رد حديث الآحاد من الاخبار
على وجه الاستخفاف والاستحقار واما انكار الحديث المشهور فالجمهور من اصحابنا على انه يكفر الا عيسى بن ابان
فان عنده يضلل ولا يكفر وهو الصحيح (او يأتى بسفه من القول) اى بسفاهة فى عبارة (او بقبيح من الكلام)
ولو باشارة (ونوع من السب) وما فيه من قلة الادب (فى جهته) عليه الصلاة والسلام (وان ظهر بدليل حاله) اى
حال قائله (انه لم يعمد) اى لم يرد (ذمه) عليه الصلاة والسلام فى مقاله (ولم يقصد سبه) لاعتقاده كماله لكن صدر عنه
مقاله (اما لجهالة) بعثت جهاله (حملته على ما قاله او لضجر) بفتحتين اى قلق من اثر غم ناله (او منكر) محرم او غيره
(او قلة مراقبة) فى شانه (وضبط) اى وقلة ضبط (للسانه وعجرفة) اى مجازفة وقلة مبالاة فى بيانه (وتهور فى كلامه)
اى سرعة فى خلقه وجراءة فى نطقه (فحكم هذا الوجه) الثانى (حكم الوجه الاول) وهو (القتل) اى قولا واحدا
(دون تلعثم) اى توقف فى بابه (اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة) اذ معرفة ذات الله تعالى وصفاته وما يتعلق بانبيائه
فرض عين مجملا فى مقام الاجمال ومفصلا فى مقام الاكمال نعم اذا تكلم بكلمة عالما بمبناها ولا يعتقد معناها يمكن
ان صدرت عنه من غير اكراه بل مع طواعيته فى تأديته فانه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم
من ان الايمان هو مجموع التصديق والاقرار فباجرائها يتبدل الاقرار بالانكار اما اذا تكلم بكلمة ولم يدر انها كلمة
كفر ففى فتاوى قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال قيل لا يكفر لعذره بالجهل وقيل يكفر ولا يعذر
بالجهل اقول والاظهر الاول الا اذا كان من قبيل ما يعلم من الدين بالضرورة فانه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل اقول
وفى الخلاصة من قال انا ملحد كفر وفى المحيط والحاوى لان الملحد كافر ولو قال ما علمت انه كفر لا يعذر بهذا اى فى القضاء
الظاهر والله تعالى اعلم بالسرائر (ولا بدعوى زلل اللسان) فيه ان الخطأ والنسيان وما استكره عليه الانسان
عذر فى معرض البيان (ولا بشىء مما ذكرناه) مما يظن انه يكون عذرا (اذ) وفى نسخة اذا (كان عقله فى فطرته)
اى خلقته وجبلته (سليما) بان لا يكون مجنونا ولا خرفا سفيها (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) كما هو مبين
فى القرآن (وبهذا) الوجه الثانى (افتى الاندلسيون) بفتح الهمزة وضم الدال واللام وبفتحهما اى المالكيون من علماء
الاندلس وهو اقليم معروف من المغرب (على ابن حاتم) اى الطليطلى (فى نفيه الزهد) اى الاختيارى (عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه) اى ذكره وامره (وقال محمد بن سحنون) بفتح اوله ويضم ويصرف ولا يصرف
(فى المأسور) بايدى الكفار (يسب النبى صلى الله تعالى وسلم) جملة حالية (فى ايدى العدو) اى فى تصرفهم او فيما بينهم
(يقتل الا ان يعلم تنصره) اى حدوث دخوله فى مذهب النصارى (او اكراهه) اما الثانى فظاهر ويدل عليه قوله
تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم روى ان بنى المغيرة اخذوا عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك
وقلبه كاره فاتى عمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى فقال عليه الصلاة والسلام ما وراءك قال شر
يا رسول الله نلت منك وذكره قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمسح
عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت واما الاول فقد قال الحلبى هذا الكلام ينبغى ان يسأل عنه المالكية وقال
الانطاكى اى الا ان يكون معروفا بالبصارة تمنعه بصارته ومعرفته عن الحوم حول الحمى المنيع بالامر الشنيع انتهى
وفيه ان السب هنالك من غير ان يكره عليه فى ذلك مناف للتبصر سواء يكون معروفا به ام لا وقال التلمسانى
وكان النسخة عندهما بالباء الموحدة وانما هى والله اعلم بالنون اى الا ان يعلم تنصره ولا شك ان المالكية يقولون
اذا تنصر طوعا ثم وقع منه سب او لعن او كلام يعيب به النبى او قذفه او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا
ثم راجع الاسلام اقول هنا بياض فى الاصل ولم يعلم ان الحكم يقتل او لا يقتل وعلى كل تقدير فيه اشكال اما على

الاول فلانه ينافى الاستثناء وسيأتى صريحا فى كلام القاضى انه يجب قتله واما على الثانى فلانه قد تقدم ان من سب النبى يقتل مسلما كان او كافرا والذى يظهر لى ان المعنى الا ان يعلم تنصره قبل ذلك وانه ماصح ايمانه هنالك بان كان منافقا او من قرا او مرآئيا او جاسوسا ثم لما اسر اظهر سبه عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام فانه حينئذ لا يقتل ففى مختصر العلامة خليل المالكى الا ان يسلم الكافر قال شارحه المشهور بحلولو اختلف فى الذمى اذا سب احدا من الانبياء ثم اسلم هل يدرأ عنه القتل باسلامه فقال مالك فى الواضحة والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ ان اسلم ترك قال اصبغ وسحنون لا يقال له اسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وحكى القاضى ابو محمد فى ذلك روايتين انتهى واما على نسخة تبصره بالموحدة فلا يبعد ان يراد به الفرق بين المتبصر بالدين من العلماء المتقين وبين الفسقة والجملة بمراتب اليقين فان الثانى يحتاج الى العلم باكراهه ببينة او قرينة بخلاف الاول فان الظن به فى مقام يقينه ان لا يقع له سب الا بعد تحقق اكراهه فيقبل قوله ويتفرع عليه ابانة امرأته منه وعدمها والله سبحانه وتعالى اعلم ومن فروع هذه المسئلة عندنا لو قالت زوجة اسير تخلص انه ارتد عن الاسلام وبنت منه فقال الاسير اكرهنى ملكهم بالقتل على الكفر بالله تعالى ففعلت مكرها فالقول لها ولا يصدق الاسير الا بالبينة (وعن محمد بن زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان فى مثل هذا) الشان واما وجهه سد الذريعة لفساد اهل الزمان (وافتى ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (فيمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله) اى ويقول مثله (فى صحوه) فان كل اناء يترشح بما فيه وهذا بناء على سوء الظن به مع انه لا يلزمه اذ السكران قد يقصد امه وبنته ونحوهما فى حال سكره مع انه لا يظن به انه يفعله حال صحوه (وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود) الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام كالزنى والمترتب عليه كالرجم (لانه ادخله على نفسه) باجترائه على نبيه ما لا يليق به (لان من شرب الخمر على علم) اى مع علمه بما يترتب عليها (من زوال عقله بها واتيان ما ينكر) صدوره (منه) بسببها (فهو كالعامد لما يكون بسببه) القتل (وعلى هذا الزمناه الطلاق) على خلاف فيه بين علمائنا والصحيح وقوعه تأكيدا الزجره (والعتاق والقصاص والحدود) كالقطع بالسرقة (ولا يعترض على هذا) الذى ذكر من ان السكران يؤاخذ بما صدر عنه حال سكره (بحديث حمزة) اى ابن عبد المطلب الذى رواه الشيخان عن على رضى الله عنه ان حمزة قبل ان تحرم الخمر كان فى شرب وبفناء الدار شارفان لعلى اراد ان يأتى عليهما باذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة رضى الله عنهم وعند حمزة واصحابه جارية تغنيهم فقالت الا يا حمز بالشرف النواء فخرج اليهما فبقر خواصرهما وجب اسنمتهما فاخبر على النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه فلما رأه حمزة صعد نظره اليه وخاطبه بما لا يليق لديه كما بين المصنف بعضه بقوله (وقوله) اى وبقول حمزة (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه كعلى (وهل انتم الا عبيد لابى فعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه) وفى نسخة انما هو (ثمل) بفتح المثلثة وكسر الميم اى سكران (فانصرف) عنه ولم يؤاخذه بما صدر منه (لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة) بل كان هذا سببا لتحريمها (فلم يكن فى جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث منها) من سكر من شرب منها (معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون) العاقبة ولهذا لما أم على رضى الله عنه فى حال سكره وقد قرأ اعبد ما تعبدون سومح فى امره

(فصل)

(الوجه الثالث ان يقصد) اى احد من الانام (الى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما قاله) اى فيما تواتر عنه من الكلام (او اتى به) اى من احكام الاسلام التى اجمع عليها الاعلام (او ينفى نبوته) مطلقا (او رسالته) الى غير العرب مثلا (او وجوده) فى عالم شهوده (او يكفر به) اى يتبرأ منه سواء (انتقل بقوله ذلك) وخروجه عن الاسلام هنالك (الى دين آخر) من التهود او التنصر او التمجس (غير ملته) استثناء لمجرد تأكيد فى قضيته (ام لا) اى ام لم ينتقل الى دين بان صار ملحدا او زنديقا او دهريا او وثنيا ضيا مى الا يسمى دينا عرفيا وان كان ما ذكر دينا لغويا (فهذا كافر بالاجماع يجب قتله) من غير النزاع (ثم ينظر) اى فى امره هنالك (فان كان مصرحا بذلك) اى معلنا غير مستتر (كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوى الخلاف) اى خلاف اصحاب مالك (فى استتابته) اى قبول توبته (وعلى القول الآخر) بكسر الخاء اى المعتبر الناسخ للقول الاول (لا تسقط القتل عنه توبته) فيقتل حدا (لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان) الملعون (ذكره) عليه الصلاة والسلام (بنقيصة فيما قاله) هذا المتنقص (من كذب) فى حقه (او غيره) بتغيير فى نعته وامره (وان كان متسترا) من التستر تفعل مأخوذ من الستر ضد الاخفاء وفى نسخة مستسرا بتشديد الراء من الاستسرار استفعال من السر ضد الكتم لا من السرور كما وهم الدلجى (فحكمه حكم الزنديق) اى الاصلى (لا تسقط

قتله التوبة عندنا) اى معشر المالكية قولا واحدا (كما سنبينه) اى قريبا (قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد) اى تبرأ منه واعرض عنه (او كذبه) اى فى نبوته وفى نسخة او كذب به اى بوجوده او بكرمه وجوده وظهور نور شهوده (فهو مرتد حلال الدم) اى قبل توبته (الا ان يرجع) عن برآءته ولو بعد استتابته (وقال ابن القاسم) اى المصرى صاحب مالك (فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل) الى الثقلين كافة (او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ تقوله) اى افتراه واختلقه (يقتل) وهذا مجمع عليه (قال) اى ابن القاسم (ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانكره) الواو بمعنى او (من المسلمين) اى احد منهم ولا يبعد ان يكون المعنى وانكر كونه من المسلمين (فهو بمنزلة المرتد) اى يقتل ان لم يتب وكان الاولى ان يقول فهو مرتد او فيجرى عليه حكم المرتد وهذا اذا كان معلنا الا مخفيا (وكذلك من اعلن بتكذيبه) اى اظهره جهرا (انه كالمرتد يستتاب) فان تاب والا قتل وهذا مما لا خلاف فيه الا عند بعض المالكية (وكذلك قال) اى ابن القاسم (فيمن تنبأ) اى ادعى انه نبى (وزعم انه يوحى اليه) انه كالمرتد يستتاب (وقاله) اى مثل مقال ابن القاسم (سحنون) وهو بفتح السين وضمها واغرب الدلجى بقوله وقد يكسر ثم هو فعلون ولذا صرف وقد يمنع بناء على مذهب الفارسى فى جعل مطلق المزيد تين علة (قال ابن القاسم دعا الى ذلك) اى الى انه نبى (سرا او جهرا) فانه يكون كالمرتد وكان مقتضى ما سبق انه اذ دعا سرا يكون كالزنديق فيحتاج الى فرق فى مقام جمع التحقيق والله ولى التوفيق (وقال اصبغ) اى ابن الفرج (وهو) اى من زعم انه نبى (كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى) حيث قال تعالى فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام انه خاتم النبيين (مع الفرية) بكسر الفاء اى الافتراء (على الله تعالى) قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ (وقال اشهب) اى ابن عبد العزيز المصرى (فى يهودى) اى مثلا (تنبأ) اى ادعى انه نبى فى حق نفسه (او زعم انه ارسل الى الناس) فى امره ونهيه (او قال بعد نبيكم نبى) اى يوجد بان يولد او نبى ناسخ لدين محمد لئلا يشكل بعيسى عليه الصلاة والسلام ولكن اليهودى لم يقصد ذلك وانما يتصور من النصرانى هنالك (انه يستتاب ان كان معلنا بذلك) بخلاف ما اذا كان مخفيا فانه معتقده هنالك (فان تاب) من اعلان مثل هذا المقال (والا قتل) فى الحال (وذلك) اى قتله (لانه مكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله) كما رواه الثقات (لا نبى بعدى) الاولى ان يستدل بقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين لان الحديث ما ثبت متواترا ليفيد اليقين ولا مشهورا عند المحدثين وان كان مشتهرا على السنة المؤمنين (مفتر على الله تعالى فى دعواه عليه الرسالة والنبوة) اى احداهما (وقال محمد بن سحنون من شك فى حرف) اى من تردد فى صحة حرف فى القرآن (مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله) اى وثبت مجيئه به متواترا (فهو كافر جاحد) اى معاند ملحد وكان الاظهر ان يقول من انكر لان من توقف فى بعض الحروف المختلفة بين القراء السبعة وان كانت كلها متواترة ولم يدر جزما بانه مما جاء به عن الله تعالى ام لا لا يحكم بكفره فان كثيرا من الناس اذا ترددوا فى كلمة يراجعون القراء العارفين بالقرآءة لا يقال مراده بالحرف هو المجمع عليه فان الاشكال باق على حاله اذ لا يخلو قارئ عن تردد فى حرف من حروفه نعم من شك فى حرف مع علمه بانه من القرآن فلا شك انه كافر (وقال) اى ابن سحنون (من كذب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مطلقا (كان حكمه عند الامة) اى جميعهم (القتل) وانما الخلاف فى انه هل يستتاب ولو بالاستمهال ام لا بل يقتل فى الحال (وقال احمد ابن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلاة والسلام باسود) بل كان ابيض كانما صيغ من فضة رواه الترمذى فى الشمائل عن ابى هريرة رضى الله عنه وفى رواية مسلم والترمذى عن ابى الطفيل كان ابيض مليحا وفى رواية البيهقى فى الدلائل عن على رضى الله عنه كان ابيض مشربا بالحمرة يعنى لا انه ابيض امهق وهو البياض المشبه بالجص المكروه عند اكثر الطباع السليمة والحاصل ان بياض لونه ثابت فى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة مختلفة فى المبنى متواترة فى المعنى فمن قال فى حقه انه كان اسود يكفر حيث وصفه بغير نعته الموجب لنفيه وتكذيبه لكن قد يعذر قائله اذا كان جاهلا بوصفه عليه الصلاة والسلام لا سيما اذا كان من العوام الا اذا اراد به تنقيصه واهانته عليه الصلاة والسلام وهذا يختلف باختلاف العرف بين الانام اذ السواد مرغوب بين الحبشة والهنود كما ان البياض مطلوب عند العرب والاعجام والاروام (وقال نحوه) اى مثل مقال ابن ابى سليمان (ابو عثمان الحداد قال) اى ابو عثمان وابعد الدلجى حيث قال اى ابن ابى سليمان (لو قال) اى احد من المسلمين (انه مات قبل ان يلتحى) اى تنبت لحيته (او انه كان بتاهرت) وفى نسخة بتهرت وهو بمثناة فوقية فى اوله وآخره وبفتح الهاء وسكون الراء مكان باقصى المغرب قيل هو آخر العمارة (ولم يكن بتهامة) بكسر اوله اى مكة او ارض الحجاز (قتل لان هذا نفى) متضمن لوجوده وظهور كرمه وجوده ثم القولان كلاهما مخالف للكتاب والسنة المشهورة اما بطلان

القول الاول فيستفاد من قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون واما بطلان القول الثانى فيستفاد من قوله تعالى لتنذر ام القرى ومن حولها والمراد بام القرى مكة بالاجماع واما بطلانهما من الحديث فقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام بعث على رأس اربعين سنة فاقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا وتوفى وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (قال حبيب بن ربيع تبديل صفته) اى المشهورة (ومواضعه) اى المأثورة بغيرهما (كفر) به ونفى لوجوده (والمظهر له) اى لتبديلها (كافر) اى ابتداء او مرتد اى انتهاء (وفيه الاستتابة) اى قبول التوبة (والمسر له) اى المخفى لهذا الاعتقاد الفاسد والكاتم لهذا القول الكاسد (زنديق يقتل دون استتابة) اى فى مذهب مالك

(فصـــل)

(الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل) مشتمل على تعدد معنى محتمل (ويلفظ) بكسر الفاء اى او ينطق (من القول بمشكل) باللام فى آخره اى بمعضل وتصحف على الدلجى بكافين فقال اى بما يوقع متأمله فى الشك (يمكن حمله) اى يجوز اطلاق ما ذكر من المجمل (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به) اى بالمشكل (من سلامته من المكروه او شره) اى من ملامته فهو عطف على سلامته لا على المكروه كما توهم الدلجى وقال اى سلامته من شره (فههنا) من المقامين (متردد النظر) بفتح الدال الاولى مشددة اى محل تردد للمتأمل فى المقالين (وحيرة العبر) توهم الانطاكى فقال العبر بكسر العين وفتح الموحدة جمع عبرة بفتح وسكون الموحدة وهى الدمعة وحيرتها اجتماعها من قولهم تحير الماء اى اجتمع انتهى والصواب فى هذا المقام انه جمع عبرة بكسر فسكون وهى اسم من الاعتبار ومنه قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار واستدل به النظار فى صحة القياس اى وتحير فى الاقيسة المتعارضة المنافية للقول اليقين (ومظنة اختلاف المجتهدين) بكسر الظاء اى موضع الشئ وما له الذى يظن كونه فيه (ووقفة استبراء المقلدين) اى وتوقف اطلب براءة العلماء العاملين من القضاة والمفتين وهو بكسر اللام لانه فى مقابلة المجتهدين وضبطه التلمسانى بفتح لامه (ليهلك من هلك عن بينة) اى ليضل من ضل عن حجة واضحة (ويحيى من حى) وفى قراءة من حيي اى يهتدى من اهتدى (عن بينة) اى دلالة لائحة (فمنهم من غلب) بتشديد اللام اى قدم (حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى) بفتح الحاء الاولى وكسر الثانية اى وصان ساحة (عرضه) عن تنقصه فى طوله وعرضه (فجسر على القتل) اى اقدم واجترأ على قتل قائله من غير استتابة (ومنهم من عظم حرمة الدم) المعصوم فى اصله (ودرأ الحد) اى ودفع القتل (بالشبهة) على الناظر فيه (لاحتمال القول) اى قوله ان يراد به الذم او خلافه وهذا هو الاولى لقوله عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة من الثقات وزاد ابن عدى واقيلوا الكرام عثراتهم الا فى حد من حدود الله تعالى وروى ابن ابى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لان يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ورواه ابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه ولفظه ادفعوا الحدود عن عباد الله تعالى ما وجدتم له مدفعا هذا وفيما نحن فيه يمكن الجمع بين حمى العرض وبين الدرء بعرض التوبة عليه فان تاب والا قتل فيرتفع حينئذ الاشكال ويزول الاحتمال بالجواب والسؤال والله تعالى اعلم بالحال (وقد اختلف أئمتنا) اى المالكية (فى رجل اغضبه غريمه) اى طالب دينه (فقال له) غريمه (صل على النبى محمد فقال له الطالب) اى غريمه (لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقصا له (او شتم الملائكة الذين يصلون عليه) صفة كاشفة وظاهره انه شتم لله وملائكته منطوقا ولرسوله ضمنا ومفهوما فان الله تعالى قال ان الله وملائكته يصلون على النبى وكان المصنف اقتصر على ذكر الملائكة لقوله لا صلى الله فان الظاهر منه المغايرة (قال) سحنون (لا) اى لا شتم هنا مطلقا (اذا كان) اى حال قائله (على ما وصفت) انت (من الغضب) اى من غضبه على مديونه (لانه لم يكن) حينئذ (مضمر الشتم) اى لا للنبى ولا لغيره من الملائكة وغيرهم بل المراد به امتناعه حينئذ من الصلاة المشعر ذكرها بالمساهلة فى المعاملة كما فى العرف والعادة حال المجادلة (وقال ابو اسحق البرقى) بفتح الموحدة (واصبغ بن الفرج) بالجيم (لا يقتل لانه انما شتم الناس) اى بظاهره لا اراد غيرهم بل اراد منهم بحسب لفظة الناس الموجودين لا الاتين والماضين لئلا يكون شتما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه الكرام والعلماء العظام والمشايخ الكرام والتعبير بالشتم فيه مسامحة لغوية اذ كلامه جملة دعائية وهذا قريب من اللغو فى العبارات العرفية (وهذا) الذى ذكر عنهما (نحو قول سحنون) لانه يغايرهما ويعارضهما (لانه) اى سحنون (لم يعذره) بكسر الذال اى لم يسامحه (بالغضب فى شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ضمنا ولا فى شتم الملائكة

ظاهرا (ولكنه) اى الشأن (لما احتمل الكلام عنده) اى احتمالين فاحتاج الى قرينة مرجحة لاحد الحالين (ولم تكن معه) اى مع كلامه (قرينة تدل على شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا مقدمة) اى سابقة من قرائن المقال او الحال (يحمل عليها كلامه بل القرينة) الحالية (تدل على ان مراده الناس من غير هؤلاء) اى النبى والملائكة ففيه نوع تغليب وقد تصحف على الدلجى وتحرف فى اصله غيرها اى غير الملائكة (ولاجل) اى ولا مقدمة لاجل (قول الاخر) والصواب ان التقدير وهذه القرينة الحالية لاجل قول الاخر وهو غريمه (له صل على النبى حمل قوله وسبه) اى دعاؤه عليه (لمن يصلى عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه) وهذا نظير ما قال علماؤنا فى يمين الفور من انها محمولة على وقت اليمين دون ما بعده على ان هنا احتمالا آخر وهو ان يكون تقدير كلامه لا اصلى عليه انا فى هذه الحال صلى الله على من صلى عليه فى الماضى والاستقبال (هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه) اى لدليل البرقى واصبغ على ما تقدم (وذهب الحارث بن مسكين القاضى) قال الحلبى هذا فقيه مشهور اموى مولى مروان مصرى روى عن ابن عيينة وابن وهب وابن القاسم وسأل الليث وعنه ابو داود والنسائى وجماعة ثقة حجة عاش نيفا وتسعين سنة قال الخطيب كان ثبتا فى الحديث فقيها على مذهب مالك حمله المأمون الى بغداد ايام المحنة لانه لم يجب الى القول بخلق القرآن فلم يزل محبوسا الى ان ولى المتوكل فاطلقه فحدث ببغداد ورجع الى مصر وكتب اليه المتوكل بعهده على قضاء مصر (وغيره) اى من العلماء المالكية (فى مثل هذا) القول وهو لا صلى الله (الى القتل) لشمول ظاهره شتم كل من صلى عليه من ملائكة وغيرهم (وتوقف ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق) وهو بضم الفاء وسكون النون وداله المهملة تضم وتفتح الخان فى عرف اهل مصر وهو موضع يأوى اليه الغرباء كالتجار من المسافرين ومن ليس له قريب من المجاورين (قرنان) بفتح القاف فعلان وهو نعت سوء فى الرجل وهو الذى يتغافل عن فجور امرأته وابنته واخته وقرابته وهو المسمى بالديوث وقيل المراد به القواد (ولو كان نبيا مرسلا) ولعل وجه توقفه انه حمل كلامه على قصد المبالغة العرفية الشاملة للامور المحالية (فامر) اى القابسى (بشده) اى ربطه (بالقيود) اى الوثيقة (والتضييق عليه) بالانكال الثقيلة (حتى يستفهم البينة) اى يستخبر ما بين امره ويعين حاله الصادرة (عن جملة الفاظه) اى كلماته فى محاورته (وما يدل على مقصده) اى ارادته (هل اراد اصحاب الفنادق الان) اى فى ذلك الزمان (فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره اخف) اذ يمكن حمله على المبالغة وارادة اعتقاده انه من المحال فتعزيره اخف فى مقام التنكيل ويمكن حمله على انه يجوز كون نبى مرسل يظهر بعد نبينا عليه الصلاة والسلام فيكون امره اشد ولم لا ذا قال بعض علمائنا ان من ادعى النبوة فقال له قائل اظهر المعجزة كفر (قال) اى القابسى (ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال) وفيه ان بعض الانبياء والرسل وان كانوا من اصحاب الاموال لكنهم لم يعرف مساكنهم فى الخانات وعلى تقدير التنزل فالكلام انما هو فى تجويز صدور مثل هذا الفعل الشنيع والعمل الفظيع من النبى المرسل فتأمل فانه من مواضع الزلل ولقد زل قلم الدلجى فى قوله هنا فلعل احدا منهم بنى فندقا فالله تعالى نزله المارة انتهى وفيه ان الكلام ليس فيمن بنى المقام وانما المراد به صاحب الخان خادم اهله وحافظ جمعه وحاشى مقام الرسل والانبياء عن مثل هذه الاشياء (قال) القابسى (ودم المسلم لا يقدم عليه) اى على سفكه (الا بامر بين) كما قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه الشيخان وفى الجواهر من كتب اصحابنا من قال قتل فلان حلال او مباح قبل ان يعلم منه ردة او قتل نفس او آلة جارحة عمدا على غير حق او يعلم منه زنى بعد احصان كفر (وما ترد اليه التأويلات) اى وما يتصور فيه الاحتمالات (لا بد من امعان) وروى انعام (النظر) اى اعماق التأمل والتفكر (فيه) اى فى امره ليظهر الوجه المرجح فى حقه (هذا معنى كلامه) اى كلام القابسى لا لفظه ومبناه وقال التلمسانى ما ذكره القاضى من ان الانبياء كانوا ذوى اموال قلنا ان اراد به صاحب المال فبين وان اراد به الحافظ والامين فلا يوجد نبى فعل ذلك لانه من اعظم النقائص فيكون معنى ذلك انه مثل كذا فهو كالاول لانه عيب ووصم فى سائر الناس فما بالك بالانبياء فيقتل قائل ذلك لانه شبه الكامل بالناقص وفى تشبيه الكامل بالناقص نقص ولم يبق الا سائر الناس فعليه فى ذلك الادب الشديد لان فيهم عالما ووليا واذاية سائر المسلمين توجب العقوبة والتعزير على قدر القائل والقول والمقول فيه (وحكى عن ابى محمد ابن ابى زيد رحمه الله تعالى) وفى نسخة عن ابن ابى زيد وهو ابو محمد القيروانى (فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم) اى قال احد هذه الاقوال (وذكر انه لم يرد الانبياء) لا من

العرب ولا من بنى اسرآئيل ولا من غيرهم بل ولا العلماء والاتقياء (وانما اردت الظالمين منهم) والفاسقين فيهم
(ان عليه الادب) اى التعزير (بقدر اجتهاد السلطان) اى الوالى والقاضى قال الدلجى ظاهره وان ادى الى التلاف
وفيه انه ينافى الادب وهذا ما حكى عن ابن ابى زيد (وكذلك افتى) اى ابن ابى زيد ولا يبعد ان يكون مندرجا
تحت قوله وحكى (فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال) اى وفيمن قال او والحال انه قال (لا اعلم من حرمه)
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وسيأتى الكلام عليه (وفى) اى وافتى ايضا فى (من لعن حديث لا يبع حاضر لباد)
اى سوقى لبدوى (ولعن) اى وفيمن لعن (ما جاء به) من النهى عن بيعه له وفى نسخة صحيحة ولعن من جاء به وهذا
مشكل جدا (انه) اى وافتى بانه (كان) وفى نسخة وهى ظاهرة ان كان (يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن) اى المأثورة
(فعليه الادب الوجيع وذلك) يحتمل ان يكون من كلام القاضى المؤلف او من كلام ابن ابى زيد فى توجيه افتائه
(ان هذا) اى لان قائله او وسبب ذلك انه (لم يقصد بظاهر حاله) من اسلامه (سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من
حرمه من الناس) وفيه ان الذى حرمه من الناس هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سب على تقدير جهله وظنه
ان المحرم انما هو بعض الناس من العلماء فمقتضى مذهبنا انه يكفر ففى الجواهر لو قال من يقدر على ان يعمل بما امر
العلماء به كفر وذلك لانه يلزم منه تكذيب العلماء على الانبياء اللهم الا ان يحمل من حرمه على من تسبب بتحريمه
(على نحو فتوى سحنون واصحابه فى المسألة المتقدمة) وهى من قال لا صلى الله الخ ولكن بينهما فرق بين يمنع صحة
المقايسة (ومثل هذا) الاولى ونظير هذا الذى تقدم (ما) زائدة او موصولة وفى اصل الدلجى كثيرا ما (يجرى فى كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول) بضم الهاء وسكون
الجيم اى فحشه واغرب الدلجى بان ادخل فيه قول بعضهم لبعض الاطفال يا ولد الزنى مع انه قذف صريح (ولا شك انه
يدخل فى مثل هذا العدد) وفى نسخة فى هذين العددين (من آبائه واجداده جماعة من الانبياء) وفيه ان الظاهر من
مقاله وقرينة حاله انه اراد به الكثرة لا حقيقة العدد وعلى سبيل التنزل فلا يدخل فيه جماعة من الانبياء لان الناس
فى زماننا كلهم من نسل نوح عليه السلام ويتصور فى غير بنى ابراهيم انه لا يدخل احد من الانبياء فى آبائه واجداده
بل وفى بنى اسرآئيل ايضا يجيء هذا البحث من المائة بل من الالف وانما التوقف فى السادة الاشراف مع انه قد يقال
انه يريد خلقته من نطفة جمع فساق اجتمعوا على وطئ امه فحينئذ يكون قذفا الا انه لاجل حصول الاحتمال يدرأ عنه
الحد فى الحال (ولعل بعض هذا العدد منقطع) اى منفصل وفى نسخة ينقطع عند نسبه (الى آدم) بل الى نوح بل الى
ابراهيم واولاده فلا محذور حينئذ فى كلامه وقد اغرب الدلجى بقوله اى متصل به من انقطع اليه ولم يركن الى
غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه لعداه بعن وانت خبير بانه تعلق بتصحيح مبناه وغفل عن
تصريح معناه فالوجه ما بيناه على ما قدمناه (فينبغى) اى فيجب مع هذا (الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه) وفى
نسخة بتبيين جهل قائله (وشدة الادب) اى التأديب (فيه ولو علم) بالبناء للمفعول اى ولو عرف (انه قصد سب من
فى آبائه احد من الانبياء) بالعدد الذى ذكره (على علم) منه به (لقتل) به وهذا واضح (وقد يضيق القول فى نحو هذا)
القول (لو قال احد لرجل هاشمى) اى من بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى جد عبد الله ابى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم) وهذا اذا كان لم يتصور وجود مائة اب او الف قبل وصولهم
الى اسماعيل عليه السلام والا فلا يعرف هاشمى قبل الاسلام الا ظالم ثم لا يظهر قيد الهاشمى لان القرشى بل وغيرهم
من العرب كلهم من نسل اسماعيل عليه السلام وحاصل كلام المصنف انه يؤدب وحمل الدلجى على انه من قبيل قول
ابن ابى زيد فيمن قال لعن الله العرب او لعن بنى اسرآئيل وقال اردت الظالمين منهم دون الانبياء لان نبينا عليه الصلاة
والسلام من المنسوبين الى هاشم وكذا على والحسن والحسين وحمزة وجعفر والعباس وغيرهم اللهم الا ان ارادوا
اولاد هاشم من صلبه (او قال) اى ويضيق الامر اذا قال احد (لرجل) معروف النسب (من ذرية النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قولا قبيحا فى آبائه او من) موصولة اى فيمن (نسله او ولده) بتخفيف السين واللام وقد يشددان والمعنى فيمن
بذره او ولده ومن بمعنى الذى وفى نسخة من بكسر الميم على انه حرف جر دخل على نسله بسكون السين وولده بفتحتين
او بضم فسكون (على علم منه) حال من ضمير قال والمعنى انه غير جاهل (انه من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم تكن قرينة فى المسئلتين) المتعلقتين بالقول القبيح فى آبائه ونسله وفى نسخة فى المسئلة اى المتقدمة (تقتضى
تخصيص بعض آبائه) اى دون بعض (واخراج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عمن سبه منهم) والمعنى انه لا يوجد هنا
قرينة دالة على قصد عمومهم ومن اللطائف ان بعض الاشراف قال لمن يخاصمه ويعاديه كيف تخالفنا وقد
امرت بالصلاة علينا فقال له خرج منها امثالكم بقولى وعلى آله الطيبين الطاهرين وقد رأيت لابى موسى ابن

شاش فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضى رضى الله تعالى عنه (وقد كان) اى
فى سابق الزمان (اختلاف شيوخنا) اى المالكية (فيمن قال لشاهد شهد عليه بشئ) جملة حالية ولا يبعد ان يكون
نعتا لما قبله (ثم قال) اى الشاهد له (تتهمنى) اى أتتهمنى فى شهادتى او غيرها (فقال الآخر) اى المشهود عليه (الانبياء
يتهمون) ان اراد بالكذب فهذا كفر صريح وان اراد ببعض المعاصى فلا لكن السياق قرينة للاول فتأمل (فكيف
انت) اى انت اولى بان تتهم (فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ) اى لكراهته وفى نسخة
لشناعة بشين وعين اى اقبحه وان كان يمكن صرفه عن ظاهره بانهم متهمون ببعض المعاصى (وكان القاضى
ابو محمد ابن منصور) اللخمى ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة (يتوقف عن القتل) اى احتياطا (لاحتمال اللفظ عنده)
اى احتمالا بعيدا (ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار) اى بالكذب فى الاخبار (ووافق فيها) اى فى المسألة هذه
(قاضى قرطبة) بضم القاف والطاء المهملة (ابو عبد الله ابن الحاج) اى التجيبى قتل بجامع قرطبة يوم الجمعة ظلما
وهو ساجد وقتله رجل معتوه وقتلته العامة فى الموضع الذى قتله فيه وقد ضرب رحمه الله تعالى بسكين فى خاصرته
وقيل قتل يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بعد صلاة العصر قال الدلجى
هو غير ابن الحاج صاحب المدخل (بنحو من هذا) اى توقف ابن منصور وفى نسخة بنحو هذا (وشدد القاضى ابو محمد)
اى ابن منصور (تصفيده) اى توثيقه وتقييده (واطال سجنه ثم استحلفه بعد) اى حلفه بعد ان فعل به ذلك (على
تكذيب ما شهد به عليه) من الحق (اذ دخل فى شهادة بعض من شهد عليه وهن) اى نوع طعن يوجب ضعف اعتماد
وقلة اعتقاد (ثم اطلقه) اى من القيد وتركه وفيه ان هذا التحليف ليس له دخل فى اصل المقصود من المسألة فى تهمة
بعض الشهود وانما الكلام فى نسبة التهمة الى ارباب النبوة اللهم الا ان يقال انه كان منكر الهذه المقالة وثبت عليه
بالبينة فى تلك الحالة الا ان بعض الشهود لم يكونوا مزكين (وشاهدت شيخنا القاضى ابا عبد الله) اسمه محمد
(ابن عيسى) اى ابن حسين التميمى ولد سنة تسع وعشرين واربعمائة وقد تفقه المصنف به (ايام قضائه اتى برجل هاتر
رجلا اسمه محمد) اى قال له سفها من القول يقال هتر العرض اى مزقه وقال ابن الاثير ومن قبله الهروى فى الغريبين
واللفظ للثانى المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اى يتقاولان ويتفالجان فى القول (ثم قصد الى كلب
هنالك زيادة على ذلك (فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف) اى جمع كثير
(من الناس) اى من قبائل شتى ومنه قوله تعالى جئنا بكم لفيفا اى مجتمعين مختلطين (فامر به الى السجن) بكسر
السين اى الى ادخاله فيه وفى نسخة بفتحها اى الى حبسه (وتقصى) بقاف وصاد مهملة مشددة اى استقصى وبالغ
فى التفحص والبحث (عن حاله) ليظهر منه حقيقة مقاله (وهل يصحب من يستراب بدينه) اى يشك فى اسلامه من
ذمى ونحوه (فلما لم يجد) اى ابن عيسى (عليه ما يقوى الريبة) اى التهمة والشبهة (باعتقاده ضربه بالسوط)
وفى نسخة بالسياط تعزيرا له حيث خاطب الكلب بالاسم الشريف ولم يظهر منه ما يدل على انه اراد الاهانة بالنبى
المنيف (واطلقه) ولم يقتله

(فصـــل)

(الوجه الخامس ان لا يقصد) اى فى مجمل قوله (نقصا) لنبيه (ولا يذكر عيبا) فى امره (ولا سبا) اى شتما او ذما
فى حقه (لكنه) فى محتمل كلامه (ينزع) اى يميل ويجذب (بذكر بعض اوصافه) عليه الصلاة والسلام الى ما يصرفه
عن ان يفهم منه نقص او ذم فى اثناء الكلام (او يستشهد) فى بعض ما قاله (ببعض احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة
عليه فى الدنيا) مما سبق بيانه وتقدم برهانه (على طريق ضرب المثل) متعلق بيستشهد (والحجة لنفسه او لغيره على
التشبه به) اى فى قوله عليه الصلاة والسلام او فعله (او عند هضيمة) اى نقيصة عظيمة (نالته) اى اصابته
(او غضاضة) بالغين والضاد المعجمتين اى مذلة وحقارة (لحقته) حصلت له عليه الصلاة والسلام (ليس على طريق
التأسى) اى الاقتداء به (وطريق التحقيق) اى الاهتداء به (بل على مقصد الترفيع) بالفاء اى على جهة اعلائه
(لنفسه) فى ابتلائه (او لغيره) من نحو آبائه او ابنائه (او على سبيل التمثيل) اى التشبيه لنفسه او لغيره به عليه الصلاة
والسلام (وعدم التوقير) اى التبجيل والتعظيم فى تمثيله (لنبيه عليه الصلاة والسلام او قصد الهزل) بصيغة الماضى
او المصدر المضاف (والتندير) مصدر ندر بدال مهملة مشددة ومعناه الاسقاط اى او قصد الساقط من القول
او الفعل (بقوله) ويجوز ان يكون من مادة الندور وهو الشذوذ فالمراد الاتيان بنادر من قول او فعل بشئ غريب
والحاصل انه خلاف التشهير مما يقتضى التعظيم والتوقير ووقع فى اصل الدلجى بالموحدة والذال المعجمة والظاهر
انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى حيث قال اى الاعلام بقوله وقال التلمسانى وعند الشارح التشديد بالدال اى

فى آخره قال وهو كالغيبة يقال ندد بفلان اذا قال فيه كلمة سوء قال الجوهرى يقال ندد به اى شهره وسمع به ومعناهما متقاربان انتهى ولا يخفى انه تصحيف ايضا لان هذا وقع سجعا فى مقابلة قوله التوقير فيتعين ان يكون برآءه فى آخره والله تعالى اعلم بباطنه وظاهره (كقول القائل ان قيل فىّ) بتشديد الياء اى ان ذكر فى حقى (السوء) بفتح السين وضمها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى عليهم دآئرة السوء وروى هنا بأل وبدونها (فقد قيل فى النبى) اى السوء بمثل ما يسوءه ويحزنه (او ان كذبت) بتشديد الذال مجهولا (فقد كذب الانبياء) وهذا وما قبله له محمل حسن اذ الظاهر انه اراد به التسلية بهم فى مقام الاقتدآء ومرام الاهتدآء بالصبر على اقوال الاعدآء ورميهم للناس بالاشياء من الاسوآء واما قوله (او ان اذنبت فقد اذنبوا) ففى خطر عظيم لعصمة الانبياء لاسيما وقد غفر لهم ما كان فى صورة المعصية وظهر منهم الاوبة فى مقام التوبة فلا يذكر الذنب المغفور بلا شبهة فى مقابلة الذى هو حقيقة المعصية وان تاب صاحبه عنه فهو تحت المشيئة لعدم صحة شرآئط التوبة فلا يقاس الصعلوك بالملوك (او انا) اى وانا (اسلم من السنة الناس) اى من ان ينسبوا الىّ مالم افعله (ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله) كما قال قائل

ولا احد من السن الناس سالم ✱ ولو انه ذاك النبى المطهر

(اوقد صبرت كما صبر اولوا العزم) وهذا خطأ فاحش عند اولى الحزم بل يوهم انه فضل نفسه على بعض الانبياء الذين قيل فى حقهم انهم ليسوا من اولى العزم كادم عليه السلام لقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما وكيونس عليه السلام لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (او كصبر ايوب) وهذا كذب ومجازفة فى القول (اوقد صبر نبى الله عن عداه) بكسر العين اسم جمع لعدو اى عن اعدآئه ويروى على عداه (وحلم) بضم اللام اى تحمل (على اكثر مما صبرت) اى تحملت عليه (وكقول المتنبى) وهو ابو الطيب الجعفى الكوفى الشاعر الاديب المجيد الاريب صاحب الديوان المعروف وله من بدآئع الشعر وحكمه اشياء عجيبة مشتملة على آداب وغيرها من امور غريبة ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة ونشأ بالشام والبادية وقال الشعر فى صغره واعتنى الفضلاء بشرح ديوان شعره قال السمعانى فى انسابه انما قيل له المتنبى لانه ادّعى النبوة فى بادية السماوة وتبعه كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ امير حمص بالاخشيدية فاسره وفرق اصحابه وسجنه طويلا ثم اشهد عليه انه تاب وكذب نفسه فيما ادعاه فاطلقه ثم طلب الشعر وقاله فاجاد وفاق اهل عصره فى حسن شعره واتصل بسيف الدولة بن حمدان فاكثر مدحه ثم سار الى عضد الدولة بفارس ومدحه وعاد الى بغداد فقتل فى طريقه بالقرب من النعمانية فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقيل انما قيل له المتنبى لانه قال (انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود) وفيه انه لا يلزم من هذا التشبيه دعوة النبوة والرسالة فى مقام التنبيه وجملة تداركها الله دعائية معترضة وقبله

ما مقامى بارض نخلة الا ✱ كمقام المسيح بين اليهود

(ونحوه) بالرفع اى ومثل شعره ويجوز جره اى وكقول نحوه (من اشعار المتعجرفين) اى المتجازفين المفرطين فى المدح بحيث لم يبالوا فى كلامهم ولم يحسوا فى اديانهم وعقائدهم (فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الرآء وهو ابو العلاء اللغوى الشاعر المشهور كان متضلعا من فنون الادب وله من النظم لزوم ما لا يلزم فى خمس مجلدات وذكر ان له كتابا سماه الايك والغصون يقارب مائة جزء فى الادب ايضا ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا لانه كان يرى رأى الحكماء توفى ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين واربعمائة بالمعرة وكان مرضه فى ثلاثة ايام وقبره فى ساحة من دور اهله ذكره ابن خلكان وذكره الذهبى فى الميزان فقال روى جزأ عن يحيى بن مسعر عن ابى عروبة الحرانى وله شعر يدل على الزندقة سقت اخباره فى تاريخى الكبير انتهى وفى حاشية التلمسانى قال القراوى فى كتاب اقتراح السميرى فى شرح مقامات الحريرى يزعمون انه منتحل لمذهب البراهمة مدمن على اعتقاده وفى اشعاره واسماعه ما يدخل القلب منه ريبة منها قوله (كنت) بالخطاب (موسى وافته) اى من الموافاة اى اتته (بنت شعيب) واختلف فى اسمها (غير ان ليس فيكما من فقير) فانه شبه فيه ممدوحه وزوجته بموسى عليه السلام وامرأته وهى بنت نبى جهلا منه برفيع شأنهم وبديع مكانهم (على ان آخر البيت) اى مع ان عجزه (شديد) فى القبح عند تدبره لان مضمونه التعيير لموسى بفقره (وداخل فى باب الازرآء) اى الاحتقار والانتقاص (والتحقير بالنبى) اى الكليم (عليه الصلاة والسلام وتفضيل حال غيره) من الامرآء الاغنياء (عليه) وسبب هذا كله التوصل للاغراض الدنية والاعراض الفانية والاعراض عن الدار الباقية بما يخفض الانبياء ويرفع السخفاء (وكذلك) اى ومثل هذا الازرآء فى حق الانبياء

(قوله) اى شعر ابى العلاء المعرى المعرى عن مقام الثناء (لولا انقطاع الوحى بعد محمد قلنا محمد) بالضم (من ابيه بديل) لغة فى بدل كمثل ومثيل وشبه وشبيه (هو مثله فى الفضل الا انه ✱ لم يأته برسالة جبريل) قال التلمسانى اجترأ على الله ورسوله فى قوله من ابيه فاثبت له ابوة والله تعالى يقول ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكذب كتاب الله وجعل الفضل متساويا وهو كما قال الغزالى شبه الملائكة بالحدادين من شبه من ليس بشئ برسول الله صلى الله عليه وسلم بل جعله مساويا له وهو محمد بن الرشيد العباسى (فصدر البيت الثانى من هذا الفصل) بالصاد المهملة اى النوع من الكلام (شديد) اى فى مقام قبح المرام وشدة الملام (لتشبيه غير النبى فى فضله بالنبى والعجز) اى وآخر البيت الثانى (محتمل لوجهين) وفى نسخة محتمل الوجهين وفى اخرى يحتمل الوجهين اى احدهما اقبح من الآخر (احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح) بتشديد القاف اى خفضته عن رفيع مقام النبى (والآخر استغناؤه عنها) اى عن رسالة جبريل عليه السلام (وهذه) الارادة (اشد) كفرا من الاحتمال الاول فتأمل وان كان الاحتمال الاول هو الاظهر فتدبر (ونحو منه قول الآخر) قال الحلبى لا اعرفه وقال التلمسانى هو لابن هانى انتهى والاول اظهر والاقال قوله الآخر (واذا ما رفعت راياته ✱ صفقت بين جناحى جبرئيل) وفى نسخة جبرئين بالنون وهو لغة كما يقال فى اسرآئيل واسماعيل ونحوهما ومازآئدة ورفعت مبنى للمجهول والرايات جمع راية وهى العلم وصفقت بتشديد الفاء من التصفيق بمعنى التصويت والتضعيف للتكثير وفى نسخة خفقت والمعنى اضطربت برياح النصر وهذا اجترآء على هذا الملك العظيم (وقول الآخر من اهل العصر) اى زمن المصنف قال الحلبى لا اعرفه (فر من الخلد واستجار بنا ✱ فصبر الله قلب رضوان) بكسر الرآء وضمها اى خازن الجنة قال الدلجى اى على فراقه اذ لم يجاوره فيه وهذه عجرفة كاذبة وقال التلمسانى استجار من الجوار اى لجأ اليه وسأله الاستنقاذ انتهى ومع هذا كله لم يتبين خلاصة المعنى من هذا المبنى حتى يتفرع عليه مذمة من كفر او فسق على ما لا يخفى (وكقول حسان) يصرف ولا يصرف (المصيصى) نسبة الى مصيصة كسفينة بلد بالشام ولا يشدد كذا فى القاموس وقال التلمسانى بكسر الميم يخفف ويشدد وقيل لا يصح التشديد وقيل ان كسر شدد وان فتح خفف وقيل بكسر الميم ويخفف وبفتح ويخفف وهو موضع من ثغور الشام (من شعرآء الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال ويضم وضم اللام وفى نسخة شعار الاندلس على انه مبالغة شاعر (فى محمد بن عباد) بتشديد الموحدة وكنيته ابو القاسم من ملوك الاندلس (المعروف بالمعتمد) بكسر الميم الثانية اى المعتمد بالله تعالى توفى فى السجن سنة ثمان وثمانين واربعمائة له قصة عجيبة مذكورة فى تاريخ ابن خلكان (ووزيره) اى وفى وزيره ومشيره (ابى بكر ابن زيدون) يصرف ويمنع (كان ابا بكر ابو بكر الرضى ✱ وحسان حسان وانت محمد) اى كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر ابن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصى حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانك انت الممدوح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اطال الشراح تبعا للمصنف على هذا المقال لكن لا يخلو عن نوع من الاشكال فانه لا يلزم من التشبيه التسوية فى الكمال بل من القاعدة المقررة ان المشبه به اقوى فى جميع الاحوال كما هو مقرر فى زيد الاسد الذى هو ابلغ من زيد كالاسد ومنه قولهم ابو يوسف ابو حنيفة ويقال وجه فلان كالبدر او الشمس او القمر وامثال ذلك فتدبر وكان المصنف رحمه الله اراد سد باب الذريعة ليحذر الناس عن المقالات الشنيعة (الى امثال هذا) اى الذى ذكرناه من المتعجرفين (وانما كثرنا) بتشديد المثلثة وفى نسخة اكثرنا (بشاهدها مع استثقالنا حكايتها) اى روايتها على ان نقل الكفر ليس بكفر لكن صيانة الالسنة عنه اولى الا لضرورة داعية (لتعريف امثالها) وفى اصل التلمسانى لتعرف بها امثلتها وروى لتعرف امثلتها ولتعريف امثلتها (ولتساهل كثير من الناس) اى من الشعرآء وغيرهم (فى ولوج هذا الباب الضنك) بفتح الضاد المعجمة وسكون النون اى دخول هذا الطريق الضيق فى المعيشة وغيرها ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا وقيل الطريق المظلم وبلائمه قوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى (واستخفافهم فادح هذا العبء) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة فبعدها همزة الحمل والفادح بالفاء وكسر الدال والحاء المهملتين المثقل اى وعد الناس ثقل هذا الحمل خفيفا (وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر) اى الاثم الثقيل (وكلامهم منه بما) وفى نسخة وكلامهم فيه بما (ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وهذا مقتبس من قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا اى صغيرة وهو عند الله عظيم اى كبيرة وقد جزع بعض الاكابر عند موته فقيل له لم جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال فات وتم ما قيل وجود لك ذنب لا يقاس به ذنب (لاسيما الشعرآء) الذين ورد فى حقهم والشعرآء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد

ماظلموا وقليل ماهم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال التلمسانى لاسيما يشدد ويلزمه الواو وقيل لا ويخفف ولا واو وقيل بالواو وبدونها يخفف ويشدد ويقال لاسواها وما بعد لاسيما معرفة فيجر ويرفع وينصب وقيل النصب فيه لايصح ونكرة فالثلاثة والمختار ان ما زائدة وسى مضاف لما بعده والرفع خبر لمحذوف وما موصولة او نكرة موصوفة وهو ضعيف فى المعرفة قيل وينصب المعرفة ووجهه ان ما كافة ولاسيما كذلك فى الاستثناء وهو ضعيف لان الاستثناء اخراج وهذا فيه ادخال هذا وقد قيل الشعرآء امرآء الكلام يصرفونه حيث شاؤه وجاز لهم ما لايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتأنق فى صفاته وقيل الاقتصاد محمود الامنهم والكذب مذموم الامنهم وقيل اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بادنى زلة ولذا قيل فيهم

الكلب والشاعر فى رتبة * ياليت انى لم اكن شاعرا

اقول بل الكلب احسن منه كما اشار اليه الشاطبى بقوله

وقد قيل كن كالكلب يقصيه اهله * وما يأتلى فى نصحهم متبذلا

والمشهور ان فيه عشر خصال من خصال رجال الابدال ما اظن ان واحدة منها توجد فى شاعر الحال (واشدهم فيه تصريحا ولسانه تصريحا) اى ارسالا واطلاقا من غير ان يكون تلويحا (ابن هانئ) بكسر النون فهمز وقد يسهل (الاندلسى) قال الحلبى هو ابو القاسم محمد الازدى وكان ابوه هانئ من قرية من قرى المهدية ولد بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظا لاشعار العرب واخبارهم وكان متهما بمذهب الفلاسفة توجه الى مصر ثم عاد الى المغرب فلما كان ببرقه اضافه شخص فاقام عنده اياما فعربدوا عليه فقتلوه وقيل بل وجد مخنوقا وقيل بل نام فوجد ميتا وذلك سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهو فى المغرب كالمتنبى فى المشرق وكانا متعاصرين ذكره ابن خلكان (وابن سليمان) وفى نسخة وابو سليمان (المعرى بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف بالدين والنقص) بالنبى (وصريح الكفر) بالله (وقد اجبنا عنه) اى عن كلامهما وما يترتب على مقامهما فيما مضى وفى هذا تنبيه نبيه على انه يحرم سماع شعرهما وامثالهما كما يحرم مطالعة كتب ابن عربى بل ومطالعة الكشاف ونحوهما حذرا من دسمهما فى كلامهما ما يعد من سمهما فى دسمهما كما الفت فى كفريات ابن عربى مما يتعلق بتوحيد الله تعالى اونقص النبى رسالة مستقلة (وغرضنا الآن) هو (الكلام فى هذا الفصل الذى سقنا امثلته) نظما ونثرا (فان هذه) الامثلة (كلها وان لم تتضمن سبا) اى ذما صريحا (ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا) اى عيبا قبيحا (ولست اعنى) اى اريد بهذا النفى (عجزى بيتى المعرى) فانه كفر واضح والحاد لائح واما قول الدلجى ولست اعنى عجزى بيتى المعرى فقط بل جميع ماذكرناه من الامثلة خطأ فاحش من جهة لزوم التسوية ثم الجملة حالية معترضة بين المتعاطفين مما قبلها وما بعدها وهو قوله (ولا قصد قائلها ازرآء) اى احتقارا (وغضا) اى انتقاصا كالمعرى لكن مع ذلك ما قام بحق الكلام فيما هنا لان (ما وقر النبوة) اى ما بجلها ولا صاحبها (ولا عظم الرسالة) ولا مرسلها (ولا عزر) بتشديد الزاى وفى آخره رآء اى ولا قوى (حرمة الاصطفاء ولا عزز) بتشديد الزاى الاولى (حظوة الكرامة) بضم الحاء المهملة وبكسر وسكون الظاء المعجمة اى المرتبة المكرمة والمنزلة المعظمة (حتى شبه) من الممدوحين من الامرآء او الوزرآء (من شبه) بماذكر من الانبياء والاصفياء (فى كرامة نالها) اى لاجل جائزة اصابها من ممدوحه (او معرة) اى مصيبة او منقصة او مشقة (قصد الانتفاء منها) والتبرى عنها (او ضرب مثل) لكشف المراد (لتطييب مجلسه) اى لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا فى مجالسته ومخالطته ومصاحبته ومكالمته (او اعلاء) بعين مهملة اى رفع ومبالغة وبغين معجمة اى مغالاة ومجاوزة فى مقالات (فى وصف لتحسين كلامه) وتزيين مرامه (بمن عظم الله خطره) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى منزلته (وشرف قدره) اى مرتبته من انبيائه واصفيائه (والزم) كل احد (توقيره) اى تعظيمه (وبره) بطاعته له وانقياده اكتسابا واجتنابا بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول (ونهى عن جهر القول له) بقوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول (ورفع الصوت عنده) اى حيا وميتا بقوله عز وجل لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى قال الدلجى اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو موهم ان هذا مختص به وليس كذلك فانه يشمله وغيره فمن ادرك عيسى عليه السلام فيجب عليه ان يكون معه كذلك فى مقام الاكرام بل ويؤخذ منه التأدب مع العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والقضاة الفخام بل مع الوالدين وسائر صلحاء الانام (فحق هذا) القائل الذى لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه بذكر بعض اوصافه ينزع الى ما يصرفه عن ان تفهم منه سبا او نقصا (ان درئ) اى دفع (عنه القتل) اى احتياطا (الادب) بضرب وحبس وتوبيخ فظيع (والسجن) اى فى مكان شنيع بحسب حاله (وقوة تعزيره) اى شدة تأديبه وتشهيره (بحسب شنعة مقاله)

بضم فسكون نون اى نكارته (ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته) اى دأبه (لمثله) اى لمثل ما نطق به (او ندوره) بضمتين اى مخلوف عادته (وقرينة كلامه) حالية او مقالية (او ندمه) اى او بحسب ظهور ندامته (على ما سبق منه) وصدر عنه (ولم يزل المتقدمون) من العلماء والامرآء (ينكرون مثل هذا) المدح الموهم للقدح (ممن جاء به) من الشعرآء (وقد انكر الرشيد) وهو هارون من احفاد العباس (على ابى نواس) بضم النون فهمزة ويبدل كان والده مولى الجراح ابن عبد الله الحكمى والى خراسان ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد ديوانه معروف توفى سنة خمس وتسعين ومائة ببغداد ودفن فى مقابر الشونيزية ومن جيد شعره قوله فى نعت النرجس

تأمل فى نبات الارض وانظر * الى آثار ماصنع المليك

عيون من لجين جاريات * على اطرافها الذهب السبيك

على قضب الزمرد شاهدات * بان الله ليس له شريك

وقال اسحق التمار رأيت ابا نواس فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى فانكرت ذلك فقلت ألست ابا نواس قال نعم غفر لى ربى بابيات قلتها وهى فى البيت تحت رأسى فقال فبكرت الى ابنه فسألته عن الرقعة فادخلنى الدار فرفعت الحصر فاذا رقعة مكتوب فيها بخطه

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة * فلقد علمت بان عفوك اعظم

ان كان لايرجوك الامحسن * فمن الذى يدعو ويرجو المجرم

مالى اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظنى ثم انى مسلم

ادعوك رب كما امرت تضرعا * فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

هذا وانما انكر الرشيد (قوله فان يك باقى سحر فرعون فيكم وا * فان عصا موسى بكف خصيب) بخاء معجمة وصاد مهملة اى رحيب الجانب كريم على الاقارب والاجانب قال التلمسانى وعند الشارح ان المراد بخصيب عامل لبعض الملوك العباسيين وهو المأمون بن الرشيد وروى خضيب بالخاء والضاد المعجمتين يقال كف خضيب مختضب بالحناء اى ان يكن فى مملكتكم ارض مصر بقية من سحر فرعون فلا هى تجدى نفعا مع وجود عصا موسى بكف اميرها خصيب تلقف ما يأفكون ولا شبهة انه ما اراد به اثبات النبوة لممدوحه الا ان فى كلامه استعارة نوع من الموهمة فى ظاهر العبارة هنالك فوبخه بذلك (وقال له يا ابن اللخناء) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة فنون فالف ممدودة من اللخن وهو النتن اى يا ابن المنتنة (انت المستهزئ) اى المستحقر (بعصا موسى) بجعلك اياها بكف خصيب (وامر باخراجه عن عسكره فى ليلته) وفى نسخة من ليلته (وذكر القتيبى) بضم القاف وفتح الفوقية قال الحلبى انه عبد الله بن مسلم بن قتيبة وفى نسخة بضم العين المهملة وسكون الفوقية (ان مما اخذ عليه) اى انكر على ابى نواس (وكفر فيه) وفى نسخة بتشديد الفاء مجهولا وفى نسخة به اى بسببه (او قارب) اى قرب ان يكفر او يكفر (قوله فى محمد الامين) اى ابن هارون الرشيد بن المهدى وتوفى الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة فبويع للامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها الرشيد وكان المأمون حينئذ بمرو وكتب صالح بن الرشيد الى اخيه الامين بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم فارسل معه خاتم الخليفة والبردة والقضيب ولما وصل الى الامين ببغداد اجيزت له البيعة ببغداد وتحول الى قصر الخلافة ثم قدمت عليه زبيدة امه من الرقة ومعها خزآئن الرشيد فتلقاها ابنها الامين بالاقبال ومعه جميع وجوه بغداد وقضاياه مشهورة قتل سنة ثمان وتسعين ومائة وكانت خلافته اربع سنين وثمانية اشهر وكسرا (وتشبيهه) اى ابى نواس (اياه) اى محمد الامين (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال) وفى نسخة فى الشعر (تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها) اى تشابها (خلقا وخلقا كما قد الشراكان) الشبه بكسر الشين وسكون الموحدة لغة فى شبه بفتحتين والخلق بفتح اوله ظاهر الخلقة وبضمه باطنها واراد بهما الصورة والسيرة يقال هذا شبهه وشبهه اى شبيهه وقد بضم القاف وتشديد الدال المهملة اى قطع وقدر والشراك بكسر الشين سير النعل واراد المبالغة فى استوآئهما فى الفضل وهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح الا ان يدعى انه اراد بالاحمد غير محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانه عدل عن المحمدين الى الاحمدين ليستقيم الوزن ولعله اراد بالسيرة صفة الامانة ولكن بين الامينين بون بين واغماضه على مقاله صورة موافقة الاسمين والوصفين (وقد انكروا) اى العلماء او الامرآء او هما جميعا (ايضا عليه قوله) اى على ابى نواس وفى نسخة على الآخر وهو اصل التلمسانى وقال هكذا روى وصوابه عليه لانه قوله وقال الحلبى وفى نسخة على الآخر وفى نسخة عليه وهو الصحيح اذ قد صرح السهيلى فى روضه بانه من

قول ابى نواس (كيف لايدنيك من امل) اى كيف لايقربك من رجائك (من رسول الله من نفره) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى من رهطه وعشيرته وقرابته واما اطلاق النفر على الخادم فحادث وانما انكروا عليه (لان حق الرسول) اى رسول الله (وموجب تعظيمه) بفتح الجيم اى مقتضى تكريمه وابعد الدلجى فقال بكسر الجيم اى مايوجب ترغيبا فى تعظيمه (وانافة منزلته) اى رفعة مرتبته (ان يضاف) اى ينسب غيره (اليه) اى الى شرف نسبه وكريم حسبه (ولايضاف) اى هو الى احد وفى نسخة الى غيره والافالاضافة النسبية وغيرها كلها ثابتة وقد يعتذر قائله بصيغة القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض لاسيما فى ضرورة الشعر الا انه فى حقه عليه الصلاة والسلام لايعذر بمثل هذا الكلام وحكى عن على بن الاصغر وكان من رواة ابى نواس قال لما عمل ابو نواس قصيدة ايها المنتاب عن عفره * انشدنيها فلما بلغ قوله

كيف لايدنيك من امل * من رسول الله من نفره

وقع لى انه كلام مستهجن فى غير موضعه اذ كان حق رسول الله ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى احد فقلت له أعرفت عيب هذا البيت قال مايعيبه الا جاهل بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبيل الذى هو الممدوح منه * اما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

وما زال فى الاسلام من دين هاشم * دعائم عز لاترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن امه * على ومنهم احمد المتخير

قال الحلبى نقلا عن السهيلى ان البهاليل جمع بهلول وهو الوضىء الوجه مع طول وقوله ومنهم احمد المتخير قد عابه بعض الناس لما اضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب فى قول ابى نواس كيف لايدنيك البيت لانه ذكر واحدا واضاف اليه قال التلمسانى وانما اراد التخلص بحجة ما فى رواية اقول لما قيل الغريق يتعلق بكل حشيش واما قول الانطاكى ويستند ايضا بقول حسان هذا على جواز التقديم والتأخير فى الواو فانه بدأ فى اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلى ثم بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو المقدم فى الحقيقة ففيه ان هذا من قبيل الترقى لا التدلى (فالحكم فى امثال هذا) الذى اوردناه وفى نسخة فى مثل هذا قال التلمسانى هو انسب (ما بسطناه) اى ما فصلناه وبيناه (من) وفى نسخة فى (طريق الفتيا) بضم الفاء لغة فى الفتوى بفتحها وهما مشهورتان كما ذكره النووى يعنى ان كلا يقضى عليه بحسب ما ظهر منه وصدر عنه (وعلى هذا المنهج) الذى سلكناه والمعنى على طبقه ووفقه (جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه) اى اتباعه ممن ادركه وغيره (ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم) اى الجمحى البصرى ابو محمد الحافظ يروى عن الليث وطائفة وعنه ابن معين وابو حاتم وجماعة ثقة اخرج له الائمة الستة (عنه) اى عن مالك (فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى) اى بالفقر كما فى نسخة اى أتعيرنى به (وقد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم) قال الدلجى على قراريط لقريش والمحققون انه عليه الصلاة والسلام لم يرع لاحد بالاجرة وانما رعى غنم نفسه وهذا لم يكن عيبا فى قومه كما يعرف من رعى بنات شعيب ورعى موسى عليهما السلام بل قيل كل نبى رعى الغنم والله تعالى اعلم ليتدرب على رعاية الامة بوجه الترحم كما اشار اليه بقوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى عن ابن عمر وسيأتى زيادة الكلام على هذا المرام وقد حكى ان موسى عليه السلام رأى شاة شاردة فتبعها ليردها فزادت فى شرادها وتنفرها حتى بعدت عن قطيعها فلحقها فحملها على كتفه رحمة لها فنودى فى الملكوت بين المقربين أيصلح هذا العبد ان يكون من الانبياء والمرسلين فقالوا انعم يارب العالمين ويا ارحم الراحمين هذا واما رواية رعى بقراريط فقالوا انه اسم موضع (فقال مالك قد عرض) بتشديد الراء اى لوح (بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غير موضعه) اللائق به (ارى ان يؤدب) قال الانطاكى روى انه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين لذلك المنافق الذى قال ألا ترون صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل ويلك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا والحديث فى الكشاف وفيه دليل على جواز اطلاق اسم الراعى على الانبياء وان ذلك لا يستوجب التأديب اذا لم يقصد القائل به منقصة ولعل هذا الحديث لم يبلغ مالكا او لم يصح عنده انتهى ولا يخفى ان الحديث اذا لم يصح عنده كيف يخفى عليه ان موسى رعى الغنم (قال) اى مالك (ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا) فيما صدر عنهم من خطأ فى قول

اوفعل (ان يقولوا) فى جواب العتاب (قد اخطأت الانبياء قبلنا) فان هذا خطأ من وجوه اذ لا يقاس الحدادون بالملائكة فان خطأ الانبياء ما كانت الازلات نادرة فى بعض اوقات تسمى صغائر بل خلاف الاولى بل حسنات بالنسبة الى سيئات غيرهم وهى مع هذا ممحوة بتوبة عقيبها وتحقق قبولها كما اخبر الله بها بخلاف ذنوب الامم فانها شاملة للكبائر وغيرها عمدا او خطأ واستمرارا او على تقدير توبتهم لا يعرف تحقق شروط صحتها وقبولها بل ولا يدرى خاتمة امر صاحبها بخلاف الانبياء فانهم معصومون من الاصرار على المعصية ومأمونون من سوء الخاتمة فلا تصح هذه المقايسة (وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبى عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لى ابدا) وهذا يوافق ما قال امامنا فى الفقه الاكبر ان والدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وقد كتبت فى هذه المسألة رسالة مستقلة ودفعت فيها ما ذكره السيوطى من الادلة على خلاف ذلك فى رسائله الثلاث لكن لا يجوز ان يذكر مثل هذا فى مقام المعيرة (وقد كره سحنون ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب) اى قصده (والاحتساب) اى طلب الاجر (توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح) اى صورته (كانه وجه نكير) هو احد ملكى سؤال القبر والآخر منكر وانما سميا بذلك لانهما يأتيان العبد بهيئة منكرة وصورة مغيرة امتحانا من الله لعبده فى المقبرة (ولرجل) اى او قال رجل لرجل (عبوس) اى وجهه وجبينه (كانه) اى وجهه (وجه مالك الغضبان) على اهل العصيان وهو خازن النار قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وروى ملك بدون الالف وصوابهما ان يكونا بالتنوين وغضبان نعتهما (فقال) اى القابسى (اى شئ) بالرفع ويجوز نصبه اى ما الذى (اراد بهذا) الكلام (ونكير احد فتانى القبر) بتشديد الفوقية اى احد الممتحنين فى القبر والجملة معترضة حالية وكذا قوله (وهما) اى نكير ومنكر او نكير ومالك (ملكان) من جملة الملائكة المقربين ولما طال الفصل بالجملتين اعاد الكلام بقوله (فما الذى اراد أروع) بفتح الراء اى أخوف وفزع (دخل عليه) اى على القائل (حين رآه) اى المقول له وفى نسخة اذ رآه (من وجهه) متعلق بدخل اى من جهة هيبة وجهه (ام عاف النظر اليه) اى كره رؤيته لديه ووقوع بصره عليه وفى نسخة عاب بدل عاف (لدمامة خلقه) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة اى حقارة صورته (فان كان) مراده (هذا) اى القصد الثانى (فهو شديد) فى التنكير (لانه جرى مجرى التحقير والتهوين) الذى يوجب التكفير وفى نسخة التوهين (فهو) اى هذا القائل بهذا المعنى وفى نسخة فهذا (اشد عقوبة) اى يستحق ان يعاقب اشد عقوبة من القائل بالمعنى الاول (وليس فيه تصريح السب للملك) والا فكان موجبه القتل (وانما السب واقع على المخاطب) الا انه يستحق التأديب لما فى تشبيهه من قلة الادب (وفى الادب بالسوط) اى بالضرب به (والسجن) اى حبسه (نكال) اى عبرة (للسفهاء) وعقوبة تمنعهم عن مثل هذه الاشياء فان السجن قبر الاحياء ومن احسن ما قيل فى باب السجن قول بعضهم

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى

اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالدنيا بجل حديثنا * اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا

ثم من الفاظ الكفر رجل قال لغيره رؤيتك عندى كرؤية ملك الموت وقد اختلف علماؤنا فيه فقال اكثرهم يكون كفرا وقال بعضهم ان قال ذلك لعداوة ملك الموت يصير كافرا وان قال ذلك لكراهة الموت لا يصير كافرا كذا فى فتاوى قاضيخان وهذا الاخير هو الصحيح ودليله قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين (قال) اى القابسى (واما ذكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره) اى غلظ طبعه وقل ادبه حيث تفوه بقوله وجه مالك الغضبان وضبطه الدلجى بالهمزة وفسره برمى (عندما انكر حاله) وفى نسخة عندما رأى (من عبوس الآخر) وهو المقول له (الا ان يكون المعبس) بتشديد الموحدة المكسورة (ممن له يد) اى تصرف سلطنة وقدرة عقوبة (فيرهب) بصيغة المجهول مخففا ومشددا اى فيخاف وقال الحلبى يرهب رباعى مبنى للفاعل اى يخيف والاظهر انه ثلاثى بصيغة الفاعل اى فيخاف ويفزع (بعبسته) بفتحتين وفى نسخة بضم فسكون وفى نسخة بعبوسه (فيشبهه) وفى نسخة فشبهه (القائل على طريق الذم) او المدح او الخوف او المزح (لهذا) الذى له يد (فى فعله) اى من اظهار سوء خلقه (ولزومه فى ظلمه صفة مالك) اى خازن النار (الملك) المعظم المطاع (المطيع لربه فى فعله) اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (فيقول كانه لله يغضب غضب مالك) خازن النار فيه حينئذ لا يظهر وجه الذم (فيكون) قوله ذلك حينئذ (اخف) مما قبله (وما كان ينبغى) مع ذلك

(له التعريض) وفي نسخة التعرض (بمثل هذا) التشبيه وهو قوله كأنه وجه مالك الغضبان (ولو كان) هذا القائل (أتى على العبوس بعينه واحتج بصفة مالك) خازن النار (كان) قوله ذلك (اشد) من ذلك الاخف (ويعاقب) عليه (المعاقبة الشديدة) وفيه بحث حيث جعل مقام الثناء والمدح اشد من مقال الذم والقدح (وليس في هذا) الذي ذكرناه من تأويل قررناه (ذم للملك) اي اصلا (ولو قصد ذمه لقتل) لانه كفر به واخطأ الدلجي في قوله قتل حدا لا كفرا لان كفره وقتله مجمع عليه وانما يكون قتله حدا عند المالكية اذا تاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقال ابو الحسن) اي القابسي (ايضا في شاب معروف بالخير) اي الصلاح (قال لرجل شيأ) من الكلام (فقال له الرجل) اي له (اسكت) زجرا له عما قال (فانك امي) اي مغفل لا تفرق بين الخير والشر او عامي ما قرأت شيأ من العلم وعند الفقهاء هو من لا يحسن الفاتحة ومن معانيه منسوب الى الام اي على اصل ولادته من غير اكتساب في قرآءته وكتابته او منسوب الى ام القرى وهي مكة وما حواليها او منسوب الى الامة بمعنى الجماعة (فقال الشاب أليس كان النبي اميا فشنع عليه) بصيغة المجهول مشددا اي قبح وذم (مقاله وكفره الناس) اي عامتهم فتغير له الحال (واشفق الشاب) اي خاف على نفسه ودينه (مما قال واظهر الندم) اي الندامة والتوبة (عليه) من ذلك اسوء المقال (فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده) اي استدلاله بكونه اميا (بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث لم يفرق بين الاميين كما بينه المصنف بقوله (وكون النبي اميا آية له) اي معجزة وكرامة كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وكون هذا) الشاب وغيره (اميا نقيصة فيه وجهالة) اي في حقه وقال الدلجي وجهالة برفيع محله عليه الصلاة والسلام (ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) دفع جهالته عن نفسه (لكنه اذا استغفر وتاب واعترف) بانه مخطئ في هذا الباب (ولجأ الى الله تعالى) على طريق الاضطرار (فيترك) عن العقاب وفي نسخة ترك (لان قوله) أليس كان النبي اميا (لا ينتهي الى حد القتل) اي الى حد يوجب القتل وانما يوجب التعزير والتأديب (وما طريقه) اي موجبه (الادب فطوع فاعله) اي فانقياد فاعله الاعم من قائله (بالندم عليه يوجب الكف عنه) اي بعدم التعرض له بسوء وفي الخلاصة روى عن ابي يوسف انه قيل بحضرة الخليفة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فامر ابو يوسف باحضار النطع والسيف فقال الرجل استغفر الله مما ذكرته ومن جميع ما يوجب الكفر اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتركه ولم يقتله وتأويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف والا فالكراهة الطبيعية ليست داخلة تحت الاعمال الاختيارية ولا يكلف بها احد في القواعد الشرعية (ونزلت ايضا مسألة) اي وردت (استفتى فيها) اي طلب الجواب عنها (بعض قضاة الاندلس) وفي نسخة بعد اي بعد هذه القضية فيرفع قضاة الاندلس لانه فاعل والمفعول على كل تقدير (شيخنا القاضي ابا محمد ابن منصور رحمه الله في رجل تنقصه رجل آخر بشيء) من الكلام وفي اصل الدلجي بشيء من القول (فقال له انما تريد نقصي بقولك) لي ذلك (وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص) اي البشري (حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع ويجوز نصبه وجره (فافتاه باطالة سجنه) اي حبسه مدة طويلة (وايجاع ادبه) حال ضربه (اذ لم يقصد السب) والا فيحكم بقتله لكفره (وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله) اخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره ولعل هذا كله مبني على السياسة وسد باب الذريعة والا فالمخلوق من حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفي صدد الزوال عن عالم الشهود وناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لا سيما ولا يخلو احد عن تقصير في مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما اومأ اليه صلى الله تعالى وسلم عليه بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ما امره قال البيضاوي لم يقض الانسان من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية ما امر الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما ولو كان عظيما في قدره

* (فصل) *

(الوجه السادس ان يقول القائل ذلك) القول الذي فيه نقص من قدره (حاكيا عن غيره وآثرا) بهمزة ممدودة وكسر مثلثة اي راو وناقلا (عن سواه) وفي نسخة واثرا بفتحتين اي رواية والاظهر انه مصدر بمعنى فاعل ليلائم المعطوف عليه (فهذا) الناقل (ينظر) من جهة قرآئن روايته (في صورة حكايته وقرينة مقالته) ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته (ويختلف الحكم) المقضي عليه به فيه (باختلاف ذلك) مما يظهر من صورة حكايته وقرينة حالته هنالك (على اربعة وجوه) من الاحكام (الوجوب) بالجر ويجوز اخواته (والندب والكراهة والتحريم) بدل بعض من كل او كل من كل بان يكون الربط بعد العطف وهذا ذكره اجمالا واما بيانه تفصيلا (فان كان) اي ناقله

(اخبر به على وجه الشهادة) لاحد او عليه نفيا او اثباتا (والتعريف بقائله) حالا وصفة (والانكار) اي عليه كما في نسخة (والاعلام بقوله) ليعلم ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك (والتنفير منه) اي بالاحتراس والاحتراز عنه (والتجريح له) بتقديم الجيم على الحاء المهملة يقال جرحه بالتخفيف والتشديد اي ذكر عيبه ونقصه وهو في الشهادة والخبر ويروى بتقديم الحاء ومعناه التأثيم والتضييق يقال حرجه نسبه للحرج وهو الاثم والضيق (فهذا) القول على هذا المنوال (مما ينبغي امتثاله) ويقبل مقاله (ويحمد فاعله) اي ناقله (وكذلك) الحكم (ان حكاه في كتاب) اي تصنيف (او في مجلس) لوعظ او تدريس (على طريق الرد) اي دفعه وفي نسخة على جهة الرد (له والنقض) اي ابطاله (على قائله والفتيا بما يلزمه) اي الافتاء بما يوجبه من قتل ونحوه (وهذا) الرد (منه) اي بعضه (ما يجب) بيان حكمه (ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك) الذي حكاه ردا (والمحكي عنه) اي وكذا بحسب حالاته في مقالاته (فان كان القائل لذلك) الذي حكاه (ممن تصدى) اي تعرض وتصدر (لان يؤخذ عنه العلم) الشريف (او رواية الحديث) المنيف (او يقطع بحكمه) اي لان يجزم ويلزم بحكمه لكونه اميرا او قاضيا (او شهادته) لعدالته (او فتياه) في الحقوق لعلمه وحلمه (وجب على سامعه) اي سامع قوله حكما او فتيا (الاشادة) اي الافشاء والاشاعة (بما سمع منه والتنفير للناس عنه) تحذيرا منه (والشهادة عليه بما قاله) ليجتنب عنه (ووجب على من بلغه ذلك) الذي صدر عنه ولو لم يحضر هنالك (من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره) ان صدر ما يوجبه (وفساد قوله) على تقدير خطأه في تقريره (لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين) ومراعاة لحماية الدين على مقتضى قواعد المجتهدين (وكذلك ان كان) هذا القائل (ممن يعظ العامة) ويزجرهم عن الامور المحرمة ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الاخرى ويبين لهم مراتب درجات العقبى ويفتح لهم ابواب العوارف ويذكر لهم اصحاب المعارف لا سيما اذا كان يتكلم في علم التوحيد ومقام التفريد ويدعي الشهود ويتفوه بمسئلة الوجود فانه مقام خطر من الوقوع في الحلول والاتحاد والاتصال والالحاد في مجمع من العباد المجتمعين من اطراف البلاد وقد وضعت رسالة مستقلة في الفرق بين الوجودية من الموحدين والوجودية من الملحدين ومنهم طائفة ابن عربي الخارجة من قواعد الدين خذلهم الله اجمعين (او يؤدب الصبيان) بتعليم القرءآن او العلوم الادبية من النحو والصرف واللغة والقواعد العربية كما ذكره الزمخشري في ربيع الابرار في باب اللطافة والاسرار ان ولدا قرأ وان عليك لعنتي قال الفقيه الى يوم الدين وقال بعض الفضلاء سمعت معربا يعرب لتلميذه قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فقال قيما صفة لعوج فقلت له يا هذا كيف يكون العوج قيما (فان من هذه) الاخلاق (سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم) وتأثيره في صدورهم (فيتأكد في هؤلاء) اي في حقهم (الايجاب) بالانكار (لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ان كان الامر متعلقا به (ولحق شريعته) ان تعلق بطعن في قربته (ولحق الله) ان تعلق بمسألة ذاته وصفاته ومصنوعاته هذا وفي مجمع الفتاوى لو تكلم بكلمة الكفر مذكر وقبل القوم ذلك منه كفروا حيث لم يعذروا بالجهل وزاد في المحيط وقيل اذا سكت القوم عن المذكر وجلسوا عنده بعد تكلمه بكلمة الكفر كفروا يعني اذا علموا انه كفر به او اعتقدوا كلامه (وان لم يكن القائل بهذه السبيل) الذي يؤخذ عنه العلم (فالقيام بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحماية عرضه) اي وصيانته عن طعن ونقص فيه (متعين) لا يجوز التهاون به والعرض بكسر اوله النسب والحسب (ونصرته عن الاذى) اي مما يتأذى به وروى على الاذى (حيا وميتا) كما يدل عليه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا (مستحق) بفتح الحاء اي فرض عين (على كل مؤمن) ليصح ايمانه (لكنه) اي القيام بحقه فرض كفاية وفي نسخة لكن (اذا قام بهذا من ظهر) اي علا (به الحق وفصلت به) بضم الفاء وكسر الصاد المهملة اي انفصلت به (القضية) بالحكومة الشرعية (وبان به الامر) اي ظهر الحق وتبين الصدق (سقط عن الباقي الفرض) المتعلق بذمة كل احد فلو سكتوا كلهم اثموا جميعهم (وبقي الاستحباب) بالنسبة الى غير من قام بالحق من الدعوى والشهادة والحكم والقتل ونحوه (في تكثير الشهادة) عليه للتقوية والتشهير للقضية (وعضد التحذير منه) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة اي نصرته ومساعدته في الاحتراز عنه (وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث) اي في روايته بذكر جرحه وطعنه وعدالته وديانته حتى روى ان يحيى بن معين مع جلالته رؤي طائفا بالبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع في روايته (فكيف بمثل هذا) المقام الذي يجب فيه القيام وقد قال الجويني في قوله عليه الصلاة والسلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ان الكذب عليه عمدا كفر وهو حديث مشهور بل قيل انه متواتر (وقد سئل ابو محمد ابن ابي زيد عن الشاهد) الواحد (يسمع مثل هذا) الكلام المترتب عليه الملام (في حق الله تعالى) او حق نبيه

عليه الصلاة والسلام (أبعه ان لايؤدى شهادته) عند حاكم ليؤدبه بحسب ماتقتضى حالته ومقالته (قال) اى ابن ابى زيد (ان رجا) اى السامع بمعنى انه ترجح عنده ان (انفاذ الحكم) بفتح النون والفاء وبالذال المعجمة اى تنفيذه وروى انفاذ الحكم اى اجرآؤه وامضاؤه (بشهادته فليشهد) اى وجوبا (وكذلك ان علم ان الحاكم لايرى القتل بما شهد به) هذا السامع (ويرى الاستتابة) اى قبول توبته (والادب) اى مع ذلك كما فى مذهب مالك (فليشهد) هنالك (ويلزمه) على سبيل الوجوب (ذلك واما الاباحة لحكاية قوله) المشتمل على كفره (لغير هذين المقصدين) المتقدمين (فلاارى لها) اى للحكاية (مدخلا فى الباب) على سبيل الاباحة (فليس التفكه) اى التفوه من غير غرض شرعى (بعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض) بالضادين المعجمتين اى التحرك والتكثر (بسوء ذكره لاحد) واما قول التلمسانى ومن معانى التمضمض الاكثار وهو بعيد لان الاكثار والاقلال فى هذا سوآء فمدفوع لان الاقلال لما يترتب عليه الحكم من القتل والتعزير والجرح والتحذير متعين كما تقدم وانما الاكثار الذى لا يترتب عليه فائدة هو الممنوع (لاذاكرا) اى لفظه مطلقا (ولا آثرا) اى حاكيا ونافلا اتفاقا (لغير غرض شرعى بمباح) خبر ليس بل انه حرام او مكروه (واما للاغراض المتقدمة) كالشهادة والرد والنقض (فمتردد) بفتح الدال الاولى مشددة اى فموضع تردد (بين الايجاب والاستحباب) والاول اولى والله تعالى اعلم بالصواب (وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه) اى الكذابين على الله (وعلى رسله فى كتابه) بالاكثار (على وجه الانكار لقولهم) اى لمقول الكفار (والتحذير) اى والتحذير لغيرهم (من كفرهم والوعيد عليه) اى على امرهم (والرد عليهم بما تلاه الله علينا) فى لسان رسوله المعظم (فى محكم كتابه) المكرم (وكذلك وقع من امثاله) اى امثال ماتلى علينا بالعبارة الصريحة (فى احاديث النبى الصحيحة على الوجوه المتقدمة) من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها (واجمع السلف) المتقدمون (والخلف) المتأخرون (من أئمة الهدى) وهم العلماء العاملون (على حكايات مقالات الكفرة والملحدين) اى على ذكرها (فى كتبهم ومجالسهم) حال التدريس والوعظ (ليبينوها للناس) مما خفى لديهم (وينقضوا شبهها عليهم) جمع شبهة بمعنى شك وريبة (وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا) الذى ذكر (على الحارث بن اسد) المحاسبى بما حكاه فى كتاب الرعاية (فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية) طائفة من اصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة بل من الكفرة المخترعة واصله من سمرقند ومن مذهبه القول بان الجنة والنار يفنيان وان الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار وسائر الطاعات وانه لافعل لاحد غير الله وان العباد فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الرياح باختلاف الاحوال فالانسان عنده لايقدر على كسب شئ من اعماله وانما هو مجبر فى افعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار فى الحسنات والسيئات وانما يخلق الله تعالى فيه الافعال على حسب ما يخلق فى الجمادات ادرك صغار التابعين قال الذهبى ماعلمته روى شيأ لكنه زرع شرا عظيما انتهى واخذ ذلك عن السمنية وهم دهرية ولما شككوه فى امره ترك الصلاة اربعين يوما وقال لا اعبد من لا اعرف (والقائلين) اى وعلى القائلين (بالمخلوق) اى بالقرءآن المخلوق وهو قول المعتزلة او بالعمل المخلوق للانسان اى هو يخلقه وهو قول المعتزلة والقدرية او بالمخلوق القديم على ان المخلوق بمعنى الخالق ومعناه انه قديم وهو قول الفلاسفة والدهرية والاقوال الثلاثة كلها باطلة اما قدم العالم فهو بين اعدام الموجد وبين الشركة وكلاهما كفر بالاجماع واما خلق الافعال فهو كقول المجوس فى ان خالق الضوء غير خالق الظلمة لكنه يغاير قولهم بانهم من الثنوية وهؤلاء من ارباب التوحيد فى الالوهية واما خلق القرءان فانهم لما انكروا الكلام النفسى قالوا ذلك ففى التحقيق لاخلاف هنالك وانما ابتدعوا من حيث انكار الكلام النفسى والا فالقرءآن من حيث انه مكتوب بايدينا ومقروء بالسنتنا ومحفوظ بصدورنا فلاشك انه مخلوق بحسب اللفظ والمبنى الا انه يجب ايضا صيانته عن ان يقال مخلوق بهذا المعنى واما ماذكره العلامة التفتازانى فى شرح العقائد من حديث القرءآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم فقد قال الصغانى هو موضوع وقال السخاوى هذا الحديث من جميع طرقه باطل هذا ولا يبعد ان يجمع بين صنيع احمد وانكاره على المحاسبى بان المحاسبى ذكر ادلة المبتدعة ثم ردهم بادلة اهل السنة بخلاف احمد حيث لم يلتفت الى شبهاتهم بل رد عليهم بالادلة العقلية والنقلية ببطلان عقيداتهم (وفى هذه الوجوه) المتقدمة (السائغة) بالسين المهملة والغين المعجمة اى الجائزة وهى مرفوعة (الحكاية) بالجر والرفع اى الرواية (عنها) من مقالات الكفرة والفجرة ومن نحا نحوها (فاماذكرها على غير هذا) النمط (من حكاية سبه والازرآء) وروى الازدرآء (بمنصبه على وجه الحكايات) فى المحاورات (والاسمار) جمع سمر بفتحتين ويسكن وهو حديث الليل واصله فى ظل القمر ويجوز كسر همزها على انه مصدر اسمر اذا تحدث بالليل مطلقا فهو تخصيص بعد تعميم (والطرف) بضم المهملة وفتح الراء وفى اخره الفاء جمع طرفة وهو مايستظرف ويستجاد من المقال والمال (واحاديث الناس) اى كلماتهم المتحدث بها

للاستئناس (ومقالاتهم) بحسب اختلاف حالاتهم (فى الغث) بفتح المعجمة وتشديد المثلثة اى الهزيل (والسمين) وهما كنايتان عن الضعيف والقوى او الباطل والصحيح ومنه قول ابن عباس لابنه على الحق بابن عمك يعنى عبد الملك ابن مروان فغثك خير من سمين غيرك (ومضاحك المجان) بضم الميم وتشديد الجيم جمع ماجن وهو من لايبالى بكلامه فى اللهو والسخرية (ونوادر السخفاء) جمع سخيف وهو رقيق العقل وروى السفهاء جمع سفيه وهو الجاهل او خفيف العقل (والخوض) اى الشروع بالمبالغة من غير الملاحظة (فى قيل وقال) بفتح لاميهما على انهما فعلان محكيان وبجرهما منونين على انهما اسمان معربان لانهما مصدران وفى النهاية فى حديث نهى عن قيل وقال اى نهى عن فضول مايتحدث به المتجالسون من قولهم قيل كذا وقال كذا وبناؤهما على كونهما فعلين ماضيين متضمنين للضمير والاعراب على اجرآئهما مجرى الاسماء خاليين من الضمير قال فيكون النهى عن القول بما لايصح ولا يعلم حقيقته فامامن حكى مايصح روايته ويعرف حقيقته واسنده الى ثقة صادق فلاوجه للنهى عنه ولاذم منه وقيل اراد به حكاية اقوال الناس والبحث على مالايجدى عليه ضرا ولا نفعا ولايعنيه امره اه ولذا عطف عليه المصنف عطف تفسير بقوله (ومالايعنى) اى مالاينفعهم فى دينهم ودنياهم فقد ورد من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه وفى اصل الدلجى بالغين المعجمة فيكون بضم اوله اى مالايغنى الخائض فيه شيأ ولا يجديه نفعا (فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة) للدفع (من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد) به شيأ (او معرفة) اى او على غير معرفة (بمقدار ماحكاه) من الشدة والاشدية وفى نسخة بقدره (اولم تكن) تلك المقالة او الحكاية (عادته) فبعد عثرته وزلته (اذلم يكن الكلام المحكى) (من ابشاعة) بتقديم الموحدة اى الفضاحة وفى اصل التلمسانى بسبق الشين بعدها النون وفسر بالقباحة (حيث هو) اى الى الغاية فى انه بشيع او شنيع اى كريه وفظيع (ولم يظهر على حاكيه) وفى نسخة على حكايته (استحسانه) اى جعله حسنا عنده (واستصوابه) اى عده صوابا لديه والمعنى انه لم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا بل ظنه مباحا (زجر عن ذلك) بصيغة المجهول وكذا قوله (ونهى عن العودة) وفى نسخة عن العود اى الرجوع (اليه) اى الى مقاله هنالك (وان قوم) بضم القاف وكسر الواو المشددة اى ان قوبل ناقله على سبيل الحكاية من غير منفعة مترتبة على الرواية روى وان قيم (ببعض الادب فهو مستوجب له) اى مستحق (وان كان لفظه) اى لفظ الحاكى او المحكى (من البشاعة) او الشناعة (حيث هو) اى بلغ غايته (كان الادب اشد) ممن لم يكن محكيه حيث هو (وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرءآن مخلوق فقال) مالك (اقتلوه) اى السائل القائل على طريق الحكاية (فقال) اى السائل (انما حكيته عن غيرى) اى لا انا الذى اقوله (فقال مالك انما سمعناه منك) قال الدلجى وامر مالك بقتل السائل بمجرد اتهامه انه القائل بمخلوقيته بدون اثبات اعتقاد مخلوقيته عجب مع انه ممن يقول لانكفر احدا من اهل القبلة قال المصنف (وهذا من مالك على طريق الزجر) اى الردع للكف عن السؤال عنه قال الدلجى وهذا ايضا عجيب بل اعجب لان القتل زجرا عن السؤال لم يقل به احد (والتغليظ) للزجر (بدليل انه) اى مالكا (لم ينفذ قتله) اى لم يبالغ فى الامر بقتله وهو بتشديد الفاء المكسورة وبالذال المعجمة اى لم يمض الامر فى قتله اولم يمض فيه حكم القتل ذكره التلمسانى قال الدلجى وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وامره انما كان بعد تكفيره اياه اقول ليس فى كلام مالك تكفيره وانما اراد بهذا القول تعزيره اى اضربوه ضربا شديدا او لو قتل تحت ضربه تأكيدا لزجره عن مثل هذا السؤال لظهور امره واعله فهم من السائل انه متردد فى حكمه ولذا لما سئل مالك عن الاستواء قال الاستوآء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا شك ان المبتدع يزجر ويتدبر والقائل به لعله كان غائبا او ميتا فلهذا لم يتعرض الامام لتعزيره فى ذلك المقام واما القول بانا لانكفر احدا من اهل القبلة فليس على اطلاقه بل فيه تفصيل مقرر كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (فان) وفى نسخة وان (اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه) اى بانه (اختلقه) اى اخترعه من عنده وافتراه من نفسه (ونسبه الى غيره او كانت تلك) المسئلة (عادة له) بسائها دائما او يظهرها دائبا (او ظهر استحسانه) وفى نسخة اظهر استحسانه (لذلك) السؤال او المقال (او كان مولعا) بفتح اللام اى مكثرا (بمثله والاستخفاف له) اى الاستهجان بذكره وعدم المبالاة بنقله واغرب الدلجى حيث فسر الاستخفاف بسرعة التوجه (او التحفظ لمثله) اى طلب حفظ امثاله مما يتحير العامة فى اشكاله (وطلبه) اى وطلب مثله ليضمه الى نقله (وروايته اشعارا هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه) فى نثر الكلام (فحكم هذا حكم الساب نفسه) اى بعينه (يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره) وان حكاه عن غيره فان الامارات المتقدمة قرآئن حالية او مقالية على كفره فان الاناء يترشح بما فيه وقد قال تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول وقال ان فى ذلك لايات للمتوسمين اى المتفرسين وقد ورد اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل رواه البخارى فى تاريخه والترمذى فى جامعه عن ابى سعيد الخدرى (فيبادر بقتله

ويجل) بتشديد الجيم اى ويسارع به (الى الهاوية امه) بالجر بدلا اى مأواه ومصيره كما ان الام مأوى الولد ومفزعه ايماء الى قوله تعالى فامه هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية (وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (فمن حفظ شطر بيت) اى نصفه او بعضه فاندفع به قول التلمسانى كان احسن منه لو قال كلمة اوشطر كلمة (مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر) اى اذا قصد حفظه اواراد نشره (وقد ذكر بعض من الف) بلام مشددة من التأليف بمعنى التصنيف قال التلمسانى وفى بعض النسخ بلامين ولا ادرى ما وجهه وكذلك فى اصل المؤلف قلت ووجهه انه اتصل الالف باللام فانتقل من التأليف الى التصحيف والتحريف قال الانطاكى ولعل بعض من الف هذا هو ابن حزم والله تعالى اعلم هذا وقيل الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من افواه الناس فى فعله مالم يضع كتابا اولم يقل شعرا من قوله وقيل من وضع كتابا فقد استشرف للمدح والذم لابناء آدم فان احسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان اساء فقد تعرض للشتم والمذمة وهو معنى قولهم من صنف قد استهدف وقيل من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرض على الناس نقله ومنه قول الشاعر

لاتعرضن على الرواة قصيدة * مالم تبالغ بعد فى تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه مثل وساوس تهذى بها

هذا وابى الله الا ان يصح كتابه كما اشار اليه بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وامّا هذا الكتاب فلكونه من عند الله ما وجدوا فيه اختلافا يسيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان كل احد يقبل قوله ويرد الا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه معصوم على الوجه الاتم (اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من نظمه ونثره (وكتابه) اى وكتابته كما فى نسخة (وقراءته) اى ولو من غير روايته (وتركه متى وجد دون محو) ونحوه ولو من كتاب غيره وحصول ضرره فانه ينفعه من جهة دينه (ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين) اى المحترسين (لدينهم) المحتاطين فى امر يقينهم وتصحف المتحرزين بالمتجردين فى اصل الدلجى (فقد اسقطوا) ولذلك تركوا (من احاديث المغازى والسير) كثيرا من الخبر والاثر (ما كان هذا سبيله) من هجوه فى شعر او غيره (وتركوا روايته) ولو جوز حكايته (الا اشياء ذكروها يسيرة) اى قليلة (وغير مستبشعة) بفتح الشين اى غير مكروهة وفى نسخة وغير مستشنعة اى غير مستقبحة (على نحو هذه الوجوه الاول) بضم الهمزة وتخفيف الواو جمع الاولى اى الوجوه السابقة من الوجوب والندب والتحريم والكراهة (ليروا) اى الناس وبه تبروا ويجوز ان يكون بضم الياء والراء اى ليظهروا (نقمة الله) اى عقوبته (من قائلها واخذه المفترى عليه) اى بطشته (بذنبه) ولو من ناقلها وفى اصل الدلجى واخذه بالضمير اى ليروا اخذه سبحانه وتعالى (وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (قد تحرى) اى اجتهد واحتاط (فيما اضطر) اى الجئ واحتيج (الى الاستشهاد به) من الدلائل فى اثبات بعض المسائل توضيحا لوسائل فى معرفة كل طالب وسائل (من اهاجى اشعار العرب) على شعار ارباب الادب (فى كتبه) متعلق بتحرى (فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه) ولم يصرح به تباعدا عن ذكر ذمه (استبراء لدينه) اى استبقاء لامر يقينه (وتحفظا من المشاركة فى ذم احد) من المسلمين (بروايته او بنشره) بحكايته (فكيف بما يتطرق) اى يتوصل به الحاكى له (الى عرض سيد البشر) اى بنى آدم بل سيد العالم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى اعلم ان هذا التحرى انما يظهر فى الهاجى المسلم لمثله واما ان كانا كافرين او المهجو كافرا فذكر مساويه اعظم نكاية فيستحب رواية وحكاية ولو كان الهاجى كافرا او مسلما والمهجو مسلما فالاولى ان لايذكره او يغيره كما فعل ابن هشام فى سيرته مما يدل على حسن سريرته ومن هذا قول ابى الاسود الدؤلى

جزى ربه عنى عدى بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ابدله بعض الائمة بقوله * جزاء الرجال الصالحين وقد فعل وذلك لان عدى بن حاتم الطائى من اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين

(فصل)

(الوجه السابع ان يذكر ما يجوز) اى اطلاقه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف) بصيغة المجهول (فى جوازه عليه وما يطرأ) اى يحدث ويعرض عليه (من الامور البشرية) والاحوال الطبيعية (به) اى فيه (ويمكن اضافتها اليه او يذكر) اى احد (ما امتحن به) اى ابتلى عليه الصلاة والسلام (وصبر فى ذات الله تعالى على شدته) اى قوة بلائه (من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته) اى فى افعاله واقواله (وما لقيه من بؤس زمنه) بضم وحدة فهمز ساكن ويبدل اى شدة فى وقته (ومر عليه من معاناة عيشته) اى مقاساة فى امر معيشته (كل ذلك

على طريق الرواية) وسبيل الحكاية (ومذاكرة العلم) لتحصيل الدراية (ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء) اى عموما (وما يجوز عليهم) من بين سائر البشر خصوصا (فهذا) اى ما ذكرنا (فن) اى نوع (خارج عن هذه الفنون الستة) المذكورة فى الفصول السابقة (اذ ليس فيه) اى فى هذا الفن (غمص) بفتح معجمة وسكون ميم فمهملة اى عيب (ولا نقص ولا ازراء) اى استحقار (ولا استخفاف) اى استهزاء (لا فى ظاهر اللفظ) من جهة مبناه (ولا فى مقصد اللافظ) من جهة معناه (لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم) اليقين (وفهماء طلبة الدين) بضم الفاء وفتح الهاء جمع فهيم او فهم وهو الفطن الذكى (ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده) افرد وجمع باعتبار لفظ من ومعناه (ويجنب) بتشديد النون المفتوحة اى يصان عن (ذلك) الكلام (من عساه لا يفقه) وروى لا يتفقه وروى لا يفهمه (او يخشى به) وروى فيه اى يخاف عليه (فتنته) اى وقوعه فى محنته (فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص) كيد النساء بسبب الابتلاء (لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن) فى اصل فطرتهن (فقد قال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن نفسه) ما وقع له فى سابق الايام (باستئجاره) قال الدلجى لقريش واقول لعله لبعض اهله ان صح الاستئجار فى فعله كما وقع لموسى عليه السلام (لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال) كما رواه الشيخان عن جابر والبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه (ما من نبى الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام) وقد ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى قضى اقصى الاجلين وهو العشر هذا وقال الحلبى اعلم ان فى الحديث الصحيح كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وفى سنن ابن ماجه هذا الحديث وفى آخره قال سويد بن سعيد وهو راوى الحديث كل شاة بقيراط انتهى والقيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره فى اكثر البلاد واهل الشام يجعلونه جزأ من اربعة وعشرين جزأ والياء فيه بدل من الراء فان اصله قراط هذا لفظ النهاية وفى الصحاح القيراط نصف دانق وهو سدس درهم وقد رأيت فى حاشية على سنن ابن ماجه اصلنا وهو اصل صحيح معتمد قال محمد بن ناصر اخطأ سويد فى تفسيره القيراط بالذهب والفضة اذ لم يرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد باجرة قط وانما كان يرعى غنم اهله والصحيح ما فسره به ابراهيم بن اسحق الحربى الامام فى الحديث واللغة وغيرهما ان قراريط اسم مكان فى نواحى مكة وكان ذلك منه وسنه نحو العشرين فيما استقرى من كلام ابن اسحق والواقدى وغيرهما انتهى وهذا يرد ما قاله القاضى وكذا ما بوب عليه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاجارة باب رعى الغنم على قراريط انتهى وفى القاموس القيراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره (فهذا) اى رعى الغنم ولو باجرة (لا غضاضة فيه) اى لا منقصة (جملة واحدة) اى من حيث هو لانه من جملة كسب المال على وجه الحلال (بخلاف من قصد به الغضاضة) اى النقص (والتحقير بل كانت) اى الرعاية بالاجرة وغيرها (عادة جميع العرب) اى طوائفهم وقبائلهم ومثل هذا يختلف باختلاف العرف فى الزمان والمكان بل كان عادة غير العرب ايضا كما يستفاد من قصة موسى وشعيب عليهما السلام فانهما من بنى اسرائيل وهم الاعجام فان قيل فهل لرعى الانبياء للغنم من فائدة فيقال (نعم فى ذلك) اى رعى الغنم (للانبياء حكمة بالغة) لا يدركها الا الاصفياء (وتدريج الله) وفى نسخة وتدريج الله تعالى (لهم الى كرامته وتدريب) اى تعويد (برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة) بالنبوة والرسالة والامامة والامارة (فى الازل ومتقدم العلم) بكسر الدال اى سابقه الذى ظهر فى القلم الاول (وكذلك قد ذكر الله يتمه) لموت ابيه جنينا وقد اتت عليه ستة اشهر فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه فاحسن التربية فيه قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفصيل الايمان فهدى ووجدك عائلا فقيرا فأغنى وهذا معنى قول المصنف (وعيلته) اى وذكر الله فقره وحاجته (على طريق المنة عليه) بايوائه واغنائه (والتعريف بكرامته له) اى بهدايته وهداية غيره بنور رسالته (فذكر الذاكر) اى المخبر (لها) اى لحالته من يتمه وعيلته (على وجه تعريف حاله المتضمن لكرامته (والخبر عن مبتدئه) اى ابتداء امره وظهور قدره (والتعجب من منح الله) بكسر الميم وفتح النون جمع منحة اى نعمه (قبله) بقاف مكسورة فموحدة مفتوحة اى فى جهته (وعظيم منته) وفى نسخة بنونين وفى نسخة منن الله (عنده ليس فيه) على ماذكر به (غضاضة) اى ما يؤدى الى منقصته (بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته) لجميع امته (اذا اظهره الله تعالى بعد هذا) اى اطلعه وغلبه وعلاه (على صناديد العرب) اى اكابرهم (ومن ناواه) مفاعلة من النوء وهو النهوض فاصله الهمز وابدل اى عاداه (من اشرافهم شيأ فشيأ) اى سنة فسنة وساعة فساعة وفى اصل التلمسانى فيما فشا من الفشو وهو الكثرة والظهور والنمو وما موصولة واقعة على الخبر وفى بمعنى على اى على ما فشا وشاع وذاع من الخبر اى ان امره فى ذلك ليس بخفى بل هو ظاهر جلى او فى على اصلها اى فى فاشى الخبر

وظاهر الاثر (وغمى) بتشديد الميم اى زكى (امره) وعلى قدره وفى نسخة بتخفيف الميم (حتى قهرهم) اى غلبهم ونهاهم وامرهم كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح مكة من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال للاسراء منهم ما كنتم تقولون فى انى فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء (وتمكن من ملك مقاليدهم) جمع مقلاد بمعنى المفتاح اى مما ملكوه من البلاد واستولوا عليه بالانقياد او بمعنى الخزانة اى مما خزنوه وجعلوه ذخيرة للنوائب واعدوه عدة للمصائب فقد ملكه النبى عليه الصلاة والسلام وحواه (واستباحة ممالك كثير من الامم) اى محال ملكهم ومواضع ملكهم وفى اصل التلمسانى ممالیك بالياء فهو جمع مملوك (غيرهم) اى غير صناديد العرب ونحوهم (باظهار الله تعالى له) اى باعلاء كلمته فى الدين (وتأييده) اى تقويته (بنصره) اى باعانته من عنده (وبالمؤمنين) اى وبجعلهم اسبابا بالنصره (والف بين قلوبهم) حتى صاروا اخوانا مسلمين وهذا كله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن قوله عز وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا (وامداده بالملائكة المسومين) بكسر الواو وفتحها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اى معلمين بسيما خاصة اى علامة مختصة وهى اما بالملائكة وهى عمائم صفر وقيل كانت عمائم الملائكة يومئذ بيضا وعمامة جبريل صفراء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه الكرام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم واما بخيولهم فانهم كانوا على خيل بلق مجزوزة الاذان والاعراف معلمة النواصى والاذناب بالصوف والعهن والمعنى اعلموا خيلهم واعلموا انفسهم (ولو كان) اى محمد (ابن ملك) بكسر اللام (او ذا اشياع) اى صاحب اتباع (متقدمين) عليه فى الزمان (لحسب كثير من الجهال ان ذلك) اى ما ذكر (موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه وهو منصرف والمراد به عظيم الروم (حين سأل ابا سفيان) اى ابن حرب وهو بايليا (عنه) اى عن احوال النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى (هل فى آبائه من ملك) بكسر الميم على انها جارة الا انها زائدة لا بيانية ولا تبعيضية كما ذكره التلمسانى اى من سلطان وروى من ملك بالفتح فيها فمن موصولة لا شرطية كما وهم التلمسانى (فقال) اى ابو سفيان (لا ثم قال) اى هرقل (ولو كان فى آبائه ملك) اى احد من الملوك (قلنا) فى حقه هذا (رجل يطلب ملك ابيه واذ) الظاهر انها ظرفية والاولى ان تكون تعليلية اى ولان (اليتم) وفى نسخة وان اليتم وهو بضم اوله واصله الانفراد ومنه الدر اليتيم لما لا نظير له فى مقام التقويم ثم استعمل فى فقد الاب قبل بلوغ ولده (من صفته واحدى علاماته فى الكتب المتقدمة) كالتوراة والانجيل (واخبار الامم السالفة) باللام والفاء اى السابقة الماضية (وكذا) اى نعت اليتم (وقع ذكره فى كتاب ارميا) بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الميم فتحتية فالف مقصورة وروى ممدودة قال التلمسانى وهو ابن حلقيا وقال الدلجى كانه من انبياء بنى اسرائيل وفى القاموس ارميا بالكسر نبى (وبهذا) اى نعت اليتم (وصفه ابن ذى يزن) بفتح الياء والزاى غير منصرف واسمه سيف وهو ملك اليمن (لعبد المطلب) على ما تقدم من انه يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه (وبحيرا) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية فراء بعدها الف مقصورة او ممدودة وهو الراهب الذى ابصره بارض الشام وقد عد من الصحابة عند بعض الاعلام والمقصد انه ايضا كذا ذكره (لابى طالب) فى ذلك المقام فروى انه نزل من صومعته واخذ بيده عليه الصلاة والسلام وذلك حين خرج مع عمه ابى طالب الى الشام فقال لعمه ما هذا الغلام منك قال ابنى فقال بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت وتقدمت هذه القصة فى فصل دلائل النبوة (وكذلك اذا وصف بانه امى كما وصفه الله به) بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى وقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى (فهى) اى صفة الامية (مدحة له) بكسر الميم اى منقبة له وان كانت منقصة لغيره (وفضيلة ثابتة فيه) اى فى حقه بخصوصه (وقاعدة معجزته) اى اساس كرامته فى خرق عادته الدالة على تحقق رسالته (اذ معجزته العظمى) بضم العين اى العظيمة فى الغاية (من القرآن العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف) اى العلوم الجزئية (والعلوم) الكلية من الاخبار السابقة والآثار اللاحقة والاصول الدينية والفروع الشرعية والاحكام والحدود فى السياسات العرفية مع قطع النظر عن جمال بلاغته وكمال فصاحته (مع ما منح) اى اعطى (صلى الله تعالى عليه وسلم) من الفضائل وحسن الشمائل هنالك (وفضل) بصيغة المفعول مشددا او مخففا اى وميز (به) عن غيره (من ذلك) اى من اجل كمالات ذاته وكمالات صفاته (كما قدمناه من القسم الاول) وفى نسخة فى القسم الاول اى من الباب الرابع (ووجود مثل ذلك) الكتاب الجامع

للابواب كما قال فى مدحه بعض اولى الالباب

جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

والمعنى ان ظهوره (من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس) المدارس (ولا لقن) فى المدارس (مقتضى العجب) فى عالم الفكر (ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس) اى فيه كما فى نسخة (ذلك) الوصف بالامى (نقيصة اذ المطلوب) بالذات (من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هى) اى القراءة ونحوها (آلة لها) اى للمعرفة (وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب) كان الانسب ان يقال المطلب ليكون مسجعا مع قوله (استغنى عن الواسطة) كالشجرة (والسبب والامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة) اى ومقدمة الضلالة والعنوان بضم اوله ويكسر ما يكتب على ظاهر الكتب ليعلم مجمل ما فى باطنها وبهذا يعرف ان كشف العوارف وظهور المعارف فى بعض الاميين من هذه الامة يكون من جملة الكرامة كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمناه من لدنا علما فان العلم اللدنى فى العرف اللغوى ما يحصل للامى من غير كسب ظاهر فى الادمى (فسبحان من باين امره) اى غاير امر النبى (من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه) اى محل خفض قدر غيره (وجعل حياته فيما فيه هلاك من عداه) اى من سواه من ارباب الارواح واصحاب الاشباح (وهذا شق قلبه) اى صدره مرة بعد مرة فى حقه (واخراج حشوته) بضم الحاء المهملة وتكسر وسكون الشين المعجمة واصله ما فى جوف الشئ مما هو محشو به كالامعاء والكرش وسائر الاشياء والمراد بها هنا علقة سوداء كما رواه البخارى كانت حظا للشيطان وتعلقا له بها فى مقام وسوسة الانسان فان شقه واخراجها (كان تمام حياته) ونظام صفاته (وغاية قوة نفسه) ونهاية قوت انسه (وثبات روعه) بضم الراء اى قلبه حال خوفه وروعه ولله در من قال

اقتلونى يا ثقاتى * ان فى موتى حياتى

ولبعض ارباب الحال موتوا قبل ان تموتوا (وهو) على ما فى نسخة اى شقه واخراجها (فى سواه منتهى هلاكه) اى غاية اسباب هلاكه (وحتم موته) بالحاء المهملة اى وجوب وقوعه (وفنائه) والمعنى انه نهاية علة موته وافنائه (وهلم جرا) اى وهكذا الامر مستمرا (الى سائر ما روى من اخباره وسيره) المؤذنة بآثاره واسراره (ومآثره) اى مفاخره ومكارمه التى تؤثر عنه (وتقلله) اى طلب قلته وروى تبلغه اى طلب بلاغه وزاده الى معاده (من الدنيا) زهدا فيها لا اضطرارا عنها (ومن الملبس) الناعم (والمطعم) اللذيذ (والمركب) المزين (وتواضعه) مع الخلق مع كمال ترفعه عند الحق عملا بقوله من تواضع لله رفعه الله رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة رضى الله عنه (ومهنته) بفتح الميم وتكسر على ما ذكره التلمسانى وابو زيد فلا يلتفت الى نفى الاصمعى والزمخشرى فان من حفظ حجة على من لم يحفظ اى خدمته (نفسه فى اموره) المحتاج اليها (وخدمة بيته) تهوينا على اهله وخدمه (زهدا) فى الملك والملك والجاه المعد للملك وقد سئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (ورغبة عن الدنيا) اى اعراضا عنها لسرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء رواه الترمذى عن سهل بن سعد (وتسويته بين حقيرها وخطيرها) اى عظيمها من قليلها وكثيرها (لسرعة فناء امورها) وبقاء شرورها (وتقلب احوالها) وتغير ارباب اموالها ونعم المقول

فلا تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى اثوابها الغول

(كل هذا) الذى ذكرناه (من فضائله) اى بعض شمائله (ومآثره) اى مكارمه التى تؤثر وتروى من مفاخره (وشرفه) اى طرفه وتحفه (كما ذكرناه) فيما سبق من محله ومجمل الكلام ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (فمن اورد منها شيأ مورده) اى ذكره فى محله اللائق به (وقصد به مقصده) من تعظيم قدره وتبجيل امره (كان حسنا) اى مستحسنا عند الله وخلقه (ومن اورد ذلك على غير وجهه) بتساهل فى حقه (وقد علم منه) اى من ايراده ذلك (سوء قصده) من تنقص به (لحق بالفصول الستة التى قدمناها) فيقتل او يعزر او يحبس كما قدرناها (وكذلك ما ورد من اخباره) من افعاله واقواله وآثاره (واخبار سائر الانبياء عليهم السلام فى احاديث) وفى نسخة فى الاحاديث (مما فى ظاهره اشكال) كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (يقتضى امورا لا تليق بهم بحال) من احوالهم (ويحتاج الى تأويل) يصرفها الى تحسين مقالهم (وتردد احتمال) من نقصان فى جمال كمالهم (فلا يجب) اى فلا ينبغى (ان يحدث منها) بل يجب ان يسكت عنها ولا يؤتى بشئ منها (الا بالصحيح) الثابت فيها (ولا يروى منها الا المعلوم) فى الرواية (الثابت) فى الدراية (ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة

للتشبيه) المحتاجة الى التأويل المقتضى للتنزيه (والمشكلة المعنى) المبنية على استعارة فى المبنى كحديث البخارى وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له فان نزوله سبحانه وتعالى كناية عن تنزلات رحمته وموجبات اجابة دعوته واسباب مغفرته او يقال انه سبحانه وتعالى له نزول يليق بشأنه مع اعتقاد التنزيه له عن انتقال وتغير ووجود مكان وزمان فى ذاته وكذا الحكم فى الايات المتشابهات وسائر الاحاديث المشكلات فللسلف والخلف مذهبان فالمتقدمون على التسليم والتوكيل ومنهم ابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل والمتأخرون على التأويل والكل قائلون بالتنزيه ومانعون عن التشبيه وبالغ الامام مالك حتى منع السؤال عن ذلك كما صرح به فى قوله المجيب عن سؤاله الاستوآء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وقال) اى مالك (ما يدعو الناس) اى اى شئ يلجئ العامة ويسوقهم (الى التحدث بمثل هذا) كحديث خلق الله آدم على صورته وكحديث اذا كان احدكم يصلى فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة (فقيل له ان ابن عجلان) بفتح اوله (يحدث بها فقال لم يكن) اى ابن عجلان (من الفقهاء) مع انه كان شيخ مالك ومن اعلام التابعين بالمدينة وروى عن ابيه وانس بن مالك وغيرهما وعنه شعبة ويحيى بن سعيد القطان ونحوهما ووثقه احمد وابن معين وقال غيرهما سيء الحفظ روى انه حملت به امه ثلاثة اعوام فشق بطنها لما ماتت فاخرج وقد نبتت اسنانه وفى الميزان للذهبى قال عبد الرحمن بن القاسم قيل لمالك ان ناسا من اهل العلم يحدثون قال من هم فقيل له ابن عجلان فقال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الاشياء ولم يكن عالما قال الذهبى قلت قال مالك هذا لما بلغه ان ابن عجلان حدث بحديث خلق الله آدم على صورته ولابن عجلان فيه متابعون وخرج فى الصحيح انتهى فمعناه لم يكن بفقيه ما ينشأ عن هذا من الفساد للعباد والخوض فى الباطل لاهل الفساد اولم يكن من الفقهاء الذين يتأولون الاخبار بل ممن يبقى على ظاهره ما ورد من الآثار والحاصل انه كره التحديث مالك بامثال ذلك فى مجالس العامة لا التحديث المطلق المترتب عليه كتم العلم بالخاصة كما بسطنا هذه القضية فى الخطبة قال القاضى المؤلف (وليت الناس وافقوه) اى مالكا (على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها) اى عاونوه على طى ذكرها فى مجالس العامة (فاكثرها ليس تحته عمل) يحتاج اليه جمهور الخلق وحمله الدلجى على كراهة مطلق التحديث بها رواية وكتابة فقال هذه دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه احد على كراهة التحديث بها اذ لم يقله عليه الصلاة والسلام لاصحابه عبثا ولا اخبر به عن ربه ليترك سدى مع انه يلزم من كراهة التحديث بها كراهة تعليم الناس متشابه القرءان وتلاوته مع امره عليه الصلاة والسلام بقوله بلغوا عنى ولو آية وانما ورد فى الكتاب والسنة بعض المتشابهات ابتلاء للراسخين فى العلم على قدم الثبات قلت اختار مالك سد باب الذريعة للمهالك العامة فى ذلك كما وقع لسيدنا عمر رضى الله عنه مع ابى هريرة حيث امره صلى الله تعالى عليه وسلم بان يروى عنه عليه الصلاة والسلام ان من يشهد ان لا اله الا الله حرمه الله على النار ومنعه عمر لئلا يتكل الناس ويتركوا عمل الابرار بسماع هذه الاخبار ووافقه سيد الاخيار وقال دعهم يعملوا هذا ولم يرد عن احد من الائمة جواز رواية مثل هذه الاحاديث فى مجالس الجهلاء والسفهاء فلم يخالف مالكا فى هذه المسئلة احدا من العلماء بل ثبت عنهم منع العامة عن علم الكلام ودقائق الصوفية الكرام خوفا عليهم من تزلزل عقائدهم وعدم الانتفاع بفوائدهم (وقد حكى) بصيغة المجهول اى روى مثل ذلك (عن جماعة من السلف بل عنهم) اى عن السلف (على الجملة) اى من حيث مجموعهم لا جميعهم (انهم كانوا يكرهون الكلام) اى مع العوام (فيما ليس تحته عمل) من الاحكام مما يؤخذ منه حكم شرعى ينتفع به الانام (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوردها) اى احاديثه (على قوم عرب) فى كمال ادب (يفهمون كلام العرب على وجهه) بدون صرفه عن ظاهر عبارته الا لموجب يدعو اليه من حمله على اشارته (وتصرفاتهم فى حقيقته) باستعمال اللفظ فيما وضع له بحسب اصله (ومجازه) باستعماله فى غير ما وضع له بقرينة عقلية او حالية (واستعارته) باستعارة حرف كما فى قوله تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى عليها او فعل كما فى ولما سكت عن موسى الغضب اى سكن وذهب (وبليغه) اى وبلاغته مما يطابق مقتضى الحال من فصاحته (وايجازه) الجامع لقلة مبانيه وكثرة معانيه (فلم تكن فى حقهم مشكلة) اى لم توجد فى الاحاديث بالنسبة اليهم كلمة مشكلة وجملة معضلة اولم تكن هذه الاشياء المتقدمة فى حقهم مشكلة موهمة لمعرفتهم باساليب كلامهم وقوة ادراكهم وسرعة افهامهم ودقة مرامهم وهذا كله ببركة مجالسة نبى الامة وكاشف الغمة (ثم جاء من غلبت عليه العجمة) بضم اوله اى اللكنة العجمية (وداخلته الامية) اى النسبة الجهولية والحالة الطفولية (ولا يكاد يفهم من مقاصد العرب) فى مراصد الادب (الا نصها) اى ظاهرها لا تلويحها (وصريحها) وفى نسخة تصريحها (ولا يتحقق باشاراتها) وفى نسخة اشاراتها (الى غرض الايجاز) اى الاقتصار والاختصار ميلا

الى الاطناب فى عباراتها (ووحيها) اى خفى كلامها (وتبليغها) وفى نسخة صحيحة وبليغها وهو الابلغ اى الاقوال المتضمنة لبلاغتها (وتلويحها) اى اشاراتها الى تحسين عباراتها بحسب فصاحتها (فتفرقوا) اى من غلبت عليه العجمة حقيقة او طبيعة (فى تأويلها) اى الاحاديث الموهمة للشبهات المشكلة (او حملها على ظاهرها) من غير تنزيه فى باطنها (شذر مذر) بفتح اولهما وكسره فهما تبين اسمان جعلا اسما واحدا للتأكيد فبنيا على الفتح كخمسة عشر ومحلهما نصب على الحال اى تفرقوا فى كل وجه بحيث لا يرجى اجتماعهم بوجه ولا يقال فى الاقبال وهذا فى الامثال مثل قولهم تفرقوا ايدى سبا وتمزقوا كل ممزق (فنهم من آمن) حق ايمانه من التنزيه (ومنهم من كفر) بحمله على التشبيه وهذا كله فى الاحاديث الصحيحة والروايات الصريحة كحديث ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء رواه احمد ومسلم عن عمرو (فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث) التى اشتهرت على السنة العوام اوذكرت فى كتب بعض العلماء الاعلام (فواجب ان لا يذكر منها شئ) لا سيما الوارد منها (فى حق الله تعالى ولا فى حق انبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها) اى بالفاظها ومعانيها (ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها) اى حذفها او عدم ذكرها (وترك الشغل) وروى الاشتغال (بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد) بفتح الميم والقاف اى ضعيفة الرجال (واهية الاسناد) فى المقال (وقد انكر الاشياخ) جمع الشيوخ من العلماء (على ابى بكر ابن فورك) بضم الفاء وفتح الرآء غير منصرف للعجمة والعلمية وقد يصرف لعدم ثبوت العجمة (تكلفه فى مشكله) كانه اسم كتابه (الكلام) بالنصب على انه مفعول تكلفه وفى اصل الدلجى فى مشكل الكلام (على احاديث ضعيفة) اسنادا او متنا (موضوعة لا اصل لها) لا موقوفة ولا مرفوعة وكان الاولى ان يقال ضعيفة او موضوعة للفرق بينهما عند ارباب الاصول فان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (او منقولة عن اهل الكتاب) من اليهود والنصارى وغيرهم (الذين يلبسون الحق بالباطل) كما اخبر الله به عنهم (كان) وفى نسخة وكان اى ابن فورك (يكفيه) اى ابن فورك (طرحها) اى نبذها وراء ظهره بعدم التفات الى ذكرها (ويغنيه عن الكلام عليها) من جهة معانيها (التنبيه على ضعفها) ووضعها ليجتنب عن التعلق بها (اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس) اى الخلط الكائن (بها واجتثاثها) مبتدأ اى اقتطاعها (من اصلها وطرحها) وتركها فى فصلها (اكشف) اى ابين (للبس واشفى للنفس) وفيه بحث اذ الحكم على الحديث بانه ضعيف او موضوع ليس بمقطوع لاختلاف المحدثين فى رجال الاسناد بحيث لم يبق الاعتماد اذ قل حديث صحيح لم يقل بضعفه وعلته وقل حديث ضعيف بل موضوع لم يقل بصحته او بثبوته فكانه رحمه الله اتى بالتأويل فى معناه على تقدير صحة مبناه ليزول الاشكال على جميع الاحتمال من الاحوال والله تعالى اعلم بمقاصد الرجال

(فصل)

(ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما لا يجوز) اى اطلاقه عليه (والذاكر من حالاته) اى صفاته ومقالاته (ما قدمناه فى الفصل قبل هذا) الفصل (على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم) اى المتكلم (فى كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب) بالنصب على المفعولية من الضمير المستكن فى يلتزم وتقدير الكلام ومما يجب على المتكلم فى كذا وكذا ان يلتزم فى كلامه الواجب ومن فى قوله (من توقيره وتعظيمه) للبيان وفى بعض النسخ الواجبة بالتاء ايقاعا لها صفة الاحوال وخطأه ظاهر الا ان يتكلف ويأول بالثابتة فى الفصول السابقة (ويراقب) اى وان يراعى (حال لسانه) بعظيم شانه (ولا يهمله) اى يتركه ولا يرسله من غير بيانه (ويظهر عليه) اى على المتكلم (علامات الادب عند ذكره) خوفا من الرب ونظيره ما قاله القرآء ان الواجب على القارئ اذا قرأ آية فيها فعل الكفر كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ان يخفض صوته عند المقول وان يخضع فى مقام الخوف والنزول ويتذكر قوله تعالى لعيسى عليه السلام فى المجمع العام ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فان مقتضى العقل الباهر والدين الظاهر انه سبحانه وتعالى لولا انه ذكره فى كتابه وقرره فى خطابه لكان واجبا ان لا يتحدث احد عنهم بهذا الكلام تعظيما للملك العلام وتأمل قول ابن دينار لولا ان الله انزل فى الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين واوجب علينا قرآءته لما تلفظت بهذه الجملة لعدم اتصافى بهذه الخصلة (فاذا ذكر المتكلم (ما قاساه) اى كابده عليه الصلاة والسلام (من الشدآئد) من جهة الخلق (ظهر عليه الاشفاق) اى الشفقة والرحمة (والارتماض) بالضاد المعجمة اى شدة الاحتراق واصله القلق والشدة وهو من الرمض شدة الحر او شدة الغيظ ومعناه انه يتوقد له ويتغيظ به ويود لو كان فى ذلك الوقت لاوقع بعامل ذلك ما قدر من آثار المقت وهذا معنى قوله (والغيظ على عدوه) والغيظ بالظاء المعجمة الغضب اوشدته اواوله وسورته واغرب التلمسانى بقوله والغيظ بالظاء

والضاد وهى لغة (ومودة الفدآء) وهو بكسر الفاء ممدودا ومقصورا و بفتحها مقصورا اى و يحب ان يفدى بروحه وابيه وامه (للنبى صلى الله عليه وسلم) فيما اصابه (لوقدر عليه) اى على الفدآء (والنصرة له لوامكنته) لديه ونظيره فى قرآءة القرءآن اذا قرأ آية الرحمة ينبسط و يطلبها واذا قرأ آية العقوبة ينقبض و يستعيذ منها (واذا اخذ فى ابواب العصمة) وفى نسخة العظمة والظاهر انه تصحيف وتحريف والمعنى اذا شرع المتكلم فى ابواب حفظ الله اياه فى احواله (وتكلم فى مجارى اعماله واقواله عليه الصلاة والسلام تحرى) بالحاء المهملة والرآء المشددة اى اجتهد فى تأديته و يطلب و يقصد (احسن اللفظ وآدب العبارة) بهمزة ممدودة اى اولاها (ما امكنه) اى قدر ما قدر عليه (واجتنب بشيع ذلك) اى كريهه (وهجر) اى ترك (من العبارة ما يقبح) ظاهره (كلفظة الجهل والكذب والمعصية) والمعنى لا ينسب شيأ منها وامثالها اليه والى غيره من الانبياء عليهم السلام ولا يستند الى ما ورد فى حقهم من قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى جاهلا بتفاصيل الايمان كما ينبئ عنه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ومن قوله عليه الصلاة والسلام لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ومفهومه انه كذب ومن قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فان لله ورسوله ان يعبرا بما شاآ فى حق من شاآ (فاذا تكلم) اى المتكلم (فى الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف فى القول والاخبار) بكسر الهمزة لا يقول أيجوز عليه الكذب فى قول او خبر (بخلاف ما وقع سهوا) فى لسانه (او غلطا) فى بيانه (ونحوه من العبارات) كالنسيان فى شانه فانه لا لوم عليه ولا اعتراض لديه لحديث رفع عن امتى الخطأ والنسيان (ويجتنب لفظة الكذب) اى اطلاقها عليه (جملة واحدة) اى بالكلية (واذا تكلم على العلم) اى علمه عليه الصلاة والسلام (قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم) كما يشير اليه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه) لقوله تعالى ولا يحيطون به علما اى بذاته وقوله تعالى قل الروح من امر ربى وقوله قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وفى الحديث مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وفى حديث جبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل وقد قال تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها اى عن نفسى لو كان امكن فضلا عن غيرى والحاصل ان الانبياء لم يعلموا المغيبات من الاشياء الا بما اعلمهم الله تعالى احيانا وقد صرح علماؤنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبى يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله كذا فى المسايرة للامام ابن الهمام (ولا يقول بجهل) النبى (لقبح اللفظ وشناعته) بل يقول لا يدرى مثلا وقت مجيء الساعة فان حسن العبارة معتبر عند ارباب الاشارة كما حكى انه كان معبران لبعض الامرآء وجعل وظيفة احدهما الفا والآخر نصفه وعجز نداماؤه وجلساؤه عن وجه الفرق بينهما لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب فسألوه عن ذلك وعن تمييزهما بما هنالك فقال رأيت فى النوم ان اسنانى سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد فى الاشارتين (واذا تكلم) المتكلم (فى الافعال) الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام (قال هل يجوز منه المخالفة فى بعض الاوامر والنواهى) ولا يعبر عنها بالكبائر والمعاصى (ومواقعة الصغائر) بل الاولى ان يعبر عنها بالزلات والمكروهات بل وخلاف الاولى (فهو) اى ما ذكر من العبارات (اولى وآدب) بمد الهمزة اى اكثر تأدبا (من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى) المشتملة على الصغائر والكبائر (فهذا) الذى قدمناه (من حق توقيره) وفى نسخة زيادة وبره اى طاعته او اكرامه (عليه الصلاة والسلام وما يجب له من تعزير) اى تبجيل (واعظام وقد رأيت) ويروى ورأيت (بعض العلماء لم يتحفظ من هذا) الذى ذكرناه ويروى فى هذا (فقبح منه) ما صدر عنه (ولم استصوب عبارته فيه) ولذا اكتفيت بذكر اشارته (ووجدت) ويروى رأيت (بعض الجائرين) بالجيم من الجور اى المائلين عن الاقتصاد فى القول وفى رواية بالحاء المهملة من الحيرة وهو التردد اى من المتحيرين فى سبيل الرشاد غير متمكنين على طريق السداد (قوله) بتشديد الواو اى نسبه الى الخطأ فى قوله الخاص به (لاجل ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله) والمعنى زعم لاجل ترك تحفظه انه قال ما لم يقله (وشنع) ذلك البعض (عليه) اى على من لم يتحفظ (بما يأباه) كلامه (ويكفر قائله واذا كان مثل هذا) الاستعمال بالتحفظ فى الاقوال (بين الناس مستعملا فى آدابهم وحسن معاشراتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه الصلاة والسلام اوجب) اى الزم (والتزامه آكد) بمد الهمزة اى اوثق واتم قال الدلجى قوله اوجب اى وجوب فرض لا وجوب تأكيد وهما عند امامنا الشافعى مترادفان سوآء ثبت بدليل قطعى او ظنى وفرق ابو حنيفة بان ما ثبت بقطعى ففرض وما ثبت بظنى فواجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الآحاد يوجب التفاوت بين مدلوليهما لكنهم خالفوا قاعدتهم من اطلاقهم الفرض على ما ثبت بظنى كقولهم الوتر فرض والزكاة واجبة انتهى ولا يخفى ان الفرق بينهما انما هو بحسب الاعتقاد دون العمل فان كلاهما

فرض بهذا الاعتبار لكن ثواب الفرض اكثر وعقاب ترك الواجب اقل ومما يفيد الفرق ان منكر الفرض كافر بخلاف منكر الواجب وهذا هو بحسب اصل الاصطلاح الشرعى وقد يستعار احد اللفظين مقام الآخر فى الاستعمال اللغوى ومن لم يميز بين الدليل القطعى والظنى فلا كلام معه لا من جهة النقل ولا من جهة العقل على ان الشافعية اضطروا الى الفرق بينهما فى احكام الحج فهذا حجة عليهم ثم هذا المبحث لم يكن فى محله ولكنه لما ابدى هذا المقال اوجب لنا حل عقال هذا الاشكال على ان قوله وجوب فرض لا وجوب تأكيد لا طائل تحته (لجودة العبارة تقبح الشئ) الواحد (او تحسنه) كما قدمناه فى حكاية المعبرين (وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا) رواه مالك واحمد والبخارى وابو داود والترمذى عن ابن عمر ثم البيان فصاحة اللسان والسحر صرف الشئ عن وجهه والحديث يحتمل المدح والذم اما على الاول فمعناه انه يستميل النفوس ويأخذ بها لحسنه عندها من بلاغته وفصاحته وحسن تأليفه فى عبارته واشارته وتزيين مبانيه وتحسين معانيه بحيث يرضى به الساخط ويستذل به الصعب كما يفعل السحر من الامر العجب ولذلك قالوا فيه السحر الحلال ويؤيده ان فى نفس الحديث زيادة رواية وان من الشعر لحكمة واما على الثانى فمعناه فى المتشدق الذى يمدح من لا يمدح فى الفعل ويطنب فيما لا يحل من القول ويحسن القبيح من ذلك ويقبح الحسن هنالك وان فعل ذلك حرام كالسحر ويكتسب صاحبه من الاثم فى قوله ما يكتسبه الساحر بعمله وقد اورد مالك رحمه الله الحديث فى الموطأ فى باب ما يكره من الكلام ولعله اختار القول الثانى فى هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام (فاما ما اورده) المتكلم (على جهة النفى عنه والتنزيه له عليه الصلاة والسلام منه (فلا حرج فى تسريح العبارة) اى ارسالها واطلاقها (وتصريحها فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة) اى مجملا ومطلقا او جميع انواعه (ولا اتيان الكبائر بوجه) اى لا عمدا ولا سهوا (ولا الجور) اى الميل والظلم (فى الحكم) بين الناس (على حال) من الغضب والرضى (ولكن مع هذا يجب ظهور تعظيمه وتوقيره وتعزيره) اى تبجيله (عند ذكره مجردا) عن اثبات وصف او نفيه (فكيف عند ذكر مثل هذا) الكلام المشتمل على نعته على جهة النفى او ثبوته (وقد كان السلف) من ائمة الدين كزين العابدين وجعفر الصادق ومحمد بن المنكدر (تظهر عليهم حالات شديدة) من تغير لون وبكاء ورعدة (عند مجرد ذكره كما قدمناه فى القسم الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك) من ظهور التوقير (عند تلاوة آى من القرءآن حكى الله فيها مقال عداه) بكسر اوله اى اعدآئه من اليهود والنصارى (ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته) فى تلاوته (اعظاما لربه واجلالا له) اى لقدره وامره (واشفاقا) على نفسه حذرا (من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم) فعن ابراهيم النخعى انه كان اذا قرأ قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة يخفض بها صوته اى بها وامثالها وامثال ذلك من كفرياتهم

(الباب الثانى)

(فى حكم سابه) اى شاتمه (وشانئه) اى مبغضه اذا ظهر عليه اثره (ومتنقصه) اى طالب نقصه (ومؤذيه) اى بقوله او فعله (وعقوبته) اى وفى عقوبة من ذكر (وذكر استتابته) من طلب توبته او قبول رجعته وفى نسخة والصلاة عليه (ووراثته) فى تركته بعد موته (قد قدمنا ما هو سب واذى فى حقه عليه الصلاة والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله) اى ان لم يرجع الى الاسلام (وتخيير الامام) وفى نسخة اوولا وجهله وفى نسخة ويخير الامام اى وذكرنا كونه مخيرا (فى قتله او صلبه على ما ذكرناه) اى تفصيل صور امثلته (وقررنا الحجج عليه) باظهار ادلته (وبعد) اى بعد ذلك (فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه واقوال السلف) اى بعضهم (وجمهور العلماء) اى المالكية لما سيأتى ان الجمهور على خلاف قول مالك المشهور (قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه) اى من عند نفسه او من قوله او فعله (ولهذا) اى ولكونه يقتل حدا لا كفرا (لا تقبل عندهم توبته) اى منه كما فى نسخة (ولا تنفعه) اى فى دفع قتله (استقالته ولا فيئته) بفتح الفاء وتكسر فتحتية ساكنة فهمزة اى رجوعه عنه (كما قدمناه قبل) اى قبل ذلك (وحكمه) اى فى حتم القتل (حكم الزنديق) الذى توبته عندهم لا تقبل وهو الذى لا يتدين بدين (ومسر الكفر) ومظهر الايمان (فى هذا القول) المشهور من مذهب مالك وقال غيره تقبل توبته ولا يقتل (وسواء كانت توبته على هذا) القول المشهور (بعد القدرة عليه) اى على اخذه (والشهادة على قوله) المؤدى الى قتله (او جاء تائبا من قبل نفسه) اى من عنده بدون استتابته (لانه) اى قتله (حد وجب) عندهم (لا تسقطه التوبة كسائر الحدود) من الزنى وقتل النفس ونحوهما اتفاقا وفيه انه قياس مع الفارق فان هذه الحدود عامة ثابتة بالكتاب والسنة واما من كفر بسبب سب ثم تاب فلا يعرف له حد فى هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام بجاءه عليه الصلاة والسلام

ثم تاب وقبل منه توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ان الاسلام يجب ما قبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق وفي الحدود تفصيل في مذهبنا هو المحمود (قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب) اي له او لغيره من الانبياء عليهم السلام (وتاب منه واظهر التوبة) اي اثرها اقبلت منه و(قتل بالسب لانه هو) اي القتل (حده وقال ابو محمد ابن ابي زيد مثله) اي يقتل لانه حده وفي نسخة في مثله اي في نظيره (واما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه) اجماعا (وقال ابن سحنون) بفتح اوله ويضم وبصرفه ويمنع (من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام (من الموحدين) اي المسلمين (لم تزل) من الازالة اي لم ترفع (توبته عنه القتل) وهو معنى قول القابسي وابن ابي زيد (وكذلك اختلف) اي اختلف المالكية (في الزنديق اذا جاء تائبا) من قبل نفسه من غير استتابة والجاء اليها (فحكى القاضي ابو الحسن ابن القصار في ذلك) اي في مجيئه تائبا (قولين قال) اي ابن القصار (من شيوخنا من قال اقتله) اي احكم بقتله (باقراره) بانه كان زنديقا او شاتما ثم جاء تائبا (لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا) اي ظننا ومنه قوله تعالى الا ان يخافا ان لا يقيما (انه خشي الظهور) اي الاطلاع (عليه) بان يجد والزندقة لديه (فبادر لذلك) بالتوبة وهذا له وجه في الجملة اذا كان لبعض الناس اطلاع على حاله (ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها) اي صحة توبته (بمجيئه) تائبا من قبل نفسه (فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة) اي اخذته وقيدته (قال القاضي ابو الفضل وهذا) القول الاخير (قول اصبغ) اي ابن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخاري (ومسألة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى) اي اشد من مسئلة الزنديق فانها من حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة فقبه الخلاف في الجملة بخلاف الساب فانه (لا يتصور فيه الخلاف) في مذهب مالك (على الاصل المتقدم) على ذلك (لانه) اي سبه (حق متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين) وفيه ان حق الله هنا ايضا متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجميع امته (والزنديق) وهو الثنوي او القائل ببقاء الدهر او المسر للكفر وهذا المعروف عند الفقهاء (اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث) اي ابن سعد (واسحق) اي ابن راهويه (واحمد) اي ابن حنبل (لا تقبل توبته) اي ظاهرا فلا تسقط عنه القتل (وعند الشافعي تقبل) توبته ولا يقتل (واختلف القول فيه عن ابي حنيفة) وهو الامام الهمام (وابي يوسف) احد اتباعه من الاعلام والمعتمد ما في قاضيخان واما الزنادقة فاخذ الجزية منهم بناء على قبول التوبة من الزنادقة فانهم قالوا ان جاء الزنديق قبل ان يؤخذ فاقر انه زنديق فتاب من ذلك قبلت توبته وان اخذ ثم تاب لا تقبل توبته ويقتل لانهم باطنية يظهرون شيأ ويعتقدون في الباطن خلاف ذلك فيقتلون ولا تؤخذ منهم الجزية ولا تقبل توبتهم انتهى وابو حنيفة ترجمته كثيرة ومناقبه شهيرة واما ابو يوسف فهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ابن خنيس بن سعد بن حبتة بحاء مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة وهي امه وهو سعد بن بجير بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل سعد بن بجير بضم الموحدة وفتح الجيم وذكر القولين الامير في اكماله وقال الذهبي سعد بن بجير البجلي حليف الانصار روى انه قاتل يوم الخندق وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأسه وقال اسعد الله جدك ومن ولده القاضي ابو يوسف صاحب ابي حنيفة وقد روى عن عطاء بن السائب وهشام بن عروة وغيرهما وكان ابو يوسف من اهل الكوفة فقيها عالما روى عنه محمد بن الحسن الشيباني وبشر بن الوليد الكندي وعلي ابن الجعد واحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم وقد روى الشافعي عن محمد عن ابي يوسف وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله قال ابن خلكان هو اول من دعي بقاضي القضاة ويقال انه اول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها الان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيأ واحدا لا يتميز احد عن احد بلباس قال ولم يختلف يحيى بن معين واحمد بن حنبل وعلي ابن المديني في ثقته في النقل وكان كثير الحديث انتهى ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وابنه يوسف الذي يكنى به ولي القضاء في حياة ابيه ومات سنة اثنتين وتسعين ومائة وبلغ من العمر تسعا وستين سنة واما قول التلمساني قالوا ابو يوسف ابو حنيفة اي بسد مسده ويغني عنه فليس في محله لان ابا يوسف حسنة من حسنات ابي حنيفة وفضله وانما هو تشبيه بليغ كما يقال زيد اسد اي كاسد فالمعنى ان ابا يوسف كابي حنيفة ومن المعلوم ان المشبه به اقوى من المشبه ولا يلزم من التشبيه المساواة من جميع الشبه ثم المعتمد في المذهب انه تقبل توبته ولا يقتل واما قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن او كفروا بمحمد قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه او لقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا

بقولهم نتربص به ريب المنون لن تقبل توبتهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او ذلك لما سبق في قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الى ان قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم وعن ابن عباس ان قوما اسلموا ثم ارتدوا ثم اسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسألون فنزلت رواه البزار وقال ابن كثير اسناده جيد (وحكى ابن المنذر) وهو الامام الحافظ المشهور (عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب) اي الزنديق (قال محمد بن سحنون ولم يزل) بفتح اوله وضم ثانيه اي لم يرتفع (القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلاة والسلام لانه لم ينتقل من دين) هو حق (الى غيره) وهو دين باطل وهذا غريب من قائله اذ لا شبهة انه انتقل بسبه عليه الصلاة والسلام من دين الاسلام وما عداه باطل باجماع الاعلام (وانما فعل شيأ حده عندنا القتل ولا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر) اي بل الى باطن وفساد هذا التعليل ايضا ظاهر (وقال القاضي ابو محمد) اي عبد الوهاب (ابن نصر) اي البغدادي المالكي (محتجا لسقوط اعتبار توبته) اي توبة من سبه عليه الصلاة والسلام (والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته) اي استتابة من سبه تعالى (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة) بتشديد الراء اي الكراهة والمشقة (الا من اكرمه الله بنبوته) هذا الاستثناء غريب لا يظهر وجه اتصاله ولا انفصاله اللهم الا ان يراد بالمعرة المنقصة ويلائمه قوله (والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا) مما لا خلاف فيه اجماعا (وليس) اي الله سبحانه وتعالى (من جنس تلحقه المعرة) في هذه العبارة منزلة لنزاهة ساحة عزته عن ان يكون من جنس تلحقه معرة او لا تلحقه فلا يصح اطلاق النوعية والجنسية عليه كما لا يصح سؤال الماهية والكيفية بالنسبة اليه وفيه ان مقتضى قياس العقل ان من سب الله سبحانه وتعالى يكون اشد كفرا ممن سب النبي عليه الصلاة والسلام لوضوح قبحه عند جميع الانام (وليس سبه عليه الصلاة والسلام كالارتداد) اي المجرد (المقبول فيه التوبة) ولو كانت ردته بسب الله سبحانه وعز شانه وفيه بحث سيأتي بيانه (لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد) وهو كفره فقط (لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته) وفيه ان من سب الله تعالى يتعلق به حق خلقه من النبي وغيره ومن غضب بسب نفسه ولم يغضب بسب ربه فهو ليس بادمي ومما يدلك على ذلك انه كان عليه الصلاة والسلام لا يسامح عن المرتد فكيف من يسب الله سبحانه وتعالى وكان يساهل من يسبه عليه الصلاة والسلام ويطعن فيه من المنافقين وغيرهم فيتعين ان سب الله تعالى اقبح من سب غيره والحاصل ان سبه سبحانه وتعالى وسب انبيائه كفر يستتاب وتقبل توبته عند الجمهور واما سب سائر الادميين فليس بكفر فيه زر بشروطه المعتبرة (ومن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق به) وفي نسخة فيه (حق لادمي) وهو نفسه عليه الصلاة والسلام او امته الكرام ولا شك انه يتعلق به حقه تعالى ايضا بلا كلام وفي نسخة تعلق فيه حق للادميين قال التلمساني فعلى الاول معناه ان ما وجب من حق النبي عليه الصلاة والسلام فقد تعلق بالناس كافة فوجب عليهم القيام به وعلى الثاني بان الامر وجب له ونحن نأخذ به وليس حقه كحق غيره (فكان كالمرتد) بل هو مرتد ما لم يتب واذا تاب لا معنى له انه كالمرتد (يقتل) اي مسلما (حين ارتداده او يقذف) اي محصنة (فان توبته) وان قبلت من حيث ارتداده (لا تسقط عنه حق القتل) وفي نسخة حد القتل والقذف وحاصله انه تقبل توبته عن ارتداده بالنسبة الى تعلق حق الله به ولا تقبل توبته بالنسبة الى تعلق حق غيره به (وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه) التي اقترفها زمن ردته (من زنى وسرقة وغيرهما) كقتل وشرب خمر (ولم يقتل ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكفره) اي بعد توبته واما قول الدلجي لانه لم يسبق له اسلام فلا وجه لعلته (لكن) يقتل (لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته) في مقام نبوته (وزوال المعرة به) اي بقتله (وذلك) المعنى (لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله) اي المصنف (يريد) القائل (والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر) اي في نفس الامر (ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف) وهذا غريب فان الطعن في نبوته والقدح في نعمته مناقض للاقرار برسالته وقبول دعوته وقد سبق ان سبه كفر بالاجماع وانما قبول توبته في الدنيا محل النزاع (او لانه) اي الشان (بتوبته واظهار انابته) اي رجوعه (ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا) وهو ظاهر (والله تعالى اعلم بسريرته) وهذا حكم كل كافر او مرتد يدخل في دين الاسلام فانا نحكم عليه بالظاهر ونكل سريرته الى عالم السرائر كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحسابهم على الله (وبقي حكم السب عليه) عند المالكية فيقتل حدا لا كفرا واما عند غيرهم فحكم السب هو الكفر وارتفع بتوبته ورجوعه الى شريعته (قال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب حق آدمي لا يسقط عن المرتد) فلا يستتاب لردته كذا قال والاولى على مقتضى مذهبهم ايضا القول باستتابته

لتنفعه توبته عند ربه وان كان يقتل حدا ان تاب عندهم (وكلام شيوخنا هؤلاء) المالكية المذكورين (مبنى على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل) فان سبه بما لا يقتضى كفرا قتل حدا وكذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا كذا ذكره الدلجى وهو خطأ فاحش لان سبه بما لا يقتضى كفرا لا يتصور اصلا فان مطلق سبه كفر قطعا (واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه) اى مالكا والوليد (على ذلك مما ذكرناه) فيما مر (وقال به من اهل العلم) اى كثيرون (فقد صرحوا بانه) اى سبه عليه الصلاة والسلام (ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل) بصيغة المجهول اى عوقب عبرة لغيره اذ النكال العقوبة التى تنكل الناس اى تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وهذا عندهم ايضا (وان ابى) اى امتنع عن التوبة (قتل) اجماعا (فحكم له) اى مالك للساب (بحكم المرتد مطلقا) بوجوب استتابته وقبولها مطلقا (فى هذا الوجه) الذى رواه الوليد عن مالك ووافقه عليه غيره ووقع فى اصل الدلجى الزنديق بدل المرتد والظاهر انه خطأ (والوجه الاول اشهر) من رواية الوليد (واظهر لما قدمناه) من انه يقتل حدا لا كفرا ان تاب واخطأ الدلجى فى قوله هنا وان تاب لان مفهومه انه اذا لم يتب يقتل حدا لا كفرا وهو خلاف الاجماع (ونحن نبسط الكلام فيه) اى فى سبه عليه الصلاة والسلام (فنقول من لم يره ردة) اى ارتدادا عن الاسلام وهو بعيد عن مقام النظام (فهو يوجب القتل فيه) اى به (حدا) اى لا كفرا (وانما نقول ذلك) اى كونه ليس بردة (مع فصلين) اى فى محلين (اما مع انكاره ما شهد عليه به) بصيغة المجهول (او اظهاره الاقلاع) اى التحول والارتحال (والتوبة) اى واظهاره (عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه م اما بالبينة او بالتوبة (فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره) اى سابه (ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه فى ميراثه وغير ذلك) مما له من الحقوق (حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر) زندقته (او تاب) عنها (فان قيل وكيف) وفى نسخة صحيحة فكيف (تثبتون عليه الكفر) باقراره (ويشهد عليه) بالبناء للمفعول (بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها) اى من القبول ورفع القتل عنه كما عليه جمهور السلف والخلف وعامة الائمة (قلنا نحن) المالكية (وان اثبتنا له حكم الكافر فى القتل فلا نقطع) بالجزم (عليه بذلك) الكفر (لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه) بضم الزاى وفتحها اى اولدعواه (ان ذلك) كان (منه وهلا) بفتح الهاء وسكونها اى غلطا وسهوا ويروى وهما وهو بسكون الهاء وتحرك (ومعصية) خطأ (وانه مقلع) معرض (عن ذلك) الصادر منه هنالك (نادم عليه) اى على ما نسب اليه (ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر) كالقتل (على بعض الاشخاص) من المسلمين (وان لم تثبت له خصائصه) اى جميع خصائصه الموجبة للحكم عليه به (كقتل تارك الصلاة) كسلا او تهاونا حدا لا كفرا عند من قال به وهو خلاف ظواهر الادلة وقواعد الائمة بخلاف من تركها جحدا او استحلالا فانه كفر اجماعا (واما من علم سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك فى كفره بذلك) اى باعتقاد استحلاله مع الاجماع على حرمته (وكذلك ان كان سبه فى نفسه) مع قطع النظر عن استخفافه واستحلاله (كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه) كالشك فى نبوته او رسالته (فهذا مما لا اشكال فيه) بالحكم عليه بالكفر (ويقتل) حدا (وان تاب منه لانا) معشر المالكية (لا نقبل توبته) لرفع القتل عنه (ونقتله بعد التوبة حدا) لا كفرا (لقوله) الذى ظهر منه (ومتقدم كفره) اى الذى صدر عنه (وامره بعد) اى بعد توبته وقتله (الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره) اى بباطن حاله (وكذلك) يقتل بل هو اولى هنالك (من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه) بان عزم وجزم على ما لديه (فهذا كافر) بلا خلاف (بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء) وفى اصل الدلجى اخذ ولكنه لا يلائمه قوله (واترك مختلف عبارتهم) لان المناسب ان يكون كلاهما بصيغة الامر وضبط التلمسانى بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مشددة امر من حد الشئ ميزه او من حده صرفه وردبه وفى نسخة عباراتهم بصيغة الجمع والمعنى اترك عباراتهم المختلفة التى مآلها واحد (فى الاحتجاج) بقتله (عليها) اى على التفصيلات (واجر) اى امض (اختلافهم فى الموارثة) ورووى الوراثة (وغيرها) من اجراء احكام الاسلام على من تاب وان حكم بقتله من الصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين (على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى)

(فصــــل)

(اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح) منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك (فالاختلاف فيها) اى فى الاستتابة (محمول على الاختلاف فى توبة المرتد اذ لا فرق بينهما) عند مالك على الرواية السابقة (وقد اختلف السلف فى وجوبها) اى الاستتابة (وصورتها) اى كيفيتها (ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب) وجوبا او ندبا (وحكى

ابن القصار انه) اى قول الجمهور (اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر فى الاستتابة) سواء يكون ايجابا او استحبابا (ولم ينكره) اى قول عمر (واحد منهم) فيكون اجماعا سكوتيا بالنسبة الى بعضهم (وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود) اى مختارهم المنصوص عنهم (وبه) اى وبقول من تقدم من الصحابة (قال عطاء ابن ابى رباح) بفتح الراء وهو من اجلاء التابعين من اهل مكة (والنخعى) بفتح النون والخاء المعجمة ويسكن تابعى كوفى (والثورى ومالك واصحابه والاوزاعى) منسوب الى قبيلة من همدان (والشافعى واحمد واسحق) اى ابن راهويه (واصحاب الرأى) اى الثاقب الذى هو اسنى المناقب قال النووى المراد باصحاب الرأى الفقهاء الحنفية وهذا عرف اهل خراسان (وذهب طاوس) يكتب بواو واحدة كداود وهو ابن كيسان اليمنى وزيد فى نسخة ومحمد بن الحسن وهو من اصحاب ابى حنيفة (وعبيد بن عمير) بالتصغير فيهما وهو ابو قتادة الليثى يروى عن ابى وعمر وعائشة وعنه ابنه وابن ابى مليكة وعمرو بن دينار واخرون قال الذهبى ذكر ثابت البنانى انه قص على عهد عمر وهذا بعيد انتهى وثقه ابو زرعة وجماعة توفى سنة اربع وسبعين واخرج له الائمة الستة (والحسن) اى البصرى (فى احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب) اى وجوبا الا انه لو تاب تقبل توبته ولا يقتل (وقاله) اى وقال به (عبد العزيز ابن ابى سلمة) اى الماجشون بكسر الجيم كان اماما معظما ولدته امه على ما قيل لاربع سنين توفى سنة اربع وستين ومائة اخرج له الائمة الستة روى عن الزهرى وابن المنكدر ولم يدرك نافعا وابس بالمكثرا جازه المهدى بعشرة آلاف دينار قال ابو الوليد كان يصلح للوزارة (وذكره عن معاذ) اى ابن جبل الانصارى (وانكره) اى نقله (سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو) اى القول بعدم وجوب الاستتابة (قول اهل الظاهر) وهم داود بن محمد الظاهرى واتباعه (قالوا) اى القائلون بعدم وجوب الاستتابة او علماء المالكية او العلماء اجمعون (وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل) اى لا ندفعه (عنه) نحن معاشر المالكية (لقوله صلى الله عليه وسلم) فيما رواه احمد والبخارى والاربعة عن ابن عباس (من بدل دينه) اى غيره (فاقتلوه) اى ان لم يتب ولا يصح حمله على اطلاقه لمخالفة الاجماع على ان المرتد اذا تاب قبلت توبته ولم يقتل واما تخصيص حكم الساب فمذهب حادث من مالك واصحابه (وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان) اى المرتد (ممن ولد فى الاسلام) اى ولد مسلما (لم يستتب) اى لا وجوبا ولا استحبابا وليس فى كلامه ما يدل على عدم قبول توبته (ويستتاب الاسلامى) اى المنسوب الى الاسلام بالدخول عليه ولعل الفرق مبنى على زجر الاول وعدم عذره فتأمل (وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك) اى فى القتل لا فى وجوب الاستتابة كما توهم الدلجى (سواء) لعموم الحديث السابق (وروى) كما فى مصنف ابن ابى شيبة (عن على) موقوفا عليه لكنه فى حكم المرفوع (لا تقتل المرتدة وتسترق) كما لو اسرت الكافرة (وقاله عطاء) اى وافقه (وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء فى الردة) واغرب الدلجى بقوله ولعله اراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وبه قال ابو حنيفة) ويؤيده ما ورد من النهى عن قتل النساء ففى الصحيحين عن ابن عمر نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وان خصه بعضهم بحال الغزاء واعلم ان المرتدة لا تقتل عندنا ولكنها تحبس ابدا الى ان تتوب ويجوز استرقاق المرتدة بعد ما لحقت بدار الحرب ولعل قول على محمول على ذلك (قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك) اى فى قتل كل منهم بالردة (سواء) اخذا بظاهر الحديث الذى تقدم والله تعالى اعلم (واما مدتها) اى مدة الاستتابة وجوبا او استحبابا (فمذهب الجمهور من العلماء) (وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها) فان تاب والا قتل (وقد اختلف فيه) اى فى مذهب الجمهور المروى (عن عمر) انه يستتاب ثلاثة ايام (وهو) اى ما روى عن عمر (احد قولى الشافعى) قال الدلجى والصحيح من مذهبه انه يستتاب فى الحال فان تاب والا قتل (وقول احمد واسحق واستحسنه) اى ذلك (مالك وقال لا يأتى الاستظهار) اى التثبت والانتظار (الا بخير) يرجى (وليس عليه) اى على التأنى فى الامور (جماعة الناس) لاستعجالهم فيها (قال الشيخ ابو محمد ابن ابى زيد يريد به) يعنى مالك بقوله وليس عليه جماعة الناس (فى الاستيناء) اى فى الاستمهال (ثلاثا وقال مالك ايضا الذى آخذ) اى اقول (به فى المرتد قول عمر رضى الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه) اى الاسلام (كل يوم فان تاب) قبلت توبته (والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار فى تأخيره) اى المرتد (ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب) فظاهر مذهبه كما فى شرح المختصر لبهرام الوجوب وروى عنه الاستحباب والله تعالى اعلم بالصواب (واستحسن الاستتابة) اى نفسها (والاستيناء) اى الاستمهال (ثلاثا اصحاب الرأى) حيث ثبت عن الصحابة ولم يثبت الوجوب فى الرواية ولا القتل بعد التوبة (وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه استتاب امرأة) اى مرة ومرات (فلم تتب فقتلها) ولعله قتلها لكونها رئيسة لقومها او كانت داعية الى طريقها من كفر بدعوى النبوة او غيرها قيل كانت المرأة من فزارة على ما رواه البيهقى وفى رواية انها ام فرقة وفى فتاوى قاضيخان

واذا دخل اهل الاسلام دار الحرب مغيرين لا ينبغي لهم ان يقتلوا النساء الا اذا قاتلت المرأة او كانت ملكة او كانت ذات رأى فى الحرب واذا قاتلت فاخذها المسلمون لا بأس بقتلها وان امكن سبيها (وقال الشافعى مرة) اى يستتاب فى الحال (فان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزنى) المصرى منسوب الى مزينة قبيلة كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا وكان معظما بين اصحاب الشافعى قال الشافعى فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه وصنف المبسوط والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب فى العلم وكتاب الرقائق والاقارب توفى سنة اربع ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى (وقال الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث مرات) اى ولو فى يوم واحد (فان ابى قتل) واغرب الدلجى فى قوله ولو فى ساعة (وروى عن على يستتاب شهرين وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته) وهو قيد لقول النخعى وجملة وبه اخذ الثورى معترضة واغرب الدلجى فى قوله وبه اخذ وزاد ما رجيت توبته ووجه غرابته انه لم يتصور من الامام النخعى ان يقول يستتاب ابدا سواء رجيت توبته او لم ترج (وحكى ابن القصار) اى المالكى (عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات فى ثلاثة ايام او ثلاث جمع فى كل يوم) على الاول مرة (او جمعة) اى كل جمعة (مرة) قال الدلجى يحتمل ان يكون تخييرا من ابى حنيفة او شكا من ابن القصار او من المصنف قلت والمعتمد فى مذهبنا ما ذكره قاضيخان فى فتاويه من ان المرتد يعرض عليه الاسلام فى الحال فان اسلم والا قتل الا ان يطلب التأجيل فيؤجل ثلاثة ايام لينظر فى امره ولا يؤجل اكثر من ذلك ويعرض عليه الاسلام فى كل يوم من ايام التأجيل فان اسلم سقط عنه القتل وان ابى يقتل وجحود الردة يكون عودا الى الاسلام ثم ردة الرجل تبطل عصمة نفسه حتى لو قتله قاتل بغير امر القاضى عمدا او خطأ او بغير امر السلطان او اتلف عضوا من اعضائه لا شئ عليه (وفى كتاب محمد) اى ابن المواز (عن ابن القاسم) اى ابن خالد المصرى (يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات) اى فى يوم او ايام كما هو المشهور من مذهب مالك (فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا) القول باستتابته (هل يهدد) بقتل وضرب وغيرهما (او يشدد عليه ايام الاستتابة) بجوع او عطش ونحوهما (ليتوب) اى ولو بكره (ام لا) يهدد ولا يشدد (فقال مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له) اى يعطى (من الطعام ما لا يضره) رجاء رجوعه (وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل) والتنكيل الوبيل (وفى كتاب ابى الحسن) ويقال ابو الحسين (الطابثى) بطاء مهملة ثم موحدة مكسورة فمثلثة فياء نسبة الى قرية بالبصرة (يوعظ فى تلك الايام) اى ايام الاستتابة (ويذكر بالجنة) ونعيمها (ويخوف) اى ينذر (بالنار) والجيمها (قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس) المحبوسين (او وحده) اى منفردا عنهم (اذا استوثق منه) بصيغة المجهول (سواء) لان المقصود حفظه كى يرجع الى الاسلام او يقتل عبرة للانام (ويوقف ماله) اى يحفظ (اذا خيف تلفه على المسلمين) فاندفع قول الدلجى لم ادر ما محترزه بالظرف المؤذن بانه اذا لم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب تبين زوال ملكه عنه وكان فيئا انتهى وسيأتى الكلام عليه وانما نشأ عدم درايته من حمل الموقوف على حكمه لا على حفظه عن ضياع ملكه (ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع) الى الاسلام (وارتد) بعده من الايام (وقد استتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان) بنون مفتوحة وسكون موحدة وهو احد ثلاثة من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لا يعلم ايهم (الذى ارتد) منهم (اربع مرات او خمسا) شك من الراوى وقد رواه البيهقى بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه نبهان قال الحلبى فى الصحابة نبهان التمار ابو مقبل ونبهان ابو سعد ونبهان الانصارى انتهى ولم يذكر ابو عمر نبهان فى كتابه قيل ولم يذكر ابن الجوزى من اسمه نبهان فى الصحابة الا الاول وبه جزم التلمسانى حيث قال ونبهان هو التمار روى انه اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى البيت فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فنزل والذين اذا فعلوا فاحشة الآية (قال ابن وهب) اى المصرى (وعن مالك يستتاب ابدا كلما رجع) الى الردة (وهو قول الشافعى واحمد وقاله ابن القاسم) المصرى الفقيه المالكى (وقال اسحق) اى ابن راهويه (يقتل فى الاربعة) بدون استتابة (وقال اصحاب الرأى ان لم يتب فى الاربعة) اى من مرات الردة (قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة) اى آثار صحتها وانوار امتها قال الدلجى وهو عجيب لمخالفته قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انتهى ولا يخفى ان ليس فى الآية نص على خلاف ذلك وانما هى مطلقة قابلة للتقييد اذا وجد دليل مخصص يظهر للمجتهد وكفى بابى حنيفة اماما مجتهدا اما ما نسب الى اصحاب ابى حنيفة رحمه الله فهو غير مشهور عنهم ففى قاضيخان رجل ارتد مرارا وجدد الاسلام فى كل مرة وجدد النكاح فعلى قول ابى حنيفة تحل له امرأته من غير اصابة الزوج الثانى لان عنده الردة لا تكون طلاقا واباء الزوج عن الاسلام يكون طلاقا وعلى قول

ابى يوسف ردته واباؤه لا يكون طلاقا وعند محمد كلاهما طلاق وردة المرأة واباؤها لا يكون طلاقا وتقع الفرقة عند عامة العلماء بردتها وعند البعض لا تقع واجمع اصحابنا ان الردة تبطل عصمة النكاح فتقع الفرقة بينهما بنفس الردة وعند الشافعى لا تقع الفرقة الا بقضاء القاضى (قال ابن المنذر ولا نعلم احدا) من العلماء (اوجب على المرتد فى المرة الاولى) من ردته (ادبا اذا رجع) بنفسه عنها الى الاسلام (وهو) اى عدم وجوب الادب على المرتد اذا رجع مبنى على (مذهب مالك والشافعى والكوفى) يعنى به ابا حنيفة لانه الفرد الاكمل لا سيما من علماء الكوفة

(فصـــل)

(هذا حكم من ثبت عليه ذلك) الكفر (بما يجب ثبوته) اى يعتبر وجوده (من اقرار) ممن صدر عنه (او عدول) اى شهادة عدلين او اكثر (لم يدفع فيهم) اى لم يطعن فى حقهم (واما) وفى نسخة فاما (من لم تتم الشهادة عليه) لنقص كمية او صفة (بما شهد عليه الواحد) ولو عدلا (او اللفيف) اى الطائفة الملتفة او الجماعة المختلفة (من الناس) المتهمين فى العدالة (او ثبت قوله) باقراره او بشهادة مقبولة (لكن احتمل) قوله تأويلا (ولم يكن صريحا) فى كونه كفرا (وكذلك) الحكم اى مطلقا لا حكم من لم تتم الشهادة عليه كما توهم الدلجى لانه يدفعه قوله (ان تاب على القول) المنقول عن مالك برواية الوليد بن مسلم (بقبول توبته) كما عليه الجمهور (فهذا) اى ما ذكر من الشخصين (يدرأ عنه القتل) يحتمل كونه مبنيا للفاعل او المفعول اى يدفع عنه (ويتسلط عليه اجتهاد الامام) فى تعزيره وتشهيره (بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه) اى على مقاله (وضعفها وكثرة السماع عنه) لما صدر منه (وصورة حاله من التهمة فى الدين والنبز) بفتح النون وسكون الموحدة فزاى اى ومن دعائه ونداء به بلقب السوء (بالسفه) اى بخفة العقل (والمجون) بضمتين اى وبعدم المبالاة فى امور الديانات وفى نسخة الفجور فان المعاصى تزيد الكفر (فمن قوى امره) اى وضعف قدره (اذاقه) الامام (من شديد) وروى من شر (النكال) بفتح النون اى العقوبة والوبال (من التضييق فى السجن والشد) اى التشديد (فى القيود) ويروى فى القيد (الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته) من قضاء حاجته (ولا يقعده) اى لا يمنعه (عن صلاته) من شروطها واركانها فى طاعته (وهو) اى اذاقة شديد العقوبة (حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف) بصيغة المجهول اى توقف (عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به) على بناء المفعول اى انتظر (لاشكال وعائق) اى مانع شرعى او عرفى (اقتضاه امره وحالات الشدة) اى عليه كما فى نسخة (فى نكاله تختلف) قوة وضعفا (بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد) اى ابن مسلم (عن مالك والاوزاعى انها) اى مقالته الغير الصريحة (ردة فاذا تاب نكل) اى تنكيلا شديدا (ولمالك فى العتبية) اسم كتاب (وكتاب محمد) اى ابن المواز (من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه) وهو الموافق لقول السلف والخلف لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (وافتى ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية (فيمن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما) بضم العين وتشديد الدال اى زكى احدهما دون الآخر (بالادب الوجيع) متعلق بافتى (والتنكيل) الرادع (والسجن) الهالع (الطويل) زمانا الضيق مكانا (حتى تظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا) الذى ذكر (ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق) اى صرف صارف (اشكاله) اى جعله مشكلا (فى القتل) اى فى امضائه (لم ينبغ ان يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه) اى فى السجن (من المدة) بيان مقدم لقوله (ما عسى ان يقيم) اى يطول فيه (ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال) اى القابسى (فى مثله ممن اشكل امره يشد فى القيود شدا ويضيق عليه فى السجن) ابدا (حتى ينظر فيما يجب عليه) آخرا (وقال فى مسئلة اخرى مثلها) لعلها ما سبق فى فصل الوجه الخامس من ان القابسى سئل عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير الى آخره فانه افتى هناك بنظير ما افتى به هنا (ولا تهراق) بضم اوله وسكون ثانيه وبفتح اى ولا تصب (الدماء الا بالامر الواضح) لحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا لثلاث ردة او قتل نفس او زنى محصن (وفى الادب) اى التأديب (بالسوط) اى الضرب به (والسجن نكال) اى زجر وردع (لسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة) اى مدة مديدة (فان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت) للدفع عن نفسه (من عداوتهما) فى امر الدنيا (او جرحتهما) بضم الجيم اى طعنهما من جهة الدين (ما اسقطهما) اى دفع شهادتهما عنه وروى ما اسقطها (ولم يسمع ذلك) الامر (من غيرهما) بان انحصرت الشهادة فيهما (فامره اخف) ممن قبله (لسقوط الحكم) من قتل ونكال (عنه وكانه لم يشهد عليه) بصيغة المجهول (الا ان يكون ممن يليق به ذلك) النكال حيث يظن منه صدور ذلك المقال (ويكون الشاهدان من اهل التبريز) من البروز وهو الظهور اى بان امرهما فى عدالتهما (فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم) المترتب عليه (بشهادتهما) المجروحة (فلا يدفع الظن صدقهما) فيما برز منهما او ظهر عنهما (وللحاكم فى تنكيله هنا) موضع (اجتهاد

والله ولى الارشاد) اى الهداية وروى الرشاد وهو الصواب والسداد

(فصل)

(هذا) الذى قدمناه (حكم المسلم) الذى ارتد (فاما الذى اذا صرح بسبه) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (او عرض) اى لوح (او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذى كفر به) اى الذمى وكان يتعين التصريح بذكره وهو فى نسخة بصيغة المجهول مشددا وليس على ما ينبغى ثم الوجه اعتقاد عدم نبوته او رسالته وغير وجهه كقوله ليس بذى تقوى (فلا خلاف عندنا) ائمة المالكية (فى قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة) اى بالجزية (او العهد) بالمصالحة والامان (على هذا) الذى صدر عنه من السب ونحوه (وهو) اى قتله بشرطه (قول عامة العلماء) اى جميعهم (الا ابا حنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة) اى فقهائهم (فانهم قالوا) اى جميعهم (لا يقتل) الذمى بذلك وعللوه بقولهم (لان ما هو عليه من الشرك اعظم) مما صدر من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن يؤدب ويعزر) بقدر مقاله وقوة حاله (واستدل بعض شيوخنا) المالكية (على قتله) اى الذمى المذكور (بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم) اى نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان (من بعد عهدهم) المؤكد بها (وطعنوا فى دينكم) اى عابوه (الآية) اى فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة جمع يمين اثبتها لهم ثم نفاها عنهم لانها فى الحقيقة كلا ايمان وبه اخذ ابو حنيفة ان يمين الكافر كلا يمين وعن الشافعى هى يمين ومعنى لا ايمان لهم لا يوفونها وفى قراءة ابن عامر بكسر الهمزة وقوله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا قال التلمسانى وفى بعض الاصول فاقتلوا ائمة الكفر الآية والتلاوة فقاتلوا ائمة الكفر ولا دليل على القتل بهذا النص لان المقاتلة غير القتل ولو استدل بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية لكان اقرب انتهى ولا يخفى ان الآيتين فى المصالحة مع الحربى والكلام فى الذمى وقد قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل (ويستدل ايضا عليه) اى على قتل الذمى الذام (بقتل النبى عليه الصلاة والسلام لابن الاشرف واشباهه) قال الدلجى كابى رافع من اليهود وابى وامية ابنى خلف من قريش انتهى ولا يخفى ان ابن الاشرف واليهودى الآخر لم يكونا من اهل الذمة واما ابنا خلف فهم من اهل الحرب (ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم) فينبغى ان يشترط عليهم ذلك حال معاهدتهم (فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا) اى حربيين وفى نسخة وصاروا اهل حرب وجمع بينهما الدلجى فى اصله (يقتلون بكفرهم) وفى نسخة لكفرهم على ان الباء سببية واللام تعليلية (وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم) وروى عليهم (من القطع فى سرقة اموالهم) اى اموال المسلمين (والقتل لمن قتلوه منهم) اى من المؤمنين (وان كان ذلك) الذى ذكر من السرقة والقتل (حلالا عندهم) واما تمثيل الدلجى بحد الزنى جلدا او رجما فليس فى محله فانه لم يختلف احد منا ومنهم فى تحريمه (فكذلك سبهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به) وفيه انه نوع كفر مندرج فى جنس كفرهم لانه فرع من جملة الاحكام المختصة بهم او الشاملة لهم ولغيرهم (ووردت لاصحابنا) المالكية (ظواهر تقتضى الخلاف) فى قتل الذمى وعدمه (اذا ذكره) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بالوجه الذى كفر به) الذمى كتكذيبه النبوة او الرسالة العامة (ستقف عليها) اى على تلك الظواهر (من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد) اى بعد ذلك (وحكى ابو المصعب) بصيغة المفعول (الخلاف فيها) اى فى الظواهر قاله الدلجى والصواب فى المسألة (عن اصحابه المدنيين) قال الحلبى هو احمد ابن ابى بكر القاسم ابن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ابو مصعب الزهرى المدنى الفقيه قاضى المدينة روى عن مالك (واختلفوا) اى المالكية (اذا سبه) اى الذمى (ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله) كما فى حديث صحيح اى يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعصية وفى رواية الاسلام يهدم ما قبله قالوا معناه يهدم الاسلام ما كان قبله على الاطلاق مظلمة كانت او غيرها كذا ذكره الانطاكى (بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب) فانا نقتله حدا لا كفرا (لانا لا نعلم باطنه الكافر) اى معتقده قال الحجازى وروى الكفر اقول ولا وجه له (فى بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعناه) اى الذمى (من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره) من السب وغيره (الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله) مما كان يلام (قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذا كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا) بالالف اى ظهر (عنه الان فلم نقبل بعد) اى بعد ذلك (رجوعه) بالتوبة وفيه ان كفره ساعة كيف يكون اشد من كفر سنين مع انه لا عبرة بظننا اذ يحتمل انه كان كافرا او يتستر وما صح له الايمان المعتبر ولهذا قال بعض العارفين الايمان اذا دخل القلب امن السلب وقال بعضهم

الذى رجع ما رجع الا من الطريق ويشير اليه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع (ولا استأمنا) اى لم يظهر لنا الامن (الى باطنه) وفى بعض النسخ ولا استنمنا اى ما اطمأننا الى باطنه يقال استنام اليه اى سكن واستأنس فاندفع قول الانطاكى انه لا معنى له ولعله تصحيف وقال الدلجى اى ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولا اطلعنا عليه قلت وكذلك الحال بالنسبة الى الكافر الاصلى اذا اسلم اذ يحتمل ان يكون منافقا او لم يوجد فيه شرط من شروط صحة الايمان والله المستعان (اذ قد بدت سرائره) اى ظهرت ضمائره بخلاف ظننا به (وما ثبت عليه) اى على المسلم (من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ) قلت فينبغى ان يكون اقرب الى القبول من الكافر الاصلى (وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله عليه وسلم وجب عليه) اى على الذمى (لانتهاكه حرمته) اى تناولها بما لا يحل له (وقصده الحاق النقيصة) وفى نسخة الحاقه النقيصة اى المنقصة (والمعرة) اى المشقة بالمذمة (فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى) اى بالوجه الذى (يسقطه) وفيه ان كل الصيد فى جوف الفرا وجنس الكفر يشمل انواعه كما ترى ولا يظهر قياسه بقوله (كما وجب عليه) اى الذمى (من حقوق المسلمين من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم) اى الساب لدفع قتله (فأن لا تقبل توبة الكافر) اى الذمى (اولى) بل الاولى كما تقبل توبة الحربى ان تقبل توبة الذمى والمسلم لانهما اقرب الى الدين وقد قبل النبى عليه الصلاة والسلام توبة المرتدين واليهود بعد شتمهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال مالك فى كتاب ابن حبيب) وهو صاحب الواضحة (والمبسوط) اى وفيه (وابن القاسم) اى وفى كتابه (وابن الماجشون) بكسر الجيم على صورة الجمع وال لا تفارقه وقال النووى الماجشون لفظ اعجمى وهو من اصحاب مالك (وابن عبد الحكم) قال التلمسانى هو اذا اطلق عند الفقهاء فهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان (واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية) بضم اوله (وعند محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم) اقول وما المانع من ذلك (ولا لا تسلم) وهذا اغرب من الاول اذ كيف يجوز لمسلم ان يقول لكافر لا تسلم وكان مراده انه لا يعتبر قول احد له اسلم او لا تسلم والمعنى انه لا يجب ان يعرض عليه الاسلام (ولكن ان اسلم وحده) اى باختياره (فذلك له توبة وفى كتاب محمد) اى ابن المواز (اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر) اى ذمى اذ يبعد اطلاقه (قتل ولم يستتب) اى لم تقبل توبته (وروى) بصيغة المجهول (لنا عن مالك) كما فى كتاب ابن حبيب وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه (الا ان يسلم الكافر) ذميا او غيره (وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان راهبا تناول النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه) ليس فيه انه اسلم وامر بقتله (وروى عيسى) اى ابن معين (عن ابن القاسم) الفقيه المصرى (فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا) معشر بنى اسرائيل (انما ارسل اليكم) ايها العرب (وانما نبينا موسى او عيسى) على وجه التنويع (ونحو هذا لا شئ عليهم) ويروى عليه اى من القتل او الضرب (لان الله اقرهم على مثله) اذ قبلوا الجزية (واما ان سبه) ذمى (فقال ليس بنبى) اى مطلقا (او لم يرسل) الى احد (او لم ينزل عليه قرآن وانما هو) اى القرآن (شئ تقوله) افتراه (او نحو هذا فيقتل) اى ان لم يسلم (قال ابن القاسم اذا قال النصرانى) وكذا اليهودى (ديننا خير من دينكم) هذا ليس عليه شئ (انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح) اى قبيح الكلام مما هو طعن فى دين الاسلام (او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله) يعنى الرسالة او يجعلكم مثله رسلا (ففى هذا الادب الموجع) الرادع (والسجن الطويل) الوازع اذ ليس فيه تلويح الى نفى رسالته ولا تصريح (قال) اى ابن القاسم (واما ان) وفى نسخة من (شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف) تصريحا لا يكون تلويحا (يقتل الا ان يسلم قال مالك غير مرة) اى كثيرا (ولم يقل يستتاب) اى يعرض عليه الاسلام (قال ابن القاسم ومحمل قوله) اى قول مالك الا ان يسلم (عندى ان اسلم طائعا) اى من غير ان يقال له اسلم والا نقتل (وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمان بن سالم فى اليهودى يقول للمؤذن اذا تشهد) اى بالرسالة (كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل) وفيه انه مخالف لما سبق من ان الذمى لو نفى النبوة او الرسالة يقتل اللهم الا ان يقال هذا تلويح لا تصريح اذ الخطاب مع المؤذن فيحتمل ان يراد تكذيبه وانما قيدنا الشهادة بالرسالة لانه لو كذب التوحيد بصريح يا فيقتل الا ان يسلم (وفى النوادر) لابن ابى زيد (من رواية سحنون عنه) اى عن مالك (من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى كفروا) اى به فاندفع قول الحلبى لو قال كفر لكان اولى ثم لا يخفى ان من مفرد مبنى وجمع معنى فليس احد من الاستعمالين اولى قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (ضربت عنقه) بصيغة المجهول (الا ان يسلم قال محمد

ابن سحنون فان قيل لم قتلته) اى امرت بقتل الذمى (فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه) جملة حالية (قيل) اى فى جوابه (لانا لم نعطهم العهد) اى الذمة والامان (على ذلك) اى على اظهاره (ولا على قتلنا واخذ اموالنا) بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية مع المذلة هنالك (فاذا قتل) ذمى (واحدا) اى منا كما فى نسخة (قتلناه) او اخذ مالا منا اخذناه منه (وان كان من دينه استحلاله) اى عده حلالا (فكذلك اظهاره لسب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم موجب لقتله وان كان معتقد الحله (قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب) اى ولو من اهل الكتاب (الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل) من العلماء (كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه) الظاهر انه اذا اخذ عليه العهد بعدم سبه حتى يصح قوله ينتقض (وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة) وهذا قياس مع الفارق ولذا لم يقل به جمهور الامة واغرب الدلجى بقوله بل اولى هذا (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (ما ذكره ابن سحنون عن نفسه) اى اولا (وعن ابيه) ثانيا (مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف) وفى نسخة يخفف (عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمل) ليظهر لك ترجيح احد الوجهين (ويدل على انه) اى ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه (خلاف ما روى عن المدنيين) من اصحاب مالك (فى ذلك فحكى) قال التلمسانى صوابه كما فى نسخة ما حكى (ابو المصعب الزهرى قال اتيت) بضم الهمزة وتاء المتكلم (بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد فاختلف) اى الرأى (على) اى عندى (فيه) اى فى امره (فضربته) اى ضربا وجيعا (حتى قتلته او عاش) بعد ضربه (يوما وليلة وامرت من جر برجله) بعد موته (فطرح على مزبلة) بفتح الميم والموحدة وقد يضم الثانى ويكسر وهو المحل الذى يكون فيه الزبل اى السرجين يلقى فيه واما ما فى بعض النسخ من كسر الميم وفتح الباء فغير معروف الا فى الالة (فاكلته الكلاب) وفى قتله محل بحث اذ قوله مشتمل على اقراره باصطفائهما بالنبوة والرسالة غايته انه فضل نبيه على نبينا وهو مقتضى دينه بل انه ليس مما كفر به اذ اصل التفضيل قطعى لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيل خصوص بعض الانبياء فظنى وعلى التنزل فليس مما علم من الدين بالضرورة لا سيما وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام قال لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى مع ان سبب وروده ان يهوديا قال والذى اصطفى موسى على محمد فلطمه مسلم (وسئل ابو المصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل) وهذا ظاهر لانه كفر صريح بل يخرج عن كونه كتابيا ويصير حربيا بل ولا يقول احد مثل هذا القول فى جميع الاديان قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالله خالق كل شئ باجماع الاولين والآخرين واما قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فخلق مجازى متوقف على وجود تراب وماء وتصوير من مخلوق آخر وان الله صانع كل شئ وصنعته كما فى حديث (وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصرانى بمصر) اى القاهرة (شهد عليه) بصيغة المجهول (انه قال مسكين) بالرفع منونا وفى نسخة بالسكون قال التلمسانى وقد يفتح ميمه (محمد يخبركم انه فى ا[illegible]) اى الآن وفى نسخة فهو الآن فى الجنة قاله استهزاء (فاله لم ينفع نفسه اذا كانت الكلاب تأكل ساقيه) وهذا افتراء عليه (لو قتلوه) اى الناس (استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه) ويغرى على جيفته الكلاب (قال) اى مالك (ولقد كدت) اى قاربت (ان لا اتكلم فيها) اى فى مسئلة ابن القاسم عن هذا الكلب النصرانى يعنى بشئ كما فى نسخة (ثم رأيت انه لا يسعنى) اى لا يجوز لى (الصمت) اى السكوت وفى نسخة لا ينبغى الصمت اى لا ينفعنى (قال ابن كنانة) بكسر الكاف (فى المبسوط) وفى نسخة فى المبسوطة (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه) من الاحراق او التحريق (بالنار) اى ابتداء (وان شاء) اى الامام (قتله ثم حرق جثته) بضم الجيم وتشديد المثلثة اى جيفته (وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا فى سبه) اى تساقطوا وتكرر منهم وتبالغوا ولعل التحريق حيا من باب السياسة والا فقد ورد لا يعذب بالنار الا الله مثل تهافت الفراش فى النار وفى رواية لا تعذبوا بعذاب الله تعالى رواه ابو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال ابن كنانة (ولقد كتب) بصيغة المجهول (الى مالك من مصر وذكر) اى ابن كنانة (مسألة ابن القاسم المتقدمة) فى النصرانى بمصر (قال) ابن القاسم (فامرنى مالك) ان اكتب الجواب (فكتبت بان يقتل ويضرب عنقه) تفسير لما قبله فيفيد انه لا يصلب حيا ولا يقطع اربا اربا وغير ذلك من انواع القتل لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فاحسنوا القتلة بالكسر اى النوع منه (فكتبت) اى فرغت من كتابته (ثم قلت) اى لمالك (يا ابا عبد الله وا كتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به) اى ما احقه بان يحرق بعد ضرب عنقه (فكتبته بيدى) احتراس بديعى يدفع به ما يتوهم من المجاز كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى ونحو ذلك ومنه قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (بين يديه) اى قدام مالك وقدرآه (فما انكره ولا عابه) وفيه ايماء الى ان التحرير فى باب الفتوى

اقوى من التقرير (ونفذت الصحيفة) بالنون والفاء والذال المعجمة المفتوحات اى ذهبت وفى نسخة بضم النون وتشديد الفاء المكسورة وفى اخرى بصيغة الفاعل اى وارسلتها الى مصر (بذلك) اى بما امر به مالك (فقتل) النصرانى (وحرق) اى بعد قتله (وافتى عبد الله بن يحيى) الليثى صاحب رواية الموطأ عن ابيه عن مالك (وابن لبابة) بضم اللام وبموحدتين وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبى (وجماعة سلف اصحابنا) بالاضافتين وفى نسخة فى جماعة سلف اصحابنا (الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت) اى رفعت صوتها يعنى اظهرت (بنفى الربوبية وبنوة عيسى) اى الله كما فى نسخة اى واعلنت بكونه ابنا لله وبينهما تناقض كما لا يخفى وفى نسخة بتقديم النون على الباء والظاهر انه تصحيف (وتكذيب محمد فى النبوة) اى فى اصلها الا فى عموم الرسالة لانه مقتضى مذهبهم وكذا القول بالابنية كما اخبر الله عنهم بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وانما امر بقتلها لانكار الربوبية فانها به صارت حربية وخرجت عن كونها ذمية كتابية اذ ليس هذا من مقتضى دينهم بل ولا دين غيرهم لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها) وهذا مخالف لما سبق من ان الذمى اذا طعن فى نبوة نبينا يقتل ولم يقبل اسلامه (به) وفى نسخة وبه اى وبهذا الافتاء (قال غير واحد من المتأخرين) اى من المالكية (منهم القابسى وابن الكاتب) وهو ابو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد (وقال ابو القاسم ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام بصرى مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (فى كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر) اى ذمى (قتل ولا يستتاب) اى لا تقبل توبته وهذا مخالف للجمهور واغرب الدلجى حيث قال تمسكا بالآية والحديث والحال انه لا دلالة آية ولا اشارة رواية على ذلك بل تقبل توبة المرتد والكافر بشروط هنالك (وحكى القاضى ابو محمد) عبد الوهاب المالكى (فى الذمى يسب ثم يسلم روايتين) عن مالك (فى درء القتل عنه) اى وعدمه (باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف) والمشهور انه مختص برمى الزنى (وشبهه) وهو السب ونحوه (من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمى اسلامه) لابتنائها على المشاحة (وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله) لانها مبنية على المسامحة (واما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبى او غيره) من العباد المحترمين (فاوجب) اى الله ورسوله قال الدلجى وفيه بحث سيجئ (على الذمى اذا قذف النبى صلى الله عليه وسلم حد القذف) وفيه انه لم يعرف من كتاب ولا سنة حد القذف بالقتل على كافر اسلم (ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالعصمة ونحوها (على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتأمله) الى حين يتبين لك علم اليقين فى مسألة الدين قال التلمسانى الظاهر القتل لانه آذاه ومن آذاه يقتل فان اسلامه يأباه وكم من مؤذ له عليه الصلاة والسلام اسلم وقبل منه الاسلام ولم يقتل لما صدر له قبل ذلك من الكلام

(فصل)

(فى ميراث من قتل بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة عليه) اعلم ان المرتد عندنا لا يرث من مسلم ولا من كافر يوافقه فى الملة ولا من مرتد آخر ويرث المسلم من المرتد ما اكتسبه فى حالة الاسلام وعند الشافعى يوضع ذلك فى بيت مال المسلمين واما ما اكتسبه فى حال الردة فعند ابى حنيفة هو بمنزلة الفيء يوضع ذلك فى بيت المال وقال صاحباه يكون ذلك ميراثا لورثته المسلمين (اختلف العلماء) اى المالكية (فى ميراث من قتل بسب النبى فذهب سحنون الى انه) اى ميراثه (لجماعة المسلمين) كالفيء فيوضع فى بيت المال (من قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جهة (ان شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق) والظاهر ان بينهما التفرقة (وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا) وفى نسخة مستسرا اى مسرا يعنى مخفيا (بذلك) السب (وان كان مظهرا له مستهلا) اى معلنا (به) اى بشتمه (فميراثه للمسلمين) اى فيئا (ويقتل على كل حال) سواء كان مسرا او مجاهرا (ولا يستتاب) اى لا تقبل توبته (قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه) بانه شتمه (فالحكم فى ميراثه على ما اظهر من اقراره يعنى) اى القابسى ان ميراثه (لورثته والقتل حد ثبت عليه) لا يدرأ عنه بتوبته (وليس) اى القتل (من الميراث فى شئ وكذلك) اى مثل ما قاله القابسى (لو اقر بالسب واظهر التوبة يقتل اذ هو) اى القتل (حده وحكمه) اى هذا المقتول بسببه (فى ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام) من صلاة خلفه حيا وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه فى قبورنا وكذا ما وقع له معاملة ومناكحة واتفاقا (ولو اقر بالسب وتمادى) اى استمر مدة واصر (عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا) بالاجماع (وميراثه للمسلمين) وفيه ما قد قدمنا من النزاع (ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر عورته ويوارى) جيفته (كما يفعل بالكفار) من دفنهم فى حفرة (وقول الشيخ ابى الحسن) القابسى (فى المجاهر المتمادى بين) اى ظاهر (لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب) عما وقع فيه (ولا مقلع) عن تماديه

(وهو) اى قول القابسى (مثل قول اصبغ وكذلك) اى مثل قول اصبغ (فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى على قوله) من غير رجوعه وفيه ان الزنديق اذا تمادى على كفره خرج عن كونه زنديقا لانه خلاف مشربه (ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب) واسمه عبد الملك (فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه) اى حكم الساب (حكم المرتد) اى اذا لم يسلم (لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه) حينئذ لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا (وقاله اصبغ) اى ما قاله ابن القاسم (قتل على ذلك اومات عليه وقال ابو محمد ابن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة) اى يظهرها مع انه يضمر عقائد باطلة (فلا تقبل منه) توبته ظاهرا اوان نفعته عند الله تعالى لو كان صادقا وهذا موافق لمذهبنا ونقل الدلجى عن الشافعى انها تقبل وتدفع عنه لحديث هل لا شققت عن قلبه انتهى وفيه ان الحديث لم يرد فى حق الزنديق والله ولى التوفيق (واما المتمادى فلا خلاف انه لا يورث وقاله ابو محمد) اى ابن ابى زيد (فيمن سب الله تعالى) اى مثلا (ثم مات ولم تعدل) بتشديد الدال المفتوحة اى لم تقم (عليه بينة اولم تقبل) لعدم عدالة اووجود عداوة وضبطه الحجازى بالفوقية بعد القاف اى اوعدلت فمات ولم يحكم بقتله (انه يصلى عليه) يعنى احتياطا (وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله) بتشديد الذال اى كذب برسالته (صلى الله عليه وسلم) اى بعد الايمان كما يدل عليه السياق من السباق واللحاق (اواعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين) اى فيئا (وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة) فقيه المدينة المشهور بربيعة الرأى روى عن السائب ابن يزيد وانس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك والليث وطائفة وثقه احمد وغيره قال مالك رحمه الله ذهبت حلاوة الفقه مذ مات ربيعة كان له حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو جعفر محمد بن على بن الحسين وابنه محمد يجلسان فى حلقته استقدمه ابو العباس السفاح الى الانبار لتولية القضاء فلم يفعل توفى سنة ست وثلاثين ومائة (والشافعى وابو ثور) البغدادى احد المجتهدين روى عن ابن عيينة وغيره وعنه ابو داود وابن ماجه (وابن ابى ليلى) وهو القاضى الانصارى احد الاعلام روى عن الشعبى وعنه شعبة قال احمد سيئ الحفظ وقال ابو حاتم محل الصدق (واختلف) اى القول (فيه عن احمد وقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه وابن مسعود رضى الله عنه وابن المسيب والحسن) اى البصرى وكلاهما من افاضل التابعين (والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم) بفتحتين وهو ابن عتيبة بضم عين مهملة وبمثناة فوق مفتوحة فياء تصغير فموحدة مفتوحة فقيه الكوفة اخذ عنه شعبة وغيره كان عابدا قانتا لله قال الحلبى ويتفق مع هذا فى اسمه واسم ابيه الحكم بن عتيبة بن نهاس ويفترقان فى الجد كان قاضيا بالكوفة وليس من رواة الحديث قال وقد جعل البخارى هذا والامام المتقدم ذكره واحدا فعد هذا من اوهامه (والاوزاعى والليث) اى ابن سعد (واسحق) اى ابن راهويه (وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين) اى على تفصيل تقدم عنه (وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى ارتداده) اى فى ايامه (فللمسلمين) على ما قدمناه قال القاضى (وتفصيل ابى الحسن القابسى (فى باقى جوابه حسن بين) اى ظاهر (وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما) اى اصبغ وسحنون (على قول مالك فى ميراث الزنديق فورثه ورثته) بتشديد الراء اى جعل وارثه ورثته (من المسلمين قامت) اى سواء ثبتت (عليه بذلك) اى بكونه زنديقا (بينة) اى شهود عدل (فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله) اى به (اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه) اى اصحاب مالك (لانه مظهر للاسلام بانكاره اوتوبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كانوا يظهرون الاسلام ويضمرون الكفر وكان يرثهم ورثتهم من المسلمين كعبد الله بن ابى بن سلول وغيره (وروى ابن نافع) الصائغ المدنى قال البخارى فى حفظه شئ وقال ابن معين ثقة وكان يلازم مالكا لزوما شديدا وكان لا يقدم عليه احدا قال ابن عدى روى عن مالك غرائب وهو مستقيم الحديث (عنه) اى عن مالك (فى العتبية وكتاب محمد) اى ابن المواز (ان ميراثه لجماعة المسلمين) اى فيئا (لان ماله تبع لدمه) وبه يغاير كونه كالمنافقين لانه ما قتل احد منهم لمجرد نفاقه لا باقراره ولا باثبات بينة عليه (وقال به ايضا جماعة من اصحابه) اى اصحاب مالك (وقاله اشهب والمغيرة) بضم الميم ويكسر للاتباع (وعبد الملك) اى ابن الماجشون او ابن حبيب (ومحمد) اى ابن المواز (وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه) اى الزنديق لا المرتد كما قاله الدلجى (ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا يورث) قال الدلجى وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب قلت لان توبة الزنديق لا تقبل على الوجه الصواب (وان لم يقر حتى قتل اومات ورث) لان الاصل بقاؤه على الايمان (قال) اى ابن القاسم (وكذلك) الحكم (كل من اسر كفرا) ولم يظهره حتى قتل اومات (فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام) كما كان المنافقون فى زمنه عليه الصلاة والسلام (وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه) اى ماله (للمسلمين) فيئا (ليس) اى ماله لهم (على جهة التوارث لانه لا توارث بين اهل ملتين) كما ورد به الحديث (ولكن) ماله لهم (لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا) اى الذى ذكر (معنى قوله) اى ابن الكاتب (واختصاره) بالرفع اى واختصار قوله

(الباب الثالث)

(فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى) بنسبة الكذب او العجز اليه ونحو ذلك (من المسلمين كافر) قلت ومن الذميين ايضا كافر حربى (حلال الدم) بل واجب السفك (واختلف فى استتابته) اى قبول توبته (فقال ابن القاسم فى المبسوط) وفى نسخة المبسوطة (وفى كتاب ابن سحنون ومحمد) اى ابن المواز (ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون) اى هو (افترى) وفى نسخة الا ان يكون اى سبه افتراء (على الله بارتداده) اى مصحوبا به (الى دين) غير دين الاسلام (دان به) اى اتخذه دينا وفيه انه لا يتصور دين يجوز سبه سبحانه فيه (واظهره) اى دينه (فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب) اى ويقتل لانه لو استتيب لاظهر التوبة واخفى الكفر كالزنديق (وقال فى المبسوطة مطرف) اى ابن عبد الله وهو ابن اخت مالك (وعبد الملك) اى ابن حبيب او الماجشون (مثله) مامر من التفصيل وفى نسخة قال مطرف وعبد الملك فى المبسوطة مثله وهو اولى كما لا يخفى (وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم) مات يوم الجمعة وهو ساجد فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام سنة اربع وثمانين ومائة (ولا يقتل المسلم بالسب) اى مطلقا اظهر اولم يظهر (حتى يستتاب) اى على طريق الوجوب او الاستحباب كما عليه الجمهور فى هذا الباب (وكذلك اليهودى والنصرانى فان تابوا قبل منهم) توبتهم (وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة) فيه ايماء الى وجوبها (وذلك كله كالردة وهو) اى هذا التفصيل هو (الذى حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب) اى مذهب مالك (وافتى ابو محمد ابن ابى زيد فيما حكى عنه) بصيغة المجهول (فى رجل لعن رجلا ولعن الله عز وجل فقال) اى اللاعن (انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى) اى زاق (فقال) اى ابن ابى زيد (يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره) لاحتمال كذبه مع ظهور كفره (واما فيما بينه وبين الله فمعذور) استصحابا لايمانه مع جزمه به والقول الصواب انه ان استغفر وتاب لا يقتل لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان (واختلف فقهاء قرطبة) بضم القاف والطاء بينهما راء ساكنة فموحدة بلد بالمغرب (فى مسئلة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان) اى هارون (ضيق الصدر) اى سيئ الخلق (كثير التبرم) اى الضجر وقلة الصبر (وكان قد شهد عليه بشهادات) متعددة فى حقه (منها) ولعلها اعظمها (انه قال عند استقلاله) اى قيامه (من مرض) عرض له (لقيت فى مرضى هذا مالو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا) اى المرض الشديد (كله فافتى ابراهيم بن حسين) وفى نسخة حسن (ابن خالد) مات سنة سبع ومائتين فى رمضان (بقتله لانه) وفى نسخة وان (مضمن قوله) بتشديد الميم الثانية المفتوحة اى مضمونه (تجوير لله تعالى) اى نسبته الى الجور وهو ضد العدل (وتظلم) اى واظهار ظلم (منه) سبحانه وتعالى (والتعريض فيه) اى فى وصفه تعالى (كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن) وفى نسخة حسين (ابن عاصم) مات سنة ثمان وخمسين ومائتين (ومنصور) وفى نسخة سعيد (ابن سليمان) القاضى (بطرح القتل) اى بتركه ووضعه (عنه) بمعنى انه لا يتحتم قتله (الا ان القاضى) وهو سعيد بن سليمان (رأى عليه التثقيل) اى التضييق والتنكيل (فى الحبس) كمية وكيفية (والشدة فى الادب) بكثرة الضرب (لاحتمال كلامه الكفر) الموجب لقتله (وصرفه) اى واحتمال صرفه (الى التشكى) وهو اظهار الشكاية من الخالق الى المخلوق وهو احتمال بعيد كما لا يخفى ولعل المراد به المبالغة فى بيان شدة مرضه وله تأويل آخر كما سيأتى وهو اظهر فكان الصواب انه يستتاب هذا وقد حكى النووى فى الروضة ما افتوا به ولم يرجح منه رأيا لكن قوله وقد حكى القاضى عياض جملة من الالفاظ المكفرة يقتضى ترجح رأى من افتى بقتله (فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة) كالمخزومى وغيره هو (انه) اى سبه تعالى (كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى) اى من عباده وفيه بحث اذ عباده مماليكه وحق المولى حق للموالى فيجب ان يقوموا بحقهم كما يجب على الامة ان يقوموا بحق رسولهم والصواب فى المسألتين ان يستتاب لقوله تعالى الا من تاب (فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار) اى واشبه اظهار (الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة لدين الاسلام) وفيه انه لا يعرف دين جوز فيه سب الله سبحانه وتعالى حتى عبدة الاصنام يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو لا شك انه اعظم من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (ووجه ترك استتابته) كما قاله ابن القاسم وغيره (انه) اى الساب (لما) وفى نسخة اذا (ظهر منه ذلك) اى سب مولاه سبحانه وتعالى (بعد اظهار

الاسلام) وقبول الاحكام (قبل) اى قبل اظهاره السب (اتهمناه) بتشديد التاء اى اوقعناه فى التهمة بالكفر (وظننا
ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا) السب (احد) بان ينطق به بدون اعتقاده (فحكم له) اى
لقائله (بحكم الزنديق ولم تقبل توبته) اذ قد تمادى على اخفاء كفره واظهار ايمانه وهذا كالمنافق لكن فيه ان
الزنديق من تحقق كفره باطنا وايمانه ظاهرا وهذا ليس كذلك وايضا الزنديق فى التحقيق من لا ينتحل دينا وبهذا
يفارق المنافق لثبوته على عقيدة واحدة فاسدة (واذا انتقل من دين الى دين آخر فاظهر السب بمعنى الارتداد) وفيه
انه لا يوجد دين يجوز فيه سبه سبحانه كما قدمناه (فهذا) المنتقل (قد اعلم) بصيغة المجهول اى من حاله وفى نسخة قد
علم (انه خلع ربقة الاسلام) بكسر الراء فوحدة فساكنة فقاف مفتوحة اى قيده وتعلقه (من عنقه) فيستتاب فان
تاب والا قتل وفى الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه (بخلاف الاول المتمسك) وفى
نسخة المستمسك (به) اى بالاسلام فانه بمجرد سبه تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا كذا ذكره الدلجى
وفساده ظاهر لا يخفى (وحكم هذا) المنتقل (حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب) وفى نسخة مذاهب (العلماء)
وفى نسخة مذاهب اكثر اهل العلم كابى حنيفة والشافعى واحمد (وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل) اى
قبل ذلك فى اوائل الباب (وذكرنا الخلاف فى فصوله) بسبب الاختلاف فى بعض اصوله واغرب الدلجى فى قوله اى
فى فصوله الاتية بعد

(فصـــل)

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب) حال من الضمير قبله (ولا الردة) وفى نسخة ولا
على الردة (وقصد الكفر ولكن ذلك) المضاف (على طريق التأويل) الفاسد (والاجتهاد) الكاسد (والخطأ
المفضى) وفى نسخة واجتهاد الخطأ المفضى اى الموصل (الى الهوى) اى هوى النفس (والبدعة) من بدع الضلالة
الناشئة عن الجهالة بتحقيق الكتاب والسنة (من تشبيه) بيان لما لا يليق به سبحانه كتشبيه المجسمة له سبحانه
وتعالى من انه على صورة شاب فى جهة العلو مماسا للعرش او محاذيا له (او نعت بجارحة كالوجه والعين) واليد واليمين
والقبضة والجنب والاستواء والنزول ونحوها من حملها على ظاهرها من غير تنزيه ولا تأويل (او نفى صفة كمال)
كنفى المعتزلة صفاته القديمة الذاتية حذرا من تعدد القدماء واما ما ذهب اليه بعض الحكماء من انه تعالى يعلم الكليات
دون الجزئيات فليس فى كفر قائله خلاف للعلماء (فهذا) الذى اضيف اليه تعالى على التأويل فى التنزيل (مما اختلف
السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده) والحق عند الاشعرى واكثر اصحابه واكثر الفقهاء كابى حنيفة لا يكفر وبعدم
تكفيره يشعر قول الشافعى لا ارد شهادة اهل الاهواء الا الخطابية لاستحلالهم الكذب فى الشهادة بناء على غلبة
الظن وقد اوضحت هذا المبحث فى شرح الفقه الاكبر (واختلف قول مالك واصحابه فى ذلك) اى هل يكفر معتقده ام لا
وسيأتى قريبا (ولم يختلفوا) اى اصحاب مالك او سائر العلماء لذلك (فى قتالهم اذا تحيزوا) اى انفردوا (فئة) اى جماعة
مجتمعة بمكان معين متعزلين عن اهل الحق لاشعار ذلك بمخالفتهم ومناواتهم واظهار معاداتهم كالخوارج فى زمن
على كرم الله وجهه والروافض فى زماننا خذلهم الله سبحانه وتعالى (وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا)
اى اصحاب مالك (فى المنفرد منهم فاكثر قول مالك) اى المنقول عنه (واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم)
بالرفع (والمبالغة) بالرفع (فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم) اى اعراضهم عنه ورجوعهم منه
(وتستبين توبتهم) الا ان الرافضة القائلين بالتقية لا يتحقق منهم التوبة الباطنية (كما فعل عمر رضى الله تعالى عنه
بصبيغ) بفتح مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة فغين معجمة تميمى بصرى خارجى الرأى وكان يتبع مشكل القرآن
ويسأل الناس عنه وكان كما اخبر الله به فى كتابه فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تأويله فقدم على عمر رضى الله عنه وكان اعد له جرائد يضربه بهن فلما جلس بين يدى عمر قال له من انت قال له
انا عبد الله صبيغ فقال له عمر وانا عبد الله عمر فضربه عمر حتى شجه بتلك العراجين فجعل الدم يسيل على وجهه فقال
حسبك يا امير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت اجده فى رأسى وفى رواية ضربه عمر حتى صار ظهره كالبردعة ثم حبسه
حتى فارب البرء ثم ضربه كذلك ثم حبسه فقال له ان اردت قتلى فاقتلنى والا فقد شفيتنى شفاك الله فارسله عمر ونهى
ان يجالس فكان بالبصرة لا يكلمه احد ولا يسلم عليه ولا يرد على حلقة الا قاموا وتركوه وكان مع ذلك وافر الشعر
لا يحلق رأسه (وهذا) اى القول بالمبالغة فى عقوبتهم (قول محمد ابن المواز فى الخوارج) وهم فرق شتى متفقون على
ان من اذنب صغيرة او كبيرة فقد كفر وهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة ويعظمون ابا بكر وعمر ذكره
فخر الدين الرازى (وعبد الملك ابن الماجشون) بالجر اى وقوله (وقول سحنون) بالرفع اى وكذا قوله (فى جميع اهل

الاهواء) كالرافضة وغيرهم من المبتدعة كالقدرية والمرجئة ممن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة
وهم اثنتان وسبعون والناجية منها اهل السنة وبها ثلاث وسبعون وقد تكلم عليها بالتعيين فى جميعها ابو اسحق
الشاطبى فى الحوادث والبدع مما يؤدى ذكره الى طوله والله الموفق للحق بفضله وقد قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفى الحديث ستفترق امتى على ثلاث وسبعين
فرقة كلهم فى النار الا واحدة قالوا وما هى يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابى (وبه) اى بالقول بالمبالغة فى عقوبتهم
(فسر قول مالك) بصيغة المجهول (فى الموطأ وما رواه عمر) عطف تفسير لما قبله وفى نسخة عن عمر وفى اصل الدلجى
ما رواه على انه بدل من قول مالك اى فسر بعض اصحابه ما قاله رواية عن عمر (ابن عبد العزيز وجده) اى مروان بن
الحكم (وعمه) عبد الملك بن مروان (من قولهم فى القدرية) بفتح الدال ويسكن (يستتابون فان تابوا والا قتلوا) وهم
طائفة ينكرون ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى فى الازل انها ستقع فى اوقات معلومة وعلى صفة
مخصوصة بحسب ما قدره سبحانه وتعالى وعظم شأنه وسموا بذلك لانكارهم القدر واسنادهم افعال العباد الى قدرتهم
قال النووى وقد انقرضوا باجمعهم ولم يبق احد من اهل القبلة على ذلك ولله الحمد انتهى وصارت القدرية فى هذا
الزمان الذين يعتقدون الخير من الله والشر من غيره كالمعتزلة ومن تبعهم كما سيأتى (وقال عيسى) قال الحلبى لعله
ابن ابراهيم بن مثرود وقال الدلجى لعله ابو موسى الغافقى (عن ابن القاسم فى اهل الاهواء) اى البدع المختلفة الاراء
(من الاباضية) بكسر الهمزة فوحدة مخففة بعدها الف فضاد معجمة فياء نسبة طائفة من الخوارج اصحاب عبد الله
ابن اباض التميمى ظهر فى زمان مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية وقتل آخر الامر كانوا يزعمون ان مخالفيهم من اهل
القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وغنيمة سلاحهم وكراعهم عند الحرب دون غيرهم ودارهم دار الاسلام
الا معسكر سلطانهم وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم (والقدرية) وهم اتباع واصل بن عطاء سموا قدرية لانكارهم القدر
وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومنهم المعتزلة والزيدية والرفضة وقد قال عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس
هذه الامة لمشاركتهم المجوس فى اثبات خالق للخير وخالق للشر (تنبيه) قالت القدرية لسنا بقدرية بل انتم يعنون اهل
الحق القدرية لاعتقادكم اثبات القدر واجيب بان هذا تمويه منهم فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله سبحانه
وتعالى ويضيفون الافعال السيئة الى قدرته سبحانه وتعالى وهؤلاء يضيفونها الى انفسهم ومدعى الشئ لنفسه
ومضيفه اليه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه هذا وقد ورد فى الاحاديث اوصاف القدرية بحيث
ترتفع هذه الشبهة بالكلية (وشبههم) بفتحتين وبكسر فسكون اى وامثالهم (ممن خالف الجماعة) الذين هم
اهل السنة (من اهل البدع) اى المخترعين عقائد الضلالة التى لم يخرج بها عن الاسلام واما قول الدلجى كالنصيرية
فخطأ فاحش فانهم طائفة يعبدون عليا فهم كفرة اجماعا (والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى) بتأويل باطل
ظاهرا على مقتضى ارائهم الفاسدة واهوائهم الكاسدة (يستتابون) اى مطلقا سواء (اظهروا ذلك) اى معتقدهم
(او اسروه فان تابوا قبلت) توبتهم (والا قتلوا وميراثهم لورثتهم) اجماعا لان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة زجرا لهم
عنها على طريق السياسة (وقال مثله) اى مثل قول عيسى (ايضا ابن القاسم فى كتاب محمد) اى ابن المواز (فى اهل
القدر وغيرهم) من المبتدعة مخالفى اهل السنة (قال) اى ابن القاسم او محمد عنه (واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا
ما انتم عليه) من الاعتقاد الفاسد والعمل الكاسد فان تابوا فيها وان تمادوا قتلوا حدا وميراثهم لورثتهم وفيه ان
المبتدعة لا توبة لهم الا اذا اظهروها من عند انفسهم (ومثله) اى مثل ما قال ابن القاسم فى كتاب محمد (له فى المبسوط
فى الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع) من انهم يستتابون (قال) اى ابن القاسم (وهم مسلمون) اى داخلون
فى فرق اهل الاسلام والتوارث قائم بينهم (وانما قتلوا لرأيهم السوء) اى حدا للسياسة زجرا عن البدعة (وبهذا) اى
وبقول ابن القاسم (عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب
والا قتل) لكفره اجماعا بانكاره تكليمه مع وروده فى القرآن وكلم الله موسى تكليما قال الانطاكى ونحو قول
ابن القاسم هذا عن احمد بن حنبل فانه روى عنه انه قال من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر اقول ولا يتصور
ان يكون فيه خلاف وتحقيق بحث الكلام محله علم الكلام (وابن حبيب) مبتدأ (وغيره من اصحابنا) المالكية
(يرى تكفيرهم) اى اهل البدع (وتكفير امثالهم) اى من التابعين لاقوالهم (من الخوارج والقدرية والمرجئة)
بالهمز والياء اسم فاعل وهم فرقة يزعمون انه لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة وان الله
تعالى لا يعذب الفسقة من هذه الامة سموا بذلك لاعتقادهم انه ارجأ تعذيبهم من المعاصى اى اخره عنهم يقال
ارجأت الامر وارجيته اى اخرته ومنه قوله تعالى حكاية ارجئه واخاه فيه ست قراآت فى السبعة هذا وفى المنتقى

من كتب اصحابنا عن ابى حنيفة لانكفر احدا من اهل القبلة وعليه اكثر الفقهاء ومن اصحابنا من قال بكفر المخالفين وقالت قدماء المعتزلة بكفر القائل بالصفات القديمة وبخلق الافعال وقال الاستاذ ابو اسحق نكفر من يكفرنا ومن لا فلا ولعل من كفر لاحظ التغليظ والزجر والسياسة ومن امتنع راعى الاحتياط فى حرمة اهل القبلة وهذا اسلم والله تعالى اعلم (وقد روى ايضا عن سحنون مثله) اى مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر (فيمن قال ليس لله كلام) اى لا نفسى ولا غيره (انه كافر) وهذا الاخلاف فيه لانكاره مانص الله به فى كتابه (واختلفت الروايات عن مالك) اى فى تكفير المبتدعة من اهل القبلة (فاطلق فى رواية الشاميين ابى مسهر) الغسانى وفى نسخة ابو مسهر بتعزيرهم (ومروان بن محمد الطاطرى) بفتح الطاء الثانية من المهملتين كان يبيع ثيابا بيضا يقال لها الطاطرية روى عن مالك وعنه الدارمى وغيره امام قانت لله (الكفر عليهم) مفعول اطلق ولعله اراد التغليظ للزجر فيهم (وقد شوور) اى مالك وهو مجهول شاور (فى زواج القدرى فقال لا تزوجه) يحتمل ان يكون على وجه الكراهة او الحرمة وهذا مجمع عليه خوفا على المرأة لقلة عقلها ان تميل الى مذهب زوجها ويحتمل ان يكون لنفى الصحة بناء على تكفيره وقوله فى الاستشهاد (قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) يحتمل احتمالين فى الاعتضاد لاتساع باب الاجتهاد (وروى عنه) اى عن مالك (ايضا اهل الاهواء) اى البدع فى الاراء (كلهم كفار) اى حقيقة او كفرا دون كفر اى مجازا (وقال من وصف شيأ من ذات الله تعالى واشار) فى وصفه (الى شئ من جسده اويد او سمع او بصر) اى ونحوها من اذن او لسان او رجل وغيرها (قطع ذلك) العضو (منه) اى سياسة جزاء وفاقا (لانه شبه الله تعالى بنفسه) وهو سبحانه ليس كمثله شئ (وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه) وروى التفتازانى هنا حديثا وتقدم انه موضوع والمحققون على انه لم يكفر لقوله تعالى قرآنا عربيا ولكونه مقروا بالسنتنا ومكتوبا بايدينا وانما الكلام فى الكلام النفسى ولهذا قال بعضهم من قال كلام الله مخلوق فهو كافر وهو ظاهر (وقال) اى مالك (ايضا فى رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفى رواية بشر بن بكر التنيسى) بكسر الفوقية والنون المشددة فتحتية ساكنة وسين مهملة فياء نسبة الى موضع قرب دمياط اكله البحر المالح وصار بحيرة ماء روى عن الاوزاعى وغيره وعنه الشافعى ونحوه (عنه) اى عن مالك (يقتل ولا تقبل توبته) وهذا غريب جدا (وقال القاضى ابو عبد الله البرنكانى) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فنون مفتوحة نسبة الى ضرب من الاكسية (والقاضى ابو عبد الله التسترى) بضم اوله وبفتح ثانيه وبضم وقيل بفتح اوله وبضم ثانيه (من ائمة العراقيين) اى من المالكية وفى نسخة بزيادة من اصحابنا (جوابه) اى جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق (مختلف يقتل) وفى نسخة فقال يقتل وهو مضارع مجهول وقال التلمسانى مصدر دخل عليه حرف جر (المستبصر) اى الذى له خبرة بامور شريعته وهو معجب بضلالته وجهالته (الداعية) اى الذى يدعو غيره الى بدعته والتاء للمبالغة او بتأويل الفرقة او الطائفة بناء على ان المراد بالمستبصر جنسه (وعلى هذا الخلاف) الذى ذكره القاضيان (اختلف قوله فى اعادة الصلاة) اى التى صليت (خلفهم) فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد ويمكن الجمع بينهما ايضا بان يقال تعاد احتياطا ولا تعاد وجوبا والاظهر على مقتضى مذهبه انه لا تجوز الصلاة خلف الفاسق انه تجب الاعادة ولعل الخلاف محمول على انه لم يعلم بحاله اولا ثم تبين بدعته ثانيا وقد نقل الشيخ ابو حامد الاسفراينى والماوردى عن نص الشافعى ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتد الوزند يقا وجوب الاعادة وعدمه ورجحه عامة اصحابه (وحكى ابن المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرى) وفى نسخة القدرية وهو مناف لما سبق عنه انه لا نكفر احدا من اهل القبلة (واكثر اقوال السلف) اى العلماء المتقدمين (تكفيرهم) لانهم خالقين على ما مر (وممن قال به) اى بتكفيرهم (الليث) ابن سعد (وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء والعين مهملة وهو ضعيف (روى عنهم) اى عن السلف ومن تبعهم من المذكورين (ذلك) اى تكفيرهم (فيمن قال بخلق القرآن وقاله) اى وقال بتكفير من قال بخلق القرآن (ابن المبارك) وهو عبد الله المروزى من اصحاب ابى حنيفة ممن جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والاجتهاد والجهاد (والاودى) بفتح الهمزة وسكون الواو منسوب الى قبيلة اود وهو عثمان بن حكيم (ووكيع) اى ابن الجراح ابو سفيان الرواسى (وحفص بن غياث) بكسر معجمة فتحتية مخففة فالف فمثلثة وهو ابو عمرو النخعى قاضى الكوفة روى عن الاعمش وغيره وعنه احمد وغيره (وابو اسحق الفزارى) بفتح الفاء والزاى وثقه غير واحد (وهشيم) بفتح الهاء وكسر الشين المعجمة وضبطه التلمسانى مصغرا وهو ابن بشير يكنى ابا معاوية السلمى الواسطى حافظ بغداد روى عن عمرو بن دينار وغيره وعنه احمد وابن معين ثقة مدلس (وعلى بن عاصم) اى الواسطى يروى عن يحيى البكاء وعطاء بن السائب وعنه ابن حنبل وغيره ضعفوه وكان عنده مائة الف حديث مات وله بضع وتسعون سنة (فى آخرين) اى من المجتهدين

والمعنى مندرجين فيهم اى متوافقين معهم (وهو) اى ما قاله هؤلاء الائمة (من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين) اى من علماء اصول الدين (فيهم) اى فيمن ذكر من المبتدعة (وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة) كالرافضة وهو اسم فاعل او مفعول اى الجامعين بين الضلال والاضلال (واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد ابن حنبل وكذلك قالوا) اى هؤلاء الائمة (فى حق الواقفة) اى ايضا وامثالهم متأولين ذكره الدلجى والاظهر ما قاله التلمسانى من انهم قوم توقفوا اذ ليس عندهم جواب اما لجهلهم او لتعارض الادلة عندهم وتوقفهم يوجب لهم ما يوجب لاصحابهم من المبتدعة والخوارج وغيرهم انتهى وفيه ان التوقف لتعارض الادلة لا يوجب التكفير كما لا يخفى لان الايمان الاجمالى معتبر اجماعا (والشاكة) اى المترددة (فى هذه الاصول) أثابتة هى ام ضعيفة او أحقة هى ام باطلة قال التلمسانى هم قوم وقع لهم الشك فى القرآن هل هو مخلوق ام لا (وممن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم) اى الفرق المذكورة وفى نسخة بتكفيرهم وهو خطأ اذ لم يقل بتكفيرهم (على بن ابى طالب) كرم الله وجهه (وابن عمر) رضى الله عنهما (والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار) بضم النون وتشديد الظاء جمع الناظر من النظر بمعنى التأمل والفكر ومنه المناظرة كابى حنيفة والشافعى واتباعهما (والمتكلمين) اى علماء الكلام وسموا به لان جل مباحثهم معرفة الكلام (واحتجوا) اى هؤلاء الائمة (بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء) بحاء مهملة مفتوحة وضم الراء الاولى يمد ويقصر موضع بالعراق على ميلين من الكوفة اجتمع بها الخوارج وتعاقدوا بها على رأيهم فنسبوا اليها وهم الذين ثاروا على على كرم الله وجهه بعد وقعة الجمل وكان زعيمهم ابن الكواء تعاقدوا واجتمعوا على قتال على ثم مضوا الى النهروان فقاتلهم على كرم الله وجهه وهم ثلاثون الفا فتفلت منهم عشرة فذهب رجلان الى عمان ورجلان الى سجستان ورجلان الى اليمن ورجلان الى الجزيرة ورجلان الى تل مروان وظهرت مذاهب الخوارج بهذه المواضع قال التلمسانى ومذهبهم ان الامام لا يختص بآل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بل كل من اجتمع فيه زهد وعلم وشجاعة فهو امام اذا بويع وخرج وان كان من العبيد والموالى وتفاصيل اعتقاداتهم فى الصحابة ومرتكبى الكبيرة مذكورة فى كتب الكلام انتهى ولا يخفى ان مذهب اهل السنة ايضا ان الامام لا يختص بآله عليه الصلاة والسلام بل يختص بقريش لقوله عليه الصلاة والسلام الائمة من قريش وبه ثبت خلافة الشيخين وانما الشيعة يقولون باختصاص الامامة لاهل بيت النبوة (ومن عرف بالقدر) بصيغة المجهول وهو معطوف على اهل حروراء (ممن مات منهم) اى جميعهم (ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام) من اعتاقهم وتنفيذ وصاياهم وسائر الاحكام (عليهم قال اسماعيل القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه) اى لان ابتداعهم نوع (من الفساد كما قال) اى مالك او الله تعالى (فى المحارب) اى قاطع الطريق حيث قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى ان قتلوا ويصلبوا ان قتلوا ونهبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان نهبوا او ينفوا من الارض بالاخراج او الحبس ان اخافوا فقط فاو فى الاية للتنويع والحكم مرتب عليهم عند الجمهور وعند مالك او للتخيير كما يشير اليه قوله (ان رأى الامام قتله) اى حدا (وان لم يقتل) اى احدا وان صلبه (قتله) اى الامام لكونه مخيرا فى قتله وهذا من باب قياس الاولى كما بينه بقوله (وفساد المحارب انما هو فى الاموال) اى فى حقها وبسببها يحصل سفك الدماء (ومصالح الدنيا) اى فى جهتها من حفظ الاموال والدماء (وان كان) اى الفساد (ايضا قد يدخل فى امور الدنيا) بالتبعية (من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه) اى اكثره واقع (على الدين) وان كان يتفرع عليه ايضا فساد فى الدنيا كما بينه بقوله (وقد يدخل) اى الفساد (فى امر الدنيا بما يلقون) بضم الياء والقاف اى يغرون (بين المسلمين من العداوة) والبغضاء وقد حرم الله الخمر والميسر لهذه العلة كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر فالعلة مركبة مفيدة لقتل اهل البدعة ولكن المرتبة المعتدلة ما صدر عن على امام الائمة وتبعه جمهور علماء الامة انهم يقتلون حال المحاربة او وقت خروجهم للدعوة واما اذا اخذوا او كانوا منفردين غير مجتمعين على الفساد فلا يقتل احد منهم وهذا جمع حسن وهو اسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصـــل)

(فى تحقيق القول فى اكفار المتأولين) اى فى تكفيرهم (قد ذكرنا مذاهب السلف) اى اختلاف مقالهم (واكفار اصحاب البدع) الفاسدة (والاهواء) الكاسدة (والمتأولين) للكتاب والسنة (ممن قال) اى بعض المبتدعة (قولا يؤديه) بهمز ويبدل اى يوصله (مساقه) اى مرجعه ومآله (الى كفر هو) اى المبتدع (اذا وقف عليه) بصيغة المجهول اى اذا اطلع على حقيقة امره (لا يقول بما يؤديه قوله اليه) وذلك لانه بحسب اجتهاده وقع عليه وذلك

كما اذا قال المعتزلى ان الله عالم ولكن لا علم له فقيل له قولك هذا يؤدى الى نفى ان يكون الله عالما اذ لا يوصف بعالم الا من له علم يقول هو نحن لا نقول انه ليس بعالم فانه كفر وقولنا لا يؤدى الى ذلك على ما هو اصلنا وكقول من قال منهم ان الله لا يريد الفحشاء اما قولا له بان ارادة القبائح قبيحة ويجاب بانه سبحانه منزه عن ان يقع فى ملكه الا ما شاء (وعلى اختلافهم) اى على اختلاف مراتب المبتدعة وتفاوت المسألة المخترعة وقال الدلجى اى على اختلاف السلف (اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك) اى فى تكفيرهم (فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه) اى التكفير (ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين) اى عمومهم (وهو قول اكثر الفقهاء) كابى حنيفة والشافعى وغيرهما (والمتكلمين) اى اكثرهم من الاشعرية والماتريدية (وقالوا) اى الجمهور من الطائفتين وفى نسخة وقال اى من اباه وما بينهما معترضة (هم) اى المبتدعة (فساق) بعملهم وهو بضم الفاء وتشديد السين جمع فاسق (عصاة) باعتقادهم وهو جمع عاص (ضلال) فى اجتهادهم وهو بضم فتشديد جمع ضال (ونوارثهم) بالنون وفى نسخة بالياء (من المسلمين) قال التلمسانى وروى نوارثهم مصدرا القول والظاهر انه تحريف وتصحيف (ونحكم لهم) بالوجهين وفى نسخة بصيغة المجهول الغائب (باحكامهم) اى باحكام سائر المؤمنين مما لهم وعليهم فى امور الدنيا والدين وفى قوله نوارثهم ونحكم لهم ايماء الى صحة القول الاخير وهو عدم التكفير (ولهذا قال سحنون لا اعادة على من) وفى نسخة لمن (صلى خلفهم قال) اى سحنون (وهو) اى هذا القول بعدم الاعادة (قول جميع اصحاب مالك) كلهم (المغيرة وابن كنانة واشهب قال) اى مالك او كل واحد من اصحابه (لانه) اى المبتدع (مسلم) اى من اصله المنسحب عليه فى حاله (وذنبه) اى بابتداعه (لم يخرجه من الاسلام) وان كان بدعته كبيرة (واضطرب آخرون) اى من اصحاب مالك (فى ذلك) التكفير (ووقفوا) اى توقفوا (عن القول بالتكفير اوضده) وهو عدم التكفير (واختلاف قولى مالك) وفى نسخة قول مالك (فى ذلك) اى فيما ذكر من التكفير وعدمه (وتوقفه) اى وفى توقفه والاظهر انه مرفوع اى وتوقف مالك (عن اعادة الصلاة خلفهم) اى عقب المبتدعين (منه) اى من قبيل ما اضطرب فيه الآخرون (والى نحو من هذا) الاختلاف فى ذلك والتوقف من مالك (ذهب القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (امام اهل التحقيق) اى فى مقام التدقيق (والحق) اى وامام اهل الحق المزيل للباطل (وقال) اى الباقلانى (انها) اى مسألة القول بالتكفير (من المعوصات) بضم الميم وكسر الواو المخففة اى المشكلات (اذ القوم) اى المبتدعة (لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدى اليه) ولا بد من الفرق بينهما فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق والحاصل ان مقتضى الاشكال وهو ان المعتزلى انما قال مثلا ان الله عالم ولكن لا علم له فهل يقول ان نفيه لا علم له سبحانه وتعالى نفى ان يكون الله عالما وذلك كفر بالاجماع او يقول قد اعترف بانه تعالى عالم وانكاره العلم لا يكفره وان كان يؤدى الى انه ليس بعالم والله سبحانه وتعالى اعلم (واضطرب قوله) اى قول القاضى ابى بكر (فى المسألة) اى هذه ايضا (على نحو اضطراب قول امامه مالك ابن انس) كان الاولى حذف امامه (حتى قال) اى الباقلانى (فى بعض كلامه انهم) اى اهل البدع (على رأى من كفرهم بالتأويل لا يحل) اى لا حد منا اهل السنة (مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم) لمونه فى اعتقاد من يكفرهم على الكفر (ويختلف فى موارثيهم) بصيغة المجهول (على الخلاف فى ميراث المرتد) على ما مر عن ابن القاسم وغيره (وقال) الباقلانى (ايضا نورث) (ميتهم) بتشديد الراء المكسورة وفى نسخة منهم (ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم) اى المبتدعة (من المسلمين واكثر ميله) اى الباقلانى (الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه) اى فى القول بتكفيرهم (قول شيخه) اى فى الطريقة (ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله) المنقول عنه (ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى) اى وما يتعلق به من التوحيد والنبوة (وقال) اى الاشعرى (مرة من اعتقد ان الله جسم) اى له جسم كالاجسام (او المسيح) اى انه عيسى (او بعض من يلقاه فى الطريق) كما تصور ابليس فوق عرش بين السماء والارض وصور فى خاطر بعض المريدين انه الاله فوق عرشه واعتقده حتى بلغه الحديث المشهور فى ذلك فتاب الى الله وقضى صلواته المتقدمة هنالك ولا يبعد ان يكون مراده ان القول بان الله جسم او المسيح او بعض من يلقى فى الطريق مستوى فى حد كفره (فليس بعارف به) اى بوجوده سبحانه وتعالى (وهو كافر) حيث لم يفرق بين وجود واجب الوجود وبين وجود الحادث فى مقام الشهود ومن هنا كفر ارباب الحلول والاتحاد والوجودية من اهل الالحاد الذين ضرر فسادهم على العباد اكثر من سائر اهل الكفر والعناد (ولمثل هذا) المقال المروى عن الاشعرى من عدم تكفير المبتدعة من اهل القبلة (ذهب ابو المعالى) وهو امام الحرمين رحمه الله تعالى وهو من اكابر الشافعية (فى اجوبته لابى محمد عبد الحق) اى الاشبيلى ذكره الدلجى وقال الحلبى هذا ليس الاشبيلى الحافظ صاحب الاحكام بل آخر غيره ولد سنة عشر وخمسمائة ومات سنة احدى وثمانين وخمسمائة وولد امام الحرمين

سنة تسع عشرة واربعمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وسبعين واربعمائة فالامام توفى قبل مولد عبد الحق الحافظ صاحب الاحكام بما ترى قال ورأيت فى نسخة ما لفظه ولمثل هذا ذهب ابو الوليد سليمان رحمه الله فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وهذا ايضا لا يصح ان يكون عبد الحق الحافظ الاشبيلى وذلك لان ابا الوليد سليمان بن خالد الباجى توفى سنة اربع وسبعين واربعمائة وعبد الحق ولد سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة اربع عشرة فلا يصح ذلك والله تعالى اعلم وعبد الحق الذى جاوبه ابو المعالى لم اعرفه الى الآن انتهى وقال التلمسانى هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمى مات سنة ست وستين واربعمائة (وكان) اى والحال ان ابا محمد (سأله عن المسألة) التى ميل الاشعرى فيها الى عدم التكفير اكثر (فاعتذر له بان الغلط فيها) اى فى المسألة بالقول بالتكفير وعدمه (يصعب) اى يعسر جدا (لان ادخال كافر فى الملة الاسلامية (او اخراج مسلم عنها عظيم فى الدين) والثانى اصعب من الاول فتأمل ولعله عليه الصلاة والسلام من اجل هذا قال اجرأكم على الفتيا اجرأكم على النار (وقال غيرهما) اى الاشعرى وابى المعالى (من المحققين الذى) مبتدأ اى القول الذى (يجب) ان يقال (هو الاحتراز من التكفير فى اهل التأويل) وان كان تأويلهم خطأ فى فهم التنزيل (فان استباحة دماء) المصلين (الموحدين) الصائمين المزكين القارئين للكتاب التابعين للسنة فى جميع الابواب (خطر) بفتحتين اى ذو خطر ويجوز ان يكون بفتح فكسر (والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك محجمة) بكسر الميم الاولى وهى آلة الحجامة (من مسلم) وفى نسخة من دم مسلم (واحد) وقد قال علماؤنا اذا وجد تسعة وتسعون وجها تشير الى تكفير مسلم ووجه واحد الى ابقائه على اسلامه فينبغى للمفتى والقاضى ان يعملا بذلك الوجه وهو مستفاد من قوله عليه السلام ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطئ فى العفو خير له من ان يخطئ فى العقوبة رواه الترمذى وغيره والحاكم وصححه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك وفى رواية (فاذا قالوها يعنى الشهادة) اى جنسها (عصموا) بفتح الصاد اى حفظوا (منى دماءهم واموالهم الا بحقها) اى بحق الشهادة مما يتعلق بها وفى رواية الا بحق الاسلام (وحسابهم على الله) اى نحن نحكم بالظواهر والله تعالى اعلم بالسرائر وورد ما امرت ان اشق عن قلوب الناس وصح انه قال لاسامة هلا شققت عن قلبه وظاهر هذه الاحاديث على انه تقبل توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة ونحوها والله ولى التوفيق (فالعصمة) للدماء والاموال (مقطوع بها مع الشهادة) بالوحدانية والرسالة (ولا ترتفع) اى العصمة (ويستباح خلافها) اى من دم او مال (الا بقاطع) من الادلة (ولا قاطع من شرع) الا قوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث وهى الردة وقتل مسلم وزنى محصن (ولا قياس عليه) صحيح حتى يمال اليه (والفاظ الاحاديث الواردة فى هذا الباب) اى فى باب مذمة المبتدعة (معرضة) بتشديد الراء المفتوحة وروى عرضة اى قابلة (للتأويل فما جاء منها فى التصريح بكفر القدرية) كقوله عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم كما رواه ابو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فانا منه برىء رواه ابو يعلى فى مسنده (وقوله) بالرفع عطفا على ما اى وقول النبى عليه الصلاة والسلام (لا سهم لهم فى الاسلام) اى لا نصيب للقدرية مطلقا او كاملا فى سهام الاسلام (وتسميته) عليه الصلاة والسلام (الرافضة بالشرك) هذه رواية غير معروفة ولعل المراد بهم غلاتهم القائلون بالهية على ويسمون النصيرية ولا شبهة فى كفرهم اجماعا (واطلاق اللعنة) وفى نسخة واطلاقه اللعنة (عليهم) اى على القدرية والرافضة (وكذلك الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء) فروى الدارقطنى فى العلل عن على كرم الله وجهه لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا وروى الطبرانى عن ابن عمر لعن الله من سب اصحابى وروى الطبرانى ايضا عن ابن عباس من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله (فقد يحتج بها) اى بظاهرها (من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر) وهو القائل بعدم التكفير (بانه) اى الشأن (قد ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث) النبوى (فى غير الكفرة على طريق التغليظ) كقوله عليه الصلاة والسلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد رواه احمد والحاكم عن ابى هريرة وفى رواية من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد وفى رواية ملعون من اتى امرأة فى دبرها (وكفر) اى وبانه كفر اى كفران (دون كفر) اى صريح (واشراك) اى خفى (دون اشراك) اى جلى كقوله عليه الصلاة والسلام من حلف بغير الله فقد اشرك رواه احمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر (وقد ورد مثله) اى فى انه شرك

دون شرك (فى الرياء) كقوله عليه الصلاة والسلام الشرك الخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل رواه الحاكم عن
ابى سعيد وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اى بان يرائيه او يطلب
منه اجرا وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وفى نسخة الزنى بالزاى والنون
لحديث لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن ولا يبعد ان يكون الربا بالراء والموحدة لقوله عليه السلام لعن الله الربا وآكله
وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه (وعقوق الوالدين) لحديث من ادرك
ابواه او احدهما فلم يدخلاه الجنة لم يرح رائحة الجنة (والزور) اى شهادة الزور وهى المعادلة للشرك فى قوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وروى بدله والزوج كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المسوفات التى
يدعوها زوجها الى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه رواه الطبرانى عن ابن عمر (وغير معصية) اى وفى غير معصية
اى متفق عليها كقوله عليه الصلاة والسلام ملعون من لعب بالشطرنج رواه ابن حزم وغيره وكقوله عليه الصلاة
والسلام لعن الله المحلل والمحلل له رواه احمد والاربعة عن على كرم الله وجهه (واذا كان) الحديث الوارد فى الآحاد
(محتملا للامرين) من كفر وغيره (فلا يقطع) اى الحكم بالجزم (على احدهما الا بدليل قاطع) واغرب الدلجى
بقوله او غير قاطع وكانه قاس على مسائل الفروع حيث لا فرق عند امامهم بين القطعى والظنى فى احكامها وغفل عن
انه لا بد فى مسائل الاصول من الادلة القطعية (وقوله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه مسلم عن ابى ذر
وروى لانه قال (فى الخوارج هم من شر البرية) بالهمز والتشديد اى الخليقة (وهذه صفة الكفار) كما فى سورة
البينة (وقال عليه الصلاة السلام) كما رواه البيهقى فى حقهم (هم شر قتيل) فعيل يستوى فيه الواحد والجمع وفى رواية
شر قتلى جمع قتيل وروى شر قبيل بالموحدة اى جمع قبيلة (تحت اديم السماء) اى ما ظهر منها (طوبى) فعلى من الطيب
واصلها طيبى وقد يقال به قلبت ياؤه واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وهى الحالة الطيبة او الجنة او شجرة عظيمة فيها
(لمن قتلهم) وقد قتلهم على كرم الله وجهه يوم النهروان (اولمن قتلوه) لفوزه بالسعادة المترتبة على الشهادة
(وقال) فيما رواه الشيخان عن ابى سعيد الخدرى (فاذا وجدتموهم) اى مجتمعين (فاقتلوهم قتل عاد) اى كقتل عاد
فى الشدة او المعنى اهلكوهم اهلاكا مستأصلا والا فهم اهلكوا بريح صرصر عاتية (وروى ثمود) وهو ابن عم عاد
(وظاهر هذا) القول (الكفر) اى كفرهم بناء على صدر الحديث (لا سيما مع التشبيه) اى لهم وفى نسخة مع
تشبيههم (بعاد) قوم هود (فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر) ممن لا يرى تكفيرهم (انما ذلك) التغليظ (من
قتلهم) اى جهة قتلهم لا من جهة كفرهم (لخروجهم على المسلمين وبغيهم) اى ظلمهم وتعديهم (عليهم) اى على
المؤمنين (بدليله) اى دليل خروجهم وبغيهم عليهم المستفاد (من الحديث نفسه) وروى بدليل من الحديث وهو قوله
عليه الصلاة والسلام (يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد) اى قصاص للعباد او دفع للفساد (لا كفر) على
وجه العناد (وذكر عاد) وروى وقتل عاد (تشبيه للقتل) فى الشدة والاستئصال (وحله) اى وكونه الحلال (لا)
تشبيه (للمقتول) من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر مع انه لا يلزم من التشبيه تسوية المشبه والمشبه به
من جميع الوجوه (وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره) كما يعرف فى باب القصاص والرجم (ويعارض) الاخر (بقول
خالد) بن الوليد سيف الله (فى الحديث) كما رواه الشيخان عن ابى سعيد (دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم او الرفع
(عنقه) اى ذى الخويصرة (يارسول الله قال لعله يصلى) يعنى وهو مؤمن وقد روى الطبرانى عن انس مرفوعا نهيت
عن المصلين اى عن قتلهم هذا وفى صحيح البخارى ايضا انه سأل قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا منع من الجمع
(فان احتجوا) اى من يرى تكفيرهم (بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة
وهى الحلقوم (فاخبر) اى بهذا (ان الايمان) المستفاد من القرآن (لا يدخل فى قلوبهم) والاظهر ان المعنى لا تقبل
قراءتهم ولا تصعد الى السماء تلاوتهم واما نفى الايمان فلا يستفاد من حالتهم (وكذلك قوله) اى فى حقهم (يمرقون)
بضم الراء اى يخرجون بسرعة (من الدين مروق السهم) اى نفوذه (من الرمية) فعيلة بمعنى مفعولة اى مرمية مما يرمى
فيمرق منه السهم من صيد او غيره (ثم لا يعودون اليه) اى الى الدين (حتى يعود السهم الى فوقه) بضم الفاء وهو موضع
الوتر من السهم وهذا تعليق بالمحال كقوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فما فى بعض النسخ حتى
لا يعود خطأ فاحش (وبقوله) وفى نسخة وقوله اى فى الصحيحين عن ابى سعيد وروى وكذلك قوله (سبق) اى السهم
بمروقه سريعا (الفرث) وهو ما فى الكرش (والدم) والمعنى مر سريعا فى الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشئ من فرثها
ودمها لسرعته شبه به خروجهم من الدين بسرعة (يدل على انه) اى الخارجى (لم يتعلق من الاسلام بشئ) من سهام
الاحكام (اجابه الآخرون) الذين لا يكفرونهم (ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون) وروى لا يفقهون

(معانيه

(معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم) اى لا يمتثلون اوامره ولا يجتنبون زواجره
(وعارضوهم) الاولون (بقوله) عليه السلام (ويتمارى) بصيغة المجهول اى يشكك او يجادل (فى الفوق) اى
فى السهم هل فيه اثر علق به شئ من الفرث والدم ام لا وفى نسخة بصيغة الفاعل للخطاب وفى اخرى بالغيبة اى يجادل
ظنه ونفسه فيما يشك فيه (وهذا يقتضى التشكك) ويروى الشك اى التردد فى حاله أيحكم بكفره ام لا (وان احتجوا) اى
من يرى تكفيرهم (بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج
فى هذه الامة) قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم (ولم يقل من هذه) اى الامة كما فى نسخة (وتحرير ابى سعيد
الرواية) اى وتحريره (واتقانه اللفظ) الدال على تحقيقه فى الدراية اذ قال فى دون من وهذا مؤذن بانهم كفرة ليسوا
من امة الاجابة وهذا فى غاية من البعد كيف وهم يقرؤن القرآن ويصلون ويصومون ويبالغون فى الزجر عن المعاصى
حيث يكفرون مرتكب الكبيرة واما تعبيره بفى دون من فقد (اجابهم الآخرون) ممن لا يرى تكفيرهم (بان العبارة
بفى لا تقتضى تصريحا بكونهم) وروى صريحا كونهم (من غير الامة) اى امة الاجابة بل هم من امة الدعوة (بخلاف
لفظة من التى هى للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر) اى الغفارى (وعلى) اى ابن ابى طالب
(وابى امامة) سهل بن حنيف كذا قاله الدلجى وقال الحلبى تقدم انه صدى بن عجلان الباهلى (وغيرهم فى هذا
الحديث) اى حديث الخوارج (يخرج من امتى وسيكون من امتى) ونحوهما مما هو ظاهر فى كونهم منهم
(وحروف المعانى مشتركة) فى معانيها ينوب بعضها عن بعض فى مبانيها فاذا كانت مشتركة (فلا تعويل) اى لا اعتماد
(على اخراجهم من الامة بفى ولا على ادخالهم فيها بمن) اى بمجردهما لاحتمال كل منهما انها وقعت فى موضع اختها فقوله
تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة اى فيه ويقال هذا ذراع فى ارض كذا اى منها (لكن ابا سعيد رضى الله عنه
اجاد ما شاء) اى فيما افاد (فى التنبيه الذى نبه عليه) اى على اخراجهم من الامة بظاهر فى دون من لانهم ليسوا منهم
(وهذا) التعبير بفى دون من من ابى سعيد (مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعانى) بايراد الفاظها الدالة عليها
بدون احتمال الى غيرها (واستنباطها) اى اخراجها من القوة الى الفعل (من الالفاظ) الموضوعة لها الدالة عليها
(وتحريرهم لها وتوقيهم فى الرواية) وفيه ان هذا يوهم ان الصحابى له التصرف فى الفاظ النبوة من الرواية فيعبر بها
كما يظهر له من الدراية وقد اختلف ارباب الاصول فى نقل الحديث بالمعنى والتصرف فى المبنى والمحتاطون منعوه
بالكلية والمحققون جوزوه عند الضرورة بالنسيان فى اصل الرواية على ان ابا سعيد وقع شاذا فى هذه الرواية بالنسبة
الى بقية الصحابة الذين هم اقوى منه فى باب الدراية لا سيما عليا كرم الله وجهه المبتلى بمقاتلتهم ومحاربتهم ومباغضتهم
(هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق) المختلفة كالمعتزلة والشيعة (فيها) وفى نسخة عليها
(مقالات كثيرة مضطربة) اى مختلفة مختلفة (سخيفة) اى خفيفة ضعيفة (اقربها قول جهم) اى ابن صفوان من
المعتزلة (ومحمد بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى وهو منهم ايضا على ما ذكره الدلجى قال التلمسانى وهو
الخارجى من المرجئة ممن جمع بين الارجاء فى الايمان وبين القول فى القدر (ان الكفر بالله هو الجهل به لا يكفر احد
بغير ذلك) اى بغير الجهل به وجود اذكره الدلجى وفيه انه يلزم منه ان لا يوجد فى الكون كافر الا الدهرية فقد قال تعالى
فى حق عبدة الاصنام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وما جاء الانبياء الا للتوحيد لا لمجرد اثبات
وجوده تعالى ولهذا امر الخلق بان يقولوا لا اله الا الله لا بمجرد ان الله موجود ومع هذا من اتى بالتوحيد ولم يقر
بالانبياء او اقر ببعض الانبياء ولم يقر بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته كاهل الكتاب فلا شك انه كافر بالاجماع
فكيف قائله يكون من المبتدعة وان هذا اقرب اقوالهم (وقال ابو الهذيل) بالتصغير وهو العلاف البصرى شيخ المعتزلة
توفى سنة ست وعشرين ومائتين وقد نيف على المائة (ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه) كبعض المجسمة
(وتجويرا) اى ظلما له (فى فعله) على خلقه (وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيأ قديما) كالارواح وعنصر
الاشياء وقدم العالم كقول الحكماء (لا يقال له الله) ولعله احترز به عن صفات الذات فانه يطلق عليه انه الله قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى (فهو كافر) فاندفع قول الدلجى بان هذا مؤذن بكفر من
قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة (وقال) وروى وقول (بعض
المتكلمين ان كان) المتأول (ممن عرف الاصل) اى من الكتاب والسنة (وبنى عليه) قوله (وكان) اى تأويله (فيما هو
من اوصاف الله فهو كافر) لان الجهل بذاته وصفاته كفر ولا عذر له فى تأويله (وان لم يكن) تأويله (من هذا الباب)
اى باب ما يؤدى الى كفره (ففاسق) فى فعله وقوله بتأويله ومبتدع فى اعتقاده (الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل)
وبنى تأويله على غير اساس منه فيما لم يعرفه من صفاته سبحانه وتعالى (فهو مخطئ) فى تأويله لعدم اصابته الحق يحكم عليه

بالاثم والفسق (غير كافر) لقيام عذره بجهله (وذهب عبيد الله بن الحسن) اى ابن الحصين بن مالك بن الخشخاش (العنبرى) منسوب لبنى العنبر ومالك والخشخاش صحابيان وكان قاضى البصرة بعد سوار بن عبد الله روى عن عبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن عبد الله الانصارى قال ابن سعد كان محمودا ثقة عاقلا وقال النسائى فقيه ثقة اخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين ومائة ومن غرآئبه ما نقلوه عنه انه يجوز التقليد فى العقائد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء كافة ذكره الحلبى وتبعه الانطاكى وسكت عنه التلمسانى وفيه ان ايمان المقلد مقبول عند جمهور العلماء وقال الدلجى انه من المعتزلة وقد ذهب (الى تصويب اقوال المجتهدين) اجمعين (فى اصول الدين) ولو كانوا من المبتدعين (فيما كان عرضة للتاويل) اى قابلا له مما لم يرد فيه نص صريح كتأويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه الكلام فى جسم متمسكين بشجرة موسى عليه السلام (وفارق) العنبرى (فى ذلك) القول (فرق الامة) اى طوآئفها من الناجية وغيرها (اذ اجمعوا سواه على ان الحق فى اصول الدين واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف فى تكفيره) على ما سبق بعض تحريره واما فروع الدين فالمخطئ فيها معذور بل مأجور باجر واحد والمصيب له اجران كما فى حديث ورد بذلك (وقد حكى القاضى ابو بكر الباقلانى) ابن الطيب المالكى (مثل قول عبيد الله) اى العنبرى (عن داود) اى ابن خلف (الاصبهانى) وفى نسخة الاصفهانى وهو امام اهل الظاهر وكان زاهدا ورعا متقللا ناسكا اخذ العلم عن اسحق بن راهويه وابى ثور انتهت اليه رياسة العلم ببغداد قيل كان يحضر مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان اخضر سمع من سليمان بن حرب والقعنبى ومسدد وطبقتهم وفى كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة وقد اختلف العلماء فى نفاة القياس مثل داود وشبهه هل يعتبر قوله فى الاجماع ام لا فعن طائفة من الشافعية انه لا اعتبار لخلاف نفاة القياس فى الفروع ويعتبر خلافهم فى الاصول وقال امام الحرمين والذى ذهب اليه اهل التحقيق ان منكرى القياس لا يعدون من علماء الامة وحملة الشريعة وقال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح والذى اختاره الاستاذ ابو منصور البغدادى من الشافعية ان الصحيح من المذهب انه يعتبر خلاف داود قال الشيخ وهو الذى استقر عليه الامر آخرا فان الائمة المتأخرين اوردوا مذهب داود فى مصنفاتهم قال والذى اجيب به ان داود يعتبر قوله ويعتد فى الاجماع الا فيما خالف فيه القياس الجلى وما اجمع عليه القياسيون وبناه على اصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من سواه على خلافه اجماع منعقد وقول المخالف حينئذ خارج من الاجماع وذكر الذهبى فى الميزان ان داود اراد الدخول على الامام احمد فمنعه وقال كتب الى محمد بن يحيى فى امره انه زعم ان القرآن محدث فلا يقربنى فقيل يا ابا عبد الله انه ينتفى من هذا وينكره فقال محمد بن يحيى اصدق منه (وقال) اى الباقلانى (وحكى قوم عنهما) اى عن داود والعنبرى (انهما قالا ذلك) اى تصويب المجتهدين فى اصول الدين (فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع) اى بذل طاقته واجتهاده (فى طلب الحق) وان اخطأ (من اهل ملتنا او من غيرهم) هذا باطل قطعا لان غير اهل ملتنا كل منهم يدعى من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق وكماله لا سيما اهل الكتاب وقد اخبر الله انهم وغيرهم اجمعون كل حزب بما لديهم فرحون (وقال نحو هذا القول) المنسوب اليهما (الجاحظ وثمامة) بضم المثلثة وكلاهما من المعتزلة قال الحلبى اما الجاحظ فهو الكنانى الليثى البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة فى كل فن قال المسعودى ولا اعلم احدا من الرواة واهل العلم اكثر كتبا منه وله مقالة فى اصول الدين واليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ ابى اسحق ابراهيم بن يسار البلخى المتكلم المشهور ومن احسن تصانيفه كتاب حياة الحيوان الكبير فقد جمع فيه كل غريبة وكتاب البيان والتبيين وهو كبير جدا وكتاب فى اللصوصية يعلم فيه الشخص كيف يسرق وينقب ويتسلق ويدخل البيوت فى مجلد وكتاب فى مدح البخل بحيث الناظر فيه يجلس اليوم واليومين لا يأكل شيأ ويبقى اياما لا تطيب نفسه باخراج شئ وكان الجاحظ مع فضله مشوه الخلق قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء واصابه فى آخر عمره فالج فكان يطلى شقه الايمن بالصندل والكافور من شدة الحرارة وشقه الآخر لو قرض بالمقاريض لما احس به واصابه الحصى وعسر البول توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين واما ثمامة فهو ابن اشرس النميرى قال الذهبى فى الميزان من كبار المعتزلة ومن رؤس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون وكان ذا نوادر وملح قال ابن حزم كان ثمامة يقول ان العالم فعل الله بطباعه لان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام لا يدخلون النار بل يصيرون ترابا وان من مات مصرا على كبيرة خلد فى النار وان اطفال المؤمنين يصيرون ترابا انتهى ولا يخفى انه بقوله صاحب الكبيرة مخلد فى النار مبتدع موافق للخوارج والمعتزلة وبقوله المقلد للكفار لا يدخل النار داخل فى جملة الكفرة (فى ان كثيرا من العامة) اى الجهلة (والنساء والبله) بضم الباء جمع ابله اى المغفلون عن الشر المطبوعون على الخير وكأنه اراد بهم من لم يكن لهم عقل الآخرة بخلاف حديث اكثر اهل الجنة البله فان المراد بهم من ليس لهم عقل الدنيا ولهم اقبال كلى

على العقبى (ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ) وفى نسخة اذا (لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال) وهذا كلام باطل لاقتدارهم فى الجملة على معرفة اوآئل الادلة ولقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ففيه ايماء الى ان المدار على المشيئة الالهية لا بالادلة العقلية ولا النقلية (وقد نحا) اى مال (الغزالى) بتشديد الزاى وتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس او الى بنت كعب الاحبار فانها جدته وقيل كان والده غزالا يغزل الصوف ويبيعه (قريبا) وروى الى قريب (من هذا المنحى) اى المسلك (فى كتاب التفرقة) وهو صاحب المؤلفات الفائقة وهو الامام حجة الاسلام ولد بطوس بلد بخراسان لا بالعراق كما قاله التلمسانى سنة خمسين واربعمائة وتفقه ببلده على احمد بن محمد الرادكانى ثم سافر الى جرجان الى ابى نصر الاسماعيلى فكتب عنه التعليقة ثم خرج الى طوس ثم ارتحل الى امام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولزمه وصار اماما فى مذهب الشافعى فلما انقضت ايام الامام خرج من نيسابور فجال فى اقطار خراسان مدة وقدم بغداد سنة اربع وثمانين فولى تدريس النظامية بها ثم حج واستناب اخاه فى التدريس ورجع الى دمشق واستوطنها عشر سنين بجامعها بالمنارة الغربية منه واجتمع بالشيخ نصر المقدسى فى زاويته التى تعرف اليوم بالغزالية واخذ فى العبادة والتصنيف ويقال انه صنف الاحياء وعدة من الكتب هنالك ثم انتقل الى القدس ثم سار الى مصر والاسكندرية ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجالس الوعظ وترجمته كبيرة ومرتبته شهيرة توفى سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة بطوس لا ببغداد كما ذكره الحلبى وغيره وعن الشيخ تقى الدين ابن تيمية انه ذكر فى شرح العقيدة الاصفهانية كان ابو حامد مزجى البضاعة فى الحديث ولهذا يوجد فى كتبه من الاحاديث الموضوعة ما لا يعتمد عليه من له علم بالآثار ويوجد فيها من مقالات المتفلسفة ما نقده عليه علماء الاسلام حتى قال صاحبه ابو بكر ابن العربى مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر انتهى وقال ابو بكر ابن العربى لقيت ابا حامد وهو يطوف وعليه مرقعة فقلت يا شيخ العلم والتدريس اولى لك من هذا اذ بك يقتدى وبحكمك الى معالم المعارف يهتدى فقال هيهات لما طلع قمر السعادة فى فلك الارادة اشرقت شموس الافول على مصابيح الاصول فتبين الخالق لارباب الالباب وذوى البصائر اذ كل لما طبع عليه راجع وصائر وانشد

تركت هوى ليلى وانى بمعزل ✱ وصرت الى مصحوب اول منزل
ونادتنى الاكوان حتى اجبتها ✱ الا ايها السارى رويدك فانزل
فعرست فى دار الندا بعزيمة ✱ قلوب ذوى التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد ✱ لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وهى ابيات رومية (وقائل هذا كله) كالجاحظ وثمامة (كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود) يعنى المقلدين منهم وكذا المجوس على ما يلوح كلام بعضهم

وان نار بالتنزيل محراب مسجد ✱ فما بار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت ✱ كما جاء فى الاخبار عن الف حجة
فما عبد واغيرى وما كان قصدهم ✱ سواى وان لم يظهروا عقد نية

ثم لا شك ان الكل يزعمون انهم يعبدون الله ويطلبون رضاه كما اخبر الله عن بعضهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لكنهم اضلهم الله وابعدهم عن طريق الحق الموصل الى الله وكل حزب بما لديهم فرحون ✱ واكثرهم فى طغيانهم يعمهون ✱ صم بكم عمى فهم لا يرجعون (وكل) اى وبالاجماع على كفر كل (من فارق دين المسلمين) بردة قولا وفعلا (اووقف) اى توقف فى تكفيرهم او فى الدين (اوشك) اى تردد فيه (قال القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (لان التوقيف) اى بالسماع من الله ورسوله (والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف فى ذلك فقد كذب النص) اى نص الكتاب (والتوقيف) به من السنة على الصواب (اوشك فيه والتكذيب والشك فيه) اى فى كفرهم (لا يقع) كل منهما (الا من كافر) ومن هنا قال العلامة ابن المقرى فى متن الارشاد من شك ان طائفة ابن عربى شر من اليهود والنصارى فقد كفر

✱(فصـــل)✱

(فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر) وهذا فصل مهم يتعين معرفته على كل من له فضل ليكون اعتقاده على اساس اصل يوصله الى كمال وصل (اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس) اى ازالة الخلط والشبهة (فيه مورده الشرع) اى النقل من الكتاب والسنة (ولا مجال) اى لا مدخل (للعقل) والطبع (فيه) من الادلة الكاسدة والاقيسة الفاسدة (والفصل البين) اى الفرق الواضح (فى هذا) الفصل (ان كل مقالة صرحت

بنفى الربوبية) كالمعطلة (اوالوحدانية) كالوثنية (اوعبادة احد غيرالله) كالاتحادية (اومع الله) كالحلولية (فهى كفر) اى مقالة كفر (كمقالة الدهرية) بنفى الالوهية كما اشار اليه قوله تعالى وقالوا ماهى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر وهو الزمان الطويل ولم يعلموا ان المتصرف فى الامر هو الله لا الدهر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى رواية فان الله هو الدهر ردّا لاعتقادهم نسبة الخير والشر الى الدهر (وسائر فرق اصحاب الاثنين) اى القائلين بان خالق الخير غير خالق الشر وقد قال تعالى لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وقد بينهم المصنف بقوله (من الديصانية) بكسر الدال المهملة وتفتح وهم يقولون النور حى والظلمة ميت (والمانوية) بفتح الميم وسكون الهمز ويبدل وفتح النون وفى اصل الحجازى المنانية بفتح الميم وتشديد النون وفى نسخة المانية منسوب الى مانى زنديق مشهور ظهر فى زمان سابور بن ازدشير وادعى النبوة وقال ان للعالم اصلين قديمين نور هو مبدأ الخير وظلمة هو مبدأ الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشا جلده تبنا وقتل اصحابه الامن هرب الى الصين ودعا الى دينه واهل الصين الى زماننا هذا على مذهبه كذا ذكره بعضهم فاجيب وقد كذبهم المتنبى فى شعره فقال

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبران المانوية تكذب

قال والمانية مذهبان منهم من يقول ان النور والخير والروح خلقه اله والشر والظلمة والجسد خلقه اله وهم ثنوية ومنهم من يقول الخير كله فى النور والشر كله فى الظلمة والفرق بينهم وبين الديصانية انهم يقولون النور والظلمة حيان وفى اصل التلمسانى المنانية بفتح الميم والنون المشددة والظاهر انه تصحيف (واشباههم) اى ممن عبد غيرالله تعالى (من الصابئين) بالهمز ودونه من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة لاعتقادهم تأثيرها فى عالم العناصر مدبرة لامور قديمة شفعاء للعباد عند الله مقربة لهم اليه زلفى ويزعمون انهم على دين نوح عليه السلام (والنصارى) وهم طوائف ثلاث مشهورة يقولون تدرع الناسوت باللاهوت بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية وبطريق الاشراق كالشمس فى كوة بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب لحماً ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية (والمجوس) القائلين بخالقين يزدان وهو مبدأ الخير واهرمن وهو الشيطان مبدأ الشر وهم يعبدون النار لحبتهم فى النور وفى الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمشابهتهم فى قولهم باصلين نور وظلمة فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى الانسان او الشيطان (والذين اشركوا بعبادة الاوثان) اى الاصنام (والملائكة او الشياطين) اى الجن فان ابليس لم يعبد قط واما قوله تعالى لاتعبدوا الشيطان فمعناه لاتطيعوه فيما يأمركم بالعصيان (او الشمس) وكذا القمر (او النجوم) اى جنسها او نجم خاص منها كالشعرى (او النار) فيه نوع من التكرار (او احد غير الله من مشركى العرب واهل الهند) وهم الهنود (والصين) مملكة بالمشرق فيها الترك من الكفرة (والسودان) بضم اوله جمع اسود وهم كثيرون قيل معمور الارض مسافة مائة سنة منها يأجوج ومأجوج ثمانون سنة ومنها السودان ست عشرة سنة وقيل ثمانى عشرة ومنها الاولاد سام مابقى (وغيرهم ممن لايرجع الى كتاب) او يرجع اليه لكن لا على طريق صواب (وكذلك القرامطة) وهم الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق واصل دعوتهم الى بطلان الشرائع لان طائفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبة اهله الكرام راموا تأويلها على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم يستدرجون بها ضعفاء المسلمين واهل غفلتهم استدراجا يورثهم اختلافا واضطرابا فى شريعتهم ورأسهم حمدان من قرمط قرية من قرى واسط فلقبوا بالقرامطة ورتبوا فى الدعوة الى ذلك مهملات باطلة ابتدعوها وخرافات عاطلة اخترعوها منها اباحة المحرمات والترغيب فى اللذات كقولهم الوضوء موالاة الامام الذى هو الحجة والتيمم الاخذ عما دونه فى غيبته والصلاة الوصول والزكاة تزكية النفس بمعرفة ماهو عليه من الدين والاحتلام افشاء شئ من اسرارهم الى من ليس من اهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والجنة راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف وامثال ذلك مما يقتضى تكفيرهم هنالك ولهم القاب سبعة (واصحاب الحلول) من النصارى والباطنية والوجودية والنصيرية يزعمون ان الله حل فى على واولاده (والتناسخ) القائلين بانتقال الارواح من ابدانها الى ابدان اخر فى الدنيا (من الباطنية) وهم الاسماعيلية وهذا من القابهم السبعة ولقبوا به لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره المفهوم منه لغة ويدعون انه هو المراد منه وان نسبته اليه كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مؤدى الى تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهذا مذهب المنصورية ايضا فان

قيل المبتدعة وهذه الطائفة المخترعة يتمسكون بالقرآن وكذلك اهل السنة والجماعة فالجواب انه تعالى قال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما اشار اليه قوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا وبهذا يعلم ان الفرقة الناجية هم الذين على ماعليه النبى واصحابه الكرام وان معالم القرآن لاتنكشف حقيقة الابيان النبى عليه الصلاة والسلام مافيه من الاحكام النازلة على طريق الابهام كما يدل عليه قوله عزوجل لتبين للناس مانزل اليهم فاضل قلم من ضل ولازل قلم من زل الا من ترك علم الحديث من صريح النقل وتبع اهواءه وآراءه الناشئة من اثر الجهل والخيالات الفاسدة والتصورات الكاسدة الكائنة من مجرد العقل فالجمع بين النقل والعقل نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ثم هنا دقيقة يترتب عليها حقيقة وهى ان الواجب على السالك ان يجعل العقل تابعا للنقل لا بالعكس لئلا يقع فى المهالك هذا ومن التناسخية طائفة الخطابية وهم اتباع ابى الخطاب محمد ابن ابى وهب كان يزعم ان عليا الاله الاكبر وجعفر بن محمد الصادق الاله الاصغر يقولون بالتناسخ يزعمون ان الله حل فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم فى زين العابدين ثم فى الباقر ثم فى الصادق حكى ذلك عنهم فخر الدين الرازى فى مختصره فى الملل والنحل قلت وانجس منهم واخس من النصارى ايضا طائفة ابن عربى حيث يقولون فى قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم انما كفروا لحصرهم الالوهية فى ابن مريم بناء على اصلهم الفاسد ان الله تعالى عين الاشياء وضررهم على المسلمين اكثر من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فان كثيرا من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ويطالعون كتبهم ويتبعون مرامهم ويسمون رئيسهم بالشيخ الاكبر الذى يدعى انه خاتم الاولياء وانه يستفيض منه خاتم الانبياء وشبه نفسه بلبنة ذهب وشبه سيد البشر بلبنة فضة ونحو ذلك كما بينته فى رسالة مستقلة قال التلمسانى ومن الباطنية طائفة ينسبون الى التصوف يتظاهرون بالاسلام وان لم يكونوا مسلمين فى الاحكام والفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفى اكبر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار فانهم يصرفون الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لايسبق منها الى الافهام شئ كقول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى الق عصاك اى كل مايعتمد عليه مما سوى الله وفى قوله عليه الصلاة والسلام تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار انتهى والحق انهم ان ارادوا بذلك ابطال ظواهر الكتاب والسنة فهم كفرة وان ارادوا بذلك ان للكتاب والسنة عبارات واضحات واشارات لائحات فهذا نور على نور وسرور على سرور ويشير اليه قول مالك من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وانا بحمد الله وحسن توفيقه وبركة متابعة سيد الانبياء جمعت تفسيرا جامعا بين عبارات الاصفياء واشارات الاوفياء (والطيارة من الروافض) ويسمون الجناحية وهم اصحاب عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح الله كانت فى آدم ثم فى شيث ثم فى الانبياء والائمة حتى انتهت الى على واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية المذكور وهو فى جبل باصبهان وسيخرج وانكروا القيامة واحلوا المحرمات (وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث) اى موجود بعد عدم (او مصور) بصورة كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام بن سالم فانهم اتفقوا على انه سبحانه وتعالى جسد وهو كسبيكة بيضاء صافية يتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم ماتحت الثرى بشعاع ينفصل منه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركته لا عينه ولا غيره والائمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه بخلافهم لا يوحى اليهم فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد ورجل وحواس خمس وانف واذن وعين وفم ووفرة سوداء نصفه الاعلى مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولادم انتهى وابطاله كله قوله تعالى ليس كمثله شئ ولعل الحكمة فى عدم تجويز رؤيته تعالى فى الدنيا ان لايدعى كل مبطل انى رأيته على هذه الصورة سبحانه وتعالى (او ادعى له ولدا) اى ابنا كاليهود والنصارى او بنات كبعض العرب (او صاحبة) اى زوجة كالنصارى (او والدا) اى بان يكون له اصل او عنصر او منبع او معدن او مصدر بحسب ذاته وجميل صفاته (او انه متولد من شئ) هو كالتفسير لما قبله وكذا قوله (او كائن) اى حادث (عنه) اى عن شئ قديم او حادث والحاصل انه ليس بحادث ولا محل للحوادث كما اشار الى ذلك كله قوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (او ان معه فى الازل شيأ قديما) اى فضلا عن حادث اذ لايتصور (غيره) اى غير ذاته وصفاته واما ماذكره بعض شراح الفصوص من قدم الارواح مطلقا او قدم الارواح الكمل فباطل قطعا وكفر اجماعا (او ان ثم صانعا للعالم سواه)

اى سوى الله كالدهر يه واما قول الدلجى كمشركى العرب فلبس فى محله لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى (اومدبرا غيره) كما يقول المنجمون من ان النجوم مدبرات والله سبحانه وتعالى يقول انها مسخرات (فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة) القائلين بالوجود المطلق وكذا اتباعهم الوجودية الملحدة طائفة ابن عربى وقال التلمسانى هم قوم من حكماء الهند يدعون قدم الطينة ويزعمون ان العالم قديم وينكرون حشر الاجساد (والمنجمين) الباحثين عن النجوم واحوالها قيل للاسكندر الرومى كما عند منجم فى بستانه فارانا النجوم نهارا واحدا واحدا ابرهانه فوقع فى بئر فيه وهو لايدرى فقال من تعاطى علم مافوقه جهل علم ما تحته وقال التلمسانى من نسب التدبير الى النجوم واعتقد انها فعالة فهو كافر لانه جعل مع الله شركاء ولقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى اصبح من عبادى مؤمن وكافر الحديث فقائله تجرى عليه احكام المرتد وان كان يقول عادة الله بان يخلق عندها فقيل كافر وقيل فاسق والاول اولى سدا للذريعة وقال بعضهم الافلاكية يقولون بالهيئة الكواكب وما يقوله المنجم من كسوف وغيره هو بالحساب ولكن فيه فتنة ضعفاء العقول فيؤدب على ذلك واما من يحكم بالكواكب فى مولد او وفاة او غلاء او رخص او دولة او زوالها فهو من اصول الكفر وروى ان النجوم انما خلقها الله زينة للسماء الدنيا ورجوما للشياطين وهداية فى البر والبحر (والطبائعيين) القائلين بتأثير الطبيعة فى الايجاد والتدبير فى امر البدن على ما عليه الاطباء التابعين للحكماء المعتقدين الهية الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقيل هم الذين يقولون ان النار بطبعها محرقة وان الماء بطبعه مغرق وان الطعام والشراب بنفسهما مشبع ومزيل للعطش وقد ابطلها الله سبحانه وتعالى بقوله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وبتنجية موسى وقومه واغراق فرعون وجنده وبعلة جوع البقر ومرض الاستسقاء ونحن نقول يقع ذلك الاحراق والاغراق ونحوهما عند وجود اسبابها بخلق الله عز وجل فيها لا بمجرد وجودها لاحتمال انقلابها (وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته) وكذا من ادعى رؤيته سبحانه وتعالى فى الدنيا بعينه كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (او حلوله فى بعض الاشخاص) كعلى ونحوه مما سبق بيانه او فى جميع الاشخاص والاشياء (كقول بعض المتصوفة) اى المتشبهة بالصوفية من الحلولية والوجودية والاتحادية كابن سبعين والعفيف التلمسانى والشمس التبريزى زعموا ان السالك اذا امعن فى سلوكه وخاض فى لجة وصوله واستغرق فى بحر حضوره فربما حل فيه سبحانه وتعالى كالنار فى الفحم فيرتفع الامر والنهى ويظهر من العجائب والغرائب ما لا يتصور من البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر انه كان يقول لاصحابه طوفوا ببيت الرب يعنى قلبه فيدورون حوله (والباطنية والنصارى والقرامطة) وقد سبق الكلام عليهم (وكذلك نقطع) اى القول (على كفر من قال بقدم العالم) اى جميعه او بعضه (او بقائه) اى بذاته سواء بقى او فنى كما يشير اليه قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى قابل للهلاك والفناء الا الله سبحانه وتعالى فانه بذاته دائم البقاء (او شك فى ذلك) اى فى كونه قديما (على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية) القائلين باستناد الحوادث الى الدهر (او قال بتناسخ الارواح) وانتقالها من الاشباح (ابد الاباد) جمع بينهما للتأكيد اى دائما فى الدنيا (فى الاشخاص) من بدن الى بدن آخر (وتعذيبها او تنعيمها فيها) اى فى الاشخاص (بحسب زكائها) بالهمزة اى طيب عنصرها (وخبثها) بضم اوله اى خبث اصلها (وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما) كان يقول ما نبأ الله احدا من خلقه (او جحد نبوة نبينا خصوصا) وكذا اذا اقر بنبوته ونفى رسالته عموما (او احد) اى جحد نبوة احد (من الانبياء الذين نص الله عليهم) بانه نبى (بعد علمه بذلك) اى بانه نبى (فهو كافر بلا ريب) اى من غير شك وشبهة (كالبراهمة) وهم قوم بارض الهند لا يجيزون على الله بعثة الرسل (ومعظم اليهود) ينكرون نبوة عيسى مطلقا وعموم رسالة نبينا عليهما الصلاة والسلام (والاروسية) بضمتين او بفتح اوله وفى آخره ياء نسبة ويقال ارسية (من النصارى) قيل هم فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبد الله بن ادريس كان فى الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم (والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان) اى هو (المبعوث اليه جبريل) وسموا بذلك لقولهم على اشبه بمحمد من الغراب بالغراب فغلط جبريل حين بعث الى على لشبه النبى به وهذا كذب وبهتان لان عليا ما كان شبيها بالنبى عليه الصلاة والسلام كما يعلم من شمائلهما الكرام وقد سبق فى اول الكتاب بيان شمائله عليه الصلاة والسلام واما شمائل على كرم الله وجهه فانه كان آدم شديد الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر من الطول ذابطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع ابيض الرأس واللحية كذا فى اسماء رجال المشكاة لمصنفه بل اقول ولم يوجد احد شبيه به من جميع الوجوه نعم كان الحسن يشبهه بالنصف الاعلى والحسين بالنصف الاسفل لكن لا شباهة تورث الشبهة انما هى شباهة فى الجملة وقد قال الصديق الاكبر حين حمل

احدهما الحسن شبيه بالنبى دون ابيك ولا يخفى وجوه كفرهم من انكار النبوة لمحمد واثباتها لعلى وتخطئة جبريل وتجهيل الرب الجليل ونقل انهم يلعنون صاحب الريش ويعنون جبريل عليه السلام (وكالمعطلة) اى للوجود بنفى صانعه كالدهرية او النافية لحقيقة الاشياء القائلة بان الاشياء كلها خيالات وتمويهات كالمنامات وهم السوفسطائية (والقرامطة) وهم الملاحدة الذين قتلوا اهل مكة حتى دفنوا ببئر زمزم موتاهم وصعد واحد منهم فوق باب الكعبة وقال الم تقولوا ان الله قال ومن دخله كان آمنا فاى امن لكم مع هذا القتل فيكم فاجابه قائل بان معناه ومن دخله امنوه ولا تتعرضوا له وحاصله انه ليس بخبر حتى يلزم الخلف فى قوله وانما هو حكم ولا يلزم من تخلف الحكم نقصان فى الحاكم وهم الذين اخذوا الحجر الاسود معهم قيل ومات تحته سبعون جملا وقد اعطاهم امراء المسلمين مالا كثيرا لتخليص الحجر الاسود فارضوا حتى وقع فيهم الوباء والغلاء وانواع البلاء فارسلوه قيل جاء به جمل واحد بعون الله سبحانه وتعالى وفيه ايماء الى استثقاله الخروج من مكة واستخفافه اشتياقا الى الكعبة (والاسماعيلية) وهم هم وانما اختلف القابهم كذا قاله الدلجى وقال التلمسانى الاسماعيلية من الباطنية وهم قوم اثبتوا امامة اسماعيل بن جعفر الصادق وقيل لان رئيسهم ينسب لمحمد بن اسماعيل بن جعفر وهو الصادق وقيل فرقة من الامامية من الرافضة ينسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق حيث يزعمون ان الامام بعد جعفر الصادق اسماعيل ابن جعفر ولكن لما مات اسماعيل فى حال حياة اخيه عادت الامامة الى اخيه قال تقى الدين ابو العباس ابن تيمية ان الاسماعيلية من القرامطة الباطنية اتباع الحاكم الذى كان بمصر وكان دينهم دين اصحاب رسائل اخوان الصفا من ائمة منافقى الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى انتهى وكانه اشار الى طائفة ابن عربى والله سبحانه وتعالى اعلم (والعنبرية من الرافضة) وهم المنسوبون الى عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة الذى جوز التقليد فى العقائد والعقليات وقد تقدم فى الفصل قبله كذا ذكره التلمسانى وقد سبق ان ايمان المقلد صحيح عند عامة العلماء وفى نسخة صحيحة والعبيدية وهم من بنى عبيد بن بنت القداح اليهودى اسلمت امه فتزوجها شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعا الناس الى ان يبايعوه بالخلافة فطلب فلحق بالمغرب وبويع له بها وتولى من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة ثم اخذها منهم نور الدين الشهيد (وان كان بعض هؤلاء) الطوائف المذكورين (قد اشركوا) بصيغة الفاعل او المفعول ويروى اشتركوا (فى كفر آخر مع من قبلهم) ككفر بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عائشة مع مشاركتهم من قال بالهين فى كفره باعتقادهم الهية على واولاده او حلوله سبحانه فيهم (وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة) اى نبوة الانبياء جميعهم (ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته عامة (ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى فى ذلك) الكذب (المصلحة بزعمه اولم يدعها فهو كافر باجماع) بلا نزاع (كالمتفلسفين) من الحكماء (وبعض الباطنية) كالوجودية (والروافض) اى وبعضهم (وغلاة المتصوفة) اى من الجهلة (واصحاب الاباحة) وهم الملاحدة وفى نسخة الاباحية وهم فرقة من غلاة المتصوفة وجهلتهم ويقال لهم المباحية يدعون محبة الله وليس لهم من المحبة حبة يخالفون الشريعة ويزعمون ان العبد اذا بلغ فى الحب غاية المحبة يسقط عنه التكليف ويكون عبادته بعد ذلك التفكر وهؤلاء شر الطوائف وكانهم استندوا فى معتقدهم الى قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد اجمع المفسرون على ان المراد باليقين الموت هنا لان عين اليقين متوقف على ذلك الحين فالمعنى اعبد ربك بالعلم اليقين حتى يأتيك عين اليقين وقد يقال ان العبادة حال اليقين اولى واعلى كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقد قيل له عليه الصلاة والسلام حين تورمت قدماه فى القيام بعد المنام أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ذنبك فقال افلا اكون عبدا شكورا (فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار) بكسر اوله اى الانباء (عما كان ويكون من امور الآخرة) كعذاب القبر (والحشر) اى الجمع وكذا النشر (والقيامة) اى مواقفها من الميزان والحوض والصراط (والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها) الظاهر (ومفهوم خطابها) الباهر (وانما خاطبوا) اى الرسل (بها) اى بالاشياء المذكورة (الخلق) اى الامة (على جهة المصلحة لهم) اذ لم يمكنهم التصريح لتحقيق مرامهم لقصور افهامهم (فضمن مقالاتهم) بضم الميم الاولى وفتح الثانية المشددة اى مضمونها (ابطال الشرائع) بهذه الذرائع (وتعطيل الاوامر والنواهى) بهذه الهذيانات الداعية الى الملاهى (وتكذيب الرسل) تلويحا (والارتياب) اى الايقاع فى الشك (فيما اتوا به) اى الانبياء تصريحا (وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه) بتشديد اللام اى اوصله عن ربه (واخبر به) احدا من امته (او شك فى صدقه) تهمة منه فى حقه (او سبه) اى شتمه او تنقصه (او قال انه لم يبلغ) جميع ما انزل عليه وقد قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واراد

نفيه عنه (او استخف) اى احتقر واستهزأ (به او باحد من الانبياء اوازرى) اى عاب (عليهم) اى جميعهم اوبعضهم
(او آذاهم اوقتل نبيا اوحاربه فهو كافر باجماع) من علماء المسلمين (وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء) من
الحكماء (ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا) اى رسولا منذرا (ونبيا) غيرمأمور بالتبليغ (من القردة والخنازير والدواب
والدود وغيرذلك) كالحيوانات المائية والطيور الهوائية (ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير) اى مضى
ويجعل الامة اعم لقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاامم امثالكم (اذ ذلك) الذى زعمه
غيرثابت بالنقل الصريح ويدل على بطلانه العقل الصحيح لانه (يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه) اى وفى كل جنس من صور بشيعة وسير شنيعة (من الازراء) اى العيب والمنقصة (على اهل هذا
المنصب) بكسر الصاد اى منصب النبوة (المنيف) بضم الميم اى الرفيع الشريف (مافيه) مما لايليق بعلو شانهم
وسطوع برهانهم (مع اجماع المسلمين على خلافه و) على (تكذيب قائله) ولعل سند الاجماع قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك الارجالا اى لانساء ولاجنا وانما الخلاف فى انه هل كان فى الجن رسول من جنسهم ام لا فالجمهور
على ان الرسل من الانس خاصة وتعلق قوم بظاهر قوله تعالى يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم واجيب
بان الآية من قبيل قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل المراد رسل
من الجن ارسلهم الرسل من البشر لينذروهم ويدعوهم الى الايمان فيصدق عليه انه اتى الجن رسل لكن لامن الله
بل من الانبياء ويؤيده قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرءآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين الآيتين (وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم) من الالوهية والوحدانية
والنبوة مطلقا (وبنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته الى عامة الانام (ولكن قال كان اسود) وينبغى
ان يقيد هذا بما اذا اراد احتقاره به واما اذا قال عن جهل بشمائله فتكفيره ليس فى محله لان العلم بكونه عليه الصلاة
والسلام ابيض ليس قطعيا ولانه مما علم من الدين بالضرورة والسواد لاينافى النبوة فقد قال جمع بنبوة لقمان (اومات
قبل ان يلتحى) فانه كذب فى نفس الامر لكن انما يكفر اذا كان استخفافا اواستهزاء اوتكذيبا لنبوته (اوليس الذى
كان بمكة والحجاز) الشامل لها وللمدينة يحتمل ان يكون جهلا وان يكون تكذيبا (اوليس بقرشى) وفيه ان العلم
بكونه قرشيا ليس ضروريا فغايته انه يكون كاذبا به جاهلا بوصفه ولا يلزم منه كونه مكذبا به واغرب الدلجى حيث
قال لانه كذبه عليه الصلاة والسلام فى قوله انا افصح من نطق بالضاد بيدأنى من قريش فان الحفاظ اجمعوا على
انه حديث موضوع و الحاصل انه يكفر بهذا كله اذا اراد نفى نبوته عليه الصلاة والسلام كما يشير اليه قوله (لان وصفه
بغيرصفاته المعلومة) عند كل واحد (نفى له) اى لوجوده (وتكذيب به) اى بشهوده وسيأتى ان الجهل ببعض صفات
البارى سبحانه وتعالى لايخرجه عن الايمان كما عليه اكثر علماء الاعيان فكيف الجهل ببعض صفاته عليه الصلاة
والسلام لاسيما لم يتعلق به حكم من شرائع الاسلام (وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلاة والسلام)
كاصحاب مسيلمة والاسود العنسى (اوبعده كالعيسوية) اصحاب عيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهانى كان موجودا
فى خلافة المنصور وهو (من اليهود) الا انه خالفهم فى اشياء منها انه حرم الذبائح (القائلين بتخصيص رسالته) اى
نبينا (الى العرب) خاصة (وكالخرمية) بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المفتوحة لانهم تبعوا بابك الخرمى فنسبوا اليه
قال الجوهرى هم اصحاب التناسخ والاباحة وفى نسخة بجيم مفتوحة فراء ساكنة قال التلمسانى ويجوز كسر الحاء
المهملة وسكون الراء لقولهم ما حرم حلال لانهم اباحوا المحرمات (القائلين بتواتر الرسل) اى لاينقطعون مادامت
الدنيا (وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حال وجوده (وبعده)
اى وبعد فقد شهوده (وكذلك كل امام) اى من الائمة الاثنى عشر (عند هؤلاء) الرافضة (يقوم مقامه فى النبوة والحجة)
يعنى ان ارادوا بها الحقيقة والا فالمنزلة المجازية لاتوجب الكفر ولا البدعة (وكالبزيغية) بموحدة مفتوحة وزاى
مكسورة فتحتية ساكنة فمعجمة اومهملة (والبيانية) بفتح موحدة فتحتية بعدها الف فنون وقيل الصواب بموحدة
مضمومة ونونين بينهما الف (منهم) اى من الرافضة لامن البزيغية كما توهم الدلجى (القائلين بنبوة بزيغ) رجل غير
معروف (وبيان) اى ابن اسماعيل النهدى من غلاة الروافض وقد تقدم ان اعتقادهم ان الله تعالى حل فى على واولاده
كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى بنان بن سمعان التميمى (اومن ادعى النبوة لنفسه) كالمختار ابن ابى عبيد الثقفى
(اوجوزا كتسابها) اى تحصيل النبوة بالمجاهدة والرياضة (والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها) اى منزلة النبوة باخذ
الفيض من جهة القلب عن الرب (كالفلاسفة) اى الحكماء ومنهم ابو على ابن سينا صاحب الشفاء الذى يورث مرض الشقاء
(وغلاة المتصوفة) اى الجهلاء واجهلهم ابن عربى حيث جعل نفسه خاتم الاولياء وزعم انه كان يستفيض منه

خاتم

خاتم الانبياء (وكذلك من ادعى منهم) وكذا من غيرهم (انه يوحى اليه) اى وحيا جليا لاالهاما يسمى وحيا خفيا
كما يحصل لبعض ارباب المكاشفة واصحاب الفراسة كما يشير اليه قوله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين اى المتفرسين
وقوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن وقوله فى امتى محدثون اى ملهمون (وان لم يدع النبوة) كعبدالله
ابن ابى سرح من قريش كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين عجب من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها
كذلك نزلت فشك وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه او كاذبا لقد قلت كما قال ولحق بمكة مرتدا
فاهدر دمه النبى عليه الصلاة والسلام فاخذ له عثمان عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه
زمن خلافته مصر (اوانه) اى اوبدعى انه حال اليقظة (يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمرها ويعانق الحور
العين) اى البيض الواسعة الاعين وفيه ان هذا كله يقتضى الكذب لاالكفر كما لايخفى (فهؤلاء) الطوائف
(كلهم كفار) اى فانهم (مكذبون للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبر) عن نفسه (انه خاتم النبيين لانبى بعده) اى ينبأ
فلا يرد عيسى لانه نبئ قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته ويصلى الى قبلته ويكون من جملة امته (واخبر عن الله تعالى
انه خاتم النبيين) وهذا اقوى دليلا مما قبله فتأمل (وانه ارسل كافة) اى رسالة جامعة (للناس) لقوله تعالى وما ارسلناك
الاكافة للناس اى اصالة وللجن تبعا (واجمعت الامة على حمل هذا الكلام) الذى صدر عنه عليه الصلاة والسلام
(على ظاهره) لعدم صارف عنه (وان مفهوم المراد به) هو المقصود منه (دون تأويل) فى ظاهره (ولا تخصيص
فى عمومه (فلا شك فى كفر هؤلاء الطوائف كلها) اى لتكذيبهم الله ورسوله (قطعا) اى بلا شبهة (اجماعا) بلا مخالفة
(وسمعا) اى وسماعا من الكتاب والسنة مايدل على كفرهم بلا مرية (وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع
نص الكتاب) القديم وحمله على خلاف ماورد به من المعنى القويم كحمل ابن عربى قوله تعالى فى قوم نوح مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا فى بحر المحبة فادخلوا نار هوو وجدوا الله دون غيره انصارهم وكذلك قوله
فى قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته ان الكلام
تم فى اوتى وان رسل الله مبتدأ وخبره الله واعلم خبرمبتدأ محذوف وامثال ذلك مما صدر عنه وعن غيره هنالك (اوخص
حديثا) اى اودافع صريح حديث (مجمع على نقله مقطوع به) اى بصحته (مجمع على حمله على ظاهره) من غيرتأويله
وفى نسخة اوخص حديثا مجمعا على نقله من جهة مبناه وحمله على ظاهره من جهة معناه (كتكفيرنا الخوارج بابطال
الرجم) بالجيم للمحصن الثيب ولم يشترط الشافعى الاسلام فى الرجم لظاهر حديث الموطأ وغيره ان اليهود اتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فرجمهما وشرطه ابو حنيفة ومالك لحديث من اشرك بالله
فليس بمحصن ثم اعلم ان العلماء اجمعوا على وجوب جلد الزانى البكر مائة وهو الثابت بالآية ورجم المحصن الثيب
المأخوذ من الآية المنسوخة تلاوة لاحكما وهو قوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله
والله عزيز حكيم وقد عمل بها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال حياته وكذا الصحابة بعد وفاته ولم يخالف فى هذا احد
من اهل القبلة الا ما حكى عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام واصحابه فانهم لم يقولوا بالرجم ومن مذهبهم
ان الاجماع ليس بحجة ويرده قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لايجمع امتى على الضلالة وبالاجماع على ان الاجماع حجة بل اقوى الحجة
وان كان سندهم من الكتاب والسنة (ولهذا) اى ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر كذا ذكره الدلجى وكان الاولى
للمصنف ان يقول وكذا (نكفر من دان) اى تدين (بغير ملة المسلمين من الملل) اى الخارجة عن ملتهم (اووقف فيهم)
اى ولو فى بعض الاحكام اى مع بقائه على ملة الاسلام وفى اصل الدلجى اووقف فيهم اى توقف فى تكفير من ذكر
(اوشك) اى تردد (اوصحح مذهبهم) بدليل عقلى اونقلى (وان اظهر مع ذلك) التوقف اوالشك اوالتصحيح (الاسلام)
اى الايمان والانقياد مافيه من الاحكام (واعتقده) اى الاسلام (واعتقد ابطال كل مذهب سواه) اى فى باطنه وفيه
ان توقفه اوشكه ينافيه (فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك) ففى الفتاوى الصغرى من شبه نفسه باليهود
اوالنصارى على طريق المزح والهزل كفر (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل) وروى كل من (قال قولا يتوصل به
الى تضليل الامة) المرحومة (وتكفير جميع الصحابة) وهذا للاجماع ولقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك
تكفير بعض الصحابة عند اهل السنة والجماعة بخلاف الخوارج والروافض (كقول الكميلية من الروافض) قيل
والصواب كما قال الامام الرازى من غلاة الروافض الكاملية اتباع ابى كامل وقيل ولعل الكميل تصغير الكامل
ايماء الى تحقير شأنه واتباعه القائلين (بتكفير جميع الصحابة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذلم تقدم) اى الصحابة

(عليا) الخلافة بل قدمت ابا بكر كما قدمه عليه الصلاة والسلام للامامة (وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب) اى
ولم يطلب (حقه) من الخلافة (فى التقديم) الموجب لزيادة التكريم (فهؤلاء) الكميلية (قد كفروا من وجوه لانهم
ابطلوا الشريعة) اى امرها (بامرها) اى جميعها (اذ قد انقطع نقلها ونقل القرءآن معها) اى عندهم (اذ ناقلوه
كفرة على زعمهم والى هذا) الوجه (والله اعلم) جملة معترضة للاحتياط (اشار مالك فى احد قوليه بقتل من كفر
الصحابة) اى جميعهم او بعضهم فليس كما قال الدلجى بناء على كفر من قال لمسلم يا كافر وفيه ان هذا شتم ليس بكفر
الا ان اعتقد كفره حقيقة وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما اى ان كان
كما قال والا رجع عليه قال وقوله الآخر لا يقتل لانه كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان اقول والاظهر ان هذين
القولين له فيمن كفر بعض الصحابة واما من كفر جميعهم فلا ينبغي ان يشك فى كفره لمخالفة نص القرءآن من قوله سبحانه
وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وبيانه ان هذه الايات نص قطعي فلا يبطله قول مموه لا اصل له من جهة النقل ولا من طريق العقل على ان امر الخلافة
ليس من اركان الايمان ثم هو لا يتعلق الا ببعض من اهل الحل والعقد فلا وجه اصلا لتكفير الكل قطعا (ثم كفروا) اى
الكميلية (من وجه) وفى نسخة من وجه آخر (بسبهم النبى) اى لطعنهم فيه (صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم
وزعمهم انه عهد الى علي) بالخلافة بعده (وهو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يعلم انه) اى عليا (يكفر بعده) اى بعد
النبى عليه الصلاة والسلام (على قولهم) اى بزعمهم والجملة حالية (لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله) الشامل
لاصحابه واحبابه (وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل) الذى لا يصدر الا عن كافر (كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب) الذى للنصارى (والنار)
بخلاف السجود للسلطان ونحوه بدون قصد العبادة بل بارادة التعظيم فى التحية فانه حرام لا كفر وقيل كفر (والسعى
الى الكنائس) جمع الكنيسة معبد اليهود (والبيع) بكسر ففتح جمع بيعة معبد النصارى (مع اهلها) احتراز من سعيه
اليهما منفردا عنهم لقصد التفرج دون العبادة (والتزيي بزيهم) اى بكسوتهم وهيئتهم بخلاف من سعى اليهما معهم لكن
بخلاف صورتهم وانما كفروا بزيهم لان الظاهر عنوان الباطن ولا يتجانس الا مجنون (من شد الزنانير) جمع زنار بكسر
اوله ما يشد به النصارى اوساطهم (وفحص الرؤس) بفتح الفاء وسكون الحاء وبالصاد المهملتين قال الجوهرى
وفى الحديث فحصوا عن رؤسهم كانهم حلقوا وسطها وتركوها مثل افاحيص القطا انتهى وفى المجمل لابن فارس نحوه
وقال الهروى فى غريبه فى حديث ابى بكر انه قال لعامله انك ستجد اقواما يعنى بالشام قد فحصوا رؤسهم فاضربوا
بالسيف ما فحصوا عنه اى حلقوا مواضع منها كافحوص القطا وهم الشمامسة انتهى وفى حديث انه عليه الصلاة
والسلام قال لامراء جيش مؤتة ستجدون آخرين للشيطان فى رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف والمعنى ان
الشيطان استوطن فى رؤسهم كما استوطن القطا مفاحصها ومنه الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة
بنى الله له بيتا فى الجنة (فقد اجمع المسلمون ان هذا) الذى ذكر من الافعال (لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال
علامة على الكفر وان صرح فاعلها) وروى صاحبها (بالاسلام) ولعل فحص الرأس كان شعارا للكفرة قبل ذلك
واما الآن فقد كثر فى المسلمين فلا يعد كفرا (وكذلك اجمع المسلمون على كفر من استحل القتل لمسلم) اى ظلما (او شرب
الخمر) اى طوعا (او الزنى) بالزاى والنون وفى معناه الربا والرياء او اشياء اخر (مما حرم الله بعد علمه بتحريمه) وفيه ايماء
الى ان جهله عذر ولعل هذا بالنسبة الى حديث عهد بالاسلام او البلوغ فان انكار ما علم من الدين بالضرورة كفر
اجماعا (كاصحاب الاباحة من القرامطة) يحتمل ان تكون من بيانية او تبعيضية (وبعض غلاة المتصوفة) الزاعمين انهم
وصلوا الى الله فرفع عنهم التكليف قال الدلجى وقد ادركت بعضا منهم يقول اسقط الله عنى التكليف فاستباح فطر
رمضان والخلوة بالاجنبيات من النساء ونحو ذلك من الفحشاء (وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب) اى باصل من
اصول الدين (وانكر قاعدة من قواعد الشرع) المبين مما بنى عليه كما بينه عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج (وما عرف يقينا بالنقل
المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل) الذى لم يتخلله عدم اجماع (عليه) مما علم من الدين بالضرورة عند الخاص
والعام (كمن انكر وجوب الصلوات الخمس) اى جميعها او احداها (وعدد ركعاتها) المختصة بها (وسجداتها)
المكررة فيها (ويقول) اى مدعيا (انما اوجب الله علينا فى كتابه الصلاة على الجملة) اى اجمالا من غير بيان نحو كونها
خمسا او تعيين عدد ركعاتها وسجداتها (وكونها) اى ويقول كونها (خمسا او على هذه الصفات) اى من الاركان
المقررة (والشروط) المعتبرة من طهارة وستر عورة ودخول وقت واستقبال قبلة ونية (لا اعلمه) يقينا (اذ لم يرد فيه)

فى كل منها (فى القرءآن نص جلى) على وجوبها وان اشتملت على بعضها اجمالا كآية اقم الصلاة لدلوك الشمس
الى غسق الليل وقرءآن الفجر وآية اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا اى فرضا موقتا وقوله وقوموا لله قانتين وقوله فاقرؤا ما تيسر منه وقوله يا ايها الذين آمنوا اركعوا
واسجدوا ونحو ذلك من الآيات المجملة التى وقع بيانها بالاحاديث الموصلة (والخبر) اى ويقول الحديث الوارد
(به عن الرسول خبر واحد) لا يفيد القطع اذا لم يكن متواترا عنه قلنا نعم لكن يجب العمل به اجماعا لقوله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولانه عليه الصلاة والسلام مبين لمجمل الكتاب بفصل الخطاب كما قال
تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وايضا قد اخبر به اصحابه وعمل به وتبعه اتباعه وهلم جرا الينا فى بيان الشروط والاركان
الثابتة لدينا ووقع الاجماع عليه فيكفر جاحده (وكذلك اجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة اجمع المسلمون (على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلاة طرفى النهار) اى بكرة وعشية فقط كما كان فى صدر الاسلام ويسمون الاطرافية
(وعلى تكفير الباطنية فى قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم) من الائمة (والخبائث والمحارم اسماء
رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة) اى وفى قولهم (ان العبادة) المورثة للمشاهدة (وطول المجاهدة)
المفضى الى المراقبة (اذا صفت نفوسهم) عن الكدورات (افضت بهم) اى اوصلتهم (الى اسقاطها) اى المكافات
(واباحة كل شئ لهم) من المحرمات (ورفع عهد الشرائع) بضم العين وفتح الهاء جمع عهدة وهى فى نسخة بدل
جمعها (وكذلك ان انكر منكر مكة) اى وجودها (او البيت او المسجد الحرام) لان انكارها انكار المنصوص عليها
فى الكتاب والسنة واجماع الامة (او صفة الحج او قال الحج واجب فى القرءآن) لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
(واستقبال القبلة كذلك) واجب فى القرءآن لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (ولكن كونه) اى كل من
الحج والاستقبال (على هذه الهيئة المتعارفة) عند الناس (وان تلك البقعة) اى المأمور بالحج اليها (هى مكة والبيت
والمسجد الحرام) الوارد بها ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس (لا ادرى هل هى)
اى مكة والبيت والمسجد الحرام (تلك) الامكنة المتعارفة (ام غيرها ولعل الناقلين ان النبى صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا) بكسر اللام اى اخطأوا (ووهموا) بكسر الهاء اى توهموا انها هى تلك الامكنة (فهذا)
المنكر لما ذكر (ومثله) فى غيره (لا مرية) بكسر الميم وتضم اى لا شك ولا شبهة (فى تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك)
الذى ذكر من اسماء الامكنة ومع ذلك ينكرها او يتردد فيها عنادا (وممن خالط المسلمين) اى ليس من اهل البادية
لقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (وامتدت صحبته لهم) واشتدت
مخالطته بهم لان الغالب انهم ذكروها له (الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك) الذى يورثك معرفتها
(ان تسأل عن هذا الذى لم تعلمه بعد) اى بعد اسلامك الى الآن (كافة المسلمين) بالنصب على انه معمول تسأل
(فلا تجد فيهم) اى فيما بينهم (خلافا) اصلا (كافة عن كافة) اى حال كونهم جماعة راوية عن جماعة من كل طائفة
فى كل قرن وامة (الى معاصرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور) المذكورة هى هى (كما قيل لك
ان تلك البقعة) المشهورة (هى مكة) المعمورة (والبيت الذى) هو (فيها هو) وفى نسخة هى (الكعبة) المسماة بها
لعلوها حسا ومعنى كما قيل

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

والمعنى ان بيت العز والشرف هو الكعبة (والقبلة التى صلى اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) من
اهل مكة وغيرهم (وحجوا اليها) من كل فج عميق (وطافوا بها) وهى البيت العتيق (وان تلك الافعال) المتعلقة
بالحج من الاحرام والطواف والسعى والوقوف والحلق والرمى (هى صفات عبادة الحج والمراد به) فى قوله تعالى ولله
على الناس حج البيت وقوله عليه الصلاة والسلام حجوا بيت ربكم (وهى) اى الصفات المذكورة والافعال المسطورة
هى (التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون) معه فى زمانه روى انهم مائة وعشرون الفا وكذا فيما بعده قرنا
فقرنا وهلم جرا الينا (وان صفات الصلوات) الخمس (المذكورة) فى الاحاديث الصحيحة المشهورة من التحريمة والقيام
والقراءة والركوع والسجود والقعدة (هى التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم وشرح) اى فسر وبين (مراد الله بذلك)
الاجمال (وابان حدودها) اى واظهر اوقاتها وشرائطها واركانها (فيقع لك العلم) آخرا (كما وقع لهم) اولا فان
العلم بالتعلم وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة وقد ورد انما شفاء العى السؤال (ولا ترتاب بذلك) اى لا يقع لك فيها شك وتردد (بعد) بالبناء على
الضم اى بعد ما علمته بسؤالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله (والمرتاب فى ذلك) اى الشاك فيما ذكر (والمنكر بعد البحث)

ظرف لهما اى بعد الفحص عنها وحضور المعرفة بها (وصحبة المسلمين) اى وبعد مخالطتهم الدالين عليه والهادين اليه
(كافر باتفاق) للائمة والامة (لا يعذر بقوله لا ادرى ولا يصدق فيه) اى فى قوله المنسوب الى جهله (بل ظاهره التستر
عن التكذيب) على وجه التصريح اكتفاء بالتلويح فان كل اناء يترشح بما فيه (اذ لا يمكن انه لا يدرى) بعد البحث
والسؤال من المؤمنين او مخالطة المسلمين وهو عاقل ليس من المجانين (وايضا) يلزم منه فساد آخر (فانه اذا جوز) هذا
المنكر (على جميع الامة الوهم) اى السهو (والغلط) اى الخطأ ولو بلغوا فى الكثرة حد التواتر الذى يحيل العقل تواطئهم
على الكذب (فيما نقلوه من ذلك) الذى تقدم (واجمعوا انه قول الرسول) عليه الصلاة والسلام (وفعله وتفسير مراد
الله به ادخل الاسترابة) اى الشك والشبهة (فى جميع الشريعة) قولا وفعلا ولا يخفى فساد هذه الذريعة (اذهم
الناقلون لها) اى للشريعة المستفادة من السنة (والقرآن) البنا بالطرق المواترة (وانحلت عرى الدين) اى انفتحت
عقده وعهده (كرة) اى دفعة واحدة ولم يبق منها عروة ويروى كلمة (ومن قال هذا) القول وامثاله (كافر) فى حاله
وما آله بسوء مقاله (وكذلك من انكر القرآن) اى جميعه (او حرفا منه) اى مما تواتر فيه (او غير شيأ منه) بان نقص منه
شيأ (او زاد فيه) شيأ من تلقاء نفسه من غير قراءة متواترة او رواية شاذة (كفعل الباطنية) ويروى كقول الباطنية
(والاسماعيلية) اى من التغيير او الزيادة وهذا غير معروف عنهم اللهم ان كان المراد بالتغيير تغيير المعنى دون المبنى
كما قال تعالى فى ذم اهل الكتاب يحرفون الكلم عن مواضعه اى يأولونها على ما يشتهونه او يميلون اليها عما اراد الله
سبحانه وتعالى بها (او زعم انه) اى القرآن (ليس بحجة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خاصة (او ليس فيه حجة
لاحد (ولا) اى هو فى نفسه (معجزة) اى لا مبنى ولا معنى (كقول هشام الفوطى) بضم الفاء او الباء وسكون الواو
او فتحها والطاء مهملة (ومعمر) بسكون عين مهملة بين ميمين مفتوحتين (الصيمرى) بفتح الصاد المهملة او المعجمة
وسكون التحتية وفتح الميم فراء بعدها ياء نسبة الى بلدة او قبيلة قال الدلجى انهما من المعتزلة اى فى الصورة ومن الكفرة
فى السيرة (انه) اى القرآن (لا يدل على الله) اى على طريق رضاه (ولا حجة فيه لرسوله) اى على صحة مقوله (ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم) من حلال وحرام وآداب وهذا كله مكابرة وعناد وفتح باب فساد والحاد (ولا محالة)
بفتح الميم وضم اى لا شك وفى نسخة ولا مخالفة (فى كفرهما بذلك القول) وفى نسخة بهذا (وكذلك تكفيرهما)
وفى نسخة تكفرهما (بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باقيها باسرها (حجة له
قاطعة وبينة ساطعة (وفى خلق السموات والارض دليل على الله) اى وجوده سبحانه وتعالى مع انه قال تعالى لايات
لاولى الالباب (لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا) الذى ذكر (كله
وتصريح القرآن به) بقوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله (وكذلك من انكر شيأ مما نص
فيه القرآن) به كوجود الملائكة ومجيء القيامة (بعد علمه انه من القرآن الذى فى ايدى الناس) اى من الحفاظ
الماهرين (ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به) اى بانه منه (ولا قريب عهد) وفى نسخة ولا حديث عهد اى جديد
زمان (بالاسلام واحتج) الواو فيه وكذا الواوان فيما قبله للحال اى تعلق (لانكاره اما بانه لم يصح النقل) للقرآن (عنده
ولا بلغه العلم به) من غيره (او التجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين) وهما الاجماع والنقل المتواتر
(لانه مكذب للقرآن) الثابت تواترا قطعا (ومكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) المحقق اجماعا (لكنه تستر بدعواه
الجهل فيما ادعاه (وكذلك من انكر الجنة او النار) اى وجودهما بالكلية فان اهل السنة على انهما موجودتان
والمعتزلة على انهما ستوجدان (والبعث) فى القبور (والحساب) الموجب للثواب والعقاب بخلاف انكار الميزان
والصراط فانه من عقائد المعتزلة (والقيامة فهو كافر باجماع) وفى نسخة بالاجماع (للنص عليه) فى الكتاب
(واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك) اى اقول كما روى (من اعترف بذلك) فى الجملة (ولكنه قال ان المراد
بالجنة والنار والحشر) اى الجمع فى الموقف (والنشر) اى النشور وهو الخروج من القبور او التفرق الى الجنة والنار
(والثواب) على الحسنات (والعقاب) على السيئات (معنى غير ظاهره) وفى نسخة معنى على غير ظاهره (وانها لذات
وعقوبات (روحانية) بفتح الراء ويجوز ضمها لا جسمانية (ومعان باطنة كقول النصارى) لعل هذا قول بعضهم
(والفلاسفة) من الحكماء الجاهلية (والباطنية وبعض المتصوفة) كالوجودية القائلة بالعينية (وزعم ان معنى القيامة
الموت) ولم يدر ان الموت مقدمة القيامة ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته (او فناء محض) اى عدم ليس بعده وجود
وبقاء او زعم ان المراد بالقيامة الفناء عن السوى والثبات على البقاء كما يتوهم جملة المتصوفة متمسكين بظاهر ما روى
موتوا قبل ان تموتوا مع انه ليس بحديث (وانتقاض هيئة) ويروى بنية (الافلاك) اى انهدامها وتغيرها وانتقالها
من اوضاعها بالكلية (وتحليل العالم) اى فساده وخروجه عن نظام هيئته الاولية (كقول بعض الفلاسفة) بذلك

ممن ينكر البعث هنالك والا فالتغيير والتبديل ثابتان فى التنزيل كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
واذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة)
المعصومين (افضل من الانبياء) والمرسلين وهذا كفر صريح يستفاد من قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا
ومن الناس وفى هذا المحل مباحث ذكرتها فى شرح الفقه الاكبر (واما) وفى نسخة فاما (من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير) اى الآثار المتعلقة بالغزوات والشمائل فى الصفات كقتل عمار بصفين عما ورد انه تقتله الفئة
الباغية (والبلاد) النائية كالعراق وخراسان (التى لا يرجع) اى انكارها (الى ابطال الشريعة ولا يفضى الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك) المذكورة فى سورة التوبة وهى ارض بين الشام والمدينة (او موتة) بضم الميم
وسكون همزة وتبدل مكان بادنى البلقاء من ارض الشام (او وجود ابى بكر) وفيه ان بعض العلماء قال من انكر صحبته
للنبى عليه الصلاة والسلام كفر لمخالفة النص وهو قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان
الله معنا حيث اجمع المفسرون على انه ابو بكر ولا يبعد ان يفرق بين من انكر وجوده و بين من انكر صحبته بناء على ان
دلالة الآية على صحبته اجمالية ورواية كونها له خاصة غير قطعية فلا يكفر من انكر وجوده (وعمر) مع شهرته (او قتل
عثمان او خلافة على) مما علم بالنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع
العلم له) بما هنالك (اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة) مفاعلة من البهتان اى الكذب والمعاندة يقال باهته اذا قال عليه
ما لم يقل (كانكار هشام) اى الفوطى (وعباد) بفتح مهملة فتشديد موحدة وهو الصيمرى (وقعة الجمل) وهى كانت
فى اول خلافة على ونقل مغلطاى فى سيرته ان ابن حزم انكرها وفيما قاله نظر اذ قد تواتر نقلها وهى ان جماعة من الصحابة
خرجوا مع عائشة فى هودج على جمل آخذا بخطامه كعب بن المسور بن مخرمة الى البصرة للصلح بين على ومعاوية
وتسكين الفتنة فنشبت بينهم الحرب فلتة من غير قصد وكانت سنة ست وثلاثين واما وقعة صفين كسجين وهو موضع
قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت الوقعة العظيمة بين على ومعاوية غرة صفر سنة سبع وثلاثين فمن ثم احترز الناس السفر
فى صفر ذكره فى القاموس (ومحاربة على من خالفه) كمعاوية والخوارج فيما تقدم والله تعالى اعلم (واما ان ضعف) بتشديد
العين اى نسب الى الضعف (ذلك) النقل المجمع عليه (من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع) بتشديد الهاء اى
نسبهم الى الوهم اجمعين (فنكفره بذلك) الاتهام (لسريانه) اى افضائه وروى لسرايته (الى ابطال الشريعة) فكانه
جعل هذا التوهيم لالحاده نوعا من الذريعة (فاما من) وفى نسخة ان (انكر الاجماع المجرد) اى المنقول عن بعض الائمة
(الذى ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع) المفيد كونه قطعيا بل طريقه الآحاد المقتضى كونه ظنيا
(فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة جمع ناظر بمعنى المناظر اسم فاعل من المناظرة
(قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع) كما هو مبين فى اصول الفقه (المتفق عليه عموما)
لانه حجة اجماعا وان كان طريقه آحادا (وحجتهم) فى تكفيره بمخالفة الاجماع (قوله تعالى ومن يشاقق الرسول)
اى يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) اى طريق الحق (الآية) اى ويتبع غير سبيل المؤمنين الذى هم عليه من الدين
لا يذانه بانه حجة لا تجوز مخالفته كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة بدلالة جمعه بين المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين فى
الشرط وجعل جزائه الوعيد الشديد المفاد بقوله تعالى نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه وندعه وما اختاره من متابعة
هواه مما لا يرضاه الله وهذا فى الدنيا ونصله جهنم اى ندخله ونحرقه وساءت مصيرا اى مرجعا ومسيرا فى العقبى
(وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة) اى جماعة المسلمين وفى نسخة كما فى رواية من فارق الجماعة اى بترك
السنة واتباع البدعة (قيد شبر) بقاف مكسورة فتحتية ساكنة ونصبه على المصدر اى قدر شبر يعنى ولو مقدارا يسيرا
وامرا حقيرا (فقد خلع) اى نزع (ربقة الاسلام) بكسر الراء وسكون الموحدة اى عقدته وعهدته (من عنقه) اى
رقبته وذمته وقد روى الترمذى عن ابن عمر ان الله تعالى لا يجمع امتى على ضلالة ويد الله على الجماعة من شذ شذ فى
النار (وحكوا) اى الفقهاء ومن معهم (الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف) اى التوقف
(عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء) اى مطلقا سواء كان نظريا ام لا وفى نسخة الذى يختص
نقله بالعلماء (وذهب آخرون الى الوقف) وفى نسخة التوقف (فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر) اى تأمل
وفكر كالقياس لان الاجتهاد المأخوذ فى تعريفه لا بد له من مستند اما من كتاب او سنة فمنكره منكر لاحدهما (كتكفير
النظام) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة كان احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وكان فى دولة المعتصم (بانكاره
الاجماع) وانما كفروه به (لانه بقوله هذا) وهو انكاره الاجماع (مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به) اى
بالاجماع بل جعلوه اقوى الحجة (خارق الاجماع) وفى نسخة خارق للاجماع (قال القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (القول

المعوّل (عندى) اى فى رأيى (ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده) وشهود كرمه وجوده (والايمان بالله هو العلم بوجوده) وما يتعلق به من توحيد ذاته وتفريد صفاته واثبات كلامه المشتمل على سائر المؤمن به من ملائكته ورسله والا فمجرد العلم بوجوده حاصل لعامة خلقه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما انكر وجوده سبحانه وتعالى طائفة من الدهرية والمعطلة (وانه) اى الشأن (لا يكفر احد بقول ولا رأى) اى اعتقاد مما يكفر به (الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى الله) ورسوله (بقول او فعل نص الله ورسوله) صلى الله عليه وسلم (او اجمع المسلمون على انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل آخر) نقلا او عقلا (على ذلك) اى على انه لا يوجد الا من كافر لكونه من شعارهم (فقد كفر) لكن (ليس) الحكم بكفره (لاجل قوله او فعله) الذى لا يوجد الا من كافر (بل لما قارنه) اى قوله او فعله (من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها هو الجهل بالله) اى بوجوده وهو الاصل فى باب التكفير (والثانى ان يأتى فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون على ان ذلك) الفعل او القول (لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس) اى فى زيهم (بالتزام الزنار) مشدّدا به وسطه غير مكره فيه وروى الزنانير وهو بفتح الزاى جمع الزنار بضمها (مع اصحابها فى اعيادهم) او غيرها (او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن) اى لا يتصوّر (معه العلم بالله) كانكار فرض مجمع عليه والقاء مصحف فى قاذورة (فهذان الضربان) اى النوعان من اتيان الفعل او القول الموصوفين وقول الدلجى فهذان اى الجهل والاتيان مردود بقوله (وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم) بفتحتين اى علامة وفى اصل التلمسانى علم بكسر اوله وسكون ثانيه اى دليل (ان فاعلهما كافر) فى الاصل (او منسلخ من الايمان) اى خارج عنه (فامامن نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية) من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام (او جحدها) اى انكرها بعدما اعترف بها (مستبصرا) اى متيقنا غير شاك (فى ذلك) اى فى جحدها (كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم) كان الاولى ان يأتى باو بدل ولا (وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى) كقوله ليس سميعا او بصيرا او حيا (فقد نص ائمتنا) المالكية (على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها) اى اخلاه منها بلا وصفه بها وهذا قول الباقلانى ولا اعرف خلافا فى ذلك لانه سبحانه وتعالى وصف ذاته بهذه الصفات فى كلامه القديم الذى يستفاد منه الدين القويم فمن انكر شيأ من ذلك فقد انكر القرآن العظيم قال المصنف (وعلى هذا) القول بنفى الوصف (حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام) اى نفسى (فهو كافر) لانه نسبه الى وصم البكم (وهو) اى سحنون (لا يكفر المتأولين) اى من المعتزلة النافين قدمها وزيادتها على ذاته القائلين بانه تعالى خلق الكلام فى الشجرة وكلم موسى وبخلق القرآن وحدوثه وانه مركب من حروف واصوات تفاديا من تعدد القدماء (كما قدمناه فامامن جهل صفة من هذه الصفات) اى ونفاها غير مستبصر فيها (فاختلف العلماء هنا) اى فى مقام تكفيره (فكفره بعضهم وحكى ذلك) اى تكفيره (عن ابى جعفر الطبرى) الشافعى (وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة) اى هو احد قوليه (وذهبت طائفة الى ان هذا) الجهل للمؤمن (لا يخرجه عن اسم الايمان) اى اصله وان كان يخرجه عن كمال الايقان (واليه) اى الى هذا المذهب (رجع الاشعرى) فهو المعتمد فى المعتقد (قال لانه لم يعتقد ذلك) النفى مع الجهل (اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا) متبنا (وشرعا) مبينا بل انما بظنه ظنا وقع خطأ (وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء) المتأخرون (بحديث السوداء) اى الجارية (وان النبى صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد) اى توحيد الذات (لا غير) اى لا غير ذلك من تحقيق الصفات وهو ان ام ابن سويد الشريد الثقفى اوصته ان يعتق عنها رقبة مؤمنة فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان امى اوصت ان اعتق عنها رقبة مؤمنة وعندى جارية سوداء نوبية وذكر نحوه معاوية بن الحكم السلمى فذكر الحديث الى ان قال اين الله قالت فى السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة اخرجه ابو داود فى الايمان بفتح الهمزة والنسائى فى الوصايا وحديث معاوية بن الحكم السلمى اخرجه مسلم فى الصلاة والطب واخرجه ابو داود فى الصلاة والنسائى فى اماكن من مسنده انتهى كلام الحلبى وذكر التلمسانى ان حديث السوداء هو ان رجلا ظاهر فلزمه الظهار فاتى بامة سوداء فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجزئك حتى تعرف انها مؤمنة قال سلها يا رسول الله فسألها فقال لها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة وهو حديث رواه ابو داود والنسائى ومالك انتهى وكانت اشارتها الى السماء ايماء بان الله هو الذى خلقها او انه ليس بالهة الارض او هو الموصوف بانه اله فى السماء اى معبود فيها فاكتفى بهذا التوحيد الاجمالى على كونها مؤمنة لكن يشكل بسؤاله عليه الصلاة والسلام حيث قال اين الله ولعله كوشف له عليه الصلاة والسلام بانها لا تعرف الاله الا بهذا الوصف ولعل القائلين بجهة

العلو لله سبحانه وتعالى تمسكوا بظاهر هذا الحديث وامثاله والمحققون انه تعالى منزه عن المكان والزمان واما قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض فمعناه انه هو المستحق لان يعبد فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله (وبحديث القائل لئن قدر الله علىّ) بتخفيف الدال وجاء فى صحيح البخارى ان قائله كان نباشا من كلام عقبة بن عمر الصحابى والحديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه من قول القائل لبنيه عند موته احرقونى ثم انظروا يوما راحا اى ذا ريح شديدة فاذرونى فيه فوالله لئن قدر الله علىّ والرواية بتخفيف الدال من القدرة لا كما قال التلمسانى قدر يشدّد من التقدير ويخفف بمعنى ضيق فانه لو كان المروى كذلك لما كان اشكال هنالك (وفى رواية عنه) اى عن القائل وفى نسخة فيه اى فى الحديث وهو كذا فى تفسير ابن ابى حاتم (لعلى اضل الله) بفتح الهمزة والضاد وتكسر ورفع اللام المشدّدة اى افوته ويخفى عليه مكانى وقيل لعلى اغيب من عذاب الله تعالى من ضللت الشئ وضللته اذا جعلته فى مكان ولم تدر اين هو وضل الناسى اذا غاب عنه حفظ الشئ ومنه قوله تعالى ائذا ضللنا فى الارض اى خفينا وغبنا والمعنى اضل عنه اى اخفى واغيب منه على انه من باب نزع الخافض وايصال الفعل فيكون جاهلا بكمال علمه سبحانه وتعالى (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فغفر الله له) اى مع كون كلامه مشعرا بنفى القدرة فى الصورة المقدرة والمعنى فغفر الله له لعذره بجهله على ان قدر جاء بمعنى ضيق كما فى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه ومعنى الرواية الثانية اغيب عن عذاب الله تعالى لكن لا يخفى بعد هذه التأويلات عن قوله احرقونى وسائر المقالات والله تعالى اعلم بالحالات وتمام الحديث على ما فى الصحيح قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له (قالوا) اى هؤلاء العلماء (ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات) اى فتشوا عن معرفتها (وكوشفوا عنها) اى طلب منهم الكشف عن بيانها (لما وجد من يعلمها الا الاقل) من القليل (وقد اجاب الآخر) اى من العلماء الاوّلين (عن هذا الحديث بوجوه) خمسة (منها ان قدر مخففا) (بمعنى قدر) مشدّدا اى حكم وقضى (ولا) وفى نسخة فلا (يكون شكه فى القدرة على احيائه) بل فى نفس البعث الذى لم يعلم الا بشرع) دون عقل وطبع (ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا) وفيه انه لو كان شاكا فى بعثه لما اوصى بما يدل على كمال خوفه (فامامالم يرد به شرع) كالبعث (فهو من مجوزات العقول) بتشديد الواو المفتوحة فلا كفر بالشك فيه لعدم العلم به وهذا لا يخفى بعده لاطباق الانبياء والرسل على وجوب الايمان باليوم الآخر ووعد الثواب ووعيد العقاب حتى قال تعالى لآدم ومن معه فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون نعم قد يقال انه آمن ايمانا اجماليا وتقليدا عرفيا وما بلغه تفاصيل المؤمن به فوقع له الشك فى وقوعه او التوهم بدفع العذاب عنه على تقدير تصوّره (او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه) من وصية بنيه باحراقه (ازراء عليها) اى اهانة وتنقصا بها (وغضبا) عليها (لعصيانها) اوظن انه يتخلص بعذاب الدنيا من عقاب العقبى (وقيل انما قال ما قاله وهو قوله لئن قدر الله علىّ (وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه) اى لمؤدى مرامه (اى مما استولى عليه من الجزع) اى غلب عليه من شدّة الفزع (والخشية التى اذهلت) وفى نسخة اذهبت (لبه) اى اغفلت قلبه واشغلت عقله (فلم يؤاخذ به) فيعد من خطأه فى خطابه كقول من قال لربه فى غاية من الفرح انت عبدى وانا ربك (وقيل كان هذا القائل (فى زمن الفترة) اى انقطاع الرسالة كما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام فقيل ستمائة سنة وقيل خمسمائة وستون وقيل اربعون (وحيث ينفع مجرد التوحيد) كما فى زمن الجاهلية وهو ما بين اسماعيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام ولا يبعد ان يكون ممن نشأ بعيدا عن الخلق ولم تبلغه دعوة رسول الحق وعرف الله بعقله او بالنظر فى آيات الله من خلقه (وقيل بل هذا) القول (من مجاز كلام العرب) من اهل التدقيق (الذى صورته الشك ومعناه التحقيق) ويقال له مزج الشك باليقين وعد منه قوله ولكن ليطمئن قلبى واشار الى ذلك العارف ابن الفارض بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وهو يسمى) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى يدعى (تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم) اى العرب كقول بعضهم

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن ام ليلى من البشر

وكقولهم أوجهك هذا ام بدر مع علمهم بان الوجه غير البدر للمبالغة فى تحسين القدر والمعروف ان هذا للدلالة على

شدة الشبه بين المتناسبين فان خلاسؤاله عما يعلمه من الشبه لم يكن تجاهلا كما فى وما تلك بيمينك يا موسى بل هو استفهام تقرير اى حمل المخاطب على اقرار وتحرير بزعم قد يحمل عليه قول النسوة ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم اى كالملك فى الصورة والعصمة على وجه المبالغة (كقوله تعالى) اى المنزل على وفاقهم اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا (لعله يتذكر او يخشى) والمحققون على ان معناه لكى يتذكر او كونا على رجاء ان يتذكر (وقوله) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله (وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) والمحققون على ان هذا من ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان ليتأمل ويتفكر حتى يظهر له البرهان فى عالم العيان والا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيقن انه على هداية والمخاطبون على ضلالة ونظيره قول حسان بن ثابت الانصارى لابى سفيان ابن حرب قبل اسلامه

اتهجوه ولست له بكفوء * فشركما لخيركما فداء

فانه لاشبهة انه يريد بخيرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى تمثيله بما اورده من الكتاب مع تسميته له بتجاهل العارف نوع تهاون فى الآداب مع رب الارباب ولو قال كما فى المفتاح للسكاكى ويسمى مساق المعلوم مساق غيره لنكتة لكان اقرب الى صوب الصواب (فامامن اثبت الوصف ونفى الصفة) كالمعتزلة (فقال اقول عالم ولكن لاعلم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات) كقادر ولا قدرة له ومريد ولا ارادة له وحى ولا حياة له وسميع ولا سمع له وبصير ولا بصر له (على مذهب المعتزلة) تحرزا عن تعدد القدماء فانه كفر وهو مردود بان الكفر انما هو تعدد ذوات قدماء لاذات واحدة مع صفات متعددة على ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الصفات لا عين الذات ولا غيرها (فمن قال بالمآل) اى باخذهم بالمرجع (لما يؤديه اليه قوله) اى قول نافيه عالم ولا علم له (ويسوقه اليه مذهبه) من انه يلزم من نفى العلم نفى الوصف بعالم على وجه برهانى كما سيأتى بيانه (كفّر) بتشديد الفاء اى كفره كما فى نسخة واما ماضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف وتخفيف الفاء وكذا بصيغة المصدر فتصحيف واما مافى بعض النسخ من بدل فمن فتحريف والصواب فمن جواب اما لاقوله فقال كما يتوهم والله اعلم (لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم) عن موصوفه ضرورة انتفاء الوصف بالمشتق بانتفاء المشتق منه (اذ لا يوصف بعالم الا من له علم) اذ لا يعقل مثلا من العالم الا من له العلم وله معلوم يتعلق به علمه ولا تنافى بين كون العلم قديما وكون المعلوم حادثا كما قرر فى محله اللائق به (فكأنهم) اى المعتزلة (صرحوا عنده) اى عند القائل بالمآل (بما ادى اليه قوله) من لزوم نفى الوصف بالمشتق لنفى المشتق منه (وهكذا) الحكم عند هذا القائل بالمآل (سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم) اى بما يؤول اليه آخر مقولهم (ولا الزمهم موجب مذهبهم) بفتح الجيم اى مقتضى مافهم من فحوى كلامهم (لم ير اكفارهم) اى تكفيرهم (قال) اى من لم ير ماسبق (لانهم اذا وقفوا) بصيغة المجهول مشددا او مخففا اى اطلعوا (على هذا) الذى ذكرنا من ان مآل قولهم عالم ولكن لا علم له نفى علمه تعالى (قالوا لا نقول) على اصلنا (ليس بعالم) سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة عالم بعلم هو ذاته حى بحياة هى ذاته مريد بارادة هى ذاته لا عالم بعلم ومتكلم بكلام وحى بحياة زائدات على ذاته وهكذا فى بقية صفاته (ونحن ننتفى من القول بالمآل الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن) معشر المعتزلة (وانتم) اهل السنة (انه) اى ما آل اليه القول (كفر بل نقول ان قولنا) مثلا عالم ولكن لا علم له (لا يؤول اليه) اى انتفاء علمه سبحانه وتعالى اصلا (على ما اصلناه) بتشديد الصاد اى جعلناه اصلا وقاعدة فالخلاف لفظى فى المآل والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (فعلى هذين المأخذين) اى ممن رأى اخذهم بالمآل ومن لم ير اخذهم (اختلف الناس فى اكفار اهل التأويل واذا فهمته) اى التأويل على نسق مامر من الاقاويل (اتضح لك الموجب) اى الباعث (والسبب لاختلاف الناس فى ذلك) التكفير لاختلافهم فى مقام التقرير (والصواب ترك اكفارهم) كما عليه الجمهور من الائمة (والاعراض عن الحتم) اى حكم الجزم (عليهم بالخسران) المبين (واجراء احكام الاسلام عليهم) كسائر المسلمين من حرمة ايذاء وعصمة دم ومال الا بحق الاسلام (فى قصاصهم) لهم ومنهم وحدهم شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرا لهم ومنهم (ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم) فى جراحاتهم منهم ولهم (والصلاة عليهم) اذا ماتوا وخلفهم اذا اموا (ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم) فى الدنيا والدين (لكنهم يغلظ عليهم) تعزيرا لهم (بوجيع الادب) ضربا وحبسا (وشديد الزجر) من الطرد والهجر (حتى يرجعوا عن بدعتهم) وينزجر غيرهم بعبرتهم (وهذه) الحالات (كانت سيرة الصدر الاول) من صلحاء الامة (فيهم) اى فى حق اهل البدعة (فقد كان نشأ) بالنون اى ظهر وانتشا وابتدأ وفشا (على زمان الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر) وهو رأى المعتزلة كمعبد الجهنى ومن قال كما فى صحيح مسلم به

وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد (ورأى الخوارج) من خروجهم على على وتكفيرهم له وافترائهم عليه لقولهم انزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام وفى ابن ملجم ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حتى قال فيه كلبهم عمر بن حطان اذ قتل عليا

(ياضربة من تقى ما اراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا * انى لاذكره يوما فاحسبه * اوفى البرية عند الله ميزانا)

وعارضه بعض اهل السنة بقوله

(ياضربة من شقى لم يزل ابدا * بها عليه اله الحق غضبانا * انى لاعلم ان الله جاعله * اوفى البرية عند الله خسرانا)

(والاعتزال) لعل المراد به طائفة خاصة من المعتزلة (فما ازاحوا) بالزاى والحاء المهملة اى فما ازال الصدر الاول مع هجرهم (لهم قبرا) متبعدا منفردا متميزا عن مقابر المسلمين وفى نسخة قبورا (ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا) اى من مورثه مبتدعا او غيره (لكنهم هجروهم) فى الكلام والسلام والمقام والطعام (وادبوهم بالضرب والنفى) اى الاخراج من بلادهم او الحبس لدفع فسادهم (والقتل) لارباب عتوهم وعنادهم (على قدر احوالهم) واختلاف اقوالهم (لانهم) باعتقادهم ما يخالف الحق مما لا يكفرون به (فساق) لخروجهم عن طاعة الله (ضلال) عن الحق لعدم قبولهم (عصاة) اى اهل فساد وبغاة (اصحاب كبائر عند المحققين) من المجتهدين (واهل السنة) من علماء الدين (ممن لم يقل بكفرهم) اى بكفر ارباب الاراء الكاسدة واصحاب التأويلات الفاسدة (منهم) اى من العلماء المتقدمين (خلافا لمن رأى غير ذلك) من عدم هجرهم او لمن رأى اكفارهم وتحتم قتلهم والله الموفق للصواب (قال القاضى ابو بكر) الباقلانى (واما مسائل الوعد والوعيد فى قول المعتزلة) انه يجب عليه سبحانه وتعالى اثابة المطيع وتعذيب العاصى مع انه سبحانه وتعالى يقول يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقولهم يجوز خلف الوعيد لانه محض كرم مع انه تعالى قال ان الله لا يخلف الميعاد وقد جعلت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة مسماة بالقول السديد فى خلف الوعيد ردا على بعض اهل السنة حيث وافق المعتزلة (والرؤية) اى رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدار الآخرة انكرها المعتزلة (والمخلوق) اى الخلق كالمعقول بمعنى العقل اى خلق القرآن ومعناه ان القرآن مخلوق كما قالوه وقال الدلجى اى وانكر مخلوقيته له تعالى كالمفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومثلهم من انكر مخلوقية الشر له تعالى واثبتها للشيطان او غيره انتهى ولا يخفى ان هذا المعنى لا يلائم لانه كفر وزندقة والكلام فى اعتقادات اهل البدعة (وخلق الافعال) كالجبائى واشياعه حيث اثبتوها للعباد (وبقاء الاعراض) بانواعها وهو جمع عرض بفتحتين وهو فى اصطلاح المتكلمين مالا بقاء له كالالوان والاشكال والحركة والسكون والحق ماعليه الاشعرى واتباعه انه لا يبقى اكثر من زمن واحد لانها كلها على التقضى والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد امثالها كلما انقضى واحد تجدد مثله بمجرد ارادته تعالى بوقته الذى خلقه فيه وقد قال ابن عربى ببقاء الذوات ايضا وان بقاءها فى نظر الناظر انما هو بتجدد امثالها سريعا فى ادبارها واقبالها حتى تختفى حقيقة حالها ومآلها (والتولد) الذى قالته المعتزلة وهو ان حركة النظر مثلا فى الدليل تولد العلم بالنتيجة عقبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وقيل ان الآثار التى توجد عقيب افعال العباد بمجرى العادة كالالم عقيب الضرب والانكسار عقيب الكسر تسميها المعتزلة المتولدة بفتح الواو على صيغة المجهول ويزعمون انها حاصلة بايجاد العبد لا صنع لله تعالى فيها وقال اهل الحق انها حاصلة بايجاد الله تعالى واحداثه لا بفعل العبد واكتسابه والمسئلة معروفة فى اصول الكلام (وشبهها من الدقائق) التى يتوهمون انها من الحقائق كالقول بقيام العرض بالعرض وامثال ذلك مما اخذوها من كلام الفلاسفة والحكماء (فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح) اى اظهر واصح من القول باكفارهم (اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله تعالى) اى بذاته وصفاته وفيه بحث اذ الوعد والوعيد والرؤية والكلام والخلق من جملة العلوم المتعلقة بصفاته ولعله اراد انه ليس جهلا بوجوده على ماسبق فى كلامه اوليس جهلا عظيما مما لا يسامح ولا يساهل فيه ويشير اليه قوله (ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيأ منها) انتهى مانقله عن القاضى ابى بكر ثم قال المصنف (وقد قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا المرام) (ما اغنى عن اعادته) فى هذا المقام (بحول الله تعالى) ذى الجلال والاكرام

(فصل)

(هذا) الذى ذكر سابقا (حكم المسلم الساب) اى المتنقص (لله تعالى واما الذمى) وهو الكتابى الذى يعطى الجزية (فروى عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول) اى تكلم بما لا يجوز اقدامه عليه (من حرمة الله) اى مما لا يحل الوقوع فيه (غير ما هو عليه من دينه) اى من الكفر كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحوه (وحاج) اى جادل (فيه فخرج

ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب) وهذا اوضح لانه بتناوله ذلك خرج عن كونه ذميا هنالك (وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة) بالتاء (وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون من شتم الله من اليهود) سموا بذلك لقولهم هدنا اليك فيهود بمعنى يتوب وقيل لانهم نسبوا الى يهوذا بن يعقوب وهو بذال معجمة وعرب بالمهملة (والنصارى) سموا بذلك لقولهم نحن انصار الله وقيل لناصرية قرية (بغير الوجه الذى به كفروا) وفى نسخة كفر اى من اثبات الولد والصاحبة والتثليث (قتل ولم يستتب) اى لم تطلب منه التوبة بالاسلام (قال ابن القاسم الا ان يسلم) اى بنفسه فلا يقتل على ماسبق فى كلامه (قال فى المبسوطة طوعا) اى الا ان يسلم اختيارا لا جبرا (قال اصبغ) انما يقتل اذا لم يسلم مع انه ذمى (لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا) اى اعطوا العهد والذمة (من دعوى الصاحبة والشريك) للنصارى (والولد) لليهود والنصارى وفى اصل الدلجى وغيرها كشرب الخمر وبيعها اوضرب الناقوس انتهى ولا يخفى انها ليست مما كفروا بها (واما غير هذا) الذى عوهدوا عليه (من الفرية) على الله (والشتم) اى الانتقاص فى حقه سبحانه وتعالى (فلم يعاهدوا عليه فهو) اى صدوره عنهم (نقض للعهد) الذى عاهدوا (قال ابن القاسم فى كتاب محمد) اى ابن المواز وقال الدلجى لعله ابن سحنون وقال التلمسانى هو ابن المواز فقال نسبة للموز واختلف هل لقى ابن القاسم وابن وهب اولا والصحيح انه روى عنهما بواسطة (ومن شتم من اهل الاديان) الذين اعطى لهم الامان (الله تعالى بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم) اى طوعا عند المالكية ومطلقا عند الجمهور وبه قال بعضهم كما تقدم (وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة) بفتح الميم الاولى واللام (وابن ابى حازم) وهم من اصحاب مالك ورواة مذهبه (لا يقتل) اى من شتم الله (حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل) وهذا اوفق لقاعدتهم من ان حق الله تعالى مما يسامح بخلاف حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال مطرف) اى ابن عبد الله الفقيه (وعبد الملك) وهو ابن الماجشون (مثل قول مالك) اى فى كتاب ابن حبيب وغيره مما هنالك من انه يقتل ولا يستتاب (وقال ابو محمد ابن ابى زيد) اى القيروانى (من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم) كما قال ابن القاسم (وقد ذكرنا قول ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام وفى اخره موحدة وهو البغدادى الضرير (قبل) اى قبل ذلك (وذكرنا قول عبيد الله) اى ابن يحيى (وابن لبابة) بضم اوله (وشيوخ الاندلسيين) بفتح الهمزة وضم الدال وتفتح وبضمهما (فى النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به لله ولرسوله) متعلق بسبها ولعل المراد به اعلانها (واجماعهم على ذلك) اى على قتلها بفتياهم (وهو) اى اجماعهم المذكور (نحو القول الآخر فيمن سب النبى عليه الصلاة والسلام) اى اعلانا به (منهم) اى من الكفار (بالوجه الذى كفر به) فانه يقتل الا ان يسلم طوعا (ولا فرق فى ذلك) اى فى قتله بالوجه الذى كفر به (بين سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيأ من كفرهم ولا يسمعونا شيأ من ذلك فمتى فعلوا شيأ منه فهو نقض لعهدهم) وموجب لقتلهم فيظهر ان منشأ الخلاف بين الاقوال هو العهد به وعدمه فى الاحوال (واختلف العلماء فى الذمى اذا تزندق) باظهار دينه مبطنا عقيدة باطلة هى كفر اتفاقا (فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون) صاحب مالك (يقتل لانه) اى ما اضمره مما هو كفر اتفاقا (دين لا يقر عليه احد) وينبغى ان يكون هذا هو المعتمد (ولا يؤخذ عليه جزية) لكن انتقل من دين باطل الى مثله وفى شرح الدلجى قال الشافعى ولا يقر عليه فان لم يسلم بلغ المأمن وصار حربيا انتهى وهو فرع غريب والصواب انه حيث تزندق يقتل ولم تقبل توبته كمسلم تزندق بل هو اولى كما لا يخفى (قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره) من العلماء ان الذمى اذا تزندق يقتل مع ان وجهه ظاهر جدا لانه بتزندقه خرج عن كونه ذميا وصار حربيا بل ادون منه لانه يقبل اسلام الحربى اجماعا ولم تقبل توبة الزنديق عند كثير من العلماء

(فصل)

(هذا) الذى قدمنا (حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته) عظم شأنه (فاما مفترى الكذب عليه سبحانه وتعالى بادعاء الالهية) لنفسه اولغيره (او الرسالة) وكذا النبوة (او النافى ان يكون الله خالقه) او خالق غيره (او ربه) اى مربيه فى عالم ظهوره ومدبر جميع اموره (او قال ليس لى) اولغيرى (رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك) الذى ذكرناه كله (فى سكره) اى حال ذهاب عقله (او غمرة جنونه) اى شدته (فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله) وهذا يناقض قوله غمرة جنونه الا ان يحمل على غاية حماقته وسوء خلقه وسيجيء مزيد تحقيق لذلك فى كلامه (كما قدمناه لكن تقبل توبته على المشهور) من مذهب مالك الموافق للجمهور (وتنفعه انابته) اى رجوعه وتوبته (وتنجيه من القتل فيئته) بفتح الفاء وتكسر اى عودته وزواله عن عادته وسوء حالته (لكنه لا يسلم من عظيم النكال)

بفتح النون اى العقوبة الشديدة فى الدنيا (ولا يرفه) بفتح الفاء المشددة اى لا يخفف غمه ولا ينفس كربه (من) وفى نسخة عن (شديد العقاب) فى مذهب مالك (ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العود لكفره) مع علمه (او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته) اى عدم مبالاته (بما اتى به) فى حالاته (فهو دليل على سوء طويته) اى ضميره وفساد نيته (وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا يؤمن باطنه) لانقلابه (ولا يقبل رجوعه) لعدم ثباته (وحكم السكران) فى هذا الباب (حكم الصاحى) زجرا عليه قياسا على صحة طلاقه (واما المجنون) وهو المسلوب العقل وفى الحديث انه مر على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقالوا هذا مجنون فقال عليه السلام لا تقولوا مجنون انما المجنون المقيم على المعصية ولكن قولوا رجل مصاب قال التلمسانى وقيل صوابه لو قال المصاب الذى مس من جنون (والمعتوه) اى المصاب بعقله المخبط فى قوله وفعله الناقص فى شعوره (فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته) اى انغمائه (وذهاب ميزه) اى تمييزه (بالكلية فلا نظر فيه) اى بحكم (وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله) كملا (وسقوط تكليفه) بنقصان عقله (ادب على ذلك لينزجر عنه) اى عن عوده هنالك (كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه) اى يتابع مرارا (على ذلك حتى ينكف عنه) اى ينزجر منه (كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق) من جموح وعض ونحوهما (حتى تراض) بصيغة المجهول اى حتى يستقيم طبعها (وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من ادعى له الالهية) وهو عبد الله بن سبا واتباعه اذ قال له انت الاله حقا فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو فى السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا امير المؤمنين قالوا وسينزل ويملأ الارض عدلا انتهى ما ذكره الدلجى ولا يخفى المناقضة بين نقله وكلام المصنف وقال التلمسانى من ادعى له الالوهية فرقة من غلاة الروافض وهم من اتباع عبد الله ابن سبا وكان يزعم ان عليا هو الله وقد احرق على رضى الله عنه منهم جماعة زاد الانطاكى وقال على رضى الله عنه انى اذا رأيت امرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا (وقد قتل عبد الملك بن مروان) اى ابن الحكم ابن ابى العاص ابن ابى امية كان معاوية جعله على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وولاه ابوه مروان هجر ثم جعله الخليفة بعده وكانت خلافته بعد ابيه سنة خمس وستين توفى عبد الملك بدمشق سنة ست وثمانين (الحارث) اى ابن سعيد (المتنبى) الكذاب (وصلبه وفعل ذلك) اى مثل ذلك (غير واحد من الخلفاء) اى من بنى امية والعباسيين (والملوك) المتغلبين من الامراء والسلاطين (باشباههم) من الشياطين (واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف فى ذلك) الفعل (من كفرهم) اى من جهته (كافر) لجحده كفرهم (واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله) جعفر ابن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد (من المالكية) بيان لمن اجمع من فقهاء بغداد (وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج) وهو الحسين بن منصور الحلاج المشهور من اهل البيضاء بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق وصحب ابا القاسم الجنيد وغيره (وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول) كغيره من المتصوفة المتصفة بسمة الاسلام من الوجودية وغيرهم قالوا ان السالك اذا وصل فربما حل الله فيه كالماء فى العود الاخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو انا وانا هو ومع امتناعه حقيقة لصيرورة احد شيئين بعينه الاخر والاخر بعينه هو لحكم العقل ضرورة بدون احتياج الى حجة ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق واحدة اما اتصالية كجمع مائين فى اناء واحد او اجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما بطريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغليان هواء واحدا او استحالة اى تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا بياضا او عكسه وهذا كله فى حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وما للتراب ورب الارباب وانما هو انعكاس نور من انواره وسر من اسراره يلمع فى قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم انه حل فيه كما يتوهم الطفل انه يرى الشمس فى الماء (وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر) من حاله (بالشريعة) فيما نراه من اقواله وافعاله حتى قيل انه كعادته كل ليلة يصلى الف ركعة فى الحبس (ولم يقبلوا توبته) بمقتضى مذهب المالكية مع ان قوله انا الحق ليس بظاهر فى دعوى الالوهية لان الحق يأتى بمعنى الثابت وضد الباطل هذا وقد اعتذر الغزالى فى مشكاة الانوار عن الالفاظ التى كانت تصدر منه قيل ضرب الحلاج بامر المقتدر الف سوط وقطعت اطرافه وجز رأسه واحرقت جثته وكان ذلك نهار الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة قيل انه لما صلب جرى دمه فى الارض وينقش الله الله قال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى عثر الحلاج فلم يجد من يأخذ بيده ولو ادركته لاخذت بيده ويقال انه قال يوما للجنيد انا الحق فقال له الجنيد انت بالحق اى خشبة تفسد فكوشف فيه بما يؤول حاله من الصلب قال به بعضهم والدليل على صحة

باطنه انه كان يقطع يداه ورجلاه وهو يقول حسبى الواحد بافراد الواحد وقد زار قبره بعض اهل الكشف فرأى نورا ساطعا من قبره الى السماء فقال يارب ما الفرق بين قوله وبين قول فرعون انا ربكم الاعلى فالهم ان فرعون رأى نفسه وغاب عنا وهذا رأنا وغاب عن نفسه واستدل بعضهم على كفره بما حكى عنه انه كان يقول من هذب نفسه بالطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شائبة من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه الصلاة والسلام قيل ولا يريد بذلك ما يعتقده النصارى فى عيسى والله تعالى اعلم وانما اراد ان تكون افعاله كافعل الله تعالى كما يشير اليه الحديث القدسى والكلام الانسى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره ويده الحديث هذا وان صحت توبته فلا شك انه عاش سعيدا ومات شهيدا واما ما ذكره التلمسانى من انه وجد له كتاب كتبه الى اتباعه عنوانه من هو رب الارباب الى عبده فلان واتباعه كانوا يكتبون اليه ياذات الذات ومنتهى غاية اللذات نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور وانك الآن متصور فى صورة الحسين بن منصور ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب فلو صح هذا النقل لم يبق مجال ولو قد افرد ابن الجوزى ترجمته بالتأليف فى كراسين او اكثر (وكذا حكموا) اى فقهاء بغداد من المالكية (فى ابن ابى العزاقر) بمهملة فزاى وبعد الالف قاف فراء وفى نسخة بزيادة تحتية ساكنة بين القاف والراء وفى اصل التلمسانى بغين معجمة وراء فالف فقاف فياء فدال مهملة قال وروى العزاقيد بعين مهملة وزاى وآخره دال مهملة (كان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا) اى متأخرا عنه وفعل به مثل ما فعل بالحلاج واسمه ابو جعفر محمد بن على يقال له السمعانى نسبة الى قرية بنواحى واسط وكان ظهوره سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة احدث مذهبا فى الرفض ببغداد ثم قال بالتناسخ وحلول الالاهية فيه واضل جماعة فقبض عليه الوزير ابن مقلة (ايام الراضى بالله) ابى العباس احمد بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر (وقاضى قضاة بغداد يومئذ) وروى اذ ذاك (ابو الحسين ابن ابى عمر المالكى) وهو محمد بن يوسف المذكور قبل فاحضر الملعون فى مجلس الخلافة بحضرة القضاة والعلماء وحكم باباحة دمه واحراقه (وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد) اى لا زنديق فيستتاب فان تاب والا قتل (وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد) اى قال (فى العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه فهو كالمرتد وقاله) اى مثل مقاله (سحنون وغيره وقال) اى مثل ذلك (اشهب فى يهودى تنبأ) ولم يدع الرسالة (او ادعى انه رسول الينا) او الى غيرنا (ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل) ومفهومه انه ان كان مسرا لا يستتاب ويقتل لكونه زنديقا (وقال ابو محمد ابن ابى زيد فيمن لعن بارئه) اى خالقه خلقا بريئا من التفاوت (وادعى ان لسانه زل) اى زلق واخطأ (وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره) وهذا خلاف ما سبق من القول ولهذا قال (وهذا) اى الذى ذكرناه مبنى (على القول الآخر) بفتح الخاء او كسرها (من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى فى سكران) يصرف ويمنع (قال انا الله انا الله ان تاب ادب) ولم يقتل (فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين) المتسترين الكفر فى لباس منكر فيقتل ولا تقبل توبته والله ولى التوفيق

(فصــــل)

واما من تكلم من سقط القول) بفتح السين والقاف اى رديئه (وسخف اللفظ) بضم اوله اى دنيئه (ممن لا يضبط كلامه) لجهله (واهمل لسانه) لخفة عقله (بما يقتضى الاستخفاف) اى التهاون (بعظمة الله) اى ذاته (وجلالة مولاه) من جهة صفاته (او تمثل فى بعض الاشياء) اى جعله مثلا او شبها (ببعض ما عظم الله من ملكوته) كقول قائل

ابيت فلان كعبة الجود قائضا * يطوف به العافون يبغون نائله

(او نزع) بفتح الزاى اى اخذ (من الكلام لمخلوق) وخاطبه (بما لا يليق الا فى حق خالقه) كقول قائل لعظيم من الانام ياذا الجلال والاكرام وكما لو ناداه رجل باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك (غير قاصد للكفر والاستخفاف) اى الاستهانة بربه (ولا عامد للالحاد) من فساد الاعتقاد المقتضى للحلول او الاتحاد (فان تكرر هذا منه وعرف به) بانه يصدر عنه (دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه) وقلة يقينه (وجهله بعظيم عزته) اى غلبة ربه وبهائه (وكبريائه وهذا) الذى دل على تلاعبه (كفر لا مرية فيه) لتماديه واصراره على مقاله (وكذلك ان كان ما اورده يوجب) وفى نسخة يقتضى (الاستخفاف والتنقص) وروى التنقيص (لربه وقد افتى ابن حبيب) قال الحلبى الظاهر انه عبد الملك بن حبيب القرطبى وقد تقدم (واصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره معجمة (ابن خليل) يروى عن يحيى ابن يحيى الليثى ذكره الذهبى فى الميزان فقال متهم بالكذب مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين قال وحدثنى شيخ المالكية ابو عمرو السعدى انه بلغه ان اصبغ هذا قال لان يكون فى كتبى رأس خنزير احب الى من ان يكون فيها مصنف

ابى بكر ابن ابى شيبة او كما قال وروى اصبغ بن خليل هذا عن الغازى بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال صليت خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر ثنتى عشرة سنة وخلف عثمان ثنتى عشرة سنة وخلف على بالكوفة خمس سنين فلم يرفع احدهم يديه الا فى تكبيرة الافتتاح وحدها قال القاضى عياض فى المدارك فوقع فى خطأ عظيم بين من وجوه منها ان سلمة بن وردان لم يرو عن الزهرى ومنها ان الزهرى لم يرو عن الربيع بن خيثم ومنها قوله عن ابن مسعود صليت خلف على بالكوفة خمس سنين وقد مات ابن مسعود فى خلافة عثمان بالاجماع (من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخى عجب) وفى نسخة بابن من اخته عجب وعجب لا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوى لانه اسم عمة المعروف المذكور واسمه يحيى بن زكريا وقد تجبر وعتا (وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا) بالالف اى ظهر وفى نسخة بالهمز اى ابتدأ (الخراز) بخاء معجمة وراء مشددة وفى آخره زاى (يرش) بضم الراء وتشديد المعجمة (جلوده) وفى نسخة بحرف جر وما بعده بصيغة المصدر المضاف الى جلوده (وكان بعض الفقهاء بها) اى بقرطبة (ابو زيد) كان الظاهر ابا زيد ليكون خبر كان وكان بعض الفقهاء فى قوة من الفقهاء وهو محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن خارجة ولا يبعد ان يكون ابو زيد بدل بعض من بعض الفقهاء وخبر كان قوله (صاحب الثمانية) بمثلثة مضمومة وياء مشددة ولعلها بلدة او قرية وكان اميرا عليها او ابو زيد خبر مبتدأ محذوف اى هو يعنى ذلك البعض ابو زيد (وعبد الاعلى بن وهب) مات سنة احدى وستين ومائتين (وابان ابن عيسى) فعال او افعل فيصرف او يمنع والاكثر منعه (قد توقفوا عن سفك دمه) فلم يقدموا على شئ من قتل وعدمه (واشاروا الى انه) اى مقوله (عبث من القول) اى لعب ومزح فى تشبيهه (يكفى فيه الادب وافتى بمثله) اى بمثل ما اشاروا به (القاضى موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى) اى قتله متعلق بذمتى وفى عهدتى اطالب به يوم القيامة (ايشتم رب) وفى نسخة ربا (عبدناه ثم لا ننتصر له) اى لا ننتقم لاجل رضاه (انا اذا) بالتنوين اى ان لم ننصره (لعبيد سوء وما نحن له بعابدين) حق عبادته فى امر الدين (وبكى) بكاء الحزين قال الدلجى وان تعجب فعجب من ابن حبيب اذ افتى حين شهد على اخيه حين قال كما مر لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابابكر وعمر لم استوجب هذا كله بعدم قتله مع ما يتضمنه قوله من نسبة الجور والظلم اليه تعالى فكانه قال غاية امرى انى لو قتلتهما قتلت بهما ولم استوجب ما عاقبنى الله به فى مرضى هذا (ورفع المجلس) المنعقد لهذا القول (الى الامير بها) اى بقرطبة (عبد الرحمن بن الحكم الاموى) بفتح الهمزة وتضم نسبة الى بنى امية (وكانت عجب عمة هذا المطلوب) للقتل او التعزير (من حظاياه) بالظاء المعجمة اى من اقرب حلائله منه واسعدهن به (واعلم) بصيغة المجهول (باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه) اصبغ بن خليل (وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة) وفى نسخة بحضر (الفقيهين) اى ابنى حبيب وخليل (وعزل القاضى) موسى بن زياد (لتهمته بالمداهنة) اى المصانعة والملاينة (فى هذه القصة) وفى نسخة القضية (ووبخ) بتشديد الموحدة فخاء معجمة اى هدد (بقية الفقهاء وسبهم) لتوقفهم عن سفك دمه مع وضوح كفره (واما من صدرت عنه) وفى نسخة منه (الهنة) بتخفيف النون اى المقالة القبيحة (الواحدة والفلتة الشاردة) بفتح الفاء اى الزلة الصادرة النادرة (ما لم يكن تنقصا وازراء) اى احتقارا (فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها) بضم اوله اى شناعة مبناها وبشاعة معناها (وصورة حال قائلها وشرح سببها) الباعث عليها وفى نسخة سبيلها اى طريقها (ومقارنها) الذى جر الكلام اليها (وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا) بتفصيل معتقده (او قاله على وجه سفه) اى خطأ لا عن اعتقاد (فلا شئ عليه) اى من القتل ونحوه وفيه بحث فان ظاهره الكفر ولعله حمل الكلام على انه قابل ان يكون لبيك الاول جوابا له ثم قوله اللهم لبيك قاله التفاتا كما يقول كثير من الجهلة والعامة عند استلام الحجر اللهم صل على نبى قبلك وسببه انه سمع اللهم صل على نبى قبله وكذا صلى الله على نبى قبلك وكلاهما صحيح فلفق هذا القائل بين الكلامين من غير فرق لجهله بين المقامين والحاصل انه لا بد من ان يردع ويزجر هنالك ليكف عن ذلك (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وشرح قوله) اى لا شئ عليه (انه لا قتل عليه) لا انه لا يؤدب ولا يضرب بقدر ما يليق اليه (اذ الجاهل يزجر) عن عوده (ويعلم) ما يجهله (والسفيه) اى القليل العقل (يؤدب ولو قالها) اى المجيب كلمة لبيك اللهم لبيك (على اعتقاد انزاله) اى المجاب (منزلة ربه) الذى هو رب الارباب ورب العالمين من جميع الابواب (لكفر هذا) الحكم بكفره (مقتضى قوله) بحسب ظاهره وقيل هذا مقتضى قول ابن القاسم وقد بلغنى عن بعض الوجودية انه سمع نباح كلب فقال لبيك اللهم لبيك فهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح فان المستحب ان يقال لانسان نادى احدا فى جوابه لبيك كما ورد فى السنة بخلاف ما اذا سمع الانسان صوت كلب فانه يستحب له ان يتعوذ بالله فانه

انما ينبح اذا رأى شيطانا كما ثبت فى الحديث (وقد اسرف) اى تجاوز عن الحد (كثير من سخفاء الشعراء) اى جهلائهم (ومتهميهم فى هذا الباب) اى باب الديانة لكثرة ما وقع منهم من التهاون فى الامور والخفة (واستخفوا) اى استهانوا (عظيم هذه الحرمة) اى حرمة الله سبحانه وتعالى (فأتوا) اى سخفاء الشعراء (من ذلك) النوع من الكلام (بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا) وكذا اسماعنا وافهامنا (عن ذكره) لشناعة مبناه وبشاعة معناه (ولولا انا قصدنا) اى اردنا (نص مسائل) اى صريحها وفى نسخة قص مسائل اى حكايتها وروايتها (حكيناها) لبيان ما تتعلق به من روايتها (لما ذكرنا شيا منها) اعراضا عنها (مما ينقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول) المتقدمة (واما ما ورد فى هذا) الباب (من اهل الجهالة) بمنطق الصواب (واغاليط اللسان) فى ميدان البيان (كقول بعض الاعراب) مما لا يجوز نسبته الى رب الارباب (رب العباد) بالنصب على حذف حرف النداء (ما لنا وما لكا) اى لك والالف للاشباع وما فيهما للاستفهام وهو محل الجهالة فى الكلام لانه من كلام الاكفاء لا سيما وفيه قبح اشنع من الاول وهو ان ما استفهام انكار وهو مقام الاقوياء على الضعفاء (قد كنت تسقينا) بفتح اوله وضمه (فما بدا لكا) اى فما ظهر لك الان حتى ما تسقينا كذا بك معنا وهذا ايضا موضع الجهالة ومحل الضلالة لان البداء عيب فى الحال وهو على الله من المحال لانه فى اصله ان يفعل الانسان فعلا ثم يظهر له ما هو افضل منه وهذا يتصور من البشر لا من خالق القوى والقدر ولم يقل بالبداء الا اليهود قاتلهم الله أنى يؤفكون (انزل علينا الغيث لا ابا لكا) قال ابن الاثير هو اكثر ما يستعمل فى المدح اى لا كافى لك غير نفسك وقد يذكر ذلك فى معرض الذم وقد يذكر فى معرض التعجب ودفعا للعين انتهى وحاصله انه ليس بكفر صريح فى المبنى قال وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة مجدبة يقول رب العباد فذكره الى آخره فحمله سليمان على احسن محمل وقال اشهد ان لا اباله ولا صاحبة ولا ولدا انتهى وفيه ايماء الى انه من باب الاكتفاء قال التلمسانى ووقع فى كثير من كلام خيار المسلمين من الصحابة والتابعين ما هو على اصل لغة الحجاز فى استعمال المجاز ومنه قول ابى عامر الاشعرى وروى لعبد الله بن رواحة فاغفر فداك ما اقتفينا ووجه ذلك ان الفداء انما يكون فيمن تلحقه المقدرة والله سبحانه وتعالى منزه عنه فيحاشى منه واختلف فقيل على مجاز كلام العرب ومبناه ولا يلتفت الى حقيقة معناه وقيل اراد بالتفدية التعظيم لان الانسان لا يفدى الا من يعظم فيكون فيه معنى التجريد او معناه ابذل نفسى ومن يعز على فى رضاك وقيل روى فاغفر لنا فداك ما اقتفينا وهو بين ويحتمل ان قوله فاغفر البيت ليس من الكلام الاول وانما هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه انه سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يغفر له ما قصر فى حقه والقيام به والتفدية عليه صحيحة ومنه

فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم فداء

(فى اشباه لهذا) الشعر (من كلام الجهال) نثرا ونظما (ومن) اى ومن كلام من (لم يقومه) اى يعدله (ثقاف تأديب الشريعة) بكسر المثلثة وبالقاف اى ما يسوى ويقوم به الرماح ثم استعير للزواجر التى ورد بها الشرع (والعلم فى هذا الباب) المتعلق بتعظيم رب الارباب (فقلما يصدر) مثل ذلك (الا عن جاهل يجب تعليمه) على الناس كما يجب عليه تعلمه (وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله) وهذا التأديب على نسق الترتيب كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن (قال ابو سليمان الخطابى وهذا تهور من القول) اى مبالغة فى المجاوزة عن الاستقامة (والله تعالى منزه عن هذه الامور) لانه سبحانه وتعالى كما ورد يحب معالى الامور ويبغض سفسافها (وقد روينا) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا وقيل مشددا (عن عون بن عبد الله) ابن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد (ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه فى كل شىء) من طيب وخبيث بل يخصه بالطيب فان الله طيب يحب الطيب وقد قال تعالى الطيبات للطيبين (حتى لا يقول اخزى الله الكلب وفعل) اى الله (به كذا وكذا) من المكروهات (وكان بعض من ادركنا من مشايخنا) المالكية (قلما يذكر اسم الله) ما مصدرية لا نافية كافة كما اختاره التلمسانى (الا فيما يتصل بطاعته وكان) اى ذلك البعض (يقول للانسان) اذا دعا له (جزيت خيرا) بصيغة المجهول (وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن) اى يستعمل بكثرة (فى غير قربة) ولا يخفى ان الدعوة للاخ المسلم قربة وقد ورد من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن اسامة ونظير هذا ما ذكره التلمسانى عن ابن عرفة فى تفسيره ان بعضهم كان يكره ان يقال للسائل يفتح الله تنزيها لاسم الله تعالى ان يذكر لمن يكره سماعه وانما يقول ما حضر لك فى الوقت شىء او نحوه اقول السائل لم يكره سماع اسم ربه نعم انما يكره حرمانه وهو يحصل باى مقال يقال فى جوابه فالدعاء اولى له فانه ربما يفرح به بدعائه اكثر من عطائه ثم قيل لابن عرفة قال المفسرون فى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة

من

من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ان القول الميسور هو ان يقول لهم رزقنا الله واياكم من فضله فقال ابن عرفة الكراهة لا تنافى الاباحة انتهى وفساده ظاهر لا يخفى لان الامر فى الآية للاستخفاف والكراهة غير ثابتة فى هذا الباب (وحدثنا الثقة) اى بعض من اثق به فى الرواية (ان الامام ابا بكر الشاشى) قال الحلبى الظاهر انه محمد بن على ابن اسماعيل القفال الكبير الشافعى والشاش مدينة بما وراء النهر قال العبادى فيه افصح الاصحاب قلما واثبتهم فى دقائق العلوم قدما واسرعهم بيانا واثبتهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا توفى فى سنة خمس وستين وثلاثمائة (كان يعيب على اهل الكلام) اى علماء اصول الدين (كثرة خوضهم فيه) اى فى ذاته (تعالى وفى ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء) اى اهل الكلام (يتمندلون بالله) اى يتداولونه ويتناولونه كالمنديل بكثرة تداول السنتهم له فى الاقاويل (جل) اى جلاله (وعز) كماله وهذا مخالف للكتاب والسنة حيث قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفى الحديث اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون رواه احمد فى مسنده وابو يعلى الموصلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعبه عن ابى سعيد وفى رواية لاحمد اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون انكم مراؤون وقد ورد من احب شيأ اكثر ذكره رواه الديلمى عن عائشة رضى الله عنها والاحاديث فى هذا اكثر من ان تذكر وقد صح عن رئيس اهل التحقيق ابى بكر الصديق ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله ولله در القائل

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

هذا وعن بعض التابعين انه كانت له بضاعة يتجر فيها فقيل له فى ذلك فقال لولاها لتمندل بى بنو العباس اى لابتذلونى بالتردد اليهم لطلب ما لديهم واغرب منه قوله (وينزل) اى الشاشى (الكلام) وفى نسخة بصيغة المجهول (فى هذا الباب) اى باب كثرة الكلام فى اسمه سبحانه وتعالى (تنزيله فى باب ساب) وفى نسخة سب (النبى صلى الله عليه وسلم على الوجوه التى فصلناها) من قتله وصلبه وحبسه وضربه وفيه انه لا ملائمة بين من تمندل بالله ومن سب نبيه نعم يلزم على زعم هذا القائل ان المحدثين لكثرة خوضهم فى ذكر سيد المرسلين ينزلون فى باب سب النبى وحاشاهم من ذلك لهم التوهم تبتهم هنالك بل هذا القائل هو الاحق بان يلحق بمن سب الحق عند المحقق (والله الموفق) ثم ذم السلف الكرام اهل الكلام من حيث انهم يتعلقون بذات الله تعالى وصفاته العلية بالادلة العقلية والقواعد الفلسفية وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وورد عنه عليه الصلاة والسلام لا تتفكروا فى ذات الله وتفكروا فى مصنوعاته وقد بسطت الكلام على هذا المرام فى شرح الفقه الاكبر فتأمل وتدبر

(فصل)

(وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته) اى جميعهم (واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به) من وحيهم وفعلهم (او انكرهم) اى وجودهم (وجحدهم) اى نزولهم كقول مالك بن الصيف ما انزل الله على بشر من شىء حين قال له النبى عليه الصلاة والسلام أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فمن صدر منه شىء من ذلك فحكمه (حكم نبينا على مساق ما قدمناه) اى نهجه وسبيله فى وجوب قتله كفرا ان لم يتب وحدا ان تاب كما هو مذهب مالك فى هذا الباب (قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله) بشرا او ملكا (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) ايمانا وكفرا (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد وكالنصارى كفروا بمحمد (الآية) اى ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا متوسطا بين الايمان والكفر اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (وقال تعالى) باعتبار الخطاب العام (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا) اى من القرآن (وما انزل) اى من الصحف (الى ابراهيم الآية) واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اى اولادهم واحفادهم من الانبياء وما اوتى موسى وعيسى من التوراة والانجيل وما اوتى النبيون من ربهم كالزبور لداود (الى قوله لا نفرق بين احد منهم) فى الايمان لا فى التفضيل (وقال) اى الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون (كل) اى كلهم او كل واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ايمانا اجماليا قائلين (لا نفرق بين احد من رسله) بل نؤمن بكلهم ونعتقد ان بعضهم افضل من بعض وان نجهل تفضيل بعضهم (قاله) وفى نسخة قال (مالك فى كتاب ابن حبيب ومحمد) هو ابن المواز كما جزم به الحلبى وقال الدلجى لعله ابن سحنون (وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم) وفى نسخة وابن عبد الملك (واصبغ) اى ابن الفرج (وسحنون فيمن شتم الانبياء) اى عموما (او احدا منهم) اى خصوصا (او تنقصه قتل ولم يستتب) اى اذا كان مسلما (ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى كفروا به) وفيه

انه ليس سب الانبياء فى وجه من الوجوه التى كفروا بها فلا يحتاج الى هذا القيد الزائد على ما قبله (ضرب عنقه
الا ان يسلم) وفى المبسوطة قيده بقوله طوعا (وقد تقدم الخلاف فى هذا الاصل) اى فيمن سب الله تعالى بغير هذا الوجه
فقال ابن القاسم فى كتاب محمد الا ان يسلم كما هنا وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن سلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى
يستتاب مسلما او كافرا فان تاب والا قتل وهذا هو الصواب ولكن لا يخفى ان الذمى بسب الله او احد من انبيائه
يخرج عن كونه ذميا ويصير حربيا فان اسلم سلم والا قتل فليس قوله تاب على ظاهره من التوبة عن سبه مع بقائه
على ذمته (وقال القاضى بقرطبة) بضم القاف والطاء (سعيد بن سليمان) وفى نسخة ابن عبد الرحمن (فى بعض
اجوبته) لبعض اسئلته (من سب الله او ملائكته او انبياءه قتل) اى مطلقا الا ان يسلم (قال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة) معينا او مبهما (فعليه القتل) واجب (وفى النوادر) لابن ابى زيد (عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ
بالوحى) بتأديته الى محمد (وانما كان النبى على بن ابى طالب استتيب فان تاب والا قتل) لكفره بافترائه على امين الوحى
وتجهيله الله سبحانه وتعالى وانكار نبوة محمد واثبات نبوة على (ونحوه عن سحنون) منقول (وهذا) القول بتخطئة
جبريل (قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبى اشبه بعلى من الغراب بالغراب) والذباب بالذباب
وقد ابطلنا اقوالهم فيما سبق من باب الكتاب (وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم) المعتمد عندهم وجمهور اهل العلم
(من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه) اى تبرأ من احد منهم (فهو مرتد) يقتل ان لم يتب
(وقال القابسى فى الذى قال لآخر كانه) اى وجهه (وجه مالك) اى خازن النار وفى نسخة وجه ملك (الغضبان
لو عرف) من قرائن قاله او حاله (انه قصد ذم الملك قتل) بخلاف ما اذا اراد تشبيهه به من حيث الهيبة والخشية (قال
القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وهذا كله فيمن تكلم فيهم) اى فى الانبياء والملائكة (بما قلناه على جملة الملائكة
والنبيين) اى عموما او اجمالا بان شتم نبيا او ملكا غير معين (او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين مما نص
الله تعالى عليه) اى على كونه نبيا او ملكا (فى كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر) بفتح الهاء وكسرها اى
المشهور عند ائمة الحديث (المتفق عليه) اى على صحته (بالاجماع) الظاهر او بالاجماع (القاطع) اى مما لا خلاف فيه
انه منهم (كجبريل وميكائيل) قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وفيهما قراآت معروفة
(ومالك) فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك (وخزنة الجنة وجهنم) فى قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام
عليكم وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم (والزبانية) فى قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية من الزبن وهو الدفع
(وحملة العرش) فى قوله تعالى الذين يحملون العرش وهم ثمانية فقيل صفوف وقيل الوف وقيل صنوف وقيل ثمانية
انفس وقيل هم الآن اربعة وتزيد يوم القيامة اربعة وهو ظاهر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
(المذكورين فى القرآن) كما حررنا مواضعها فى البيان (من الملائكة) المسطورين (ومن سمى فيه من الانبياء) اى كآدم
وادريس ونوح وهود وصالح ولوط وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود
وسليمان وايوب وزكريا ويحيى وعيسى ويونس والياس واليسع وذى الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكذا شيث بن
آدم كما هو مشهور (وكعزرائيل) المعبر عنه فى القرآن بملك الموت فى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم
وهو بفتح اوله ممدودا ويقال عزريل بكسر العين وكسر الراء (واسرافيل) وهو صاحب الصور المكنى عنه بقوله
ونفخ فى الصور (ورضوان) بكسر الراء وضمها اى خازن الجنة (والحفظة) المعبر عنهم بقوله سبحانه وتعالى كراما كاتبين
(ومنكر) بفتح الكاف واما كسره فمنكر (ونكير) الفتانان فى القبر من الملائكة (المتفق) على وجودهم عند العلماء بناء
(على قبول الخبر بها) لاجل كثرة طرقه التى كادت ان تكون متواترة وفى نسخة بهما وفى اخرى بهم (فاما من) وفى نسخة
ما (لم يثبت الاخبار بتعيينه) انه نبى او ملك (ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة والانبياء كهاروت وماروت)
المعدودين (فى الملائكة) على خلاف فيهما هل هما ملكان بالفتح او ملكان بالكسر بناء على القراءتين والاظهر انهما
من الملائكة (والخضر) اختلف فى كونه وليا او نبيا والاظهر الثانى (ولقمان) قيل كان نبيا وقيل حكيما وهو الاظهر
وكان عبدا حبشيا وقيل نوبيا وقيل كان ابن اخت داود وقيل ابن خالته (وذى القرنين) فقيل رجل صالح وهو قول
على وقيل نبى وروى عن عمر وقيل انه ملك بكسر اللام وسمى بذلك لانه بلغ قرنى الدنيا وهما المشرق والمغرب وقيل
كان له قرنان صغيران تواريهما عمامته وقيل لانه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات ثم حيى ثم دعاهم فضربوه
على قرنه الآخر فمات وقيل لانه كريم الطرفين من ابيه وامه وقيل كان يقاتل بيده وركابه وقيل علم علما باطنا وظاهرا
وقيل دخل الظلمة والنور وقيل لانه عاش مضى قرنين روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه أنبى كان ام لا فقال
لا ادرى رواه الحاكم فى مستدركه وكذا قال عليه الصلاة والسلام فى عزير على ما رواه ابو داود والحاكم وكذا دانيال

مختلف فى نبوته (ومريم) ابنة عمران لقوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على
نساء العالمين ونحو ذلك وكذا ام موسى ويشير الى نبوتها قوله تعالى واوحينا الى ام موسى والمحققون على ان المعنى
الهمنا لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم وفيه بحث على مذهب الفرق بين النبوة والرسالة (وآسية)
ابنة مزاحم امرأة فرعون وابنة عمه وقيل هى عمة موسى عليه السلام لكن لا اعرف احدا قال بنبوتها ولا دليلا
على ثبوت نسبتها (وخالد بن سنان) بسين مكسورة وهو العبسى بموحدة منسوب ابنى عبس قوم من العرب وكان
بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كان خالد بن سنان نبى بنى عبس مبشرا برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها
واسلمت فقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه اهله وسمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله احد فقالت كان ابى يقولها
(المذكور انه نبى اهل الرس) بتشديد السين المهملة اى البئر غير المطوية قيل كذبوه ورسوه اى دسوه فيها حتى مات
وقيل نبيهم حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء اعظم طير كانها سميت عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلا لهم
وتخطف صبيانهم اذا اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاخذتها صاعقة فقتلوه فاهلكوا والمشهور عند الجمهور ان
اصحاب الرس المذكور فى القرآن قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس
فانهارت فخسف بهم وبديارهم واما قوم تبع فقال قتادة هو تبع الحميرى كان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند
وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وله قصة طويلة
ذكرها البغوى فى المعالم وهو اول من كسا البيت وقد آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث بسبعمائة عام
وقد ثبت حديث فى مسند احمد عن سهل بن سعد مرفوعا لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم وحديث آخر برواية ابن ابى
شيبة عن ابى هريرة مرفوعا ما ادرى تبع كان نبيا او غير نبى وفيما ورد من الاحاديث الواردة عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم فى حق بعضهم ما ادرى أهو نبى او غير نبى دليل جليل على صحة الايمان الاجمالى وايماء الى تحقيق ما ورد من ان
لا ادرى نصف العلم ومتمسك للمجتهدين فى توقفهم فى بعض مسائل الدين (وزرادشت) بزاى مفتوحة وتضم فراء
فالف ودال مهملة مضمومة وقيل معجمة مفتوحة فشين معجمة ساكنة ففوقية ممنوع وهو صاحب كتاب المجوس
(الذى تدعى المجوس والمورخون نبوته) وينسبون اليه اصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة وقيل انه كان نبيا
وان اتباعه غيروا شريعتهم كاليهود والنصارى غيروا شرائعهم وابدعوا بدائعهم (فليس الحكم فى سابهم او الكافر
بهم) لكون الخلاف فى نبوتهم (كالحكم فيمن قدمناه) ممن اتفق على نبوتهم او رسالتهم (اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة)
قطعا بل ظنا (ولكن يزجر من تنقصهم) وآذاهم بلسانه (ويؤدب بقدر حال المقول فيه) وفى نسخة فيهم اى ضعفا وقوة
من جهة الادلة (لا سيما من عرفت صديقيته) اى ولايته (وفضله) اى صلاحه (منهم وان لم تثبت نبوته) بدليل قاطع
(واما انكار نبوتهم) لكون الخلاف فى نبوتهم (او كون الآخر) كهاروت وماروت (من الملائكة) ام لا فاجمع
جوابه مفصلا (فان كان المتكلم فى ذلك من اهل العلم) اى علم الشريعة من الكتاب والسنة اذ لا عبرة بغيرهم فى هذه
المسئلة (فلا حرج عليه) اى فى انكاره ونفيه عن علم ودليل او نقل (لاختلاف العلماء فى ذلك) لكن لا يخفى ان
الاحوط فى حقه ان لا ينفيه ولا يثبته لئلا يدخل فى الانبياء من ليس بنبى ولا يخرج نبى منهم فانه فى خطر عظيم
بل ينبغى ان ينقل الخلاف ويرجح ما ظهر عنده او عند غيره (وان كان) المتكلم فى ذلك (من عوام الناس زجر عن
الخوض فى مثل هذا) الكلام (فان عاد ادب اذ ليس له الكلام فى مثل هذا) الكلام لئلا ينجر الى ما يرد عليه من الملام
(وقد كره السلف) الكرام (الكلام فى مثل هذا) المقام (مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة) وفيه بحث لان العلماء
هم الذين يبينون مراتب الانبياء وعلمهم كله عمل بل خير عمل كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على
العابد كفضلى على ادناكم فالعلم اما فرض عين او كفاية فهو افضل من عبادة نافلة ولكون نفع هذا قاصرا ونفع
الاول متعديا واما العامة فينبغى لهم السكوت عما لا يدرون

(فصـــل)

واعلم ان من استخف بالقرآن) اى بمبناه او معناه او باهله الوارد فى حقهم ان اهل القرآن اهل الله وخاصته ١
(او المصحف) بضم الميم وكسرها والاول اشهر وفى القاموس بتثليث الميم من اصحف بالضم اذا جعلت فيه الصحف
انتهى ولعل الكسر على انه آلة والفتح على انه اسم مكان والضم على انه اسم مفعول وقد كفر الوليد بسبب اهانة المصحف
فانه روى انه فتحه يوما فوضع بصره على قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فامر بالمصحف فنصب غرضا
ورماه بالنبل حتى تمزق وانشد

اتوعد كل جبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

والوليد هذا هو الذى ورد فيه انه فرعون هذه الامة ونزلت آيات كثيرة فى حقه من المذمة (اوبشئ منه) كورق اولوح اودرهم مسطور فيه (اوسبهما اوجحده) اى انكر القرءآن كله (اوحرفا منه) فى القرآآت السبع (اوآية) ولو كانت حرفا (اوكذب به) اى بالقرءآن جميعه (اوبشئ منه اوكذب بشئ مما صرح به) اى بذلك الشئ (فيه) اى فى القرءان (من حكم) كامر ونهى (اوخبر) عن سابق اولاحق (اواثبت ما نفاه اونفى ما اثبته على علم منه بذلك) اى دون نسيان اوخطأ (اوشك فى شئ من ذلك فهو كافر عند اهل العلم) قاطبة (باجماع) لا خلاف فيه (قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز) اى بديع اومنيع (لا يأتيه الباطل) اى الناسخ الذى يبطله اويدفعه (من بين يديه) اى من قدامه (ولا من خلفه تنزيل) منزل (من حكيم) اى ذى حكمة فى احكامه واقواله (حميد) محمود فى ذاته وصفاته وافعاله (حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله تعالى ثنا ابو على) الغسانى (ثنا ابن عبد البر) حافظ الغرب (ثنا عبد المؤمن القرطبى (ثنا ابن داسه) راوى سنن ابى داود عنه (ثنا ابو داود) السجستانى صاحب السنن ومحدث العصر (ثنا احمد ابن حنبل) امام اهل السنة (ثنا يزيد بن هارون) هو ابو خالد السلمى الواسطى احد الاعلام (ثنا محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وعن ابى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى وجماعة (عن ابى سلمة) احد الفقهاء السبعة عند اكثر علماء الحجاز (عن ابى هريرة) قال الحلبى وفى كلام بعض متأخرى الحنفية المصر بين انه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثة واربعين قولا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المرآء) بكسر الميم مصدر بمعنى المماراة (فى القرءآن كفر) ورواه الحاكم ايضا وفى رواية لا تماروا فى القرءآن فان المرآء فيه كفر (تؤول) بصيغة المجهول اى فسر المرآء (بمعنى الشك) ومنه قوله تعالى فلا تك فى مرية (وبمعنى الجدال) ومنه قوله تعالى فلا تمار فيهم الا مرآء ظاهرا وقد قال تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقال ابن الاثير تبعا للهروى المماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع قال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف فى التأويل ولكنه على الاختلاف فى اللفظ وهو ان يقرأ الرجل على حرف فيقول الآخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء بهما فاذا جحد كل واحد قرآءة صاحبه لم يأمن ان يكون ذلك يخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه ثم التنكير فى مرآء ايذان بان شيأ منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جاء هذا فى الجدال والمرآء فى الآيات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذهب اهل الكلام واصحاب الاهوآء والارآء دون ما تضمنته من الاحكام وابواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من العلماء الاعلام وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز (وعن ابن عباس) كما رواه ابن ماجه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل) اى اجمالا لا آية منهما لاحتمال كونها محرفة اولا تكون فيهما اصلا وذلك لقوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان وكان حقه ان يقول والزبور لقوله تعالى وآتينا داود زبورا وقربه القرءآن ايضا وكذا صحف ابراهيم مذكورة بالخصوص (وكتب الله المنزلة) اى بعمومها الواجب الايمان مجملا بتمامها (اوكفر بها) اى كلها اوبعضها (اولعنها) اى شتمها (اوسبها) اى عابها (اواستخف بها) اى اهانها (فهو كافر) واما لوجحد آية من التوراة اوالانجيل ففيه خطر لاحتمال كونها منهما فيكفر اولا تكون منهما لما وقع من التحريف فيهما فلا يكفر ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقد قال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون اى منقادون للحق تابعون للصدق (وقد اجمع المسلمون ان القرءآن المتلو) على السنة اهل الايمان (فى جميع اقطار الارض) اى اطرافها واكنافها (المكتوب فى المصحف) اى جنسه من المصاحف (بايدى المسلمين) احتراز عما قد يوجد فى ايدى غيرهم من الملحدين فربما يزيدون اوينقصون فى امر الدين (مما جمعه الدفتان) بتشديد الفاء وهما ما يضمه من جانبيه (من اول الحمد لله رب العالمين) برفع الحمد على الحكاية ويجر بالكسر على الاعراب (الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ايماء الى ان تنكيس القرءآن ليس سنة بل بدعة ولعله لم يذكر البسملة لانها ليست من القرءآن فى مذهب مالك لكنه لا شك انها مما بين الدفتين للاجماع على ان الصحابة كتبوا البسملة فى اوائل كل السور الا برآءة ولهذا ذهب المحققون من ائمتنا الحنفية

انها آية من القرءآن انزلت للفصل ولا بدع ان يراد بالحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة فتشمل البسملة الفاتحة ولكن يأباه ان الكلام فى التكفير فالقدر المتعلق به هو الذى بينه فى مقام التقرير والاحاديث فى باب البسملة متعارضة مع كونها آحادا فلا تفيد القطع وانما توجب الظن ولهذا اختلف العلماء فى مسئلة البسملة والله سبحانه وتعالى اعلم (وان جميع ما فيه حق) اى ثابت وصدق (وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك) النقص (اوبدله بحرف آخر مكانه ولولم يغير شانه (اوزاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الاجماع) اى كتابة وقرآءة (واجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى وجزم وعزم (على انه ليس من القرءآن عامدا) اى لا سهوا ولا نسيانا (لكل هذا) الذى ذكر من النقصان والزيادة (انه كافر) الا القرآآت الشاذة التى ثبتت فى الجملة بحسب الرواية بشرط ان لا يلحقها بالمصاحف فى الكتابة (ولهذا) الذى ذكرنا من ان جميع ما فى القرءآن حق (رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية) اى الافك (لانه خالف القرءآن) اى بعضه النازل فى برآءة ساحة عائشة ان تكون فاحشة (ومن خالف القرءآن) اى اعتقادا لا عملا (قتل لانه كذب بما فيه) من آيات دالة على برآءتها وانما اكتفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحد القذف على قاذفيها لما صدر عنهم قبل برآءة ساحتها فحينئذ لا وجه لتخصيص مالك فان اجماع العلماء على ذلك (وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل) لتكذيبه قوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وهذا مجمع عليه وانما الكلام فى معنى الكلام من النفسى وغيره بين اهل السنة والمعتزلة (وقاله) اى قال به ونص عليه ايضا (عبد الرحمن بن مهدى) من اصحاب الشافعى قال التلمسانى مهدى مفعول وكره مالك التسمية بمهدى قال وما علمه بانه مهدى واباح التسمية بالهادى وقال لان الهادى هو الذى يهدى الطريق انتهى ولا يخفى ان المهدى ايضا هو الذى يهدى الى الطريق وما علمه بانه هاد وليس بمهدى ومن اين له حمل المهدى على الهداية الشرعية وحمل الهادى على الدلالة اللغوية اوالعرفية على ان الاسماء كلها تسمى على جهة التفاؤل والتبرك والا لما كان يصح لاحد ان يسمى محمودا ومحمدا اواحمد ولا عليا ولا فاطمة ولا عائشة وامثال ذلك (وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان) بكسر الواو وتفتح وهما سورة الفلق والناس (ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب) لنفيه لهما منه مع ثبوتهما فى المصاحف العثمانية التى وقع عليها اجماع الامة قال النووى فى شرح المهذب اجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة فى المصحف قرءآن وان من جحد شيأ منها كفر وما نقل عن ابن مسعود فى الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه قال ابن حزم فى اول كتابه المحلى هذا كذب على ابن مسعود وانما صح عنه قرآءة عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود وفيها الفاتحة والمعوذتان انتهى واما ما روى عن عبد الله بن احمد فى زوآئد المسند ان ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله فالجواب على وجه الصواب ما قال ابن الباقلانى انه لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرءآن انما انكر اثباتهما فى المصحف لانه كانت السنة عنده ان لا يثبت الا ما امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثباته ولم يبلغه امره به وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرءآنا واجيب ايضا بانه كان يقول ذلك فلما رأى المصاحف التى كتبت فى زمن عثمان وفيها اثباتهما رجع عن ذلك ويؤيد هذا ما سبق عن ابن حزم واما ما اجاب بعضهم عنه بان عاصم ابن بهدلة المذكور فى المسند وان قرنه البخارى بعبدة فهو فى الحديث دون الثبت ثقة فى القرآءة فغير مستقيم لانه راوى القرآءة عن ابن مسعود وهذه الرواية من متعلقات القرآءة هذا وفى جواهر الفقه من انكر المعوذتين من القرءآن غيرمأول كفر انتهى وقال بعض المتأخرين كفر ولو اول والاول هو المعول (وكذلك) اى كفر (من كذب بحرف منه) اى من القرءآن فيقتل الا ان يتوب (قال) اى ابن سحنون (وكذلك ان شهد شاهد) اى واحد (على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه) اى على من قال ذلك (انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا) فان مؤداهما واحد وهو تكذيب بعض القرءآن وهذا التعليل اولى من قوله (لانهما اجتمعا على انه كذب النبى) وفى نسخة تكذيب للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما نقله عن الله سبحانه وتعالى (وقال ابو عثمان الحداد) قال الدلجى وقد يقع فى بعض النسخ ابو عثمان ابن الحداد بزيادة ابن والصواب والله تعالى اعلم سقوطه (جميع من ينتحل التوحيد) اى ينتسب اليه ويدعى اعتقاده (متفقون) على (ان الجحد بحرف من التنزيل) اى القرءآن الكريم والفرقان القديم (كفر وكان ابو العالية) احد ائمة القرآآت (اذا قرأ عنده رجل) اى بقرآءة لم يعرفها (لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا) وهذا من كمال احتياطه فى ورعه (فبلغ ذلك) القول من ابى العالية (ابراهيم النخعى او التيمى (فقال اراه) بضم الهمزة اى اظنه (سمع انه) اى الشأن (من كفر) اى جحد (بحرف منه فقد كفر به كله) لان الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله بخلاف الايمان ببعضه فانه لا يقوم مقام الايمان بكله (وقال عبد الله

ابن مسعود) كما فى مصنف عبد الرزاق (من كفر باية من القرءآن فقد كفر به كله) وهذا كمن كفر برسول
فقد كفر بالرسل كلهم (وقال اصبغ بن الفرج) المصرى (من كذب ببعض القرءآن فقد كذب به كله ومن كذب به
فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله) اى بكلامه (وقد سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف) اليهودى
(له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد) اى واحد (ثم شهد آخر انه) اى الآخر (سأله)
اى من خاصم (عن القضية) فى الكيفية (فقال) اللاعن الملعون (انما لعنت توراة اليهود) التى يتدارسونها
بينهم (فقال ابو الحسن) القابسى (الشاهد الواحد لا يوجب القتل) اى ولو حمل على اطلاقه ولم يقبل قصده (والثانى
علق الامر بصفة) اى خاصة ناشئة عن الاضافة (يحتمل التأويل) لهذا القيل (اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم) وفيه ان الظاهر من هذه الاضافة اختصاصهم بها واما كونهم لا يتمسكون بها
فلا دخل له فيما نحن فيه من انه اهان كتاب الله وقد سمى الله سبحانه كتابهم مع علمه بتحريفهم وتغييرهم كتاب الله فى قوله
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم
لا يعلمون فلو فرض ان بعض هذه الامة المحفوظة الحافظة للكتاب والسنة حرفوا بعض القرءآن وغيروه فقال احد
الشاهدين لعن القرءآن وقال آخر لعن قرءآن المسلمين فلا تشك انه كافر على ان الاحكام مبنية على الاكثر فتأمل وتدبر
مع ان اليهود كلهم ما غيروا التوراة ولا بدلوها وانما كان بعض علمائهم نقلوا عنها ما لم يثبت فيها او تصرفوا فى معانيها
دون مبانيها (ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا) اى عن التعليق (اضاق التأويل) الاولى لما احتمل
التأويل والله ولى التوفيق (وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ) بمعجمة مفتوحة ونون ساكنة كما صرح به
الحلبى والتلمسانى وقيل بفتحها فموحدة مضمومة وذال معجمة وهو غير منصرف للعجمة والعلمية كما جزم به الحلبى واغرب
التلمسانى فى قوله يجرى ولا يجرى وهو اسم اعجمى وضبطه الدلجى بنون مشددة وفى القاموس محمد بن احمد بن شنبوذ
بفتح الشين والنون مجاب الدعوة وعلى بن شنبوذ وكلاهما من القراء انتهى والمراد به هنا ما ذكره الحلبى وتبعه التلمسانى
من انه ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ (المقرى احد الائمة المقرئين المتصدرين بها) اى ببغداد (مع
ابن مجاهد) متعلق باتفق وهو امام جليل فى علم القراءة (بقراءته) اى ابن شنبوذ بنفسه (واقرائه) اى لغيره (بشواذ من
الحروف) اى من القراءات التى لم يثبت تواترها ومع هذا (مما ليس فى المصحف) وهو احد اركان القراءة والثانى موافقة
العربية والثالث وهو الاصل المعتمد المدار عليه وهو نقل المتواتر قال التلمسانى كان اماما دينا لا ينكر موضعه من
العلم وكان فيه سلامة الصدر وممن يرى جواز القراءة بالاختيار مما يجوز فى العربية وان لم ينقل ذلك عن السلف
وكان يقرأ بها فى المحراب ويقرئ بها بعض الاصحاب (وعقدوا) اى الفقهاء مع ابن مجاهد مجلسا بالحكم (عليه بالرجوع
عنه) اى عن فعله من القراءة والاقراء بالشواذ (والتوبة منه) فيما بقى من عمره وهذا لا ينافى جواز رواية الشاذة
فان الفرق بين القراءة والرواية واضح عند ارباب الدراية (سجلا) اى وسجلوا عليه (انه اشهد فيه بذلك على نفسه
بالرجوع عنه وبالتوبة منه (فى مجلس الوزير ابى على ابن مقلة) بضم الميم (سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة) قال ابن
خلكان كان ابن شنبوذ من مشاهير القراء واعيانهم قيل كان كثير اللحن قليل العلم تفرد بقراءات من الشواذ فانكرت
عليه وبلغ امره الوزير محمد بن مقلة الكاتب فاعتقله بداره واستحضره هو والقاضى ابا الحسين عمر بن محمد وابا بكر احمد
ابن موسى بن مجاهد المقرى وجماعة من اهل القراءات فاغلظ القول عليهم فامر الوزير بضربه فضرب سبع درر فدعا على
الوزير بان يقطع الله يده ويشتت شمله وكان الامر كذلك ثم كتب محضرا بما كان يقرؤه واستتيب ان لا يقرأ الا بمصحف
امير المؤمنين عثمان وكتب خطه فى آخره واطلق فخشى عليه من العامة فاخرج الى المداين ثم عاد الى بغداد سرا
ولم يزل بها الى ان توفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (وكان فيمن افتى عليه) مع فقهاء بغداد (بذلك) اى بالرجوع
(ابو بكر الابهرى) المالكى وهو بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وقيل بفتحتين وسكون الهاء نسبة الى بلد
عظيم بين قزوين وزنجان وبليدة بنواحى اصفهان وجبل بالحجاز (وغيره) من العلماء المالكية وغيرهم (وافتى ابو محمد
ابن ابى زيد) القيروانى (بالادب فيمن قال لصبى) يتعلم القرءآن (لعن الله معلمك وما علمك وقال) اى اللاعن (اردت سوء
الادب) اى فى الاداء (ولم ارد القرءآن) وفى التسامح عنه نظر اذ قوله وما علمك بعيد عن هذا التأويل بل ظاهر فى طعن
التنزيل فينبغى ان يستتاب الا ان ثبت لحن فقيه الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (قال ابو محمد) اى ابن ابى زيد
(اما من لعن المصحف) اى صريحا (فانه يقتل) اى اجماعا

(فصل)

(وسب آل بيته) وفى نسخة آل النبى وفى نسخة اهل بيته اى اقاربه (وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام

ملعون

ملعون فاعله) اى مذموم وملام قائله (حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل العدل) وهو ابن خيرون (ثنا ابو يعلى) المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر
السين المروزى (ثنا ابن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى راوى الجامع عن الترمذى وشارح القدورى على ما ذكره
الانطاكى (ثنا الترمذى) هو الحافظ ابو عيسى صاحب الجامع (ثنا محمد بن يحيى) الظاهر انه الذهلى ابو عبد الله
النيسابورى (ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة) وفى نسخة بالتصغير (ابن ابى رائطة) بالهمز قبل الطاء المهملة قال
الحلبى هو بفتح العين وكسر الموحدة نص عليه غير واحد من الحفاظ منهم ابن ماكولا فى اكماله والذهبى وضبط
فى بعض النسخ بضم العين وهو خطأ انتهى وقال التلمسانى فى اصل المؤلف عبيدة بالتصغير وصوابه عبيدة بالفتح
وبه ذكره الدارقطنى وهو كوفى نزل البصرة يروى عن عاصم ابن ابى النجود وغيره عن عبد الرحمن بن زياد قال المزى
فى الاطراف يقال انه اخو عبد الله بن زياد (عن عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء
المفتوحة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله) بنصبهما وكرر للتأكيد اى اتقوه او راعوه او راقبوه
او احفظوا عهده او احذروا عقابه (فى اصحابى) اى من جهتهم (الله الله فى اصحابى) وهذا تأكيد بعد تأكيد ووضع
الظاهر موضع الضمير للمبالغة فى التحذير وكان الخطاب لمن بعدهم من القرون او لبعضهم من المنافقين او للعامة
والمراد باصحابه الخاصة كما يشير اليه ياء الاضافة (لا تتخذوهم غرضا) اى هدفا للعن او الطعن (بعدى) اى فى غيبتى
او بعد موتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب محبته اياى (احبهم) او بسبب محبتى اياهم ويؤيد الاول قوله (ومن ابغضهم
فببغضى ابغضهم) ولا يخفى ان المرتد تبطل صحبته بردته ولو صحت توبته (ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى
الله) اى خالفه فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) اى يعاقبه فى الدنيا او العقبى (وقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا تسبوا اصحابى) المشتملين على اقاربى وازواجى واحبابى (فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا) اى توبة او نافلة (ولا عدلا) اى فدية او فريضة وقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى
الله عنه مرفوعا من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من
سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى (وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابى فانه يجئ قوم) وروى
اقوام (فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم) ان ماتوا للعبرة وهذا محمول على ما اذا قام بها البعض (ولا تصلوا
معهم) ان صلوا اماما فانهم اهل بدعة (ولا تناكحوهم) اى ديانة (ولا تجالسوهم) اى من غير ضرورة (وان مرضوا
فلا تعودوهم) مبالغة فى الاهانة والظاهر ان النهى فى هذا الحديث للتنزيه (وعنه عليه الصلاة والسلام من سب
اصحابى فاضربوه) روى الطبرانى عن على كرم الله وجهه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد اى ضرب
وهذا فرق حسن بين الانبياء والصحابة وفى معناهم العلماء والاولياء وهو قول الجمهور واما قتل من سب الصحابة
كما قال به بعضهم فانما يحمل على السياسة فى الشريعة وسد باب الذريعة على ما بينته فى رسالة مستقلة ولما كان فيها
بعض الاطالة اختصرتها وسميتها السلالة (وقد اعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من سبهم وآذاهم يؤذيه واذى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام) بل كفر (فقال لا تؤذونى فى اصحابى) اى لاجل اذاهم (ومن آذاهم فقد آذانى)
اى فكأنه آذانى (وقال لا تؤذونى فى عائشة) اى خصوصا فانها احب الزوجات وقال الانطاكى قوله لا تؤذونى
فى عائشة الخطاب لام سلمة وتمام الحديث فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة (وقال فى فاطمة) لانها
احب البنات بضعة منى بفتح الموحدة وتكسر اى قطعة منفصلة منى (يؤذينى ما آذاها) وروى البخارى عن المسور
فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى (وقد اختلف العلماء فى هذا) اى ساب الصحابة (فمشهور مذهب مالك) رحمه
الله الموافق للجمهور (فى ذلك الاجتهاد) فى ايقاع النكال لدفع الفساد (والادب الموجع) لا لاصلاح العباد (قال
مالك رحمه الله من شتم النبى) اى جنس الانبياء (قتل ومن شتم اصحابه ادب) اى جلد وضرب وقد تقدم الحديث
بذلك (وقال) اى مالك (ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية
او عمرو بن العاص) وسقط او عليا من اصل الدلجى فقال ولم يذكر المصنف عليا لان محبيه كثيرون انتهى ولا يخفى
ان الكثرة انما هى بالنسبة الى معاوية وعمرو بن العاص لا بالاضافة الى من قبله فقد اختلفت المبتدعة فى حب على
كالروافض وبغضه كالخوارج (فان قال) شاتمهم (كانوا) اى الصحابة كلهم (على ضلال وكفر) عطف تفسير (قتل)
لتكذيبه القرءآن فيما اثنى عليهم لقوله رضى الله عنهم وحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث لو انفق
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اى نصفه (وان شتمهم) اى كلهم او بعضهم (بغير هذا) الذى ذكر
(من مشاتمة الناس نكل) بصيغة المجهول مشددا او مخففا اى ردع وزجر وعوقب (نكالا شديدا وقال ابن حبيب

من غلا) اى تجاوز عن الحد وتعدى (من الشيعة) او الخوارج (الى بغض عثمان والبرآءة منه) اى والى التبرى من محبته
(ادب ادبا شديدا او من زاد) اى الى ذلك كما فى نسخة اى ضم اليه (بغض ابى بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد) اى كمية
وكيفية (و يكرر ضربه) بقدر زيادة بغض صحبه عليه الصلاة والسلام وحزبه (ويطال سجنه) اى مدة حبسه (حتى
يموت ولا يبلغ به) اى فيه (القتل الا فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والا فى انكار صحبة ابى بكر وكذا فى صحة
خلافته المجمع عليها ولا عبرة بمخالفة الشيعة فيهما وكذا اذا قيل له قل رضى الله عنهم فابى فانه كالانكار لما فى القرآن
(وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما) كمعاوية وعمرو
ابن العاص (يوجع) بصيغة المجهول مخففا او مشددا (ضربا) بالنصب على التمييز وانما خص عليا وعثمان بالذكر
لان الخوارج قالوا بتكفيرهما بناء على قواعدهم الفاسدة واصولهم الكاسدة ولم يختلفوا فى تعظيم الشيخين للاجماع
على خلافتهما وعدم ما يقتضى هتك حرمتهما فمن كفرهما كفر خلافا للروافض ولا عبرة بقولهم المناقض بل التحقيق ان
اصل مذهب الشيعة ليس تكفيرهما بل ينسبونهما الى المخالفة فى امر الخلافة بناء على انهم يفضلون عليا عليهما وانما
اللعن والتكفير صدر من غلاتهم ولعل هذا معنى ما روى من ان سب الشيخين كفر المفهوم منه ان سب غيرهما ليس
كذلك لتفاوت رتبتهما هنالك واما معاوية واتباعه فيجوز نسبتهم الى الخطأ والبغى والخروج والفساد واما لعنهم فلا
يجوز اصلا بخلاف يزيد وابن زياد وامثالهما فان بعض العلماء جوزوا لعنهما بل الامام احمد بن حنبل قال بكفر يزيد
لكن جمهور اهل السنة لا يجوزون لعنه حيث لم يثبت كفره عندهم وعلى التنزل فلعله مات تائبا ولهذا قالوا لا يجوز
لعن كافر بعينه الا اذا ثبت كفره وقوله عليه بدليل قطعى من كتاب او سنة كفرعون وابى لهب وابى جهل وامثالهم
والله تعالى اعلم وبما قررنا اندفع اعتراض الدلجى بان هذا مخالف لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا اى الصحابة
على ضلال وكفر قتل فان المراد بهم اما جميعهم او اكابرهم (وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن سحنون فيمن قال فى ابى بكر
وعمر وعثمان وعلى انهم) اى كلهم (كانوا فى ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم) اى غير الخلفاء الاربعة (من الصحابة)
كمعاوية وغيره (بمثل هذا) القول (نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة) اى
قذفها (قتل قيل له) اى لمالك (لم) اى لاى شئ يقتل بسبها وقد قلت فى ابيها يجلد من سبه وهو بالاجماع افضل منها
(قال) اى مالك (من رماها) اى قذفها (فقد خالف القرآن) النازل ببرآءة ساحتها فعلم بهذا انه لو شتمها احد بغير
القذف لم يجب قتله وهذا اذا سب ابا بكر مع اقراره بصحبته فانه لو انكرها الكفر لانكاره القرآن على ما سبق به البيان
واما اذا قذف احدى سائر الازواج الطيبات فلا يكفر لعدم ورود برآءتهن فى الايات (وقال ابن شعبان عنه) اى عن
مالك (لان الله يقول يعظكم الله) اى يحذركم (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر)
وفيه ايماء الى ان من قذفها قبل الوعظ لم يكفر وانما حد حد القاذف (وحكى ابو الحسين الصقلى) بفتح اوله وبكسر
وبسكون القاف قال الحلبى نسبة الى صقلية جزيرة بالمغرب وقال الدلجى بفتح المهملة والقاف وقال التلمسانى بكسر
الصاد والقاف واللام مشددة وبفتح الصاد والقاف واللام مشددة (ان القاضى ابا بكر بن الطيب) اى الباقلانى
المالكى امام المتكلمين (قال ان الله تعالى اذا ذكر ما نسب اليه المشركون) من الشريك والولد والصاحبة والبنات
(سبح نفسه لنفسه) وفى نسخة بنفسه (كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة) كقوله تعالى
ويجعلون لله البنات سبحانه وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
(وذكر تعالى ما نسبه المنافقون) فيه تغليب اذ الذى تولى كبره هو ابن ابى بن سلول رئيس المنافقين وقد تبعه بعض
المؤمنين كحسان ومسطح وحمنة وغيرهم (فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) المأفوك عليها
(سبحانك سبح نفسه فى تبرئتها من السوء) المنسوب اليها (كما سبح نفسه فى تبرئته من السوء) وما ذاك الا لجلالة مقامها
العلى فى رفيع صحبة النبى (وهذا) القول من الباقلانى (يشهد لقول مالك) ولا اعرف احدا يخالفه فى ذلك (فى قتل
من سب عائشة) اى قذفها (ومعنى هذا) القول بقتل من قذفها (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (ان الله لما عظم سبها)
اى بالافترآء عليها المسمى بالافك (كما عظم سبه تعالى) بالافترآء عليه حيث قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
وانهم لكاذبون (وكان سبها سبا لنبيه) فيه بحث لا يخفى على النبيه لان سبها ليس سبا لنبيه فى حقيقة الكلام ولا يلزم
من قذفها قذفه عليه الصلاة والسلام ولهذا لم يقتل من قذفها قبل نزول برآءتها بل جعل قذفها حينئذ كقذف
سائر اهل الاسلام فى عموم الاحكام فالكفر الموجب للقتل انما هو لمخالفة القرآن ولهذا اختصت عائشة الصديقة
بهذا الاجلال فى الطريقة وبهذا اعلم معنى بقية كلامه من قوله (وآذاه) اى وقرن اذى نبيه (باذاه سبحانه وتعالى) اى
فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة (وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذى نبيه

كذلك كما قدمناه) ولا يخفى ان ذلك لو اجرى على حقيقته لكان سب كل احد من اهل بيته كفرا موجبا لقتل هنالك
والامر على خلاف ذلك لانه لم يقصد بذلك اذاه صلى الله تعالى عليه وسلم وفرق بين ان يقع شئ اصالة وقصدا وبين
ان يقع تبعية وضمنا فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق (وشتم رجل عائشة) اى بغير القذف (بالكوفة فقدم) اى
فاحضر الشاتم (الى موسى بن عيسى العباسى فقال من حضر هذا) المجلس او هذا الرجل حين شتم قال التلمسانى
ويروى من خصم (فقال ابن ابى ليلى انا) وهو احد المجتهدين وقد تولى القضاء ولعل هذا هو الموجب للاكتفاء (فجلد)
اى الشاتم (ثمانين جلدة وحلق رأسه) اى تعزيرا (واسلمه) اى تركه وفى نسخة وسلمه (للحجامين) يعذبونه باخراج دمه
لزيادة سياسة فى امره (وروى) كما فى تاريخ الخطيب وابن عساكر (عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان ابنه
عبيد الله) بالتصغير (ابن عمر اذ شتم المقداد) بكسر الميم (ابن الاسود) تبنيا فان اباه غيره (فكلم) بصيغة المجهول اى
فشفع عمر (فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا بعد) اى بعد ذلك (من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم) وحيث منعوه ولم يقروه حتى يفعل لا يكون اجماعا فلا يجوز قطع لسان من سب صحابيا وانما اراد عمر تخويفه
او السياسة (وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى يهجو الانصار فقال) اى عمر (لولا ان له) اى للاعرابى
(صحبة) اى سابقة له عليه الصلاة والسلام (لكفيتكموه) من شره بما يليق بامره ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزى
فى كتاب الخوارج عن ابى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقات ذكره الدلجى (وقال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكر بعض معايبهم وغفل عن جملة مناقبهم ولم يعرف انهم السابقون فى الايمان
ولم يعمهم بالاستغفار والرضوان (فليس له فى هذا الفيء) الذى يعم المسلمين (حق) اى حصة ونصيب لانه (قد قسم الله
الفيء فى ثلاثة اصناف فقال للفقرآء) بدل لا من لذى القربى وما بعده وان المبدل منه فى حكم الطارح او الشامل لهم
ولغيرهم (المهاجرين) الى المدينة (الآية) الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اى فى ايمانهم ومعرفتهم او فى تصحيح نية هجرتهم (ثم قال والذين) عطفا على
للفقرآء (تبوؤا الدار) اى سكنوا المدينة واتخذوها دار الوطن والقرار (والايمان) اى واختاروا واخلصوا (من قبلهم)
اى قبل هجرة اهل الاسلام اليهم (الآية) اى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اى ضرورة ومجاعة (وهؤلاء هم الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم) اى من
التابعين واتباعهم الى يوم الدين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) من المهاجرين والانصار
خصوصا (الآية) اى ولا تجعل فى قلوبنا غلا اى حقدا وحسدا للذين آمنوا عموما ربنا انك رؤف رحيم بالمؤمنين فى
الدنيا والاخرى (فمن تنقصهم فلا حق له فى فيء المسلمين) بل يخرج عن دآئرة المؤمنين لحصرهم فى الاصناف المذكورين
(وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد) وفى نسخة احد (منهم) اى من الصحابة (انه ابن زانية وامه مسلمة) جملة
حالية (حد عند بعض اصحابنا) المالكية (حدين حدا له وحدا لامه) لعله اراد بالاول التعزير مبالغة فى التحذير
(ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة) نحو يا اولاد الزنى ويا ابناء الزانيات لغيرهم حيث تتداخل الحدود جملة وذلك
الفرق (لفضل هذا) الصحابى (على غيره ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابى فاجلدوه) اى فاضربوه
كما فى رواية تقدمت (قال) اى ابن شعبان (ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد الفرية) اى الكذب (لانه)
اى قذف ام احدهم ولو كانت كافرة (سب له) اى لولدها الكريم فيستحق به التأديب الاليم (فان كان احد من
ولد هذا الصحابى) اى اولاده واحفاده (حيا) وابوه ميتا (قام) مقامه (فيما يجب له) من استيفاء الحد (والا فمن قام به
من المسلمين) حسبة فى مرامه (كان على الامام) او نائبه (قبول قيامه قال) اى ابن شعبان (وليس هذا) الحكم
المذكور (كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء) الصحابة (بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم) احياء وامواتا (ولو سمعه
الامام) اى السلطان او نائبه (واشهد عليه كان) اى الامام (ولى القيام به) اى بالحد (قال) اى ابن شعبان (ومن سب
غير عائشة من ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقذف احداهن (ففيها) اى ففى المسألة او ففى حقها (قولان
احدهما يقتل لانه سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته) وفى نسخة بسبب سب حليلته وهى
زوجته من الحلول وهو النزول لانها تحل معه حيث حل او هو يحل بها حيث حلت وقيل من الحلال ضد الحرام فيشمل
السرية (والآخر انها) اى حليلته (كسائر الصحابة) رجالهم ونسائهم (يجلد حد الفرية) وفى نسخة حد المفترى
(قال) اى ابن شعبان (وبالاول) وهو القول بالقتل (اقول) وهذا بعيد عن الاصول فتأمل فانه يلزم منه عدم الفرق
بين عائشة المبرأة بالكتاب وبين غيرها والله تعالى اعلم بالصواب (وروى ابو مصعب عن مالك فمن سب من انتسب
الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من جهة القرابة والنسب المعروف وفى بعض النسخ عن مالك من انتسب

الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى الى اولاده وظهر انه ليس منهم (يضرب ضربا وجيعا ويشهر) من الشهرة وهو الظهور ومعناه يطاف به فى الاسواق (ويحبس طويلا) من الزمان (حتى تظهر توبته) اى آثارها عند الاعيان (لانه استخفاف بحق الرسول عليه الصلاة والسلام وافتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة) بفتح اللام والقاف وقال التلمسانى قاعدة بلدة بالعدوة اعادها الله تعالى دار اسلام (فى رجل انكر تحليف امرأة) وجه عليها يمين واريد تحليفها (بالليل) لكونها مخدرة فامتنع الرجل عن تحليفها بالليل (وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق) اى فرضا وتقديرا (ماحلفت) وفى نسخة بصيغة المجهول (الا بالنهار وصوبه بعض المتسمين بالفقه) اى المتصفين به نظرا الى انه اراد المبالغة فى النفى لا الاهانة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن شفع لسارقة حيث قال له لو كانت فاطمة لقطعت يدها وذلك لانه سبحانه وتعالى عمم الحكم بين الخاص والعام فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ولا تجوز الشفاعة فى الحدود (فقال ابو المطرف ذكر هذا) الكلام (لابنة ابى بكر فى مثل هذا) المقام (يجب عليه) به (الضرب الشديد والسجن الطويل) اى الحبس المديد (والفقيه الذى صوب قوله احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر) وفى نسخة ولا يؤخر (ولا تقبل فتواه ولا شهادته) وهذا من المجازفة فى الكلام فان غايته انه اخطأ فى فتواه والمجتهد قد يخطئ ولا يفسق ولا ترد شهادته بالاجماع (وهى) اى فتواه (جرحة) بضم الجيم اى طعنة (ثابتة فيه ويبغض فى الله) اى لاجل رضاه وهذا كله نشأ من حظ نفس ابى المطرف ومتابعة هواه ومن عدم الاطلاع على الحديث الذى قدمناه (وقال ابو عمران) اى القابسى (فى رجل قال لو شهد على ابو بكر الصديق) حذف سببه وجوابه لظهورهما عنده (انه) اى الشأن (ان كان) اى القائل (اراد ان شهادته فى مثل هذا الحكم) وفى نسخة فى مثل ما اى حكم او الحكم (لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه) وهو ظاهر كلامه ومرامه من المبالغة (وان كان اراد غير هذا) المعنى الذى ذكر مما يقتضى اهانته فرضا (فيضرب ضربا) اى شديدا (يبلغ به) بصيغة المجهول اى يوصل بضربه (حد الموت) او يبلغ هو بالضرب الموت وفى اصل الدلجى وذكروها اى مقالة ابى عمران رواية عن مالك او غيره من اصحابه وهذا رد على ابى المطرف فى شدة جوابه (قال القاضى ابو الفضل) وهو المؤلف (هنا انتهى القول بنا فيما حررناه) اى قدمناه وقررناه (وانتجز) بالنون والجيم والزاى اى تم وانقضى (الغرض الذى انتحيناه) بالحاء المهملة اى قصدناه وملنا نحوه واعتمدناه (واستوفى) بصيغة المجهول اى استكمل (الشرط الذى شرطناه) فيما اوردناه من الاقسام الاربعة التى اردناها (مما ارجو ان يكون) وفى نسخة ان بتشديد النون اى الشأن (فى كل قسم منه للمريد) اى لمن يريده (مقنع) يقنع به ويرضاه ويكتفى به عما سواه (وفى كل باب منهج) اى طريق واسع (الى بغيته) بكسر اوله وبضم اى طلبته وحاجته (ومنزع) اى حجة لمن يحتج به فى قضيته (وقد سفرت) بفتح الفاء للمتكلم اى كشفت واوضحت (فيه عن نكت) جمع نكتة وهى حكمة دقيقة (تستغرب وتستبدع) اى تعد غريبا وبديعا عجيبا لقلة استعمالها وفقد احوالها (وكرعت) اى وشربت شربا خاصا حيث تناولت من الحوض شربا بما حصل لى من التوفيق (فى مشارب من التحقيق) اى التحرير بالتدقيق (لم يوردها قبل) اى لم يذكرها قبل ذلك (فى اكثر التصانيف مشرع) اى مورد به ينتفع (واودعته) اى ضمنته (غير ما فصل) ما صلة للمبالغة فى الكثرة والمعنى اودعته فى فصول كثيرة واغرب الانطاكى فى قوله اى غير فصل واحد وهذا الفصل هو الذى حكى القاضى المؤلف فيه ما وقع من الزنادقة واهل الاهواء الضالة بعض الالفاظ الشنيعة الشنيعة (وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت وتمنيت (لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه او مقتدى) وفى نسخة او مفيدا (يفيدنيه) اى يفيدنى ذلك (عن كتابه او فيه) اى عن فمه وهو تجنيس تام مع ما قبله (او تلفيق) وهو المركب والمتشابه (لاكتفى بما ارويه) من الرواية اى اخبره (عما ارويه) من التروية وهو تجنيس محرف واغرب الانطاكى فى قوله هو من رويت الحبل اذا غلظت قواه وهو كناية عن بسط الكلام فيه (والى الله تعالى) لا الى غيره (جزيل الضراعة) اى كثير الخضوع والخشوع والاستكانة (فى المنة) اى فى طلبها او قبولها (بقبول ما منه) اى بقبول شئ وقع من عنده لطفا (لوجهه) فضلا (والعفو) بالرفع (عما تخلله) اى تداخل فى خلاله مما يخل بكماله (من تزين) اى تكلف (وتصنع لغيره) اى لغير وجهه سبحانه من رياء او سمعة او حظ نفس وشهوة (وان يهب لنا ذلك) اى على تقدير تقصير هنالك (بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه) اى لاجل ما اوردناه فيه وبيناه (من شرف مصطفاه وامين وحيه وما) اى ولاجل ما (اسهرنا به) اى بسببه (جفوننا) اى عيوننا (لتتبع فضائله) ونشر شمائله (واعملنا) اى اتعبنا واعملنا (فيه خواطرنا) اى عقولنا وسرائرنا (من ابراز خصائصه) اى اظهارها (ووسائله) التى يتوسل بها الى اغراضنا (وان يحمى اعراضنا) اى ارواحنا واشباحنا (عن ناره الموقدة) التى تطلع على الافئدة (لحمايتنا كريم عرضه عليه الصلاة والسلام) من الكلام المترتب

عليه الملام (ويجعلنا) اى الله سبحانه وتعالى (ممن لا يذاد) بضم اوله من الذود وهو الطرد اى ممن لا يدفع ولا يمنع (اذا ذيد) مجهول ذاد اى طرد (المبدل) لدينه بعد موت نبيه (عن حوضه ويجعله) اى وان يجعل هذا المؤلف وما يتبعه من المصنف (لنا) معشر المسلمين الحاضرين (ولمن تهمم) اى اعتنى واهتم (باكتتابه واكتسابه) ولو بشرائه (سببا) اى وسيلة (يصلنا باسبابه) التى لا انفصام لها فى بابه (وذخيرة) اى نتيجة مدخرة محفوظة عنده سبحانه وتعالى (نجدها) حاضرة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) بنفعها فى يوم الجمع محضرا (نحوز) اى نظفر ونفوز (بها رضاه وجزيل ثوابه) الذى هو لقاه (ويخصنا بخصيصى) بكسر الخاء وتشديد الصاد المكسورة وفى آخره الف مقصورة قال التلمسانى و يمد وهو خطأ مصدر بمعنى الخصوصية وقيل اسم مبالغة فى التخصيص اى بمن هو من خواص (زمرة نبينا وجماعته وان يحشرنا فى) وفى نسخة مع (الرعيل) اى الجمع (الاول) من اهل السعادة فى الازل وهم علماء اهل السنة والجماعة وقيل هم الزمرة الاولى التى تدخل الجنة بغير حساب فيكون قوله (واهل الباب الايمن) الذى هو الاحسن والازين (من اهل شفاعته) من قبيل عطف التفسير وقد ورد فى حديث الشفاعة ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة جعلنا الله منهم من كمال الفضل والمنة (ونحمده) اى نثنى عليه بما يوافى نعمه ويكافى كرمه (على ما هدى) اى دلنا (اليه من جمعه والهم) من عزمه (وفتح البصيرة) الباطنية (لدرك) بسكون الراء وفتحها اى لادراك (حقائق ما اودعناه وفهم) دقائق ما بيناه وعيناه مما يتعلق بمصطفاه (ونستعيذه) اى نعوذ به ونلوذ (جل اسمه) كسماه (من دعاء لا يسمع) اى لا يقبل (وعلم لا ينفع) اى غير نافع صاحبه (وعمل لا يرفع) اى لا يصعد بل يرد على وجه كاسبه وورد زيادة ونفس لا تشبع ومن هؤلاء الاربع اجمالا بعد تفصيل اكمالا (فهو الجواد) بفتح الجيم وتخفيف الواو وقد ورد فى الحديث غير انى جواد ماجد اى صاحب الجود والعظمة فى مقام الشهود (الذى لا يخيب) بفتح الياء وتضم وكسر الخاء المعجمة وفى نسخة بضم الياء الاولى وتشديد الثانية اى لا يضيع ولا يخسر (من امله) بتشديد الميم اى قصده ورجاه (ولا ينتصر) على عدوه (من خذله) اى ترك نصرته ومنع حرمته (ولا يرد دعوة القاصدين) لقوله تعالى ادعونى استجب لكم والحديث ان الله ليستحيى ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها اليه (ولا يصلح عمل المفسدين) لامر الدين (وهو حسبنا) اى كافينا فى كل قليل وجليل (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه والمعتمد عليه وهى كلمة قالها ابراهيم الخليل لما القى فى النار ومحمد الجليل وصحبه الجميل لما قيل ان الناس قد جمعوا لكم وروى انه من خشى عدوه فليقل حسبى الله ونعم الوكيل وقيل لما القى يوسف فى الجب قال حسبى الله ونعم الوكيل فعذب ماؤها بعد ما كان ملحا فهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل ربنا ونعم الشفيع نبينا ونسأل الله دوام العافية وتوفيق تمام الطاعة وحسن الخاتمة والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا على جميع ما انعم من النعم ما علمت منها وما لم اعلم والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الاولين والآخرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ربنا توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا الجنة آمنين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين فرغ مؤلفه رحم سلفه اواسط رمضان المبارك عام احد عشر بعد الالف من الهجرة النبوية الى المدينة السكينة وذلك بمكة المكرمة الامينة وانا الفقير الى ربه البارى على بن سلطان محمد القارى الحنفى عاملهما الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى

ومن احسن ما نظم فى تحسين هذا الكتاب ما قاله بعض اولى الالباب من الاصحاب

شفى داء النفوس لنا الشفاء * اضاء النور منه والسناء
ونال محبه كل الامانى * وزال به عن القلب الصداء
تلألأ نوره ابدا علينا * ظلام الليل عاد لنا ضياء
جواهر نظمه درر وابهى * من الياقوت حقا لا مراء
حوى حكما وعظة وحكما * فصاحة من له شهدت ظباء
فصاحة خير رسل الله فيه * ومدح الله فيه والثناء
فصاحة منطق وبليغ لفظ * وحكمة حاكم وله العطاء
واخبار به تتلى علينا * كلام جامع فيه الهداء
فذ حل الشفاء بنا شفينا * وزال البؤس عنا والشقاء
اثاب الله جامعه عياضا * جنان الخلد فيه له الجزاء
وزاد محبه شرفا وفضلا * وبلغه المهيمن ما يشاء

وقال آخر

انى سألتك بالله الذى خضعت * له السموات وهو الواحد البارى
اذا تأملت فاستغفر لكاتبه * لعل كاتبه ينجو من النار

وقال آخر

تم الكتاب بحمد الله ذى الجود * رب البرايا ومجرى الماء فى العود
يا قارى الخط قل بالله مجتهدا * اغفر لكاتبه يا خير معبود

وصلى الله على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه اجمعين

*(قال محمد هو الشهاب * عنه عفا بفضله الوهاب)*

نحمدك يا من منحت بحديث حبيبك الشفا من الالام * وشرحت بقديم كلامك صدورنا للاسلام * ونصلى ونسلم على هذا النبى الحبيب * السيد السند الحكيم الطبيب * اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله الهادين * واصحابه الذين شيدوا اركان ما اسسه من قواعد الدين * وبعد فلما ان من الله بانطباع هذا الشرح الجليل * الذى شفى بشفائه كل غليل وعليل * وكنت لم آل جهدا فى علاجه * وتصحيح طبعه بتعليل مزاجه * حتى تباهى بجمال وضعه * وتزاهى بكمال طبعه * وصار كانه الروض آن مجتناه * وطاب جناه لمن جناه * عن لى ان اجلو على القارى * اصناف محاسن مصنفه على القارى * ليجتلى عرائس غرره * ويلتقط نفائس درره * فقلت مقرظا واجدت * وانشأت مؤرخا وانشدت

أجمان يزدهى بالصفاء * ام نجوم من درارى السماء
ام ثنايا لاح برق سناها * فجلا جنح الدجى بالضياء
ام مبانى اسفرت عن معان * هى شمس فى السنا والسناء
حدثتنا عن شفاء عياض * بحديث قد شفى كل داء
صح متنا بشرح الصدر شرحا * فيه قرت كل عين لرآء
رب معنى رآئق رق لفظا * ليس عنه فى بناء بناء
خص من شاء بما شاء رب * نعم نعم الرب رب العطاء
يا له شرحا اتى بشفاء * لم يدع داء بدون دواء
فاق بدر التم حسنا ونورا * وتجلى عن ذكاء ذكاء
فزت يا قارى به وهنيئا * لك فى الفردوس خير الجزآء
فابتهج اذ تم طبعا وارخ * ازه يا قارى بشرح الشفاء

٤١٢ ٥١٠ ٣٢٢ ١٣

سنة ١٢٥٧

وقد كان كمال وضعه الباهى * وتمام طبعه الجميل الزاهى * فى دار الطباعة الباهره * الكائنة ببولاق مصر القاهره * ملحوظا بعين عناية ناظرها السنى المراتب * الذى هو حضرة حسين افندى راتب * ومشمولا بتصحيح رئيس مصححيها المعدين * الفقير محمد بن اسمعيل شهاب الدين * على ذمة كل من حضرة فخر التجار الكبار * ذوى الوقار والاعتبار * الحاج عثمان اغا جانبلاط * وفقه الله الى سوآء الصراط * وحضرة شريكه رئيس التجار الخيريه * بالقسطنطينية السنية النوريه * السيد الحاج محمود افندى امير اخورزاده * ادام الله مجده وزاده * لثلاث بقين من رجب * الذى عرج فيه بالنبى الى مقام قاب قوسين فاخترق ما حجب * سنة سبع وخمسين ومائتين بعد الالف * من هجرة سيدنا محمد الذى كان يرى من الامام والخلف * صلى الله وسلم عليه وعلى اله مصابيح الاقتدآء واصحابه نجوم الاهتدآء

مالاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام

